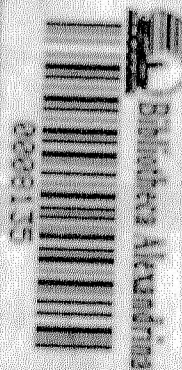


ديوان حکافظ البروقی

مطبعة رومية و صوفیه و صوفیه و صوفیه
محمد امین و احمد الزین ، ابراهيم الاکباری



ديوان
حافظ ابراهيم

ديوان حافظ إبراهيم

مبطله ومصلحه وشرحه ورقبه

أحمد أمين أحمد الزين إبراهيم الأبياري



المكتبة القومية المصرية - القاهرة

١٩٨٧

الطبعة الثالثة





المرحوم محافظ إبراهيم بن

نموذج من خط حافظ ابراهيم

شكرت جميل صنعكم به معي
ودمع العين نقياس الشعر
مدول برقة قد ذاهد جفني
على ما ذاقه قمع السرور
منقصة ابراهيم

وهما بيتان قالهما في المجمع العلي العربي بدمشق عند ما استقبل فيه

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة ديوانه حافظ ابراهيم

بقلم محمد اسماعيل كافي

المبحث الأول	في عصر الشاعر
المبحث الثاني	في نشأة الشاعر وبيئته وسيرة حياته
المبحث الثالث	في طبيعة الشاعر وما يتميز به من خصائص
المبحث الرابع	في شعر الشاعر

مقدمة الطبعة الثانية

تمهيد :

جرت العادة بتقديم ديوان الشعر بمقدمة تتناول التعريف بالشاعر ومنشأه وبيئته وعصره ، ثم تتحدث عن منهجه الشعرى ومميزاته وخصائصه ، ثم تنتهى المقدمة عادة بالحديث عن مكانته الشعرية ومرتبته بين الشعراء .

ولا شك فى أهمية هذه المقدمة للدارسين ، حيث تعطيم فكرة عن الشاعر وشعره ، تمكنهم من تقديره وتقويمه .

وحافظ ابراهيم ، كان عالما من أعلام الشعر فى العصر الحديث ، ووطنيا مصرى وعربيا ضحيا ، وقف حياته وشعره على النضال ضد قوى البغى والاستعمار التى أحاطت بالعالم العربى كله من أنحرىات القرن الماضى إلى ما جاوز منتصف قرننا الحالى .

فدراسة شعر حافظ ، فوق أنها دراسة للأدب العربى المتطور إلى أرقى صور الجزالة والرصانة والأصالة العربية ، هى أيضا دراسة لتاريخ مظلم طويل ، وكفاح مضى مرير ، لمصر وللعالم العربى أجمع ، فى تلك الحقبة العسرة من التاريخ ... وهى على ما كانت عليه من ظلام وظلم ، فإنها تعتبر مفخرة من مفاتخر الشعب المصرى ، وآية من آيات أصالته وصلابته وقدرته على احتمال الشدائد وتخطيها . فسا كان هناك شعب يتحمل ما تحمله الشعب المصرى فى تلك الحقبة الكالحة من حياته دون أن يستسلم أو يتلاشى ، ولكن الشعب المصرى تحمل وصبر ، وعمل وكافح ، لم يهدأ ، ولم يلق ، ولم يستكن ، وظل ساهرا عاملا واعيا مترقبا ، حتى انتصر واستعاد وجوده وكيانه واستقلاله .

مقدمة الطبعة الثانية

في تلك الحقبة السقيمة التي أسدلت ستورها السوداء على عالمنا العربي ،
ظهر حافظ ابراهيم ، فكان بشعره ووطنينه وكفاحه السياسي العنيف ، نتاجا
شريفا ، ونبأ أصيلا طيبا ، ليثته وعصره ، ولصريته وعروبته الخالصة
النقية .

لذلك اهتز العالم العربي كله بوفاته سنة ١٩٣٢ ، وحزن لفقده أشد الحزن ،
معتبرا وفاته نكبة وطنية أضافها إلى ما ابتلى به من محن وكوارث . . واجتمعت
العروبة بشعرائها وأدبائها وكبار قادتها ومفكرها في دار الأوبرا المصرية ، وأقيمت
حفلات التآين ، ونجرت الصحف المصرية والعربية بمجلة بالسواد ، وخصصت
مجلاتها أعدادا كاملة في رثائه وذكر فضله وعظيم بلائه في خدمة الوطن والعرب
أجمعين .

وتنبهت وزارة المعارف العمومية في مصر ، إلى أن شعر شاعرها الكبير لم يجمع
في ديوان ، فنجشت عليه أن يندثر ويضيع ، فكان وزيرها الجليل المغفور له
على زكي العراقي باشا ، بخنة من الأدباء ، رأسها الأستاذ الكبير المغفور له
أحمد أمين ، عميد كلية الآداب بجامعة فؤاد « جامعة القاهرة الآن » وعضوية
الشاعر الكبير المرحوم أحمد الزين والأستاذ الأديب المحقق ابراهيم الابيارى ،
وعهد اليها بجمع قصائد حافظ وشرحها في ديوان تطبعه الوزارة ، وتوزعه على طلاب
مدارسها ، تغذية لهم بأفق وأدم لبان الوطنية ، في أسنى الأساليب والصور
الشعرية ، وتعريفهم بأصالة أوطانهم العربية وكفاح آبائهم الجاد الدائب في
سبيل التحرر والاستقلال ، كفاحا قاسيا مريرا لم يؤته إلا أولو العزم من
الرجال .

مقدمة الطبعة الثانية

وقامت اللجنة الوزارية بجمع الديوان بمهامها ، وكان مرجعها في ذلك ما نشرته الصحف والمجلات من شعر الشاعر ، وشرحته شرحا طيبا ، كما وضع رئيسها الأستاذ الكبير المرحوم أحمد أمين مقدمة الديوان ، بذل فيها من الجهد ما يليق بمثله ، وما يليق بالشاعر العظيم .

ولكن العجلة التي اكتتفت عمل اللجنة ، فوق تعلد المصادر التي تعين الرجوع إليها ، وتناثرها واختفاء أكثرها لقدم العهد أو لاحتجاب كثير من الصحف والمجلات ، أدى كل ذلك إلى عدم عبور اللجنة على كثير وكثير جدا من شعر الشاعر الكبير ، ولا زال الكثير منها مفقودا .

وقد اتصلت بى بعض عمبي الشاعر ومريديه ، يحملون إلى بعض القصائد التي سقطت من الديوان ، وقدم بعضهم قصاصات من الصحف نشرت فيها قصائد للشاعر خلا منها ديوانه . فجمعت هذا وذاك في انتظار إصدار طبعة ثانية جديدة للديوان

وكما تنبهه المغفور له الأستاذ على زكى العرابى باشا عندما كان وزيرا للعارف العمومية ، إلى وجوب المسارعة إلى جمع ديوان حافظ من الصحف والمجلات ، تنبه جميع وزراء الثقافة في مصر في عهد الثورة الوطنية ، إلى خلو المكتبة العربية من ديوان حافظ ، وإلى أن وزارة التعليم أوقفت طبعه من عهد طويل ، فضلا عن أنه لم يطبع من قبل لعامة الناس وخاصتهم ، فمهدوا إلى الهيئة العامة للكتاب بطبع الديوان وإخراجه للأمة العربية ، متضمننا ما عثر عليه أخيرا من شعر الشاعر بعد تحقيقه وشرحه .

مقدمة الطبعة الثانية

وقد أبت الهيئة العامة للكتاب — كالمهد بها — إلا أن يخرج الديوان في صورة كاملة متطورة، فلم تر الاكتفاء بالمقدمة التي وضعها المغفور له الأستاذ أحمد أمين لطبعة وزارة المعارف للديوان ، بل آثرت أن أضع بنفسى مقدمة طبعتها ، ففى تقديرها أنى ، وأنا من أسرة الشاعر ، أقدر على الحديث عنه ، وأكثر معرفة به من غيرى ، وقد أصحح بعض ما جاء فى المقدمة السابقة ، أو أجبب عن بعض ما ورد فيها من تساؤلات لم يحدوها وقت وضعها إجابات تشفى أو تعليقات مقبولة .

وكان لهيئة الكتاب ما أرادت ، وهأنذا أضع المقدمة ، فما كان لى أن أعتذر بأى عذر ازاء الهيئة التى حملت مسئولية الكتاب فى مصر ، وازاء حافظ وديوانه على وجه الخصوص

والواقع أن الحديث عن حافظ ، حديث لا يفرغ ولا يمل ، فقد كان أمة فى رجل .. كان ملء القلوب والأسماع والأبصار من رجال جيلنا الماضى فى كل أرجاء عالمنا العربى .. كان شخصية فذة متعددة الجوانب ، حمل لواء الشعر الوطنى والاجتماعى ما عاش ، يلهب حماس الجماهير ويدفعهم دفعا إلى الثورة على الاستعمار والمستعمرين ، ويقرعهم بقوارص الكلم إذا وجد منهم استنامة أو استرخاء .. ويحى دارس الآمال فيهم ، ويبعد عنهم أشباح اليأس وعوامل الاستسلام ، ويتناول عيوبهم الاجتماعية فيصبرهم بها فى غير هوادة ولا مداراة ، ويبين لهم سوء أثرها فى مجتمعهم وآلمهم ومآل بلادهم . كان أستاذا فى السياسة ، وأستاذا فى الاجتماع ، نصب نفسه وأوقف حياته من أجل رسالته التى ارتضاها لنفسه ، واتى دفعه إليها حبه المشالى لوطنه ولبنيه وللعروبة كافة . ولعل بابى

مقدمة الطبعة الثانية

السياسة والاجتماع أهم أبواب شعره، بل لانعدو الحقيقة اذا قلنا اننا اذا اسقطنا هذين البابين من شعره ، مضافا اليهما باب المراثى باعتباره امتدادا لشعره السياسى، لا نجد أمامنا حافظا بما يتميز به عن سائر شعراء عصره وعن كثير قبلهم . وحسب الشاعر أن يجيد في باب من الأبواب الشعرية العديدة ، ليشتهر ويخلد ، فما بالناس وقد خلق حافظ أبوابا جديدة أضحت أهم أبوابه وأكثرها لفتا للناس، نفرج بالشعر من الكالية إلى الضرورية، ومن الرفاهة الذهنية إلى استخدامه سلاحا روحيا ليقاوم في كفاح المستعمرين وفي تهيئة أذهان الشعب وحفزه على الكفاح الوطنى الكبير .

حافظ ابراهيم إذن هو نتاج عصره ونتاج بيئته ونتاج مصر ته وعروبته، كان بكل اختصار : « مصر تتحدث عن نفسها » .

ويقتضينا المنهج العلمى فى البحث ، أن نبدأ فى تقديم الديوان ، بعصر الشاعر ، ثم بنشأته وبيئته لسانها من كبير الأثر فيه وفى شعره ، ثم نتناول طبيعة الشاعر كإنسان وما يتميز به من خصائص ، ثم نتناول شعره بعد ذلك بالتقويم والتجيس لنصل إلى مرتبته وأثره ومكانته فى اللغة والأدب وفى الشعر العربى خاصة .

فاذا نحن سلكتنا هذا المسلك فى وضع التقديم ، نكون — على ما نرى — قد بلغنا القصد ، بإعطاء القارئ والباحث ما يرجوه من العلم بالشاعر وشعره كمدخل للديوان .

المبحث الأول ... فى عصر الشاعر

لم يعرف بالمضبط تاريخ مولد الشاعر — ومن واقع الأوراق الرسمية فى ملف خدمته ، يتبين أنه عندما أحيل إلى القومسيون الطبى لتحديد سنه عندما أريد

مقدمة الطبعة الثانية

تعيينه في دار الكتب ، وكان ذلك يوم ٤ من فبراير سنة ١٩١١ ، قدر القومسيون الطبي سنة يومئذ بتسع وثلاثين سنة . وتأسيسا على هذا قرر أنه ولد يوم ٤ من فبراير سنة ١٨٧٢ . ولم يكن قد توفي يوم ٢١ من يولييه سنة ١٩٣٢ فكأنه عاش ستين سنة وبضعة أشهر ، حكم مصر خلالها من أسرة محمد علي ، الخديويون اسماعيل ومحمد توفيق وعباس حلمي الثاني ، ثم السلطان حسين كامل والملك أحمد فؤاد الأول من بعده .

وفي سنة ١٨٨٢ أى بعد مولد حافظ بعشر سنين ، احتل الإنجليز مصر بعد اخفاق الثورة العربية ، التي قامت أولا للطلالة بحق الضباط المصريين في التسوية بينهم وبين الضباط الأتراك والجراكسة في الجيش المصري ثم امتد هدفها إلى المطالبة بحق الشعب المصري في إدارة شئونته . وظل احتلال الإنجليز لمصر حتى سنة ١٩٥٦ حين تم جلاؤهم عن البلاد في شهر يونيو من تلك السنة .

وكأنت مصر ولاية تابعة لسلطان تركيا وقت قيام دولة الخلافة ، فلما احتل الإنجليز مصر ، أصبح يحكمها حاكمان : حاكم شرعي هو الخديوي أو السلطان أو الملك ، وهو في حقيقته أجنبي بأصله عن البلاد وإن استمد شرعية حكمه من القرارات التي كان يصدرها سلطان تركيا بجعل الولاية في مصر لكبير أسرة محمد علي ، ثم تعدلت إلى أكبر أبناء الخديوي اسماعيل .

وحاكم فعلي ، وهو أجنبي أيضا عن البلاد والعباد ، هو معتمد الدولة البريطانية التي احتلت مصر بجيوشها ، وأصبح له كل الحول وكل السلطان الحقيقي في البلاد ، يمارسه خفية باستخدام الحاكم الشرعي حيناً ، ويمارسه جهارا وعلانية بصفة مباشرة أحيانا كثيرة .

مقدمة الطبعة الثانية

ولعل السبب في إبقاء الحاكم الفعلي البريطاني على الحاكم الشرعى وهو الخديو، هو أن السند الذى استندت اليه بريطانيا في غزو مصر واحتلالها هو الإبقاء على العرش الخديو وتثبيت دعائمه ضد الخارجين عليه من الشعب ، فإذا هي طردت الخديو ، وأزالت وجوده ، فقد قضت على سند بقائها في مصر ، ولم تكن السياسة البريطانية لتقع في مثل هذا الخطأ ، فأبقت على الخديو ، إبقاء على وجودها ، وإن نزعته منه كل سلطة .

وهكذا قدر لمصر في عصر حافظ أن يحكمها حاكمان أجنبيان عنها ، تنافسا على السلطان وعلى سلب خيراتها ، كل بقدر ما استطاع وتمكن . . تألفا في الظاهر والعلن ، وتباغضا أشد البغض في السر والباطن ، فقد عزى على الحاكم الشرعى أن يشاركه في الحكم والسلطان من استعان به في تثبيت حكمه وعرشه ضد شعبه ، بل لقد تجاوز هذا الشريك كل حد معقول في المشاركة ، الى الافتراد الحقيقى بالحكم والتوجيه ، حتى وجد الحاكم الشرعى نفسه وليس له من الأمر شيء ، وإن ألبس ثوب السلطان ، وإن أسكن في قصوره ، وإن دموا له كولى أمر على المنابر .

أما عن الإنجليز ، فقد احتلوا مصر وغزوها بجيوشهم ، وبذلك أصبح لهم فيها حق الغزو والفتح ، ومن ثمت فلا عمل لذلك السلطان المتداعى ، الأجنبى بأصله عن البلاد ، ولكن مقتضيات السياسة البريطانية وقتئذ وما سارت عليه في حكم البلاد التى تحتلها ، ألا تفس مظاهر الحكم فيها وما ألقه الناس ، تهديئة ومهادنة للشعور العام ، حتى لا تتورط عليهم تلك الشعوب فيكون ما لهم الطرد وإن طال الزمن . هذا ما أمل على الإنجليز الإبقاء على الإسرة الحاكمة في مصر ، فمن طريقها يحكمون ، وعن طريقها ينسى الشعب وجودهم واحتلالهم ، ثم هى أسرة مكروهة من الشعب منعزلة عنه ، فلا خشية منها على الإنجليز ولا خطر .

مقدمة الطبعة الثانية

ومع هذا فيجب أن يعلم ذلك الحاكم الشرعى جيدا ، وألا ينسى ، أنه لم يعد في الوضع الذى كان عليه من قبل ، وضع الحاكم المنفرد المستقل بإرادته وبصرف شئون الحكم في البلاد ، فقد قام الى جانبه ، بل مقدما عليه حاكم إنجليزى كبير مسئول ، فاذا لان الخديو وخضع بقى في مكانه ، وإلا بغيش الاحتلال موجود يستطيع أن يتناوله في أية لحظة ويلقى به خارج البلاد ، ويأتى بخديو جديد ، وما أكثر الطامعين في المنصب من تلك الأسرة الحاكمة ، أسرة محمد على .

ولقد كان من آثار احتلال الانجليز لمصر أن ازداد نفوذ الأجانب وشوكتهم في مصر ، وبخاصة رمايا الدول المتنازة التي أقتر لها السلطان العثمانى بامتيازات لها ولرعاياها في مصر . هؤلاء الأجانب جميعا وجدوا من الانجليز الناصر القوي الممكن لهم في مصر وثرواتها على حساب الشعب المصرى كله ، وفي سنوات قليلة استطاع هؤلاء الأجانب أن يستولوا على معظم أراضيها الزراعية وأن يسيطروا على أسواقها المالية والتجارية سيطرة تكاد تكون مطلقة ، وأخذوا يتمتعون بخيرات البلاد وينقلونها نقل نازح البثرالى بلادهم ، لا يتركون فيها من الفتات إلا أقل قدر يحبى أهلها في ضنك ، وبالحرمة التي تسمح للحياة بأن تسير في شرايين البلاد ضعيفة واهنة دون أن تقدر على ثورة أو تمرد .

فاذا بحثت بعد ذلك عن الشعب ودوره في ذلك الخضم النائر الفائر من الخوصم الأقوياء المتففين عليه ، وجدته شاردا ذاهلا من هول صدمة المفاجأة الغاسية بهزيمة جيشه بقيادة أحمد صرابى ودخول الجيش الانجليزى القاهرة ، وسيطرته على البلاد كل مسيطر ، وما وقر في نفسه بعد ذلك من شعور بالغ المرارة بالضياع ، وزاد من شعوره ذاك ، تلك الحملة الانتقامية المسعورة التي شنها الاحتلال على

مقدمة الطبعة الثانية

الوطنيين من أهل البلاد ، فصادر من ثرواتهم ما صادر ، وحكم بالسجن أو بالنفى أو التشريد على من حكم عليه منهم ، ووقعت مصر كلها في طوفان من الظلم والعسف والتفكيك دون حزيمة إلا الوطنية الخالصة ، وإلا رفض احتلال الأجنبي وقيدته ... وفي مثل هذه الظروف القاسية المعرّبة بكل القيم ، تصبح الوطنية أو كما كان يقال « الحديث في السياسة » كبرى الجرائم ، تودى بصاحبها إلى أسفل سافلين ، وما من منجد ولا من معين .

وإذا كان الشعب المصرى ، فى مبدأ عهد الاحتلال ، قد أخذ وفوجئ على غرة منه بما لم يكن فى حسبانته ولا توقعه ، فانهارت مقاومته فترة قصيرة من الزمان للاحتلال الغاشم المدجج بالسلاح ، وهو الشعب الأعزل المسالم ، فقد كان ذلك بسبب وقوعه فى طيعة بشريته ، فإذا كان يمكن لأعزل يحكمه أجنبي أن يفعل شيئا إزاء طوفان هائج مدمر إلا أن يلم شعثه ، وإلا أن يصبر ويحسن الصبر ، حتى تكشف الآفة التى ليس لها من دون الله كاشفة .

وبدأت عرافة الشعب المصرى تعمل ، وأصالته تطفو وتظهر بعد قليل من تلك الكارثة الطاحنة التى فاجأته وبجّعتة ، وبدأ يسترد أنفاسه ويفيق من الصدمة ، وبدأ العملاق يتحرك بطيئا وينهض متاقلا ، وينصب قامته ، ويسترد مواقفه موقعا فوقها ، وظهرت زعاماته الوطنية ، مفتتحا عهودها بحال الدين الأفغانى ، بخفاء الشيخ محمد عبده ومصطفى كامل ومحمد فريد وحسين رشدى وعلى شعراوى وسعد زغلول وعبد العزيز فهمى وغيرهم وغيرهم ... ولا ننسى فضل شبابنا الوطنى الذى بذل من روحه ودمه ما يسجل له فى سجل الخالدين ، وظل الشعب بجميع طوائفه يكافح الاحتلال والاستعمار لا يهدأ ولا يلين ، وقامت

مقدمة الطبعة الثانية

الثورات والجمعيات الوطنية حتى انتصر على أعدائه انتصارا نهائيا بثورة سنة ١٩٥٢ ، حينما أجبر قوات الاحتلال على الجلاء عن البلاد كلها في يونيه سنة ١٩٥٦ .

وكان من حظ حافظ أن عاش أيام بؤس مصر كلها ، ذاق مرارتها ، وتجرع غصصها حتى الثمالة ، وشارك في الجهاد الوطنى بأوفى نصيب ، حينما سخر شعره وأوقفه على قضايا وطنه وقضايا العروبة والاسلام ، حتى لقي ربه راضيا مرضيا عنه في فجر الحادى والعشرين من شهر الثورات ، شهر يولييه سنة ١٩٣٢ . فانطوت بوفاته صفحة من أنقى وأطهر الصفحات في سجل جهادنا الحر الأمين .

المبحث الثانى . . فى نشأة الشاعر و بيئته وسيرة حياته

هو محمد حافظ ، ابن المهندس ابراهيم فهمى ، أحد المهندسين المشرفين على قناطر ديروط ، رزق بابنه حافظ وهو يقيم فى « ذهبية » كانت راسية على شاطئ النيل سنة ١٨٧٢ على السند التاريخى الذى أوضحنه من قبل .

وعلق المرحوم الأستاذ أحمد أمين على ولادة حافظ على صفحة النيل ، بأنه « كان ارحا صا لطيفا ، وإيماء طريفا ، إذ شاء القدر إلا بولد شاعر النيل الا على صفحة النيل . »

وكان أبوه ابراهيم فهمى مصريا صميا . أما أمه فهمى السيدة « هانم بنت أحمد البورصه لى » من أسرة تركية محافظة عريقة تسكن حى المغربلين ، أحد الاحياء الشعبية القديمة بمدينة القاهرة ، تعرف باسم أسرة الصروان . وسبب تسمية الأسرة بهذا الاسم أن والد أم حافظ ، أى جده لأمه ، كان أمين الصرة فى الحج . فللقب

مقدمة الطبعة الثانية

« الصروان » معناه القيم على الصرة ، وهى المال الذى كانت تبعث به حكومة مصر سنويا فى موسم الحج للأقطار المجازية ، معونة لساكنى الاراضى المقدسة وحكومتها ، بعضه هبة من حكومة مصر ، والبعض الآخر هوريج الأعيان المصرية الموقوفة على الحرمين الشريفين بمكة والمدينة .

وبذلك اجتمع فى حافظ دمان ، دم مصرى صميم مستمد من والده ، ودم تركى طاهر نقي من والدته . ومن مجموع خصائص كلا الدماءين وتفاعلهما فى نفس وتكوين حافظ ، تكونت شخصية حافظ وبرزت خصائصه ومميزاته .

ولعل من أبرز الخصائص المصرية فى حافظ هى قوة احتماله للكره والسخرية المزهة منه ، وديمقراطيته الواضحة ، وتواضعه للناس جميعا وحبهم وأنسه بهم ، ولعل بجرأته التى لا تعرف الحدود فى مواجهة السلطات دون أى تقدير للعواقب ، وتضحياته بلقمة العيش والأمن ، وترفعه عن كل المغريات ، وهُزْأه بكل المحاولات التى بذلت لاستمالة إلى الحاكين ، وصلابته فيما يراه حقاً وعدلاً ، هى من الخصائص التركية فيه ، وإن شاركتها خصائصه المصرية أيضاً .

ولقد تحدث المرحوم الأستاذ أحمد أمين عن الدم التركى الذى كان يجرى فى حافظ فقال إنه « دم تركى ديمقراطى » وشتان بين الدم التركى الديمقراطى والدم التركى الارستقراطى .

وأرى أن أفق هنا وقفة قصيرة ، لأقول إن الدم يتأثر فعلاً بالديمقراطية أو الارستقراطية . فالارستقراطية فى الدم تدفع حاملها إلى الكبر والتعالى والشعور بالامتياز ، وما يتبع ذلك من الشعور بالأثرة وحب النفس والبعد عن الناس ، مما يؤدي إلى كراهيتهم له وعدم اطمئنانهم اليه . أما الدم الديمقراطى فذو خصائص

مقدمة الطبعة الثانية

واحدة في جميع الشعوب والأجناس . ولعل أقوى دليل على ديمقراطية الدم التركي في حافظ أن جده لأمه ، التركي الأصيل اختار حي المغرلين لإقامته ، أى في حي من صميم الأحياء الشعبية ، مجاورا ومخالطا ومندمجا في الشعب المصري ، فلولا ديمقراطيته الأصيلة لما أقام في هذا الحي ، ولأثر حيا خاصا يضمه والسادة الأتراك من مواطنيه وقتئذ .

ورغم مركز هذا الجدد ، كأمين للصرة المصرية وهو منصب كبير مرموق في ذلك العصر حيث كان ينتقى له أكبر الشخصيات وأكثرهم أمانة وتقى ، فلم يترك لورثته شيئا يعيشون منه إلا ناتج عملهم وما يكسبونه بجهودهم . وفي ذلك ما فيه من دلالة على عفقه وإبائه وترفعه عن كل ما يشين ، وإلا كان كغيره من السادة الأتراك الذين كانوا يسرقون وينهبون ويكذبون ما يجمعون من ثروات ضخام . ولعل أقوى دليل على ديمقراطية أسرة ذلك التركي العظيم أنها زوجت ابنتها لمهندس مصري صميم في مصرته هو والد حافظ من كان يأنف الأتراك والأرستقراطيون من جوارهم بله مصاهرتهم . وما لنا نتحدث عن ديمقراطية جدد حافظ ، وحافظ نفسه أقوى دليل على هذه الديمقراطية الأصيلة الموروثة إلى جانب عفقه وإبائه وترفعها ! .

والفرع يلي عن كريم أصوله * والشمس تبعث دفءها وشعاعها وعاش حافظ في كنف أبيه أربع سنوات ، مات بعدها الوالد فعادت به أمه من ديروط إلى بيت أسرتها . وتوفي جدد حافظ قبل مولده ، فتولى أمره وأمر الأسرة الصغيرة ، خاله محمد نيازي الذي كان مهندسا بتنظيم القاهرة ، وبلغ حافظ السن التي تبعث به إلى المدرسة فأدخله خاله أقرب مدرسة إلى منزله في ذلك

مقدمة الطبعة الثانية

الحين ، وكانت المدرسة الخيرية بالقلعة فتعلم فيها القراءة والكتابة وشيئا من العربية والحساب والدين ، ثم التحق بعد ذلك بمدرسة القربية الابتدائية ، تحول بعدها إلى مدرسة المبتديان ثم المدرسة الخديوية وهما من المدارس الثانوية .

والتقى حافظ وهو في المدرسة الخيرية بالقلعة بالزعيم مصطفى كامل ، حيث تزاملا في التعليم وحيث كانت بين أسرتهما صلات قرابة ونسب ، فقد كانت أم حافظ وأم مصطفى كامل بنى خالة . ثم ما لبثت أن فرقت بينهما الأحداث حتى التقيا ثانية في شبابهما في الجهاد الوطنى الذى خاضاه ضد الاستعمار .

ونقل خال حافظ الذى يرعاه ويتولى شئونه الى وظيفة مهندس تنظيم طنطا ، فكان لزاما أن ينتقل معه حافظ ، وخرج حافظ من القاهرة الى طنطا ، من عالمه الذى ألفه واطمأن اليه الى عالم جديد غريب عليه ، ليس له فيه إلا خاله . وهذا انخال مهما كان عطفه وحده ، فهو رجل ، وإنه لرجل تركى جاد يسعى وراء لقمة العيش حيثما كانت وإنما كتبت له . ورجل بهذه الحال هو أبعد ما يكون عن الملاينة أو تقدير الظروف التى يمر بها الغلام ، والتى تحتاج الى مداواة النفس بما ألحقته بها الأحداث .

وألحقه خاله بمدرسة ثانوية بطنطا لاستكمال تعليمه ، وانصرف خاله الى عمله الذى يستغرق كل وقته . ويتمرد الغلام ، ويصعب تمرده على المدرسة ودروسها ، فكان يذهب يوما اليها ليغيب عنها عشرة ، لا انصرافا عن التعليم ، وإنما لأن الذى كان يتلقاه فيها من دروس لا يتفق وميوله الطبيعية التى وجدها فى الجامع الأحمدي بطنطا ، فكان يجلس فى حلقات الدرس يتلقى عن الأئمة العلماء دروسا فى علوم اللغة والفقه والشريعة ، وتلفته اللغة وآدابها ، ويشد الشعر بموسيقاه ووقعه فى النفس كل

مقدمة الطبعة الثانية

انتباهه ، ويملك عليه حواسه فيبدأ بدراسة الشعر ، ويطلع على دواوين الشعراء القدامى ويحمد نفسه قد حفظ كل ما تقع عليه عيناه من عيون الشعر والأدب ، دون جهد يبذله أو تعمد للحفظ . ثم اذا به بعد قليل يقرض الشعر وينظمه على نحو أثار إعجاب الكثيرين من شيوخ الأدباء وذواق الأدب في مدينة طنطا . ولم يستطع خال حافظ أن يقبل من ابن شقيقته هذه الفوضى ولا هذا الانقلاب المضيع وهو المستول الأول والأخير عنه ، فزاد من تأنيبه وتقريعه ، فيحتاج حافظ ويعزم على قطيعة خاله الذي يقف عقبة في سبيل سلوكه طريق الأدب الذي رضيه لنفسه واختطه لحياته ، وسرمان ما تلقفه نقيب المحامين في طنطا وقتئذ ، فضمه الى مكتبه مساعدا له في القضايا بعد ما لمس فيه من فصاحة اللسان وقوة الحجّة وغزارة البيان . ولم تكن المحاماة وقتئذ منظمة بقانون أو مشرطا فيها مؤهل ، وانما كانت مهنة مفتوحة يلجها وينخرط فيها كل من آس في نفسه صلاحا لها . وأخذ حافظ ينتقل من مكتب الى مكتب ، فقد كان ملولا بطبعه ، لا يستقر على حال ، ولعله داء القلق النفسى الذى لازمه طوال حياته نتيجة لما تعرض له من أزمات نفسية توالى عليه منذ طفولته .

في هذه الآونة كان هناك ضابط مصرى شاب اسمه محمد كانى ، يعمل مهندس أركان حرب بالجيش المصرى وكان يجاور أسرة حافظ فى السكن فى حي المغربلين .

ولما كان من شباب الجيش العراقى المرموقين — تحاصل على أعلى شهادة فى هندسة أركان الحرب على يد الجنرال ستون الأمريكى الذى كان من كبار ضباط الحرب الأهلية الأمريكية واستقدمه الخديو اسماعيل للنهوض بمستوى

مقدمة الطبعة الثانية

الجيش المصرى وإعادة بنائه . ولما كان مهندسنا المصرى ذاك قد أبلى بلاء حسنا ضد الغزاة الانجليز باختياره مدينة كفر الدوار وتحصينها ونجاسه في منع وصولهم الى مصر من الاسكندرية ، في مطلع غزو الانجليز للبلاد ، فقد كان أول المفصولين من خدمة الجيش المصرى بعد الاحتلال وأمر بملازمة قريته التى جاء منها ، وهى القرية المعروفة الى اليوم باسم « كفر قورص » من أعمال مركز أشمون محافظة المنوفية .

ثم لما رأى بعد ذلك إعادة تكوين الجيش ، دعى ثانية الى الخدمة لحاجة الجيش الجديد الى مهندسين حربيين بتركية من الجنرال ستون نفسه ، فعاد الى مسكنه القديم بالمغربين . ولما أنس فى أسرة حافظ من عراقه الأصل والمحافظة تقدم اليها طالبا يد ابنتها عائشة شقيقة حافظ ، وتم القران ، وعاشت معه عمرا ليس بالطويل ، أعقب منها خلافا أربعة أبناء ، ثم توفيت . وتلفت أم حافظ بعد ذلك أبناء ابنتها الأربعة تربيهم وتقوم عليهم ، لغياب والدهم عنهم بسبب نقل الإنجليز له من الجيش الى وزارة الأشغال بعد ان ضاقوا به ذمرا كرجل وطنى غير مسالم لهم ، وألحق مهندسنا للرى بأسبوط . وتلقى حافظ بفقد شقيقته صدمة أخرى ، بفقد شقيقته الحبيبة الأثيرة لديه وهى فى ميعة الصبا وزهرة العمر .

ولقد ساء صهر الاسرة محمد كاتى الضابط بالجيش حال حافظ شقيق زوجته ، إذ رآه شابا صالحا قوى البنية متين البنيان وعلى ثقافة طيبة ، ولكنه مضطرب التفكير فى الطريق الذى يخطه لحياته العملية ، كما ساءه أن أدركته « محنة الأدب » فقد كان الأدب وقتذاك يعتبر محنة من المحن حيث لم يكن امتنانه يبنى من جوع ، فعرض عليه أن يلحقه بالمدرسة الحربية عندما كان لا يزال فى الجيش ، حيث لم يكن يشترط أكثر من الشهادة الابتدائية للالتحاق بها . فوافق حافظ مرحبا

مقدمة الطبعة الثانية

حيث وجدها تكفل له وظيفته تدّر عليه راتبا شهريا يدراً عنه الحاجة ، وفي الوقت نفسه يستطيع أن يشبع هوايته الأدبية كما يشتهي .

ذكرت كل ذلك ردا على ما جاء في مقدمة الأستاذ أحمد أمين لديوان حافظ عن قصة التحاقه بالمدرسة الحربية ، حيث يقول « فشل في المحاماة ، ففكر فيما يعمل ، فهداه تفكيره الى أن يسافر من طنطا الى القاهرة ويدخل المدرسة الحربية .. ويبدو هذا التفكير غريبا ، فأديب ناشئ ، وعالم فاضل ، يفكر في أن يكون ضابطا ؛ لسنا ندرى الباعث على هذا التفكير ، قد يكون الباعث عليه قراءة سيرة البارودي الحربي الشاعر ، وقد يكون ما رأى في نفسه من بسطة في الجسم ، وقد تكون المصادفة البهجة هيأت له ذلك » .

وتخرج حافظ سنة ١٨٩١ في المدرسة الحربية ضابطا في الجيش ، ثم نقل الى الشرطة التي كانت تستمد ضباطها من الجيش وقتئذ ، ثم أعيد الى الجيش وخدم في السودان ما يقرب من السنتين متنقلا بين سواكن وطوكر وقبلى حلفا ، ثم أحيل الى الاستيداع مرتين ثم طلب إحالته الى المعاش سنة ١٩٠٣ .

يتبين مما سبق أن حياة حافظ منذ نشأته حتى تركه خدمة الجيش ، حياة مضطربة لا تستقر على حال . فحيث أراد لنفسه الاستقرار بوظيفة تضمن له العيش إذا بطبيعته الثائرة والقلق الذي يلزمه بإبانه عليه الهدوء الذي ينشده والاستقرار الذي يتغنيه ، وإذا بوطنيته الثائرة تدفعه دفعا الى أن يشعل ويشترك في حركات صغار الضباط في تمردهم على كبار ضباطهم الذين كانوا يضطرون الى مبالاة الإنجليز . وكثيرا ما قدم هؤلاء الضباط الصغار الى المحاكمات العسكرية فكانوا ينيون حافظا للدفاع عنهم ، مستفيدا من أيام المحاماة ، حتى جاءت

مقدمة الطبعة الثانية

سنة ١٨٩٩ حدثت ثورة في الجيش المصرى بالسودان ، فقد جاهرته فرقة من فرق الجيش السودانى بالعصيان ، وأحمد الإنجليز تلك الثورة بعد ذلك وحاكوا عددا من زعمائها أمام المجالس العسكرية ، فأحيل منهم ثمانية عشر ضابطا إلى الاستيداع وأبعدوا عن السودان إلى مصر وكان منهم حافظ ، وحكم على البعض الآخر بالسجن مددا مختلفة وأرسلوا إلى مصر ليقتضوا مدة السجن فيها .

وعاد حافظ الى مصر ولا مورد له ولا عمل يقتات منه بعد أن استقال من الجيش وهو فى الاستيداع يأسا من إمكان استمراره فى خدمة جيش فى قبضة عدو يضعه تحت المراقبة وينظر إليه نظرة الريبة فيه والنقمة عليه .

ودخل حافظ فى طور جديد من حياته كان أهم ما سر به من أطوار .

كان حافظ قد بلغ من ذبوع الصيت والشهرة فى الأوساط الوطنية التى بدأت تتحرك ، مبلغا كبيرا ، فقد شد شعره الوطنى وسيرته كضابط حر جرىء جسور ، كل الأنظار والأسماع ، وكان يتردد على مجالس الزعماء الأحرار فى ذلك الوقت ، وعلى رأسهم الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ومصطفى كامل باشا وسعد باشا زغلول ومحمود باشا سليمان وآل أباطة وآل عبد الرازق وغيرهم ، فأحبوه جميعا وقربوه إليهم ، وقد وجدوا فيه ذخيرة وطنية تستحق المراجعة ، كما وجدوا فى شعره سلاحا من أمضى الأسلحة التى يجب استخدامها فى الهاب الشعور الوطنى فى البلاد وتحريك مشاعر الجماهير تمهيدا للقيام بالحركة الوطنية .

وإذا كان الإنجليز قد طاردوه وأغلقوا فى وجهه كل أبواب الرزق ، فقد كان فى رعاية كبار زعماء البلاد له فى ذلك الحين خير عوص . إلا أن كرمه الزائد الذى فطر عليه ، وهدم تقديره لعواقبه لم يمنعا عنه الشعور بالفاقة والحاجة الدائمة .

مقدمة الطبعة الثانية

فقد كان يأتيه المال غزيرا من هنا ومن هناك ، وكان أخرى به أن يحافظ عليه وأن ينفق منه بحساب ، إلا أنه كان لا يحتمل وجود المال في يده دون أن ينفقه أو أن يرى صاحب حاجة دون أن يمد إليه يده ببذخ وسرف ، ولا أن يقصده قاصد دون أن يعطيه ما في جيبه كله بالغا ما بلغ . وهكذا عاش حياته ، لا يقيم للنال وزنا ولا يرضن به على قاصد ولا محتاج ، وبخاصه أدباء عصره .

وتفرغ حافظ للشعر ومنابره ، لا يترك أمرا من الأمور ولا مناسبة وطنية إلا وضع فيها أقوى القصائد وأشدها حرارة واشتعالا . صاحب مصطفى كامل ومحمد فريد ثم صاحب مسعدا وغيره من الزعماء في جهادهم الوطني الطويل . وعلى ما كان بين الزعماء في ذلك الوقت من اختلاف كبير في وجهات النظر أدى إلى خلاف أكبر بينهم ، فإن حافظا ظل على علاقته الطيبة بهم جميعا ، يرى فيهم جميعا أبناء أوفياء برة بوطنهم وإن ساءت منهم تلك الخلافات الصغيرة التي ظل أتباع كل منهم ينفخ فيها بنفثات الشيطان حتى صارت كبيرة وحتى استدار كل منهم لمحاربة الآخر . وكان ذلك أقصى ما كان يحلم به المستعمرون . وصارت فتنة في البلاد بهبوط أسهم الحزب الوطني بعد وفاة زعيمه مصطفى كامل ونحروج محمد فريد من مصر وظهور حزب الأمة وبدء ظهور سعد زغلول وقد كان من رجال ذلك الحزب فآلف حزب الوفد المصري ، ثم صارت فتنة ثانية في البلاد حينما انشق بعض رجال الوفد عليه وألقوا حزب الأحرار الدستوريين ، وانقسمت البلاد قسمين . . . قسم غالب مع الوفد وقسم قليل مع الأحرار الدستوريين ، ولم تفك القسمة عند حد الخلاف في الرأي ، بل أصبح الوفد وأنصاره حربا على خصومهم في الرأي ، وكذلك كان الأحرار الدستوريين ، وإن كانت خصومة الأحرار قد ظلت ولم تتعد الخصومة الفكرية . ثم شاء الله خيرا

مقدمة الطبعة الثانية

بمصر فانتلفت كلبتهم ، تلاقى سعد زغلول وعدلى وثروت إلا أن ذلك الائتلاف لم يدم طويلا ، فقد سارع الموت باختطاف سعد ، ثم لحقه ثروت ، ومادت مصر إلى دوامة الخلاف الداخلى . وظل حافظ فى مستواه الوطنى العالى فوق الخصومات الحزبية ، لا يخضع لها ولا يخضعونه لها ، فكان صديقا لسعد ولرجال الوفد جميعا كما كان صديقا لعدى وثروت ورشدى ومجد محمود ولطفى السيد وهىكل من أقطاب الأحرار فضلا عن رجال الحزب الوطنى، يزور هؤلاء وهؤلاء ويلقى قصائده فى محافل كل منهم ، والجميع حريصون على وده ومحبتة وإيثاره ، ولملحه كان الوحيد من رجالات ذلك العهد من كان له مثل هذا الموقف الخاص ، العام فى الوقت نفسه ، ومرجع ذلك ولا شك أن حافظا كان من الرجال القلائل المشهود لهم بالوطنية الخالصة ، وبالأستقلال فى الرأى ، وكانت له مكاتته الوطنية الكبرى فى نفوس الشعب كله ، ولم يكن فى صالح أى حزب من الأحزاب أن يتخذ موقفا معاديا لحافظ ، بل على العكس كان كل حزب يشعر بحق أن حافظا قوة وطنية يجب أن تكسب ، فكان أن قبل منه ما لم يقبله من غيره . قبل منه هذا الموقف الذى يساوى بينها ولا يفرق .

وإذا كان هذا هو رأى رجالات مصر وأحزابها فى حافظ وموقفها منه ، فقد كان ذلك أيضا رأى القصر فيه وموقفه منه . فقد تقرب إليه الخديو عباس حلمى ثم السلطان حسين كامل وأخيرا الملك فؤاد ، رغم علم الجميع بعدم إمكان أحد احتواءه . فلقد عين رئيسا للقمم الأدبى فى دار الكتب سنة ١٩١١ وأنعم عليه برتبة البكوية سنة ١٩١٢ ثم بنيشان النيل حيث أطلق عليه بعد ذلك لقب شاعر النيل ، وإن كان يفضل دائما أن يلقب بالشاعر الاجتماعى . فقد كان يرى

مقدمة الطبعة الثانية

أن النيل جزء من العروبة والعروبة جزء من الشرق والإسلام . وهو شاعر العروبة والشرق والإسلام بالمضمونين الاجتماعى والوطنى .

ولم يكن الإنجليز أقل إدراكا لمكانة حافظ الشعبية في مصر والشرق العربى ، فأخذوا بدورهم يتقربون إليه بعد أن وجدوا أن حربهم عليه لم تجدهم نفعا ، ولم تنل منه شيئا ، فتعرف إليه السكرتير الشرقى لدار المندوب السامى وقتئذ وكان اسمه السيروتز سمارت ، وكان منصب السكرتير الشرقى من أكبر مناصب دار المندوب السامى ، إذ كان يل المندوب السامى مباشرة ، فكان يزور حافظا في بيته بين الحين والحين ويدعو نفسه إلى مائدته الشرقية التى اشتهر بها حافظ . وقد سأله حافظ ذات مرة عما دعاه إلى التعرف به ومصادقته وزيارته ، فكان رد المستر سمارت أنهم يقدرون كل وطنى مخلص لبلاده ولو كان من أعدائهم ، ويحترمون ويحنون الجياه لكل مجاهد نظيف ، وأنهم لذلك لا ينضبون منه ولا يحقدون عليه مهما قال فيهم ومهما أثار الشعب عليهم .

وعلى الرغم من زيارات أقطاب الحكام الإنجليز له في بيته ، فلم يدخل حافظ دار المندوب السامى البريطانى طوال حياته . وظل حافظ على ولائه لبلاده ودعوته ضد الاحتلال رغم الصداقات الخاصة التى قامت بينه وبين بعض رجاله ، مثلما كانت تقوم بيننا ونحن طلبة بالمدارس الثانوية وبين أساتذتنا الإنجليز في مدارسنا من صداقات ، وكثيرا ما كانوا يدعوننا إلى حفلات شاي صغيرة يقيمونها لنا في بيوتهم . ورغم وجودنا في بيوتهم وجلسنا إلى مواعيدهم لم يكن يحلو لنا الحديث إلا في السياسة وإلا في وجوب جلاء الإنجليز عن مصر واستقلالها التام بشؤونها . . وكثيرا ما كانوا يصصحون لنا بعض التعابير عندما كنا نقول مثلا تسقط إنجلترا باللثة الإنجليزية .

مقدمة الطبعة الثانية

والحق يقال . . إن الإنجليزي كفرد رجل ممتاز وصديق طيب، أما الإنجليزي
لحكومة وسياسة فالصورة معكوسة تماما، هي القبح كله والغدر كله والانتهازية
كلها .

وما دمتا نتحدث عن صداقات حافظ ، فما أكثرها وما أكثر تنوعها . ولعل
السبب فيها بساطة في نفس الرجل ، وروح طيبة ودیعة مريحة ، ونفس متفتحة
متقبلة للناس جميعا لا تعقيد فيها ولا التواء . ولذلك كنت تجد من أصفیائه
وأحبائه أسراء البيت المسالك وشيوخ الأزهر والآباء الروحيين والوزراء والعظماء
وأقطاب الأحزاب وأساتذة الجامعات والأطباء والمحامين والمهندسين ومن جميع
المهن ، حتى من لا مهنة له من عامة الشعب . . . قلبه مفتوح للجميع وبيته مفتوح
للجميع ويده ميسوطة للجميع .

— وبكل اختصار كان الرجل مثلاً حياً لمصر . . بل لقد تجسدت مصر فيه كلها ،
بترفعها ، بإبائها بشممها بطيبتها ببساطتها بصدقها ، بعنادها ، بقوتها بصلابتها
بصبرها على المكاره ، بأخلاقتها بديمقراطيتها بإيمانها بالله الواحد الأحد .

بقى أن نسأل أنفسنا، هل وطنية حافظ ومكانته كانتا السبب الوحيد في إقبال
تلك الجموع المتباينة عليه أم أن هناك سببا آخر . . الواقع أننا نرى أن الوطنية
وحدها لا يمكن أن تكون السبب الوحيد لذلك ، فقد كان الرجل حلوا المعشر
ساحر الحديث ، حاضر البديهة رائع النكتة راوية للشعر والأدب ولطائف
النوادر من الطراز الأول ، ولتصور ما كان يحدث إذا اجتمع حافظ والشيخ
عبد العزيز البشري والدكتور محجوب ثابت في مجلس ، ولكل منهم شخصيته
الفكهة المرحة النادرة المثل والتي قل أن يوجد بمثلها الزمان .

مقدمة الطبعة الثانية

بقيت جزئية أخيرة في سيرة حافظ تتعلق بشخصه ، فقد تزوج حافظ بعد عودته من السودان ببضع سنين من إحدى قريات زوج خاله . ولكن لم تطق طبيعة حافظ المنطلقة قيود الزوجية ، وانتهى الأمر بالفرقة بين الزوجين ولما تنقض على الزواج بضعة أشهر ولم يعد حافظ بعد هذه التجربة إلى الزواج أو التفكير فيه .

وكان حافظ باراً بأهله ، يزورهم دائماً في بيوتهم ، ويدعوهم دائماً إلى زيارته في داره ، ويساعدهم بكل ما في طوقه . كفل طفلة يتيمة اسمها جلييلة ، رباه في داره حتى كبرت فزوجها وأث لها بيتها وظل يوالها برعايته حتى لقي ربه . كما ربى طفلة أخرى هي إحدى قريات زوج خاله ، اسمها رفيعة حتى كبرت ولحقت بأهلها قبيل وفاته .

وهو لم ينس رعاية السيدة أمينة هانم زوج خاله المرحوم المهندس محمد نيازي له أثناء إقامته معهما في مصر وطنطا على ما أسلفنا . فعندما مات خاله ولم تكن لزوجته أمينة هانم من يكفلها ضمها حافظ إليه معززة مكرمة وأصبحت سيدة داره والقيمة عليه . ولما توفيت قبل وفاة حافظ بحوالى ثلاث سنوات قام على خدمته خادمه حسن الذى أخلص له كل الإخلاص فعينه حافظ وزيرا لماليتيه المضطربة ، يعطيه مرتبه كله لينفق على البيت ، ويسحب منه ما يحتاج إليه من مال ، فلم يكن حافظ يطمئن إلى نفسه وإلى سلامة تديره الذى كثيرا ما أوقعه في أزمات .

*
* *

المبحث الثالث : في طبيعة الشاعر كإنسان وما يتميز به من خصائص :

مقدمة الطبعة الثانية

علمنا مما سبق أن شاعرنا رجل من عامة الشعب ، نشأ وربى في أحيائه الوطنية بين أترابه المصريين البسطاء . كما علمنا ما اكتنف حياته منذ نشأته وفي أدوار طفولته وشبابه من مآسٍ بفقد أقرب الناس إليه بالوفاة ثم بانتقاله من بيت أبيه بعد وفاته إلى بيت جده بالمغربلين إلى بيت خاله بحى الخليفة بمصر وطنطا وقيام خاله برعايته والإيفاق عليه حيث لم يورثه أبوه مالا ، ولا شك فيما تركه ذلك كله في نفسه من جروح غائرة ، فكان بادى الحزن والتجهم ما انفرد بنفسه ، أما إذا خرج للناس فعكس ذلك تماما ، لا تشاهد منه إلا المرح ، والفكاهة الحلوة ، والنادرة المستمعة . وقصارى القول إنه حيث كان يوجد حافظ يوجد السرور وتعلو الضحكات والفقهة التى تنبعث عالية حتى من أشد الرجال تزمنا ووقارا .

ما السر في هذا . . هل ما يقال من أن شر البلية ما يضحك ؟ وأن الشيء إذا زاد على الحد انقلب إلى الضد ؟ كما تدمع عيوننا من شدة الضحك ؟ أو تجدد العيون عن الدمع عند اشتداد البلوى ؟

ومع ذلك فلا نكاد نرى لفكاهة الشاعر أثرا يذكر في شعره ، وإنما هو جاد كل الجد فيه ، رزين فيه كل الرزانة ، بل كثيرا ما تلبس في شعره من القوة والعنف والحزن الدفين والألم الممض ما لا يتصور فى قائلها أن يكون مرحا فكها بساما فى حياته الإجتماعية .

والذى اعتقده أن شعر الشاعر كشاف لخبئة نفسه ، ما صدق مع نفسه وصدق فى شعره ، أما الحياة أمام الناس وما يرتديها لها من ألبسة وأقنعة ، فكلمها مظاهر خارجية قد تفتضيها الظروف وترغم بها .

مقدمة الطبعة الثانية

فطبيعة شاعرنا إذن هي الطبيعة الجادة التي نطقت بها شاعريته المنبعثة من قرار مكين في نفسه . أما المرح والدعابة والفكاهة التي اشتهر بها بين الناس ، فقد تكون من باب إنسانية الشاعر ، فما ذنب الناس ليحملهم همومه ومتاعبه ، وما شأنهم فيما لاحقه به الدهر من مآس ونكبات ، ألا يكفي الناس ما يحملونه منها ؟ أما بكفهم ذل الأسر والإحتلال ونكبة الوطن ليزيد همهم فوق همومهم .

إن المذكورين المهمومين أحق الناس بالتسرية عنهم ، فلماذا لا يكون هاملا على ذلك وقد أحب وطنه ومواطنيه الحب كله ، ذلك الحب الذي ملا عليه فؤاده ومشاعره ولم يجعل فيها مكانا لحب آخر .

وخلق الإنسان هو نتاج طبيعته الخاصة والمظهر الذي يبدو فيه للناس ، فإذا نحن تكلمنا عن خلق إنسان فلنألف في الواقع تتكلم عن طبيعته كما يكشف عنها خلقه .

وتأسيسا على هذا يمكن تلخيص طبيعة حافظ في أنها طبيعة حزينة ، يلفها أمام الناس برداء كثيف من المرح والفكاهة لعل السبب فيها ما ذكرنا من الإشتغال على الناس ، ولعلها الكبرياء الطبيعية فيه ، فقد يرى في الحزن ضعفا لا يليق بالرجال ، ولعله أخيرا التنفيس الطبيعي عن النفس ، شأنه في ذلك شأن المصريين جميعا ، حيث يقابلون كل مأساة أو نكبة بالنكتة اللاذعة والسخرية القارعة .

ومن المظاهر الواضحة في طبيعة حافظ أيضا أنها طبيعة قلقة لا تستقر على حال ، كما أنها طبيعة جادة في تناوله الشعر وتخير الأبواب الجادة منه ، في بساطة نفس أدت إلى بساطة في الأسلوب وبساطة في العرض وبساطة في التناول ، بغير عمق ولا تعسير ، كل ذلك في رصانة وقوة أداء وقوة في الإقناع . يعرف مواطن الحساسية في النفس فيضرب عليها حتى يشد إليه الأسماع والإنثدة والمشاعر جميعها .

مقدمة الطبعة الثانية

بقيت مسألة أخيرة تتعلق بطبيعة الشاعر وما يتميز به من خصائص ،
أود أن أتعرض لها ، استكالا لهذا المبحث من المقدمة ، وردا على أسئلة كثيرة
راودت نفوس الباحثين وأفكارهم في شعره ، ويمكن إيجازها أو تضمينها السؤالين
التاليين :

السؤال الأول — ما هذه البساطة اللغوية الواضحة في شعر حافظ ، إذا
ما قورنت بشعر زميله ومعاصره أحمد شوقي ؟ صحيح
أن شعر حافظ من نوع السهل الممتنع ، وهذا إعجاز
في حد ذاته ، ولكن هل لهذا سبب يرجع إلى حصيلة
لغوية ضيقة أو محدودة ؟

السؤال الثاني — كيف يكون هذا الشاعر الضخم بلا مكتبة خاصة
يرجع إلى كتبها عند الحاجة ؟ بل كيف تنتهى حياته
وبينه خالٍ من قصائده حتى يرجع إلى الصحف
والمجلات العديدة في جمعها ؟

وللاجابة عن هذين السؤالين وغيرهما من الأسئلة العديدة أقول :
إن حافظا كان عالما من علماء اللغة العربية ، درسها في الكتاب وفي المدارس
الأميرية ، ثم درسها دراسة أزهرية مستفيضة في الجامع الأحمدي بطنطا ، وبما
كان يقرأه ويستوعبه من أمهات الكتب العربية ، وعلى رأسها وفي مقدمتها
القرآن الكريم الذي أصبح من قديم المراجع النُبت الوحيد للغة العربية .

لا محل للشك مطلقا في علو كعب حافظ في اللغة وتعمقه فيها ، ثم لم يوجد
كتاب في اللغة أو في الأدب ، ولا ديوان للشعر ، لم يطلع عليه حافظ أو لم
يدرسه دراسة واعية مستفيضة . بهذه الحصيلة الوفيرة الغنية ، لم يكن متمكنا

مقدمة الطبعة الثانية

من اللغة فحسب ، بل كان مرجعا موثوقا به فيها ، يرجع إليه كثير من الكتاب والأدباء والشعراء فيما قد يتشككون في صحته ..

وكان لحافظ من اسمه أوفى نصيب .. كان قوى الحافظة بغير حدود .. لا يقرأ كتابا حتى يستطيع أن يعيد ما قرأه بالفاظه وأرقام صحائفه مهما طال به الزمن على قراءته ..

والأعجب من هذا ، أنه لم يكن يستعين بورقة وقلم في نظم قصائده ، بل كان ينظم القصيدة من مطلعها إلى نهايتها في ذهنه .. ينظمها ويهذبها ويرتب أبياتها ، ويقدم فيها ويؤخر ، كل ذلك يتم في ذهنه ، ثم يقبل على الحفل ، ويلقى قصيدته من الذاكرة ، وكان رجال الصحافة يُعدُّون أنفسهم له لسرعة التدوين حتى لا يفوتهم شيء منها .

فليس بصحيح إذن ، الظن بأن حصيلة حافظ اللغوية حصيلة ضحلة أو معدودة ، ولكن الصحيح أن حافظا اختط لنفسه أن يكون شاعر الشعب ، فكان عليه إذن وهو يخاطب الشعب أن يتخير من الألفاظ والعبارات والأساليب ما يسهل فهمه على الكافة ، وإلا انعزل عن الشعب لاختلاف لغة التفاهم بينه وبينهم .. ولا شك في صعوبة مخاطبة الشعب بالعربية الفصحى ، والشعر أيضا ، وبالأسلوب وبالمعاني المؤثرة النافذة إلى صميم النفوس والوجدان ، وتلك قدرة وعبقرية انفرد بها حافظ ولا جدال ..

وقد بلغ من حرص حافظ الشديد على البساطة اللغوية مع الجزالة والمتانة الشعرية ، أنه تخير رجلا من طامة الشعب ، اعتبره المستوى العام لفهم « ابن البلد » المصرى ، وكان اسمه على محمود حسن الكرماتى ، فكان يعرض عليه أولا كل قصيدة يضعها ، بيتا بيتا ، فإذا وجد منه فهما للبيت أجازها ، وإلا غير وبدل ،

مقدمة الطبعة الثانية

بل وحذف أحيانا ، حتى يطمئن إلى أن كل الشعب المصرى بمستوياته الثقافية المختلفة سيفهم وسيعى كل بيت فى القصيدة ، فإذا فهم الشعب المصرى فهمت بعده كل الشعوب العربية فى مختلف أرجائها . .

وكانت حافظة حافظ النادرة قد أغتته عن الرجوع إلى كتب اللغة وآدابها ، ثم كان فى عمله بدار الكتب المصرية كل الغنى عن الحاجة إليها أيضا ، وقليل ما كان يرجع إلى بعض الكتب ويطلب صفحات معينة فيها للاستيثاق بما فى ذاكرته منها ، وأشهد ، ويشهد معاصروه وقد أصبحوا أقل من القليل ، أن ذاكرته لم تخنه فى يوم من الأيام ، لا فى الموضوع الذى أرادته ، ولا فى صفحة نشره .

ولقد كانت حافظته السبب فى عدم اهتمامه بتدوين قصائده والاحتفاظ بها فى بيته ، فقد كان يستطيع أن يعيد على المسامع قصيدة قالها من عشرات السنين ويذكر مناسبتها ويوم القائها بل ومن حضروها من الشخصيات البارزة وقتها . . فلما فاجأه الموت ، وقع المحذور ، وفقدنا بفقدته كثيرا وكثيرا جدا من تراثه الغالى الثمين . .

أعتقد أن ما رددت به من ذلك على أسئلة السائلين قد أفنصهم ، وسد ثغرة كانوا يجدونها فى بحوثهم عن حافظ ، وقفوا إزاءها حائرين طويلا .

المبحث الرابع — فى شعر حافظ

الشعر فى حقيقته روح وإحساس وماطفة. وقد جاء لفظ الشعر من الشعور . ويجب أن تكون الروح فى الشاعر صادقة مرهفة والإحساس لديه عميقا نافذا والعاطفة قوية جياشة حتى يمكن أن يطلع بشعره على الناس فكرا صائبا وعرضا

مقدمة الطبعة الثانية

حيلا لما يهيمهم وينفعهم . وليس لدى الناس كلهم الشعور الصادق المرفف ، ولا الإحساس العميق النافذ ، كما أنه ليس لدى كل الناس تلك النظرة الفاحصة المدققة اللافتة لما يقع تحت بصرها من مراثيات ومشاهد ، يستبطنها ويستنبط منها ، ولكن هي ميزة لا تتوافر إلا في الأديب والشاعر . ثم إن الشعراء والأدباء يتفاوتون في ذلك أيما تفاوت ، ومن هنا يجرى شعراء المرتبة الأولى ثم الثانية ثم الثالثة والرابعة وهكذا تبعا لما منحه الله للشاعر أو الأديب من وفرة في الشعور والإحساس والعاطفة . ثم تأتي بعد ذلك القدرة على التعبير عن الشعور والأحاسيس ، وفي ذلك يتفاوت الشعراء والأدباء أيضا . وإذا كان صدق الشعور ورهافته ، وعمق الإحساس ونفاذه في النفس ، هبتين من هبات الله للأديب أو الشاعر ، فكذلك القدرة على التعبير هي أيضا هبة من أجل الهبات ، ولكن بقدر ، إذ على الإنسان أن يقوى من هذه القدرة وينميها كلكمة من أهم المملكات ، بالاطلاع والدرس واستيعاب جلائل ما أبدعته قرائع القدامى ، ليكون نفسه كأديب لا غنى له عن ذخيرة وفيرة تساعد وتثري شعره بما تعطيه له من نماذج وتعبيرات وطرق في تناول الموضوعات التي يطرقها . فالشاعر كالنحلة ، تسقط على ما يهرها أو يجذبها من روائح الزهور ، فتمتص من رحيقها ما تمتص ، ثم تخرج ما امتصته بعد ذلك غذاء آخر شهيئا نافعا للناس ، وكلما حسنت تغذية النحل . واختير لها من أنواع الزهور ، كان نتاجها . فمن النحل ما يعطيك عسلا برائحة الزهور ، أو برائحة البرتقال أو بلا رائحة ، ولا يتأتى لها هذا بطبيعة الحال إلا بالنوع الذي استمدت منه رحيقه ، ومع ذلك فليس كل ما يعطيه النحل عسل ، فمن النحل ما لا يعصبيك منه إلا لسعانه ، وكذلك الشاعر .

مقدمة الطبعة الثانية

اذن فالعناصر التي تكون الشاعر ثلاثة ...

العنصر الأول : هو الموهبة التي لا غنى عنها ولا محيص ، وتلك من هبات

الله جل شأنه ، يمتنحها من يشاء من عباده ولا دخل للإنسان فيها .

وهنا نجد الفارق واضحاً وكبيراً بين الشاعر والناظم . فالناظم فاقد الموهبة وإن تعلم أوزان الشعر وبحوره ، فيضع نظمه بلا روح شعرية فيكون شعره أشبه بالزهور الصناعية ، لا روح فيها ولا شذى ولا تأثيراً جالياً لها تتفعل به النفس .

العنصر الثاني : هو القدرة على التعبير عما يحس به الشاعر ويحرك

مشاعره . وعلى كل ذي موهبة شعرية أن ينمي من هذه القدرة بالقراءة والاطلاع والعلم بالأساليب وأصول اللغة وعلوم البلاغة وقواعد الشعر ، فهي أركان التعبير وأدواته ، وهي الجزء الذي يجب على الشاعر أن يستكمل في نفسه بنفسه . وبمعنى آخر هي الجزء العلمي المكتسب في أمر أساسه الموهبة .

والعنصر الثالث : والأخير هو ثقافة الشاعر ، فبقدر ما يتقن الشاعر

نفسه بثقافات عصره المتنوعة ينجى شعره بقدرها ، بل عليه أن يزيد من حصيلته الثقافية حتى يسبق عصره أو يواكبه على الأقل بفكره فيما يقول . وكلما زادت ثقافة الشاعر زادت قيمة شعره وعلت مرتبته .

وفي شاعرنا حافظ نجد أن العنصرين الأول والثاني قد توافرا فيه إلى حد بعيد ، فالموهبة الشعرية قد وضحت فيه كل الوضوح ، بل هي التي قادته في مستقبل صباه إلى أن يتفرغ لها ، أما قدرته على التعبير فقد كان خيراً بارعاً متمكناً منه ، يساس في الصياغة ، ويحسن اختيار الكلمات ، ويضع اللفظ موضعه تماماً .

مقدمة الطبعة الثانية

بل إنه تفوق في ذلك تفوقاً واضحاً في صياغته للشعر ، ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا أنه أول من صاغ الشعر صياغة خطابية تتفق وطبيعة موضوعات شعره وتزيده جلالاً وتأثيراً وانتشاراً . أما عن العنصر الثالث وهو ثقافة الشاعر ، فقد تناولها المرحوم الأستاذ أحمد أمين بقوله :

« ولكنه أكل ثقافته ، ووسع معارفه من نواح متعددة ، فقد أكثر من قراءة كتب الأدب وأطال النظر خاصة في كتاب الأغاني ، فقد حدث أن قرأه مرات ، وتحدث هو عن نفسه أنه كان يطيل النظر في دواوين الشعراء ويتغير من أمثال شعر بشار بن برد ، ومسلم بن الوليد وأبي نواس ، وأبي تمام ، والبحتري ، والشريف الرضي ، وابن هانيء الأندلسي ، وابن المعتز ، والعباس ابن الأحنف ، وأبي العلاء المعري ، يدل على ذلك ما كان يحفظ من متنخل الأدب وعيون الشعر . فإذا جلست إليه أخذ يسمعك من محفوظه ما يبهرك ، حتى لقد خيل إلى أنه لو دون ما يحفظه لفاق أبا تمام في اختياره « ديوان الحماسة » إذ كان حافظ يتخير بذوق العصر ، وروح العصر — وكان له حافظه قوية تسعف ذوقه وتلبي اختياره . فما يختار جيداً من القول حتى يرتسم في حافظته ، ويبقى في ذاكرته ، ثم يتجلى ذلك في شعره — لكنه — مع ذلك لم يعكف على دراسة منظمة ، ولم يقرأ قراءة مستفيضة في عمق ولم يرسم له خطة يلتزمها في الدراسة ، بل كان كالنحلة تنتقل من زهرة إلى زهرة ، وترتشف من هذه رشفة ومن تلك رشفة ، فهو يرضى ذوقه في أوقات فراغه بالمطالعة المتنقلة ، فإذا عثر على أسلوب رشيق أو معنى دقيق اختزنه في نفسه .

وقد حاقه عن المطالعة الراتبة المنظمة ، أنه كان ملول الطبع ، كما يدل عليه تاريخ حياته ، عمل في المحاماة فلم تعجبه ، واشتغل في « البوليس » فلمه ، وفي الجيش فسئمه ، ولولا أنه كان حراً طليقاً — إلى حد كبير — في دار الكتب لملمها

مقدمة الطبعة الثانية

أيضا ، ثم كانت هذه الفوضى في قراءته يتبعها إهمال في حياته الأدبية ، فلما يكتب قصيدته ولما يحافظ على شعره ، بل لا نبالغ إذا قلنا إنه قلما كان يعنى أن يكون في بيته دواة وقلم ، أو مكتبة منظمة ، كان لديه كتب تبثر ، فيأتى زائر ويأخذ جزءا من الأغاني ، وجزءا من غيره ، حتى أنه لما مات — رحمه الله — لم يكن في بيته من الكتب غير جزء من « تذكرة داود » وجزءا من تفسير الأحلام لابن سيرين ، فأما الأول فلأنه كان في سنيه الأخيرة دائم الشكوى من المرض ، كثير توهم العلل ، فكان كلما سمع بوصف مرض تخيل أنه مصاب به ، ولعله اقتنى « تذكرة داود » ليرجع إليها فيما يتخيل من ادواء ، وأما « تفسير الأحلام » فلأنه كان يعتقد في الرؤى وأثرها في حياة الإنسان ، وكان يرجع إليه في التناذر على بعض الأصدقاء ، فقد حدثنا أنه كان في ضيافة المرحوم سعد زغلول باشا ، في مسجد وصيف ، وكان حافظ وصحبه يتناذرون على صديق من الأضياف ، كان يعتقد في الأحلام وصحتها ، ويتفاهل بها في آماله في منصب كبير ، أو مطلب خطير .

وشئ آخر يعد مصدرا كبيرا من مصادر ثقافته ، وهو كثرة غشيانته لمجالس العلماء وقادة الرأي في الأمة ، فقد اتصل بالاستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، وعد نفسه فناه ، وكان يحضر بعض دروسه التي يلقيها على نخبة من الفضلاء في منزله بعين شمس ، ويجلس في مجالسه ، ويصحبه في أسفاره ، ثم يغشى مجالس أمثال سعد زغلول ، وقاسم أمين ، ومصطفى كامل ، ونحوهم وكانت مجالسهم مدارس من أرقى المدارس ، تطرح فيها المسائل العلمية ، والمعضلات السياسية ، والمشكلات الاجتماعية ، وتعرض فيها الحلول المختلفة ، وتبسط فيها أدواء الأمم ، وكيف عولجت وما إلى ذلك — وحسبك بمدارس كان المعلم فيها أمثال محمد

مقدمة الطبعة الثانية

عبده ، وسعد ، ومصطفى كامل . ولعل هذا كان أكبر منبع استقى منه حافظ أفكاره التي صاغها في شعره .

ثم كان له مجلس من الأدباء في المقاهى والمتدييات أمثال : خليل مطران والبشرى ، وامام العبد ، وكانت مجالس تجتمع فيها الفكاهة الحلوة ، والنادرة الطريفة ، ويستعرض فيها الأدب وطرائفه ، فكان كل منهم مفيدا عارضا سامعا .

وقد كان حافظ يلم بالفرنسية ، فكنته من الاطلاع على شيء من آدابها ، وقد ترجم البؤساء لفكتور هوجو ، وترجم بعض قطع بلخان جاك روسو ، واشترك مع الأستاذ خليل مطران في ترجمة كتاب « موجز الاقتصاد » وكان يقرأ بعض ما يترجم من الأدب الانجليزى ، كما ترى أثر ذلك في ترجمته لبعض قطع شكسبير ، ولكنه على كل حال ، لم ينل حظا وافرا من الأدب الغربى ، ولم يكن أثر ذلك كبيرا في شعره ، انما شعره — على الأكثر — نتاج الأدب العربى ، والثقافة العربية والتجارب الشخصية .

وأخيرا — وإن شئت أولا — كان من مصدر ثقافته ، تجاربه الواسعة ، فقد أتاح له يؤسه الامتراج بفار الناس ومجالستهم ومشاركتهم في الخير والشر ، ومطارحتهم النكات والنوادر كما مكن له ظرفه وأدبه أن يتصل بسادة الناس وقادتهم يسمع لحديثهم ، ويسمعون لأدبه وأن يتصل برجال النهضة الوطنية فيأخذ عنهم ، ويلتهب حماسة من حماسهم ، ويمتلى وطنية من وطنيتهم .

أما وقد اكتملت العناصر المكونة للشاعر في شاعرنا فما هى الطبيعة التي تميز حافظا وشعره عن غيره من الشعراء ؟ . وما هى أبواب الشعر وفنونه التي

مقدمة الطبعة الثانية

طرقها وبرز فيها ؟ فليس من المفروض ولا من المعقول أن يبرز الشاعر ، أى شاعر ، فى كل نواحي الشعر وأغراضه ، فحسبه أن يجيد فى باب أو باين من أبواب الشعر اجادة تامة أو اجادة ملحوظة . والعبرة بالإجادة لا بالكمثرة ولا بالتنوع . والعبرة ايضا بأن يعطى الشاعر ما تريده منه أمتة وما يحتاج اليه شعبه وعصره . ولعل ذلك ما يفسر لنا تعريف البلاغة بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، كما يفسر لنا الحكمة العربية بأن لكل مقام مقالا .

فاذا كان ذلك كذلك ، فقد كان حافظ شاعر عصره ، وشاعر أمتة وشاعر عربيته وشاعر شرقيته بل شاعر عالمه الاسلامى فى ذلك الحين .

حدث أن كنت أتناول الغداء على مائدة المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل باشا ، وهو على ما نعلم كان أديب مصر والمؤرخ الكبير لقادة الإسلام ، والوطني الوفي ، والسياسي العملاق البعيد النظر في الأمور ، وكان يحلوه على مائدة الغداء أن يتحدث في بعض المسائل الأدبية أو الفقهية أو السياسية ، فسألني عن رأيي في حافظ بعد أن فرغت من حديثي عن بعض معجزات شوقي الشعرية . ولما كنت أعلم أنه كان صديقا لكلا الشاعرين ومعجبا بكل الإعجاب بكليهما ، ولما كنت أعلم أنه هو الذي وضع مقدمة ديوان شوقي ، وأنه يعلم قرابتي لحافظ ، فقد صغت ردى على سؤاله صياغة ابتسم لها ، حيث قلت إن من دلائل عظمة حافظ ومكانته الشعرية أنه استطاع أن يوجد له مكانا واسما الى جوار شوقي . وعجبت أيما عجب من تعقيبه على تلك الكلمة بقوله : ولم لا تقول إن من دلائل عظمة شوقي أنه استطاع أن يوجد له مكانا واسما الى جوار حافظ ، فقد كان الوقت وقت حافظ ، والعصر عصر حافظ ، والمجال مجال حافظ !!! وسكت الأديب العالم الحصيف عند هذا . . فاذا رجعنا الى ما سبق أن ذكرته عن ال

مقدمة الطبعة الثانية

البلاذ فى هذه المقدمة ، أيقنا بأن البلاذ وهى فى بالغ عسرتها الوطنية ، كانت أحوج ما تكون الى الشاعر الوطنى والى الشعر الوطنى ولا غير ، فالوصف والغزل والمديح وما أشبه لم تكن البلاذ فى حاجة اليها ولا حاجة لشبابها ورجالها الى سماعها والالتفات اليها ، وفى مثل تلك الأبواب تحفل دواوين كبار شعراء العربية مما لا مزيد بعده لمستريد .

إن البلاذ والشعب المكاف فى عسرتة ، كانا أحوج ما يكونان الى الشاعر الذى يلهم حماسهم ويجمع صفوفهم ويصبرهم بأحوالهم ، ويذكرهم بأجسادهم ، ويضرب الأمثال لهم ، ويعالج أدواءهم ويحيى دارس الآمال فيهم ، أما ما حدا ذلك فلا حاجة للبلاذ والناس اليه ، فهى رفاة وخيال ونعم ينكرها الشعب ، ويأبأها القادة المصلحون لشعب عليه أن يكافح ويستमित فى كفاحه فى سبيل الحرية والاستقلال .

وكما قال أستاذنا الجليل المرحوم الأستاذ أحمد أمين فى مقدمته : إن ميزة حافظ الكبرى أنه تبلورت فى شعره آمال أمته أولا ، وآمال الشعب العربى ثانيا . كانت الامة تشكو من فوضى الأخلاق ، وتشكو من الاحتلال ، وتشكو من تضيق الغرب على الشرق ، وكان الخطباء يحاولون إيقاظه ، وكان حافظ بما له من حس مرهف ، وعاطفة حساسة يجمع كل ذلك فى نفسه ، فلما ثار على الشعر القديم وحطمه ، بنى على أنقاضه شعره الحديد فى الوطنيات والاجتماعيات والسياسيات ، وكان فى شعره يقف موقف الصحافة الوطنية ، والخطباء الوطنيين وقادة الراى الاجتماعيين ، يغشى مجالس كل هؤلاء ، ويتشرب من أرواحهم ، ويستمد من وحيهم ، ويغذى عواطفه من عواطفهم ، ثم يخرج ذلك كله شعرا

مقدمة الطبعة الثانية

قويا ملتبها، يفعل في النفوس — وذلك شأن الشعر الحى — ما لا تفعله الخطب والمقالات ، فكان حافظ — حقا — شاعر الوطنية ، وشاعر الشعب ، وشاعر السياسة والاجتماع ، ولم يجاره أحد في ذلك من شعراء عصره .

وقف حافظ في ذلك مواقف مختلفة، فتارة يقرع الامة تقريرا جارحا مؤلما على استنامتها وإخلادها الى السكون واستسلامها للأجانب، وتارة تبدأ الأمة بحركة وتقف موقفا مشرفا فيحيى أمله ، ويلبش بعد أن كان ينذر ، ويعاوده الأمل بعد اليأس ، والرجاء بعد الخيبة . . وهكذا يضطرب في شعره بين التفاؤل والتشاؤم ، اضطراب الأمة بين اليقظة النوم، والعمل والتواكل والاصابة والخطأ فهو صدى لها في حركاتها ، وهو المدرس الحكيم الذى يأخذ موضوع درسه من حوادث يومه .

نعم إنه بعد ثورته على الشعر القديم ، نظم في موضوعاته ، ولكنه حتى في هذه لا ينسى مقامه ، ولا يجهل رسالته ، ولا يفوته غرضه ، فهو ينتهز فرصة تحية العام الجديد ، وتحية المليك وثناء الفقيد ، وتبأى العيد ، ليبت في ذلك كله عاطفته الوطنية ، ونظراته الأخلاقية ، ويلبش وينذر ، ويرغب ويرهب ، فهو مجتهد من هذه الناحية ، في موضوعاته الجديدة وموضوعاته القديمة ، حتى في وصفه لا يريد أن يخليه من غرضه الذى ملك عليه قلبه ، ولا يحاول أن يجعله أدبا صرفا فهو يشبه طول الليل بمهد الاحتلال الى كثير من أمثال ذلك. ويتغزل في هذا الطور من الحياة ، ولكن لا في جارية ولا في غلام، ويتغنى ولكن لا في كأس أو مدام ، إنما يتغزل في مصر ، ويتغنى بمصر ، ويأرق في حب مصر .

لم يشأ حافظ أن يكون شعره في وطنياته طبلا أجوف ، يقول قولاً عاماً لا يستند إلى مادة من حقائق ، وإنما اتخذ ما يحدث من أحداث اجتماعية

مقدمة الطبعة الثانية

في عصره أساسا لدعوته ، وسنادا لهجمته . فقد كان يتربص كل حادث هام يعرض ، فيخلق منه موضوعا لشعره ، ويملؤه بما يجيش في صدره . . كان في شعره سجل الأحداث ، إنما يسجلها بدماء قلبه ، وأجزاء روحه ، ويصوغ منها أدبا قيما يستحث الهمم ويدفع الى النهضة ، سواء أضحك في شعره أم بكى ، أقل أم يأس . ويتسع أفقه في كثير من الأحيان ، فينظر الى الوحدة العربية ، والوحدة الإسلامية ، فكلم قال في علاقة الشاميين والمصريين ، وفي الدعوة الى الإخاء والقضاء على من يبذر بذور البغضاء ، وكلم قال في علاقة مصر بالآستانة ، وتبنى نهضة الخلافة ورفع لوائها وعودة مكائتها ، وكلم شعر في وحدة الشرق وتعاونها وتبادل المنافع بين أجزائه ، فكان شعره مقربا للقلوب داعيا الى ائتلاف الشعوب ، ينتهز لذلك كل فرصة ، بل أحيانا يزيد اتساع أفقه فينظر الى الانسانية كلها .

وقد أجاد حافظ كل الإجابة في الرثاء واحسن كل الإحسان ، وسبب ذلك أنه استطاع في كثير من الأحيان أن ينقل الرثاء من حادثة فردية الى مأساة اجتماعية فوَت الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده نكبة على مصر وعلى العالم الإسلامي ، وموت مصطفى كامل كارثة على مصر وعلى الوطنية الحقة ، فهو يتسلل في حذق ومهارة بعد تصوير الفقيـد في صورة كاملة الى المسائل العامة الاجتماعية ، وبذلك يجلس حافظ على عرشه ، ويقول في سهولة وحزالة ما برع فيه وفاق أقرانه .



ولقد غاب البعض على حافظ أنه لا يعتبر شاعرا من شعراء الطبيعة ، كأن الطبيعة هي كل شيء في الحياة ، أو كأن من لا يصف الطبيعة ليس شاعرا أو شاعرا محدود الشعيرية ، وينسى أو يتناسى القائلون بهذا أن الإنسان هو أول وأكبر مظهر للطبيعة في الوجود وهو أعقد مشكلاتها .

مقدمة الطبعة الثانية

ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا إننا لا نجد شاعرا أحسن في وصف الإنسان وحالاته وخلجات نفسه ما أحسن حافظ . وإذا كان الإنسان مخلوقا معقدا بطبعه وطبيعته ، فإنه لا يتعرض لوصفه ووصف حالاته إلا ذو القدرة المكين .

ثم إن كل إنسان ، أديب أو شاعر ، يستطيع أن يتعرض للطبيعة بالوصف ، ولكن ليس أحد من هؤلاء بمستطيع أن يتناول الإنسان بالوصف والتحليل وإبراز المشاهد الإنسانية متناول حافظ لها ، ولنرجع إلى قصائده في الانقلاب العثماني وفي حادث دنشواي ، وفي رحلته إلى إيطاليا ، وفي زلزال مسينا وفي غيرها من قصائده كثيرة ، تأكيد لما نقول .

والشاعر بحق ، هو من ينقل أحاسيسه الصادقة بالطبيعة والحياة ، وشعوره بها ، إلى نفس ووجدان ومشاعر قارئه ، ويترجمها له ترجمة دقيقة واضحة المعالم أخاذة نفاذة . وهكذا كان حافظ وصافا للريثيات والمحسوسات ، بعيدا عن مجرد الخيال المحض ، بما يعجز عنه أي معبر مهما بلغ من عمق ودقة وبلوغ قصد .

والطبيعة أيضا من الريثيات والمحسوسات ، ولقد تناولها حافظ فيما تناول ، ولكنه لم يتناولها إلا عبورا وبمناسبة تلفت إليها ، فلم تكن في غالبية شعره مقصدا من مقاصده ، ولا هدفا من أهدافه .

والعبرة فيما يكتبه الشاعر ، سواء كان وصفا أو غيره ، أنه حيث يتناول موضوعا من الموضوعات أن يأتي فيه بجديد ، يتعمق في الفكرة مع حسن العرض وإكتماله . وكثيرا ما رأينا موضوعات نحسبها تافهة أو رخيصة ، فإذا تناولها الكاتب الكبير أو الشاعر الفحل ، تتغير فيها النظرة ، ونعجب كيف كنا نصفها بهذا الوصف . وعلى هذا يمكن أن نقول إن العبرة بالمتناول وقدرته ، لا بأهمية

مقدمة الطبعة الثانية

الموضوع أو تفاهته ، فالعظيم اذا تناول الحقيق من الأمور أضخى الحقيق بيده عظيما ، وكذلك الصغير اذا تناول أجل الامور أضخى الجليل بيده مستصغرا نافها .
 تحضرني في ذلك أبيات لشيخ المعرة ، في وليد توفي بعد ثلاثة أيام من مولده ، فلننظر في هذا الموضوع اليسير الذي لا غرابة فيه ، وكيف خرج من يد العظيم عظيما . قال أبو العلاء :

أعجبت بالطفل الصغير بمهده * لم يخط ، كيف سرى بغير رواحِل
 قد عاش يوميه وعمرَ ثالثا * ثم استراح من المدى المتماحل
 كم سار من سنة أبوه ، فياله * قطع المسافة في ثلاث مراحل
 رُفِعَتْ له بلجج البحار فعامها * ونجا ، وأصبح سالما بالساحل

وإذا كانت هذه المقدمة قد طالت ، ولم يعد فيها متسع للامثال من شعر حافظ على ما ذكرنا ، وهذا ديوانه كله بأيدينا ، إلا أنني لا أرى بأسا من إيراد وصفه لبعض المشاهد الإنسانية للدلالة على ما ذكرنا .

ففي زلزال مسينا الذي وقع في إيطاليا وقضى على المدينة ومن فيها من الأحياء يصف هذا المشهد

رب طفل قد ساخ في باطن الار * ض ينادى أمي أبي أدركاني
 وفتاة هيفاء تشوى على الجمر تعانى من جره ما تعانى
 وأب ذاهل الى النار يمشى * مستميئا ، تمتد منه اليدان
 باحثا عن بناته وبنيه * مسرع الخطو ، مستطير الجنان
 تأكل النار منه ، لا هو ناج * من لظاها ، ولا اللظى عنه وإن

مقدمة الطبعة الثانية

ثم هو يصل الى أعلى مراتب الإنسانية حين يدعو الى تبرع المصريين لغوث هؤلاء المنكوبين فيقول :

ذاك حق الإنسان عند بنى الانسـان^{*} لم أدعكم إلى إحسان
ويصف تنفيذ أحكام الأعدام والجلد في أهالى دنشواى ، وزهو المستشار
الإنجليزى فى ساحة الأعدام :

جلدوا ولو منيتهم لتعلقوا * بحبال من شققوا ولم يتيبوا
شققوا ولو منحوا الخيار لأهلوا * بلظى سياط الجالدين ورجبوا
يتحاسدون على الممات ، وكأسه * بين الشفاء ، وطعمه لا يعذب
موتان ، هذا عاجل متنمر * يرنو ، وهذا آجل يترقب
والمستشار مكائر برجاله * ومعاجز ومناجز ومحزب
يختال فى انحائها متبسما * والدمع حول ركابه يتصبب
ثم يختم القصيدة بيتين سارا مسرى المثل مع ما فيها من تقريع شديد للامة
على استكاثتها ، صاغها فى صورة نصيحة للتعتمد البريطانى وقتئذ :

وإذا سئلت عن الكنانة قل لهم * هى أمة تلهو ، وشعب يلعب
واستبق غفلتها ، ونم عنها تم * فالناس أمثال الحوادث قلب
ومن المشاهد الإنسانية الدقيقة ما وصف به المرحوم الأستاذ حفى ناصف
كأب مفعجوع فى ابنته التى فقدتها فى قصيدته فى رثائها :

أنا لم أذق فقد البنين ولا البنات على الكبر
لكننى لما رأيت فؤاده وقد انقطر
ورأيت أنه قد كاد يحرق زائريه اذا زفر

مقدمة الطبعة الثانية

ورأيتُه أتى خطأ * خطوا تجبل أو عثر
 أيقنت معنى الحز * ن حزن الوالدين، فما أمر
 ولعل أحدا من الشعراء والكتاب لم يبلغ ما بلغه حافظ في وصفه للرجل
 السياسى ، وهو ما جاء في رثائه للرحوم عبد الخالق ثروت باشا ، حيث قال :
 لله صر في بناية ثروت * سبحان باني هذه الأعصاب
 إنى سألت العارفين فلم أفز * منهم على عرفانه بجواب
 هو مستقيم مُتَوَّهٌ ، هو لينٌ * صلبٌ ، هو الواعى هو المتغابى
 هو حوَّلٌ هو قلبٌ ، هو واضحٌ * هو غامضٌ ، هو قاطعٌ هو نابى
 ما جاء من باب لصيد دهائه * إلا نجا بدهائه من باب
 والامثلة على ذلك كثيرة ، لو استطردنا فيها لما انتهينا .

ومن ميزات حافظ الكبرى أنه كان يحسن إلقاء الشعر ، فكان يلقى قصائده
 بنفسه ، ولا ينب عنه أحدا في إلقائها إلا ماندر لمذر قاهر يمنعه عن الحضور ، كان
 جهير الصوت ، قوى الاداء ، إذا اعتلى المنبر اهتز تحته ، كأنها البراكين تتفجر ، يعلو
 صوته كالرعد في وطنياته ، وجموع الشعب تصبى في إعجاب وانبهار وقد ملك عليها
 أفئدتها وأنفاسها وكل مشاعرها ، حتى إذا انتهى الى مقطع من مقاطع القصيد ،
 جاوبه الشعب بهدير وزججرة تعبر عن شعورهم وتقديرهم ومكنون ضمائرهم . وإذا رثى
 لا يتمالك السامعون أنفسهم من البكاء والنحيب شعورا بما عبر عنه من فداحة
 المصاب فيمن يرثيه . . وهكذا كان رحمه الله ... كانت قوته أيضا في إلقائه ، حتى
 كان يؤثر عن المرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد أنه قال : شعر حافظ لا يقرأ
 وإنما يسمع : ولو كانت في عهده أجهزة تسجيل ، لسجل شعره بدلا من طبعه .

مقدمة الطبعة الثانية

والآن ، ما هي مكانة حافظ بين شعراء عصره ؟ وما مكانته بين شعراء العربية .

عاصر حافظا شعراء كثيرون ، نذكر من كبارهم محمد عبد المطلب واحمد شوقي ومخليل مطران وولي الدين يكن واسماعيل باشا صبرى ، ومن قبلهم محمود سامى باشا البارودى . إلا أن أكبر شاعر من هؤلاء المعاصرين كان بلا شك أحمد شوقي بك الملقب بأمير الشعراء والذي عاصر حافظا وزامله فى الشعر طول حياته : حتى لقد لقيا الله فى سنة واحدة هى سنة ١٩٣٢ ، حيث توفى حافظ فى ٢١ من يولييه ، وقفاه شوقي فى ١٤ من أكتوبر من نفس السنة .

وقد انقسم الناس فى عهدهما فريقين : فريقا فضل حافظا وآثره عن سواه ، وفريقا فضل شوقي كمعجزة شعرية مع حبه لحافظ وأعجابه به ، وقليل من وقف موقفا وسطا . كانت هذه حال الناس ، لا فى مصر وحدها ، بل فى مشارق الارض العربية ومغاربها . . ولكل وجهة هو موليها . .

ولقد تناول عميد الأدب العربى المرحوم الأستاذ الدكتور طه حسين فى كتابه « حافظ وشوقي » فيما تناوله من دراسة الشاعرين ، اختلاف الناس فيهما ، وتعرض للسؤال التقليدى الذىثار بينهم حول من هو أشعر من صاحبه . ولعلنا فى هذه العجالة نحسن اذا نحن أتينا بختامة بحثه فى رده على هذا السؤال . . حيث يقول الدكتور العميد :

« وصل شوقي فى شيخوخته الى ما وصل اليه حافظ فى شبابه ، لأن شوقي سكت حين كان حافظ ينطق ، ونطق حين اضطر حافظ الى الصمت . بالسوء الحظ ، ليت حافظا لم يوظف قط ، وليت شوقي لم يكن شاعر الأمير قط . ولكن

مقدمة الطبعة الثانية

هل تنفع شيئا لبت ؟ لقد أسكت حافظ ثلث عمره ، وحين شوق « في القصر »
 ربع قرن ، وخسرت مصر والأدب بسعادة هذين الشاعرين العظيمين شيئا كثيرا .
 ... كلا الشاعرين قد رفع لمصر مجدا بعيدا في السماء ، وكلا الشاعرين قد
 غذى قلب الشرق العربي نصف قرن أو ما يقرب من نصف قرن بأحسن الغذاء .
 وكلا الشاعرين قد أحيا الشعر العربي ورد إليه نشاطه ونضرت ورواه . وكلا
 الشاعرين قد مهد أحسن تمهيد للنهضة الشعرية المقبلة التي لا بد من أن تقبل .
 هما أشعر أهل الشرق العربي منذ مات المتنبي وأبو العلاء ، هما ختام هذه الحياة
 الأدبية الطويلة الباهرة التي بدأت في نجد و انتهت في القاهرة وعاشت
 خمسة عشر قرنا والتي ستستحيل وتتطور وتستقبل لونا جديدا من ألوان الفن وضربا
 جديدا من ضروب المثل العليا في الشعر . هما أشعر العرب في عصرهما . . ولكن
 أيهما أشعر من صاحبه ؟

أفترى أن ليس من هذا الحكم بد ؟ أفترى أن تفضيل أحد الرجلين على
 صاحبه يغني أو يفيد ؟ نعم ، ليس من هذا الحكم بد ، لأنه تقرير الحق الواقع ،
 وفي هذا الحكم نفع عظيم لأنه وضع للأشياء في نصابها ، لأنه يبين للبثنيين في الشعر
 من الشباب أين يكون المثل الأعلى .

أما أنا فلا أستطيع أن أقول إن أحد الشاعرين خير من صاحبه على الإطلاق .
 ولكن شوق لم يبلغ ما بلغ حافظ من الرثاء ، ولم يحسن ما أحسن حافظ من تصوير
 نفس الشعب وآلامه وآماله ولم يتقن ما أتقن حافظ من إحساس الألم وتصوير
 هذا الإحساس وشكوى الزمان .

لم يبلغ شوق من هذا ما بلغ حافظ . وهو بعد هذا أخصب من حافظ طبيعة ،
 وأغنى منه مادة وأنفذ منه بصيرة ، وأسبق منه إلى المعاني ، وأبرع منه في تقليد

مقدمة الطبعة الثانية

الشعراء المتقدمين ، لأن حافظا كان يقلد الالفاظ والصور ، وكان شوقي يقلد
فيهما وفي المعاني أيضا ، ولشوقي فنون لم يحسنها حافظ وما كان يستطيع أن يحسنها .
شوقي شاعر الغناء خير مدافع ، وشوقي شاعر الوصف غير مدافع ، وشوقي
منشئ الشعر التمثيلي في اللغة العربية .

يلتقى الرجلان في كثير ، ويفترق الرجلان في كثير ، ولكنهما على كل حال
أعظم المحدثين حفظا في إقامة مجدنا الحديث » .

بهذا انتهى الدكتور طه في حكمه على كلا الشاعرين ، وليس بعد حكم الاستاذ
العميد حكم ، وخلاصته أن حافظا وشوقي كانا أشعر أهل الشرق العربي منذ مات
المتنبي وأبو العلاء ، وأنهما كانا ختام حياة أدبية طويلة باهرة بدأت في نجد
وانتهت في القاهرة ...

وأن ليس أحد الشاعرين خيرا من صاحبه ، فلكلا الشاعرين مجاله وميدانه .
وأن كليهما قمة من قمم الشعر في عصرنا الحديث .
وبهذا يكون رأينا في مكانه شاعرنا حافظ وتحقيق مرتبته بين شعراء عصره
وبين شعراء العربية جميعا .

أما وقد انتهينا الى ما انتهينا اليه ، فلم يعد أمامنا إلا أن تقدم الديوان بما
حواه من ذخائر وقيم ، ودروس وعظات ، وتجديد للشعر في موضوعاته ، قلبا
اجتمعت في ديوان من دواوين الشعراء قديما وحديثا .

والله نبال ، وهو نعم المسئول ، وخير مستعان ومأمول ، أن ينتفع به شباب
مصر والعرب أجمعين ، وأن يكون لهم ضياء يستضيئون به ، ومثلا طيبا يحتذونه ،
ودروسا في الجهاد الخالص لوجه الله والوطن ، وتاريخنا ولغة وأدبا يزيدهم ثقافة
وعلمها وبصرا بالحياة ،

محمد اسماعيل كافي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة ديوانه حافظ ابراهيم للاستاذ أحمد أمين

معلومات رسمية عنه مستقاة من ملف خدمته
المحفوظ الآن بإدارة المعاشات

(١) لم يعرف بالضبط تاريخ مولده . ولم يعرفه حافظ نفسه ، كما أقر بذلك .
وقد عُرض على القومسيون الطبي عند ما أريد تعيينه في دار الكتب ، فقدّر سنة
تسعا وثلاثين سنة . وكان الكشف الطبي عليه يوم ٤ فبراير سنة ١٩١١ ، برئاسة
الدكتور بتسى ؛ وهذا هو السبب الذي اعتمد عليه من قال : إنه ولد يوم ٤ فبراير
سنة ١٨٧٢ م وهو سبب واهٍ كما ترى .

(٢) كتب حافظ بخطه ما يأتي : ” ولدت في ذهبية (أى حرافة) بالنيل ،
بالقرب من قناطر (ديروط) بالصعيد “ .

(٣) كُتب الى (ديروط) للبحث في الدفاتر عن تاريخ ميلاد حافظ ، فأجابت
بأنها بحثت من سنة ١٨٧٠ الى سنة ١٨٨٠ فلم تعثر عليه في دفاترها .

(٤) كتب حافظ بخطه أن ” أباه اسمه إبراهيم فهمي ، واسم أمه الست هانم
كريمة أحمد البورصة لى بك “ .

(٥) الدبلومات والشهادات الحاصل عليها : ” عريضة ملازم أول “ .

مقدمة الطبعة الأولى

(٦) وظائفه :

في وزارة الحربية :
 من الى
 ملازم ثان ١٨٩١/ ٢/ ١٣ ١٨٩٣/ ٧/ ٣١
 ملازم أول ١٨٩٣/ ٨/ ١ ١٨٩٤/ ٥/ ٦

في وزارة الداخلية :

ملاحظ مركز بنى سويف ... ١٨٩٤/ ٥/ ٧ ١٨٩٥/ ٣/ ٢٣
 معاون بوليس مركز الإبراهيمية ١٨٩٥/ ٣/ ٢٤ ١٨٩٥/ ١٠/ ١٥

في وزارة الحربية ثانية :

أحيل على الاستيداع ١٨٩٥/ ١٠/ ١٦ ١٨٩٦/ ٣/ ١٧
 ملازم أول بإدارة التعيينات ... ١٨٩٦/ ٣/ ٨ ١٩٠٠/ ٥/ ٢
 أحيل على الاستيداع ١٩٠٠/ ٥/ ٣ ١٩٠٣/ ١٠/ ٣١
 أحيل على المعاش ١٩٠٣/ ١١/ ١

(٧) كانت إحواله على المعاش بناء على طلبه ، فقد كتب تظلمها قال فيه ”إنه مكث بخدمة الجيش ١٢ سنة ، ولم يحصل فيها على غير رتبة ملازم أول . ومضى عليه أربع سنوات وهو فى الاستيداع ، وأنه فقد الأقدمية ، ويلتمس إحواله على المعاش ليتمكن من وجود شغل له يقوم بنفقته وتنفقة عائلته الكبيرة التى لا يقوم مرتب الاستيداع بلوازمها “ . ”وبناء على ذلك تقرر إحواله على المعاش كالتماسه“ .

(٨) كان مرتبه فى الاستيداع ٤ جنيهات .

(٩) فى أثناء خدمته بإدارة التعيينات سافر الى السودان . وقد أمضى فيه

مدة ، منها :

مقدمة الطبعة الأولى

يوم	شهر	
١٥	٩	في سواكن .
٥	٢	» وطوكر .
—	١٠	قبلى حلفا .

(١٠) حينما أُحيل إلى المعاش كتب وكيل الحربية مانصه: "إن محمد حافظ إبراهيم الملازم أول المحال على المعاش سلم السيف والقايش (الذين كانوا في عهده)" .

(١١) عين رئيسا للقسم الأدبي بدار الكتب في ١٤/٣/١٩١١ تحت الاختبار، بمرتبة قدره ٣٠ جنيا . وفي ١/٤/١٩١٢ عين بصفة دائمة . وفي ٧/٢/١٩١٦ عين رئيسا للغيرين بدار الكتب أيضا .

(١٢) كتب وهو في سن الخامسة والخمسين يطلب إحالته على المعاش ، وأن يعطى خمسين جنيا شهريا . لأنه خدم اللغة والأدب مدة طويلة ، فلم يُحب إلى طلبه .

(١٣) ظل مرتبه في دار الكتب يزيد الى أن بلغ ثمانين جنيا .

(١٤) أُحيل الى المعاش من دار الكتب في ٤/٢/١٩٣٢

(١٥) مجموع مدة خدمته في الحكومة : ٣٥ سنة و ٤ أشهر و ٢٩ يوما .
وبيانها كالاتي :

يوم	شهر	سنة	
٨	٦	١٤	مدة خدمته في الحربية والداخلية .
٢١	١٠	٢٠	» بدار الكتب .

(١٦) ملف خدمته مملوء بطلب الإجازات الاعتيادية والمرضية . وفي سنة ١٩٢٣

طلب اجازة ثلاثة أشهر لقضائها خارج القطر ابتداء من ٣٠ غسطس .

مقدمة الطبعة الأولى

حياته — حوالى سنة ١٨٧٢ م . كانت سفينة (ذهبية) ترسو على شاطئ النيل أمام بلدة (ديروط) فى أعلى الصعيد، وكان يسكنها إبراهيم افندى فهمى أحد المهندسين المشرفين على قناطر ديروط وزوجته الست هانم .

ففى يوم منها أو قريب منها ، ولد لهذه الأسرة فى هذه السفينة مولود سموه "محمد حافظ" وهو شاعرنا فيما بعد، فكان ذلك إرهابا لطيفا، وإيماء طريفا، إذ شاء القدر ألا يولد "شاعر النيل" إلا على صفحة النيل .

كان أبوه "إبراهيم فهمى" مصريا صميا، وكانت أمه "هانم بنت أحمد البورصهلى" من أسرة تركية الأصل، تسكن "المغربلين" تعرف بأسرة الصروان، إذ كان والدها أمين الصرة فى الحج، فلقب بالصروان (القيم على الصرة) ولقبت الأسرة به .

ومع أن الدم التركى كان يجرى فى عروقه كالدم المصرى، لم يترنم بمدح الترك ترنمه بمدح مصر والعرب، ولم يُشيد بذكر الأتراك إشادة (شوقى) بهم، لأن ما كان فى (شوقى) دم تركى أرستقراطى، وما فى حافظ دم تركى ديمقراطى؛ ولأن تركية شوقى فنتها بيئة القصور التى ولد بها، وعاش فى أكافها، وتنفس فى جوها؛ وتركية حافظ غلبتها حياته البائسة، وعيشه فى أوساط الجماهير، واندماجه فى غمار الناس، يعيش عيشتهم، ويحيا حياتهم، فماتت عصبية التركية إلا نادرا؛ فكان شوقى إذا شعر فى الترك وحروبهم والخلافة وشؤونها شعرت أنه يتحدث عن قومه، يفخر بنصرهم، ويعتز بعزهم، ويراعى العلاقة القوية بين عابدين ويلدز، وبين الخديوى والخليفة؛ وإذا شعر حافظ فى ذلك لم ترعصية جنسية، إنما هى عصبية دينية ووطنية، فهو يفخر بنصرة الترك، لأنها نصرة للإسلام، ويخشى على الخلافة لأن فى ضعفها ضعفا لدينه، وفى النيل منها نيلا من وطنه .

مقدمة الطبعة الأولى



لم يعيش أبو حافظ طويلا بعد ولادته، ولم يرزق ولدا غيره ؛ وقد توفي إبراهيم في ديروط وحافظ في الرابعة من عمره، فانتقلت به والدته إلى القاهرة، وتزلت عند أخيها، فتولى أمره، وقام بتربيته .

أدخله خاله مدرسة "تسمى المدرسة الخيرية" كان مقرها (القلعة) ، وكانت مكتبا تُعَلَّم فيه القراءة والكتابة وشيء من العربية وشيء من الحساب .
ثم دخل مدرسة القريية وهي مدرسة ابتدائية يُعَلَّم فيها ما يُعَلَّم في المكتب على نمط أرقى .

ثم تحوّل إلى مدرسة المبتديان، ثم صار إلى المدرسة الخديوية ، ولكن لم يطل مقامه فيها ، فانتقل مع خاله "محمد افندى نيازى" إلى طنطا، وكان خاله هذا مهندس تنظيم بها .

وقد تعرّف به هناك الأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار وكان هذا طالبا بالمعهد الأحمدي، وذلك في شعبان سنة ١٣٠٥ هـ - أبريل سنة ١٨٨٨ م . وسنّ حافظ إذ ذاك نحو ستة عشر عاما . قال الأستاذ النجار : "عند ما عدت من القرشية إلى طنطا في شعبان من تلك السنة ، رأيت إخوانى وأصدقائى يلودون بفتى غض الإهاب ، جديد الشباب ، وقد أسرعوا بتقديى إليه وتقديمه إلى ، باسم الأديب الشاعر "محمد حافظ إبراهيم" ولم تمر إلا عشية أو ضحاها حتى أحسست من نفسى ميلا إليه يجاذب من الأدب الذى كان نهمة نفسى ، حتى آل ذلك إلى غرام بادبه وما يشتمل عليه من ظرف ولطف محاضرة، وبدية مطاوعة، وبسرة خاطر، وحضور نادرة" .

مقدمة الطبعة الأولى

”وقد قضينا رمضان هذه السنة نصلي المغرب والعشاء والتراويح معا، ثم نلبث في سمر ممتع، ومطارحة للشعر، ومذاكرة في نوادر الأدب، وما كان يطرفني به مما يقف عليه من جيد القريض، إلى أن يأتي وقت السحور، ثم نعود بعد السحور إلى ما كنا فيه إلى ابتلاق الفجر . فتؤديه، ثم نخرج بغلس إلى خارج المدينة . ثم نعود وقد آذنت الشمس بالطلوع، فيذهب كل منا إلى بيته^(١)“ .

فهو في سن السادسة عشرة يربى نفسه بالمطالعات، ويحفظ جيد الشعر، ويسمر به مع أصدقائه، ويقلده فيما يقوله هو من الشعر، لا عمل له ولا مدرسة إلا مدرسته التي أنشأها بنفسه لنفسه، وكان فيها وحده المعلم والمتعلم .

وحدثت حادثة طريفة تدل على شدة شعوره بجمال الطبيعة، وحسن ذوقه وجودة حسه؛ فقد رأى طائرا جميلا هو (اللقاق) أو كما يسمى في مصر «البشروش» في حديقة مدرسة الفرير بطنطا، فكان يقزعه بتحريك حلقة باب المدرسة ليرى جمال شكله وجمال حركته، واستمر على هذا حتى ضج رجال المدرسة، وأكبنوا له وقبضوا عليه، وأسلموه للضبطية، ثم عفوا عنه لما رأوا من سذاجته وطهارة الباعث على عمله^(٢).
طبيعي أن يمل خاله هذه الحال التي عليها ابن أخته، ولو كان أبوه حيا ملأها منه، فشاب ليس في مدرسة، وليس له ثروة، ثم لا يتكسب، حالة توجب الملل؛ أشعره خاله بذلك، أو شعر هو به . فنظم له بيتين يدلان على ما في نفسه من ألم عميق، فهو يقول :

تَلَّتْ عَلَيْكَ مُؤَوَّتِي * إِنِّي أَرَاهَا وَاهِيَةً
فَافْرَحْ فَإِنِّي ذَاهِبٌ * مُتَوَجِّهٌ فِي دَاهِيَةٍ

(١) مقال للأستاذ النجار نشر في مجلة أبولو : يولييه سنة ١٩٣٣ (٢) المصدر نفسه .

مقدمة الطبعة الأولى

شعر ساذج في سنّ الصبا ، ولكنه يكنّ عاطفة قوية حزينة . موقف ألم في بيت خاله يذكره دائماً بتمه وعدمه ، ويصور له دائماً بؤسه وشقاءه ؛ وهذا يفسر لنا ما كان في نفس حافظ من حزن عميق ، وألم كامن ، على الرغم مما يلوح على سطحها من ضحك وسرور .

يذكر لنا الأستاذ النجار أنه في هذه الحالة ، كان كثيراً ما يشكو الدهر ويندب سوء حظه ، ويتبرم بأحداث الزمن . ويتمنى لو يوافيه حمامه ؛ فن ذلك قوله :

عَجِبْتُ لِعُمُرِي كَيْفَ مَدَّ فَطَالًا * وَمَا أَثَرْتُ فِيهِ الْهُمُومُ زَوَالًا
وَلِلْمَوْتِ ، مَا لِي قَدْ أَرَاهُ مُبَاعِدًا * وَجُلُّ مُرَادِي أَنْ أُوسِدَ حَالًا
فَلِلْمَوْتِ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ أَرَى بِهَا * ذَلِيلًا وَكُنْتُ السَّيِّدَ الْمُفْضِلًا

ماذا يصنع وقد ضاقت به السبل ، وعضه الفقر ، لقد أبى أن يأكل من بيت خاله ، فن أين يأكل ؟

كانت أمامه إحدى سبيلين : سلكهما قبله من كان على شاكلته ممن تعلموا علماً لم يتبع نظاماً ، ولم يستند إلى «شهادة» وهي أن يكون معلماً في مكتب أو شبهه . كما فعل قبله (عبد الله نديم) وكثير غيره ، أو يكون محامياً ، كلاهما إذ ذاك كان مهنة حرة يدخلها من شاء بلا قيد ولا شرط .

ولعل حافظاً رأى أنه طلق اللسان ، حسن التأتى إلى ما يريد ، مداور محاور ، وأن المحاماة تدرّ على صاحبها إذا نجح ما لا يدرّ عليه التعليم إذا نجح . ففضل أن يكون محامياً .

ولكنه لا يستطيع أن يفتح مكتباً ، وينتظر شهرته " فذهب إلى أحد المحامين الشيخ محمد الشيمي المحامي بطنطا (بك فيما بعد) واشتغل عنده في مكتبه ، وكان

مقدمة الطبعة الأولى

يسافر إلى المحاكم الجزئية القريبة من طنطا، ويترافع في القضايا ويكسبها؛
ثم اختلف معه وتركه " وترك له بيتين وهما :

جربُ حظيَ قد أفرغته طمعا * بيابِ أستاذنا الشَّيْميَ ولا عجبا

فعادَ لي وهو مملوءٌ فقلتُ له * تَما؟ فقال: من الحسرات وأحرباً

ثم انتقل بعد ذلك إلى مكتب محمد أبي شادي بك بطنطا، فمكث عنده مدة
كان فيها معتبطا كل الاعتباط، وكان أبوشادي بك يرى نفسه قد عثر على كثر ثمين
فكانا يتنادران بالأدب، ويتطارحان الشعر .

ثم خرج من مكتبه إلى مكتب عبد الكريم فهم افندى المحامى ، فمكث فيه
مدة من الزمن يشغل^(١) عنده .



لم تطمئن نفس حافظ إلى المحاماة، ولم ينحج فيها؛ ويرجع ذلك — في نظري —
إلى أمور : فالمحاماة تُتطلب عكوفاً على درس القضايا وكتابة وقائعها ، ووضع
مذكراتها ، وليس «حافظ» بالصبور على ذلك ، فهو يجيد الكلام ويجيد الدفاع
بالخطرات تخطر له ، ولكنه لا يجيد البحث والكتابة؛ ثم كان قتي غرا، فهو
في السادسة عشرة، أو السابعة عشرة لم تحنكه التجارب، ولم تعلمه الأيام، إنما كان
همه أن يستعرض ديوان شعريقع منه على ما يرضى ذوقه، فيرتسم في حافظته ؛
أما العناية بكتب الفقه والقانون ومراجعتها، واستخراج الحكم منها، فعمل لم يألفه
حافظ، ولم يدرسه، ولم يتذوقه، ثم هو ملول لا يشتغل في مكتب واحد حتى يملأه
وهي خصلة لا تُنحج، كالتاجر يفتح كل يوم دكانا في مكان ثم يفلقها ليفتح في مكان

(١) المصدر نفسه .

مقدمة الطبعة الأولى

آخر - وأخيرا - هو متلاف ، ينفق كل ما تصل اليه يده ، فلا يستطيع أن يقتصد ما يمكنه من فتح مكتب يعتمد فيه على نفسه .

فشل في المحاماة ففكر فيما يعمل ، فهده تفكيره الى أن يسافر من طنطا الى القاهرة ، ويدخل المدرسة الحربية .

يبدو هذا التفكير غربيا ، فأديب ناشئ ، ومحام فاشل ، يفكر في أن يكون ضابطا ! لسنا ندرى الباعث على هذا التفكير ، قد يكون الباعث عليه قراءة سيرة البارودي الحربي الشاعر ، وقد يكون ما رأى في نفسه من بسطة في الجسم ، وقد تكون المصادفة البهتة هيات له ذلك .

وأيا ما كان فقد دخل المدرسة الحربية واغبط بدخولها ومنى نفسه بمنصب حكومي يُضمن له فيه الرزق ، ثم يقول الشعر بعد ذلك ، يغنى به لنفسه ولإخوانه ، وظل في المدرسة الى أن تخرج سنة ١٣٠٩ هـ - ١٨٩١ م ، فيكون عند تخرجه في سنّ العشرين تقريبا .

وكانت المدرسة الحربية قد نظمت في عهد الخديوى توفيق باشا عقب الثورة العربية ، وأدخل عليها تعديلات جديدة ، وعين لها البكاشى هولوت (Huleatt) الإنجليزي قومنداناً ، وكان ناظرها اللواء لارمى باشا الفرنسى . وزادوا عدد تلاميذها الى بضع وتسعين ، وكان ذلك سنة ١٨٨٧ ؛ وجعلت الدراسة فيها نوعين : دروسا مشتركة لجميع التلاميذ ، ودروسا خاصة للأقسام ؛ فالمشتركة هي القوانين ، والتعليمات العسكرية ، والجغرافيا ، واللغة الأجنبية ، والطبيعة ، والكيمياء ، والرسم ؛ والخاصة هي الطبوغرافيا ، والاستحكامات ، والتمريعات في الطوبجية والسوارى (والجنباذ والشيش) . وعين المستر براين الإنجليزي أيضا في وظيفة معلم أول بالمدرسة سنة ١٨٨٩ ، وأصدر السردار أمرا ببيان اختصاص القومندان والمعلم الأول

مقدمة الطبعة الأولى

فكان اختصاص القومندان النظر في كل شيء يتعلق بإدارة المدرسة، واختصاص المعلم الأقل النظر في البرامج؛ وبذلك سلب من الناظر الفرنسي كل شيء^(١).

هذا هو عهد المدرسة أيام كان فيها حافظ، بدأت تتدخل فيها السلطات وتحدّ برامجها، وتحدّ من تعليمها. وكانت الثقافة فيها سطحية ضعيفة لم يستفد منها حافظ كثيرا من ناحية معارفه العامة، فما كان عنده من ذلك فهو ما استفاده من مطالعته الشخصية.

عين في الحربية بعد تخرجه وظل بها نحو ثلاث سنوات، ثم نقل إلى الداخلية ملاحظ بوليس في بنى سويف، ثم الإبراهيمية لأن مدرسة البوليس لم تكن أنشئت بعد فكان يؤخذ للبوليس من الحربية، ثم أعيد للحربية. وسافر منها إلى السودان في الحملة الأخيرة التي كانت بقيادة اللورد كتشنر، وكانت منطقة عمله في السودان الشرقى.

تبرم حافظ من عمله بالسودان، وأكثر من الشكوى إلى أصدقائه، وعاوده داء الملل القديم، ولم يطق جو السودان، ولا جفاء العيشة في السودان، فتحسر على أصدقائه في مصر، ولىالى الأئس بها، وجوّها البديع، وعيشها الناعم، كما يدل على ذلك شعره في هذه الفترة.

قال في ذلك يصف حاله :

وما أعذرتُ حتى كان نعلي * دما ووسادتي وجه التراب
وحى صيرتني الشمس عبدا * صبيغا بعد ما دبّت إهابي
وحى قلم الإملاق ظفري * وحى حطّم المقدار نابي
متى أنا بالغ يا مصر أرضا * أشم بتريها ريح الملاب

(١) انظر الجزء الثاني من حقائق الأخبار لاسماعيل مرهناك باشا.

مقدمة الطبعة الأولى

وزاد حاله سوءا في السودان كراهية كتشترله ، إذ كان حافظ غير معنى بنظام ، ولا مراعيًا حسن هندام ، وعبر عن ذلك بما كتب به إلى الأستاذ الإمام من السودان ، إذ يقول ” وقعت همّة النجمين ، وقصرت يد الحديدين ، عن إزالة ما في نفس ذلك الجبار العنيد ؛ فلقد نَمَّ ضَبْ ضغنه على “ ، وبَدَرَتْ بواذر السوء منه إلى ، فأصبحت كما سر العدو ، وساء الحميم “ الخ .

وكان رئيس فرقته رفعت بك يكرهه ، ويرفع التقارير السيئة عنه ، إذ كان حافظ يعمل الأراجيز في ذمه يحدوها هو وأصحابه ، فمنها قوله فيه :

تراه إذ ينفخ في المِزمار * تحسبه في رتبة السردار
يحتب العاقل والنبها * ويعشق الجاهل والسفها



وافادته أيام عمله في المحامة فاستغلها في السودان ، فقد عرف بين إخوانه بقوة المحجة ، وحسن البيان ، فكان كثيرا ما ينييه الضباط المتهمون في الدفاع عنهم أمام المجالس العسكرية .

حتى إذا جاءت سنة ١٨٩٩ م حدثت ثورة في السودان ، اتهم فيها ثمانية عشر ضابطا ، كان من بينهم حافظ ، فحُكِّموا وأُحيلوا إلى الاستيداع .

وقد قال اللورد كرومر في كتابه « عباس الثاني » عن هذا الحادث ما يأتي :

” عند ما شبت حرب جنوبي أفريقيا ، عاد كثير — من أفضل الضباط البريطانيين ، الذين كانوا يقودون فرق الجيش السوداني — إلى فرقهم الأصلية في الجيش البريطاني ، ونظرا لبعض الملابس التي لا حاجة بي إلى ذكرها — والتي ما كانت تقع لو لم يضطر هؤلاء الضباط الخيرون إلى السفر — حدث استياء في الجيش

مقدمة الطبعة الأولى

وجاهرت فرقة من فرق الجيش السوداني بالعصيان — وقد كثرت الإشاعة بأن الخديوى قد قال أقوالا تجعل النافرين يعتقدون أنه راض عنهم عاطف عليهم . على أن الثورة أُنحِدت بدون إراقة دماء ، وحوكم عدد من الزعماء أمام المجالس العسكرية ، وحكم عليهم بالسجن مددا مختلفة ، وأرسلوا إلى مصر ليقتضوها بها .

ولما حدثت الخديوى فى هذه المسألة ، رأيت من الحكمة أن أتجاهل ما كان يقال عن اشتراكه فى الثورة ، لأن ذلك لا سبيل إلى إثباته ، واقتصرت فى حديثى على وصف الحادثة والخيانة العظمى التى ارتكبها بعض جنده نحو سموه ، واقترحت عليه أن يرى المحكوم عليهم ، ويخاطبهم بكلمات اخترتها وعربت لها ، فوجد الخديوى نفسه فى مأزق حرج ، وموقف لا يدرى كيف يخرج منه ، لأنه إذا رفض يعترض نفسه للشبهة فى أنه حرض على الثورة فى جيشه ، كما فعل جده من قبله ، وإذا قبل يتضح للنافرين أن لا أمل لهم بمساعدته ، وبذلك يفقد كثيرا من احترامه وفوقه فى الجيش ، على أنه — كما كنت أتوقع — اختار الأمر الأخير^(١) .

أثر هذا الحادث كثيرا فى نفس حافظ وملأه يأسا وخالط نفسه شئ ليس بقليل من الخوف ، فلم يقل فى ذلك شعرا ، أو قاله وكتمه ، وزاد فى خوفه ويأسه ، ما صار إليه أمر الثورة ، وأمر الأمير .

وخير ما يمثل فى هذا الموقف قوله :

إذا نطقتُ ففأعُ السجين متكأً * وإن سكْتُ فأتُ النفسَ لم تطيب

ثم التمس إحالته إلى المعاش ، فأجيب إلى طلبه ، وكان قد أخذ يبحث عن عمل يعمل به ، فعرض نفسه على جريدة الأهرام ليتولى عملا فيها ، ويظهر أن ذلك كان

(١) كتاب الورد كرومر «عباس الثانى» .

مقدمة الطبعة الأولى

بإيعاز الخديوى، لأنه شعر بتبعته نحو هؤلاء الضباط، وأنه هو السبب فيما آلت إليه حالهم، وأنه لا يستطيع توظيفهم في الحكومة، فأخذ يسهل لهم الأعمال الحرة، يدل على ذلك أن الذى قدم حافظا لصاحب الأهرام هو شوقى بك . وصلته بالقصر معروفة. ولكن ذلك لم يتم، ولستأ ندرى السبب فى ذلك .

فظل بلا عمل يغشى مجلس الأستاذ الإمام، وكان قد اتصل به أيام كان فى السودان، فلما عاد زاد اتصاله به، وعطف عليه الأستاذ، وأنهله من علمه وفضله، كما غشى مجالس الأدباء والعظماء، يسمع منهم، ويغنى لهم بشعره وأدبه، حتى كانت سنة ١٩١١ فساعدته المرحوم أحمد حشمت باشا ناظر المعارف وعينه رئيسا للقسم الأدبى فى دار الكتب المصرية، وظل بها إلى فبراير سنة ١٩٣٢، إذ أحيل إلى المعاش بعد أن ظل بها نحو من عشرين سنة .

كما أعانته حشمت باشا، إذ طلب له رتبة البكوية من الدرجة الثانية، فأنعم عليه بها سنة ١٩١٢ م . ثم أنعم عليه بنشان النيل من الدرجة الرابعة .

فى سنة ١٩٠٦ بعد أن عاد حافظ من السودان، تزوج من أسرة بحى عابدين ولكن لم يدم زواجه أكثر من أربعة أشهر، فافترق الزوجان، ولم يعقب منها؛ ثم لم يعد بعد ذلك إلى الزواج .

وتوفيت والدته حول سنة ١٩٠٨ فظل يعيش مدة فى بيت خاله، وبعد أن توفى خاله، كان يعيش مع زوجة خاله نيازى بك الست عائشة هانم؛ فكانت تدبر بيته، وتقوم بأمره، وكانت لم ترزق بأولاد، فكانت لتبنى بنتين وظلت تقوم بشؤونهن إلى أن توفيت قبل وفاة حافظ بنحو ثلاث سنين .

مقدمة الطبعة الأولى

وفي بيت صغير بالزيتون من ضواحي القاهرة ، توفي حافظ في الساعة الخامسة من صباح الخميس ٢١ يولييه سنة ١٩٣٢ ، أى بعد إحالته الى المعاش بنحو أربعة أشهر ونصف .

دعا في ليلة وفاته صديقين من أصدقائه لتناول الطعام معه ، ولكنه لم يستطع مشاركتهما لما أحس من تعب . فافتصر على أن آتسهما بحديثه .

وبعد انصرافهما ازداد ألمه ، فأسرع خادمه إلى مخاطبة صديق له ليحضر ومعه طبيب ، فلما حضرا ، كان حافظ في الترع الأخير ، وما لبث أن فاضت روحه ، رحمه الله .

أخلاقه — انتاب حافظا كثير من الشدائد منذ حدثته ، فقد مات والده صغيرا ، ولم يورثه ثروة . وكان بائسا في بيت حاله ، ولم ينبج في الحمامة ؛ وأصيب في منصبه فأحيل إلى الاستيداع ، ثم إلى المعاش في مقبل عمره ، وكانت له إلى هذا نفس شاعرة ، وحس مرهف ، فأثر كل ذلك في نفسه أثرا بليغا ، فهو ناغم على الدهر ، ناغم على قومه ، يكثر من شكوى الزمان وشكوى الناس .

ولكن أبت الطبيعة إلا أن تجد لثوران نفسه منفذا ، ولشقائه مسعدا ، فمنحته القدرة الفائقة على الفكاهة الحلوة ، والنادرة المستملحة ، فضحك من البؤس ، ومن الشقاء ، ومن كل شيء ؛ وكان له ذوق بارع في اختراع النكتة من كل ما يدور حوله ، فما يسمع حديثا ، أو يعرض أمامه شيء ، حتى يدرك موضع الفكاهة منه فيصوغ ذلك صياغة تستخرج ضحك السامعين من أعماق صدورهم ، وقرارات قلوبهم ؛ فكان في مجالسه موضع إعجابهم ، ومنع سرورهم ، يرسل النكتة من بديهية حاضرة ، فتستخف الوقور ، وتستهوى الرزين ، فهو زينة المجلس ، وبهجة النادي .

مقدمة الطبعة الأولى

ومن العجيب مع هذا أنك قلما ترى للنوادر والنكات في شعره مجالا، فمن قرأ شعره وحده، ولم يعرف شيئا من صفاته، لا يشعر بأنه كان فكها مزاحا، وسبب ذلك أن الأديب في كثير من الأحيان تكون له شخصيتان أو أكثر؛ فله في حياته العامة شخصية خاصة، فإذا أراد أن يصوغ شعره أوثره، انصب في قالب خاص، وتقمص شخصية أخرى؛ ولو قد أتيح له أن يدخل كثيرا من فكاهته في شعره، لربحنا من وراء ذلك الشيء الكثير. وسبب آخر، وهو أن الناس كانوا ينظرون إلى هذه النوادر، كأنها من الأدب الشعبي الذي لا يصح أن يرتقى إلى الأدب الأرستقراطي، ولذلك قل أن يدخلوا - حتى الآن - فكاهتهم ونوادرهم في الأدب، كما احتقروا القصة، واحتقروا ألف ليلة وليلة، وقصة عنترة ونحوها، ولم يعرھا الأدباء الرافون اهتماما إلا في الأيام الأخيرة؛ فكان حافظ إذا قال شعرا في فكاهة أو مزح، عدّه من سقط متاعه، ولم ينظر إليه عند ما يتغير شعره للنشر أو التدوين.



ثم قد تعود في حياته ألا يقيم لئال وزنا، فهو كريم، واسع العطاء، ذاق طعم البؤس، فعرف موقعه من الناس، فسخت كفه، ونديت راحته، حتى لو ملك الدنيا كلها لفرقها في يوم واحد؛ قد عرض له الفقير البائس فيسمح له بما في يده وهو أخرج ما يكون إليه لسد رمقه وتفريج همه.

وكما كان كريما على الناس فهو كريم على نفسه، يتمتع بما تشتهى ما وجد إلى ذلك سبيلا، يأكل خيرا ما يؤكل، وقد عرف إخوانه ببلته بذلك، ويدخن خيرا "سيجار" وأغلاه، ويستمتع بكل ما تصبو إليه نفسه، فإذا فرغ جيئه عرف كيف يصبر؛ له يد صناع في الكسب، خرقاء في الإنفاق؛ خير أيامه وهو "موظف"

مقدمة الطبعة الأولى

بضعة أيام في أول الشهر، ثم لا شيء ، فإذا لم يكن "موظفاً" خير أيامه ما استفاد فيها مالا فحسب ، لو كان تاجراً لأضاع رأس ماله في أول شهره ثم أعلن إفلاسه ، ولو وضع ميزانية دولة لجعل الإنفاق كله في أيامها الأولى ثم لا إنفاق . ومن طريف ملاحظاته في ذلك أنه كان يقترح على الحكومة أن تعطى موظفيها أكبر مرتب أول استخدامه ، ثم تنقصه شيئاً فشيئاً كلما تقدمت به السن ، لا أن تعطيه مرتباً يزيد مع القدم ؛ وكان يعلل ذلك بأنه يبدأ وظيفته وهو يبدأ شبابه ، وهذا هو زمن الإنفاق ، فإذا هرم ثم شاخ فيكفيه القليل ، وحسبه من غنى شبع وري .

ومع هذا فلم يكن سخياً بمنصبه سخاءه بماله ، فهو حريص على بقائه في عمله بدار الكتب أشد الحرص ، ضنين به أشد الضن ؛ فهو لا يقول شعراً يغضب به أحداً من ذوى السلطان خشية أن يزحروه عن منصبه ، أو ينالوه بأذى فيه ؛ وإن قال شعراً سياسياً أخفاه ولم ينسبه إلى نفسه ، فقد قال قصيدته في مظاهرة السيدات سنة ١٩١٩ ، ولكنها نشرت في منشور من غير اسمه ، ولم تنشر في الصحف إلا سنة ١٩٢٩ حين أمن عاقبة نشرها ؛ وكذلك قصيدته التي قالها حين خيف على الآستانة من احتلال الأجانب ، لم تنشر إلا سنة ١٩٣٢ ، وهكذا ؛ وما قاله من الشعر السيامي في ذلك العصر — صراحةً — هادئ لين ، أو في ظروف تحميه ؛ بل قد قال في ذلك العهد أحياناً ما يخالف منهجه ، ولا يجرى مع ما عرف من حماسه ، كقوله للغفور له السلطان حسين يطلب إليه أن يوالى الإنجليز ويمادهم جبال الود .

وإِلِ القومِ لِنَهِمُ كَرَامٌ * مَيَامِينُ النُّقْيَةِ أَيْنَ حَلُّوا
وليس كَقَوْمِهِمْ فِي الغَرَبِ قَوْمٌ * مِنْ الأخلاقِ قَدْ تَهَلُّوا وَعَلُّوا

مقدمة الطبعة الأولى

وإن شاورتهم والأمر جِدُّ * ظفِرتَ لهم برأي لا يَزِلُّ
فادِدُهُم حِبَالُ الوُدِّ وأنهُض * بنا فقيادنا لخير سَهْلُ



ومن ثم كانت هذه الفترة في حياته — وما أطولها — فترة نضوب في شعره،
وجهود في قريحته إلا نادراً؛ فكان منصبه نعمة عليه، ونقمة على فنه، ومنفعة له،
ومضرة على الناس — ولعل أيام بؤسه الأولى روعته وأفزعته حتى قامت شبحاً
دائماً أمام عينه تنذره بالويل والثبور، وعظائم الأمور، إن هو أصيب في منصبه
أو مسَّ في مرتبه .

ولعل ذلك الخوف لازمه بعد خروجه من وظيفته بإحاطته إلى المعاش، إذ ألف
حب الأمن واعتاده، وعقد عليه، حتى لقد أنشدني قبيل وفاته قصيدته التي مطلعها:
قد مرَّ عامٌ يا سعاد وعامٌ * وابن الكأنة في جماءٍ يضامُ
وكانت نحو مائتي بيت، يصف فيها وزارة إسماعيل صدق باشا فأشرت
عليه أن ينشر بعضها، أو يكتبها، أو عليها، أو يحتفظ بها بأي شكل من الأشكال
فقال: "إني أخاف السجن، ولست أحتمله".



ثم هو واسع الصدر في تقدك شعره، إذا كنت وهو على انفراد، فإذا نشرت
تقدك في صحيفة أو على ملاء من الناس، فهو غضوب أشد الغضب، ناغم أشد
النقمة: حريص على منزله في فنه أكثر من حرصه على شخصه، حتى لأحب إليه
أن تهجوه من أن تهجو شعره .

مقدمة الطبعة الأولى



وثقافته الرسمية — إن جاز هذا التعبير — ثقافة محدودة، فهي لا تعدو دراسته في مكتب أو مدرسة ابتدائية، ثم دراسة فنية وما تستلزمها في المدرسة الحربية . ولكنه أكل ثقافته ، ووسع معارفه من نواح متعددة، فقد أكثر من قراءة كتب الأدب، وأطال النظر خاصة في كتاب الأغاني؛ فقد حدث أنه قرأه مرات . وتحديث هو عن نفسه أنه كان يطيل النظر في دواوين الشعراء ويتخير من شعرهم ويحفظ ما يتخير من أمثال شعر بشار بن برد ، ومسلم بن الوليد ، وأبي نواس ، وأبي تمام ، والبحري ، والشريف الرضوي ، وابن هاني الأندلسي ، وابن المعتز والعباس بن الأحنف ، وأبي العلاء المعري . يدل على ذلك ما كان يحفظ من متنخل الأدب وعبور الشعر ، فإذا جلست إليه أخذ يسمعك من محفوظه ما يبهرك ، حتى لقد خيل إلى أنه لو دون ما يحفظه لفاق أبا تمام في اختياره "ديوان الحماسة" إذ كان حافظ يتخير بذوق العصر ، وروح العصر — وكان له حافظه قوية تسعف ذوقه، وتلي اختياره ، فما ينتار جيداً من القول حتى يرسم في حافظته ، ويبقى في ذاكرته ، ثم يتجلى ذلك في شعره — لكنه — مع ذلك لم يعكف على دراسة منظمة ، ولم يقرأ قراءة مستفيضة في عمق ، ولم يرسم له خطة يلتزمها في الدراسة ؛ بل كان كالنحلة تنتقل من زهرة إلى زهرة ، وترتشف من هذه رشفة ، ومن تلك رشفة ، فهو يرضى ذوقه في أوقات فراغه بالمطالعة المتنقلة ؛ فإذا عثر على أسلوب رشيق أو معنى دقيق اخترته في نفسه .

وقد عاقه عن المطالعة الراتبة المنظمة ، أنه كان ملول الطبع ، كما يدل عليه تاريخ حياته ؛ عمل في المحاماة فلم تعجبه ، واشتغل في البوليس فقلقه ، وفي الجيش

مقدمة الطبعة الأولى

فسمعته ، ولولا أنه كان حرا طليقا — إلى حد كبير — في دار الكتب للمها أيضا .
ثم كانت هذه الفوضى في قراءته يتبعها إهمال في حياته الأدبية ، فقلما يكتب
قصيدته وقلما يحافظ على شعره ؛ بل لا نبالغ إذا قلنا إنه قلما كان يعني أن يكون
في بيته دواة وقلم ، أو مكتبة منظمة . كان لديه كتب تبعثر ، يأتي زائر ويأخذ
جزءا من الأغاني ، وجزءا من غيره ، حتى إنه لما مات — رحمه الله — لم يكن في بيته
من الكتب غير جزء من تذكرة داود ؛ وجزء من تفسير الأحلام لابن سيرين . فأما
الأول فلأنه كان في سنيه الأخيرة دائم الشكوى من المرض ، كثير توهم العلل ؛
فكان كلما سمع بوصف مرض تخيل أنه مصاب به ، ولعله اقتنى تذكرة داود ليرجع
إليها فيما يتخيل من أدواء ؛ وأما "تفسير الأحلام" فلأنه كان يعتقد في الرؤى وأثرها
في حياة الإنسان ؛ وكان يرجع إليه في التناذر على بعض الأصدقاء ، فقد حدثنا أنه كان
في ضيافة المرحوم سعد زغلول باشا ، في مسجد وصيف ، وكان حافظ وصحبه
يتنادرون على صديق من الأضياف ، كان يعتقد في الأحلام وصحتها ؛ ويتفاعل بها
في آماله في منصب كبير ، أو مطلب خطير .

وشيء آخر يعد مصدرا كبيرا من مصادر ثقافته ، وهو كثرة غشيانه لمجالس
العلماء وقادة الرأي في الأمة ، فقد اتصل بالأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، وعد
نفسه فناه ، وكان يحضر بعض دروسه التي يلقيها على نخبة من الفضلاء في منزله
بعين شمس ، ويجلس في مجالسه ، وقد يصحبه في أسفاره ؛ ثم يغشى مجالس أمثال
سعد زغلول ، وقاسم أمين ، ومصطفى كامل ، ونحوهم ؛ وكانت مجالسهم مدارس
من أرقى المدارس ، تطرح فيها المسائل العلمية ، والمعضلات السياسية ، والمشكلات
الاجتماعية ، وتعرض فيها الحلول المختلفة ، وتبسط فيها أدواء الأمم ، وكيف عولجت

مقدمة الطبعة الأولى

وما إلى ذلك — وحسبك بمدارس كان المعلم فيها أمثال محمد عبده ، وسعد ، ومصطفى كامل ، ولعل هذا كان أكبر منبع استقى منه حافظ أفكاره التي صاغها في شعره .

ثم كان له مجلس من الأدباء في المقاهي والمتدييات أمثال : خليل مطران والبشرى ، وإمام العبد ، وكانت مجالس تجتمع فيها الفكاهة الحلوة ، والنادرة الطريفة ، ويستعرض فيها الأدب وطرائفه ، فكان كل منهم مفيدا مستفيدا عارضا سامعا .

وقد كان حافظ يلم بالفرنسية ، فكنته من الاطلاع على شيء من آدابها ، وقد ترجم البؤساء لفيكتور هوجو ، وترجم بعض قطع بلخان چاك روسو ، واشترك مع الأستاذ خليل مطران في ترجمة "كتاب موجز الاقتصاد" وكان يقرأ بعض ما يترجم من الأدب الانجليزي ، كما ترى أثر ذلك في ترجمته لبعض قطع شكسبير ، ولكنه على كل حال ، لم ينل حظا وافرا من الأدب الغربي ، ولم يكن أثر ذلك كبيرا في شعره ، إنما شعره — على الأكثر — نتاج الأدب العربي ، والثقافة العربية ، والتجارب الشخصية .

وأخيرا — وإن شئت أولا — كان من مصدر ثقافته ، تجاربه الواسعة ، فقد أتاح له بؤسه الامتراج بغمار الناس ومجالستهم ومشاركتهم في الخير والشر ، ومطارحتهم النكات والنوادر ، كما مكن له ظرفه وأدبه أن يتصل بسادة الناس وقادتهم يسمع لحديثهم ، ويسمعون لأدبه ، وأن يتصل برجال النهضة الوطنية فيأخذ عنهم ، ويلتهب حماسة من حماسهم ، ويمتلئ وطنية من وطنيتهم .

✕ شعره — منح حافظ عاطفة قوية ، ونفسا فنية سمت به عن أقرانه من نابتة العصر ، ومن طلبة المدرسة الحربية التي كان بها ، وإلا فما الذي جعله وسط صليل

مقدمة الطبعة الأولى

السيف، والتدريب العسكري، وترويض الخيل، يتجه نحو الشعر يطالعه ويتذوقه، ويخيره ويحفظه، ثم يحاول أن يقلده، وينظم على غرارهِ؛ وكان له أسوة حسنة في محمود سامي البارودي باشا، فقد تخرج في المدرسة الحربية، وتعلم فنونها، وترقى في رتب الجيش، وخاض معامع القتال، وكان ربّ القلم، كما كان رب السيف، وكان مؤسس النهضة الحديثة في الشعر، أعاد إليه بهجته الأولى ونضارته وقوته. فاتخذ حافظ مثله الأعلى يحذو حذوه، ويخطط نهجه، ويأمل أن يبلغ في الحياة مبلغه، فيكون ذا الرأسين، وحامل اللوائين، وقد عبر عن تقديره له للبارودي وإعجابه به في قصيدة من قصائده يمدحه بها إذ يقول فيه :

أمير القوافي إت لي مستهامة * بمدح ومن لي فيه أن أبلغ المدى
أعزني لمديك اليراع الذي به * تخط وأقرضني القريض المسددا
ومر كل معنى فارسي بطاقتي * وكل نفور منه أن يتوددا
وهبني من أنوار علمك لمعة * على ضوءها أسرى وأقفو من اهتدى
وأربو على ذاك الفخور بقوله * إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا

ومدحه في هذه القصيدة بالإجادة في الحماسة والنسيب واللعب بالسيف والتفنن في التشبيب، فكانه في مدحه البارودي يرسم لنفسه مثله، ويحدد مستقبله؛ وقد قلد البارودي أيضا في ناحيته الأدبيتين، فقد غنى البارودي بالتخير من شعر الفحول، فاختر ثلاثين شاعرا من الشعراء المولدين، ثم أنشأ شعره، وجوّد نظمته، وكذلك فعل حافظ، فقد تخير وشعر، وحفظ ونظم. ولكن قعد بحافظ عن جمع مختاره ما عهد فيه من إهمال، ولولا نعمة الصحف والمجلات تنشر له بعض ما نظم لكان مصير شعره مصير مختاره.

مقدمة الطبعة الأولى

ولكن شاء الله لحافظ أن يقارب شأو البارودى فى دولة القلم لا فى دولة
السيف، فانهى — على عجل — تاريخ حافظ الحربى بإحاطته فى شبابه إلى المعاش،
واستمر — طول حياته — تاريخه الأدبى، فلم يتحقق إلا شطر رجاءيه، ولم يدرك
من البارودى إلا إحدى دولتيه .

وكان حرياً بحافظ أن يدرك أن ما ناله البارودى فى عهد الاستقلال، لا يمكن
أن يناله حافظ فى عهد الاحتلال، إذ كيف يرضى الاحتلال أن يبلغ أحد مبلغ
العظمة فى الحروب، ومبلغ العظمة فى الآداب، والاحتلال هو الذى حطم
سيف البارودى، بل وحطم قلبه القوى، وقدم له قلماً آخر يشكو به الدهر،
ويبكي على زمانه الغابر؛ ولكن أنى لشباب حافظ أن يدرك هذه الحقائق المرة،
والشباب يهزأ بكل قوة .

على أنه يجيل لى أن حافظاً لم يخلق رجل قتال؛ نعم كان منظره رجل حرب،
فهو مستحكم الحلقة، وثيق التركيب، مفتول الساعدين، عريض المنكبين؛ ولكن
لا أظن أن قلبه يشاكل جسمه، لقد ظل وهو فى السودان يشكو فى شعره حره،
ويشكو حرمانه من لذائذ القاهرة وترفها ونعيمها :

فمن لى أن أرى تلك المغانى * وما فيها من الحسن المقيم
وها أنا بين أنياب المنايا * وتحت براثن الخطب الجسيم
أيتك والخطوب ترف رحلى * ولى حال أرق من السديم

وهكذا ظل فى السودان يبكي ويتوجع ويتشوق، ويستغيث بالأستاذ الإمام
المرّة بعد المرّة أن يرده إلى مصر "رَدَّ الشمس قطرة المزن إلى أصلها"، ورد
الوفى الأمانات إلى أهلها". وليست هذه بالنفس الحربية؛ ثم لما تار الضباط

مقدمة الطبعة الأولى

في السودان وهو منهم، وطردهوا وعادوا إلى مصر، وأحيلوا إلى المعاش، لم ينطق بشكوى، ولم يثر على من ظلمه، ولم يهيج من نكبه؛ ولكنه سكت واستسلم، وأخذ يسعى إلى وظيفة في القصر، أو أن يكون شاعرا خليفه أو أمير.

ولما عين في دار الكتب سكت وأمعن في السكوت، إلا ما كان يقوله في المواسم والحفلات، أو ما تدعو إليه المناسبات.

كل هذا يرينا أنه كان مغاليا في أمله - إن كان - أن يجمع في يده بين السيف والقلم.



ولكن إن أخفق حافظ في حربه فقد نجح في شعره، بدأ ينظمه في أغراض اعتاد الناس أن ينظموا فيها، من مدح للديوى والأغنياء، ومداعبة الإخوان، والشكوى إليهم، ونحو ذلك؛ وقل أن تجد في هذا النوع من الشعر معنى جديدا أو خيالا رائعا، وإنما هو أسلوب من سبقه ومعانيهم وأغراضهم. ومع هذا فكان يرى في نفسه أنه في هذا العهد أكبر شاعر في مصر لا يفضلته إلا شوقي؛ فيقول من قصيدته التي قالها سنة ١٩٠١ :

قل للألى جعلوا للشعر جائزة * فيم الخلاف ألم يرشدكم الله
إني فتحت لها صدرا تليق به * إن لم تحلوه فالرحمن حلاه
لم أخش من أحد في الشعر يسبقني * إلا فتى ماله في السبق إلاه
ذاك الذي حكمت فينا يراعتة * وأكرم الله والعباس مثواه

وكان في عصره من كبار الشعراء المصريين أمثال البارودي، وإسماعيل صبري، وشوقي، ومحمد عبد المطلب.

مقدمة الطبعة الأولى

ولكن يحق له هذا القول، لأن حظ مصر في هذا العصر من الشعر، بل من الأدب عامة، كان حظا ضعيفا، فلم يحافظ له ندا غير شوقي، لأن البارودي على إجادته وفتحه للناس باب الشعر الحى القوى بعد أن أغلق طويلا، كان في آخريات أيامه، وقد برحت به الحوادث، ودلف إلى القبر، إذ أدركته وفاته سنة ١٩٠٤.

وإسماعيل صبرى باشا كان أشعر من حافظ في ناحية خاصة، وهى مقطوعاته الصغيرة، يعبر بها عن معان دقيقة، وعن شعور نفسى عميق — ولم يكن يحترف الشعر كما احترفه شوقي وحاول أن يحترفه حافظ — وكان منصبه الحكومى يسمو به عن ذلك.

لهذا جهر حافظ بأنه خير شاعر فى مصر إذا استثنى شوقي، ولعله كان يرى فى أعماق نفسه أن "شوقي" لم يفضل به بشاعريته، وإنما فضله بقربه إلى القصر وأنه شاعر الأمير، ولولا ذلك لما فضله، ويشير إلى هذا المعنى من طرف خفى فى هذه القصيدة نفسها، إذ يقول:

ذاك الذى حكمت فىنا يراعتة * وأكرم الله والعباس مشواه



قامت بعد ذلك حركة فى مصر من بعض الأدباء المثقفين ثقافة غربية وبعض قادة الرأى، تعيب على الشعراء هذا الشعر التقليدى فى أسلوبه وفى أغراضه، وفى أوزانه وقوافيه، وتتقد شوقي وحافظ من النقد، لأنهما قديمان فى أفكارهما، مقلدان فى أغراضهما، محافظان فى أوزانهما.

كان من آثار هذه الحركة فى حافظ أن ثار هو أيضا على الشعر القديم، فقال قصيدته المشهورة فى الشعر، التى مطلعها:

مقدمة الطبعة الأولى

ضعت بين النهمى وبين الخيال * يا حكيم النفوس يا ابن المعالي
عاب فيها على شعراء الشرق شعرهم فى الكاس والطاس ، والمدح والمهجا
والرثاء ، وحب سلمى ولىلى ، ومكان الآثار والأطلال ، والرجال والجمال ، ثم يقول :

آن يا شعر أن نفك قيودا * قيدتنا بها دعاة المحال
فارفعوا هذه الكائم عنا * ودعونا نشم ريح الشمال

فكانت ثورة صارخة على الشعر القديم . فهل جتد حافظ بعد فى شعره ؟
لم يجتد فى بحوره وأوزانه . ولم يجتد فى أسلوبه وبيانه ، ولا تفكيره وخياله ،
إنما جتد فى شىء هو فوق ذلك كله ، جتد فى موضوعه وأغراضه ، فبدلا من
أن ينظم فى موضوعات أمرئ القيس وطرفة ، أو جرير والفرزدق ، أو بشار
وأبى نواس ، نظم فى موضوعات عصره وأمانى قومه .

وساعده على هذا الاتجاه تربيته الحربية ، فإن فشل فى حرب السيف
فليحارب بالقلم ، وإن تكسر سن رمح فليشرع سن قلمه ، وإن أخطأ النجاح
فى ثورة الضباط فى السودان ، فليكتب له التوفيق فى إثارة الأمة على الاحتلال .

ميزة حافظ الكبرى أنه تبلورت فى شعره آمال أمته أولا ، وآمال الشعب
العربى ثانيا .

كانت الأمة تشكو من فوضى الأخلاق ، وتشكو من الاحتلال ، وتشكو من
تضييق الغرب على الشرق ، وكان زعماء الوطنية يلهجون حماسه ، ويشعلون غيرته ،
وكان الخطباء يحاولون إيقاظه ؛ — وكان حافظ — بما له من حس مرهف ،
وعاطفة حساسة — يجمع كل ذلك فى نفسه ، فلما تار على الشعر القديم وحطمه ،

مقدمة الطبعة الأولى

بنى على ألقاضه شعره الجديد في الوطنيات والاجتماعيات والسياسيات ؛ وكان في شعره يقف موقف الصحافة الوطنية ، والخطباء الوطنيين ، وقادة الرأي الاجتماعيين ؛ يغشى مجالس كل هؤلاء ، ويتشرب من أرواحهم ، ويستمد من وحيهم ويغذى عواطفه من عواطفهم ، ثم يخرج ذلك كله شعرا قويا ملتها ، يفعل في النفوس — وذلك شأن الشعر الحى — مالا تفعله الخطب والمقالات ؛ فكان حافظ — حقا — شاعر الوطنية ، وشاعر الشعب ، وشاعر السياسة والاجتماع ، ولم يجارهِ أحد في ذلك من شعراء عصره .

وقف حافظ في ذلك مواقف مختلفة ، فتارة يقرع الأمة تقريرا جارحا مؤلما على استنابتها وإخلاؤها إلى السكون ، واستسلامها للأجانب .

أمة قد فت في ساعدها * بغضها الأهل وحب الغربا
تعشق الألقاب في غير العلا * وتفدى بالنفوس الرتبا
وهى والاحداث تستهدها * تعشق اللهو وتهوى الطربا
لا تبالى لعب القوم بها * أم بها صرف الليالى لعبا
ويقول :

فما أنت يا مصر دار الأديب * ولا أنت بالبلد الطيب



وكذا بمصر من المضحكات * كما قال فيها أبو الطيب
أمور تُمتر وعيش يُمتر * ونحن من اللهو في ملعب
وشعب يفتر من الصالحات * فرار السليم من الأجر

ويقول :

وإذا سئلت عن الكانة قل لهم * هى أمة تلهو وشعب يلعب
ونحو ذلك كثير في ديوانه .

مقدمة الطبعة الأولى

وتبدأ الأمة بحركة ، وتقف موقفا مشرفا يوما ؛ فيحيي أمله ، ويشر بعد
أن كان ينذر ، ويعاوده الأمل بعد اليأس ؛ والرجاء بعد الخيبة ، فيقول مخاطبا
سعدا :

فاوض نخلفك أمة قد أقسمت * ألا تنام وفي البلاد دخيل
عزل ولكن في البلاد ضراغم * لا الجيش يفزعها ولا الأسطول

ويقول :

النسر يطمع أن يصيد بأرضنا * سنريه كيف يصيده زغلول

ويقول :

أقننا بعد نوم فوق نوم * على نوم كأصحاب الرقيم
إلى كثير من أمثال ذلك .

وهكذا يضطرب في شعره بين التفاؤل والتشاؤم ، اضطراب الأتمة بين اليقظة
والنوم ، والعمل والتواكل ، والإصابة والخطأ ، فهو صدى لها في حركاتها ، وهو
المدرس الحكيم الذى يأخذ موضوع درسه من حوادث يومه .

نعم إنه بعد هذه الثورة على الشعر القديم ، نظم في موضوعاته ، ولكنه حتى
في هذه لا ينسى مقامه ، ولا يجهل رسالته ولا يفوته غرضه ، فهو يتنزه فرصة تحية
العام الجديد ، وتحية الملك ، وثناء الفقيد ، وتهانى العيد ، ليث في ذلك كله عاطفته
الوطنية ، ونظراته الأخلاقية ، وليشر وينذر ، ويرغب ويهرب ؛ فهو مجتهد من
هذه الناحية في موضوعاته الجديدة وموضوعاته القديمة ، حتى في وصفه لا يريد
أن يخليه من غرضه الذى ملك عليه قلبه ، ولا يحاول أن يجعله أدبا صرفا ، فهو
يشبه طول الليل بعهد الاحتلال ، إلى كثير من أمثال ذلك .

مقدمة الطبعة الأولى

ويتنزل في هذا الطور من الحياة ، ولكن لا في جارية ولا في غلام ، ويتغنى ولكن لا في كأس أو مدام ، إنما يتنزل في مصر ، ويتغنى بمصر ؛ ويأرق في حب مصر :

وما أنا والغرام وشاب رأسي * وغال شبابي الخطب الجسام
لعمرك ما أرقّت لغير مصر * ومالي دونها أمل يرام
ذكرت جلالها أيام كانت * تصول بها الفراغنة العظام
وأيام الرجال بها رجال * وأيام الزمان لها غلام
فأفلق مضجعي ما بات فيها * وباتت مصر فيه فهل ألام

لم يشأ حافظ أن يكون شعره في وطنياته طبلًا أجوف ، يقول القول عامًا لا يستند إلى مادة من حقائق ، وإنما اتخذ ما يحدث من أحداث اجتماعية في عصره أساسًا لدعوته ، وسنادًا لهجمته .

فقد كان يترصد كل حادث هام يعرض فيخلق منه موضوعًا لشعره ، ويملؤه بما يجيش في صدره .

تقوم حركة الجامعة ، ويستخدم الجدل بين أنصار الكتائب وأنصار الجامعة ، فيناصر الحركة الوطنية ، ويدعو إلى التبرع للجامعة ، ويبين مزاياها ، ويكتب هو بالشعر — كما يقول — ليكتب قومه بالمال .

وتحدث حادثة المؤيد ؛ وينقسم فيها الرأي العام في مصر قسمين : قسم يطالب بحرية المرأة في الزواج ، وقسم يطالب بالمحافظة على التقاليد ، فيتخذ ذلك وسيلة إلى تقرير المصريين باهتمامهم بصغائر الأمور ، وتركهم جسامها ، وتخزيهم فئات : منهم من يلوذ بالأمر ، ومن يلوذ بالعميد ، ومن يصبح مع الصائحين ، ثم يلدعهم لندما

مقدمة الطبعة الأولى

أليما في حبهم للجمالة ، وتركهم الصراحة ، وإلا فلهم يقرعون صاحب المؤيد
على فعلته ، والوفود تتوافد على بيته .

وتحدث حادثة دنشواى فيشن الغارة على الانجليز في تصرفهم ، وعلى بعض
المصريين في معاوتهم ، وعلى المصريين جميعا في استكاثهم ، ويلهب الشعور ،
ويشعل الحماسة ، ويستثير الدمع .

ويتحدث الناس في اللغة العربية ، وهل هي أداة صالحة للعلوم الحديثة ،
والأدب الحديث ، فيبين محاسنها ، ويظهر مزاياها ، ويدعو إلى إنهاضها ، ويتنى على
من لم يأخذ بيدها ؛ وهكذا شعره في رعاية الأطفال ، والجمعية الخيرية الاسلامية ،
ومساعدة العميان ، وما إليها .

كان في شعره سجل الأحداث ، إنما يسجلها بدماء قلبه ، وأجزاء روحه
ويصوغ منها أدبا قيما يستحث النفوس ، ويدفع إلى النهضة ، سواء أضحك في شعره
أم بكى ، وأقل أم يئس .

ويتسع أفقه في كثير من الأحيان ، فينظر إلى الوحدة العربية ، والوحدة
الاسلامية ، فكم قال في علاقة الشاميين والمصريين ، وفي الدعوه إلى الإخاء
والقضاء على من يبذر بذور البغضاء ؛ وكم قال في علاقة مصر بالآستانة ، وتبنى
نهضة الخلافة ، ورفع لوائها ، وعودة مكاتها ؛ وكم شعر في وحدة الشرق وتعاونه
وتبادل المنافع بين أجزائه ، فكان شعره مقربا للقلوب ، داعيا إلى ائتلاف الشعوب ،
ينتهز لذلك كل فرصة ، كافتتاح السكة الحديدية الحجازية ، وأعياد الدستور للأمة
التركية ، وحفلات التكريم التي يشترك فيها أدياء الشرق ، ونحو ذلك ، بل أحيانا يزيد
اتساع أفقه ، فينظر إلى الإنسانية كلها ، كالذى يقوله في زلزال مسينا :

مقدمة الطبعة الأولى

فسلام عليك يوم تولد * بت بما فيك من مغان حسان
وسلام على أمرئ جاد بالدم * مع وثني بالأصفر الرنان
ذاك حق الإنسان عند بني الإ نسان لم أدعكم إلى إحسان
ومما يتصل بناحية حافظ الاجتماعية أشد اتصال، شعره في الرئاء، فقد أكثر
منه، كما في ديوانه، وقد قال في ذلك عن نفسه :

إذا تصفحت ديوانى لتقرأنى * وجدت شعر المرائى نصف ديوانى
وقد أجاد فيه كل الإجادة ، وأحسن كل الإحسان ، وسبب ذلك ، أنه
استطاع في كثير من الأحيان أن ينقل الرئاء من مسألة فردية إلى مسألة اجتماعية ،
فموت الأستاذ الشيخ محمد عبده نكبة على مصر ، وعلى العالم الإسلامى ، وموت
مصطفى كامل كارثة على مصر وعلى الوطنية الحققة ، فهو يتسلل في حذق ومهارة بعد
تصوير الفقيده صورة كاملة ، إلى المسائل العامة الاجتماعية ، وبذلك يجلس حافظ
على عرشه ، ويقول في سهولة وجزالة ما برع فيه وفاق أقرانه .

وشئ آخر ، وهو أن الموت كان عند حافظ وسيلة من وسائل شكوى الزمان
والحق عليه ، والغيظ منه . فالزمان قد فعل بحافظ الأفاعيل ، فرماه بالبؤس والفقر ،
ورمى أمته بالتفرق والتواكل ، وبالاحتلال ، ورعى العالم الإسلامى بالغرب يمتص
دمه ، ويسومه سوء العذاب ، فما هو إلا أن يموت ميت من أصدقائه حتى يعبر
بحرجه وينفجر ألمه .

ونالك : هو أنه رحمه الله كان شديد الخوف من الموت ، دعاء ذلك إلى أن ينهى
نفسه ، ويتألم كثيرا لشيخوخته ، وبسوء المرض في كل عضو من أعضائه ، فإذا مات
قرين له أو صديق أو نديم راعه ذلك . لأن موته إنذار بموت حافظ ، وما أشد وقع
ذلك على نفسه .

مقدمة الطبعة الأولى

فكان يصوغ من نبوغه في الناحية الاجتماعية، ومن بغضه للدهر وحقه عليه،
ومن إشفافه على نفسه، رثاء يقطع الأحشاء، ويذيب لفائف القلب؛ ولولا هذه
مجتمعة ما بلغ في الرثاء ما بلغ.



قد يؤخذ عليه أنه لم يكن يتعمق في دراسة المسائل الاجتماعية، ولم يكن يكون
فيها رأيا بعد بحثها وتمحيصها، ودرس حججها، كوقفه في مسألة الزوجة، لقد
هرب من إبداء رأيه فيها، ولم يتحيز إلى أحد الفريقين، وترك المتنازعين يتنازعون
في حرية المرأة وتقييدها، وحاق في المسائل العامة التي أشرت إليها قبل؛ وكوقفه
إزاء دعوة قاسم أمين، فقد حكى عنه بعض أصدقائه رواية عنه، أنه لم يقرأ كتاب
تحرير المرأة، وإن كان قال فيه شعرا، ولم يقطع بإصابة قاسم أو خطئه، ويظل على
هذا حتى في رثائه، فيقول:

إن رأيت رأيا في الخجاب ولم * تعصم فتلك مراتب الرسل
الحكم لا لآيام مرجعه * فيا رأيت فم ولا تسلم
فإذا أصبت فأنت خير فتي * وضع الدواء مواضع العلل؟
أولا فحسبك ما شرفت به * وتركت في دنياك من عمل؟

فقرأه مضطربا لا يستطيع الجزم برأى؛ أو هو لا يريد. وتراه في بعض
المواقف السياسية يكتفى بسرد آراء الفريقين وحججهم، كما في قصيدته في وداع
اللورد كرومر، فقد حكى فيها آراء المادحين وآراء الناقدين، ثم قال:

نهذا حديث الناس والناس ألسن * إذا قال هذا صاح ذاك مفندا
ولو كنت من أهل السياسة بينهم .. لسجنت لى رأيا وبلغت مقصدا
ولكننى في معرض القول شاعر * أضاف إلى التاريخ قولاً مغلدا

مقدمة الطبعة الأولى

وهرب بذلك من إبداء رأى، وترجيح قول على قول .

ولكن قد يخفف من هذا النقص أن هناك فرقا كبيرا ، بين الأديب والعالم ، فالعالم يلاحظ الأشياء ليستكشف ظواهرها وقوانينها ، وعلاقتها بالأشياء الأخرى ، وعلاقتها بالظروف التي تحيط بها ، على حين أن الأديب يلاحظ الأشياء من حيث علاقتها بعواطف الانسان وطبيعته الأخلاقية ؛ فالعالم بالنبات مثلا يدرسه ليكشف كل الطبائع الخاصة ، وأوجه الشبه بينه وبين أمثاله من النباتات الأخرى ، ووظيفة كل جزء منه ، والتغيرات التي تطرأ عليه كلما نما ، حتى يصل به إلى الموت والفناء . أما الأديب فلا يهتم كل ذلك ، إنما النبات في نظره قد خلق لجماله ، وليست شجرة الورد في نظره إلا زهرته الجميلة وأريجها العطر .

فهذه الناحية الخاصة التي يعنى بها الأديب تغتفر لحافظ قلة عمقه في البحث وإمعانه في الدرس ، وتخفف حدة نقدنا في أنه كان ينظر إلى الأشياء نظرة عامة من ناحية اتصالها بعواطف الجمهور .

ومما يتصل بهذا أن حافظا كان يؤثر في الجمهور بالقائه بالقدر الذي يؤثر فيهم بنفس شعره ، لقد كان في نبرات صوته وحسن إجادته في الإلقاء يلعب بعواطف السامعين كما يلعب بها بالفاظه ومعانيه ، ومن أجل هذا ، يحسن ألا يقوم شعر حافظ ومقدار أثره في الجمهور بمقدار ما يقيسه قارئ لديوانه ، فهو بقراءته يفقد جزءا كبيرا من تأثيره السحري الذي كان يتركه في سامعه . ومن أجل هذا كان يطيل الوقت في تخير اللفظ الذي يحسن وقوعه في السمع ، كما يتخير الانسجام فيتغننى بالبيت قبل أن يدخله في عداد شعره ، وينصت إلى جرسه ووقعه على سمعه قبل أن يبدأ بإيقاعه على أسماع الناس .

مقدمة الطبعة الأولى

وعلى الجملة ، كان حافظ يرصد الحوادث الاجتماعية والسياسية كما يرصدها رجال مصر على اختلاف مناحيهم ؛ فيصوغها الصحفيون الوطنيون مقالات حارة قوية ؛ ويصوغها القادة وأولو الرأي أفكارا ينادون بها في مجلس الشورى ، أو الجمعية العمومية ، أو أحاديث وحكا وأمثالا في مجالسهم الخاصة ؛ ويصوغها حافظ شعرا قويا يغذى نفوس الشباب ، ويلهب شعور من سمعه .

كان طلبة المدارس الثانوية والعالية ينحازون إلى معسكرين : قسم يتعصب لحافظ ويفضله على شوقي ، وقسم يتعصب لشوقي ويفضله على حافظ ؛ وكنا نلاحظ أن من فضل حافظا كان يفضل لأن شعره غذاء قلبه ، وغذاء وطنيته ، ومن فضل شوقي فضله لفنه وخياله . فشيبة الوطنية إمامهم حافظ ، وشيبة الفن إمامهم شوقي .



ظل حافظ يغنى بشعره التقليدي — أولا — والجديد — ثانيا — نحو خمسة عشر عاما تنتهى سنة ١٩١١ ، لما عرضت عليه «وظيفة» دار الكتب . وطبيعى أن «الوظيفة» الحكومية لم تكن تتفق وشعر حافظ السياسى والاجتماعى فهو يدعو المصريين إلى الثورة ، والانجليز إلى الجلاء ، وحرام على الموظف وقتذاك أن يتكلم فى السياسة ، وأن يتصل بالجرائد ، فكيف يسمح بالشعر السياسى عامة ، ولشعر حافظ خاصة .

كان حافظ يفهم كل هذا حق الفهم ، فلما قبل الوظيفة كان معنى قبولها سكوته فى هذا الباب ، وقد بر بوعده ، وفى بشرطه غالبا ؛ فلم يقل من الشعر إلا قليلا ، وفى مناسبات ملحة ، ويتحفظ تام وحذر شديد ، أو أن تجميه الظروف .

غيره كثيرون بذلك وبقبوله الوظيفة ، ولكن لماذا نعيده وحده بالوظيفة ولا نعيده من ألباه ؟ لماذا نطلب منه التضحية بقوته ، ونؤنبه على سكوته ، ولا نؤنب

مقدمة الطبعة الأولى

الأمة وقتذاك تعجب به، ثم يتبخر هذا الإعجاب، ولا يتحول إلى قليل من مال يتبلغ به — الحق أن الأمة في تاريخها الماضي أبدت جمودا عجيبا وشحا أليما في حافظ وأمثاله؛ نصفق لهم طويلا، وتركهم يألون من الحاجة إلى ضروريات الحياة، وتعييهم إذا ركنوا إلى الوظيفة، ولا تشجعهم بقليل مما في أيديها، وتعم وتغرق في الترف، وتدعو المغنى أن ينشئ لها، ثم تضن عليه بأجره، فإذا طالبا به غضبت منه .

إذا — فليس من العدل أن نسرف في نقله على صمته، ونعييه بكسر عوده وقيثارته، فلم يفعل غير ما فعله من قبله :

غزلت لهم غزلا رقيقا فلم أجد * لغزلى نساجا فكسرت مغزلى

إنما يصح أن يوجه إليه نقد من نوع آخر، وهو أن حافظا لم يكن يستطيع — حقا — وقد قبل المنصب في دار الكتب أن يقول الشعر فيما كان يقول فيه قبل من اجتماعيات وسياسيات، ولكن لماذا سكنت عن فنون الشعر الأخرى، والمجال أمامه فسيح؟ فليس كل شعر سياسة واجتماعا، فهناك شعر الطبيعة، وهناك شعر القصص، وهناك شعر الوصف، وغيره من أنواع الشعر، ولم تكن وظيفته تمنعه من أن يقول في كل ذلك، أو في شيء من ذلك، وفي شوق المثل لهذا، فقد كان مقيدا في القصر بأشد من قيود دار الكتب، ومع هذا ظل يقول في فنون مختلفة من الشعر لا تتنافى وتقاليده القصر .

ولكن ما ذنب حافظ، ونبوغه إنما كان في ثورته، وإجادته في فورته، وطبيعته وتعليمه ودرسته تدعو إلى التبوع في سياسياته واجتماعياته، لا في غزله ونغمياته، وما يعيب الموسيقى أن يكون ملك العود، وليس ملك القانون، أو ملك الكمان، وليس ملك الناي، فليكن في إحداها خير عندي من سوقه في جميعها .

مقدمة الطبعة الأولى



وبعد، فما منزلة شعر حافظ في الشعر، وما قيمته الأدبية ؟

الشعر الجيد - في نظري - فيضان من شعور قوى، سما به الخيال، وحلّاه اللفظ، ووقع على نفحات الأوزان . فهو لا بد أن يتجمع فيه - ككل نوع من الأدب - عاطفة وخيال - وصياغة وجمال ؛ ويمتاز الشعر بأن له لغة خاصة غير لغة النثر، وللشاعر ملكة لا يمكن توضيحها تمام الوضوح، يستطيع بها أن يتخير من ألفاظ اللغة ما يرى أنها أبعث على إثارة المشاعر، وأفعل في نفس السامع ؛ ثم هو يضعها بعد في أساليب خاصة يتخيرها من بين التراكيب اللغوية، والأساليب الأدبية، يرى أنها تؤدي غرضه، وتخدم مأربه ؛ كما يمتاز بما له من موسيقى عبر عنها بالبحر والأوزان، ولهذه الأوزان فعل في النفوس كفعل «رنات المثلث والمثنى»، وللشاعر قدرة على أن يختار منها ما يناسب موضوعه، من رقة ولين في شعر الغزل، وقوة وجلبة في شعر الحماسة . والقصيدة على قافية قد يكون لها من الأثر في النفس ما ليس لقافية أخرى، وهكذا . وأخيرا حاجة الشاعر إلى الخيال الخصب أقوى من حاجة الناثر ! فلا بد له من اختراع صور، وتأليف مناظر، ومقارنة صورة بصورة، ومنظر بمنظر، حتى يثير المشاعر، ويحرك العواطف، ويقعل في النفوس فعل السحر .

وقد سلم شاعرنا من هذه الأمور ثلاثة ، قوة العاطفة، وحسن الصياغة ، وجمال الموسيقى . وأعوزه أمر منها وهو قوة الخيال .

فأما عاطفته فقوية فياضة ، وأكبر مظهر لقوتها إثارة نفس السامع والقارئ ؛ فبا يسمع شعره سامع ولا يقرؤه قارئ إلا توثبت نفسه ، وحاجت مشاعره ؛ وعواطفه صحيحة لا مريضة ، والعاطفة الصحيحة هي التي تدعو لأن تكون حياتنا

مقدمة الطبعة الأولى

أسعد وأقوى؛ حافظ يريد منا أن نتبوا مقعدنا بين الأمم، وأن يرفع عنا نير الاحتلال، وأن يعادل الشرق الغرب، وأن تكون حياتنا الاجتماعية خيرا مما هي، فلا تواكل ولا استئامة ولا خنوع. ويريد أن تكون لغتنا حية قوية؛ وأن نجتد في الحياة حتى ننعم بطبيعتها، ونحو ذلك من وجوه الإصلاح، فهو يمتلئ شعورا بذلك، ثم يصوغه شعرا يسير فينا سير العافية؛ وأجل ما في هذه العاطفة أنها ليست من ذلك النوع المألوف الذي اعتدناه في كثير من الأدب العربي من إفراط في المدح؛ فان العاطفة التي يبعثها ضعيفة من ناحية ميلها إلى أمور شخصية؛ والأدب الذي ينبعث من عاطفة عامة ويبحث عليها، خير من الذي ينبعث عن عاطفة شخصية ويبحث عليها. كما أن عاطفته ليست من هذا النوع الذي يذوب رقة في غزل، أو هياما في حب؛ فان هذا النوع قد كثرت حتى ملّ، وهو في كثير من الأحيان أجوف؛ وهو في كثير من الأحيان نتاج عاطفة مريضة، فليس من الخير أن يبيع الإنسان عواطفه بهذه السهولة وهذا الرخص.

فزية عاطفة (حافظ) في شعره عمومها وقوتها، وإن شئت فقل: وجدتها؛ فلم نعرف شاعرا عربيا قبله، ولا معاصرا له أفاض في العاطفة الوطنية والاجتماعية إفاضة.

قد يؤخذ عليه أن عاطفته ينقصها التنوع — كما أشرنا إلى ذلك قبل — فلا تجتد كثيرا من شعره في جمال الطبيعة، بل لاتجد شعره فيها حيا قويا، كما ترى في قصيدته في الشمس.

وسبب ذلك — على ما يظهر — أن طبيعة حافظ كانت مخالفة تمام المخالفة لمظهره الخارجي. كان مظهره الخارجي ضحوكا مرحا، لا يراه الرأي حتى يضحك

مقدمة الطبعة الأولى

من ضحكه ، ولا يكون في مجلس حتى يملأه سرورا وضحكا، ولكنه في أعماق نفسه حزين ، كالشمعة تضيء وهي تحترق ، أو كالمثل يجيد تمثيل دور الضاحك وهو في نفسه يذوب حشرات .

وهذا ما يعلل أيضا ضعف الفكاهة في شعره، وقوتها في مجلسه؛ وهذا ما يعلل أن نصف شعره رثاء كما يقول هو .

هذا الطبع الحزين يبعث عواطف حزينة، ويحمل على الإجابة فيها، فتوافق طبعه وشكوى الزمان والرثاء والبكاء على الأمة وعلى الشرق، ونحو ذلك .

ومن أجل هذا أيضا أجاد حافظ في أحد وجهي الوطنية، أكثر مما أجاد في وجهها الآخر، ذلك أن الشعر في الوطنيات والسياسيات والاجتماعيات يدور على التفاؤل والتشاؤم، والتأمل وعدمه، والترغيب والترهيب، والمدح للتشجيع، والذم للتقريع، فأجاد حافظ في التشاؤم وفي الترغيب وفي التقريع أكثر مما أجاد في التفاؤل والترغيب والتشجيع . لأن الضرب الأول أنسب لحزنه، وأقرب إلى نفسه؛ والثاني يحتاج إلى مقدار كبير من الأمل، والأمل يحتاج إلى سرور، وهو قليل في نفسه . بغير شعر حافظ ما اتصل بعاطفته الحزينة؛ فاما فرح بالطبيعة، وفرح بنفسه ونحو ذلك مما ينبعث من عاطفة السرور، فلم يكن له كبير مجال في شعره .

هذه العاطفة القوية التي شرحنا، بحث لها عن الثوب الذي تلبسه حتى عثرت عليه، فكانت صيغتها قوية، وموسيقاها قوية . يفتش عن اللفظ حتى يجد أنسبه لنفسه، وأنسبه لمعناه، ويعرض للترادفات، يقلبها حتى يختار خيرها ، وينثر كلماته ليتخير أشدها عودا، وأصلبها مكسرا؛ ويعمد إلى الأساليب يتصفحها ليوائم بين المعنى واللفظ والأسلوب . وكان «حافظ» يسمى هذه «العملية» كلها «التدقيق» ،

مقدمة الطبعة الأولى

يمدح بعض الشعراء بأنه «ذواق» يريد بذلك أن له ذوقا مرهفا في اختيار اللفظ واختيار الأسلوب. وقد بالغ في ذلك حتى كان جهده في اختيار الألفاظ والأساليب يفوق جهده في ابتكار المعاني، فهو يذهب مذهب من يرى أن المعاني مطروحة في الطريق، وإنما الإجادة في الصياغة. وهو يستعين على ذلك بالموسيقى، موسيقى اللفظ، وموسيقى الأسلوب، وموسيقى الأوزان والقوافي.

قد كان يصنع البيت فيردده على أذنه بإنشاده اللطيف حتى يتبين موقعه من أذنه قبل أن يوقعه على آذان الناس، ويتذوق موسيقاه بنفسه قبل أن يتذوقها الناس، فكان يراعى موسيقى الطول والقصر، وموسيقى الفخامة والرقّة، وموسيقى اللين والشدة، ويوائم بين ذلك وموضوعه، وبين ذلك ومعانيه وأغراضه، فيوفق في ذلك توفيقا كبيرا.

أما خياله، فكان مع الأسف — خيالا قريبا — قلل حظه من الابتكار، وقلل حظه من التصوير، قصر خياله عن أن يغوص في باطن الشيء فيصل إلى مكان الحياة منه، ثم يخرج إلى الناس كما يشعر به، وقصر عن أن يحلق في السماء فيصوّر منظرا عاما يجذب النفوس إليه.

لقد حاول أن يخلق بخياله قصة، ولكنها خرجت قصة عرجاء، تتخلج على الأرض، ولا تسبح في السماء، قريبة المثال، مضحكة التصوير — إن شئت فاقرا قصته في مدح البارودي التي مطلعها * تعمدت قتلى في الهوى وتعمدنا * إذ يصف ذهابه إلى حبيبته خفية، فيقلد عمر بن أبي ربيعة في رأيته المشهورة، ثم لا يحسن التقليد، ولا يأتي خياله بجديد، أو فاقرا قصته الشعرية التي وضعها في ضرب الأسطول الطلياني لمدينة بيروت، والتي مطلعها :

مقدمة الطبعة الأولى

ليسلى ما أنا حى * يربى ولا أنا ميت

ترخيالا ساذجا وتصويرا مهلهلا .

ولكن من ذا الذى حاز الكمال أجمع ، ومن ذا الذى بلغ شأو الفن فى جميع عناصره ، حسب الشاعر النابغة أن تكتمل فيه صفات ، ثم يستطيع أن يعوض ما نقص بالبراعة التامة فيما أتقن ؛ لئن نقص حافظ فى الخيال فقد غطى عيبه شيوخ الجبال فى مائرتواحيه ، وكفاه ذلك موهبة .



وقد رأى حضرة صاحب المعالى على زكى العراقي باشا وزير المعارف العمومية حبا منه فى الأدب ، وتقديرا لحق الوطن ، أن يجمع شعر حافظ ، وتقوم على طبعه وزارة المعارف .

وكان من حظى أن ندبى معاليه للقيام بهذا العمل ، فتنفصل وطلب إلى جمع شعره وضبطه وشرحه ، وتبويبه وتقديمه ، فاعتبطت للساهمة فى هذا العمل الجليل ، لأن حافظا شاعرا كبيرا ، ومن واجبه الأدبى أن نخلد شعره ، ونحفظ ذكره ، وهو شاعر الوطنية فى عصرنا ، غذى شعره الشعور الوطنى ، وألهبه غيرة وحماسة ، وكان داعيا للنهضة والمطالبة بالحركة حتى ننال استقلالنا .

فكان واجبا — وقد بدأنا — نبجى ثمار جهادنا ، أن تؤرخ قادة حركتنا ؛ وأول واجب نفعله فى تاريخ شاعر أن نجمع شعره ، ونعنى بشعره ، ونأخذ فى درسه . ومن حسن الطالع أن يكون صبور ديوانه ، معاصرا لنجاح دعوته ودعوة زملائه من القادة والزعماء والخطباء والأدباء الذين تعهدوا الحركة الوطنية ، وسهروا عليها ، وضخوا فى سبيلها ، ولم يدركهم فى ذلك سام ولا ملل ، ولم يفت فى ساعدهم

مقدمة الطبعة الأولى

تعذيب ولا اضطهاد، حتى تمت المعاهدة، وبدأنا ننعم بالاستقلال، نحمل عبئنا على ظهورنا، ونبذل جهدنا لنيل سعادتنا بأيدينا .
فإنحراج ديوان حافظ أمانة في عنقنا تؤدّيها، وواجب نهض به .



وكان من حظي أيضا أن شاركني في هذا العمل الأستاذان : (أحمد الزين)،
(ولم ابراهيم الإبياري) ؛ فقد لقيا من العناية في الضبط والشرح والتصحيح والترتيب ما أترك تقديره للقارئ الكريم . وكان لهما من العمل وبذل الجهد في ذلك فوق مالى . وإليهما يرجع أكثر الفضل في إنحراج الديوان على هذا الوضع .
كان حافظ رحمه الله غير منظم في عمله ، ولا حريص على تدوين شعره ، فيكتبه في ورقة حيثما اتفق ، ويلقيها أيضا حيثما اتفق ، فضاع كثير منه ، ولولا فضل الصحف والمجلات في نشره والاحتفاظ به ، لما بقى من شعره إلا القليل .
وقد جمع في حياته بعضا منه ، معتمدا على ما نشر في الصحف والمجلات ، وعلى ما كان منه عند الأصدقاء ، ولكن وقف في ذلك عند أجزاء ثلاثة صغارا ؛ نشر الجزء الأول منها سنة ١٣١٩ هـ مع تعليقات قيمة بقلم محمد إبراهيم هلال بك ، وقد استفدنا منها ؛ ونشر الثاني سنة ١٣٢٥ هـ ١٩٠٧ م ، والثالث سنة ١٣٢٩ هـ ١٩١١ م ؛ فأما شعره بعد ذلك فلم يجمع في حياته .

فلمّا توفي حافظ جمع الأديب الدمشقي السيد أحمد عبيد طائفة من شعره لم تنشر في ديوانه ، ونشرها بدمشق سنة ١٣٥١ ، وكذلك فعل في شوق وجمع ما نشر في رثائهما ، وبعض ما كتب عنهما ، وسمى كتابه ” ذكرى الشاعرين “ .
ثم نشرت مكتبة الهلال في مصر سنة ١٣٥٣ ديوانه مجموعا فيه ما نشر من قبل في الأجزاء الثلاثة ، وما نشره السيد أحمد عبيد ” في ذكرى الشاعرين “ .

مقدمة الطبعة الأولى

ولكن ما ورد في ذلك كله ليس وافيا ولا مستقصيا، فاضطررنا إلى أن نرجع إلى المجلات والصحف نتصفحها عددا عددا ، من يوم أن نشر له شعر، إلى يوم وفاته؛ ورجونا على صفحات الجرائد من القراء أن يبعثوا إلينا ما كان عندهم من شعره، فتمت لنا بذلك مجموعة هي أقصى ما وصل إليه جهدا .

ثم رتبناها حسب الموضوعات ، فذكرنا كل ما قاله في المديح ، ثم ما قاله في الهجاء ... الخ . وفي كل باب رتبنا ما جاء فيه حسب تاريخ قوله أو نشره، ثم أتبعنا ذلك بما قاله ولم نقف على تاريخه بالضبط، حتى ولو كانت القرائن تدل على زمنه، ورأينا هذا الوضع أقرب إلى الإفادة، وأدل على مناحي الشاعر . ووضعنا فهرسا مرتبة فيها القصائد حسب حروف الهجاء في آخر الديوان، ليسهل الرجوع إلى القصيدة لمن حفظ قافيتها .

وقد ضبطناه ضبطا كاملا لتسهيل قراءته على الناشئ، وشرحناه نوعين من الشرح : شرحا بذكر ظروف القصيدة وملابساتها وتاريخ نشرها أو قولها، حتى يتمكن القارئ من معرفة إشارات وجوها؛ إذ في ذلك أكبر إغاثة على فهمها وتقديرها؛ وشرحا لغويا لمفرداتها وأساليبها؛ وبيان المراد من عباراتها، وذكر الحوادث التاريخية التي أشار إليها في أبياتها، وقد نكون بالغنا بعض الشيء في كثرة الشرح والضبط، وعذرنا أننا راعينا نابتة الأدب، وناشئة الشعر، أكثر مما راعينا الخاصة والمنتهين؛ وقد رنا أن الديوان ستتناوله أيدي الطلبة في المدارس الثانوية ومن في مستواهم، فقصدناهم بالشرح، ونظرنا إليهم في البسط. ونرجو أن نكون قد وفقنا في تحقيق ما ندبنا له، وأدبنا شيئا من واجب الأمة والوزير والشاعر، والله الموفق ما

أحمد أمين

١٧ فبراير سنة ١٩٣٧

ديوان حافظ ابراهيم

المحتويات

صفحة	
٣	المداخل والتهانى
١٥٩	الأمهات
١٦٢	الإخوانيات
٢٠٥	الوصف
٢٣٩	الغزليات
٢٤٦	الغزل
٢٥٠	الاجتماعيات
٣١٩	السياسيات
٤٢٦	الشكوى
٤٤٥	المراثى
٥٦٣	قصائد لم تنشر فى الطبعة الأولى

(١)
فَرِحَتْ أَرْضُ الْحِجَازِ بِكُمْ * فَرَحَهَا بِالْهَاطِلِ الْهَتِنِ
(٢)
وَسَرَتْ بُشْرَى الْقُدُومِ لَهُمْ * بَكَ مِنْ مِصْرِ إِلَى عَدَنِ

(٣)
تهنئة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده بمنصب الإفتاء
(١٣١٧ هـ - ١٨٩٩ م)

(٤)
بَلَّغْتُكَ لَمْ أَنْسُبْ وَلَمْ أَتَعَزَّلِ * وَلَمْ أَقِفْ بَيْنَ أَلْهَوَى وَالتَّذَلُّ
(٥)
وَلَمْ أَصِفْ كَأْسًا وَلَمْ أَبْكِ مَتَرَلًا * وَلَمْ أَتَحِيلْ نَقْرًا وَلَمْ أَتَنْبَلِ
(٦)
فَلَمْ يَبْقِ فِي قَلْبِي مَدِيحُكَ مَوْضِعًا * تَجَوَّلُ بِهِ ذِكْرِي حَبِيبَ وَمَتَرَلِ
(٧)
رَأَيْتُكَ وَالْأَبْصَارُ حَوْلَكَ خُشِعَ * فَقُلْتُ (أَبُو حَفِصٍ) يُرِيدُكَ أَمْ (عَلِي)
(٨)
وَحَفِصْتُ مِنْ حُرْنِي عَلَى مَجْدِ أُمَّةٍ * تَدَارَكْتُهَا وَأَلْخَطَبُ لِلخَطْبِ يَعْتَلِي

- (١) سكن الشاعر «الفرح» لضرورة الوزن . والهاطل : المطر المتابع العظيم القطر . والهن : المنصب .
(٢) عدن : مدينة معروفة باليمن على ساحل بحر الهند . ويلاحظ أن آخر هذه القصيدة مفقود ؛ ولم يتيسر لنا العثور عليه ، فأثبتناها على اقتضاها . (٣) الشيخ محمد عبده ، هو ابن عبده بن حسن خير الله ؛ ولد في محلة نصر من إقليم البحيرة بمصر سنة ١٢٦٦ هـ . وتعلم العلم في الجامعين الأحمدي والأزهري ، وتولى عدة مناصب عليية وقضائية ودينية ، وآخر منصب تولاه منصب الإفتاء ، وظل فيه إلى أن توفي بالاسكندرية في سنة ١٣٢٣ هـ - سنة ١٩٠٥ م ، ودفن في القاهرة . (٤) بلغتك ، أى وصلت إلى مدحك . ولم أنسب : لم أشبب بالنساء . يريد أنه ابتداء القصيدة بمدحه ولم يسلك طريق الشعراء في تقديم النزل والفخر وما إليهما على المدح في أوائل القصائد . (٥) اتحل الشيء : ادعاه لنفسه وهو لغيره . وتبيل الرجل : تكلف النبيل وتشي به بالنبل . (٦) يشير إلى بيت امرئ القيس :
فقا نيك من ذكرى حبيب ومغزل * الخ
(٧) أبو حفص : كنية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وهى في الأصل كنية الأسد . وعلى : هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب . (٨) يريد بقوله «والخطب للخطب يعتل» : تراكم الخطوب بعضها فوق بعض .

المديح والتهاني

- (١) طَلَعَتْ بِهَا بِالْيَمَنِ مِنْ خَيْرِ مَطْلَعٍ * وَكُنْتَ لَهَا فِي الْقَوْزِ قَدَحَ (أَبْنِ مُقْبِلِ)
(٢) وَجَرَدَتْ لِلْفَتَا حُسَامَ عَزِيمَةٍ * بِحَدِيدِهِ آيَاتُ الْكِتَابِ أَلْمُتَّلِ
عَحَوْتَ بِهِ فِي الدِّينِ كُلِّ ضَلَالَةٍ * وَأَثَبَتْ مَا أَثَبَتْ غَيْرُ مُضَلِّ
لَنْ ظَفِيرَ الْإِفْتَاءِ مِنْكَ بِفَاضِلٍ * لَقَدْ ظَفِيرَ الْإِسْلَامِ مِنْكَ بِأَفْضَلِ
(٣) فَا حَلَّ عَقْدَ الْمُشْكِلَاتِ بِحِكْمَةٍ * سِوَاكَ وَلَا أَرَبِي عَلَى كُلِّ حَوْلِ



وقال يمدحه ويصف حضرته :

- (٤) قَالُوا صَدَقْتَ فَكَانَ الْصَّدَقَ مَا قَالُوا * مَا كُلُّ مُنَسِّبٍ لِلْقَوْلِ قَوْلُ
(٥) هَذَا قَرِيضِي وَهَذَا قَدْرُ مُتَدَحِي * هَلْ بَعْدَ هَذَيْنِ إِحْكَامٌ وَإِجْلَالُ
إِنِّي لَا أَبْصِرُ فِي أَشْأِ بُرْدَتِهِ * نُورًا بِهِ تَهْتَدِي لِلْحَقِّ ضَلَالُ
(٦) حَلَلْتُ دَارًا بِهَا تُثَلَّى مَنَاقِبُهُ * بِيَابِهَا أَزْدَحَمْتُ لِلنَّاسِ آمَالُ

- (١) القدح (بكسر القاف) : واحد قداح الميسر، وهي مهامه ، وقدح ابن مقبل ، يضرب مثلاً في حسن الأثر والقرز . وابن مقبل : رجل من بجاهلية العرب ، واسمه : تميم بن أبي بن مقبل ، شاعر مخضرم من العمرين ، وكانت كثير المقامرة ، فاز قدحه سبعين مرة متوالية ، فضرب به المثل في الفوز . (٢) جرد الحسام : سله من غمده . (٣) أربي : زاد . والحول : البصر بالأمور وتحولها ، لا تؤخذ عليه طريق إلا قدح في غيرها . (٤) القوال : حسن القول الحسن . أى قالوا صدقت في مدح الإمام وهم هادقون فيما وصفوني به . (٥) القرية : الشعر . ومتدحى ، أى مدحى . (٦) المناقب : المفاخر والأفعال الكريمة ، الواحدة : منقبة .

(١) تَيْمَمْتُهَا وَاللَّيْلُ فِي غَيْرِ زِيَةٍ * وَحَاسِدُهَا فِي الْأَفْقِ يُغْرِي بِي الْعِدَا
(٢) سَرَيْتُ وَلَمْ أَحْذَرْ وَكَانُوا بِمَرْصِدٍ * وَهَلْ حَذَرْتُ قَبْلِي الْكُؤَاكِبُ رُصْدَا
(٣) فَلَمَّا رَأَوْنِي أَبْصُرُوا الْمَوْتَ مُقْبِلًا * وَمَا أَبْصُرُوا إِلَّا قَضَاءَ تَجَسُّدَا
(٤) فَقَالَ كَبِيرُ الْقَوْمِ قَدْ سَاءَ فَالْنَا * فَلَمَّا نَرَى حَقًّا بِحَتْفٍ تَقْلِدَا
(٥) فَلَيْسَ لَنَا إِلَّا أَنْقَاءُ سَبِيلِهِ * وَإِلَّا أَعْلَ السَّيْفِ مِنَّا وَأَوْرَدَا
(٦) فَغَطُّوا جَمِيعًا فِي الْمَنَامِ لِيَصْرِفُوا * شَبَابًا صَارِمِي عَنْهُمْ وَقَدْ كَانَ مُغْمَدَا
(٧) وَخُضْتُ بِأَحْشَاءِ الْجَمِيعِ كَأَنَّهُمْ * نِيَامٌ مَقَاهُمْ فَاجِئُ الرَّعْبِ مُرْقَدَا
وَرُحْتُ إِلَى حَيْثُ أَلْتَنِي تَبَعْتُ أَلْتَنِي * وَحَيْثُ حَدَا بِي مِنْ هَوَى النَّفْسِ مَاحِدَا

(١) تيممتها : قصدت إليها . ويريد بقوله « في غير زية » : أنه ليل مقمر ليس في هيئته المبهودة من السواد والظلمة . ويريد « بالحاسد » (هنا) : البدر، لشبهها به في الجلال . (٢) سرى يسرى : سار بالليل . والمرصد : الرقيب . والرصد : الرقابة ، جمع راصد . (٣) يريد بقوله : « تجسد » أنه قضاء يحقق لاشك فيه ، حتى كأنه جسد بلس وينظر . (٤) يقال : ساء فالة ، أى ساء ظله . و « حتفا بحتف تقلد » ، أى موتا تقلد موتا ، يريد نفسه متقلدا سيفه . وقد خطأ بعضهم حافظا في تمديده « قلد » بالباء في هذا البيت ، وقال : « إنه من الأفعال المتعدية بنفسها لا بالحرف » . وهو مردود بقول الزجاج في قوله تعالى : (ولا الهدي ولا القلائد) : إنهم كانوا يقلدون الإبل بلحاء شجر الحرم . (٥) أعل : من العلل (بالتحريك) ، وهو السقية الثانية . أى إن لم تحل له سبيله من سيف من دمانا مرة بعد مرة . (٦) غط النائم غطا وغططا : نحر وترددت نفسه ساعدا إلى حلقه حتى يسمعه من حوله . وشابة الصارم : حده ، وجمعه : شبا . وقد يستعمل هذا الجمع في الشعر مكان المفرد كما في هذا البيت ، قال الشاعر :

أما شبا السيف مسلولا على القمم * فقد حمدنا ولم نذم شبا القمم

(٧) خضت بأحشاء الجميع : مررت وسطهم وعبرت عليهم . والمرقد : الشراب الذي يجلب

الرقاد .

المديح والتهاني

٩

- (١) وَحَيْثُ قَتَاةُ الْحَذَرِ تَرْقُبُ زَوْرِي * وَتَسْأَلُ عَنِّي كُلَّ طَيْرٍ تَقَرَّدَا
(٢) وَتَرْجُو رَجَاءَ اللَّصِّ لَوْ أَسْبَلَ الدُّجَى * عَلَى الْبَدْرِ سِتْرًا حَالِكَ اللَّوْنِ أَسْوَدَا
(٣) وَلَوْ أَنَّهُمْ قَدَّوْا غَدَائِرَ قَرْعِهَا * خَفَاكُوهَا لَهَا مِنْهَا نِقَابًا إِذَا بَدَا
فَلَمَّا رَأَتْني مُشْرِقَ الْوَجْهِ مُقْبِلًا * وَلَمْ تَتَّعِنِي عَنْ مَوْعِدِي خَشْيَةُ الرَّدَى
(٤) تَنَادَتْ وَقَدْ أَعْجَبَتْهَا - كَيْفَ قَتَهُمْ * وَلَمْ تَتَّخِذْ إِلَّا الطَّرِيقَ الْمُجْبَدَا
فَقُلْتُ: سَلِي أَحْشَاءَهُمْ كَيْفَ رُوِّعَتْ * وَأَسْأَلُهُمْ هَلْ صَاحَبَتْ مِنْهُمْ يَدَا
(٥) فَقَالَتْ: أَخَافُ الْقَوْمَ وَالْحِقْدُ قَدَبَرِي * صُدُورُهُمْ أَنْ يَبْلُغُوا مِنْكَ مَقْصِدَا
(٦) فَلَا تَتَّخِذْ عِنْدَ الرَّوَّاحِ طَرِيقَهُمْ * فَقَدْ يَقْنُصُ الْبَازِي وَإِنْ كَانَ أَصِيدَا
(٧) فَقُلْتُ: دَعِي مَا تَحْدَرِينَ فَإِنِّي * أَصَاحِبُ قَلْبًا بَيْنَ جَنِيٍّ أَيْدَا
(٨) فَالَتْ لَتَغْرِيبِي وَمَالَهَا أَلْهَوَى * فَدَثْتُ نَفْسِي وَالضَّمِيرُ تَرَدَّدَا
(٩) أَهْمٌ كَمَا هَمَّتْ فَأَذْكُرُ أَتْنِي * فَتَاكَ فَيَدْعُونِي هَذَاكَ إِلَى الْهَدَى

- (١) تغرد الطائر، كقترد: رفع صوته وطرب به . (٢) أسبل: أرخى . والحالك: الشديد السواد . (٣) قتلوا: قتلوا . والغدائر: الضفائر . والقرع من المرأة: شعرها، جمعه فروع . وحاكوا: نسجوا . والنقاب: البرقع . ويريد بهذا البيت والذي قبله أن محبوبته تريبو كما يريبو اللص أن يشتد الظلام ويستتر البدر، أو أن تجعل للبدر نقاباً من غداثرها السود ستراً لحبوبيها عن أعين الرناباء . (٤) الطريق المجدد: المهد المسلك . (٥) يرى الحقد صدورهم، أي أسقمها وأذليها . (٦) يقنص: يصاد . والبازي: نوع من الصقور يتخذ الصيد . والأصيد (ها): الأقدر على الصيد الأعرف به . (٧) الأيد (بتشديد الياء): القوى الشديد . (٨) مالاها: ساعدها وشايعها . (٩) يريد بهذا البيت والذي قبله أنها آتت لتغريه بنفسها وساعدها على ذلك هواها له وهواها لها، فهمت به وهم بها، ثم ذكر هدى الممدوح فاهتدى بهديه .

وَأُنْشِدُ أَشْعَارِي وَإِنْ قَالَ حَاسِدِي * نَعَمْ شَاعِرٌ لَكِنَّهُ غَيْرُ مِثْكَارِ
 فَخَسِي مِنْ الْأَشْعَارِ بَيْتٌ أَزِينُهُ * يَذْكُرُكَ يَا (عَبَّاسُ) فِي رَفْعِ مَقْدَارِي
 كَذَا فَلْيَكُنْ مَدْحُ الْمُلُوكِ وَهَكَذَا * يَسُوسُ الْقَوَافِي شَاعِرٌ غَيْرُ ثَرَّارِ^(١)
 وَيَسْلُبُ أَصْدَافَ الْبَحَارِ بَنَاتِهَا * بَنْفَتَةٌ سِحْرِ أَوْ بِمُخْطَرَةٍ أَفْكَارِ^(٢)
 مَعَانٍ وَالْفَاطِطُ كَمَا شَاءَ (أَحْمَدُ) * طَوْتُ جَزَلٍ (بَشَارِ) وَرِقَّةٌ مَهْيَارِ^(٣)
 إِذَا نَظَرْتَ فِيهَا الْعُيُونُ حَسِبْنَهَا * لِحُسْنِ أَنْسَجَامِ الْقَوْلِ كَالْجَدُولِ الْجَارِي^(٤)
 أَمْوَلَايَ هَذَا أَلْبَيْدُ وَافَاكَ فَاجِبُهُ * بِمُجَلَّةٍ إِقْبَالٍ وَبَيْنَ وَإِشَارِ^(٥)
 وَيَمْنُهُ وَأَنْثَرُ مِنْ سُعُودِكَ فَوْقَهُ * وَتَوَجَّهُ بِالْبُشْرَى وَمُرُهُ بِالسَّقَارِ^(٦)
 فَلَا زَالَتِ الْأَعْيَادُ تَبْغِي سُعُودَهَا * لَدَى مَلِكٍ يَسْرِي عَلَى عَدْلِهِ الْسَّارِي^(٧)
 وَلَا زَلَّتْ فِي دَسْتِ الْجَلَالِ مُؤَيِّدًا * وَلَا زَالَ هَذَا الْمُلْكُ فِي هَذِهِ الدَّارِ^(٨)

- (١) يسوس القوافي : يروضها ويذلها . والثرثار : المتشدد الذي يكثر الكلام تكلفا .
 (٢) بنات الأصدا ف : اللائ التي تكون فيها . والنفت : النخ ، وأضافه الى السحر ، لأن الساحر
 ينفث في العقد . (٣) الظاهر أنه يريد « بأحمد » : أبا الطيب أحمد بن الحسين المتني . ويقول :
 إن لشعره من الجزالة والرفقة ما يفوق جزالة بشار ورقة مهيأ . (٤) الجدول : النهر الصغير .
 (٥) حياه يحبوه : أعطاه بلا جزاء ولا من . وآثره ليطارا : خصه بالإكرام .
 (٦) يمينه ، أى أفض عليه من اليمن ، وهو البركة . والذي في القاموس وشرحه : « بين عليه »
 بتعدية هذا الفعل بالحرف . والإسفار : الإضاءة والإشراق . (٧) يسرى على عدله السارى .
 أى أن عدله قد ظهر واشتهر حتى صار منارا يهتدى به .
 (٨) الدست : صدر المجلس ؛ فارمى معرب .



وقال أيضا يمدحه ويهنته بعيد جلوسه في ٨ يناير سنة ١٩٠١ م

(١) ما ذا أدتَرَت لهذا الْعِيدِ مِنْ أَدَبٍ * فقد عَهَدْتُكَ رَبِّ السَّبْقِ وَالْعَلَبِ

(٢) تَشْدُو وتُرْهِفُ بالأشعارِ مُرْتَجِلًا * وتُبْرِزُ الْقَوْلَ بين السَّجَرِ وَالْعَجَبِ

(٣) وَتَصْقِلُ اللَّفْظَ في عَيْنِي فَأَحْبِبْنِي * أَرَى فِرْنَدَ سُيُوفِ الْهِنْدِ في الْكُتُبِ

هَذَا هو الْعِيدُ قد لاحتَ مَطَالِعُهُ * وَكُنَّا بين مُشْتاقٍ وَمُرْتَقِبِ

(٤) فَادْعُ أَلْيَانَ لِيَوْمٍ لَا تُطَاوِلُهُ * يَدُ الْبَلَاغَةِ في الْأَشْعَارِ وَالْخُطْبِ

(٥) إِنِّي دَعَوْتُ الْقَوافي حِينَ أَشْرَقَ لِي * عِيدُ الْأَمِيرِ فَلَبَّتْ غُرَّةَ الطَّلَبِ

(٦) وَأَقْبَلْتُ كَأَيْدِيهِ إِذَا آنَسَجَمْتُ * عَلَى الْوَرَى وَغَدْتُ مِنِّي عَلَى كَثْبِ

(٧) فُكِّمْتُ أَخْطَارَ مِنْهَا كُلَّ كَاسِيَةٍ * تَاهَتْ بَنْضَرَتِهَا في ثَوْبِهَا الْقَشِيبِ

وَحَارَ فِيهِ بَيَانِي حِينَ صُغْتُ بِهِ : * بِالْعِزِّ بَدَأْتُ أُمَّ بِالْمَجْدِ وَالْحَسْبِ؟

(٨) يَا مَنْ تَنَافَسَ في أوصافِهِ كَلِمِي * تَنَافَسَ الْعَرَبُ الْإِتْجَادِ في النَّسَبِ

- (١) في هذا البيت وما بعده يوجه الشاعر الخطاب الى نفسه . (٢) تشدو : تترنم .
وأرهِف بالشعر : قاله على البديهة ولم يهتد قبل إنشاده . (٣) تصقل اللفظ : تجلوه وتكسبه
رواقًا وملاوة . وفرنده السيف : ماؤه الذي يجري فيه ؛ مرتب . يشبه الشعر في بهجته وبهائه بالسيف
في لبعانه ورواقه . (٤) لا تطاوله : لا تبلغ مدى وصفه . (٥) غرة الطلب : أوله :
يريد أن الشعر أجابه أول ما طلبه ولم يحوجه الى تكرار الطلب . (٦) الأيادي : المتن .
وانسجمت : تواتت وتتابع . والكثب : القرب . (٧) الكاسية : ذات الكسوة ؛ ويريد
بها الألفاظ في ثوب من الجمال . والنضرة : الحسن . والقشيب : الجديد .
(٨) تنافس : تنافس وتبارى .

سَلُّوا فَلَكَ الدُّوَارَ هَلْ لَاحَ كَوَكَّبٌ * عَلَى مِثْلِ هَذَا الْعَرْشِ أَوْ رَاحَ كَوَكَّبٌ؟
 وَهَلْ أَشْرَقَتْ شَمْسٌ عَلَى مِثْلِ سَاحَةِ * إِلَى ذَلِكَ الْبَيْتِ (الْحَمِيدِي) تُنَسَّبُ؟^(١)
 وَهَلْ قَرَّ فِي بُرْجِ السُّعُودِ مُتَوَجٌّ * كَمَا قَرَّ فِي (يَلْدِيزَ) ذَلِكَ الْمُعْصَبُ؟^(٢)
 تَجَلَّى عَلَى عَرْشِ الْجَلَالِ وَتَاجُهُ * يَهْشُ وَأَعْوَادُ السَّرِيرِ تُرْجَبُ؟^(٣)
 سَمَا فَوْقَهُ وَالشَّرْقُ جَذْلَانُ شَيْقٍ * لَطَلَعَتِهِ وَالْغَرْبُ خَذْلَانُ يَرْقُبُ؟^(٤)
 فَقَامَ بِأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى تَرَعَّرَعَتْ * بِهِ دَوْحَةُ الْإِسْلَامِ وَالشَّرْكُ مُجْدِبُ؟^(٥)
 وَقَرَّبَ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ تَقَرُّبًا * إِلَى الْمَلِكِ الْأَعْلَى فَنِعَمَ الْمُقَرَّبُ؟^(٦)
 وَكَمْ حَاوَلُوا فِي الْأَرْضِ إطفَاءَ نُورِهِ * وَإطفَاءَ نُورِ الشَّمْسِ مِنْ ذَلِكَ أَقْرَبُ؟
 فَرَاغَهُمْ مِنْهُ بِجَيْشٍ مُدَجَّجٍ * لَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْحَقِّ مَذْهَبُ؟^(٧)
 يُدَانِي شُخُوصَ الْمَوْتِ حَتَّى كَأَنَّمَا * لَهُ يَنْ أظْفَارِ الْمَيْتَةِ مَطْلَبُ

(١) الحميدي : نسبة إلى السلطان عبد الحميد . (٢) يلديز : كان قصر الخلافة بالآستانة .
 والمعصب : المتوج ، وذلك لأن التاج يحيط بالرأس كالعصاية ، قال عمرو بن كلثوم :

بكل معصب من آل سعد * بتاج الملك يحيى المهجرينا

(٣) تجلَّى : ظهر . ويهش : يرتاح . (٤) جذلان : من الجذل (بالتحريك) ، وهو
 الفرج . والشيق : المشتاق . ويريد بالجدلان : المخدول . ولم نجد هذه الصيغة بهذا المعنى فيما
 راجعنا من مدونات اللغة ؛ وإنما ذكرها الشاعر موافقة لقوله في الشطر الأول : « جذلان » .

(٥) الدوحة : الشجرة العظيمة المنسعة الظل . (٦) يريد « بالمسجدين » (هنا) :
 بيت المقدس ومسجد المدينة ؛ ويشير بذلك إلى الخط الحميدي الجازي من دمشق إلى المدينة ، وقد بدأ
 العمل فيه في مايو سنة ١٩٠٠ م ، واحتفل بالقرآن منه وافتتاحه سنة ١٩٠٨ م .

(٧) راعهم : أفرغهم . والمدجج : المسلح .

(١) إِذَا نَارٌ فِي يَوْمِ الْوَعَى مَالَ مِنْكَ * مِنَ الْأَرْضِ وَالْأَطْوَادِ وَأَنْهَالَ مِنْكَ
(٢) لَهُ مِنْ رُءُوسِ الشَّمِّ فِي الْبَرِّ مَرْكَبٌ * وَمِنْ نَائِرِ الْأَمْوَاجِ فِي الْبَحْرِ مَرْكَبٌ
(٣) فِدَى لَكَ يَا (عَبْدَ الْحَمِيدِ) عِصَابَةٌ * عَصَتْ أَمْرَ بَارِيهَا وَحِزْبٌ مُذَبَذَبٌ
مَلَكَتْ عَلَيْهِمْ كُلَّ فَجٍّ وَجَلَّةٍ * فَلَيْسَ لَهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مَهْرَبٌ
(٤) تَقَاذِفُهُمْ أَيْدِي اللَّيَالِي كَأَنَّهُمْ * بِهَا مَثَلُ النَّاسِ فِي الْقَوْمِ يُضْرَبُ
(٥) وَكَمْ سَأَلُوهَا لَمْ أَذْيَالِكَ أَلَّتْ * لَهَا فَوْقَ أَجْرَامِ السَّمَوَاتِ مَسْحَبٌ
فَمَا بَلَّغُوا سُؤْلًا وَلَا بَلَّغُوا مَنًى * كَذَلِكَ يَشَقَّى الْخَبَائِنُ الْمُتَقَلِّبُ
(٦) فَيَا صَاحِبَ الْعِيدَيْنِ لَا زِلْتَ سَالِمًا * يَهْنِكَ بِالْعِيدَيْنِ شَرْقٌ وَمَغْرِبٌ
فَفِي كُلِّ رَوْضٍ مِنْكَ طِيبٌ وَنَضْرَةٌ * وَفِي كُلِّ أَرْضٍ مِنْكَ عِيدٌ وَمَوْكَبٌ
(٧) أَرَى يَصْرُ وَالْأَنْوَارُ : مِنْهَا مُورِدٌ * وَمِنْهَا الْجُيْنُ ، وَمِنْهَا مُذْهَبٌ
(٨) وَأَشْكَالُهَا شَتَّى فَهَذَا مُنْظَمٌ * وَذَلِكَ مَشُورٌ وَذَلِكَ مُقَبَّبٌ

- (١) الوعى : الحرب لما فيها من الأصوات والجلبة . ومنكب من الأرض ، أى ناحية منها .
والأطواد : الجبال العظيمة ، الواحد طود (بفتح الطاء) . والمعنى أن الأرض تيمد بهذا الجيش
لكثرة وعدته . (٢) الشم : الجبال العالية ، واحدا : أشم .
(٣) يشير الى حزب تركيا الفتاة الذى كان يعارض السلطان عبد الحميد فى سياسته .
(٤) تقاذفهم ، أى تقاذفهم . وقد شبههم فى تسيدهم فى البلاد بالأثال السائرة بين الناس
من لسان الى لسان . (٥) سألها ، أى سألوا الليالى . وأجرام السموات : أفلاكها .
والمسحب : المكان الذى تسحب عليه الأذيال . (٦) يريد «بالعدين» : عيد جلوس السلطان
وعيد تأسيس الدولة العثمانية . (٧) الجينى : نسبة الى الجين ، وهو الفضة . (٨) المقبب :
المصنوع على أشكال القباب .

(١) وَبَعْضٌ تَجَلَّى فِي مَصَابِيحَ، زَيْتُهَا * يُضِيءُ وَلَا نَارُ وَبَعْضٌ مَكْهُرَبٌ
(٢) وَأَنْظُرْ فِي بُسْتَانِهَا النُّجُومَ مُشْرِقًا * فَهَلْ أَنْتَ يَا بُسْتَانُ أَفْقُ مَكْهُرَبٌ
(٣) وَأَسْمَعُ فِي الدُّنْيَا دُعَاءَ بَنَصْرِهِ * يَرُدُّهُ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ وَيَثْرِبُ

تهنئة جلالة ادوارد السابع بتتويجه^(٤)

[نشرت في ٩ أغسطس سنة ١٩٠٢ م]

(٥) تَحْتَ مِنْ مِصْرَ ذَاكَ التَّاجَ وَالْقَمَرَ * فَقُلْتُ لِلشَّعْرِ هَذَا يَوْمٌ مِنْ شَعْرًا
(٦) يَادَوْلَةً فَوْقَ أَعْلَامٍ لَهَا أَسَدٌ * تَخْشَى بَوَادِرَ الدُّنْيَا إِذَا زَارًا
(٧) بِالْأُمِّسِ كَانَتْ عَلَيْكَ الشَّمْسُ ضَاحِيَةً * وَالْيَوْمَ فَوْقَ ذُرَاكِ الْبَدْرِ قَدْ سَفَرَا
(٨) يُؤْوِلُ عَرَشُكَ مِنْ شَمْسٍ إِلَى قَمَرٍ * إِنَّ غَابَتِ الشَّمْسُ أَوَّلَتْ تَاجَهَا الْقَمَرَا
(٩) مَنْ ذَا يُنَاوِيكَ وَالْأَقْدَارُ جَارِيَةً * بِمَا تَشَائِنَ ، وَالِدُنْيَا لِمَنْ قَهَرَا

- (١) يريد بقوله : « يضيء ولا نار » : أن هذا الزيت صاف براق . (٢) المكوكب : ذو الكواكب . (٣) البيت العتيق : الكعبة . ويثرب : اسم قديم لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم .
(٤) ولد ادوارد السابع في سنة ١٨٤١ م ، وول الملك في يناير سنة ١٩٠١ م ، وتوفي في سنة ١٩١٠ م .
(٥) يريد « بالقمر » : صاحب التاج . وشعر ، أى قال الشعر . (٦) الأسد : شعار الدولة الإنجليزية ، كما جعل النسر شعار الدولة الألمانية ، والهلل شعار الدولة العثمانية ، وغير ذلك .
والبادر : جمع بادرة ، وهى ما يبد من الشر . أى يسبق منه عند الحدة والغضب . (٧) يريد « بالشمس » : الملكة فكتوريا ملكة الإنجليز . والذرا : جمع ذرة ، وهى ما ارتفع من المواضع . ويريد « بالبدر » : ابنا الملك ادوارد السابع . وسفر : ظهر وانكشف . (٨) أولت : أعطت .
(٩) المتارة : المعادة والمعارضة .

المديح والتهاني

١٩

- (١) اذا أَبَسَمَتْ لَنَا فَالْدَهْرُ مُبْتَسِمٌ * وَإِنْ كَثُرَتْ لَنَا عَنْ نَابِهِ كَشَرًا
لَا تَعَجِبَنَّ لِمُلْكٍ عَمْرٍ جَانِبُهُ * لَوْلَا التَّعَاوُنُ لَمْ تَنْظُرْ لَهُ أَثَرًا
(٢) مَائِلٌ رَبُّكَ عَرِشًا بَاتَ يَحْرُسُهُ * عَدْلٌ ، وَلَا مَدَّ فِي سُلْطَانٍ مَنْ غَدَرَا
(٣) خَبَرْتُهُمْ فَرَأَيْتُ الْقَوْمَ قَدْ سَهَرُوا * عَلَى مَرَافِقِهِمْ وَالْمَلِكُ قَدْ سَهَرَا
(٤) تَشَاوَرُوا فِي أُمُورِ الْمَلِكِ مِنْ مَلِكٍ * إِلَى وَزِيرٍ إِلَى مَنْ يَفْرِسُ الشَّجَرَا
وَكَانَ فَارِسُهُمْ فِي الْحَرْبِ صَاعِقَةً * وَدُوَالِ السِّيَاسَةِ مِنْهُمْ طَائِرًا حَذَرَا
(٥) بِالْبَرْصِ صَافِنَةً دَاسَتْ سَنَايُكُهَا * مَنَاجِمَ التَّبْرِ لَمَّا عَافَتْ أَلَمَدَرَا
(٦) وَفِي الْإِحَارِ أَسَاطِيلُ إِذَا غَضِبَتْ * تَرَى الْبَرَائِكِينَ فِيهَا تَقْنِفُ الشُّرَرَا
(٧) وَهْنٌ فِي السَّلَامِ وَالْأَيَّامُ بِاسْمَةٍ * عَرَائِيسُ يَكْتَسِينِ الدَّلَّ وَالْخَقَرَا
(٨) حَتَّى إِذَا نَشَبَتْ حَرْبٌ رَأَيْتَ بِهَا * أَغْوَالَ قَفِيرٍ وَلَكِنْ تَنْهَشُ الْحَجَرَا

- (١) كثر عن نابه : كشف عنه وأبداه ؛ وهو مستعمل هنا في معنى التشير والغضب .
(٢) ثل الله عرشهم ، أى هدم ملكهم وأذهب عزهم .
(٣) المرافق : المنافع والمصالح . والملك (يتسكين اللام) : لغة في الملك (بكسرها) .
(٤) من يفرس الشجر ، أى الفلاح .
(٥) الصافنة : الخيل . والصافن منها : ما قام على ثلاث قوائم وطرف حافر الزاوية ، وهو من الصفات المحمودة فيها . والسنايك : أطراف الخوافر ، الواحد : سنيك (يضم السين والياء) . والمدر : القراب المطيد . يريد أن جيوشهم ملكت من الأرض أغناها وأكثرها ثروة حتى إن خيولهم تدوس ما تضمنت الأرض من ذهب ، لكثرة ما في أيديهم من الأماكن الغنية ، وكثرة أن تدوس التراب .
(٦) شبه سفنهم في الحرب ببرائكين النار . (٧) الخفر (بالتحريك) : شدة الحياة .
(٨) الأغوال : جمع غول ، شبه بها ما ترميه السفن من القذائف .

(١) اليومَ بِشِرْقٍ «إِدْوَار» عَلَى أَمْسٍ * كَانَهَا الْبَحْرُ بِالْأَذَى قَدْ زَحَرَ
 (٢) لَوْ أَمَطَرَ الْغَيْثُ أَرْضًا تَسْتَظِلُّ بِهِمْ * عَدَتْ رُءُوسَهُمْ عَنْ وَجْهِهَا الْمَطَرُ
 (٣) الْيَوْمَ يَلْتَمُ تَاجُ الْعِزِّ مُحْتَشِمًا * رَأْسًا يُدْبِرُ مُلْكًا يَكْلَأُ الْبَشَرَا
 (٤) يُصَرِّفُ الْأَمْرَ مِنْ مِصْرِ إِلَى عَدَنِ * فَالْهِنْدِ فَالْكَلْبِ حَتَّى يَمُورَ الْجُزُرَا
 (٥) قَدْ سَأَلْتَهُ اللَّيَالِي حِينَ أَنْعَجَزَهَا * عَقْدًا لِمَا حَلَّ أَوْ تَقْوِيمُ مَا أَطَرَا
 (إِدْوَار) دُمْتَ وَدَامَ الْمُلْكُ فِي رَغْدٍ * وَدَامَ جُنْدُكَ فِي الْآفَاقِ مُتَمِصَرَا
 (٦) حَقَنْتَ بِالْصُّلْحِ وَالرَّأْيِ السَّيِّدِ دَمًا * رَوَى الشُّعَابَ وَرَوَى الصَّارِمَ الذِّكْرَا
 هُمْ يَذْكُرُونَكَ إِنْ عَدُوا عُدُوهُمْ * وَتَحْنُ نَذْكُرُ إِنْ عَدُوا لَنَا (عُمَرَا)
 (٧) كَأَنَّمَا أَنْتَ تَجْعَزِي فِي طَرِيقَتِهِ * عَدَلًا وَحِلْمًا وَإِقَامًا بَيْنَ أَشْرَا

(١) آذَى البحر : موجه ، وجمعه : أواذى (بتشديد الياء) . شبه به الأمم التي تحت سلطان التاج البريطاني في كثرتها . (٢) «عدت رؤوسهم» انزع . أى صرفت رؤوسهم المطر عن وجه الأرض . يصفهم بكثرة العدد ، حتى إنهم لكثرتهم يحبسون وجه الأرض برؤوسهم فلا يمس المطر . (٣) محتشما ، أى مستحيا . ويكلا : يحفظ ويحرس . (٤) يصرف الأمر : يدبره ويقبله كما يشاء . (٥) أطراء عذبيه وثناه . والمعنى أن الدهر قد صالحه وسأله حين لم يقدر على مناوراته ومعارضته فيما أراد . (٦) يقال : حقن فلان دم فلان ، إذا حل به القتل فأقذاه . ويريد « بالشعاب » : الطرق ، الواحد : شعب (بكسر الشين) ، وهو فى الأصل : الطريق فى الجبل . والصارم الذكر : السيف الذى شفرته من الحديد الذكر ، ومنه من الحديد الأنثى . والحديد الذكر : هو أليس الحديد وأجوده . ويشير بهذا البيت الى الصلح فى الحرب التى كانت بين البوير والإنجليز ، وقد ابتدأت فى سنة ١٨٩٩م وانتهت فى سنة ١٩٠٢م وهى السنة التى قال فيها الشاعر قصيدته فى تويج إدوارد السابع . (٧) أشر بأشر (من باب فرح يفرح) : بطر ، يريد العاصى المتمرد .

إلى الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده^(١)

فالها في سفره إلى بعض بلاد الوجه البحري وكان مصاحبا له في هذا السفر

صَدَفْتُ عَنِ الْأَهْوَاءِ وَالْحُرِّ يَصْدِفُ * وَأَنْصَفْتُ مِنْ نَفْسِي وَذُو اللَّبِّ يُنْصِفُ^(٢)
 صَحِبْتُ أَلْهَدَى عِشْرِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً * فَقَرَّ يَقِينِي بَعْدَ مَا كَانَ يَرْجِفُ^(٣)
 فُرَحْتُ وَفِي نَفْسِي مِنَ الْيَأْسِ صَارِمٌ * وَعُدْتُ وَفِي صَدْرِي مِنَ الْحِلْمِ مُصْحَفُ^(٤)
 وَكُنْتُ كَمَا كَانَ (أَبْنُ عِمْرَانَ) نَاشِئًا * وَكَانَ كَنُّ فِي (سُورَةِ الْكَهْفِ) يُوصَفُ^(٥)
 كَأَنْ فُؤَادِي إِبْرَةٌ قَدْ تَمَغَطَسَتْ * بِحُبِّكَ أَيْ حُرْقَتْ عَنْكَ تَعَطَّفُ^(٦)
 كَأَنْ يَرَايَ فِي مَدِينِكَ سَاجِدٌ * مَدَامِعُهُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَذْرِفُ^(٧)
 كَأَنَّكَ وَالْآمَالُ حَوْلَكَ حُومٌ * تَمِيرُ عَلَى عِطْفِيهِ طَيْرٌ تَرْفِرُ^(٨)
 وَأَزْهَرَ فِي طَرِيسِي يَرَايَ وَأَتَمُّ لِي * وَلَقَطِي فَبَاتَ الطَّرْسُ يَنْحِي وَيَقْطِفُ^(٩)

(١) انظر التعريف بالأستاذ الإمام في الحاشية رقم ٣ ص ٤ من هذا الجزء . (٢) صدفت :

أعرضت وصددت . (٣) يرجف : يضطرب . ويشير بهذا البيت إلى قصة سمعانها منه وهي أن حافظا كان يظن بالأستاذ الإمام أنه شاك في عقيدته الدينية فيرقم بالشاعر الإسلامية من صلاة وموم ونحوهما فلما صحبه في هذا السفر واتصل به تلك المدة المذكورة كان يراه في الليل يكثر الصلاة والضرع لله تعالى مبالغا في كتمان ذلك عن حوله ؛ فأحسب الشاعر اعتقاده بالأستاذ الإمام وأيقن أنه كان على خطأ في ظنه الأول به ؛ ثم اهتدى بهديه ، وبقل شكك يقينا . (٤) يشير إلى قصة نبي الله موسى الكلام مع الخضر عليهما السلام ، وإكثار موسى على الخضر في الأسئلة ؛ وقد ذكر الله تعالى ذلك في سورة الكهف .

(٥) تعطف : ترجع . (٦) تذرف : تسيل . (٧) الحزم من الطيور : التي تدور

حول الماء ، الواحد : حاتم . والنمير : الماء . الناجع في الرى . والمطفان : الجبانان .

(٨) أزهر : أخرج الزهر . والطرس : الصحيفة التي يكتب فيها .

(١) وَجَمَعَ مِنْ أَنْوَارِ مَدْحِكَ طَاقَةً * يُطَالِمُهَا طَرْفُ الرِّبَيعِ فَيُطَرْفُ
(٢) تَهَادَى بِهَا الْأَرْوَاحُ فِي كُلِّ مُحْصَرَةٍ * وَتَمَشَّى عَلَى وَجْهِ الرِّيَاضِ تَعْرِفُ
(٣) إِمَامَ الْمُتَدَى إِنِّي أَرَى الْقَوْمَ أَبْدَعُوا * لَمْ يَدَعَا عَنْهَا الشَّرِيعَةُ تَعْرِفُ
رَأَوْا فِي قُبُورِ الْمَيِّتِينَ حَيَاتَهُمْ * فَقَامُوا إِلَى تِلْكَ الْقُبُورِ وَطَوَّفُوا
(٤) وَبَاتُوا عَلَيْهَا جَائِمِينَ كَأَنَّهُمْ * "عَلَى صَنِمٍ لِلْجَاهِلِيَّةِ عَكْفُ"
فَأَشْرَقَ عَلَى تِلْكَ النَّفُوسِ لَعَلَّهَا * تَرَقَّى إِذَا أَشْرَقَتْ فِيهَا وَتَلَطَّفُ
(٥) فَانْتَبَهَتْ بِهِنَّ كَالشَّمْسِ بِالْبَحْرِ إِنَّمَا * تَرْدُّ الْأَجَاجَ الْمِلْحَ عَذْبًا فَيُرَشَّفُ
(٦) كَثِيرُ الْأَيَادِي، حَاضِرُ الصَّفْحِ، مُنْصَفٌ * كَثِيرُ الْأَعَادِي، غَائِبُ الْحَقْدِ، مُسْعِفٌ

(١) الأنوار: جمع نور (يفتح النون)، وهو الزهر. والطاقة: الحزمة من الزهر. ويطالِمها طرف الربيع، أى تنظر إليها عينه. فيطرف، أى يصاب بما يؤذيه؛ يقال: طرف فلان عين فلان، إذا أصابها بشئ، فدمعت؛ وقد طرفت عينه (منيا للجهول) فهى مطروفة. يريد أن مدحه للاستاذ الإمام يفوق أنهار الربيع حسنا، فاذا نظر إليه الربيع ارتد طرفه عنه حسيرا.

(٢) تهادى، أى تتهادى. والتهادى: المشى فى لين وتثن؛ ويجوز أن يكون التهادى (هنا) من الإهداء، أى أن الرياح تحمل طيب هذه الطاقة فيهدى بعضها بعضا به. والسحرة: أول وقت السحر. وتعرف (بضم الراء)، أى قصير ذات عرف (يفتح العين وسكون الراء)، أى رائحة طيبة؛ أى أن الرياح تمر على الرياض حاملة طيب هذه الطاقة فتعطر الرياض به. (٣) أبدعوا: أجدوا. وتعزف (بضم الزاى وكسرهما): تنصرف وتعرض. (٤) جاثمون: ملازمون لما لم يهرجوا؛ وقوله من باب (نصر وضرب). وقوله: «على صنم» الخ: مجزيت من قصيدة للفرزدق، وقبلة:

لقد علم الجيران أن قدورنا جوامع للأزراق والريج زفر

ترى حولن المقترين كأنهم على صنم الخ

والعكف: العاكفون، من عكف على الشئ، إذا أزمه وحبس قلبه عليه.

(٥) بهم، أى فيهم. ويشير إلى ما هو معروف من تجمد البحر بحرارة الشمس وصيرورة هذا البخار صبا، ثم مطرا. والأجاج من الماء: الشدائد الملوحة. ويرشف، أى يشرب. وأصل الرشف: مص الماء بالشفتين. (٦) الأيادى: النعم. وغائب الحقد: لا يحقد على أحد.

له كُلِّ يَوْمٍ فِي رِضَى اللَّهِ مَوْقِفٌ * وَفِي سَاحَةِ الْإِحْسَانِ وَالْبِرِّ مَوْقِفٌ
 تَجَلَّى (جَمَالُ الدِّينِ) فِي نُورِ وَجْهِهِ وَأَشْرَقَ فِي أَثْنَاءِ بُرْدِيهِ (أَحْنَفُ)^(١)
 رَأَيْتُكَ فِي الْإِقْنَاءِ لَا تُغْضِبُ أَحْجَا * كَأَنَّكَ فِي الْإِنْفَاءِ وَالْعِلْمِ (يُوسُفُ)^(٢)
 فَانْتَ لَهَا إِنْ قَامَ فِي الشَّرْقِ مُرْجِفٌ * وَأَنْتَ لَهَا إِنْ قَامَ فِي الْغَرْبِ مُرْجِفٌ^(٣)
 كَلَّمْتَ كَلَالًا لَوْ تَسَاوَلَ كُفْرَهُ * لِأَصْبَحَ إِيمَانًا بِهِ يُخَنِّفُ^(٤)



وقال يهنته بعودته من سياحته في بلاد الجزائر :

[نشرت في ٦ أكتوبر سنة ١٩٠٣م]

بَكْرًا صَاحِبِي يَوْمَ الْإِيَابِ * وَفَقَايَ (بَعْنِ قَمِيْسٍ) قِفَايَ
 إِنِّي وَالَّذِي يَرَى مَا يَنْفِي * لَمَشُوقٌ لِيْظِلَّ تِلْكَ الرَّحَابِ^(٥)

- (١) يشير الى أستاذ المذبح الشيخ جمال الدين الأفطاني العالم الفيلسوف المعروف ، ورد مصر في زمن إسماعيل باشا ، وتلقى عليه العلم أذكياه الطلاب بالأزهر ، ومنهم الأستاذ المذبح ، فكانوا دعاة النهضة الحداثية وهداها . ويريد بالأحنف : الأحنف بن قيس القيسى ، وكان من سادات التابعين ، مشهورا بالحلم ، وأسلم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصحبه ، وشهد بعض الفتوحات ، وتوفى حوالى سنة سبع وستين .
- (٢) الحجا : العقل . يريد أن الأستاذ الإمام وفق بين الدين والعقل في فتاويه . ويوسف ، هو نبي الله يوسف الصديق عليه السلام ، ويشير الى قوله تعالى في سورة يوسف : (ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما) الآية .
- (٣) لها ، أى لمة الإسلام . والمرجف : الذى يخوض فى الأخبار السيئة على أن يوقع فى الناس الاضطراب من غير أن يصح عنده شئ . منها . (٤) يخفف به : يتبد به . يشير الى ما هو مأثور فى كلام القرى من قولهم : كل شئ . يتناوله الليل يحول الى علة ، وكذلك العكس ، فنكل شئ . يتناوله الصحيح يحول الى صحة ، والكامل لما يتناول الكفر صار إيمانا . وكان الأستاذ الإمام كثيرا ما يرد هذه العبارة . ويريد الشاعر أن كمال الأستاذ الإمام لو تناول كفر هذا المرجف لصيره إيمانا .
- (٥) الذى يرى ما بنفسه هو الله تعالى .

يا أَمِينًا عَلَى الْحَقِيقَةِ وَالْإِفْ * سَاءَ وَالشَّرِّعَ وَالْهُدَى وَالْكَتَابِ
 أَنْتَ نِعَمَ الْإِمَامُ فِي مَوْطِنِ الرَّأ * يَ وَنِعَمَ الْإِمَامُ فِي الْحَرَابِ
 خَشَعَ الْبَحْرُ إِذْ رَكِبْتَ جَوَارِيهِ * بِهِ خُشُوعَ الْقُلُوبِ يَوْمَ الْحِسَابِ^(١)
 وَبَدَأَ مَاؤُهُ تَحَايِرَكَ الْمَصْ * قُفُولٍ أَوْ كَالْفِرْنِدِ أَوْ كَالسَّرَابِ^(٢)
 يَجْعَلِي كَأَنَّهُ صُحُفُ الْأَبْ * رَارٍ مَلْشُورَةٍ بِيَوْمِ الْمَلَابِ^(٣)
 عَلِمْتَ مَنْ يُقَالُ فَانْبَعَثَ لِي * قَصْدٍ مِثْلَ أَنْبَاءِهِ لِلثَّوَابِ^(٤)
 فَهِيَ تَسِيرِي كَأَنهَا دَعْوَةُ الْمُضْ * طَرَّ فِي مَسْبَجِ الدُّعَاءِ الْجُبَابِ^(٥)
 وَضِيَاءُ (الْإِمَامِ) يُوضِحُ لِلرَّبِّ سُبُلَ النَّجَاةِ فَوْقَ أَلْبَابِ^(٦)
 بَاتَ يُغْنِيهِ عَنْ مُكَالَفَةِ الْبَحْ * يَرِ وَرُقِي النَّجُومِ وَالْأَقْطَابِ^(٧)
 وَسَرَى الْبَرْقُ لِلْجَزَائِرِ بِالْبُشْ * رَى بِقُرْبِ الْمُطَهَّرِ الْأَوَابِ^(٨)
 فَسَعَى أَهْلُهَا إِلَى شَاطِئِ الْبَحْ * يَرِ وَفُودًا بِالْبُشْرِ وَالْتَرَابِ^(٩)
 أَدْرَكُوا قَدْرَ ضَعْفِهِمْ فَأَقَامُوا * يَرْقُبُونَ (الْإِمَامَ) فَوْقَ السَّحَابِ

- (١) الجوارى : السفن . (٢) المصقول : المجلز . وفرد السيف : ماؤه الذي يترقق فيه ؛ وهو فارسي معرب . والسراب : ما يرى على البعد في نهاية الأفق كأنه الماء وليس به . شبه الشاعر به ماء البحر في الصفاء . (٣) المَلَاب : المربع ، ويوم المَلَاب ، أى يوم القيامة . شبه ماء البحر بصحف الأبرار في الصوع والنقاء . (٤) علته ، أى السفينة . ونقل : تحمل . (٥) مسح الدعاء ، أى طريقه . (٦) عباب البحر : موجه . (٧) الرقي : المراقبة . (٨) الأتواب : الكثير الرجوع إلى الله ، (٩) يشير بهذا الكلام إلى ما ذهب إليه بعض الشيعة من أن محمد بن الحنفية سرجع إليهم في ظلال من الغمام ، فشبّه الأستاذ الإمام به .

لَيْتَ مِصْرًا كَثِيرًا تَعْرِفُ الْفَضْلَ * لَيْلِي أَلْفُضْلٍ مِنْ ذَوِي الْأَلْبَابِ
لَئِنْهَا لَوْ دَرَّتْ مَكَانَكَ فِي الْحَجِّ * يَدِ وَمَرَمَاكَ فِي صُدُورِ الصَّعَابِ
وَتَفَانِيكَ فِي سَبِيلِ (أَبِي حَفْصٍ) * وَمَسْعَاكَ عِنْدَ دَفْعِ الْمُصَابِ^(١)
لَاظْلَمْتَكَ بِالْقُلُوبِ مِنَ الشَّنَةِ * سِيسِ وَوَارَتْ عِدَاكَ تَحْتَ التُّرَابِ
أَنْتَ عَلِمْتَنَا الرُّجُوعَ إِلَى الْحَقِّ * وَرَدَّ الْأُمُورِ لِلْأَسْبَابِ^(٢)
ثُمَّ أَشْرَفْتَ فِي (الْمَنَارِ) عَلَيْنَا * بَيْنَ نُورِ الْهُدَى وَنُورِ الصَّوَابِ^(٣)
فَقَرَأْنَا عَلَى ضِيَائِكَ فِيهِ * كَلِمَاتِ الْمُهِمِّينَ الْوَقَابِ^(٤)
وَسَكَّنَا إِلَى الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ * لَهُ وَكُنَّا مِنْ قَبْلِهِ فِي أَرْثِيَابِ
أَيْ هَذَا الْإِمَامُ أَكْثَرَتْ حُسَا * دِي فَبَاتَتْ نُفُوسُهُمْ فِي الْإِهَابِ
أَبْصَرُوا مَوْفِي فَعَزَّ عَلَيْهِمْ * مِنْكَ قُرْبِي وَمِنْ مَلَاكَ اتِّسَابِي^(٥)
أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عِشَاءً وَبَاتُوا * يُسْمِعُونَ الْوَرَى طَيِّينَ الذُّبَابِ^(٦)
وَنُسُوا رَبَّهُمْ وَقَالُوا صَمِينَا * بُعْدَهُ عَنِ رِحَابِ ذَاكَ الْجَنَابِ

-
- (١) « وتفانيك في سبيل أبي حفص » ، أي أسماتك في نصرة الحق ، وهو سبيل أمير المؤمنين
عمر بن الخطاب . (٢) يريد (مجلة المنار) المعروفة ، التي كان يحررها المحرم الشيخ محمد رشيد رضا
تلميذ الأستاذ الإمام ، وقد أنشئت هذه المجلة في سنة ١٣١٥ هـ (سنة ١٨٩٨ م) .
(٣) يشير بذلك إلى ما كان ينشر في (مجلة المنار) من تفسير الأستاذ الإمام لبعض آيات القرآن
الكريم . (٤) سكن إلى الأمر : اطمأن إليه ووثق به .
(٥) أجمعوا أمرهم عشاء ، أي بنوا النية على الكيد والوشاية .
(٦) يريد جناب الأستاذ الإمام .

(١) قُلْ لِمَجْمَعِ الْمُنَافِقِينَ وَمِنْهُمْ * خُصَّ بِالْقَوْلِ عَبْدٌ أَمَّ الْحَبَابِ
(٢) عَبْدَ تَلَكَ أَلَّتِي يُحَرِّمُهَا اللَّهُ * إِيَّاءَ الْأَزْلَامِ وَالْأَنْصَابِ
(٣) إِنِّي نَفَسُ الْإِمَامِ فَوْقَ مُنَاهُمْ * مَا تَمَنَّوْا وَإِنِّي غَيْرُ صَائِي
شَابَ فِيهِمْ وَلَاؤُهُمْ حِينَ شَابُوا * وَلَا إِنِّي فِي عُنُقِ الشَّبَابِ



وقال فيه عند عودته من بعض أسفاره :

(٤) لَوْ يَنْظِمُونَ اللَّائِي مِثْلَ مَا نُظِمَتْ * مُذْ غَبَتَ عَنَّا عُيُونُ الْفَضْلِ وَالْأَدَبِ
(٥) لَا اقْبَرَ الْجِدُّ مِنْ دُرٍّ يُحِيطُ بِهِ * وَالنَّغْمُ مِنْ لَوْلِيٍّ وَالْكَأْسُ مِنْ حَبِيبِ



وقال مدافعا عنه أيضا ضد من حمل عليه من أعدائه في الصحف

ورسموا له صورا تزرى بقدره :

إِنْ صَوَّرُوكَ فَإِنَّمَا قَدْ صَوَّرُوا * تَاجَ الْفَخَّارِ وَمَطْلَعَ الْأَنْوَارِ

(١) أم الحباب : تحاية عن الخمر . والحباب : الفقايع التي تملو الشراب في الكأس . ويريد « بعبه أم الحباب » : أحد الساعين في التفريق بينه وبين الأستاذ الإمام ، وكان مدعيا للخمر .
(٢) إزاء الأزلام ، أى معها . والأزلام : مهام الميسر ، الواحد زلم (بالتحريك) . والأنصاب : ما ينصب من الأوتان ليعبد من دون الله ، الواحد نصب (وزان عتق وقفل) . ويشير بهذا الى قوله تعالى : (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام) الآية . (٣) صائى ، أى صائى (بالهمز) ، وهو الخارج من دين الى دين ؛ واستعمله هنا فى المتحول عن مودته . (٤) يريد « بعبون الفضل والأدب » : ما كان يحبه الأستاذ الإمام فى غيته من مقالات وخطب . (٥) الجيد : العتق . وجب الكأس : الفقايع التي تملو شراب . والمراد بهذا البيت والذي قبله أن الناس لو أرادوا أن ينظموا مثل ما نظمتم فى خطبك ورسالتك لم يجدوا غير در النحر ولا لئ التور وحبب الكؤوس شيئا بما قلت ، ولا استفد نظمهم كل ذلك .

أَوْ نَقْصُوكَ فَإِنَّمَا قَدْ نَقَّصُوا * دِينَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ الْمُخْتَارِ
 سَخَّرُوا مِنَ الْفَضْلِ الَّذِي أُوتِيَتْهُ * وَاللَّهُ يَسْخَرُ مِنْهُمْ فِي النَّارِ
 لَا تَجْزَعَنَّ فَلَسْتَ أَوَّلَ مَا جِدِ * كَذَبْتَ عَلَيْهِ صَحَائِفُ الْفُجَارِ
 رَسَّمُوا بِذَاتِكَ لِلنَّوَاطِرِ جَنَّةً * مَحْفُوفَةً بِمَكَارِهِ الْأَشْعَارِ^(١)
 وَقَوْلُوا عَنْكَ الْقَبِيحَ وَهَكَذَا * يُمْنَى الْكَرِيمُ بِغَارَةِ الْأَشْرَارِ^(٢)
 لَنْ يَحْجُبُوكَ عَنِ الْوَرَى أَوْ يَحْجُبُوا * فَلَقَى الصَّبَاحَ وَمَشْرِقَ الْأَقْصَارِ^(٣)
 أَوْ يَبْلُغُوا عَلَيْكَ حَتَّى يَبْلُغُوا * يَبْنَ الزَّوَاهِرِ صُورَةَ الْجَبَارِ^(٤)
 مَا أَنْتَ ذِيكَ الْبَيْضُ فَتَنْتَنِي * مُتَسَرِّبًا بِالْعَارِ فَوْقَ الْعَارِ^(٥)
 لَيَبُوءَا بِهِ فِي صُورَةٍ قَدْ أَسْفَرَتْ * عَنْ عَزْلِهِ فَأَقَامَ حِلْسَ الدَّارِ^(٦)

(١) يشير الى قوله صلى الله عليه وسلم : «حفت الجنة بالمكاره» . شبه صورة الإمام في وصف أعدائه وما كتبوه حولها من مستكره المجهو بالجنة التي حفت بالمكاره . (٢) يقال : تقول عليه الخبر، اذا افترأ . ويعنى : يتلى ويصاح . (٣) أو يحجبوا، أى حتى يحجبوا . وعلق الصباح : ضومه أول ما يبدو . (٤) الزواهر : النجوم . والجبار : اسم الجوزاء ؛ يقال : «طلع الجبار» وذلك لأنها على صورة ملك متوج على كرمى . (٥) المتسريل : اللابن . (٦) حلس الدار : الذى يلزمها ولا يبرحها . ويشير الى أنهم كانوا قد رسموه على صورة قسمرائه قد عزل من منصب الإفتاء وأقام فى داره . واستعماله «أسفرت» بمعنى «سفرت» ، أى كشفت وأظهرت ، لم يرد فى كتب اللغة التى بين أيدينا ، وهو استعمال شائع بين كتاب العصر . والذى فى كتب اللغة أن «أسفر» بمعنى أضاء وأشرق ؛ وليس مرادها هنا .

تهنئة الخديوى عباس الثانى بعيد الأضحى سنة ١٣٢١ هـ

[نشرت في ٢٥ فبراير سنة ١٩٠٤ م]

- (١) طُفْ بِالْأَرِيكَ ذَاتِ الْعِزِّ وَالشَّانِ * وَأَقِصْ أَلْمَناسِكَ عَنْ قَاصٍ وَعَنْ دَانِي
- (٢) يَا عَيْدُ لَيْتَ الَّذِي أَوْلَاكَ نِعْمَتَهُ * بِقُرْبٍ صَاحِبٍ مُضِرِّكَ كَانَتْ أَوْلَانِي
- (٣) صُفْتُ الْقَرِيضَ فَاغَادَرْتُ لُؤْلُؤَهُ * فِي تَاجٍ (كَسْرَى) وَلَا فِي عِقْدٍ (بُورَانِ)
- (٤) أَغْرَيْتُ بِالْفُؤُوسِ أَقْلَامِي فَا تَرَكْتُ * فِي بِلْجَةِ الْبَحْرِ مِنْ دُرٍّ وَمَرْجَانِ
- (٥) شَكَأْتُ (عُمَانُ) وَصَيَّحَ الْغَائِصُونَ بِهِ * عَلَى الْآلِي وَصَيَّحَ الْحَاسِدُ الشَّانِي
- (٦) كَمْ رَامَ شَأْوِي فَلَمْ يَذُرْكَ سِوَى صَدْفٍ * سَامَحْتُ فِيهِ لِنَظَامٍ وَوَزَانِ
- (٧) حَابُوا مُسْكُوتِي وَلَوْلَاهُ لَمَا نَطَقُوا * وَلَا جَرَتْ خَيْلُهُمْ شَوْطًا بِمَيْدَانِ
- وَالْيَوْمَ أَثْنَيْتُهُمْ شِعْرًا يُعِيدُهُمْ * عَهْدَ (النَّوَاسِي) أَوْ أَيَّامَ (حَسَّانِ)

(١) الأريكة : سرير الملك . وقد شبه في هذا البيت ما يؤديه المخلصون للخديوى من شعائر الولاء بالذين يؤدون مناسك الحج . ومناسك الحج : أموره وشؤونه ، أو المواضع التي تذبج فيها ذبائحهم .

(٢) أولاك : أعطاك . (٣) كسرى : لقب ملك الفرس . وبوران ، هي بوران دخت بنت كسرى ؛ أو هي بوران بنت الحسن بن سهل . شبه شعره بالآلى التي في هذا التاج وذلك العقد .

(٤) أغراه به : حظه عليه . (٥) عمان ، كورة عربية على ساحل بحر اليمن والهند يجلب منها اللؤلؤ . يقول : إن مناص اللؤلؤ بهذا الموضع ومن يفوضون به قد شكوا وتغيظوا من كثرة ما أناله من الآلى الغالية التي أرمع بها شعري وأحول بينهم وبينها ؛ وهي مبالغة في تشبيه شعره بالنفاسة . والثاني بالهمز (وسل للشعر) : المبيض السيئ الخلق . (٦) الشار : الغاية . ويريد « بالنظام والوزان » : الذين يقولون الشعر خالين من المعاني ذات القيمة . (٧) يريد « بالنواسي » : أبا نواس الشاعر المعروف . وحسان ، هو أبو الوليد حسان بن ثابت الأنصاري شاعر النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وكانت وفاته سنة أربع وخمسين هجرية .

المدح والتهاني

٢٩

(١)
أَرْفُ فِيهِ إِلَى (الْبَاسِ) غَائِبَةً * عَفِيفَةَ الْخُذْرِ مِنْ آيَاتِ عَدْنَانِ
مِنْ الْأَوَانِيسِ حَلَاها يَرَاغُ قَتَّى * صَافِي الْقَرِيحَةِ صَاحِجٌ غَيْرُ تَشْوَانِ
(٢)
مَا ضَاقَ أَصْغَرُهُ عَنْ مَدْحِ سَيِّدِهِ * وَلَا اسْتَعَانَ بِمَدْحِ الرَّاحِ وَالْبَانِ
(٣)
وَلَا اسْتَهْلَ بِذِكْرِ الْغَيْدِ مَدْحَتَهُ * فِي مَوْطِنٍ يَجَلَلُ الْمُلُوكِ رَيَّانِ
أَغْلَيْتَ بِالْعَدْلِ مُلْكًا أَنْتَ حَارِسُهُ * فَأَصْبَحَتْ أَرْضُهُ تُشْرِى بِمِيزَانِ
جَرَى بِهَا الْخِصْبُ حَتَّى أَنْبَتَتْ ذَهَبًا * فَلَيْتَ لِي فِي ثَرَاهَا نَصَفَ قَدَانِ
نَظَرْتُ لِلنَّيْلِ فَاهْتَرَّتْ جَوَانِبُهُ * وَفَاضَ بِالْخَيْرِ فِي سَهْلِ وَوِذْيَانِ
(٤)
يَجْرِي عَلَى قَدَرٍ فِي كُلِّ مُنْهَدَرٍ * لَمْ يَحْفُفْ أَرْضًا وَلَمْ يَعْمِدْ لَطْفِيَانِ
كَأَنَّهُ وَرِجَالُ الرِّىِّ تَحْرُسُهُ * مُمْلِكٌ سَارَى جُنْدٍ وَأَعْوَانِ
(٥)
قَدْ كَانَ يَشْكُو ضَيَاعًا مُدْجَرَى طُلُقًا * حَتَّى أَقَمَتْ لَهُ تَحْرَانِ أَسْوَانِ
(٦)
كَمْ مِنْ يَدٍ لَكَ فِي الْقَطْرَيْنِ صَالِحَةٍ * فَاصْبَتْ عَلَيْنَا بِجُودٍ مِنْكَ هَتَانِ

- (١) شبه قصيدته في حسنها وجمالها بالغانية، وهي الفتاة التي غنيت بجمالها عن الحلى . ويريد بقوله :
« عَفِيفَةُ الْخُذْرِ » : اختصاص مدحته بالخديوى تشبها لها بالغانية التي لم يطرق خدرها غير حليلها .
« وَمِنْ آيَاتِ عَدْنَانِ » أى أنها عربية صميّة . (٢) أصغره، أى لسانه . والراح : النحر .
ويريد بقوله : « وَلَا اسْتَعَانَ » الخ . أنه لم يجر على طريقة الشعراء في ابتداء قصائد الملح بوصف النحر
وما إليها . (٣) استهل : ابتداء . والغيد من النساء : التواجم الليات منهن ، الواحدة غادة .
(٤) على قدر ، أى على حساب ومقدار . ويريد بقوله : « وَلَمْ يَعْمِدْ لَطْفِيَانِ » : أنه لم يفرق البلاد
بكثرة فيضانه . ويشير بهذا البيت الى ما يقوم به المهندسون في تدوير ماء النيل .
(٥) طلقا (بضم الطاء واللام) ، أى مطلقا بلا قيد ولا حبس . (٦) يريد « بالقطرين » :
مصر والسودان . وهتان ، أى منصب .

- (١) رَدَدْتَ مَا سَلَبْتَ أَيْدِي الزَّمَانِ لَنَا * وَمَا تَقَلَّصَ مِنْ ظِلِّ وَسُطَانِ
(٢) وَمَا قَعَدْتَ عَنِ السُّودَانِ إِذْ قَعَدُوا * لَكِنْ أَمَرْتَ فَلَبَّى الْأَمْرَ جَيْشَانِ
(٣) هَذَا مِنَ الْغَرِيبِ قَدْ سَأَلَتْ مَرَارِكُهُ * وَذَا مِنَ الشَّرْقِ قَدْ أَوْفَى بِطُوفَانِ
(٤) وَلَا لَكَ رَبُّكَ مُلْكًا فِي رِعَايَتِهِ * وَمَدَّهُ لَكَ فِي خِصْبِ وَعُمُرَانِ
(٥) مِنْ كُرْدَفَانٍ إِلَى مِصْرٍ إِلَى جَبَلٍ * عَلَيْهِ كَلَّمَهُ (مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ)
(٦) فَكُنْ بِمُلْكِكَ بَنَاءَ الرِّجَالِ وَلَا * تَجْعَلْ بِنَاءَكَ إِلَّا كُلَّ مِعْوَانِ
(٧) وَأَنْظُرْ إِلَى أُمَةِ لَوْلَاكَ مَا طَلَبَتْ * حَقًّا وَلَا شَعَرَتْ حُبًّا لِأَوْطَانِ
(٨) لَأَذَتْ بِسُوءِكَ الْعُلِيَاءُ وَأَعْتَصَمَتْ * وَأَخْلَصَتْ لَكَ فِي سِرٍّ وَإِعْلَانِ
(٩) حَسْبُ الْأَرِيكََةِ أَنَّ اللَّهَ شَرَفَهَا * فَاصْبَحَتْ بِكَ تَسْمُوقُ كِيَوَانِ
(١٠) تَاهَتْ بِعَهْدِ مَلِيكَ فَوْقَ مَقْرِقِهِ * لِمَلِكٍ مِصْرٍ وَلِلْسُّودَانِ تَاجِلَانِ
(١١) هَذَا هُوَ الْمُلْكُ فَلْيَهْنِ مُلْكَكَ * وَذَا هُوَ الشَّعْرُ فَلْتُنَشِّدْهُ أَرْمَانِي

- (١) تفلص، أى قبض وتناصر . (٢) يشير بهذا البيت الى إعادة فتح السودان الذى تم سنة ١٨٩٨ م . ويريد « بالجيشين » : الجيش المصرى والجيش الانجليزى .
(٣) أوفى بطوفان، أى جاء بعدد كثير كطوفان الماء . (٤) كردفان : إقليم من السودان معروف . ويريد « بالجبل » : جبل الطور الذى كلم الله نبيه موسى بن عمران عليه السلام فوقه .
(٥) يقول : همى لشعبك رجالا تعتد بهم عند الشدائد ، ولا تعتمد إلا على كل عظيم المعونة منهم .
(٦) سدتك، أى بابك . (٧) كيوان : اسم رجل بالفارسية ؛ وهو ممنوع من الصرف .
(٨) المقرق (بفتح الراء وكسرهما) : وسط الرأس ، وهو الموضع الذى يفرق فيه الشعر .



وقال أيضا يهنئ سموه بالعام الهجري :

[نشرت في ١٩ مارس سنة ١٩٠٤]

(١)
قَصَرْتُ عَلَيْكَ الْعُمْرَ وَهُوَ قَصِيرٌ * وَغَالَبْتُ فِيكَ الشُّوقَ وَهُوَ قَدِيرٌ
(٢)
وَأَنْشَأْتُ فِي صَدْرِي لِحُسْنِكَ دَوْلَةً * لَهَا الْحُبُّ جُنْدٌ وَالْوَلَاءُ سَفِيرٌ
فَوَادَى لَهَا عَرْشٌ وَأَنْتَ مَلِكُهُ * وَدُونُكَ مِنْ تِلْكَ الضُّلُوعِ سُتُورٌ
(٣)
وَمَا انْتَقَضَتْ يَوْمًا عَلَيْكَ جَوَائِي * وَلَا حَلٌّ فِي قَلْبِي سِوَاكَ أَمِيرٌ
كُنْتُ فَقَالُوا: شَاعِرٌ يُنْكِرُ الْهَوَى * وَهَلْ غَيْرُ صَدْرِي بِالْغَرَامِ خَيْرٌ
(٤)
وَلَوْ شِئْتُ أَذْهَلْتُ النُّجُومَ عَنِ السَّرَى * وَعَطَلْتُ أَفْلَاكًا بِهِنَّ تَدُورُ
وَأَشْعَلْتُ جِلْدَ اللَّيْلِ مِنِّي بِزُفْرَةٍ * غَرَامِيَةِ مِنْهَا الشَّرَارُ يَطِيرُ
(٥)
وَلَكِنِّي أَخْفَيْتُ مَا بِي وَإِنَّمَا * لِكُلِّ غَرَامٍ عَازِلٌ وَعَازِرٌ
أَرَى الْحُبَّ ذُلًّا وَالشَّكَايَةَ ذِلَّةً * وَإِنِّي بِسَتْرِ الذَّلِيلَيْنِ جَدِيرٌ
(٦)
وَلِي فِي الْهَوَى شِعْرَانِ : شِعْرُ أَذِيْعِهِ * وَأَخْرُ فِي طَيِّ الْفُؤَادِ سَتِيرٌ
(٧)
وَلَوْلَا بِلْجَاجِ الْحَاسِدِينَ لَمَا بَدَا * يَلْكُنُونِ سِرِّي فِي الْغَرَامِ صَمِيرٌ

- (١) قصرْتُ عليك العمر، أى حبسته على حبك . (٢) الولاء (فتح الواو) : الإخلاص .
(٣) انتقضت، أى فسدت، كما تنقض الإمارات على أمرائها، أى تخرج عليهم وتنتهي عصا الطاعة .
(٤) السرى : السر بالليل . يقول : إننى لو شئت بثت من اللوعة وبرارة الوجد ما يذهل النجوم
عن سريها ، ويعطل الأفلاك عن دورانها ، فتصنى لى، وترى لوجدى . (٥) العذير : العاذر
والنصير أيضا . (٦) ستير، أى مستور، فعيل بمعنى مفعول . (٧) اللجاج : التنادى فى العناد
والخصومة . يقول : لولا عناد ذرى الحسد والبغضاء لما بدا ما أكتنمه من غرائى وشوقى ما يشعر الناس بهما .

(١) ولا شَرَعْتَ هَذَا الْبِرَاعَ أَنَامِلِي * لَشَكْوَى وَلَكِنَّ الْبَلَّاجَ يُشِيرُ
(٢) عَلَى أَنِّي لَا أَرْكُبُ الْيَأْسَ مَرَجًا * وَلَا أَكْبِرُ الْبِأْسَاءَ حِينَ تُغَيِّرُ
(٣) فَكَمْ حَادِثِي الْحَيْنِ وَالسَّيْفِ مُصَلَّتٌ * وَهَانَ عَلَى الْأَمْرِ وَهُوَ عَسِيرُ
وَكَمْ لَحْمَةٍ فِي غَفْلَةِ الدَّهْرِ نَفَسَتْ * هُمُومًا لِمَا بَيْنَ الضُّلُوعِ تَسِيرُ
فَقَدْ يَشْتَفِي الصَّبَّ السَّقِيمُ بَزُورَةٍ * وَيَنْجُو بِلَقْظِ عَائِرٍ وَأَسِيرُ
عَسَى ذَلِكَ الْعَامُ الْجَدِيدُ يُسْرِنِي * بِنَشْرِى وَهَلِ لِلْبَاسِينِ بَشِيرُ
(٤) وَيَنْظُرُنِي رَبُّ الْأَرِيكَةِ نَظْرَةً * بِهَا يَتَجَلَّى لَيْلُ الْأَسَى وَيُنِيرُ
(٥) مَلِيكَ إِذَا غَشَى الْبِرَاعُ بِمَدْحِهِ * مَرَّتْ بِالْمَعَالِي هِزْةٌ وَسُرُورُ
(٦) أَمْوَالِي إِنْ الشَّرْقُ قَدْ لَاحَ نَجْمُهُ * وَأَنْتَ لَهُ بَعْدَ الْمَوَاتِ تُشِيرُ
(٧) تَفَاعَلْ خَيْرًا إِذْ رَأَاكَ مُمْلَكًا * وَفَوْقَكَ مِنْ نُورِ الْمُهْمِينَ نُورُ
(٨) مَضَى زَمَنٌ وَالنَّوْبُ يَسْطُو بِمَحْوَلِهِ * عَلَى وَمَالِي فِي الْأَنَامِ ظَاهِيرُ

- (١) يقال : شرع الرمح ، إذا سدده وصوبه . شبه القلم بالرمح في ذلك . ويشير : يهيج .
(٢) «لا أكبر البأساء» الخ ، أى لا أستعظم الشدة إذا نزلت بي ، بل أستبين بها ما أصبر على مضضها .
(٣) الحين (فتح الحاء) : الملاك . والسيف المصلت : المجزؤ من غمده . (٤) رب الأريكة
هو خديوى مصر . والأريكة : العرش ؛ وأصل معناها السرير المنجد المزين في قبة أو بيت .
(٥) الهزة (بكسر الهاء) : الأريحية والخلفة . (٦) التشور : البعث . (٧) التفاضل :
من القفال (يسكون الهزئة) ، وهو ضد التطير ، فهو فيما يستحب ، أما التطير ، فهو فيما يسوء .
(٨) هذا البيت والذي بعده على لسان الشرق المتقدم ذكره . ويسطو : يعلو . والحول : القوة .
والظهير : المين والصير .

(١) إلى أن أتاحت الله للصقر نهضة * فقلت غرارا الخطيب وهو طير
جرت أمة اليابان شوطا إلى العلا * ومضر على آثارها متسير
(٢) ولا يمنع المصير إدراك شأوها * وأنت لطلاب العلا نصير
(٣) فقف موقف (الفاروق) وانظر لأمة * إليك بجبات القلوب تسير
(٤) ولا تستشر غير العزيمة في العلا * فليس سولها ناصح ومشير
فعرشك محروس وربك حارس * وأنت على ملك القلوب أمير

تهنئة الى رفعت بك بوكالته لمصلحة السجون

(٥) أهيك أم أشكو فراقك قائلا * أيا ليتني كنت السجين المصفا
(٦) فلو كنت في عهد (ابن يعقوب) لم يقل * لصاحبه : أذكرني ولا تنسني غدا

- (١) كنى « بالصقر » عن الشرق . وفل السيف : تلم حده . ولقارار : الحسد . والطير : المحدد . يقال : طر السيف ونحوه يطره (من باب نصر) طرا وطرورا ، أى حده .
(٢) الضمير في « شأوها » لأمة اليابان السابق ذكرها . والشاؤ : الغاية .
(٣) الفاروق : أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . (٤) يقول : إذا حاولت أمرا تكون غايته الخجد والعلا فاضله ، ولا تستشر غير عنك الوثاب ، ومنك البعيدة الغاية .
(٥) المصعد : المقيد . (٦) يريد بهذا البيت : أن السجناء يمتنون بقاءهم في السجن لحسن أخلاقه وجميل عشرته ، فلو تولى السجن في عهد يوسف عليه السلام لأثر البقاء بجانبه في السجن ولم يقل لصاحبه الذى نجا : (أذكرني عند ربك) كما حكي الله تعالى ذلك في القرآن في سورة يوسف .

مدحة كتب بها الى محمد بك هلال^(١)

(٢) هَجَمْتَ يَا طَيْرٌ وَلَمْ أَهْجِجْ * مَا أَنْتَ إِلَّا عَاشِقٌ مُدَّعِي
(٣) لَوْ كُنْتَ تَمَنَّيَ يَعْرِفُونَ الْجَوَى * قَضَيْتَ هَذَا اللَّيْلَ سَهْدًا مَعِي
(٤) يَا مَنْ تَحَامَيْتُمْ سَبِيلَ الْهَوَى * أَعَيْدُكُمْ مِنْ قَلْبِي الْمَضْجِجِ
(٥) وَحَسْرَةً فِي النَّفْسِ لَوْ قُسِّمَتْ * عَلَى ذَوَاتِ الطُّوقِ لَمْ تَسْجِجِ
وَيَا بَنِي الشُّوقِ وَأَهْلَ الْأَمَى * وَمَنْ قَضَوْا فِي هَذِهِ الْأَرْبَعِ
(٦) عَلَيْكُمْ مِنْ وَاحِدٍ مُغْرِمٍ * تَيْجَةُ الْمُوجِجِ لِلْوَجِجِ
لِلَّهِ مَا أَقْسَى فَوَادَ الدُّجَى * عَلَى فَوَادِ الْعَاشِقِ الْمَوْلِجِ
(٧) هَذَا غَلِظٌ لَمْ يَرْضَهُ الْهَوَى * مَا بَيْنَ جَنَبِيَّ أَسْوَدَ أَسْفَعِ
(٨) وَذَلِكَ فِي جَنَبِيَّ فَقَى مُدَنِّفٍ * عَلَى يَسْوَى الرِّقَّةِ لَمْ يُطْبَعِ

- (١) هو ابن ابراهيم بك هلال؛ وكان — رحمه الله — شاعرا مجيدا وكاتبا فاضلا، قد اشتغل بالصحافة زمنا غير قصير، وكانت له صحيفة اسمها «التواب»، كما كان واسع العلم بأخبار ما حدث في البلاد في نصف القرن الأخير. وتوفي رحمه الله في ليلة الأحد ١١ ديسمبر سنة ١٩٣٢ م.
- (٢) المهجوع : النوم بالليل . (٣) الجوى : الحفرة وشدة الوجد من عشق أو حزن .
- (٤) تَحَامَيْتُمْ : تجنبت وبعده . (٥) ذوات الطوق : الحمام ؛ والطوق ، هو اليأس المحيط بأعناقها . وتسجج : تهدر وتردد أصواتها . (٦) الواجد : ذو الوجد .
- (٧) يشير بقوله : «هذا» إلى «فواد الدجى» السابق ذكره . وراضه يروضه : ذلله . والأسفع : الشديد السواد؛ يريد الليل . (٨) يشير بقوله : «ذلك» الى فواد العاشق «السابق ذكره» . والمدنف : الذى أهمله المرض المشرف على الموت .

(١)
وَأَغْبِدْ أَسْكَنَهُ فِي الْحَشَا * وَقُلْتُ : يَا نَفْسُ بِهِ فَاقْنَعِي
نِفَارَهُ أَسْرَعُ مِنْ خَاطِرِي * وَصَدُّهُ أَقْرَبُ مِنْ مَدْنِي
وَحَدُّهُ لَا تَطْفِينِي نَارُهُ * كَأَنَّمَا يَقْبِسُ مِنْ أَضْلَى^(٢)
تَسَاءَلْتُ عَنِّي نُجُومُ الدُّجَى * لَمَّا رَأَيْتَنِي دَانِيَا الْمَصْرِعِ
قَالَتْ : زَرَى فِي الْأَرْضِ ذَا لَوْعَةٍ * قَدْ بَاتَ بَيْنَ الْبَاسِ وَالْمَطْمَعِ
يَبِثُّ كَالْمَقْشُودِ أَوْ كَالَّذِي * أَصَابَهُ سَهْمٌ وَلَمْ يُتْرَعِ^(٣)
إِنْ كَانَ فِي بَدْرِ الدُّجَى هَائِمًا * أَمَّا لِهَذَا الْبَدْرِ مِنْ مَطْلَعِ؟
أَوْ كَانَ فِي ظِلِّي الْجَمَى مُغْرَمًا * أَمَّا لِهَذَا الظِّلِّيِّ مِنْ مَرْتَعِ؟^(٤)
هَيْهَاتَ يَا أَتَجَمُّ أَنْ تَقْلَبِي * مُشِيرَ أَشْجَانِي أَوْ تَطْمِئِي^(٥)
إِنِّي لَضَنْآنُ يَذْكُرُ أَسْمِي * ضَنَّى بُوْدَ الْكَاتِبِ الْأَلْمِي^(٦)
الضَارِبِ الْجَزِيَّةِ مُنْذُ أَنْشَأْتِي * عَلَى يَرَاجِ الشَّاعِرِ الْمُبْدِعِ

(١) الأغيد : المسائل المتق ، اللبن الأعطاف ، المتنى لنا ، والأشئ : غيداء .

(٢) قبس النار وأقنيسها : أخذ منها قبسا (بالحرريك) ، أى شعلة .

(٣) المقشود : المصاب بفؤاده .

(٤) أو تطمئى ، أى تطمئى فى علم ذلك .

(٥) الضنآن : الشديد الضن ، وهو البخل . والألمى : الذكى المتوقد ذكاء .

(٦) الجزية : ما يفرض من الضرائب على الروس . ومعنى البيت أن هذا المدح قد فرض منذ نشأته على المبدعين من الشعراء أن يردوا إليه من المدح والثناء جزاء بما أسدى إليهم من النعم والآلاء . ولم نجد فيما راجعناه من كتب اللغة « انشئ » بمعنى نشأ ، كما هو المراد فى هذا البيت .

(١)
والحامل الأقدام مشروعة * كأنها بعض القنا الشرع
(٢)
إذا دعا القول أتى طائعا * وإن دعاه إلى لم يسمع
(٣)
صحبته دهرًا فالقيته * فقي كريم الأصل والمنزع
(٤)
مودة كأنهم إن عتقت * جادت وفضل بأسم المشرع
(٥)
وعزمة لو قسمت في الورى * بأثوا من الشعرى على مسمع

تهنئة (على حيدر بك) بعيد الأضي

وكان مديرا لبنى سويف إذ ذاك

لله عيد كبير * يزهو بنور جبينك
(٦)
لم تقبيله البرايا * إلا للشم يمينك

- (١) المشروعة : المسددة نحو الفرض . والقنا : الرماح ، الواحدة قناة . والشرع ، بمعنى المشروعة .
(٢) إلى (بالكسر) : الحصر والعجز عن اليان . (٣) المنزع : الأصل الذى ينزع إليه أى يجذب ويميل ؛ ويقال : « نزع فلان إلى عرق كريم » ، « ونزع إلى أبيه » ، أى مال إليه وأشبهه .
(٤) انحر المعلقة (بتشديد التاء) : القديمة . والمشرع : المورد الذى يستقى منه . (٥) الشعرى : كوكب نير يطلع بعد الجوزاء . ومعنى البيت : أن عزيمته لوزعت على الناس لسما إلى منزلة الشعرى .
ويلاحظ أن آخر هذه القصيدة مفقود ؛ ولم يتيسر لنا العثور عليه ، فأثبتناها على قصتها .
(٦) اقتبل الأمر : استقبله .

تهنئة سليمان أباطة باشا^(١)

بإبلاله من مرض ألم به ، وبعرس نجله (على بك)

تَرَامَى لَكَ الْإِقْبَالُ حَتَّى شَهِدَانُهُ * وَدَانَ لَكَ الْمِقْدَارُ حَتَّى أَمِنَانُهُ^(٢)
 (سُلَيْمَانُ) ذَكَرْتَ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ * بَعِزَّ (سُلَيْمَانَ) وَإِقْبَالَ دُنْيَاهُ^(٣)
 إِذَا سِرْتَ يَوْمًا حَذَرَ التَّمَلُّ بَعْضُهُ * مَخَافَةَ جَنْشٍ مِنْ مَوَالِيكَ يَغْشَاهُ^(٤)
 وَإِنْ كُنْتَ فِي رَوْضٍ تَغْنَّتْ طُيُورُهُ * وَصَاحَتْ عَلَى الْأَفْنَانِ : بِمَحْرُوكِ اللَّهِ^(٥)
 وَكَانَ (أَبْنُ دَاوُدَ) لَهُ الرَّيْحُ خَادِمٌ * وَتَحْدُمُكَ الْأَيَّامُ وَالسَّعْدُ وَالْجَاهُ^(٦)
 تَحُلُّ بِمَيْتِ أَتَجِدُ أَلْقَى رِحَالَهُ * «فَطَاهِرَةٌ» وَالْبَيْتُ وَالْقُدُسُ أَشْبَاهُ^(٧)
 لَيْسَتْ الشَّفَا ثَوْبًا جَدِيدًا مُبَارَكًا * فَالْبَسْنَا ثَوْبًا مِنْ أَلْعَزَّ نِزْهَةً
 وَكَانَ عَلَيْكَ الدَّهْرُ يَحْفِقُ قَلْبُهُ * فَلَبَّ شَفَاكَ اللَّهُ أَهْدَاتِ أَحْشَاهُ
 وَهَذَا جَدِيدُهُ الزَّمَانِ وَأَصْبَحَتْ * تَسُوقُ لَنَا الْأَيَّامُ مَا تَتَمَنَّا^(٨)

- (١) سليمان أباطة باشا، هو ابن حسن أباطة؛ وكان مولده في نحو سنة ١٨٣٤م، وتولى عدة مناصب في الحكومة المصرية؛ وأثر منصب تولاه نظارة المعارف في عهد الخفورة توفيق باشا الخديوي عقب الثورة العربية؛ وكانت وفاته في سنة ١٨٩٧م. (٢) ترامى لك : تصدى لك لراه. «ودان» : خضع. والمقدار : القدر بالتحريك. بالغ في تصوير الإقبال حتى جعله شيئاً يرى. (٣) يريد سليمان الثاني نبي الله سليمان بن داود، عليهما السلام. (٤) يشير بهذا البيت إلى ما حكاه الله تعالى عن النمل حين رأى نبي الله سليمان مقبلاً بجنوده، إذ قال تعالى في سورة النمل : (حتى إذا أتوا على وادى النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطركم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون). والموالى العبد، الواحد مولى. (٥) الأفنان : الأغصان، الواحد فتن (بالتحريك). (٦) ألقى رحاله : أقام. وطاهرة : بلد بالقلم الشرقية من أعمال مركز الزقازيق، وهو بلد المندوح. ويريد «البيت» : الكعبة. (٧) الجديدان : الليل والنهار. ولا يفردان، فلا يقال : الجديد لواحد منهما.

(١)
وَبَاتَ بَنُوكَ الْفُرَّ مَا بَيْنَ رَافِلٍ * بِحُلَّةٍ يُمْنٍ أَوْ شَكُورٍ لَمُولَاهُ
(سُلَيْمَانُ) دُمَ مَا دَامَتِ الشُّهْبُ فِي الدَّجَى * وَمَا دَامَ يَسِيرِي ذَلِكَ الْبَدْرُ مَسْرَاهُ
وَكُنْ (لَعْلَى) بَهْجَةَ الْعُرْسِ إِنَّهُ * بِمِزَّكَ فِي الْأَفْرَاجِ تَمَّتْ مَزَايَاهُ
وَلَا تَنْسَ مَنْ أُمْسَى يُقَلِّبُ طَرْفَهُ * فَلَمْ تَرَ إِلَّا أَنْتَ فِي النَّاسِ عَيْنَاهُ

(٢) فكتور هوغو

[نشرت سنة ١٩٠٧ م]

أَعْجَمِي كَذَّ بَعْلُو تَجَهُّ * فِي سَمَاءِ الشَّعْرِ تَجَمُّ الْعَرَبِي
(٣)
صَالِحَ الْعِلْيَاءِ فِيهَا وَالتَّقَى * "بِالْمَعْرَى" فَوْقَ هَامِ الشُّهْبِ
(٤)
مَا تُنْصَرُّ الزُّهْرِ فِي أَكْثَامِهَا * ضَايِحَاتٍ مِنْ بُكَاءِ السُّحْبِ
(٥)
نَظَّمَ الْوَشْمِي فِيهَا لُؤْلُؤًا * كَتَنَّا يَا الْغَيْدِ أَوْ كَالْحَبِيبِ

(١) الفر: جمع أغز، وهو السيد الشريف الكريم الأفعال. ووفل في ثوبه: بهر ذيله وتجنز. والعين: البركة. (٢) هو الشاعر الفرنسي المعروف؛ ولد سنة ١٨٠٢ م، وكانت وفاته بباريس سنة ١٨٨٥ م. ومن كتبه: كتاب اليوساء الذي نقله إلى العربية المرحوم حافظ بك. وفي هذه القصيدة يشير حافظ إلى فن فيكتور أمانلويس بوناورت في سنة ١٨٥١ م إلى خصوصية قريحته في منفاه، وكثرة ما وضع من المؤلفات. (٣) الهام: الروس، الواحدة هامة. وقد قارنه بأبي العلاء المعري لأنت كليها شاعر فيلسوف. (٤) الأكمام: جمع كم، وهو غطاء الزهر، وكفى بضحك الأزهار عن تفتحها. ويريد «بكاء الحب»: مطرًا. (٥) الوشمي: المطر أول الربيع. والتنايا: الأسنان الواحدة تقة (يفتح الناء وتشديد الياء). والغيد: جمع غيداء، وهي المراء المتنية لنا.

- (١) عند مَنْ يَقْضِي بَاهِيًّ مَنَظَرًا * مِنْ مَعَانِيهِ الَّتِي تَلْعَبُ فِي
بَسَمَتِ الدَّهْنِ فَاسْتَهَوَتْ هِيَ * مُغْرِمَ الْفَضْلِ وَصَبَّ الْأَدَبِ
(٢) وَجَلَّتْهَا حِكْمَةٌ بِالْفَنَةِ * أَعْجَزَتْ أَطْوَاقَ أَهْلِ الْمَغْرِبِ
(٣) سَأَلُوا الطَّيْرَ إِذَا مَا هَاجَكُمُ * شَدُّهَا بَيْنَ الْهَوَى وَالطَّرِبِ
(٤) هَلْ تَفْتَتْ أَوْ أَرَنْتَ بِسَوَى * (شِعْرِ هُوَعُو) بَعْدَ عَهْدِ الْعَرَبِ
(٥) كَانَ مُرُّ النَّفْسِ أَوْ تَرْضَى الْعُلَا * تَظْمًا الْأَمْلَاقُ إِنْ لَمْ يَشْرِبِ
(٦) عَاقَ فِي مَنَاقِهِ أَنْ يَدْنُو بِهِ * عَقُو ذَاكَ الْقَاهِرِ الْمُغْتَصِبِ
(٧) بَشَّرُوهُ بِالتَّوْدَانِ وَتُسُوا * أَنَّهُ ذَاكَ الْعِصَايُ الْأَبِي
(٨) كَتَبَ الْمُنَى سَطْرًا لِلَّذِي * جَاءَهُ بِالْعَفْوِ فَأَقْرَأَ وَأَعْجِبِ
أَبْرَى عَنْهُ يَعْقُو مُذْنِبٌ ؟ * كَيْفَ تُسَيِّدِي الْعَفْوَكَفَّ الْمُدْنِبِ ؟
(٩) جَاءَ وَالْأَحْلَامُ فِي أَصْفَادِهَا * مَا لَهَا فِي سِجْنِهَا مِنْ مَذْهَبِ

- (١) يقضى : يحكم ، وأبهى منظرا : خبر «لما» في قوله السابق : «ما تقور» الخ .
(٢) جلّتها : صقلتها ، والأطواق : جمع طوق ، وهو الطاقة والجهد . (٣) شدوها :
تغريدها وترنمها . (٤) أرنت : صاح . (٥) مر النفس : شديد المراس .
(٦) يشير الى نفي فكتور سنة ١٨٥١ الى بروكسل حين اشترك في الحرب ضد لويس بوناپرت ، وقد بقي
بعيدا عن وطنه ثمانى عشرة سنة ، وقد أقسم ألا يعود الى أرض فرنسا ما دام الامبراطور على العرش ، ولقد برز
بقسمه ، فلم يعد اليها إلا بعد سقوط الامبراطور سنة ١٨٧٠ م . ويريد «بالقاهر المقتصب» : لويس بوناپرت
السابق ذكره . (٧) العصاى : الذى ساد بنفسه ، نسبة الى عصام المذكور في قول الشاعر :
* نفس عصام سودت عصاما *
(٨) المنى : فكتور هو جو . (٩) الأحلام : العقول ، الواحد حلم (بالكسر) .
والأصفاة : القيود ، الواحد صفد (بالتحريك) .

- (١)
طَبَعَ الظُّلُمُ عَلَى أَقْفَالِهَا * يَلْظَاهُ خَائِمًا مِنْ رَهَبِ
- (٢)
أَمَعَنَ التَّقْلِيدُ فِيهَا فَغَدَتْ * لَا تَرَى إِلَّا بَعِينَ الْكُتُبِ
- (٣)
أَمَرَ التَّقْلِيدُ فِيهَا وَنَهَى * بِجُيُوشٍ مِنْ ظُلَامِ الْحُجُبِ
- (٤)
جَاءَهَا (هُوجُ) بَعَزِمَ دُونَهُ * عِرَّةُ التَّاجِ وَزَهُوُ الْمَوَكِبِ
- (٥)
وَأَنْبَرَى يَصْدَعُ مِنْ أَغْلَالِهَا * بِالْيَرَّاعِ الْحُرِّ لَا بِالْقُضْبِ
- (٦)
هَالَهُ إِلَّا يَرَاهَا حُرَّةٌ * تَمْتَطِي فِي الْبَحْثِ مَتْنِ الْكَوَكِبِ
- (٧)
سَاءَ إِلَّا يَرَى فِي قَوْمِهِ * سِيرَةَ الْإِسْلَامِ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ
- (٨)
قُلْتَ عَنْ نَفْسِكَ قَوْلًا صَادِقًا * لَمْ تَشْبِهْ شَائِبَاتُ الْكَذِبِ :
- أَنَا كَالْتَجَمِ يَبْرُوثَرَى * فَاطْرَحُوا ثُرْبِي وَصُونُوا ذَهَبِي

تهنئة سمو الخديوى عباس الثانى بعيد الأضحى^(٧)

(١٣٢٥ هـ - ١٩٠٨ م)

- سَكَنَ الظُّلَامُ وَبَاتَ قَلْبُكَ يَخْفِقُ * وَسَطًا عَلَى جَنَبَيْكَ هَمٌّ مُقْلِقُ
- (٨)
حَارَ الْفِرَاشُ وَجُرَتْ فِيهِ فَأَنْتُمْ * تَحْتَ الظُّلَامِ مُعَذَّبٌ وَمُؤَرَّقُ

- (١) الغلى : النار . (٢) أمعن : بالغ . (٣) الزهو : الاختيال . (٤) يصدع : يكسرو ويحطم . والأغلال : السلاسل ، الواحد غل (بضم الغين وتشديد اللام) . والقضب : السيوف ، الواحد قضيب . (٥) المتن : الظهور . (٦) لم تشبه : لم تحاطه . (٧) في هذه القصيدة يشكر سمو الخديوى على عفوه عن مسجونى دنشواى . وهو يجارى بهذه القصيدة قصيدة اسماعيل صبرى باشا التى مطلعها :
لو أن أطلال المنازل تنطق * ما ارتد حران الجوانح شيق
(٨) المؤرق : المسهد الذى ذهب عنه النوم .

- (١) دَرَجَ الزَّمَانُ وَأَنْتَ مَفْتُونُ الْمُنَى * وَمَضَى الشَّبَابُ وَأَنْتَ سَاهٍ مُطْرِقُ
عَجَبًا يَلِدُ لَكَ السُّكُوتُ مَعَ الْهَوَى * وَمِوَالِكَ يَبْعُثُهُ الْغَرَامُ فَيَنْطِقُ
(٢) خَلَقَ الْغَرَامُ لِأَصْغَرِكَ وَطَالَمَا * ظَنُّوا الظُّنُونُ بِأَصْغَرِكَ وَأَغْرَقُوا
وَرَمَوْكَ بِالسُّلُوبِ وَلَوْ شَهِدُوا الَّذِي * تَطْوِيهِ فِي تِلْكَ الضُّلُوعِ لِأَشْفَقُوا
(٣) أَخْفَيْتَ أَسْرَارَ الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا * سِرُّ الْفُؤَادِ مِنَ التَّوَاطُّعِ يُسْرِقُ
(٤) نَفْسَ بَرِّكَ عَنْ فُؤَادِكَ كَرْبُهُ * وَأَرْحَمَ حَشَاكَ فَإِنَّهَا تَمَرَّقُ
وَإِذْ كُنَّا لَنَا عَهْدَ الَّذِينَ بَيْنَاهُمْ * جَمَعُوا عَلَيْكَ هُمُومَهُمْ وَتَفَرَّقُوا
(٥) مَا لِلْقَوَائِي أَنْكَرَكَ وَلَمْ تُكُنْ * لِكِسَادِهَا فِي غَيْرِ سُوقِكَ تَنْفَقُ
(٦) مَا لِلْيَنَابِ بَغْيٌ بِإِيَّكَ وَاقِفًا * يَبْكِي وَيُعْجِلُهُ الْبُكَاءُ فَيَشْرِقُ
(٧) إِنِّي كَهَمِّكَ فِي الصَّبَابَةِ لَمْ أَزَلْ * أَلْهُو وَأَرْتَجِلُ الْقَرِيبَ وَأَعْشَقُ
نَفْسِي بِرَغَمِ الْحَادِثَاتِ فِتْنَةً * عُودِي عَلَى رَغَمِ الْكَوَارِثِ مُورِقُ
(٨) إِنَّ الَّذِي أَغْرَى الشُّهَادَ بِمُقَلَّتِي * مُتَعَنَّتْ قَلْبِي بِهِ مُتَعَلِّقُ
(٩) وَاتَّقَتْهُ إِلَّا أَبُوحَ وَإِنَّمَا * يَوْمَ الْحِسَابِ يُحْمَلُ ذَاكَ الْمَوْثِقُ

- (١) درج : ذهب ومضى، ومفتون المني، أي طامع فيما لا ينال . (٢) الأصفران :
القلب واللسان . وأغرقوا : بالغوا وأفرطوا . (٣) يقول : إن ما يكتمه الفؤاد تبديه العين .
(٤) نفس : فرج وخفف . (٥) تنفق : تروج . (٦) يشرق : يفسح .
(٧) الهم : العزم والقصد . (٨) أغراه به : أولاه به وحضه عليه .
(٩) واتقته : عاهد . يريد أن سرجه سيظل مكتوما إلى يوم القيامة .

وَشَقِيتُ مِنْهُ بِقُرْبِهِ وَبِعَادِهِ * وَأَخُو الشَّقَاءِ إِلَى الشَّقَاءِ مُوَفَّقُ^(١)
 صَاحِبْتُ أَسْبَابَ الرِّضَا لِرُكُوبِهِ * مَتَنَ الْخِلَافِ لِمَا بِهِ اتَّخَلَّقُ^(٢)
 وَصَبَرْتُ مِنْهُ عَلَى الَّذِي يَمَيَّا بِهِ * حِلْمُ الْحَلِيمِ وَيَتَّقِيهِ الْآخَقُ^(٣)
 أَصْبَحْتُ كَالْدَهْرَى أَعْبُدُ شَعْرَهُ * وَجَيْنَهُ وَأَنَا الشَّرِيفُ الْمُعْرِقُ^(٤)
 وَغَدَوْتُ أَنْظِمُ مِنْ شَيْءٍ تَغْيِرُهُ * دُرّاً أَقْلَدُهَا الْمَهَا وَأَطْوِقُ^(٥)
 (صَبْرِي) أَسْتَوْتُ دِفَاقِي وَهَزَزْتِي * وَأَرَيْتِي الْإِبْدَاعَ كَيْفَ يُنْسَقُ^(٦)
 فَاجْتَمَعَتْ لِي شَكْوَى الْهَوَى وَسَبَقَتِي * فِي مَدْحِ (عَبَّاسٍ) وَمِثْلِكَ يَسْبِقُ^(٧)
 قَالَ الرَّئِيسُ فَا لِقَوْلٍ بَعْدَهُ * بَاعَ تَطْوُلٌ وَلَا لَمَدَجٌ رَوَقُ^(٨)
 (شَوْقِي) نَسَبْتَ فَا مَلَكْتُ مَدَامِي * مِنْ أَنْ يَسِيلَ بِهَا السَّيْبُ الشَّقِي^(٩)

- (١) المتن : الظاهر . وركوبه متن الخلاف : كناية عن المناضبة والشقا . يقول : إني وإياه مختلفان ، أنا ملازم فعل ما يرضيه ، وهو دائب على أن يخالف ما في طبعي وأخلاق . (٢) فيما به : يعبر عنه . (٣) الدهرى : الملعن الذي ينكر الإله وينسب الفعل إلى الدهر . ونخص الشاعر الشعر والجين بالذكر لما في الأول من سواد يشبه ظلمة الليل ، وما في الثاني من تألق يشبه بياض النهار ؛ وليس الدهر إلا الليل والنهار . وهو في البيت يعجب من جمعه بين شبه متباينين : المخاد في العقيدة ، وشرف في النسب . والمهرق (يفتح الراء وكسرهما) : الذي له أصل في الكرم . (٤) المها : البقر الوحشي ، يريد النساء التي تشبهها في جمال العيون ، الواحدة مهاة . (٥) استنار : هيج . ويريد « بالدقائق » : ما يضره القلب من الشجون ، الواحدة دقية . ويشير بذلك إلى قصيدة صبري التي أوردنا مطلعها فيما سبق . (٦) يريد « بالرئيس » : اسماعيل صبري باشا . وطول الباع : كناية عن اتساع المقدرة وقوة الاستطاعة . (٧) يريد أحمد شوقي بك الشاعر . والنسيب : التشبيب بالنساء وذكر محاسنهن . ويريد « بالثيق » : الشاق ؛ والذي وجدناه في كتب اللغة أن «الثيق» بمعنى المشاق ؛ وليس مراداً هنا . ويشير بهذا البيت إلى قصيدة شوقي في هذا العيد ، والتي جارى فيها صبري ، ومطلعها :
 أما الشاب فبالأحبة أخلاق * والحب يصلح بالعتاب ويصدق

(١)
 أَعْجَزَتْ أَطْوَاقَ الْأَنَامِ مِدْحَةٍ * سَجَدَ الْيَأْنُ لِرَبِّهَا وَالْمَنْطِقُ
 لَمْ تَتَذَكَّرْ لِي فِي الْمَدَائِحِ فَضْلَةً * يَجْرِي بِهَا قَلَمِي الضَّعِيفُ وَيَلْحَقُ
 تَفْسِي عَلَى شَوْقٍ لَمَدِّحٍ أَمِيرِهَا * وَبِرَاقَتِي بَيْنَ الْأَنْامِلِ أَشَوْقُ^(٢)
 مَاذَا أَقُولُ وَأَنْتُمْ فِي مَدْحِهِ * بِحُرَابٍ بَاتَ كَلَامُهَا يَتَدَقُّ
 الْعَجْزُ أَقْمَدَنِي وَابْتُ عَزَائِمِي * لَوْلَا كُنَّا فَوْقَ السَّمَاءِ تُخَلِّقُ^(٣)
 فَلَيْتَنِي الْعَبَّاسُ أَنْتَ بِكَفِّهِ * عَلَمَيْنِ هَزَمَ الْوَلَاءُ الْمُطْلَقُ^(٤)
 وَلَيْسَ ذُنُورًا لِلْسَّلَاحِ وَأَهْلِيهَا * يَعْقُو وَيَرْحُمُ مَنْ يَشَاءُ وَيَعْتِقُ
 (عَبَّاسُ) وَالْعِيدُ الْكَبِيرُ كَلَامُهَا * مُنَالِقُ بِإِزَائِهِ مُنَالِقُ
 هَذَا لَهُ تَجْرِي الدَّمَاءُ وَذَا لَهُ * تَجْرِي الْقَرَائِحُ بِالْمَدِيحِ وَتُعْتِقُ^(٥)
 صَدَقَ الَّذِي قَدْ قَالَ فِيهِ وَحَسْبُهُ * أَنْ الزَّمَانُ لِيَا يَقُولُ مُصَدِّقُ:
 (لَكَ مِصْرٌ مَاضِيهَا وَحَاضِرُهَا مَعًا * وَلَكَ الْفَدُ الْمُتَحَسِّمُ الْمُتَحَقِّقُ)^(٦)

- (١) الأطواق : جمع طوق ، وهو الوسع والطاقة .
 (٢) اليراعة : القلم .
 (٣) السماك : أحد مجمين نيرين يقال لأحدهما : السماك الراجح ، والآخر : السماك الأعزل .
 (٤) يريد « بالعالمين » : صبرى وشوقي السابق ذكرهما .
 (٥) هذا ، أى العيد الكبير . ويشير بقوله « تجرى الدماء » : الى دماء الأضاحى . وذا ، أى العباس . وتعتق : تسمع .
 (٦) هذا البيت من قصيدة صبرى فى هذا العيد ، والتي أشرنا الى مطلعها فيما سبق .

(١)
تهنئة السلطان عبد الحميد بعيد جلوسه

[نشرت في أول سبتمبر سنة ١٩٠٨ م]

(٢)
أَتَى الْحَجِيجُ عَلَيْكَ وَالْحَرَامِينَ * وَأَجَلَ عِيدَ جُلُوسِكَ الثَّقَلَانِ
أَرْضَيْتَ رَبَّكَ إِذْ جَعَلْتَ طَرِيقَهُ * أَمْنًا وَفُزْتَ بِنِعْمَةِ الرِّضْوَانِ
وَجَمَعْتَ بِالْمُسْتَوْرِ حَوْلَكَ أُمَّةً * شَتَّى الْمَذَاهِبِ جَمَّةَ الْأَضْغَانِ
فَقَدَوْتَ تَسْكُنُ فِي الْقُلُوبِ وَتَرْتَعَى * حَبَاتِهَا وَتَحُلُّ فِي الْوِجْدَانِ (٣)
رَاعَيْتَهُمْ حَتَّى عَلِمْتَ بِأَنَّهُمْ * بَلَّغُوا أَشَدَّهُمْ عَلَى الْأَزْمَانِ
بَجَلْتَ أَمْرَ النَّاسِ سُورَى بَيْنَهُمْ * وَأَقَمْتَ شَرْعَ الْوَاحِدِ الدِّيانِ
لَوْ أَنَّهُمْ وَزَنُوا الْجِيُوشَ بِمَشْهَدِ * رَجَحْتَ بِجَيْشِكَ كِفَّةَ الْمِيزَانِ (٤)
لَوْ شَاءَ زَلَزَلَهَا عَلَى أَعْدَائِهِ * أَوْ شَاءَ أَذْهَلَهَا عَنِ الدُّورَانِ (٥)
يَمْسُونَ فِي حَلْقِ الْحَدِيدِ إِلَى الْعِدَا * وَكَانَهُمْ سَدُّ مِنَ الْإِنْسَانِ (٦)
وَكُنْ مَقْدَمُهُمْ إِذَا لَمَعَ الضُّحَى * سَيْلٌ مِنَ الْهِنْدِيِّ وَالْمُرَانِ (٧)
يَتَوَاقِعُونَ عَلَى الرَّدَى وَصُفُوفُهُمْ * رَغَمَ الْوُثُوبِ كُنَايَتِ الْبُغْيَانِ

- (١) انظر التعريف بالسلطان عبد الحميد في الحاشية رقم ٤ ص ١٥ من هذا الجزء . (٢) الحجيج : جمع حاج . والثقلان : الإنس والجن . (٣) حبات القلوب : سويداواتها . وترتعى حباتها : الارتعاء . الرعى : وهو تبالغة في تعلق القلوب به . (٤) زلزلها وأذهلها ، أى الأرض . يصف جيشه بالقوة والكثرة ، حتى إنه لو شاء أمال الأرض بأعدائه ، أو جعلها تفت ذاهلة لما ترى من بأسه وقوته . (٥) حلق الحديد : الدروع . (٦) الهندي : السيف . والمران : الرماح القوية اللدنة ، الراحدة : مرانة . (٧) الردى : الهلاك .

فإذا المدافعُ في التَّزَالٍ تَجَاوَبَتْ * بَزْئِيرِهَا وَتَلَا حَمَّ الْجَبْشَانِ^(١)
 وإذا القَنَايِلُ دَمَدَمَتْ وَهَجَّجَتْ * تَحْتَ الْقُبَارِ تَهْجُرُ الْبُرْكَانِ^(٢)
 وإذا الْبَنَادِقُ أَرْسَلَتْ نِيرَانَهَا * طُلُقًا وَأَسْبَابُ الْمَلَكَ دَوَانِي^(٣)
 أَبْصَرَتْ جِنًّا فِي مَسَالِجِ قِتْيَةٍ * وَشَهَدَتْ أَفْنِدَةً مِنَ الصُّوَانِ^(٤)
 مَرُّهُمْ يَخْوِضُوا الزَّانِحَاتِ وَيَنْسِفُوا * شُمَّ الْجِبَالِ قُوَّةَ الْإِيمَانِ^(٥)
 تَلَجَّتْ صُدُورُهُمْ وَقَرَّ قُرَاهُمْ * لَمَّا حَلَقَتْ بِأَوْثَقِ الْأَيْمَانِ^(٦)
 تَالَهُ مَا شَكُّوا بِصِدْقِكَ دُونَهَا * هُمْ يَعْرِفُونَ شَمَائِلَ السُّلْطَانِ^(٧)
 لَكُنْهُمْ دَرَجُوا عَلَى سَنَنِ بِهِ * لِيُوقَايَةَ الدُّسْتُورِ خَيْرُ ضَمَانِ^(٨)
 يَا أَيُّهَا الشَّعْبُ الْكَرِيمُ تَمَاسَكُوا * وَخُذُوا أُمُورَكُمْ بِبَزِيرِ قَوَانِي
 مَالِي أَدْكُرُّكُمْ وَتِلْكَ رُبُوعُكُمْ * مَرَعَى النَّهْيِ وَمَنَايُ الشُّجْعَانِ^(٩)
 أَدْرَكْتُمُ الدُّسْتُورَ غَيْرَ مُلَوِّثٍ * بَدَمٍ وَلَا مُتَلَطِّظًا بِهَوَانِ

(١) استعمال «القنابل» بمعنى قذائف المدافع، استعمال شائع في لغة العصر؛ ولم ترد به لغة العرب.
 ودمدمت عليهم، أى أريخت الأرض بهم وأطبقت عليهم المذاب. (٢) طلقاً (بضم الطاء واللام)،
 أى انطلاقاً بلا احتباس ولا تقييد. (٣) المسالخ والمسالخ: الجلود، الواحد: مسالخ.
 يقول: منهم جن في صور الإنس. (٤) الزانحات: البحار. وشم الجبال: أعاليها.
 (٥) تلج صدره بالشيء: برد واطمأن وسكن قلبه إليه. ويريد «بأوثق الأيمان»: الإمين التي حلفها
 السلطان على احترام الدستور. (٦) دونها، أى دون الإمين. (٧) درجوا: ساروا.
 والسنن (بالتحريك): الطريق. يقول: منهم ساروا على الطريقة الدستورية المتبعة في جميع الممالك
 وهى أن يحلف الملك الإمين على احترام الدستور، وإن كان الملك مقطوعاً بصدقه عند رعيته، ولكن
 ليكون ذلك الحلف ضمناً للدستور. (٨) الهوان: القتل.

وَقَلَّمُ فَمَلَّ الرِّجَالِ وَكُنْتُ * يَوْمَ الْقَحَارِ كَأَمَةِ الْيَابَانِ
 تَفَقَّشُوا ظِلَّ الْهَلَالِ فَإِنَّهُ * جَمُّ الْمَبْرَةِ وَإِسْعُ الْإِحْسَانِ^(١)
 يَرْعَى لِمُوسَى وَالْمَسِيحِ وَأَحْمَدِ * حَقَّ الْوَلَاءِ وَحُرْمَةِ الْأَدْيَانِ
 نَفْذُوا الْمَوَاتِقَ وَالْعَهْدَ عَلَى هُدًى الـ * حُورَاءِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ
 وَتَذَوَّقُوا مَعْنَى الْحَيَاةِ فَإِنَّهَا * فِي مِصْرَ أَلْفَاظٍ بَشِيرٍ مَعَانِي
 وَدَعُوا التَّقَاطُعَ فِي الْمَذَاهِبِ بَيْنَكُمْ * إِنَّ التَّقَاطُعَ آيَةُ الْخِذْلَانِ^(٢)
 وَتَسَابَقُوا لِلْبَاقِيَاتِ وَأَنْظِهَرُوا * لِلْعَالَمِينَ دَفَائِنَ الْأَذْهَانِ^(٣)
 وَلَى زَمَانُ الْمُتَعَدِّينَ كَمَا أَنْطَوَتْ * رِجْلُ الشُّيُوخِ وَإِمْرَةُ الْخَصِيَانِ^(٤)
 لَا الشُّكَّ يَذْهَبُ بِالْيَقِينِ وَلَا الرُّؤْيَ * تُجِدِي الْمُسَىَّ وَلَا رُقَى الشَّيْطَانِ^(٥)
 وَضِعَ الْكِتَابُ وَسَبَقَ بِهِمْ إِلَى * يَوْمِ الْحِسَابِ وَمَوْقِفِ الْإِذْهَانِ

(١) نفقوا ظل الهلال ، أى التجفوا إليه واستظلوا به ؛ يقال : نفق الشجرة ، إذا دخل في أفيائها ، أى ظلها ، واستظل بها . (٢) الباقيات : المآثر الخالدة بعد زوال أمصاتها . ويريد «دَفَائِنُ الْأَذْهَانِ» : نتائج القرائح وثمرات القول . (٣) يريد «إِمْرَةُ الْخَصِيَانِ» : السلطة التى كانت للأطوارات فى القصور . (٤) الرؤى : الأحلام ، الواحدة : رؤيا . والرقي : جمع رقية ، وهى المؤدة التى يرقى بها من به حلة . ويشير «بالرؤى والرقي» : الى أحوال أبى الهدى العبادى فى زمن السلطان عبد الحميد ، وما كان يدخل به الى قلب السلطان من الحيل والأكاذيب بالرق والتعاوين والأحلام وغير ذلك . (٥) يشير بقوله : «وضع الكتاب» : الى قوله تعالى إخبارا عما يكون فى البعث يوم الحساب : (وضع الكتاب قرى المجرمين) الآية . والمراد بوضع الكتاب هنا : الاستعداد لحساب المجرمين من الشعب على ما قدمت أيديهم قبل الدستور . والكتاب ، هو السجل الذى أحصيت فيه أعمالهم . والإذعان : الخضوع والافتقاد .

(١) وَتَوَسَّمُوهُمْ فِي الْقِيُودِ قَتَائِلُ * هَذَا فُلَانٌ قَدْ وَشَى بِفُلَانٍ
(٢) وَمَلَبَّبَ لَقَرِيرِهِ وَمُطَالِبٌ * بَدَمِ أَرِيقَ بَمَسِجِ الْحَيَاتِنِ
(٣) قَدْ جَاءَ يَوْمُهُمْ هُنَا ، وَأَمَامَهُمْ * بَعْدَ النُّشُورِ هُنَاكَ يَوْمٌ ثَانِي
(٤) سُبْحَانَ مَنْ دَانَ الْقَضَاءُ بِأَمْرِهِ * لِيَدِ الضَّعِيفِ مِنَ الْقَوَى الْجَانِي
(٥) يَأْيُومَ عَادَ النَّازِحُونَ لِأَرْضِهِمْ * يَتَسَابَقُونَ لِرُؤْيَا الْأَوْطَانِ
(٦) لِلَّهِ كَمْ أَطْفَآتٍ مِنْ نَارٍ ذَكَتْ * دَهْرًا وَكَمْ هَدَّاتٍ مِنْ أَشْجَانِ
(٧) هَذَا يَطِيرُ إِلَى (فُرُوقٍ) وَمِنْ بَهَا * شَوْقًا وَذَاكَ إِلَى رَبِّي بُنَانِ
(٨) خَلَعُوا الشَّبَابَ عَلَى الْبَشِيرِ وَأَخْلَقُوا * بِاللَّثَمِ عَهْدَ خَلِيفَةِ الرَّحْمَنِ
(٩) وَتَعَانَقُوا بَعْدَ النَّوَى نَحْمَائِلُ * يَحُلُّوْهُنَّ تَعَانُقُ الْأَغْصَانِ
قَرَى النِّسَاءَ مَعَ الرِّجَالِ سَوَافِرًا * لَا يَتَّقِينَ عَوَادِيَ الْأَجْفَانِ

(١) تومسوم ، أى تفرسوا فى وجوههم وتعرفوهم . (٢) يقال : لب فلان فلانا ، اذا أخذ بثلبيه ، أى جمع ثيابه عند صدره ونحوه فى الخصومة ثم يره . ومسج الحياتن : البحر . يشير الى من كان يأمر السلطان بإغراقهم فى مضيق البسفور . (٣) النشور : الإحياء بعد الموت ، أى يوم القيامة . (٤) « دان القضاء » الخ : أى اقتص للضعيف من القوى . (٥) النازحون : البعيدون ؛ ويريد رجال السياسة الذين كان قد نقاهم السلطان عبد الحميد عن بلادهم لمطالبتهم بإياه بال دستور . (٦) ذكت النار : اشد لها . (٧) فروق (فتح الفاء) : اسم القسطنطينية . والرب : جمع ربوة ، وهى ما أرتفع من الأرض . (٨) خلعوا الشباب على البشير ، أى انهم كادوا من فرحهم بيشرى العودة الى بلادهم يخلعون على من بشرهم بذلك حلل شبابهم بدل ثيابهم . وأخلقوا باللثم الخ ، أى أكثروا من تقيل عهد الخليفة الى أن صار كالثوب الملقى ، أى الرث البالى . ويريد «بعهد الخليفة» : فرمان المكتوب بعهد إليهم ، وتأمين الخاضعين منهم . (٩) الخائف : جمع نخلة ، وهى الموضع الكثير الشجر .

عَجَبًا لَمَنْ وَقَدْ خُلِقْنَ أَوَائِسا * يَرُؤْنَ فِي فَرْجٍ فِي أَحْرَابِ
 أَهْلًا بِحَاسِرَةِ اللَّثَامِ وَمَنْ إِذَا * سَفَرْتُ عَنَّا لَجَالِيَا الْقَمَرَانِ
 خَطَرْتُ فَعَطَّرْتُ الْمَشَارِقَ عِنْدَمَا * هَبَّتْ نَسَائِمُهَا مِنَ الْبَلْقَانِ^(٢)
 يَالَيْتَهَا خَطَرْتُ بِمَصْرَ وَأَشْرَقَتْ * فِي يَوْمٍ أَسْعُدِيهَا عَلَى طُهْرَانِ^(٣)
 أَضْنَاهُمَا شَوْقٌ قَدْ أَبْيَضَتْ لَهُ * كَكَيْدَاهُمَا وَتَصَدَّعَ الْقَلْبَانِ^(٤)
 عَرَفَ الْوَرَى مِيقَاتَهَا فَتَرَقَّبُوا * (تَمُوزُ) مِثْلَ تَرَقُّبِ الظُّلُمَانِ^(٥)
 شَهْرٌ بِهِ بُعِثَ الرَّجَاءُ وَأُنْشِرَتْ * أُمٌّ وَبُدِّلَ خَوْفُهَا بِأَمَانِ^(٦)
 فَلَهُ عَلَى الدُّنْيَا الْجَدِيدَةِ نِعْمَةٌ * يَشْدُو بِذِكْرِ صَلْبِهَا الْفَتَيَانِ
 وَعَلَى قَرْنَيْسِ الْحَضَارَةِ مِنَّةٌ * تُثْلِي أَنَاشِيدَ لَهَا وَأَغَانِي
 تَمُوزُ، أَنْتَ أَبُو الشُّهُورِ جَلَالَةً * تَمُوزُ، أَنْتَ مَنِ الْإِسِيرِ الْعَانِي
 هَلَّا جَعَلْتَ لَنَا نَصِيبًا عَلْنَا * نَجْرِي مَعَ الْأَحْيَاءِ فِي مِيدَانِ
 أَيْعُودُ مِنْكَ الْآمِلُونَ بِمَا رَجَوْا * وَنَعُودُ نَحْنُ بِذَلِكَ الْحِرْمَانِ

- (١) حاسرة اللثام : كاشفته . ويريد بها الحرية . وعنا : نخضع . والقمران : الشمس والقمر .
 (٢) طهران : مدينة بإيران معروفة ، وهي عاصمتها . يتقن في هذا البيت الدستور والحرية لمصر وإيران
 مثل تركيا . (٣) أضناه الشوق : أسقمه . وأبيضاض الكبد : كناية عن شدة الحزن .
 (٤) ميقاتها : وقتها . وتموز : اسم شهر من السنة المسيحية ، يقابل شهر يوليو ، وهو الشهر الذي نالت
 فيه الأمة العثمانية دستورها ، كما نالت فيه فرنسا حريتها ، واستقلت فيه أمريكا ؛ ولهذا جعله الشاعر
 ميقات الحرية وإبانها . (٥) أنشرت : من الإنشار ، وهو الإحياء بعد الموت .
 (٦) الدنيا الجديدة : أمريكا . يشدو : يترنم . والفتيان : الليل والنهار .

المديح والتهاني

٤٩

تَمْوِزُ، إِنَّ بِنَا إِلَيْكَ لِحَاجَةً * فَتَى الْأَوَانُ وَأَنْتَ خَيْرُ أَوَانٍ
(١)
مَنْ عَلَى دَارِ السَّلَامِ تَحِيَّةٌ * وَعَلَى الْخَلِيفَةِ مِنْ بَنِي عُثْمَانَ
(٢)
وَعَلَى رِجَالِ الْجَيْشِ مِنْ مَا شِئَ بِهِ * أَوْ رَاكِبٍ أَوْ نَازِحٍ أَوْ دَانِي
(٣)
وَعَلَى الْأَثَلَى سَكَنُوا إِلَى الْحُسْنَى سَوَى * ذَاكَ الَّذِي يَدْعُو إِلَى الْعِصْيَانِ
(٤)
وَالِ الْجِجَارِ الْخَارِجِيِّ وَمَا بِهِ * إِلَّا اقْتِنَاصُ الْأَصْفَرِ الرَّانِ
(٥)
مَا لِلشَّرِيفِ الْمُتَمَيِّحِ حَسَبًا إِلَى * خَيْرِ الْبَرِيَّةِ مِنْ بَنِي عَدْنَانَ
(٦)
أَمْسَى يَمَالُكُهُ وَيَنْصُرُ غِيَّهُ * وَضَلَّاهُ بِجُحَالَةِ الْعُرَابِ
(٧)
تَالَهُ لَوْ جَنَّدْتُمَا رَمَلَ النَّقَا * وَتَزَلُّتُمَا بِمَوَاطِنِ الْعِقْبَانِ
(٨)
وَعَرَسْتُمَا أَرْضَ الْجِجَارِ أَسِنَّةً * وَأَسَلْتُمَا بَحْرًا مِنَ النَّيِّرَانِ
(٩)
وَأَقْسَمْتُمَا فِيهَا الْمَعَاوِلَ مَنَعَةً * مِنْ أَرْضِ تَجْدٍ إِلَى خَلِيجِ عُثْمَانَ
(١٠)
لَدَهَا تَكَا وَرَمَا كَمَا وَذَرَا تَكَا * مَا حَى الْحُصُونِ وَمَا حَى الْبُلْدَانِ
إِنْ تَأْتِيَا طَوْعًا وَإِلَّا قَاتِيَا * كَرِهًا بِلَا حَوْلٍ وَلَا سُلْطَانِ

- (١) دار السلام : الآسنة . (٢) النازح : البعيد . (٣) سكنوا الى الحسنى : اطمأنوا اليها ولاذوا بها . (٤) الأصفر الزنان : الذهب . ويشير بهذا البيت وما بعده الى ما كان يضممه والى الجواز والشريف من عجايب السلطان والانتفاض عليه إذ ذاك . (٥) الشريف : أمير مكة . والمتسمى : المنتسب . (٦) يمالئه : يشايه . والجحالة : سفلة الناس . (٧) الضمير فى « جندتُمَا » يعود الى والى الجواز وشريف مكة . والنقا : القطعة العظيمة من الرمل تنقاد محدودة ، شبه بها الجنود فى كثرة العدد . ويريد « بمواطن العقبان » : رموس الجبال ، إذ هى التى تسكنها . والعقبان : جمع عقاب ، وهو من جوارح الطير ، وتسميه العرب بالكاسر . (٨) يريد « بالأسنة » : الرماح . (٩) المعاول : الحصون ، الواحد معقل . (١٠) يقال : ذرت الريح التراب فى الهواء . تذروه ذروا وتذريه ذريا ، إذا فرقته وأطارته . ويريد « بما حى الحصون » : الخ : السلطان .

- (١) وَإِلَيْكَ يَا قَرَعَ الْخَلَائِفِ مِدْحَةً * عَزَّتْ شَوَارِدُهَا عَلَى (حَسَنِ)
(٢) مِنْ شَاعِرٍ تَثْبُتُ النُّهَى لِقَرِيضِهِ * وَثَبَ النَّفْسُ لِرَنَّةِ الْعِيدَانِ
(٣) يَهْدِي الْمَدِيحَ إِلَى الْمَلِكِ سَبَائِكًا * تَعْنُو لَهْنُ سَبَائِكُ الْعِقْيَانِ
(٤) إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا أَسْتَوَتْ أَلْبَسَتْهَا * بِالْمَدْحِ تِيْجَانًا عَلَى تِيْجَانِ

إلى أحمد شوقي^(٥) بك

يهنئه حين أنعم عليه بالرتبة الأولى العلمية

إِنْ هَنَّاؤُكَ بِهَا فَلَسْتُ مُهْتَنًّا * لِنِيَّ عَهْدَتِكَ قَبْلَهَا مَحْسُودًا
قَدْ كَانَ قَدْرُكَ لَا يُحْدِثُ نَبَاهَةً * وَسَعَادَةٌ فَتَدَا بِهَا مَحْدُودًا

تهنئة الخديوي عباس الثاني بقدمه من الحج

[١٩٠٩٨١٣٢٧ م]

مُنَى قَلْبَهَا يَا لَيْسَ الْمَجْدُ مُعَلَّمًا * أَدِينًا وَدُنْيَا؟ زَادَكَ اللَّهُ أَنْعَمًا^(٦)

- (١) الشوارد من الشعر: المعاني التي تترد عن أذهان الشعراء وتمزج عنها لغزاتها. وحسان
هو ابن ثابت الأنصاري الشاعر المعروف. (٢) القريض: الشعر. (٣) تعنو:
تخضع. والعقيان: الذهب الخالص. (٤) استوت، أى جلست على عروشها وتملكت.
(٥) ولد أحمد شوقي بك بالقاهرة حوالى سنة ١٨٦٨ م وبعد أن أتم علومه الابتدائية ثم الثانوية
التحق بمدرسة الحقوق، وبعد تخرجه فيها اتصل بمعية أمير مصر، ثم سافر إلى أوروبا لينتم دراسته، ثم عاد
إلى المهنة ثانية، وبقى بها حتى خلع عباس الثاني، فاستقال. وتوفى رحمه الله في ١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٢
عن نحو أربعة وستين عاما، وله ديوان شعر مطبوع، جمع فيه أكثر شعره وغير ذلك من الكتب.
(٦) الثوب المعلم، هو الذى له علم من طراز وغيره؛ شبه به المجد فى وضوحه واشتهاره.

فَلِلَّهِ مَا أَبْهَكَ فِي مِصْرَ حَالِيَا * وَلِلَّهِ مَا أَتَقَاكَ فِي الْبَيْتِ مُحْرِمَا
 أَقُولُ وَقَدْ شَاهَدْتُ رَكْبَكَ مُشْرِقًا * وَقَدْ يَمُّ الْبَيْتَ الْعَتِيقَ الْمُحْرَمَا^(١)
 مَسَتْ كَعْبَةُ الدُّنْيَا إِلَى كَعْبَةِ الْهُدَى * يَفِيضُ جَلَالُ الْمُلْكِ وَالَّذِينَ مِنْهُمَا
 فَيَا لَيْتَنِي أَسْطَعْتُ السَّبِيلَ وَلَيْتَنِي * بَلَغْتُ مَنَى الدَّارَيْنِ رَجَبًا وَمَعْنَا^(٢)
 وَفِي الرُّكْبِ شَمْسٌ أَنْجَبَتْ أَنْجَبَ الْوَرَى * فَتَى الشَّرْقِ مَوْلَانَا الْأَمِيرَ الْمُعْظَمَا^(٣)
 تَسِيرُ إِلَى شَمْسِ الْهُدَى فِي حَفَاوَةٍ * مِنَ الْعِزِّ تُحَدِّدُهَا الزُّوَاهِرُ أَيْمَنَا^(٤)
 فَلَمْ أَرَأَفًا قَبْلَ رَكْبِكَ أَطْلَعْتَ * جَوَانِبُهُ بَدْرًا وَشَمْسًا وَأَنْجَبَا
 وَلَوْ أَنِّي خَيْرْتُ لِأَخْتَرْتُ أَنْ أَرَى * لِعَيْسِكَ وَحْدَى حَادِيًا مُتَرَمَّا^(٥)
 أَسِيرُ خِلَالَ الرُّكْبِ نَحْوَ حَظِيرَةٍ * عَلَى رَبِّهَا صَلَّى الْإِلَهُ وَسَلَّمَ
 إِلَى خَيْرِ خَلْقِ اللَّهِ مَنْ جَاءَ نَاطِقًا * بِآيَاتِهِ إِنْجِيلُ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَا
 حَلَلْتَ بِأَكْخَافِ الْجَزِيرَةِ مَارًا * فَأَنْضَرْتَ وَاذِيهَا وَكُنْتَ لَهَا سَمَا^(٦)
 وَأَشْرَقْتَ فِي بَطْحَاءِ مَكَّةَ زَائِرًا * فَبَاتَ عَلَيْكَ اللَّيْلُ يُحْسَدُ زَمَنَمَا^(٧)

- (١) يمم : قصد . والبيت العتيق : الكعبة . (٢) اسطعت : استطعت ؛ ويرد قدرته على أداء فريضة الحج ؛ يشير إلى قوله تعالى : (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا) .
 (٣) يريد «بالشمس» : أم الخديوي ، وكانت قد حجّت معه . (٤) يريد «بشمس الهدى» : رسول الله صلى الله عليه وسلم . والخفاوة : العنابة والإكرام . والزواهر : النجوم ، والمراد وصفاتها .
 وأيما ، أى أينما سارت . (٥) العيس : الإبل ؛ ويطلق في الأصل على الإبل البيض يخالط بينها شقرة ؛ ويقال : إنها كرام الإبل ، الواحد عيس ، والأثنى عيساء . (٦) أكخاف : الجزيرة ؛ جوانبها . وأنضرت واذيها ، أى جعلته ناضرا حسنا بهيجا بن الخصب . ويريد بقوله : «وكنْتَ لها سما» : أنه كان لها مطرا ؛ وقد هطل المطر في جزيرة العرب أيام حجه .
 (٧) البطحاء والأبطح : مسيل للاء واسع ، فيه دقاق الحصى . وبطحاء مكة : مسيل واديها .

- (١) وما ظفرت من بعد (هارون) أرضها * بمثلك ميمون النقيبة منيما
ولا أبصر الحجاج من بعد شخصه * على عرفات مثل شخصك محرمًا
(٢) ربيت فسدت الجار فلم تكن * حمارًا على إبليس بل كن أسهما
(٣) وإن الذي ترميه وقف على الردى * وإن لاذ بالآفلاك يا خير من رمى
وبين الصفا والمروة أزدت عزة * يسعك يا (عباس) لله مسهب
(٤) نهزول للولى الكريم معظما * وتم هزول الساعى إليك وعظما
(٥) وطفت وتم طافت بسدتك المني * وتم أمسك الراجى بها وتحرمًا
(٦) ولما استأمت الركن حاجت شجونه * فلو أنه أسطاع الكلام تكلمًا
(٧) تدكر (زين العابدين) وجده * وما كان من قول (الفرزدق) فيها

(١) يريد هارون الرشيد الخليفة العباسي المعروف . وميمون النقيبة ، أى محمود المختبر (بفتح الباء) .
(٢) الجار : الحصى الذى يرى به الحجاج فى منى . (٣) الردى : الهلاك . يقول : إن الذى ترميه هالك لا محالة وإن تحصن منك بأفلاك السماء . (٤) المروة : الإسراع فى المشى .
ويريد «الساعى» : طالب المعروف . (٥) السدة : الباب . وتحزم بسدته : احتشى بها واستأمن من نواب الدهر بالوقوف بها كما يستأمن الداخل فى الحرم من العدوان عليه . (٦) شجونه ، أى أشوائه . (٧) زين العابدين ، هو أبو الحسن على بن الحسين بن على رضى الله تعالى عنهم ، أحد الأئمة ، وهو من سادات التابعين ، ولد فى سنة ثمان وثلاثين للهجرة . وتوفى سنة أربع وتسعين ، وقيل : اثنتين وتسعين . والفرزدق ، هو أبو فراس همام بن غالب التميمي أحد فحول الشعر فى العصر الأموي ، وكانت ولادته ونشأته بالبصرة ، وتوفى بها نحو سنة مائة وعشر هجرية . ويشير الشاعر فى هذا البيت الى قول الفرزدق فى قصيدته المشهورة فى مدح زين العابدين ، ومنها :

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته * والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم * هذا التقي النقي الطاهر العلم

المدح والتهاني

٥٣

- (١) فلو يَسْتَطِيعُ الرُّكْنُ أَمْسَكَ رَاحَةً * مَسَحَتْ بِهَا يَا أَكْرَمَ النَّاسِ مُتَمَتَّى
دَعَوْتَ لَنَا حَيْثُ الدُّعَاءُ لِجَابَةٍ * وَأَنْتَ بَدَعَوَى اللَّهِ أَطْهَرُنَا فَمَا
أَمَانِيكَ الْكُبْرَى وَهَمَّكَ أَنْ تَرَى * بِأَرْجَاءِ وَادِي النَّيْلِ شَعْبًا مُنْعَمًا
(٢) وَأَنْ تَبْنِيَ الْمَجْدَ الَّذِي مَالَ رُكْنُهُ * وَأَنْ تُرْهِفَ السَّيْفَ الَّذِي قَدْ تَشَلَّلَا
دَعَوْتَ لِصِيرَانٍ تَسْوَدَ وَكَمْ دَعَتْ * لَكَ اللَّهُ مِصْرًا أَنْ تَعِيشَ وَتَسَاوَا
(٣) فَلَيْتَ مُلُوكَ الْمُسْلِمِينَ تَشَبَّهُوا * بِمَلِكٍ إِذَا مَا أَحْجَمَ الدَّهْرُ أَقْدَمًا
سَلِيلَ مُلُوكٍ يَشْهَدُ اللَّهُ أَنَّهُمْ * أَقَامُوا عُمُودَ الدِّينِ لِمَا تَهْدَمَا
(٤) لَنْ بَاتَ بِالْمَجْدِ الْمُؤْتَلِ مُغْرَمًا * لَقَدْ كَانَ (إِبْرَاهِيمُ) بِالْمَجْدِ مُغْرَمًا
وَأِنْ تَامَ حُبُّ الْمَكْرُمَاتِ فَوَادَهُ * لَقَدْ كَانَ (إِسْمَاعِيلُ) فِيهَا مُتَمًا
(٥) وَإِنْ سَكَنْتَ تَقْوَى الْمُهِمِّينَ قَلْبَهُ * فَقَدْ كَانَ مِنْهَا قَلْبُ (تَوْفِيقٍ) مُفْعَمًا
(٦) وَإِنْ بَاتَ نَهَاضًا بِمِصْرَ إِلَى الذَّرَا * فِنْ جَدَّهُ الْأَعْلَى (عَلِيٍّ) تَعَلَّمَ
(٧)

(١) المتنى : الأمل الذى ينشئ اليه الإنسان ، أى يتسبب . ومعنى هذا البيت مأخوذ من قول الفرزدق فى زين العابدين :

- يكاد يمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
(٢) أرهف السيف : حده . وتلم : بكسر حده ، أى تعيد لمصر القوة التى تطرق اليها الضعف .
(٣) الملك (بكون اللام) : لغة فى الملك (بكسرها) . وأحجم : تأخر . (٤) المجيد المؤتل :
المؤتل الثابت . وإبراهيم ، هو إبراهيم باشا ابن محمد على باشا الكبير ؛ ولد سنة ١٧٨٩ م وتولى عرش مصر
فى حياة أبيه سنة ١٨٤٨ م وتوفى فى نفس السنة التى ولى فيها . (٥) تامة الحب والعشق بيا :
استعبده . وإسماعيل ، هو إسماعيل باشا ابن إبراهيم باشا ؛ ولد سنة ١٨٣٠ م وولى خديوية مصر فى ١٨
يناير سنة ١٨٦٣ م وعزل عنها سنة ١٨٧٩ م وتوفى فى ٢ مارس سنة ١٨٩٥ م . (٦) توفيق ،
هو محمد توفيق باشا ابن إسماعيل باشا ولد فى سنة ١٨٥٢ م ، وتولى الخديوية سنة ١٨٧٩ م وتوفى
سنة ١٨٩٢ م . والمفعم : المتلى . (٧) على ، أى محمد على باشا جد الأسرة المالكة ؛ ولد
بمدينة قوله عام ١٧٦٩ م ؛ وولى مصر عام ١٨٠٥ م ، وتوفى فى ٢ أغسطس سنة ١٨٤٩ م .

- (١) حَوَى مَاحَوَى مِنْ مَجْدِهِمْ وَنِجَارِهِمْ * وَزَادَ فَاعِيَا الْمَادِحِينَ وَأَفْصَمَا
(٢) دَعَا بِكَ وَأَسْتَسْقُوا فَلْيَ دُعَاءُهُمْ * مِنْ الْأَفْقَى هَتَانُ مِنَ الْمُزْنِ قَدْ هَمَى
(٣) أَلَحَّ عَلَى أَوَارِهِمْ وَسُهُولِهِمْ * وَحَيَّا عَبُوسَ الْقَفْرِ حَتَّى تَبَسَّما
(٤) وَلَمَّا طَوَى بَطْحَاءَ مَكَّةَ هَزَّه * إِلَى الْبَيْتِ شَوْقُ الْمُسْتَهَامِ قِيمَا
(٥) أَطَافَ بِهِ ثُمَّ أَنْتَى عَنْ فِنَائِهِ * وَلَوْ عَبَّ مِنْهُ (السَّامِرِيُّ) لَأَسْلَمَا
(٦) طَلَعَتْ عَلَيْهِمْ أَسْعَدَ الْخَلْقِ مَطْلَعًا * وَعُدَّتْ الْيَنَابِئُ أَيْمَنَ الْخَلْقِ مَقْدَمَا
رَجَعَتْ وَقَدْ دَاوَيْتَ بِالْجُودِ فَقَرَّهُمْ * وَكُنْتَ لَهُمْ فِي مَوْسِمِ الْحَجِّ مَوْسِمَا
(٧) وَأَمْنَتَ لِلْبَيْتِ الْحَرَامِ طَرِيقَهُ * وَكَانَ طَرِيقُ الْبَيْتِ مِنْ قَبْلِهَا دَمَا
(٨) وَيَسَّرْتَهُ حَتَّى آسَاطَاعَ رُكُوبَهُ * أَخُو الْقَفْرِ لَا يَطْوِيهِ جُوعٌ وَلَا ظَمَا

- (١) النجار: الأصل . وأخيه : أبجزة عن الكلام . (٢) استسقوا ، أى طلبوا السقيا .
والضمير فى «دعوا» «واستسقوا» لأهل مكة . والهتان : المنصب . والمزن : السحاب ذوالماء .
وهمى : سال لا يثنيه شئ . ويشير بهذا إلى مطر غزير نزل بمكة أيام حج الخلدوى فأخصبت به الأرض
وقاضت بالخير . (٣) ألح على أوارهم : دام عليها . والأوعار : ما صعب من الأرض . وعبوس
القفر : ما أجذب منه وقل نباته ، فصار كالوجه العابس الذى لا بشر فيه . وتبسم ، أى أخصب وكثر
نباته ، فاستعار «التبسم» لخصب الأرض وظهور ألوان النبات فيها . (٤) طوى ، أى المزن
السابق ذكره . وبطحاء مكة : مسبل واديا . وهزه : حركة . ويمم : قصد .
(٥) الفناء : الساحة . ويريد الشاعر بهذا البيت والذى قبله أن السحاب لما روى بطحاء مكة
تشوق إلى الكعبة فسار إليها ، ثم ارتد عنها إحلالا لها ولم يحط عليها . وعب منه : شرب . ويريد
بالسامرى : موسى السامرى الوارد ذكره فى القرآن فى قصة بنى إسرائيل ، إذ صنع لهم عجلا من الحلى
وحضهم على عبادته ، وكان ذلك فى غيبة نبي الله موسى عليه السلام فى ميقات ربه ؛ قال تعالى فى سورة
طه : (قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى) الآيات . (٦) أيمن الخلق ، أى أبركهم .
(٧) دما ، أى مملوا بالقتل وسفك الدماء . (٨) لا يطويه ، أى لا يردده ولا يصرفه .

(١)
وَجَدْتَ وَجَدْتَ رَبَّةَ الطَّهْرِ وَالنَّقَى * عَلَى الْعَامِ حَتَّى أَخْصَبَ الْعَامُ مِنْكَ
فَلَمْ تُبْقِ قَوْقَ الْجَزِيرَةِ بَائِسًا * وَلَمْ تَتْرُكْ فِي سَاحَةِ الْبَيْتِ مُعْدِمًا
فَأَرْضَيْنَا الدَّيَانَ وَالْدَّيْنَ كُلَّهُ * لَقَدْ رَضِيَ الدَّيَانُ وَالْدَّيْنُ عَنْكَ

(٢)
(تحية محمد سعيد باشا)

بمناسبة عودته من أوروبا في اليوم الحادى عشر من شهر شوال سنة ١٣٣٠ هـ وكان رئيسا للحكومة إذ ذاك

(٣)
فِيكَ السَّيِّدَانِ اللَّذَانِ تَبَارِيَا * يَا مِصْرُ فِي الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ
نَيْلٌ يَفِضُّ عَلَى سُهُولِكَ رَحْمَةً * وَقَى يَقِيكَ غَوَائِلَ الْعَثَرَاتِ
عَادَ الرَّئِيسُ فَرَحِي بِقُدُومِهِ * وَتَهَلَّى بِمُفَرِّجِ الْأَزْمَاتِ

(الى أمين واصف بك)

قال هذين البيتين ليكتبنا في لوحة مهداة إليه من مدرسة طوخ الصناعية ، إذ كان مديرا للقلوبية

[نُشِرَ في ٩ مايو سنة ١٩١٢]

لَمْ نَجِدْ مَا يَنْبَغِي بِقَدْرِكَ فِي الْمَجْدِ * يَدٍ فِيمُدِّي إِلَى حِمَاكَ الْكَرِيمِ
فَبَعَثْنَا إِلَيْكَ بِاسْمِكَ مَكْتُو * بَاً عَلَى صَفْحَةِ الْوَلَاءِ الْمُقِيمِ

(١) يريد «ربة الطهر» : والدة الخديوى . (٢) محمد سعيد باشا هو الوزير المعروف
ولد في سنة ١٨٦٣م وبعد أن أتم علومه تولى عدة مناصب قضائية وعدة وزارات ، ورأس الوزارة مرتين
الأولى من سنة ١٩١٠م الى سنة ١٩١٤م والثانية سنة ١٩١٩م وكان وزيرا للعارف في الوزارة السعدية
سنة ١٩٢٤م ثم اعتزل السياسة إلى أن توفي في ٢٠ يولييه سنة ١٩٢٨م ؛ وكانت معروفا بالعدل
والدهاء في الشؤون السياسية . (٣) تباريا : تسابحا .



وقال يودّعه :

أنشدها في حفل أقامه كبار موظفي مديرية القليوبية إذ كان مديرا لمديرتهم ونقل.

[نشرت في ٩ مايو سنة ١٩١٢]

إِنِّي دُعِيتُ إِلَى احْتِفَالِكَ بِحَقًّا * فَاجَبْتُ رَغْمَ شَوَاغِلِي وَسَقَامِي
(١)
وَدَعَوْتُ شِعْرِي يَا (أَمِينُ) نَفَانِي * أَدْبِي وَلَمْ يَرَّعَ الْقَرِيبُ ذِمَامِي
فَأَتَيْتُ صِفْرَ الْكَفِّ لَمْ أَمْلِكْ سِوَى * أَمَلِي بِصَفْحِكَ عَنْ قُصُورِ كَلَامِي
وَاجْتَلَيْتُ أَيْكُوتَ هَذَا مَوْفَى * فِي حَفْلَةِ التَّوْدِيعِ وَالْإِكْرَامِ
وَأَنَا الْخَلِيقُ بَابُ ارْتَلٍّ لِلْوَرَى * آيَاتِ هَذَا الْمُصْلِحِ الْمِقْدَامِ
وَأَقُومُ عَنْ نَفْسِي وَعَنْ غَيْرِي بِمَا * يَقْضِي الْوَلَاءُ وَوَجِبُ الْإِعْظَامِ
(٢)
(بِنَهَا)، لَقَدْ وَفَّيْتُ قِسْطَكَ مِنْ مَنَى * وَسَعَادَةٍ وَرِعَايَةٍ وَنِظَامِ
فَدَعَيْ سِوَاكَ يَفْزُ بِقَرَبِ مُوَفِّي * هُوَ فِي الْحُكُومَةِ مُجَبَّةُ الْحُكَامِ
لَيْسَ التَّوَاضُّعُ حُلَّةً وَمَشَى إِلَى * رَبِّ الْجَلَالِ مُسَدِّدِ الْأَقْدَامِ
وَعَدَا بِأَبْرَاجِ الْعُلَا مُتَنَقِّلًا * كَالْبَذْرِ يُسْعِدُهُ السُّرَى بِتَمَامِ

(١) الذمام : الحق والحكمة .

(٢) بنها : عاصمة مديرية القليوبية .

تهنئة محمود سامي بك (باشا)^(١)

قالها في حفل أقيم لتكريمه بفندق الكونغرنتال لمناسبة ترقيةه إلى منصب كبير في نظارة الأشغال

[نشرت في ١٢ يولييه سنة ١٩١٢ م]

رَبَّكَ وَالِدُكَ الْكَرِيمُ عَلَى التَّقَى * وَعَلَى التَّزَاهَةِ وَالضَّمِيرِ الطَّاهِرِ
فَنَشَأَتْ بَيْنَ رِعَايَةٍ وَعِنَايَةٍ * وَدَرَجَتْ بَيْنَ حَمَائِدٍ وَمَفَانِرِ
وَسَمَوَتْ يَا (سَامِي) إِلَى أَوْجِ الْعُلَا * وَبَرَعَتْ قَوْمَكَ بِالذِّكَايِ النَّادِرِ
رَبِّي أَبُوكَ عَقُولَنَا وَنُفُوسَنَا * فَأَهْنَأُ بِوَالِدِكَ (الْأَيِّمِينَ) وَفَانِحِرِ
وَأَهْنَأُ بِمَا أُوتِيَتْهُ مِنْ نِعْمَةٍ * فِي عَهْدِ مَوْلَانَا الْأَمِيرِ الزَّاهِرِ
يَا مَالِيَّ الْكُرْمِيِّ مِنْهُ مَهَابَةٌ * وَكِفَايَةٌ يَا مِلَّءَ عَيْنِ النَّاطِرِ
إِنِّ الَّتِي قُلْدَتْهَا فِي حَاجَةٍ * لِعَزِيمَةٍ تَمْضِي وَرَأْيٍ بِاتِرِ
فَأَقِضْ ضِيَاءَكَ فِي النِّظَارَةِ كُلِّهَا * وَأَقِضْ عَلَى الْأَعْمَالِ قَبْضَ الْقَادِرِ
وَأَخْدُمْ بِإِلَادِكَ يَالَّذِي أُوتِيَتْهُ * مِنْ فِطْنَةٍ وَأَقِلْ عِشَارَ الْعَاثِرِ
هَنَأْتُ مِصْرَ وَيَلَهَا وَرِجَالَهَا * لَمَّا رَأَيْتُكَ فِي ثِيَابِ الْإِمْرِ
وَرَأَيْتُ فِي الدِّيْوَانِ قَدْرَكَ عَالِيًا * وَالنَّاسَ تَهْتَفُ بِالثَّنَاءِ الْعَاطِرِ

- (١) هو ابن صاحب السعادة الأستاذ أمين سامي باشا المرابي المعروف . تولى رحمه الله عدة مناصب عالية في الحكومة المصرية آخرها منصب الوزير المفوض لمصر في أمريكا ، وتوفي في يولييه سنة ١٩٣٦
(٢) يشير بهذا البيت الى أن والده الممدوح من رجال التربية بوزارة المعارف ، وكان ناظرا للمدرسة دار العلوم مدة طويلة من الزمن ، وتخرج في أيام نظارته لهذه المدرسة كثيرون من الأساتذة الأجلاء .
(٣) العهد الزاهر : المضيء المشرق ، ويريد عهد الخديوي عباس الثاني . (٤) الباتر : التقاطع .
(٥) يقال : أقال فلان عثار فلان وعثرته ، إذا صفح عن زلة ودفع عنه ما يتوقع بسببها من مكروه .

مَا بَيْنَ مُعْتَرِفٍ بِفَضْلِكَ مُعْلِنٍ * أَوْ ضَارِعٍ لَكَ بِالْدُّعَاءِ وَشَاكِرٍ
أُمَهْنِدَسِ النَّيْلِ السُّعِيدِ تَحِيَّةً * مِنْ مِصْرَ تَحْدُوها تَحِيَّةُ شَاعِرٍ
يَدْعُو إِلَهَكَ أَنْ يَكْثُرَ بَيْنَنَا * أَمْثَالَ (سَامِي) فِي الزَّمَانِ الْحَاضِرِ

إلى الدكتور على ابراهيم بك (باشا) الجراح المعروف

[نشرت في ١٥ سبتمبر سنة ١٩١٢]

هَلْ رَأَيْتُمْ مُوَفَّقًا (كَعَلِيٍّ) * فِي الْأَطِبَّاءِ يَسْتَحِقُّ الثَّنَاءَ
أَوْدَعَ اللَّهُ صَدْرَهُ حِكْمَةَ الْعَدِّ * سِيمَ وَأَجْرَى عَلَى يَدَيْهِ الشِّفَاءَ
كَمْ نَفُوسٍ قَدْ سَلَّهَا مِنْ يَدِ الْمَوْتِ * تِ بِلُطْفٍ مِنْهُ وَكَمْ سَلَّ دَاءَ^(١)
فَارَانَا (لُقْمَانَ) فِي مِصْرَ حَيًّا * وَجَبَانًا لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءَ^(٢)
حَفِظَ اللَّهُ مِصْصَعًا فِي يَدَيْهِ * قَدْ أَمَاتَ الْأَسَى وَأَحْيَا الرَّجَاءَ^(٣)

تحية خليل مطران بك

أنشدنا في حفل أقيم بدار الجامعة المصرية لتكريمه بمناسبة الإتمام عليه بالنيشان المجيدى

يوم ٢٤ أبريل سنة ١٩١٣ م

جَازَى عِرْفُهَا فَهَاجَ الْغَرَامَا * وَدَعَانِي فَرْزُهَا إِمَامَا^(٤)
جَنَّةٌ تَبْعُثُ الْحَيَاةَ وَتَجْلُو * صَدَا النَّفْسِ رَوْقًا وَنِظَامَا

(١) سلها: اقترعها وأقترعها. (٢) لقمان: حكيم معروف. وجباناً: أعطانا. (٣) الموضع: المشروط. والأسى: الحزن. (٤) العرف: الرجح اللبية. وإماماً: أى زيارة قصيرة.

المدح والتهاني

٥٩

- (١) زُرْتُهَا مَوْهِنًا وَفِي طَيِّ نَفْسِي * ذِلَّةُ الصَّبِّ وَأَنْكَسَارُ الْيَتَامَى
(٢) وَتَقَلُّتُ فِي تَحَالُلِهَا الْخُضْ * رِيَمَيْنَا وَيَسْرَةٌ وَأَمَامَا
(٣) فَإِذَا رَوْضَاتٍ فِي ذَلِكَ الرَّوْ * ضِ تَمِيسَانِ تَحْتَ رِيحِ الْخُزَامَى
(٤) جَاءَتَا تَحْطِرَانِ وَالنَّجْمُ سَاهٍ * وَعُيُونُ الْأَزْهَارِ تَبْنِي الْمَنَامَا
(٥) جَازَتَا مَوْضِعِي فَهَبَّ نَسِيمٌ * أَذْكَى مِنِّي الْأَسَى وَهَاجَ الْهِيَامَا
(٦) فَتَرْتَمَّتْ مِنْهُمَا أَثَرُ الْخَطِّ * يَوْ وَخَافَتْ فِي الْمَسِيرِ احْتِشَامَا
(٧) وَتَسَمَّعْتُ عَلَيَّ أَطْفِئُ الشَّوْ * قَ وَأَرْوِي مِنَ الْفُؤَادِ الْأَوَامَا
(٨) فَإِذَا لَهَجَتَانِ مِنَ لَهَجَاتِ الْشَّ * رِقَ قَدْ شَاقَتَا فُؤَادِي فَهَامَا
تلك سُورِيَّةٌ تَفِيضُ بَيَانًا * تلكَ مِصْرِيَّةٌ تَسِيلُ أَنْسِجَامَا
فُطْنَةٌ عِنْدَ رِقَّةٍ عِنْدَ ظَرْفٍ * عِنْدَ رَأْيٍ تَحَالُهُ الْهَامَا
(٩) مَالَتَا نَحْوَ دَوْحَةٍ تُرْسِلُ الْأَغْ * صَانَ وَأَخَارَتَا لَدَيْهَا مُقَامَا

- (١) الموهن : نحو نصف الليل . (٢) الخمائل : المواضع الكثيرة الشجر، الواحدة خميلة .
(٣) تَمِيسَان : تَبَخَّرَان . والخزاي : خيري البر، وزهره من أطيب الأزهار تفتح .
(٤) كنى « بسو النجم » و « نوم الزهر » عن سكون الليل وركود ظلامه .
(٥) يلاحظ أنه لا يستقيم الوزن إلا بحذف حرف العلة من قوله « أذكى » ؛ وهو خطأ لا نجيزه اللغة، ولعل في لفظي « أذكى » « وهاج » في هذا الشطر تقدما وتأخيرا ؛ والصواب « هاج » في الأول و « أذكى » في الثاني لسم من ذلك العيب . والأسى : الحزن . والهيام : شدة الشوق .
(٦) خافت في المسير ، أى خفضت منه وخففت من وقع الخطو لئلا يسمع .
(٧) الأوام : شدة العطش . ويريد الاشتياق إلى حديثهما .
(٨) المراد « بالهجة » هنا : طريقة النطق بالألفاظ وجرس الكلام .
(٩) الدوحة : الشجرة العظيمة المنسعة .

- (١) ثم أَلَقْتُ فِنَاعَهَا بِنْتُ مِصْرٍ * وَأَمَاطَتْ بِنْتُ الشَّامِ الشَّامَا
فَتَوَهَّمْتُ أَنْ قَدْ انْفَلَقَ الْبَدُ * رُ وَقَدْ كُنْتُ أَنْكِرُ الْأَوْهَامَا
- (٢) فَتَوَارَيْتُ ثُمَّ عَلَّقْتُ أَنْفَا * سَيَّ مَا اسْطَظْتُ وَأَرْتَدَيْتُ الظَّلَامَا
ظَنَّنَا ذَلِكَ الْمَكَانَ خَلَاءً * لَا رَقِيبًا يُخَشَى وَلَا نَمَامَا
بِخَيْرَى فِيهِ مَا جَرَى مِنْ حَدِيثٍ * كَانَ بَرْدًا عَلَى الْحَشَا وَسَلَامَا
حِينَ قَالَتْ لِأُخْتِهَا بِنْتُ مِصْرٍ: * إِنَّكُمْ أُمَّةٌ أَبَتْ أَنْ تُقْصَامَا
- (٣) صَدَقَ الشَّاعِرُ الَّذِي قَالَ فِيكُمْ * كَلِمَاتٍ نَبَّهْنَ مِنَ النَّيَامَا
- (٤) رَكِبُوا الْبَحْرَ جَاوَزُوا الْقُطْبَ فَأَتُوا * مَوْقِعَ النَّيِّرِينَ خَاضُوا الظَّلَامَا
يَمْتَطُونَ الْخُطُوبَ فِي طَلَبِ الْعَيْدِ * يَشِي وَيَبْرُونَ لِلنَّضَالِ السَّهَامَا
- (٥) فَأَنْبَرَتْ ظَلِيَّةُ الشَّامِ وَقَالَتْ: * بَعْضَ هَذَا فَقَدْ رَفَعْتَ الشَّامَا
أَنْتُمْ الْأَسْبَقُونَ فِي كُلِّ مَرَمَى * قَدْ بَلَغْتُمْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَرَامَا
- (٦) إِنَّمَا الشَّامُ وَالْكِنَانَةُ صِنْتَا * نِ رَغَمِ الْخُطُوبِ عَاشَا لِزَامَا
أُمِّكُمْ أُمَّنَا وَقَدْ أَرْضَعْتَنَا * مِنْ هَوَاهَا وَنَحْرُ نَابِي الْفِطَامَا
- (٨) قَدْ تَزَلْنَا جَوَارِكُمْ فَمِنْ دُنَا * مِنْكُمْ الْوُدُّ وَالنَّدَى وَالذَّمَامَا

- (١) أماطت اللام: أبعدته ونحته. (٢) علقت أنفاسي، أي حبستها عن التردد في صدى
لئلا تسمع فيعرف مكانى. (٣) الشاعر، هو حافظ، والبيتان اللذان بعد هذا البيت من قصيدة
له ستأتى في هذا الديوان. (٤) النيران: الشمس والقمر. يصف عزم الشاميين وكثرة ارتحالهم
في طلب الرزق. (٥) بعض هذا، أى قول بعض هذا اذ لا تستحق كله. (٦) الصنو:
الأخ الشقيق. (٧) ريد «بالأم»: اللغة العربية. (٨) الذمام: الحرمة والذمة.

وَحَلَّلْنَا فِي أَرْضِكُمْ فَاصْبُنَا * مَنَزِلًا مُخْصِبًا وَأَهْلًا كَرَامًا
 وَعَشِينَا دِيَارَكُمْ حَيْثُ شِئْنَا * فَلَقِينَا طَلَافَةً وَابْتِسَامًا
 (١)
 وَشَرِبْنَا مِنْ نَيْلِكُمْ فَتَسِينَا * مَاءَ لُبْنَانٍ سَلْسَلَا وَالْغَمَامَا
 وَقَبَسْنَا مِنْ نُورِكُمْ فَكَتَبْنَا * وَأَجَدْنَا نِشَارَنَا وَالنَّظَامَا
 وَتَلَوْنَا آيَاتِ شَوْقٍ وَصَبْرِي * فَرَأَيْنَا مَا يَهْرُ الْأَفْهَامَا
 مَلَأَ الشَّرْقَ حِكْمَةً وَأَقَامَا * فِي ثَنَاءِ النُّفُوسِ أُنًى أَقَامَا
 غَنَّى الْمَشْرِقَيْنِ مَا تَرَكَ الْأَفْ * لَكَ حَيْرِي وَأَذْهَلَ الْأَجْرَامَا
 (٢)
 وَأَعَادَا عَهْدَ الرَّشِيدِ لَعْبَا * سَ فَكَانَا يَرَاعُهُ وَالْحُسَامَا
 (٣)
 فَأُشَارَتْ فِتَاءُ مَضْرٍ وَقَالَتْ : * قَدْكَ، لَمْ تَتْرُكِي لِمَضْرٍ كَلَامَا
 أَتَمَّ النَّاسُ قُدْرَةَ وَمَضَاءَ * وَنُهُوضًا إِلَى الْعُلَا وَأَعْرَامَا
 (٤)
 أَطْلَعْتَ أَرْضَكُمْ عَلَى كُلِّ أَفْقٍ * أَنْجُمَا لِأَثَرِ الْأَنْجُمِ تَدْرَامِي
 (٥)
 تَرَكُبُ الْمَوَلَّ لَا تَفَادِي وَتَمْشِي * فَوْقَ هَامِ الصَّعَابِ لَا تَتَحَلَّى
 قَدْ سَمِعْنَا "مُخْلِيلَكُمْ" فَسَمِعْنَا * شَاعِرًا أَقْعَدَ التُّهَى وَأَقَامَا
 (٦)
 وَطَمَعْنَا فِي شَأْوِهِ فَقَعَدْنَا * وَكَسَرْنَا مِنْ عَجْزِنَا الْأَقْلَامَا

(١) السلسل : العذب . (٢) يريد « بالرشيد » : الخليفة العباسي ، وكان عصره
 حافلًا بالأدباء والشعراء . ويريد « عباس » : الخديوي السابق عباس حلمي الثاني .
 (٣) قدك : حسبك . (٤) يريد « بالأنجم » : رجال سوريا المتفرقين في أنحاء العالم .
 (٥) لا تفادي ، أي لا تنفادي . (٦) الشأو : الناية .

نَظَمَ الشَّامَ وَالْعِرَاقَ وَمِصْرًا * سِلْكُ آيَاتِهِ فَكَانَ الْإِمَامَا
 فَشَى النَّثْرَ خَاضِعًا وَمَشَى الشَّعْرُ* وَالْقَى إِلَى الْخَلِيلِ الزَّمَامَا
 (١)
 وَرَأَى فِيهِ رَأَيْنَا صَاحِبُ النَّيِّ * لِمَ فَأَهْدَى إِلَيْهِ ذَاكَ الْوَسَامَا
 شَارَةً زَانِتِ الْقَرِيضِ فَكَانَتْ * شَارَةً النَّصْرِ زَانِتِ الْأَعْلَامَا
 فَعَقَدْنَا لَهُ الْأَوَاءَ عَلَيْنَا * وَاحْتَفَلْنَا زَيْدَهُ إِكْرَامَا
 ذَاكَ مَا دَارَ مِنْ حَدِيثٍ شَهِيٍّ * يَسْتَفِزُّ اللَّهَى وَيَسْجِي النَّدَامَا
 (٢)
 قَدْ تَسَقَطَتْهُ وَخَالَفَتْ فِيهِ * مَنْ يَرَى النِّقْلَ سُبَّةً وَاجْتِرَامَا
 فَمِنْ النَّقْلِ مَا يَكُونُ حَلَالًا * وَمِنْ النَّقْلِ مَا يَكُونُ حَرَامَا

صَدَقَ الْغَادَتَانِ يَا لَيْتَ قَوْمِيَّ * سَنَا كَمَا قَالَتَا هَوَىٰ وَالنِّسَامَا
 نَحْنُ فِي حَاجَةٍ إِلَى كُلِّ مَا يُنْذِرُ * يَمِي قُؤَانَا وَيَرْبِطُ الْأَرْحَامَا
 فَاجْعَلُوا حَفْلَةَ الْخَلِيلِ صَفَاءً * بَيْنَ مِصْرٍ وَأَخْتَهَا وَسَلَامَا
 (٣)
 وَأَسْأَلُوا اللَّهَ أَنْ يُدِيمَ عَلَيْنَا * مَلِكُ "عَبَّاسٍ" نَاضِرًا بَسَامَا
 هُوَ آمَالُنَا وَحَايِي حِمَانَا * أَيَّدَ اللَّهُ مُلْكَهُ وَأَدَامَا

(١) صاحب النيل، أي أمير مصر. وكان إذ ذاك عباس الثاني.

(٢) تسقط الأخبار: تقيها واحتملها شيئاً بعد شيء.

(٣) منع "عباساً" من الصرف لضرورة الوزن.

تهنئة له أيضا للإناعام عليه بالوسام السابق ذكره

[نشرت في أول أبريل سنة ١٩١٣ م]

(١)
وَسِعَ الْفَضْلَ كُلَّهُ صَدْرُكَ الرَّحْمَ * بُفْنِ شَاءَ فَلْيَنْتِ وَسَامَةً
لَمْ يَزِدْكَ الْوَسَامُ قَدْرًا وَلَكِنْ * زَادَ قَدْرَ الْعَلَا وَقَدَّرَ الْكَرَامَةَ
كَمْ وَسَامٍ كَمْ حِلْيَةٍ كَمْ شِعَارٍ * فَيْكَ كَمْ شَارَةٍ وَكَمْ مِنْ عَلاَمَةٍ
لِإِبَاءٍ وَحِكْمَةٍ وَإِخَاءٍ * وَصَفَاءٍ وَهَمِيَّةٍ وَشَهَامَةٍ

تحية إلى واصف غالي بك (باشا)

أنشدها في فندق شبرد في ٤ يونية سنة ١٩١٤ عند ما نشر كتابه المعروف « بحديقة الأزهار »
الذي ترجم فيه بعض الشعر العربي القديم إلى اللغة الفرنسية ، وكان يلقي محاضرات وخطب
في فرنسا ينوه فيها بالعرب ومصر والشرق

(٢)
يَا صَاحِبَ الرُّوضَةِ الْغَنَاءِ هَجَّتْ بِنَا * كَرَى الْأَوَائِلِ مِنْ أَهْلِ وَجِيرَانِ
نَشَرْتَ فَضْلَ كِرَامٍ فِي مَضَاجِعِهِمْ * جَرَّ الزَّمَانُ عَلَيْهِمْ ذَيْلَ نِسْيَانِ
إِنِّي أَحْيَيْكَ عَنْهُمْ فِي جَزِيرَتِهِمْ * وَفِي الْعِرَاقِ وَفِي مِصْرٍ وَلُبْنَانِ
(٣)
جَلَوْتَ لِلْغَرْبِ حُسْنَ الشَّرْقِ فِي حُلٍّ * لَا يُسْتَهَانُ بِهَا تَسَاجِ (هَرْنَانِي)

(١) الضمير في « وسامه » الصدر . (٢) الروضة الغناء : هي التي تمر الريح فيها غير صافية
الصوت لكثافة ثبها والتفافه . (٣) ناسج هرناني . يريد تشبيه واصف غالي بفكنور هوجو
الشاعر الفرنسي المعروف مؤلف رواية هرناني ، وهي رواية تمثيلية معروفة تمتد من عيون الأدب الفرنسي ،
وقد ترجمت إلى العربية .

- (١) ظَنُّوكَ مِنْهُمْ وَقَدْ أَثْنَأْتَ تَحُطُّهُمْ * بِمَا عَنَّا لَكَ مِنْ سِحْرِ وَتِيَانِ
 مَا زِلْتَ تَبْهَرُنَا طَوْرًا وَتَبْهَرُهُمْ * حَتَّى أَدْعَاكَ وَحَيَّاكَ الْفَرِيقَانِ
 لَوْلَا أَسِيرَارُكَ فَازُوا فِي أَدْعَانِهِمْ * (بِوَاصِيفِ) وَخَسِرْنَا أَيْ خُسْرَانِ
 غَرَسْتَ مِنْ زَهْرَاتِ الشَّرْقِ طَائِفَةً * فِي أَرْضِ (هَيْجُو) بَخَاءَتْ طُرْفَةُ الْجَانِي (٢)
 حَذِيقَةً لَكَ لَمْ نَعْهَدْهَا شَبَّهَا * بَيْنَ الْحَدَائِقِ فِي زَهْرِ وَأَفْنَانِ (٣)
 يُحْيِي شَذَاهَا نُفُوسَ الْوَافِدِينَ وَمَا * مَرُّوا بِوَرْدٍ وَلَا طَافُوا بِرَيْحَانِ (٤)
 لَكُنْهَا مِنْ أَزَاهِيرِ الثُّبَى جَمَعَتْ * مَا لَا تُنَالِفُهُ أَزْهَارُ بُسْتَانِ (٥)
 بِالْأَمْسِ كَانَ لَهَا شَرْقٌ تَضُوعُ بِهِ * وَالْيَوْمَ صَارَ لَهَا بِالْعَرَبِ شَرْقَانِ (٦)
 اسْمَعْتَهُمْ مِنْ نَسِيبِ الْقَوْمِ فَانْطَلَقَتْ * شُؤُونُ كُلِّ شَيْءٍ الْقَلْبِ وَلَهَانِ (٧)
 وَزِدْتُهُمْ مِنْ كَلَامِ (الْبَحْتَرِيِّ) قِطْعًا * مِثْلَ الرِّيَاضِ كَسَتْهَا كُفَّ (نَيْسَانَ) (٨)
 سَلَّ (الْفَرِيدِ) وَ(الْمَرْتِينِ) هَلْ جَرِيَا * مَعَ (الْوَلِيدِ) أَوْ (الطَّائِي) بِمَيْدَانِ

(١) ظنوك منهم، أى ظنك الفرنسيون فرنسا منهم. وعنا: خضع وذل. (٢) يريد بالزهرات: المقطوعات الأدبية التى تريحها. وهيجو، هو فكتور هوجو الشاعر المعروف انظر التعريف به فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٣٨ من هذا الجزء. والطرفة: الغريب المستحسن المعجب. (٣) الشذا: قوة ذكاء، الرائحة. (٤) تنالفه، أى تباريه وتغالبه فى النفع، أى الرائحة الطيبة. (٥) تضوع: تفوج وتشتت. (٦) النسيب: التشبيب بالنساء وذكر محاسنهن فى الشعر. ويريد بالقوم شعراء العرب. والشؤون: مجارى الدموع. (٧) نيسان: شهر من شهور السنة المسيحية معروف، وهو يقابل أبريل. (٨) انظر التعريف بالفريد ديموسيه فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ١٢٦ من هذا الجزء. ولا مارتين، هو الفونس دلامارتين الشاعر الفرنسى؛ وولد سنة ١٧٩٠ وتوفى فى سنة ١٨٦٩ وهو معروف برقة الغزل حتى قيل له: شاعر الحب والجمال. والوليد، هو أبو عبادة البحتري. والطائي، هو أبو تمام حبيب بن أدس؛ وكلاهما شاعر معروف.

(١)
وَهَلْ هُمَا فِي سَمَاءِ الشَّعْرِ قَدْ بَلَّغَا * شَاوُ (التَّوَايِسِيَّ) فِي صَوْنٍ وَإِتْقَانٍ
(٢)
وَدَا وَقَدْ شَهِدَا بِالْحَقِّ أَنَّهُمَا * فِي بَيْتِ (أَحْمَدَ) لَوِ رَضَى نَدِيمَانِ
أَمْسَى كِتَابُكَ "كَالْسِيَا" يُعِيدُ لَهُمْ * مَرَأَى الْحَوَاثِثِ مَرَّتْ مُنْذُ أَزْمَانِ
(٣)
قَدْ شَاهَدَا فِيهِ تَحْتَ النَّقْعِ عَنَتَرَةً * يُصَارِعُ الْمَوْتَ عَنْ عَيْسٍ وَذُبْيَانِ
وَشَاهَدُوا أَسَدًا يَمِشِي إِلَى أَسَدٍ * كِلَاهُمَا غَيْرُ هَيَّابٍ وَلَا وَاوِي
(٤)
هَذَا مِنَ الْعَرَبِ لَا يُلَوِّى بِهِ فَرْعٌ * وَذَلِكَ أَرَوَعُ مِنْ آسَادِ خَفَّانِ
بِهِ دَرَّ يَرَايُجَ أَنْتَ حَامِلُهُ * لَوْ كَانَ فِي أَمَلِي يَوْمًا لِأَغْنَانِي
وَقَفَّتْ تَدْفَعُ عَنْ آدَابِنَا تُهَمًّا * كَادَتْ تُقَوِّضُ مِنْهَا كُلَّ بُيَّانِ
فَكُنْتُ أَوَّلَ مِصْرِيَّ أَقَامَ لَهُمْ * عَلَى نَبَالَةٍ مِصْرٍ أَلْفَ بُرْهَانِ

(١) وهل هما، أى ألفريد ولا مارتين . والتوايسى ، هو أبو نواس الحسن بن حاتم الشاعر المعروف . والشاؤ : الناية . (٢) يريد أبا الطيب أحمد بن الحسين النخعي الشاعر المعروف . (٣) النقع : الغبار في الحرب . وعنترة ، هو ابن شذاد العبسي ، وهو من فحول شعراء الجاهلية ومن فرسانهم المعروفين بالشجاعة والبأس ، وهو صاحب المعلقة التى أولها :

هل غادر الشعراء من متردّم * أم هل عرفت الدار بعد ترحم

وعيس وذبيان : قبيطان من قبائل العرب معروفتان ، ويشير إلى أن الممدوح قد ترجم بعض شعر عنترة في كتابه .

(٤) « لا يلوى به فرع » ، أى لا يصرفه ولا يردّه خوف . والأروع : الشجعان . ونخفان : موضع قرب الكوفة تأوى إليه الأسود . ويشير بهذا البيت والذي قبله إلى قصيدة البديع الحمذاني التى قالها على لسان بشر بن عوانة ، وذكر فيها لقاءه للأسد ومواقفته إياه حتى قتله ، وهى من القصائد التى ترجمها الممدوح إلى اللغة الفرنسية فى كتابه السابق ذكره ، وأولها :

أنا طم لو شهدت يبطن خبت * وقد لاقى المزبر أخاك بشرا

(١) ما زِلْتَ تُلقِي على أَسْمَاعِهِمْ حُجَجًا * في كُلِّ نَادٍ وَتَأْتِيهِمْ بُسُطَانٌ
(٢) حَتَّى أَتَنَبَّتَ وما لِلْعَرَبِ مُجْتَرِي * على الْبِنَاءِ ولا زَارٍ على الْبَانِي
(٣) حَمَوْتَ ما كَتَبُوا عَنَّا بِقَاطِعَةٍ * مِنَ الْبَرَاهِينِ قُلْتُ قَوْلَ (رِيَّانِ)
(٤) أَتَحْيَى على الْأَدَبِ الشَّرْقِيِّ مُفْتَرِيًا * عَلَيْهِ ما شاءَ مِنْ زُورٍ وَهَيْثَانِ
(٥) ظَنَّ الْحَقِيقَةَ في الْأَشْعَارِ تَقْصُصًا * وَاللَّفْظَ وَالْقَصْدَ والتَّصْوِيرَ في آتٍ
(٦) وَأَتَا لَمْ يَصِلْ فيها إلى مِثْلِهِ * عَدَا وَذَلِكَ لِيَّ أَوْ لِنَقْصَانِ
(٧) وَلَوْ رَأَى (ابْنَ جُرَيْجٍ) في قِصَائِدِهِ * لَقَالَ آمَنْتُ في سِرِّي وإِعْلَانِي
مَالِي أَفْأَحِرُ بِالْمَوْتِ وَبَيِّنَ يَدِي * مِنْ شِعْرِ أَحْيَانًا ما لَيْسَ بِالْفَانِي
في شِعْرِ (شَوْقٍ) وَ(صَبْرِي) ما نَبَّيْهُ به * على نَوَائِجِهِمْ دَعَا شِعْرَ (مُطَرِّانِ)
بُورِكَتْ يابْنَ الْوَزِيرِ الْحُرِّ مِنْ رَجُلٍ * لَمْ يَخْتَلِفْ فِيهِ أَوْ في فَضْلِهِ أَثْنَانِ
بَلَّغَ إِذَا جِئْتَ (بَارِيزًا) أَفَاضِلَهَا * عَنَّا التَّحِيَّاتِ وَأَشْفَعُهَا بِشُكْرَانِ

(١) السلطان : الحجة والبرهان . (٢) الزاري : العائب . (٣) ريَّان هو الفيلسوف الفرنسي المعروف الذي ردَّ عليه الأستاذ الإمام المرجوم الشيخ محمد عبده فيما روى الإسلام والمسلمين به من تهم ؛ وقد غمز الأدب الشرق بعدة مغامز سيذكرها الشاعر بعد . (٤) يقال : أتحي عليه بالشتم ، إذا أقبل عليه به . والمفتري : الكاذب المخلق . (٥) «وأنا» الخ ، أى ظن أن شعراء العرب لم يصلوا في القصيدة الى مئة بيت ، ونسب ذلك إلى العجز في المنطق ونقصان اللغة العربية وقصورها عن تأدية ما يريد الشاعر . (٦) يريد بـابن جريج أبا الحسن علي بن العباس بن جريج الروي مولى بني العباس ، الشاعر المكثّر ، صاحب التوليد الغريب والمعاني المبتكرة ؛ ولد ببغداد سنة ٢٢١ هـ . وتوفى سنة ٢٨٣ هـ وهو مشهور بالمقطولات من القصائد . (٧) الوزير ، هو بطرس غالي باشا أبو المذوح .

- (١) وَخُصَّ كَاتِبُهُمْ (زُولَا) بِأَطْيَبِهَا * كَيْمَا يُقَابِلُ إِحْسَانُ بِإِحْسَانِ
(٢) وَاجْعَلْ لِسَفْرِكَ ذَيْلًا فِي شَوَاعِرِنَا * وَقِفْ لَهْنَ هُنَاكَ الْمَوْقِفَ الثَّانِي
(٣) وَاتْرَعِ عَلَى الْغَرِيبِ مِنْ تِلْكَ الْحُلَى وَأَشْدُ * بِكُلِّ حُسْنَانَةٍ فِينَا وَحُسْنَانِ
(٤) وَعُدْ إِلَى الشَّرْقِ عَوْدَ الْفَاتِحِينَ لَهُ * وَخُذْ مَكَانَكَ فِيهِ فَوْقَ (كِيَوَانِ)
(٥) وَأَشْكُرْ رِعَايَةَ عَبَّاسٍ وَمِيتَتَهُ * وَأَشْرَحْ وَلَاءَكَ يَا (غَالِي) (لُعْمَانِ)
(٦) وَأَضْرَعْ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَرَعَى أَرِيكَتَنَا * مَرْفُوعَةَ الشَّانِ مَا مَرَّ الْجَدِيدَانِ

تهنئة المغفور له السلطان حسين كامل بالسلطنة^(٧)

[نشرت في أول يناير سنة ١٩١٥م]

- هَنِيئًا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْأَجَلُ * لَكَ الْعَرْشُ الْجَدِيدُ وَمَا يُظَلُّ
(٨) تَسْمُ عَرْشَ (اسماعيل) رَجَبًا * فَأَنْتَ لَصَوْبُ لِحَانِ الْمُلُوكِ أَهْلُ

- (١) هو اميل زولا الكاتب الفرنسي المعروف؛ ولد في باريس سنة ١٨٤٠م، وتوفي سنة ١٩٠٢م.
(٢) يرغب حافظ الى المدوح أن يترجم الى اللغة الفرنسية كتابا آخر من شعر النساء العربيات يكون ذيلًا لكتابيه الأول . (٣) أشاد بذكره، أي رفعه بالثناء عليه . وبكل حسنة وحسان، أي بكل مجيدة محسنة في الشعر ومجيد محسن . ويجوز أن يقرأ هذان اللفظان بفتح الحاء، على معنى شاعرة وشاعر يشمان حسان بن ثابت . (٤) كيوان : اسم كوكب زحل بالفارسية . (٥) يرغب الى مدوحه أن يشرح لعثمان مرتضى باشا إخلاصه للندوي ليلفقه إياه، وكان عثمان باشا في سراي الخديوي عباس الثاني في منزلة كبير الأمناء الآن . (٦) الأريكة : سرير الملك . والجديدان : الليل والنهار .
(٧) ولد السلطان حسين كامل في يوم (١٩ صفر سنة ١٢٧٠هـ) (٢١ نوفمبر سنة ١٨٥٣م)، وفي يوم ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤م تولى عرش مصر؛ وتوفي رحمه الله في ٩ أكتوبر سنة ١٩١٧م . (٨) تسم العرش : علاه . والصوب لحن : العضا المعوجة من الطرف؛ وهو لفظ فارسي معرب؛ وكانت الملوك تتخذ شعارا لآلها .

وَحَصَّنَهُ بِإِحْسَانٍ وَعَدِلَ * فِخْصُ الْمَلِكِ إِحْسَانٌ وَعَدِلُ
 وَجَدَّ سِيرَةَ الْعُمَرَيْنِ فِينَا * فَأَنْتَ بَيْنَنَا لِلَّهِ ظِلُّ^(١)
 لَقَدْ عَزَّ السَّرِيرُ وَتَاهَ لَمَّا * تَبَوَّاهُ الْمَلِكُ الْمُسْتَقِيلُ^(٢)
 وَهَشَّ النَّاجُ حِينَ عَلَا جِينًا * عَلَيْهِ مَهَابَةٌ وَعَلَيْهِ بُلُ^(٣)
 تَمَنَّى لَوْ يَقْرَأَ عَلَى أَبِي * تَذِلُّ لَهُ الْخُطُوبُ وَلَا يَذِلُّ
 وَقَدْ نَالَ الْمَرَامَ وَطَابَ نَفْسًا * فَهَا هُوَ ذَا بِلَايِسِهِ يُبْدِلُ^(٤)
 وَمَا كُنْتَ الْغَرِيبَ عَنِ الْمَعَالِي * وَلَا النَّاجُ الَّذِي بَكَ بَاتَ يَطْلُو^(٥)
 وَإِنَّكَ مِنْذُ كُنْتَ وَلَا أُغَالِي * حُسَامٌ لِلْأَرِيكََةِ لَا يُقْلُ^(٦)
 فَكَمْ نَهْنَهَتْ مِنْ غَرَبِ الْعَوَادِي * وَكَمْ لَكَ فِي رُبُوعِ النَّيْلِ فَضْلُ^(٧)
 وَمَا مِنْ جَمْعٍ لَخَيْرٍ إِلَّا * وَمِنْ كَفَيْكَ سَمَّ عَلَيْهِ وَبُلُ^(٨)
 فَقَدْ عَرَفَ الْفَقِيرُ نَدَاكَ قَدَمًا * وَقَدْ عَرَفَ الْكَبِيرُ عِلَاكَ قَبْلُ
 لَكَ الْعَرْشَانِ: هَذَا عَرْشُ مِصْرَ، * وَهَذَا فِي الْقُلُوبِ لَهُ مَحَلُّ
 فَالْفَ ذَاتَ يَتْنِيهِمَا بَرَأِي * وَعَزِيمَ لَا يَحْكُلُ وَلَا يَمَلُّ

- (١) العمران : أبو بكر وعمر رضي الله عنهما . (٢) تاه : اختال . وتبواه : جلس عليه .
 (٣) هَشَّ للأمر : ارتاح اليه . (٤) يذل ، أى يفرط في التيه والاختيال .
 (٥) قوله : « ولا الناج الذى بك بات يطلو » أى ليس الناج الذى علا يهلك غربيا عن المعالي
 أيضا . (٦) لا أغالى ، أى لا أبالغ . ولا يغل ، أى لا ينلم حده . (٧) « نهنت من
 غرب الوادى » ، أى كفت من الثواب وصرقتها عن مصر . وغرب البيف ونحوه : حده .
 (٨) الويل : المطر الكثير .

المديح والتهاني

٦٩

فَمَرَّشْ لَا تَحُفُّ بِهِ قُلُوبٌ * تَحُفُّ بِهِ الْخُطُوبُ وَيَضْمِلُ^(١)
 (أَبَا الْقَلَاجِ) كَمْ لَكَ مِنْ أَيْادٍ * عَلَى مَا فِيكَ مِنْ كَرَمٍ تَدُلُّ^(٢)
 وَالْأَيَّ وَإِنْ أَطَبَّتْ فِيهَا * وَفِي أَوْصَافِهَا فَا نَا الْمِقْلُ^(٣)
 عُيِّنَتْ بِمَالَةِ الْقَلَاجِ حَتَّى * تَهَيَّبَ أَنْ يَزُورَ الْأَرْضَ مَحَلُّ^(٤)
 وَكَيْفَ يَزُورُ أَرْضًا سَمِرَتْ فِيهَا * وَأَنْتَ الْغَيْثُ لَمْ يَمِمْكَ بُحْلُ^(٥)
 وَكَمْ أَحْيَيْتَ مِنْ أَرْضٍ مَوَاتٍ * فَاتَّخَذَتْ تُسْتَرَادَ وَتُسْقَلُ^(٦)
 وَأَخْصَبَ أَهْلُهَا مِنْ بَعْدِ جَدِّبٍ * وَفَاضَ عَلَيْهِمْ رَغَدٌ وَنَقْلُ^(٧)
 وَكَمْ أَسْعَفَتْ فِي مِصْرِ جَرِيحًا * عَلَيْهِ الْمَوْتُ مِنْ كَثَبٍ يُبْلُ^(٨)
 وَكَنتَ لِكُلِّ مُسْكِينٍ وَقَاءً * وَأَهْلًا حِينَ لَمْ تَنْفَعْ أَهْلُ^(٩)
 وَكَنتَ قَتَى بَعْدَ أَيْسِكَ نَدْبًا * لَهُ رَأْيٌ يُسَدِّدُهُ وَيُفْعَلُ^(١٠)
 لِكُلِّ عَظِيمَةٍ تُدْعَى قُبْلِي * بَلَاءٌ مُجَرَّبٌ يَحْدُوهُ عَقْلُ^(١١)
 تَوَلَّيْتَ الْأُمُورَ قَتَى وَكَهْلًا * فَلَمْ يَلْغُ مَدَاكَ قَتَى وَكَهْلُ^(١٢)

- (١) يضمحل : يخل ويذهب . (٢) كان المفقور له السلطان حين كامل يعني كل
 الناجة بخير الفلاح وورثته ؛ وكان رئيسا للجمعية الزراعية مدة من الزمن . (٣) الآلا : النعم .
 والنقل : الموجز في الكلام . (٤) المهل : الجلب . (٥) استراد المكان : طلبه
 ونخيره للزول فيه . (٦) الفضل : زيادة الخير . (٧) من كذب ، أى من قرب .
 (٨) الوقاء : الحفظ . (٩) التدب ، هو من اذا نذب لحاجة أسرخ في فضاءها ، والسرير
 الى الفضائل . (١٠) يشير بقوله : «توليت الأمور قتي وكهلا» ، الى المنصب التي تولاه في عهد
 أبيه اسماعيل وأخيه توفيق وابن أخيه عباس الثاني .

(١) وَجَرَّبَتِ الْحَوَادِثَ مِنْ قَدِيمٍ * وَمِثْلَكَ مَنْ يُجَرِّبُهَا وَيَسْلُو
(٢) وَكَنتَ لِمَجْلِسِ الشُّورَى حَيَاةً * وَنِيرَاسًا إِذَا مَا الْقَوْمُ ضَلُّوا
(٣) فَلَمْ يَلَيْمِ بِسَاحِحِهِ جُحُودٌ * وَلَمْ يَحِلْسْ بِهِ عُضْوٌ أَشَلُّ
(٤) وَمَا غَادَرْتَهُ حَتَّى أَفَاقُوا * وَمِنْ أَمْرَاضٍ عَيْشِهِمْ أَبْلُوا
فَعِشْ لِلنَّبِيلِ سُلْطَانًا أَبْيَا * لَهُ فِي مُلْكِهِ عَقْدٌ وَحَلُّ
(٥) وَوَالِ الْقَوْمَ إِنَّهُمْ كِرَامٌ * مَيَّامِينَ النُّقْيَةِ أَيْنَ حَلُّوا
(٦) لَهُمْ مُلْكٌ عَلَى التَّامِيزِ أَصَحَّتْ * ذُرَاهُ عَلَى الْمَعَالِي تَسْتَهْلُ
(٧) وَلَيْسَ كَقَوْمِهِمْ فِي الْغَرَبِ قَوْمٌ * مِنْ الْأَخْلَاقِ قَدْ تَهَلُّوا وَصَلُّوا
فَإِنْ صَادَقْتَهُمْ صَدَقُوكَ وَدَا * وَلَيْسَ لَهُمْ إِذَا قَتَشْتَ مِثْلُ
(٨) وَإِنْ شَاوَرْتَهُمْ وَالْأَمْرُ جِدُّ * ظَفِيرَتَ لَهُمْ بَرَأْيٍ لَا يَزِلُّ
وَلَا نَادَيْتَهُمْ لَبَّاكَ مِنْهُمْ * أَسَاطِيلُ وَأَسْيَافٌ تُسَلُّ
(٩) فَاذِدْهُمْ حِبَالَ الْوُدِّ وَأَنْهَضْ * بِنَا فِقْيَادُنَا لِلتَّخْيِيرِ سَهْلُ

- (١) يسلو : يختبر . (٢) النيراس : المصباح . (٣) ألم بالمكان :
زاره زيارة غير طويلة . (٤) أبل المريض : شغل .
(٥) . يريد بالقوم : الانجليز . وميمون النقيية : محمود المختبر .
(٦) التاميز : نهر بانجلترا معروف . والذرا : المرتفعات ، الواحدة ذروة . وتستهل : تظهر .
(٧) التهل (بالتحريك) : الشرب الأول . والعلل (بالتحريك أيضا) : الشرب الثاني . يريد أنه
ليس في أم أوروبا أمة مثل الانجليز قد ارتوت من منهل الأخلاق . (٨) يزل : يخطئ .
(٩) يقال : تماذا حبال الود ، إذا تواذا .

(١)
وَحَقَّقَ مِنْ مُصَابِ الشَّرْقِ فِينَا * فَتَحْنُ عَلَى رِجَالِ الْغَرْبِ ثِقْلُ
إِذَا نَزَلَتْ هُنَاكَ بِهِمْ خُطُوبٌ * أَلَمْ يَبْنِ هُنَا قَلْبُكَ وَشُغْلُ
(٢)
حَيَارَى لَا يَقْرَأُنَا قَرَارٌ * تُنَازِلُنَا الْخُطُوبُ وَنَحْنُ عَزَلُ
فَاهْلًا بِالذَّلِيلِ إِلَى الْمَعَالِي * أَلَا سِرِّيَا (حُسَيْنُ) وَنَحْنُ تَتَلُو
وَأَسْعِدُنَا بِعَهْدِكَ خَيْرَ عَهْدٍ * بِهِ أَيَّامُنَا تَصْفُو وَتَحُلُو
(٣)
فَأَمْرُكَ طَاعَةٌ وَرِضَاكَ غُنْمٌ * وَسَيْفُكَ قَاطِعٌ وَتَدَاكَ جَزَلُ

إلى الطيبية (لونا)

قال هذين البيتين فيها بمناسبة طفلة رزقها صديقه محمد بك بدر
وكانت (لونا) هي المولدة

[نشرت في ١٥ فبراير سنة ١٩١٦ م]

(لُونَا) شُهْرَةٌ فِي الطَّبِّ تَاهَتْ * بِهَا مِصْرُ وَتَاهَ بِهَا مَدِيحِي
(٤)
وَمِنْ عَجَبٍ تَدِينُ بِيَدَيْنِ (مُوسَى) * وَتَأْتِينَا بِمُعْجِزَةِ (الْمَسِيحِ)

- (١) يريد بالشطر الثاني من هذا البيت أن تأخرنا عن الغريمين جعلنا حملاً ثقيلاً على كواهلهم .
(٢) العزل : الذين لا سلاح لهم ، الواحد أعزل .
(٣) الجزل : الكثير .
(٤) يريد تشبيه هذه الطيبة في طلبها بنبى الله عيسى عليه السلام ، إذ كانت معجزته إحياء الموتى .

ذكرى شكسبير^(١)

قالها تلبية لدعوة المجمع العلمى بالجلترا الذى أقام احتفالا

بذكرى شكسبير لمرور ثلثمائة عام على وفاته

[نشرت فى ١ مارس سنة ١٩١٦ م]

يُحْيِكَ مِنْ أَرْضِ الْكِتَابَةِ شَاعِرٌ * شَقُوفٌ بِقَوْلِ الْبَقْرِينِ مُفْرَمٌ
وَيُطْرِبُهُ فِي يَوْمِ ذِكْرِكَ أَنْ مَشَتْ * إِلَيْكَ مُلُوكُ الْقَوْلِ غُرْبٌ وَأَعْجَمٌ^(٢)
نَظَرْتَ بَيْنَ الْقَيْبِ فِي كُلِّ أُمَةٍ * وَفِي كُلِّ عَصْرِ ثُمَّ أَتَشَاتَ تَحْكُمُ^(٣)
فَلَمْ تُخْطِئِ الْمَرَمَى وَلَا غَرَوَ أَنْ دَنْتَ * لَكَ النَّيَافَةُ الْقُصُوفَى فَإِنَّكَ مُلْهَمٌ^(٤)
أَفْقَى سَاعَةً وَأَنْظُرْ إِلَى الْخَلْقِ نَظْرَةً * تَجِدُهُمْ - وَإِنْ رَأَى الطَّلَاءُ - هُمُ هُمُ^(٥)
عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ شَرِّ أَطْلَاعِهِمْ دَمٌ * وَفَوْقَ عُبَابِ الْبَحْرِ مِنْ صُنْعِهِمْ دَمٌ^(٦)
فَمَا تَوَا عَلَى دُنْيَا تُقَرُّ وَبَاطِلٌ * يَزُولُ إِلَى أَنْ تَجْتِيَ الْأَرْضُ مِنْهُمْ^(٧)
فَلَيْتَكَ تَحْيَا يَا أَبَا الشَّعْرِ سَاعَةً * لَتَنْظُرَ مَا يُصْبِي وَيُدْبِي وَيُسْلِمُ^(٨)
وَقَائِمَ حَرْبٍ أَجَّجَ الْعِلْمُ نَارَهَا * فَكَادَ بِهَا عَهْدُ الْحَضَارَةِ يُخْتَمُ^(٩)

(١) وليام شكسبير، هو الشاعر الانجليزى المعروف؛ ولد سنة ١٥٦٤م، وكانت وفاته سنة ١٦١٦م.

(٢) الأعجم : وصف يطلق على الجع كاهنا ، وعلى المفرد ؛ يقال : رجل أعجم ، وقوم أعجم .

(٣) القصوى : البعيدة . (٤) رافقى ملائكة : أعجبنى ظاهره . (٥) ظهرها ، أى

ظهر الأرض . (٦) أسماء السهم : قتله . (٧) أجج العلم ناراها ، أى أشعلها السلم

بمحرقاته المهلكة .

وَتَعْلَمُ أَنَّ الطَّيْعَ لَا زَالَ غَالِبًا * سَوَاءُ جَهْلُ الْقَوْمِ وَالْمُتَعَلِّمِ
 فَا بَلَقَتْ مِنْهُ الْحَضَارَةُ مَارَبًا * وَلَا نَالَ مِنْهُ الْعِلْمُ مَا كَانَتْ يَزَعُمُ^(١)
 أَهَبْتَ بَهَذَا مِنْ قُرُونٍ ثَلَاثَةً * وَكُنْتَ عَلَى تِلْكَ الطَّبَائِعِ تَنَقِّمُ^(٢)
 وَمَا هَدَمَ التَّجْرِبُ رَأْيَا بَنَيْتَهُ * وَلَا زَالَتْ الْآرَاءُ تُبْنَى وَتُهْدَمُ
 إِلَّا إِنْ ذِكْرِي شَكْسِيرَ بَدَتْ لَنَا * بَشِيرَ سَلَامٍ تَقْرَهُ يَتَبَسَّمُ
 فَلَوْ أَنْصَفُوا أَبْطَلْتُمْ لَهَادُونَا * قَلِيلًا وَجِئُوا شِعْرَهُ وَتَرْتَمُوا^(٣)
 وَلَمْ يُطْلِقُوا فِي يَوْمٍ ذِكْرَاهُ مِدْقًا * وَلَمْ يُزْهِقُوا نَفْسًا وَلَمْ يَتَفَحَّمُوا^(٤)
 لَهُ قَلَمٌ مَاضِي الشَّبَابَةِ كَانَمَا * أَقَامَ بِشَقِيهِ الْقَضَاءُ الْمُحْتَمُ^(٥)
 طَهُورٌ إِذَا مَا دُتْسَتْ كُفَّ كَايِبِ * وَتُوبُ إِذَا مَا قَرَّ فِي الطَّرْسِ مِرْقَمُ^(٦)
 وَلَوْعٌ بِتَصْوِيرِ الطَّبَاعِ فَلَمْ يَمُزْ * بِعَاطِفَةٍ إِلَّا حَسْبَنَاهُ يَرْسُمُ
 أَرَانِي فِي (مَا كَيْتَ) لِلْحَقِيدِ صُورَةً * تَكَادُ بِهَا أَحْشَاؤُهُ تَنْفَرُمُ^(٧)
 وَمَثَلٌ فِي (شَيْلُوكَ) لِلْبُخْلِ مِجْنَةً * عَلَيْهَا غُبَارُ الْهُوَيْنِ وَالْوَجْهَ أَقْمُ^(٨)
 وَأَقْعَدَنِي عَنْ وَصْفِ (هَمَلِيَّتَ) حُنْثَا * وَفِي مِثْلِهَا تَعْبَا الْبِرَاعَةُ وَالْفَمُ

(١) مه، أي من الطمع . (٢) أهدت : دعوت .

(٣) تهادنوا لطلبه، أي كفوا عن الحرب . يشير إلى ما كان إذ ذاك من توفد تار الحرب العظمى .

(٤) تنعم الحرب واتصمها : دخل فيها وخالفها . (٥) شبة القلم : سه .

(٦) المرم : القلم . (٧) يشير بهذا البيت إلى قصيدة شكسبير في خنجر ما حكيث

التي ترجمها حافظ ونشرت في هذا الديوان . (٨) المسون : القتل . والأتم : العابس

دَعِ السَّخَرَ فِي (رُمُيُو) وَ(جُولِيَتْ) إِنَّمَا * يُحْسِنُ بِمَا فِيهَا الْأَدِيبُ الْمُتَمِّمُ
أَتَاهُمْ بِشِعْرِ عَبْقَرِيَّ كَأَنَّهُ * سَطُورٌ مِنَ الْإِنْجِيلِ نُشْلَى وَتُكْرَمُ
نَدِيٌّ عَلَى الْأَيَّامِ يَزْدَادُ نَضْرَةً * وَيَزْدَادُ فِيهَا جِدَّةً وَهُوَ يَقْدُمُ^(١)
يُؤْتِي إِلَى قُرَائِهِ أَنْ نَسْجَه * لِيَوْمٍ وَأَنْتَ الْخَائِكُ الْيَوْمَ فِيهِمْ^(٢)
كَذَلِكَ النُّقُوشُ الزَّاهِيَاتِ بِمَعْبِدٍ * لِفِرْعَوْنَ لَا زَالَتْ عَلَى الدَّهْرِ تَسْلَمُ
فَلَمْ يَذُبْ مِنْ إِحْسَانِهِ مُتَأَخِّرٌ * وَلَمْ يَحْزِنْ فِي مَبْدَاهِ مُتَقَدِّمُ
أَطْلَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ سَمَاءِ خَيَالِهِ * وَحَلَقَ حَيْثُ الْوَهْمُ لَا يَتَجَسَّمُ^(٣)
وَجَاءَ بِمَا فَوْقَ الطَّبِيعَةِ وَقَعَهُ * فَأَكْبَرَ قَوْمٌ مَا أَتَاهُ وَأَعْظَمُوا
وَقَالُوا تَحْدَانَا بِمَا يُعْجِزُ النَّهْيَ * فَلَسْنَا إِذَنْ آثَارَهُ نَرَسَّمُ^(٤)
وَلَمْ يَتَحَدَّ النَّاسَ لَكِنَّهُ أَمْرُهُ * بِمَا كَانَ فِي مَقْدُورِهِ يَتَكَلَّمُ
لَقَدْ جَهِلُوهُ حِقْبَةً ثُمَّ رَدَّهُمْ * إِلَيْهِ الْهُدَى فَاسْتَغْفَرُوا وَتَرَحَّمُوا^(٥)
كَذَلِكَ رِجَالُ الشَّرِّ لَوْ يُصِفُّونَهُمْ * لَقَامَ لَهُمْ فِي الشَّرِّ وَالْغَرِبِ مَوْتُهُمْ
أَضَاءَ بِهِمْ بَطْنُ الثَّرَى بَعْدَ مَوْتِهِمْ * وَأَعْقَابُهُمْ عَنْ نُورِ آيَاتِهِمْ عَمُّوا

(١) يريد « بالندى » تشبيه شعره بالزهر المثلل بالندى ؛ والذي وجدناه في كتب اللغة بهذا المعنى (الندى) بخفيف الياء مع كسر الدال لا بتشديدها .

(٢) يقول : إن شعره بلغة معانيه ومسايرتها لكل عصر يخيل لقراءه أنه قد قيل في هذا العهد الذي قرأوه فيه ، وأن قائله لا يزال حيا بينهم . (٣) لا يتجسم ، أى لا يتكلف .

(٤) بحدانا : بارانا ونازعنا الغلبة . ورسم آثاره : اقتدى بها وسار عليها .

(٥) الحقبة : المدة من الدهر .

فَقُلْ لِيْنِي التَّامِيْزِ وَاجْمَعُ حَافِلُ * بِهْ يُنْشِرُ الدُّرَّ الثَّمِيْنَ وَيُنْظِمُ
لَنْ كَانَ فِي خَنْجَمِ الْأَسَاطِيْلِ نَخْرُمُ * لَفَخْرُكُمْ بِالشَّاعِرِ الْقَرْدِ اعْظَمُ

الى عظمة السلطان حسين كامل^(١)

ألقاها بين يديه أثناء زيارته لمدينة طنطا في السراوق الذي أقيم له هناك

[نشرت في ٦ مايو سنة ١٩١٦ م]

فِي سَاحَةِ (الْبَدَوِي) حَلَّتْ سَاحَةٌ * عِزُّ الْبِلَادِ يَعْزُّهَا مَوْصُولُ^(٢)
وَأَنَّى (الْحُسَيْنِ) يَزُورُ قُطْبَ زَمَانِهِ * يَرْعَى وَيَحْرُسُ رَكْبَهُ (جَبْرِيلُ)
زَادَتْ مَوَاسِمُنَا (بَطْنَطَا) مَوْسِمًا * لِمَلِكِهِ التَّقْدِيسُ وَالتَّبَجُّيلُ
بِالسَّاحَتَيْنِ لِكُلِّ رَاجٍ مَوْئِلُ^(٣) * وَلِكُلِّ عَافٍ مَرْبَعٌ وَمَقِيلُ^(٤)
قُلْ لِلْفَقِيرِ إِذَا سَأَلَتْ فَلَا تَخَفْ * رَدًّا فَمَا فِي السَّاحَتَيْنِ بَنِيْلُ
بَرَكَاتُ هَذِي لَا يَفِيضُ مَعِيْنُهَا * نَقَحَاتُ تِلْكَ كَثِيرُهَا مَأْمُولُ^(٥)
قَدْ أَخْصَبَ الْإِقْلِيمُ حِينَ حَلَّتْهُ * وَالْقَيْثُ لَا يَبْقَى عَلَيْهِ مُحُولُ^(٥)

- (١) انظر التعريف بالمختفوره السلطان حسين كامل في الحاشية رقم ٧ ص ٦٧ من هذا الجزء .
(٢) يريد « بالبدوي » : السيد احمد البدوي المعروف ضريحه ومسجده بطنطا . ويريد بالساحة الثانية : ساحة السلطان . (٣) العافي : طالب المعروف . والمرجع : المكان يقام فيه وقت الربيع . والمقيل : موضع الراحة نصف النهار . (٤) « هذي » ، إشارة الى ساحة البدوي . ولا يفيض معينا ، أى لا يقل ولا يتقص موردها . والمعين في الأصل : الماء الجاري . « وتلك » ، إشارة الى ساحة السلطان . (٥) المحول : الجلب .

(١)
 وَبَدَأَ يَمْوُجُ بِسَاكِنِيهِ وَعِطْفُهُ * قَدْ كَادَ مِنْ طَرْبِ اللَّقَاءِ يَمِيلُ
 ذَكُّوا بِمَقْدَمِكَ الْمُبَارَكِ مَوْقِفًا * قَدْ قَامَ فِيهِ أَبُوكَ (إِسْمَاعِيلُ)
 فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ خَلَّدَ ذِكْرَهُ * أَثَرُهُ يَنْبَغِ الْعِبَادِ جَلِيلُ
 تَرَا السُّعُودَ عَلَى الْوُفُودِ وَحَوْلَهُ * يَتَجَاوَبُ التَّكْخِيرُ وَالتَّهْلِيلُ
 دَامَتْ مَاثِرُهُ وَمَنْ يَكُ صُنْعُهُ * كَأَيْسَرَ إِسْمَاعِيلَ كَيْفَ يَزُولُ؟
 فَاهْنًا بِمُلْكِكَ يَا (حُسَيْنُ) فَمَهْدُهُ * عَهْدُ بَحْقِيقِ الرَّجَاءِ كَفِيلُ
 وَانْهَضْ بِشَعْبِكَ فِي الشُّعُوبِ فَإِنَّمَا * لَكَ بَعْدَ رَبِّكَ أَمْرُهُ مَوْكُولُ
 وَلِيَهْنِي الْبَدَوِيُّ أَكَّ صَدِيقَهُ * عَنْ وَدِّهِ الْمَهْمُودِ لَيْسَ يَحُولُ
 قَدْ جَاءَهُ يَسْعَى إِلَيْهِ وَحَوْلَهُ * أَهْلُ وَأَكْرَمُ مَنْ سَقَاهُ النَّيْلُ (٢)

(١) يموج : يضطرب . والطف : الجانب .

(٢) يريد « بالأمل » و « الأكرم » : من كان في ركب السلطان .

عمر بن الخطاب^(١)

أشدها في الحفل الذي أقيم لسماع هذه القصيدة بمدرج وزارة المعارف بدرب الجامين

سواء الجمعة ٨ فبراير سنة ١٩١٨ م

(٢)
حَسْبُ الْقَوَائِي وَحَسْبِي حِينَ أُقِيهَا * أَنَّى إِلَى سَاحَةِ (الْفَارُوقِ) أَهْلِيهَا
(٣)
لَا مُمْ ، هَبْ لِي بَيَانًا أَسْتَعِينُ بِهِ * عَلَى قَضَاءِ حُقُوقِي نَامَ قَاضِيهَا
(٤)
قَدْ نَارَ عَيْنِي تَقِيئِي أَنَّنِي أَوْفِيهَا * وَلَيْسَ فِي طَوُوقٍ مِثْلِي أَنْ يُوفِّيَهَا
(٥)
فُسْرَسِرَى الْمَعَانِي أَنْ يُوَاتِنِي * فِيهَا فُلُوقِي ضَعِيفُ الْحَالِ وَاهِيهَا

(مقتل عمر)

(٦)
مَوَلَى الْمُغِيرَةِ، لَا جَادَتَكَ غَادِيَةً * مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ مَا جَادَتْ غَوَادِيهَا

(١) ولد أبو حفص عمر بن الخطاب بمكة سنة ٣٧ قبل الهجرة، وكان قبل إسلامه من أشد الناس عداوة للإسلام وأهله، ثم أسلم رضي الله عنه بعد ست سنين من بعث النبي صلى الله عليه وسلم، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشاهد كلها؛ ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له اليد الطولى في حسم الخلاف بين المسلمين على الخلافة؛ ولما أحس أبو بكر بقدومه أجله استخلف عمر. وتاريخ عمر حافل بالأموال الجسام؛ وقتل رضي الله عنه يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجة سنة ٢٣ هـ.

(٢) الفاروق: اسم لعمر بن الخطاب، سماه به رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه فرق بين الحق والباطل.

(٣) لامم، أي اللهم.

(٤) الطوق: الجهد والطاقة.

(٥) سري المعاني: شريفها ورفيعها.

(٦) مول المغيرة: هو أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبه وهو فارس الأصل، وكان قد شكا إلى عمر ارتفاع الخراج الذي ضربه عليه مولاه المغيرة، ورجاه في تخفيفه، فلم يجبه إلى ما طلب، فأسرها في نفسه، وتحين به الفرص حتى طعنه بخنجره وهو قائم يصل.

ويقال: إن قتل عمر لم يكن نتيجة حقد أبي لؤلؤة عليه، ولكنه كان نتيجة مؤامرة سياسية كان أكبر العاطلين فيها المرمزان الفارسي، واختير أبو لؤلؤة لتنفيذ هذا الفرض. والغادية: السحابة تنشأ غداة واجمع الغواذي. وجادتك: أسطرتك؛ يدعو عليه بانقطاع الخير والرحمة عنه.

- (١١) مَرَقَتْ مِنْهُ أَيْدِيًا حَشَوُهُ هِمٌّ * فِي ذِمَّةِ اللَّهِ عَلَيْهَا وَمَاضِيهَا
(١٢) طَعَنْتَ خَاصِرَةَ (الْفَارُوقِ) مُتَتَقِيًا * مِنْ الْحَنِيفَةِ فِي أَعْلَى مَجَالِيهَا
(١٣) فَاصْبَحَتْ دَوْلَةُ الْإِسْلَامِ حَائِرَةً * تَشْكُو الْوَجِيعَةَ لِمَا مَاتَ آسِيهَا
(١٤) مَضَى وَخَلَفَهَا كَالطُّودِ رَاسِخَةً * وَزَانَ بِالْعَدْلِ وَالتَّقْوَى مَغَانِيهَا
(١٥) تَبَوُّوا الْمَعَاوِلَ مِنْهَا وَهِيَ قَائِمَةٌ * وَالْمُهَادِمُونَ كَثِيرٌ فِي نَوَاحِيهَا
حَتَّى إِذَا مَا تَوَلَّاهَا مُهَدِّمُهَا * صَاحَ الزَّوَالُ بِهَا فَاذْنُكَ عَلَيْهَا
(١٦) وَأَهَا عَلَى دَوْلَةٍ بِالْأَمْسِ قَدْ مَلَأَتْ * جَوَانِبَ الشَّرْقِ رَغْدًا مِنْ أَيْدِيهَا
(١٧) كَمْ ظَلَّلَتْهَا وَحَاطَتْهَا بِأَجْنِحَةٍ * عَنْ أَعْيُنِ الدَّهْرِ قَدْ كَانَتْ تُوَارِيهَا
(١٨) مِنَ الْعِنَايَةِ قَدْ رِيشتُ قَوَادِمُهَا * وَمِنْ صَيِّمِ الثُّنَى رِيشتُ خَوَافِيهَا
(١٩) وَاللَّهِ مَا غَالَهَا قَدَمًا وَكَادَهَا * وَأَجَبَتْ دَوْحَتَهَا إِلَّا مَوَالِيهَا
لَوْ أَنَّهَا فِي صَيِّمِ الْعُرْبِ قَدْ بَقِيَتْ * لِمَا نَعَاهَا عَلَى الْإَيَّامِ نَاعِيهَا

- (١) الأديم : الجلد . وقوله : « عليها وماضيها » يصف همة عمر بالرفعة والمضاء .
(٢) الخاصرة : الخصر . وفي أعلى مجالها ، أى فى أرومخ مظاهرها .
(٣) الأسمى : الطيب . (٤) الطود : الجبل العظيم . والمغانى : المنازل ، الواحد مغنى .
(٥) تبو : تكل وترند . (٦) الأيادى : النعم . (٧) كم ظللها ، أى أن هذه الدولة
ظلت بجوانب الشرق . (٨) القوادم : عشر ريشات فى مقدم الجناح ، وهى كبار الريش
الواحدة قادمة . والخوافى : صفار الريش ، وهى تحت القوادم . (٩) غالها : اغتالها وأهلكها .
واجبت : استأصل . والدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة الظل ، والجمع دوح . ويريد « بالموالى » : غير
العرب . ويشير بهذا البيت الى نكبة الدول الإسلامية على أيديهم ، فهم الذين قتلوا عمر ، وكانوا سببا
فى إسقاط الدولة الأموية وإسقاط الدولة العباسية حتى سقطت .

(١) يَالَيْتَهُمْ سَمِعُوا مَا قَالَه (عُمَرُ) * وَالرُّوحُ قَدْ بَلَغَتْ مِنْهُ تَرَاقِيهَا :
لَا تُكْثِرُوا مِنْ مَوَالِيكُمْ فَإِنَّ لَهُمْ * مَطَامِعًا بِسَمَاتِ الضَّعِيفِ تُخَفِّيهَا

(إسلام عمر)

(٢) رَأَيْتُ فِي الدِّينِ آرَاءَ مُوقَفَةً * فَأَنْزَلَ اللَّهُ قِرَاءًا يُزَكِّيهَا
وَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ قَرَّتْ بِصُحْبَتِهِ * عَيْنُ الْحَنِيفَةِ وَأَجْتَازَتْ أَمَانِيهَا
(٣) قَدْ كُنْتُ أَعْدَى أَعَادِيهَا فَصُرْتُ لَهَا * بِنِعْمَةِ اللَّهِ حِصْنًا مِنْ أَعَادِيهَا
(٤) نَخَرَجْتَ تَبْنِي أَذَاهَا فِي (عَهْدِهَا) * وَلِلْحَنِيفَةِ جَبَّارٌ يُوَالِيهَا
(٥) فَلَمْ تَكَدْ تَسْمَعُ الْآيَاتِ بِالْغَلَّةِ * حَتَّى أَنْكَفَأَتْ تُتَاوَى مِنْ يُنَاوِيهَا

- (١) يقال بلغت روحه التراقي، اذا شارف الموت . والتراقي : أطال الصدر حيث يترق النفس .
(٢) يزكيا : يميزها ويؤيدها . ويشير بهذا البيت الى ما كان من عمر — رضى الله تعالى عنه — حين كان يرى الرأى فينزل به القرآن ، حتى بلغت موافقاته نيفا وعشرين آية ، منها آية التحريم في الخمر لما قال : « اللهم بين لنا في الخمر يانا شافيا » . ومنها آية الاستئذان في الدخول ، وذلك أنه دخل عليه غلامه ، وكان نائما ؛ فقال : « اللهم جرم الدخول » ؛ فنزلت آية الاستئذان الخ . (٣) يشير الشاعر بهذا البيت الى ما عرف عن عمر من شدته على النبي والمسلمين قبل إسلامه ، ثم ما كان منه بعد ذلك من إعزاز الاسلام بدخوله فيه . (٤) يواليا : يناصرها ، وهو الله تعالى . ويشير الشاعر بهذا البيت والآيات بعده الى السبب في إسلام عمر ، وذلك أنه كان خرج في يوم من الأيام ليواصل أذاه للنبي صلى الله عليه وسلم ، فلقى نعيم بن عبد الله وأخبره بإسلام أخته وزوجها سعيد بن زيد ، وعيره ذلك ، فرجع عمر اليهما غاضبا ، وكان عندهما خباب بن الأرت ومعه صحيفة فيها سورة طه يقرئها إياها ؛ فلما دنا عمر من البيت سمعهم ، وأحسوا هم به ، فاختنى خباب ، ودخل عمر ، فسر على الصحيفة وقرأ ما فيها ، فأعجب به وأطراه ، ومال قلبه الى الاسلام ، فقصد الى النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم على يديه .
(٥) انكفأ : رجع . وتناوى : تناوى ، أى تعادى .

- (١١) سَمِعْتَ (سُورَةَ طه) مِنْ مُرَتَّلِهَا * فَزَلَزْتَ نَبِيَّةً قَدْ كُنْتَ تَنْوِيهَا
(١٢) وَقُلْتَ فِيهَا مَقَالًا لَا يُطَاوِلُهُ * قَوْلُ الْمُحِبِّ الَّذِي قَدِ بَاتَ يُطْرِيهَا
(١٣) وَيَوْمَ أَسَلَمْتَ عِزَّ الْحَقِّ وَارْتَفَعْتَ * عَنْ كَاهِلِ الدِّينِ أَثْقَالَ يُعَانِيهَا
(١٤) وَصَاحَ فِيهِ (بِلَالٌ) صَبِيحَةً خَشَعَتْ * لَهَا الْقُلُوبُ وَلَبَّتْ أَمْرَ بَارِيهَا
(١٥) فَانْتَ فِي زَمَنِ (الْمُخْتَارِ) مُنْجِدُهَا * وَأَنْتَ فِي زَمَنِ (الصَّدِّيقِ) مُنْجِيهَا
(١٦) كَمْ أَسْتَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ مُقْتَبِطًا * بِحِكْمَةٍ لَكَ عِنْدَ الرَّأْيِ يُلْفِيهَا

(عمر وبيعة أبي بكر)

- (٧) وَمَوْقِفُكَ بَعْدَ (الْمُصْطَفَى) أَفْتَرَقَتْ * فِيهِ الصَّحَابَةُ لَمَّا غَابَ هَادِيهَا
بَايَعَتْ فِيهِ (أَبَا بَكْرٍ) فَبَايَعَهُ * عَلَى الْخِلَافَةِ قَاصِيهَا وَدَانِيهَا

- (١) يريد «بائية» : البية التي كان ينويها عمر قبل اسلامه من إيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم .
(٢) لا يطاوله : لا يفال به . وأطراه يطريه : أحسن الثناء عليه وبالغ في مدحه .
(٣) الكاهل : مقدم أهل الظهر مما يلي العنق . (٤) بلال ، هو ابن رباح ، وكان مولى لأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، اشتراه ثم أعنته ، وكان له خازن ، ولرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنا ، ومات رحمه الله بدمشق سنة عشرين هجرية . ويشير الشاعر بهذا البيت الى اظهار المسلمين أمر دينهم بسبب اسلام عمر بعد ما كانوا يخفونه خوفا من المشركين ، ويظهر بلال بالأذان .
(٥) يريد بالصديق : أبا بكر أول الخلفاء الراشدين ؛ ويشير بالشطر الثاني من هذا البيت الى اختلاف الذي سبق مبايعة أبي بكر ، وحسنه عمر يوم البقيعة ، ومناصرتة لأبي بكر مدة خلافته ، ويشير الشاعر الى ذلك بعد . (٦) استراك : أصلها استراءك ، أي طلب رأيك . (٧) يشير الى اختلاف المسلمين في يوم البقيعة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ، وما كاد يلحقهم من انقسام الكلمة في اختيار خليفة لهم ، وإلى فضل عمر يومها بله شتمهم وإسراعه الى مبايعة أبي بكر بالثلاثة .

- (١) وَأُطِفِفْتُ فِتْنَةً لَوْلَاكَ لَأَسْتَعَرْتُ * بَيْنَ الْقَبَائِلِ وَأَنْسَابَتْ أَفَاعِيهَا
(٢) بَاتَ النَّبِيُّ مُسَجًى فِي حَظِيرَتِهِ * وَأَنْتَ مُسْتَعِيرُ الْأَحْشَاءِ دَائِمِيهَا
(٣) تَهَيُّمُ بَيْنَ عَجِيجِ النَّاسِ فِي دَهْشٍ * مِنْ نَبَأَةٍ قَدْ سَرَى فِي الْأَرْضِ سَارِيهَا
(٤) تَصِيحُ: مَنْ قَالَ نَفْسُ الْمُصْطَفَى قُبِضَتْ * عَلَوْتُ هَامَتَهُ بِالسَّيْفِ أْبْرِيهَا
أَنْسَاكَ حُبَّكَ طَهَ أَنَّهُ بَشَرٌ * يُجْرِي عَلَيْهِ سُؤُونَ الْكَوْنِ مُجْرِيهَا
وَأَنَّهُ وَارِدٌ لَا بَدَّ مَوْرِدَهُ * مِنْ الْمَيِّتَةِ لَا يُعْفِيهِ سَاقِيهَا
نَسِيَتْ فِي حَقِّ طَهَ آيَةٌ تَزَلَّتْ * وَقَدْ يُدَكِّرُ بِالْآيَاتِ نَاسِيهَا
(٥) ذَهَلَتْ يَوْمًا فَكَانَتْ فِتْنَةً عَمَمٌ * وَتَابَ رُشْدُكَ فَانْجَابَتْ دِيَابِجِيهَا
(٦) فَلِلْسَّقِيفَةِ يَوْمٌ أَنْتَ صَاحِبُهُ * فِيهِ الْخِلَافَةُ قَدْ شِيدَتْ أَوَاسِيهَا
(٧) مَدَّتْ لَهَا (الْأَوْسُ) كَفًّا كَتَّى تَتَاوَلَهَا * فَدَّتْ (الْخَزْرَجُ) الْإَيْدِي تَبَارِيهَا

- (١) استعرت : اتقوت . (٢) بينى الميت : مد عليه ثوبه وغطاه به .
(٣) هام بهيم : ذهب على وجهه لا يدرى أين يذهب . والعجيج : الصباح ورفع الصوت . والنباة : الصوت الخفى ، ويريد نبأ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم . ويشير بهذا البيت والآيات الخمسة بعده الى ما تولى الناس وعمر معهم من الدهش بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى إن عمر وقف بينهم يهددهم بقطع رأس كل من يقول : " مات محمد " حتى جاءهم أبو بكر ، فخطبهم خطبة ذكرهم فيها بقوله تعالى :
(وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) الآية ؛ فعادوا الى صوابهم . (٤) الهامة : الرأس .
(٥) عمم : عامة . وانجابت : انقضت وزالت . والدبابجى : الظلمات .
(٦) الأواسى : جمع آسية ، وهى العمود .
(٧) الضمير فى « لها » و « تناولها » للخلافة . والأوس والخزرج : قبيلتا الأنصار . وتباريها : تنازعاها التلوة على الخلافة .

(١).
وَمَنْ كُلِّ قَرِيْبٍ أَنْتَ صَاحِبُهُمْ * أَوَّلَىٰ بِهَا وَأَتَى الشَّخْنَآءَ أَتِيهَا
(٢)
حَتَّىٰ أَتَرَيْتَ لَهُمْ فَارْتَدَّ طَائِعُهُمْ * عَنْهَا وَأَتَى (أَبُو بَكْرٍ) أَوَاخِيهَا

(عمر وعلى)

(٣)
وَقَوْلُهُ (لَمَلِي) قَالَهَا (عُمَرُ) * أَكْرَمُ بِسَامِعِهَا أَعْظَمُ بِمُلْقِيهَا!
حَرَقْتُ دَارَكَ لَا أَبْقِي عَلَيْكَ بِهَا * إِنْ لَمْ تُبَايِعْ وَيَنْتِ الْمِصْطَفَىٰ فِيهَا
مَا كَانَ فَيْرُ (أَبِي حَفِصٍ) يَقُوهُ بِهَا * أَمَامَ فَارِسٍ (عَدْنَانٍ) وَحَامِيهَا
كَلَامُهُمَا فِي سَبِيلِ الْحَقِّ غَزَمَتُهُ * لَا تَتَّقِنِي أَوْ يَكُونِ الْحَقُّ ثَانِيهَا
فَإِذْ كُرْهُمَا وَتَرَحَّمْ كُلُّمَا ذَكَرُوا * أَعَاظِمَا أُلْهُوَا فِي الْكَوْنِ تَالِيهَا

(عمر وجبله بن الأيهم)

(٤)
تَمَّ خِفْتُ فِي اللَّهِ مَضْعُوفًا دَمَاكَ بِهِ * وَكَمَّ أَخَفْتُ قَوِيًّا يَتَنَنِي تِيهَا
(٥)
وَفِي حَدِيثٍ قَتَى غَسَّانَ مَوْعِظَةً * لِكُلِّ ذِي نَعْرَةٍ يَا أَبَى تَنَاسِيهَا

(١) صاحبهم، أى الذى نصبوه للخلافة منهم . (٢) أتنى أواخيها ، أى مكن لها ووثق صلاتها وقواها . والأواحي : العرا ، الواحدة آخية . (٣) يشير بهذه الأبيات الى امتناع على عن البيعة لأبي بكر يوم السقيفة ، وتهديد عمر إياه بطريق بيته اذا استمر على امتناعه وكان فيه زوجة على فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم . (٤) المضعوف ، أى الضعيف ؛ والقياس مضعف ، كقولهم : أسعد الله فهو مسعود ؛ والقياس مسعد (بفتح العين) . وبه ، أى بالله . وتيا : كبيرا . (٥) قتي غسان ، هو جبله بن الأيهم أحد أبناء النساسنة ملوك الشام ، كان قد اعتنق الإسلام ، وبنيا هويوما يطوف إذ وطئ أعرابي ثوبه ، فلطمه جبله لطمه هشت ألقه ، فشكاه الأعرابي الى عمر ، فأمر أن يقتل منه ، وأبى جبله ذلك ، وحرب ، والتجأ الى القسطنطينية ، ونصر . والنقرة (بفتح العين) — وسكنت هنا للضرورة — : الخلاء والكبر .

فما الْقَوِيُّ قَوِيًّا رَغَمَ عِزَّتِهِ * عند الخُصُومَةِ (والفاروق) قاضِها
وما الضَّعِيفُ ضَعِيفًا بَعْدَ حُجَّتِهِ * وإنَّ تَخَاصُمَ وَالِيها وَرَاعِها

(عمر وأبو سفيان)

(١) وما أَقَلَّتْ (أَبَا سُفْيَانَ) حِينَ طَوَى * عَنْكَ الْهَدِيَّةَ مُعْتَرًّا بِمُهْدِها
لَمْ يُغْنِ عَنْهُ وَقَدْ حَاسَبْتَهُ حَسَبٌ * وَلَا (مُعَاوِيَةَ) بِالشَّامِ يَحْيِيها
قَيَّدَتْ مِنْهُ جَلِيلًا شَابَ مَفْرِقُهُ * فِي عِزَّةٍ لَيْسَ مِنْ عِزِّ يَدَانِها
قَدْ نَوَّهُوا بِأَسْمِهِ فِي جَاهِلِيَّتِهِ * وَزَادَهُ سَيِّدُ الْكَوْنَيْنِ تَتْوِيها
فِي فَتْحِ مَكَّةَ كَانَتْ دَارُهُ حَرَمًا * قَدْ أَمَّنَ اللَّهُ بَعْدَ الْبَيْتِ ظَاهِيها

(١) وما أقلت أبا سفيان، أي ما تركته ولا تنازعت عنه . وبمهديا، أي معاوية . ويشير الشاعر بهذه الأبيات إلى ما يروى من أن معاوية - وهو على الشام - بعث مرة إلى عمر بن الخطاب بمال وأدم وكتب إلى أبيه أبي سفيان أن يدفع ذلك إلى عمر، فنزع الرسول حتى قدم على أبي سفيان بالمال والأدم ؟ فذهب أبو سفيان بالأدم والكتاب إلى عمر، واحتبس المال لنفسه ؟ فلما قرأ عمر الكتاب قال : فأين المال يا أبا سفيان ؟ قال : كان علينا دين ومعوية ، ولنا في بيت المال حق ، فإذا أخرجت لنا شيئا قاضيتا به ؟ فقال عمر : اطرحوه في الأدم (أي القيد) حتى يأتي بالمال ، فأرسل أبو سفيان من أتاه بالمال ، فأمر عمر بإطلاقه من الأدم ، فلما قدم الرسول على معاوية قال : أرايت أمير المؤمنين أعجب بالأدم ، قال : نعم ، وطرح فيه أباك ؟ قال : ولم ؟ قال : جاءه بالأدم وحبس المال ؟ قال : أي واقه ، والخطاب لو كان لطرحه فيه .

(٢) يريد بقوله : " جليلا " وما بعده من الأوصاف : أبا سفيان . والمفروق : وسط الرأس .
(٣) توه به . رفع ذكره ومدحه وعظمه . (٤) يشير بهذا البيت والذي قبله إلى ما اخصص به رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان يوم فتح مكة من جعل يته أمنا لمن دخله واخصم به من المشركين .
وقوله : « بعد البيت » ، أي بعد الكعبة .

وَكُلُّ ذَاكَ لَمْ يَسْفَعْ لَدَى (عُمَرِ) * فِي هَفْوَةٍ (لَأَبِي سُفْيَانَ) يَأْتِيهَا ^(١)
 تَاللَّهِ لَوْ فَعَلَ (الْخَطَّابُ) فَعَلَّتَهُ * لَمَا تَرَخَّصَ فِيهَا أَوْ يُجَازِيهَا ^(٢)
 فَلَا الْحَسَابَةَ فِي حَقِّ يُجَازِلُهَا * وَلَا الْقَرَابَةَ فِي بُطْلِ يُجَازِيهَا ^(٣)
 وَتِلْكَ قُوَّةُ نَفْسٍ لَوْ أَرَادَ بِهَا * شَمَّ الْجِبَالِ لَمَا قَزَتْ رَوَاسِيهَا

(عمر وخالد بن الوليد)

سَلَّ قَاهِرَ الْفُرْسِ وَالرُّومَانِ هَلْ شَفَعَتْ * لَهُ الْفُتُوحُ وَهَلْ أَغْنَى تَوَالِيهَا ^(٥)
 غَزَى قَائِلِي وَخَيْلُ اللَّهِ قَدْ عَقِدَتْ * بِالْيَمِينِ وَالنَّصِيرِ وَالْبُشْرَى نَوَاصِيهَا ^(٦)

(١) ترخص في الأمر : تساهل . يقول : لو فعل الخطاب ، وهو أبو عمر ، مثل هذا ، ما تساهل في عقابه حتى يجازيه . (٢) الحسابة : الحسب . والبطل : الباطل . (٣) الشم : المرتفعة . والرواسي : الثابتة . (٤) بينما كان خالد بن الوليد يقود جيوش المسلمين في فتح الشام ، إذ جاء البريد من المدينة ينعي أبا بكر ، ويخبر باستخلاف عمر بن الخطاب ، ومعه أمر بمنزل خالد بن الوليد ، وإسناد إمارة الجيش العامة إلى أبي عبيدة بن الجراح ، فكتم أبو عبيدة الأمر عن خالد وبناته النصر للمسلمين ، وكان وصول البريد هل أصح الروايات والمسلمون هل حصار دمشق . ويقال : إن سبب عزل خالد أمران : أولهما ما كان في نفس عمر بن الخطاب على خالد بن الوليد منذ قتل خالد مالك بن نويرة ، وتزوجه امرأة في حرب الردة ؛ وثانيهما إقبال جند المسلمين على خالد بن الوليد وحجم له واستماتتهم بين يديه في جميع حروبه في العراق والشام ، وذلك لين طاعه في الحروب وشجاعته . وقد علم عمر بذلك ، نفخى من افتتان الناس به ، لهذا بادد بمنزله قبل أن يصل خبر توليه الخلافة إلى المسلمين ؛ وخالد أمير على جيش عظيم منهم . ولم يكتم عمر عن خالد ما في نفسه من جبهته ، بل أظهره له ، فقال له بعد عزله : « وما عزلتك لرية فيك ، ولكن افتتن الناس بك ، نفعت أن تفتن بالناس » . وبقى خالد إلى آخر حياته مطيعا لعمر ، وقبل موته أوصى عمر بأولاده ؛ وقد أشار الشاعر إلى ذلك . (٥) قاهر الفرس والرومان : خالد بن الوليد . (٦) النواصي : جمع ناصية ، وهي مقدم الرأس . والمسموع في مثل هذه العبارة إدخال الباء على « النواصي » لا على « اليمين » كما هنا ؛ ومثله قوله صلى الله عليه وسلم : « الخيل معقود بنواصيها الخير » فدخولها على اليمين على سبيل القلب ، والقلب في اللغة سماعي .

- (١) يَرْمِي الْأَعَادِي بَارَاءٍ مُسَدَّدَةٍ * وَبِالْفَوَارِسِ قَدْ سَالَتْ مَذَاكِهَا
(٢) مَا وَقَعَ الرُّومَ إِلَّا فَرَّ قَارِحُهَا * وَلَا رَمَى الْفُرْسَ إِلَّا طَاشَ رَامِيهَا
(٣) وَلَمْ يُخْزِ بَلَدَهُ إِلَّا سَمِعَتْ بِهَا * اللَّهُ أَكْبَرُ تَدَوَّى فِي نَوَاحِيهَا
(٤) عِشْرُونَ مَوْقِعَةً مَرَّتْ مُحْجَلَةً * مِنْ بَعْدِ عَشِيرَتَانِ الْفَتْحِ تُخْصِيهَا
(٥) وَ(خَالِدٌ) فِي سَبِيلِ اللَّهِ مُوقِدُهَا * وَ(خَالِدٌ) فِي سَبِيلِ اللَّهِ صَالِيهَا
(٦) أَنَاهُ أَمْرُ (أَبِي حَفِصٍ) فَقَبَّلَهُ * كَمَا يُقَبَّلُ آتَى اللَّهِ نَالِيهَا
وَأَسْتَقْبَلَ الْعَزْلَ فِي إِبَانِ سَطَوْتِهِ * وَبِحَيْدِهِ مُسْتَرَجِ النَّفْسِ هَادِيهَا
(٧) فَاتَّجَبَ لَسِيدٍ مُخْزُومٍ وَفَارِسِيهَا * يَوْمَ التَّرَالِ إِذَا نَادَى مُنَادِيهَا
(٨) يَقُودُهُ حَبِشِيٌّ فِي عِمَامَتِهِ * وَلَا تُحَرِّكُ تُخْزُومٌ عَوَالِيهَا
(٩) أَلْقَى الْقِيَادَ إِلَى الْجَرَاحِ مُتَشَلِّلاً * وَعِزَّةُ النَّفْسِ لَمْ تُجْرَحْ حَوَاشِيهَا
وَأَنْضَمَّ لِلْبُنْدِ يَمِشِي تَحْتَ رَايَتِهِ * وَبِالْحَيَاةِ إِذَا مَالَتْ يُفْدِيهَا

- (١) المذاكي : التحليل التي تم سنها وكلت قوتها . وانسبال المذاكي : كناية عن انتشارها وكثرتها
تشبيها بانسبال الماء . (٢) فارحها ، أى القوى المكتمل منهم . (٣) المسوع
تدوى (بتشديد الواو) ، أى يرتفع الصوت بها . (٤) محجلة ، أى واضحة مشرقة بالانتصار فيها .
ومعنى البيت أن خالدا ظفر في ثلاثين موقعة تسجلها له يد الفتح . (٥) صالها : أى يقاسى
حرها وشدتها . (٦) أمر أبي حفص ، أى أمر عمر بنزله . (٧) مخزوم : قبيلة خالد .
(٨) يريد «الحبشي» بلال بن رباح ، وهو الذى قذف أمر عمر في خالد بأن يجسر بهامته حين استحميا
أبو عبيدة من تنقيده ، فهد بلال عمامة خالد ووضعها في رقبة ، ثم رجمها الى رأسه ثانية ، وقال : طلع
أمرأنا ونكرم سادتنا . والعوالى : الرماح . وتحريكها : كناية عن الثورة على عمر والانتصاف لخالده .
(٩) الضمير في «ألقى» : يعود الى فارس مخزوم خالد بن الوليد . والجراح ، هو أبو عبيدة بن الجراح .

(١) / وما عرته شُكوكٌ في خليفته * ولا ارتضى إمرة الجراح تمويها
(٢) (بخالد) كان يدري أن صاحبه * قد وجه النفس نحو الله توجيها
(٣) فما يبالغ من قول ولا عمل * إلا أراد به للناس ترفيها
لذلك أوصى بأولاده (عمرًا) * لما دعاه إلى الفردوس داعيها
(٤) وما نهى (عمر) في يوم مصرعه * نساء مخزوم أن تبكي بواكيها
(٥) وقيل: خالفت يا (فاروق) صاحبنا * فيه وقد كان أعطى القوس باريها
فقال : خفت أفتان المسلمين به * وفنت النفس أعيت من يداويها
(٦) هبوه أخطأ في تأويل مقصده * وأنها سقطة في عين ناعيها
(٧) فلن تعيب حصيف الرأي زلت * حتى يعيب سيوف الهند نايها
تالله لم يتبع في (ابن الوليد) هوى * ولا شفى غلة في الصدر يطويها
(٨) لكنه قد رأى رأيًا فاتبعه * عزيمة منه لم تثل مواضيها

(١) التويه : إظهار ما يخالف الباطن . (٢) صاحبه ، أى عمر بن الخطاب . (٣) الترفيه : الرغد والنعيم . (٤) يشير إلى ما يروى من أن عمر بلغه أن نسوة من نساء بني المنيرة اجتمعن في دار يكن على خالد بن الوليد ، فقال : وما عليهن أنت يكنين أبا سليمان ما لم يكن تقع أو قلقة . (٥) صاحبنا ، يريد أبا بكر ، «وفيه» ، أى فى خالد . وأعطى القوس باريها ، أى استعان فى الحرب بمن له معرفة وحذق ، وهو مثل يضرب فى تفويض الأمر إلى من يحسنه ويبيده . (٦) هبوه . أى هبوا عمر ، وهو خطاب من الشاعر إلى الناس . وفى عين ناعيها ، أى فى عين من يتدد سقطات عمر وزلاته . (٧) حصيف الرأي : جيده ومحكمه . و «نايها» ، أى ما يقبض من سيوف الهند ويكل ويرتد . يقول : من عرف بالحكمة فى رأى لا تبيسه زلة ، كما لا يحط من قدر سيوف الهند أن تنبؤ مرة . (٨) المواضى : السيوف الماضية . وهم لم تثل ، أى لم تكسر أشفارها .

(١) لَمْ يَرَّعَ فِي طَاعَةِ الْمَوْلَى خُؤُولَتَهُ * وَلَا رَعَى غَيْرَهَا فِيمَا يُنَافِيهَا
(٢) وَمَا أَصَابَ ابْنَهُ وَالسَّوْطُ يَأْخُذُهُ * لَدَيْهِ مِنْ رَاقَةٍ فِي الْحَدِّ يُبْدِيهَا
(٣) إِنْ الَّذِي بَرَأَ (الْفَارُوقَ) نَزَّهَهُ * عَنِ النَّقَائِصِ وَالْأَغْرَاضِ تَنْزِيهَا
فَذَلِكَ خُلُقٌ مِنَ الْفِرْدَوْسِ طَبَقَتُهُ * اللَّهُ أَوْدَعَ فِيهَا مَا يُنْقِبُهَا
لَا الْكِبَرُ يُسْكِنُهَا ، لَا الظُّلُمُ يَصْحَبُهَا ، * لَا الْحَقْدُ يَعْرِفُهَا ، لَا الْحِرْصُ يُغْوِيهَا

(٤) (عمر وعمر بن العاص)

(٥) شَاطَرَتْ دَاهِيَةَ السَّوَاسِ تَرَوْتَهُ * وَلَمْ تَخْفَهِ بِمِصْرٍ وَهُوَ وَالِيهَا
وَأَنْتَ تَعْرِفُ (عَمْرًا) فِي حَوَاضِرِهَا * وَلَسْتَ تَجْهَلُ (عَمْرًا) فِي بَوَادِيهَا
لَمْ تُنَبِّتِ الْأَرْضُ كَابِنَ الْعَاصِ دَاهِيَةً * يَرْمِي الْخُطُوبَ بِرَأْيٍ لَيْسَ يُحْطِ بِهَا

(١) خُؤُولَتُهُ ، أى خُؤُولَةُ قَبِيلَةِ خَالِدٍ لَعْمَرٍ : فَامَ عَمْرٍ حَتْمَةُ بِنْتِ هَاشِمِ بْنِ الْمُتَسِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ بْنِ نُجَيْدٍ . وَيُنَافِيهَا ، أى فِي مَعْصِيَةِ الْمَوْلَى . (٢) يَقُولُ : إِنَّ ابْنَهُ لَمْ يَلَمْ مَعَهُ رَاقَةً وَهُوَ يَحْتَفِظُ فِي شَرْبِ الْخَمْرِ ، وَالسَّوْطُ يَأْخُذُ مِنْ جَسَدِهِ . وَيُشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى حَدِّهِ وَلَدِهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي الْخَمْرِ وَفِي مَرَضٍ بِمَذْكَرٍ وَمَاتَ . (٣) بَرَأَ الْفَارُوقُ : خَلَقَهُ .

(٤) كَانَ شَأْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَمَّهُ مَعَ عَمَلِهِ أَنْ يُصَادِرَهُمْ فِي أَنْصَافِ أُمُورِهِمْ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَرَى أَنَّ مَا يَتَّبِعُونَهُ مِنَ الْمَالِ إِنَّمَا هُوَ حَقٌّ لِلْمَلِكِ ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُؤْخَذَ مِنْهُمْ وَيُرَدَّ لَيْتَ الْمَالِ ، فَعَلِ هَذَا عَمْرٌ مَعَ مَنْ رَأَى لَدَيْهِمْ ثَرَةً لَمْ يَعْلَمْ مَصْدَرَهَا . وَقَدْ كَتَبَ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ : إِنَّهُ قَدْ فَتَشْتَ لَكَ فَاشِيَةً مِنْ مَنَاعِ رَوَاقٍ وَأَتَيْتُ وَحْيَانًا لَمْ تَكُنْ حِينَ وَلِيْتَ مِصْرَ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ عَمْرٌ : إِنَّ أَرْضَنَا أَرْضُ مُزْدَرَجٍ وَنَجْرٍ ، فَتَحْنُ تَصِيبُ فَضْلًا عَمَّا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ لِنَقْتَنَّا . فَكُتِبَ إِلَيْهِ : إِنِّي قَدْ خَبَرْتُ مِنْ عَمَالِ السُّوءِ مَا كُنْتُ ، وَكَتَابْتُ إِلَيْكَ كِتَابًا مِنْ أَقْلَقِهِ الْأَخْذِ بِالْحَقِّ ، وَقَدْ سَوَّيْتُ بِكَ ثَنًا ؛ وَقَدْ وَجَّهْتُ إِلَيْكَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ لِيَقَاسِمَكَ مَالَهُ ، فَأَطْلَعَهُ عَلَيْهِ وَأَخْرَجَ إِلَيْهِ مَا يُطَالِبُكَ بِهِ ، وَأَعْفَى مِنَ النَّظْفَةِ عَلَيْكَ . فَلَمْ يَسْعَ عَمْرٌ بِنِ الْعَاصِ عَلَى دَهَانِهِ وَعُلُومِكَاتِهِ وَبَعْدَهُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا الْخُضُوعَ لِمَا أَمَرَهُ بِهِ ، وَمَقَاسِمَةَ ابْنِ مُسْلِمَةَ مَالَهُ . وَإِلَى هَذِهِ الْقِصَّةِ يُشِيرُ الشَّاعِرُ . (٥) دَاهِيَةُ السَّوَاسِ : عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ .

(١) فلم يُرِغ حِيلةً فيما أَمَرَتْ به * وقَامَ (عَمَرُو) الى الأَجْمَالِ يُزْجِيها
(٢) وَلَمْ يُثِقِلْ حَامِلًا منها وقد كَثُرَتْ * أَمْوَالُهُ وَفَشَا في الأَرْضِ فَاشِيها

(عمر وولده عبد الله)

(٤) وما وَفَى أَبْنُكَ (عبد الله) أَيْنَقَهُ * لَمَّا أَطْلَعْتَ عَلَيْها في مَرَاعِيها
يها في حِمَاءٍ وهى سَارِحَةٌ * مِثْلَ القُصُورِ قد أَهْتَرَتْ أَطَالِيها
فَقُلْتُ: ما كَانَ (عبد الله) يُشْعِيها * لو لَمْ يَكُنْ وَلَدِي أَوْ كَانَ يُرَوِيها
قد أَسْتَعَانَ بِجَاهِي في تِجَارَتِهِ * وَبَاتَ بِأَسِيمٍ (أُنَى حَفِصٍ) يُنَمِّيها
(٥) رَدُّوا النِّسَاءَ لَيْتَ المَالِ إِنْ لَهُ * حَقُّ الزَّيَادَةِ فِيها قَبْلَ شَارِيها
(٦) وَهَذِهِ خُطَّةٌ لِلَّهِ وَاضِعُها * رَدَّتْ حُقُوقًا فَأَغْنَتْ مُسْتَمِيعِيها
(٧) مَا لَاشْتَرَاكِةَ المُتَشَوِّدُ جَانِبِها * بَيْنَ الْوَرَى فَيَرْمِي مَنْ مَبَانِيها
(٨) فَإِنْ نَكُنْ نَحْنُ أَهْلِيها وَمَنْبَتِها * فَإِنَّهُمْ عَرَفُوهَا قَبْلَ أَهْلِيها

- (١) أَرَاغَ يَرِغُ : طَلَبَ . وَزَجَّيها : يَسُوقُها . (٢) وَلَمْ تُثِقِلْ حَامِلًا مِنْها ، أَيْ لَمْ تَعْفَ أَحَدًا مِنْ عَمَالِكَ مِنْ مَشَاطِرَةِ مَالِهِ . وَفَشَا ، أَيْ اقْتَشَرَ وَكَثُرَ .
- (٣) يُشِيرُ الشَّاهِرُ بِهَذِهِ الْآيَاتِ إِلَى مَا يَرَوِي مِنْ أَنَّ عَمْرَمَ يَوْمًا بَنُوهُ قَدْ بَدَتْ عَلَيْهَا آثارُ النِّعَةِ فَسَأَلَ عَنْ صَاحِبِها ، فَقِيلَ لَهُ : عَبْدُ اللَّهِ ، فَسَأَلَهَا إِلَى بَيْتِ الْمَالِ ظَنًّا بِهِ أَنْ تَرَوْهُ ابْنَهُ لَا تَقْنِي لَهُ ، وَرَأَتْهُ لَوْلَا جَاهُهُ بَيْنَ النَّاسِ مَا قَدَّرَ عَلَى إِطْعَامِها .
- (٤) الْإِيقُ : النِّسَاءُ .
- (٥) يُنَمِّيها : يَزِيدُها . (٦) أَغْنَتْ مُسْتَمِيعِيها ، أَيْ أَغْنَتْ أَصْحَابَ الْحَقُوقِ عَنْ اسْتِجْدَائِها وَالتَّسَائُلِ بِمِثْلِ السُّؤَالِ . (٧) الْمُتَشَوِّدُ : الْمُطْلُوبُ . يَرِيدُ أَنْ الْمَذْهَبَ بِالْإِشْرَاكِ الْمَعْرُوفِ مَا هُوَ إِلَّا فَرَعٌ مِنْ هَذِهِ الْخُطَّةِ الَّتِي سَارَ عَلَيْها عَمْرَمُ .
- (٨) فَإِنْ نَكُنْ نَحْنُ أَهْلُ هَذِهِ الْخُطَّةِ وَفِيها نَبْتُ ، فَإِنَّ الْفَرِيقَيْنِ قَدْ عَرَفُوهَا وَعَمَلُوا بِها قَبْلَنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِها وَأَهْلُها .

(عمر ونصر بن حجاج^(١))

جَنَى الْجَمَالَ عَلَى (نَصْرِ) فَرَّبه * عَنِ الْمَدِينَةِ تَبِكُهُ وَيَبْكِيهَا
 وَكَمْ رَمَتْ قَسِمَاتُ الْحُسَيْنِ صَاحِبَهَا * وَأَتَعَبَتْ قَصَبَاتُ السَّبْقِ حَاوِيَهَا^(٢)
 وَزَهْرَةُ الرُّوضِ لَوْلَا حُسْنُ رَوِّقِهَا * لَمَّا اسْتَطَالَتْ عَلَيْهَا كُفَّ جَانِبَهَا
 كَانَتْ لَهُ لِمَّةٌ فَيَنَانُهُ عَجَبٌ * عَلَى بَجِيْنِ خَلِيقِ أَنْفٍ يُحَلِّبَهَا^(٣)
 وَكَانَ أُنَى مَشَى مَالَتْ عَقَائِلُهَا * شَوْقًا إِلَيْهِ وَكَادَ الْحُسْنُ يَسْبِيهَا^(٤)
 هَتَفَنَ تَحْتَ اللَّيَالِي بِأَسْمِهِ شَفَقًا * وَلِلْحُسَيْنِ تَمَنَّى فِي لَيَالِيهَا^(٥)
 جَزَزَتْ لَيْلَهُ لَمَّا أُتِيَ بِهِ * فَفَاقَ عَاطِلُهَا فِي الْحُسْنِ حَالِيهَا

(١) يشير الشاعر بهذه الأبيات إلى الماروي من أن عمر - رضي الله عنه - مر ليلة في المدينة فسمع امرأة تقول :

هل من سبيل إلى نهر فأشربها * أود من سبيل إلى نصر بن حجاج

فقال لها امرأة معها : من نصر؟ قالت : رجل أود لو كان معي طول ليلة ليس معاً أحد . فدعا بها عمر ، فغفقهها بالدرة ، ودعا بنصر فخلق لثته ، فداد أحسن مما كان ؛ فقال : لا تساكني في بلدة يمتلك النساء بها ، وأخرج به إلى البصرة . وحاول نصر أن يعود إلى المدينة ، فأبى ذلك عليه عمر وقال : أما ولي سلطان فلا . وكان نصر من أجل الناس .

(٢) قسِمَاتُ الْحُسَيْنِ : مجاليه . وقَصَبَاتُ السَّبْقِ : ما ينصب في ميدان السباق ، فن سبق أقطبها وأخذها ليلى أنه السابق .

(٣) اللقمة (بالكسر) : الثمر المجاور شجرة الأذن ، والجمع لم . وفَيَانُهُ : طويته حسنة .

(٤) عَقَائِلُهَا ، أى عقال المدينة . وعَقَائِلُ النِّسَاءِ : كرائمهن ، الواحدة عقيلة .

ويسبى : يأسرهما .

(٥) عَاطِلُهَا : الهجر منها . وحَالِيهَا : المتزين بها .

فَصَحَّتْ فِيهِ تَحَوَّلَ عَنْ مَدِينَتِهِمْ * فَإِنَّمَا فِتْنَةٌ أَخْشَى تَمَادِيهَا
(١) وَفِتْنَةُ الْحُسَيْنِ إِنِ هَبَّتْ نَوَاحِيهَا * كَفِتْنَةِ الْحَرْبِ إِنِ هَبَّتْ سَوَافِيهَا

(٢) (عمر ورسول كسرى)

(٣) وَرَاعَ صَاحِبَ (كِسْرَى) أَنْ رَأَى عُمَرَا * بَيْنَ الرَّعِيَةِ عُطْلًا وَهُورَاعِيَا
وَعَهْدُهُ بِمُلُوكِ الْفُرسِ أَنَّهَا * سُورًا مِنَ الْجُنْدِ وَالْأَحْرَاسِ يَتَحِيَا
رَأَاهُ مُسْتَعْرِقًا فِي نَوْمِهِ فَرَأَى * فِيهِ الْجَلَالَةَ فِي أَشْمَى مَعَانِيهَا
فَوْقَ التَّرَى تَحْتَ ظِلِّ الدَّوْحِ مُشْتَمِلًا * بِبُرْدَةٍ كَادَ طَوَّلُ الْعَهْدِ يُنِيلُهَا
(٤) فَهَانَ فِي عَيْنِهِ مَا كَانَ يُكْبِرُهُ * مِنْ الْأَكَاوِيرِ وَالذَّنْبِ بِأَيْدِيهَا
وَقَالَ قَوْلَةً حَقٌّ أَصْبَحَتْ مَثَلًا * وَأَصْبَحَ الْجَلِيلُ بَعْدَ الْجَلِيلِ يَرْوِيهَا
أَمِنَتْ لِمَا أَقْتَتَ الْعَدْلَ بَيْنَهُمْ * فَنِمْتَ نَوْمَ قَرِيرِ الْعَيْنِ هَانِيهَا

(١) نواحيها : أى روائعها الطيبة ، جمع ناحة . وسوافى الحرب ، أى عواصفها - والأصل فى السوافى :
الريح تحمل الغبار . يقول : إن الحسن يفعل فى النفوس بلطفه ورقته ما تفعله الحرب بقسوتها وشدةها .
ويرويه بعض الأدباء قللا عن حافظ «لواحيها» باللام مكان «نواحيها» بالنون ، والوافى : الرياح
الحارة المحرقة ، جمع لافحة ، والمعنى عليه يستقيم أيضا كما هو ظاهر .

(٢) يشير بهذه الأبيات إلى ما يروى من أنه لما وصل رسول كسرى إلى المدينة يريد مقابلة الخليفة
يجل يستبدى إلى قصره ، فعلم أنه لا يسكن قصرا ، وانتهى به الأمر إلى أن وصل إلى بيت كبيوت أفقر العرب
وشناك كان الخليفة العظيم أقادا على الرمل أمام البيت ، جاعلا منه وسادة أسند إليها رأسه ، ولم يكن يحوله
من مظاهر هذه الحياة ما يميزه من أصغر فرد فى رعيته ؛ فلما رأى الرسول ذلك دهش ، ووقف أمامه شاشعا
وقال عبارة المعروفة : عدلت يا عمروأمنت فمنت . (٣) عطلا (بالضم) ، أى متجردا من
مظاهر الأبهة . (٤) الدوح : جمع دوحة ، وهى الشجرة العظيمة المتسعة الظل . واشتمل الرجل
شويه : تقف به وأداره على جسده .

(عمر والشورى)^(١)

يارافعا راية الشورى وحازسها * جزاك ربك خيرا عن جميعها
 لم يهلك النزع عن تأييد دولتها * وللمنية آلام ثنائها^(٢)
 لم أنس أمرك للقياد يحمله * الى الجماعة إنذارا وتنبها
 إن ظل بعد ثلاث رأيا شعبا * فجرّد السيف وأضرب في هوايها^(٣)
 فأعجب لقوة نفيس ليس يصرفها * طعم المنيّة مرأ عن مرامها
 درى عيب بني الشورى بموضعها * فعاش ما عاش بينها ويعلها
 وما استبدّ برأي في حكومته * إن الحكومة تُغري مُستبدّها
 رأى الجماعة لا تشق البلاد به * رغم الخلاف ورأى الفرد يُسقيها

(١) كان عمر بن الخطاب يأخذون بالشورى في أمورهم ، وكان يقول : لا خير في أمر أبرم من غير شورى .
 وهو أول من قرر قاعدة الشورى في انتخاب الخليفة ، فقد سئل عند ما طعن عمر يومئذ به بعده ، فقال
 لقداد بن الأسود : اذا وضعتوني في حفرة فأدخل عليا وعثمان والزيير وسعدا وعبد الرحمن بن عوف
 وطلحة إن قدم ، وأحضر عبد الله بن عمر ، ولا شيء له من الأمر ، وتم على رؤوسهم ، فإن اجتمع نعمة
 ورضوا رجلا وأبني واحد فاضرب رأسه بالسيف ؛ وإن اتفق أربعة فرضوا رجلا منهم وأبني اثنان فاضرب
 رأسهما ، فإن رضى ثلاثة رجلا وثلاثة رجلا منهم ، فحكوا عبد الله بن عمر ، فأى الفريقين حكم له فليختاروا
 رجلا منهم ، فإن لم يرضوا يحكم عبد الله فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ، واقتلوا الباقين
 إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس . وال هذه القصة يشير الشاعر .

(٢) دولتها ، أى دولة الشورى .

(٣) بعد ثلاث ، أى بعد ثلاث ليال . والمهادى : الأعناق .

(مِثَالٌ مِنْ زُهْدِهِ)

- (١) يَا مَنْ صَدَقَتْ عَنِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا * فَلَمْ يَنْفِرْكَ مِنْ دُنْيَاكَ مُغْرِبَهَا
- مَاذَا رَأَيْتَ بَبَابَ الشَّامِ حِينَ رَأَوَا * أَنْ يُلْبِسُوكَ مِنَ الْأَثْوَابِ زَاهِيَهَا
- (٢) وَيُرْكَبُوكَ عَلَى الْبِرْدُونِ تَقْدُمُهُ * خَيْلٌ مُطَهَّمَةٌ تَحْلُو مَرَائِيَهَا
- (٣) مَشَى فَهَمَلَجَ مُخْتَالًا بِرَاكِبِهِ * وَفِي الْبَرَادِيزِ مَا تُرْهَى بِعَالِيَهَا
- فَصِحَّتْ : يَا قَوْمُ ، كَادَ الزَّهْوُ يَقْتُلُنِي * وَدَاخَلَنِي حَالٌ لَسْتُ أَدْرِيهَا
- (٤) وَكَادَ يَصُوبُ إِلَى دُنْيَاكُمْ (عُمَرُ) * وَيَرْتَضِي بَيْعَ بَاقِيهِ بِفَانِيَهَا
- رُدُّوا رِكَابِي فَلَا أَبْنِي بِهِ بَدَلًا * رُدُّوا ثِيَابِي فَخَسِي الْيَوْمَ بِأَلِيَهَا

(مِثَالٌ مِنْ رَحْمَتِهِ)

- (٦) وَمَنْ رَأَاهُ أَمَامَ الْقَدْرِ مُنْبَطِحًا * وَالنَّارُ تَأْخُذُ مِنْهُ وَهُوَ يُدْكِيهَا
- (٧) وَقَدْ تَحَلَّلَ فِي أَشْيَاءٍ لِحْيَتِهِ * مِنْهَا الدُّخَانُ وَفُوهُ غَابَ فِي فِيهَا

- (١) صدف : أعرض وصفه . (٢) البردون : ضرب من الدواب دون الخيل وأقوى من الحمر . ويشير بهذا البيت وما بعده إلى أن عمر لما شخص إلى بيت المقدس رأى فرسه يتوجى ، فنزل عنه وأتى بردون فركبه ، فهزه . فنزل فضرب وجهه بردائه ثم قال : قبح الله من علمك ، هذا من الخيلاء ، ثم دعا بفرسه بعد ما أجه أيا ما فركبه ، ثم سار حتى انتهى إلى بيت المقدس ، ولم يركب قبله ولا بعده بردونا .
- (٣) المهلبة : حسن السير في تجتر . وأزهى (بالبناء للجهول) : اختال . وعاليها : راكمها .
- (٤) يصو : يميل . (٥) يشير بالأبيات الآتية إلى ما روى من أن عمر رضي الله تعالى عنه كان يتمسك بالليل . فأرى امرأة توفد النار على حصى وماء ، تشعل بذلك أولادها عن طلب الطعام حتى يناموا ، فحمل إليها عمر من بيت المال شيئا من الدقيق ، وجلس هو يشعل النار وينضج الطعام ، ولم ينصرف حتى أكل الأطفال وناموا . (٦) انبطح : قام على وجهه ممتدا على الأرض . وأذكى النار : أوقدها . (٧) فوه غاب في فيها ، أى فوه غاب في فم النار وهو ينفخها .

رَأَى هُنَاكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى * حَالِ تَرَوُعٍ - لَعَمْرُ اللَّهِ - رَائِبِهَا
يَسْتَقْبِلُ النَّارَ خَوْفَ النَّارِ فِي غَدِهِ * وَالْعَيْنُ مِنْ خَشْيَةٍ سَأَلَتْ مَا قِهَا^(١)

(٢)
(مَثَلٌ مِنْ تَقَشُّفِهِ وَوَرَعِهِ)

إِنْ جَاعَ فِي شِدَّةٍ قَوْمُ شِرْكَتِهِمْ * فِي الْحُجُوعِ أَوْ تَجَلَّى عَنْهُمْ غَوَاشِيهَا^(٣)
جُوعُ الْخَلِيفَةِ - وَالْدُّنْيَا بِقَبْضَتِهِ - * فِي الزُّهْدِ مَنَزَلَةٌ مُبْعَانٌ مُوَلِّهَا
فَمَنْ يُبَارِي (أَبَا حَفِصٍ) وَسِيرَتَهُ * أَوْ مَنْ يُحَاوِلُ (لِلْقَارُوقِ) تَشْبِيهَا
يَوْمَ اشْتَهَتْ زَوْجَهُ الْحُلُوقِ فَقَالَ لَهَا : * مِنْ أَيْنَ لِي ثَمَنُ الْحُلُوقِ فَأَشِيرِهَا
لَا تَمْتَلِ شَهَوَاتِ النَّفْسِ جَائِعَةً * فَيَكْسِرُهُ الْخُبْرُ عَنْ حَلَاوِكَ تَجْزِيهَا^(٤)
وَهَلْ يَفِي بَيْتُ مَالِ الْمُسْلِمِينَ بِمَا * تُوَسِّى إِلَيْكَ إِذَا طَاوَعْتَ مُوَحِّهَا^(٥)
قَالَتْ : لَكَ اللَّهُ إِنِّي لَسْتُ أَرَزُّوهُ * مَالًا لِحَاجَةِ نَفْسٍ كُنْتُ أُنِيبُهَا
لَكِنْ أُجَنِّبُ شَيْئًا مِنْ وَظِيفَتِنَا * فِي كُلِّ يَوْمٍ عَلَى حَالِ أَسْوِيهَا^(٦)

(١) المآق : جمع ماق وموق ، وهو طرف العين مما يلي الأنف ، وهو يجري الدم .

(٢) يشير الشاعر بهذه الأبيات الآتية الى حادثتين من تقشف عمر : الأولى ، ما يحكى عنه من أنه كان اذا نزلت بالقوم مجاعة لا يأكل داخل بيته ، ويأخذ طعامه ويشترك مع القوم الى أن تنتهى المجاعة ، حتى يعلوا أن الخليفة لا يأكل من غير ما يأكلون . والثانية ، ما حكى عنه من أن امرأته اشتت الحلواء ، فادخرت لذلك من نفقة بيتها حتى جمعت ما يكفي لصنعها ، فلما نى هذا الى عمر رد ما ادخرت الى بيت المال وقصص من نفقتها بقدر ما ادخرت . (٣) «أو تجل» الخ ، أى حتى تكشف عنهم غواشيها ، أى ما يفساهم ويشملهم من الشدة والقط ، الواحدة غاشية . (٤) تجزيها ، أى تنفى عنها .

(٥) لست أرزؤه مالا ، أى لست أصيب من بيت المال شيئا .

(٦) وظيفتنا ، أى ما يجري علينا من بيت المال .

(١)
 حَتَّى إِذَا مَا مَلَكْنَا مَا يُكَافِئُهَا * شَرَيْتُهَا ثُمَّ لِي لَا أَفْنِيهَا
 (٢)
 قَالَ : اذْهَبِي وَأَعْلَمِي إِنْ كُنْتَ جَاهِلَةً * أَنَّ الْقَنَاعَةَ تُغْنِي نَفْسَ كَاسِيهَا
 وَأَقْبَلْتُ بَعْدَ تَحْمِيْسٍ وَهِيَ حَامِلَةٌ * دُرِّيَمَاتٍ لِيَقْضَى مِنْ تَشْمِيهَا
 فَقَالَ : نَهَيْتُ مِنِّي غَافِلًا فَدَعَى * هَذِي الدَّرَاهِمَ إِذْ لَا حَقَّ لِي فِيهَا
 (٣)
 وَيَلِي عَلَى عُمَرٍ يَرْضَى بِمُوفِيَةٍ * عَلَى الْكَفَافِ وَيَنْهَى مُسْتَرِيدِيهَا
 مَا زَادَ عَنْ قُوْتَا فَالْمُسَائِمُونَ بِهِ * أَوَّلَ فَقْوِي لِيَبْتَ الْمَالِ رُدِّيَهَا
 كَذَلِكَ أَخْلَاقُهُ كَانَتْ وَمَا عُدَّتْ * بَعْدَ النُّبُوَّةِ أَخْلَاقُ مُخَافِيهَا

(مِثَالٌ مِنْ هَيْبَتِهِ)

فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ هَيْبَتُهُ * تَلْبِي الْخُطُوبَ فَلَا تَعْدُو عَوَادِيهَا
 فِي طَمَ شِدَّتِهِ أَسْرَارُ مَرَحَمَةٍ * لِلْعَالَمِينَ وَلَكِنْ لَيْسَ يُشْفِيهَا
 (٤)
 وَبَيْنَ جَنْبَيْهِ فِي أَوْقَى صَرَامِيهِ * فُسُودُ وَالِدَةٍ تَرَعَى ذُرَارِيهَا
 (٥)
 أَعْنَتْ عَنِ الصَّارِمِ الْمَصْقُولِ دِرْهُمَهُ * فَكَمْ أَخَافَتْ غَوَى النَّفْسِ طَائِفِيهَا
 (٦)
 كَانَتْ لَهُ كَعَصَا (مُوسَى) لِصَاحِبِهَا * لَا يَنْزِلُ الْبُطْلُ مُجْتَازًا بِوَادِيهَا

- (١) لا أفنيها ، أى لا أعود إلى طلب ذلك مرة ثانية ، (٢) كاسيها ، أى المجمل بها -
 (٣) بموفية على الكفاف ، أى بما يزيد على الحاجة من الرزق . (٤) أوفى صرامته ، أى
 فى أقصى شدته . (٥) الصارم المصقول : السيف المجلج . والدرّة : العصابة يضرب بها ، ودرّة
 عمر معروفه . والنوى : الضال . (٦) البطل (بالضم) : الباطل . ويريد بالشطر الثانى أنه
 لا يضرب بها إلا فى حق .

- (١) أَخَافُ حَتَّى الدَّرَارِي فِي مَلَاعِيهَا * وَرَاعَ حَتَّى الْفَوَانِي فِي مَلَائِيهَا
(٢) أَرَيْتَ تِلْكَ أَلَى اللَّهِ قَدْ نَذَرْتُ * أَنْشُودَةَ رَسُولِ اللَّهِ تُهْدِيهَا
قَالَتْ: نَذَرْتُ لئن عادَ النَّبِيُّ لَنَا * مِنْ غَزْوَةٍ لَعَلِّي دُفُّ أَغْنِيهَا
وَيَمِثُّ حَضْرَةَ الْهَادِي وَقَدْ مَلَأَتْ * أَنْوَارُ طَلْعَتِهِ أَرْجَاءَ نَادِيهَا
(٣) وَأَسْتَذِنْتُ وَمَشْتُ بِالْذِّفِّ وَانْدَفَعْتُ * تُشْجِي بِالْحَالِيهَا مَا شَاءَ مُشْجِيهَا
(والمصطفى) (وَأَبُو بَكْرٍ) بِجَانِبِهِ * لَا يُنْكَرَانِ عَلَيْهَا مِنْ أَغْنِيهَا
(٤) حَتَّى إِذَا لَاحَ مِنْ بُعْدِهَا (عُمَرُ) * خَارَتْ قُؤَاهَا وَكَادَ الْخَوْفُ يُرِيدِيهَا
(٥) وَخَبَّاتُ دُفُّهَا فِي قُؤِيهَا فَرَقًا * مِنْهُ وَودَّتْ لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ تَطْوِيهَا
(٦) قَدْ كَانَ حِلْمُ رَسُولِ اللَّهِ يُؤَسِّسُهَا * بِغَاءَ بَطْشُ (أَبِي حَفْصٍ) يُخَشِّسُهَا
فَقَالَ مَهِيْطٌ وَحَى اللَّهِ مُبْتَسِمًا * وَفِي ابْتِسَامَتِهِ مَعْنَى يُؤَاسِيهَا
قَدْ فَرَّ شَيْطَانُهَا ، لَمَّا رَأَى عُمرًا * إِنَّ الشَّيَاطِينَ تَخْشَى بَاسَ مُخْزِيهَا

(١) الفوانى : النساء غنين بحسنهن وبجمالهن عن الزينة ، الواحدة غانية .

(٢) أَرَيْتَ ، أَى أَرَأَيْتَ : ويشير الشاعر بهذا البيت وما بعده الى ما يروى من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سافر سفرا ، فنذرت جارية من قريش لئن رده الله تعالى أن تضرب بالذف ، وتغنى بين يديه ؛ فلما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت الجارية لتغنى بتذرها ، وضربت على الذف وكان أبو بكر إلى جانب الرسول لا ينكران عليها ذلك ، فلما طلع عليها عمر أسقط في يدها واضطربت ففرح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال متبسما : « لقد فر شيطانها » حين رأى عمر .

(٣) تشجى : تطرب . (٤) خارت قواها : ضعفت . وأرداد : أهلكه .

(٥) الفرق : الخوف . (٦) يخشها : يخوئها .

(١)
(مثالٌ من رجوعه الى الحق)

(٢) وَفَيْتِ وَلَسُوا بِالرَّاحِ فَاَنْتَبَّأُوا * لَمْ مَكَانًا وَجَدُوا فِي تَعَاطِيهَا
(٣) ظَهَرَتْ حَائِطُهُمْ لَمَّا عَلِمَتْ بِهِمْ * وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرُ الْأَرْجَاءِ سَاجِيهَا
(٤) حَتَّى تَبَيَّنَتْهُمْ وَانْتَرَقَدَ أَخَذَتْ * تَسْلُو ذُؤَابَةَ سَاقِيهَا وَحَاسِيهَا
(٥) سَفَهَتْ أَرَامَهُمْ فِيهَا فَا لَبِثُوا * أَنْ أَوْسَعُوكَ عَلَى مَا جِئْتَ تَسْفِيهَا
(٦) وَرُمْتَ تَفْقِيهِمَهُمْ فِي دِينِهِمْ فَإِذَا * بِالشَّرْبِ قَدْ بَرَّعُوا (الْفَارُوقُ) تَفْقِيهَا
قَالُوا : مَكَانَكَ قَدْ جِئْنَا بِوَاحِدَةٍ * وَجِئْنَا بِثَلَاثٍ لَا تُبَالِيهَا
(٧) فَأُتِ الْبُيُوتُ مِنَ الْأَبْوَابِ (يَا عُمَرُ) * فَقَدْ يُزْنُ مِنَ الْحَيْطَانِ آتِيهَا
(٨) وَأَسْتَأْذِنُ النَّاسَ أَنْ تَقْشَى بُيُوتَهُمْ * وَلَا تُلِمَ بِدَارٍ أَوْ تُحْيِيهَا

(١) يشير بهذا البيت وما بعده إلى ما روى من أن عمر تسود الحائط على جماعة يشربون الخمر يريد أن يباغتهم ، فأذكروا عليه أمورا ثلاثة أتاها ، وهي دخوله عليهم من غير الباب ، وعدم استئذانه ، ومحسسه عليهم ، وكل هذه نهي منها الله ، فالتقى عنهم بعد أن لزمته جنتهم . (٢) الراح : الخمر . (٣) ظهر الحائط : علاه . واعتكر الليل : اختلط ظلامه . والليل الساجي : الساكن الرأكد الظلمة . (٤) يريد بالذؤابة أعلى الرأس . والذؤابة في الأصل : الضفيرة من الشعر . وحاسيا : شاربها . (٥) فيها ، أى فى الخمر . (٦) الشرب : الشاربون . وبرعوا : فاقوا . (٧) نون « عمر » هنا لضرورة الوزن . وفي كتب النحو أن المنادى المنى على الضم إذا اضطر الشاعر الى تنوينه فله فيه وجهان : الضم والنصب ؛ فن الأول :
* سلام الله يا ماطر عليها *

ومن الثاني :

* يا عديا لقد وقتك الأوراق .

(٨) أى لا تدخل الدار حتى تستأذن وتسلم على أهلها .

وَلَا تَجَسَّسْ فَهَذِي الْإِيُّ قَدْ تَزَلَّتْ * بِالنَّهْيِ عَنْهُ فَلَمْ تَذْكُرْ نَوَاهِيهَا
فَعُدَّتْ عَنْهُمْ وَقَدْ أَكْبَرَتْ حُجَّتُهُمْ * لَمَّا رَأَيْتَ كِتَابَ اللَّهِ يُبْلِيهَا
(١)

وَمَا أَنْفَتَ وَإِنْ كَانُوا عَلَى حَرَجٍ * مِنْ أَنْ يُحْجِكَ بِالْآيَاتِ حَاصِيهَا
(٢)

(عَمْرُ وَشَجَرَةُ الرُّضْوَانِ)
(٣)
وَسِرْحَةٍ فِي سَمَاءِ السَّرْحِ قَدْ رَفَعَتْ * بِلَيْعَةِ الْمُصْطَفَى مِنْ رَأْسِهَا بَيْهَا
(٤)
أَزَلَّتْهَا حِينَ غَالُوا فِي الطَّوَافِ بِهَا * وَكَانَ تَطَوُّافُهُمْ لِلَّذِينَ تَشْوِيهَا

(الخاتمة)

هَذِي مَنَاقِبُهُ فِي عَهْدِ دَوْلَتِهِ * لِلشَّاهِدِينَ وَالْأَعْقَابِ أَحْكِيهَا
(٥)
فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ نَائِلَةٌ * مِنَ الطَّبَائِعِ تَقْدُو نَفْسَ وَاعِيهَا
(٦)
لَعَلَّ فِي أُمَّةِ الْإِسْلَامِ نَائِلَةٌ * تَجْلُو لِحَاضِرِهَا مِرْآةَ مَا ضِيهَا
حَتَّى تَرَى بَعْضَ مَا شَادَتْ أَوَائِلُهَا * مِنَ الصُّرُوحِ وَمَا طَانَهُ بَانِيهَا
(٧)
وَحَسْبُهَا أَنْ تَرَى مَا كَانَ مِنْ (عُمَيْرٍ) * حَتَّى يُنْبِئَهُ مِنْهَا عَيْنَ غَافِيهَا

(١) الحرج : الإثم . وجهه يحجه : فله بالحجة . (٢) شجرة الرضوان : هي الشجرة التي يبيع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه تحتها يوم الحديبية ، وقد رأى عمر أن الناس يصلون عندها ويطوفون بها ، تخاف أن ينصرف تكريهم لها إلى معنى من معاني الوثنية ، فأمر بقطعها ، فقطعت ؛ وإلى هذا يشير الشاعر بالآيات الآتية . (٣) السرحة : الشجرة الطويلة ؛ أو هي من الشجر مالا شوك فيه . يقول : إن هذه الشجرة قد قامت بها واقفارا على مثيلاتها من أعلى الأشجار بهذه البنية . (٤) غالوا : بالغوا وأكثروا . (٥) نائلة ، أي حجة شريفة من سجايا النبل . (٦) النابتة : الناشئون . (٧) الغافي : النائم .

تحية محمد عسران عبد الكريم

أشدها في الحفل الذي أقيم لتكريمه في فندق شبرد في ٧ يولييه سنة ١٩١٩ م حين استقال من الحكومة

أول مرة، وهي على لسان تجار الغلال

لقد عاشرتنا فليئت فينا * مثالا للزاهية والكمال
بحلم كان محمود المزايا * وعندي كان تمؤد الظلال
فإن كنت اعتركت إباء ضميم * فثلك بالوظائف لا يبالي
فحبأت القلوب تسوق شكرًا * إليك بقدر حبات الغلال^(١)

تحية أحمد شوقي بك

وكان حافظ قد أعدّها ليستقبله بها عند قدومه الى مصر من منفاه بالأندلس، ولكنه عجل بنشرها

قبل قدومه مخافة أن يلحقه القدر المحتوم، كما قال في رسالته الى الأهرام

[نشرت في ١٤ أغسطس سنة ١٩١٩ م]

ورد الكانة عبقري زمانه * فتتظري يا مضر سحر بيانه^(٢)
وأنتي الحسان فهتثوا ملك النهى * بقيام دولته وعود حسانه^(٣)
النيل قد ألقى إليه بسمعه * والماء أمسك فيه عن جريانه^(٤)
والزهر مضجع والتمائل خضع * والطير مستمع على أفنانه

(١) حبات القلوب : سويداواتها . (٢) تنظري : انتظري .

(٣) الحسان من الرجال (بضم الحاء) والحسن (بالتحريك) : كلاهما بمعنى واحد

(٤) التماثل : المواضع تكثر فيها الأشجار الواحدة نميلة .

- (١) وَالْقَطْرُ فِي شَوْقٍ لِأَنْدَلُسِيَّةٍ * شَوْقِيَّةٌ تَسْفِيهِ مِنْ أَشْجَانِهِ
(٢) بُصْنِي لِأَحْمَدَ إِنْ شَدَا مُتَرَمِّمًا * إِصْفَاءَ أُمِّهِ أَحْمَدٍ لِأَذَانِهِ
(٣) فَأَصْدَحَ وَغَنَ النَّيْلَ وَأَهْرُزُ عِطْفَهُ * يَكْفِيهِ مَا عَانَاهُ مِنْ أَحْزَانِهِ
(٤) وَأَذْكُرْ لَنَا الْحُمْرَاءَ كَيْفَ رَأَيْتَهَا * وَالْقَصْرَ مَاذَا كَانَ مِنْ بُنْيَانِهِ
(٥) مَاذَا تَحْطِمُ مِنْ ذُرَاهُ وَمَا الَّذِي * أَبَقَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ أَرْكَانِهِ
(٦) وَاهَاً عَلَيْهِ وَأَهْلِهِ وَبُنْيَانِهِ * أَيَّامَ كَانَ النَّجْمُ مِنْ مُكَانِهِ
(٧) إِذْ مُلِكُ أَنْدَلُسٍ عَرِيضٌ جَاهُهُ * وَشَبَابُهُ الْمُبَكِّيُّ فِي رَيْعَانِهِ
(٨) الْفَتْحُ وَالْعُمُرَانُ آيَةُ عَهْدِهِ * وَكَتَائِبُ الْأَقْدَارِ مِنْ أَعْوَانِهِ
(٩) لَيْسَتْ بِهِ الدُّنْيَا لِيَأْسَ حَضَارَةٍ * قَدْ كَانَ يَحْلُمُهُ عَلَى حَيْرَانِهِ
(١٠) زَالَتْ بَشَاشَتُهُ وَزَالَ وَأَقْفَرَتْ * مِنْ أَنْسِهِ الدُّنْيَا وَمِنْ إِنْسَانِهِ
(١١) وَطَوَى الثَّرَى سِرَّ الزَّوَالِ فَيَا تُرَى * هَلْ ضَاقَ صَدْرُ الْأَرْضِ عَنْ كِتَابِهِ

(١) أندلسية شوقية ، أى قصيدة من شعر شوقي في وصف الأندلس .

- (٢) يريد « بأحمد » الثانى رسول الله صلى الله عليه وسلم . (٣) صدح : رفع صوته بالغناء .
والعطف : الجانب . (٤) الحمراء ، هو ذلك البناء الذى لا يزال على طول عهده فى غرناطة أجمل ما يرى فى البلاد الأسبانية ، وكان قلعة تضم بين جدرانها القصر السلطاني ، وفى هذا القصر كان يعيش سلاطين بنى الأحمر . (٥) تحطم : تهدم . وذراه : أعاليه . وصروف الزمان : حوادثه وتغيراته .
(٦) ريعان كل شئ : أزه . (٧) حيرانه ، أى ممالك الغرب المجاورة للأندلس .
(٨) إنسانه ، أى أهله . (٩) مر الزوال ، أى السبب فى زوال ملك العرب عن الأندلس يستفسر الشاعر فى هذا البيت والذى بعده : هل ضاق صدر الأرض عن حفظ ذلك السرفاج به لشوقي لما وقف على أطلال الحمراء ؟

فَتَكَلَّمْتَ تِلْكَ الطُّلُولَ وَأَفْصَحْتَ * لَمَّا وَقَفْتَ مُسَائِلًا عَنْ شَانِهِ
 وَلَعَلَّ نَكَبَتَهُ هُنَاكَ تَفَرَّقُ * وَتَعَلَّدُ قَدْ كَانَ فِي تَيْجَانِهِ
 عِبْرٌ رَأَيْنَاهَا عَلَى أَيَّامِنَا * قَدْ هَوَتْ مَا نَابَهُ فِي آيِهِ
 وَحَوَادِثُ فِي الْكَوْنِ إِثْرَ حَوَادِثِ * جَاءَتْ مُشْمَرَةً لِمَدِّ كِيَانِهِ
 سُبْحَانَ جَبَارِ السَّمَوَاتِ الْعُلَا * وَمُقَلِّبِ الْأَكْوَانِ فِي أَكْوَانِهِ
 أَهْلًا بِشَمْسِ الْمَشْرِقَيْنِ وَمَرْحَبًا * بِالْأَبْلَجِ الْمَرْجُوِّ مِنْ إِخْوَانِهِ
 أَشْكُو إِلَيْكَ مِنَ الزَّمَانِ وَزُمْرَةٍ * بَرَحَتْ فُؤَادَ الشَّعْرِ فِي أَغْيَانِهِ
 كَمْ خَارِجٍ عَنْ أَفْقِهِ حَصَبَ الْوَرَى * بِقَرِيضِهِ وَالْعُجْبِ مِلءُ جَنَانِهِ
 يَتَحَدَّلُ بَيْنَ النَّاسِ مُتَبَدِّلُ الْخَطَا * رِيحُ الْغُرُورِ تَهْبُ مِنْ أَرْدَانِهِ
 كَمْ صَبَّحَ مَسْمَعُنَا بِمُخَنَّدِلِ لَفْظِهِ * وَأَطَالَ مَحْتَنَّا بِطُولِ لِسَانِهِ
 مَا زَالَ يُعَلِّقُ بَيْنَنَا عَنْ نَفْسِهِ * حَتَّى اسْتَغَاثَ الثَّمَمُ مِنْ إِعْلَانِهِ
 نَصَحَ الْهَدَاةُ لَهُمْ فَرَادَ غُرُورُهُمْ * وَاشْتَدَّ ذَاكَ السَّيْلُ فِي طُغْيَانِهِ
 أَوْ لَمْ تَرَ الْفُرْقَانَ وَهُوَ مُفْصَّلٌ * لَمْ يَلْفَيْتِ الْبُودِيَّ عَنْ أَوْثَانِهِ

(١) الأبلج : الطلق الوجه . (٢) أغْيَانُهُ ، أى رجال الشعر المبرزين فيه . « ويريد بالزُمره »
 ضعاف الشعراء ، وكان منهم فى رأى حافظ عبد الحليم المصرى الشاعر ، وهو المقصود بقوله بعد : « كَمْ
 خَارِجٌ » الخ وكانا قد تلاخذا قبل مقدم شوق ثم احتكما اليه حين قدم . (٣) أصل الحصب : الرى
 بلحفا ثم استعمل فى كل رى . (٤) متهد : متمهل . وأردانه ، أى أوثابه . والأردان : جمع
 ردن بضم الراء ، وهو أصل الكم . (٥) الجتدل : الصخر .

- (١) قُلْ لِلذِّى قَدْ قَامَ يَشَاوُ أَحْمَدًا * خَلَّ الْقَرِيضَ فَلَسْتَ مِنْ فُؤَادِهِ
(٢) الشَّمْرُ فِي أَوْزَانِهِ لَوْ قِسْتَهُ * لَنَظَّمْتَهُ بِالْدَّرِّ فِي مِيزَانِهِ
(٣) هَذَا أَمْرٌ قَدْ جَاءَ قَبْلَ أَوَانِهِ * إِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ جَاءَ بَعْدَ أَوَانِهِ
(٤) إِنْ قَالَ شِعْرًا أَوْ تَسَمَّ مِنْبَرًا * فَتَعَوَّذَا بِاللَّهِ مِنْ شَيْطَانِهِ
(٥) تَخَيَّدَ الْخَيَالَ لَهُ بُرَاقًا فَأَعْتَلَى * فَوْقَ السُّهَائِلِ فِي طَيْرَانِهِ
(٦) مَا كَانَ بِأَمْنٍ صَفَرَةً لَوْ لَمْ يَكُنْ * رُوحَ الْحَقِيقَةِ مُسَكَّنًا بِعَنَانِهِ
فَأَنَّى بِمَا لَمْ يَأْتِهِ مُتَقَدِّمٌ * أَوْ تَطْلُعُ الْأَنْهَارُ فِي إِيَّانِهِ
(٧) هَلْ لِلْخَيَالِ وَلِلْحَقِيقَةِ مَنَهْلٌ * لَمْ يَنْغِهِ الرُّوَادُ فِي دِيْوَانِهِ
(٨) إِنَّا لَنَلْهَوُ إِذْ نَجِدُ وَإِنَّهُ * لَيَجِدُ إِذْ يَلْهَوُ بِنَظْمِ جُحَانِهِ
(٩) أَقْلَامُهُ لَوْ شَاءَ شَكَّ قَصِيرُهَا * هَامَ الثَّرَيَّا وَالسُّهَائِلُ بِسَنَانِهِ
يُمَلِّي عَلَيْهَا عَقْلَهُ وَجَنَانَهُ * مَا لَيْسَ يُنْكِرُهُ هَوَى وَجِلْدَانِهِ

- (١) يشاوأحمداء، أى يبلغ غاية شوق . (٢) فى أوزانه، أى فى الأوزان التى ينظم منها شوق . و « بالدَّرِّ » : متعلق بقوله : « قسه » . (٣) يريد أن شوقيا قد جاء فى غير زمانه، وزمانه الجدير به إما أن يكون زمن السابقين من الفحول الأقدمين ، أو بمن سيجود بهم الزمن بعد اكتمال الفن . (٤) تسم التنى : ملاء . (٥) البراق ، هى الدابة التى يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم ركبها ليلة المعراج . والسها : كوكب خفى من بنات نض الصغرى . ويسق : يسرع . (٦) العنان : سير الحمام الذى تملك به الدابة . يقول إن الذى حوى شعره من الزلل والخلل ، وهو أنه جعل الحقيقة غرضه الذى يرى إليه فى قصائده ، ولولا ذلك لم يأمن الزلل . (٧) المنهل : المورد ينهل منه الظالمون . والرواد : الطالبون . (٨) الجمان : اللؤلؤ . (٩) الهام : الرسوم الواحدة هامة .

- (١) بَسَلٌ عَلَى شُعْرَانَا أَنْ يَنْطَقُوا * قَبْلَ الْمُثُولِ لَدَيْهِ وَأَسْتَنْذَانِهِ
(٢) عَافَ الْقَدِيمَ وَقَدْ كَسَتْهُ يَدُ الْبَلَى * خَلَقَ الْأَدِيمَ فَهَانَ فِي خُلُقَانِهِ
(٣) وَأَبَى الْجَدِيدَ وَقَدْ تَأَقَّى أَهْلُهُ * فِي الرَّقْشِ حَتَّى غَرَّ فِي أُلْوَانِهِ
(٤) بِقَدِيدِهِ بَعَثَ الْقَدِيمَ مِنَ الْبَلَى * وَأَعَادَ سُودَدَهُ إِلَى إِيَابِنِهِ
(٥) وَرَمَى جَدِيدَهُمْ فَعَرَّ بِنَاؤُهُ * بِرُوءٍ زُخْرُفِهِ وَبَرَقِ دِهَانِهِ
(٦) شُعْرَاءُ نَفَّحَ الطَّيِّبَ أَنْشَرَ ذِكْرَهُمْ * فِي أَرْضِ أَنْدَلُسٍ أَدِيبُ زَمَانِهِ
(٧) وَدَّ (ابْنَ هَانِيَّ) (وَابْنَ عَمَارٍ) بِهَا * لَوْ يَظْفَرَانِ مَعًا بَلَثِمَ بَنَانِهِ
(٨) وَلَوْ أَسْتَطَاعَا فَوْقَ ذَاكَ لَأَقْبَلَا * رَغَمَ الْبَلَى وَالْقَبْرِ يَسْتَبْقَانِهِ
(٩) يَا كَرَمَةَ (الْمَطْرِيَّةِ) أَبْتَهِجِي بِهِ * وَاسْتَقْبِلِي الظُّلْمَانَ مِنْ أَخْدَانِهِ
مُدَى الظَّلَالِ عَلَى الْوُفُودِ وَجَدِّدِي * عَهْدًا طَوَاهُ الدَّهْرِ فِي بُسْتَانِهِ

(١) بسل : حرام . (٢) عاف القديم : تجنب القديم من أغراض الشعر ومعانيه التي وثت وبليت . (٣) الرقش : النقش والتزيين . (٤) السؤدد : السيادة والرفعة . وإبان الشيء : زمانه . (٥) الرواء : حسن المنظر . (٦) نفح الطيب ، هو تخاب نفح الطيب تأليف أبي العباس أحمد بن محمد بن يحيى المقرئ المغربي ، نزيل فاس ، ثم مصر ، المتوفى في شهر جمادى الآخرة سنة ١٠٤١ هـ . وصف في هذا الكتاب جزيرة الأندلس ووجالها من الكتاب والشعراء وغيرهم . ومعنى البيت أن شوفيا قد أحيا بحسن شعره ذكر الشعراء الذين ورد ذكرهم في هذا الكتاب . (٧) بها ، أى بالأندلس ، وابن هاني هو أبو القاسم محمد بن هاني الأسدي الأندلسي الشاعر المعروف . ومنع «هانا» من الصرف لضرورة الوزن . وابن عمار ، هو الوزير أبو بكر محمد بن عمار الأندلسي الشاعر المشهور ، وقد مات بأشبيلية سنة سبع وسبعين وأربعائة ، وكانت ولادته سنة اثنين وعشرين وأربعائة . (٨) يستبقانه ، أى يمشیان أمامه بحجة واحتراما . (٩) المطرية : ضاحية من ضواحي القاهرة معروفة ، وفيها كان بيت المرحوم شوقي بك المعروف بكلمة ابن هاني .

- (١) كَمْ مَجْلِسٍ لِلَّهِ فِيهِ شَهِدَتْهُ * فَسَكِرْتُ مِنْ دِيْوَانِهِ وَدِنَانِهِ
(٢) غَنَى مُغْنِيهِ فَهَاجَ غِنَاؤُهُ * شَجَّوَ الْحَمَامَ عَلَى ذَوَائِبِ بَانِهِ
(٣) فَتَرَنَحَتْ أَشْجَارُهُ وَتَمَايَلَتْ * أَعْوَادُهَا طَرَبًا عَلَى عِيدَانِهِ
(٤) فَكَأَنَّ مَجْلِسَنَا هُنَاكَ قَصِيدَةً * مِنْ نَظْمِهِ طَلَعَتْ عَلَى عِيدَانِهِ
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَدْ رَدَّهُ * مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِهِ إِلَى أَوْطَانِهِ
فَتَنْظَرُوا آيَاتِهِ وَتَسْمَعُوا * قَدْ قَامَ بِبُلْبُلِكُمْ عَلَى أَغْصَانِهِ

في حفل عكاظ

أنشد هذه القصيدة في حفل من الأدباء والشعراء برئاسة أحمد شوقي بك بدار التمثيل المصري لتحية جريدة عكاظ يوم ٣ ديسمبر سنة ١٩٢٠ ، وقد سمي صاحب الجريدة هذا الحفل « سوق عكاظ » .
وهي تتضمن مدحا لشوقي بك رئيس الحفل ونعيا على المصريين امتنانهم بلثت ملوكهم الأقدمين

- أَتَيْتُ سُوقَ عُكَاظٍ * أَسَى بِأَمْرِ الرُّبُوسِ
(٥) أَزِيحُ إِلَيْهِ قَوَافٍ * مُنَكَّسَاتِ الرُّؤُوسِ
(٦) لَيْسَتْ بِذَاتِ رُؤَا * تُزْهِى بِهِ فِي الطُّرُوسِ
وَلَا بِذَاتِ جَمَالٍ * يَسْرِى بِهَا فِي الثُّغُوسِ

(١) الدنان : جمع دن (بالفتح) ، وهو إناء كبير للخمر . (٢) شجرو الحمام : بكازه . والبان : شجر يسط القوام لين ، ورقه كورق الصفصاف ، الواحدة بانه . وذوائبه : أعاليه . (٣) يريده عيدان الغناء . (٤) الضمير في "نظمه" لشوقي . وعيدانه (بضم العين وكسرهما) ، أى عيدته من بقية الشعراء . (٥) أزحى : أسوق . (٦) الرؤاء : حسن المنظر . والطروس : الصحف يكتب فيها ، الواحد طرس .

(١)
 لَمْ يَجِبْهَا فَضْلُ شَوْقٍ * بَقِيَّةً مِنْ نَسِيسٍ
 فَهَنْ قَفَرُ خَوَالٍ * مِنْ كُلِّ مَعْنَى نَفِيسٍ
 وَهَنْ جُهْدُ مِقْلٍ * حَلِيفَ هَمْ وَبُوسٍ
 قَالَ الرَّئِيسُ وَمَنْ ذَا * يَقُولُ بَعْدَ الرَّئِيسِ
 (٢)
 مَسَى الْحُضُورَ شَرَابًا * يُنْسِي شَرَابَ الْقُسُوسِ
 مَعْتَقًا قَبْلَ عَادٍ * فِي مُظْلِمَاتِ الْحُبُوسِ
 (٣)
 تُدَكِّي الدِّيَارَاتُ مِنْهُ * نَارًا كَنَارِ الْمَجُوسِ
 يُرِيكَ وَاللَّيْلُ دَاجٍ * تُثْمِوسُهُ فِي الْكُؤُوسِ
 بَنَاتُ أَفْكَارِ شَوْقٍ * فِي جَلْوَةِ كَالْعُرُوسِ
 (٤)
 تُزْهِى بِمَعْنَى سَرَى * أَتَى بِمَعْنَى ثُمُوسِ
 (٥)
 وَلَيْلَةٌ مِنْ «عُكَاظٍ» * صَمَّتْ حِمَاةَ الْوَطَيْسِ
 (٦)
 أَحْيَا بِهَا ذِكْرَ عَهْدٍ * آثَارُهُ فِي الطُّرُوسِ
 عَهْدُ سَمَا الشَّعْرِ فِيهِ * إِلَى جَبَالِي الشُّمُوسِ

- (١) النسيس : بقية الروح . (٢) يريد «شراب القسوس» : الخمر، وذلك لما اشتهر به القساوسة والربان من ادخال الخمر وتعتيقها في الأديار . (٣) تدكي : تشعل . ونار المجوس : النار التي يعبدونها ؛ ويضرب بها المثل في قوة الاشتغال ودوامه . وقد شبه بها الخمر في الحرة حتى كأنها تلتهم . (٤) السرى : الرفيع . والشوس : النفور الصمب المثال : (٥) الوطيس : الحرب . ويريد «بحماة الوطيس» : حملة الأعلام . (٦) يريد عهد سوق عكاظ الأول في الجاهلية ، أيام كان يحضرها لحول الشمراء يتناشدون الأشعار .

(١) وَوَرْدُهُ كَانَ أَصْقَى * مِنْ مَوْرِدِ الْقَامُوسِ
 يَخْتُمُنَا بِحَدِيثٍ * أَسُوفُهُ لِلْجُلُوسِ
 قَدْ زُرْتُ مُتَحَفٍ مِصْرٍ * فِي ظَهْرِ يَوْمِ الْخَمِيسِ
 (٢) فِي زُمرَةٍ مِنْ رِفاقٍ * غُرَّ الشَّمائلِ شُوسِ
 (٣) فَضِضْتُ ذَرْعًا بِأَمِيرٍ * عَلَى النَّفُوسِ بِئِيسِ
 (٤) وَكَذْتُ أَصْرَعَ غَمًّا * لَحْظَهَا الْمَعْكُوسِ
 (٥) وَصَرَعَةُ الْقَمِّ أَدهَى * مِنْ صَرَعَةِ الْخَنْدَرِيسِ
 (٦) رَأَيْتُ جُثَّةَ (خُوفُو) * بِقُرْبِ (سِيزُوسْتَرِيسِ)
 فُكَلْتُ يَا قَوْمُ هَذَا * صُنْعَ الْعُقُوقِ الْخَلِيسِ
 (٧) أَجْسَادُ أَمْلَاحٍ مِصْرٍ * وَشَائِدِي مَنَافِيسِ
 (٨) مِنْ بَعْدِ تَحْسِينِ قَرَأًا * لَمْ تَسْتَرِحْ فِي الرُّمُوسِ
 أَرَى قَوَاعِيْنَ مِصْرٍ * فِي ذِلَّةٍ وَنُحُوسِ
 مَعْرُوضَةٌ لِلْبَرَايَا * أَجْسَادُهُمْ بِالْفُلُوسِ

- (١) القاموس : البحر أويلته . (٢) شوس ، أى من طلبة القوم وعظماهم ، الواحد أشوس وهو فى الأصل : الذى ينظر ويتر المين تكبرا وتها . (٣) بئيس : شديد .
 (٤) حظها ، أى حظ مصر . (٥) الخندريس : النمر المعلقة . (٦) خوفوسيزوستريس : ملكان معروفان من ملوك مصر الأقدمين . (٧) منغيس : مدينة مصرية قديمة كان لها شأن كبير معروف فى تاريخ مصر القديم ؛ وموضعها الآن البدرشين وبنت رهيبة . (٨) الرموس : القبور ، الواحد رمس .

- (١)
عَنَّم نَبَشْنَا زَمَانًا * فِي مُظْلِمَاتِ الدُّرُوسِ
فَدَيْسَ ظُلُمًا حَامُومًا * وَكَانَ غَيْرَ مَدُوسِ
(٢)
لَهُمْ حَصْنُوم * مِنْ هَادِمَاتِ الْفُؤُوسِ
(٣)
عَلِمَا بَأَن سَوِّفُ يُمْنَى * بِيَوْمٍ شَرَّ عَبُوسِ
(٤)
لَوْ أَن أَمْثَالِ (مِينَا) * فِي الْغَرْبِ أَوْ (رَمْسِيْسِ)
بَنَوْا عَلَيْهِمْ وَخُطُوا * حَظَائِرَ التَّقْدِيسِ

مدحة للغفور له (فؤاد الأول)

أنشد لها بين يدي جلالة حين زيارته مدرسة فؤاد الأول بقصر الزعفران في ديسمبر سنة ١٩٢٢ م

- أَقْصَرَ الزَّعْفَرَانِ لَأَنَّتَ قَصْرٌ * خَلِيقٌ أَنْ يَتِيَهَ عَلَى النُّجُومِ
(٧)
كَلَّا عَهْدِيكَ لِلْأَجْيَالِ نَفَرٌ * وَزَهْوُ اللَّحْدِيثِ وَلِلْقَدِيمِ

- (١) الدروس : الغناء واللبى . ويريد «بمظلمات الدروس» : طبقات الأرض التي دفنوا فيها .
(٢) يشير إلى ما اشتهرت به مقابر قدماء المصريين من التحصين والامتناع على من يريد اقتحامها .
(٣) الضمير في «يمنى» يعود على «حمى» المتقدم ذكره . ويمنى : يتبل ويصاب . (٤) مينا ورمسيس : ملكان معروفان من ملوك مصر الأقدمين .
(٥) ولد المنفور له الملك فؤاد الأول بقصر الجزيرة في ٢ ذى الحجة سنة ١٢٨٤ هـ وارتقى عرش المملكة المصرية في ٢٢ ذى الحجة سنة ١٣٣٥ هـ وتوفي بعد ظهر يوم الثلاثاء ٧ صفر سنة ١٣٥٥ هـ . (٦) قصر الزعفران بالعباسية ، من القصور التي بناها المنفور له إسماعيل باشا الخديوى ، وسمى قصر الزعفران لأن الأرض التي بنى فيها كان يزرع بها الزعفران قديما ، وكانت هناك ترعة يقال لها : ترعة الزعفران ، وردمت هذه الترعة قريبا . وهذا الموضع الذى بنى فيه القصر يتبع الوايلى الصغرى ، وقد استبدل به المنفور له الملك فؤاد الأول قطعة أرض في مركز طلعا ، مديرية الغربية من أملاك الحكومة .
(٧) يريد « بالهدين » : عهد هذا القصر أيام إسماعيل ، وعهده أيام كان مدرسة ثانوية .

تَوَى بِالْأَمْسِ فَيْكَ عَلًا وَمَجْدًا * وَأَنْتَ الْيَوْمَ مَشْوَى لِلْعُلُومِ ^(١)
 فَمِنْ نُبَيْلٍ ، إِلَى مَجْدِ أَثِيلٍ ، * إِلَى عِلْمٍ ، إِلَى نَفْعٍ عَمِيمٍ
 أَضْفَتَ إِلَى صُرُوجِ الْعِلْمِ صَرَحًا * بِزُورَةِ ذَلِكَ الْمَلِكِ الْحَكِيمِ
 فَيَا لَكَ مِثْلًا رَجَبًا سَرِيًّا * بَقْتِهِ أَتَامِلُ الذُّوقِ السَّلِيمِ
 وَحَاطَتْهُ بُسْتَانِ أَيْبِي * يُرِيكَ جَمَالَهُ وَجْهَ التَّعْمِيمِ ^(٢)
 (أَبَا فَارُوقَ) أَنْتَ وَهَبْتَ هَذَا * لِمِصْرَ وَهَكَذَا مَنَحَ الْكَرِيمِ
 وَلَا تَعْجَبْ فَمِصْرُ عَلَى وِلَايَةٍ * وَمَالِكُهَا عَلَى خُلُقِي عَظِيمِ
 يُطَالُهَا بِرُكْلٍ يَوْمٍ * وَيَرَاهَا بِعَيْنِي أَبِ رَحِيمِ
 وَيُرْهِفُ مِنْ عَزَائِمِ آلِ مِصْرِ * إِذَا خَارَتْ لَدَى الْخَطِيبِ الْجَسِيمِ ^(٣)
 كَسَوَتْ الْأَزْهَرَ الْمُعْمُورَ ثَوْبًا * مِنَ الْإِجْلَالِ وَالْعِزِّ الْمُقِيمِ ^(٤)
 قَضَيْتَ بِهِ الصَّلَاةَ فَكَأَدَّ يُزْمِي * بِزَائِرِهِ عَلَى رُكْنِ الْحَطِيمِ ^(٥)
 رَأَى فَيْكَ (الْمُعِزُّ) زَمَانَ أَعْلَى * قَوَاعِدَهُ عَلَى ظَهْرِ الْأَدِيمِ ^(٦)
 فَهَشَّ وَهَزَّ طَرْبٌ وَشَوْقٌ * كَمَا هَشَّ الْجَمِيمُ إِلَى الْجَمِيمِ ^(٧)
 وَهَلَّلَ كُلُّ مَنْ فِيهِ وَدَّوَتْ * بِهِ أَصْوَاتُ شَعْبِكَ كَالْمُزِيمِ ^(٨)

- (١) تَوَى : أقام . والمثوى : المكان يقام فيه . (٢) الأثيق : الذى يعجبك بحسه .
 (٣) أرهف السيف والسكين ونحوهما : شحذه وحدده . وخارت : ضفت . (٤) الخطيب :
 جهر الكعبة (بكسر الحاء وسكون الجيم) . (٥) يريد المعز لدين الله الفاطمى ، الذى اختطت
 فى أيامه القاهرة ، وبني الأزهر . وظهر الأديم : وجه الأرض . (٦) الجميم : الصديق .
 (٧) دَوَّى : علا صوته فسمع . والمزيم : صوت الرعد .

(١) كَذَا فَلْيَحْمِلِ التَّاجِينَ مَلِكٌ * يُعِزُّ شُعَايِرَ الدِّينِ الْقَوِيمِ
وَيَحْتَشِي رَبَّهُ وَيُطْبِيعُ مَوْلَى * هَدَاهُ إِلَى الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ
أَيَّاذَنْ لِي الْمَلِكُ الْبَرَّاءِي * أَهْنَى مَضَرَ بِالْأَمْرِ الْكَرِيمِ
فِيَا مَضَرَ أَجْعِدِي لِلَّهِ شُكْرًا * وَتِيهِي وَأَقْعِدِي طَرَبًا وَقُومِي
(٢) فَقَدْ تَمَّ الْبِنَاءُ وَعَنْ قَرِيبٍ * تُرْفُفُ لَكَ الْبَشَائِرُ مِنْ «نَسِيمِ»
فِدَارُ (الْبَرْلَانِ) أَعَزُّ دَارٍ * تُشَادُّ لَطَالِبِ التَّجْدِ الْعَمِيمِ
بِهَا يَتَجَمَّلُ الْعَرْشُ الْمُقَدَّسِي * وَتَحْيَا مِضْرُفِي مَيْشِ رَخِيمِ
(٣) فَشَرَّفَهَا رَبَّكَ وَأَخْتَمَهَا * وَأَسْعَدَهَا بِسُتُورِ تَمِيمِ
(٤) بَابِي (مُحَمَّدٍ) وَبَابِي (عِيسَى) * فَعَوَّذُهُ وَآيَاتِ (الْكَلِيمِ)
(أَبَا فَاوُوقَ) خُذْ بِيَدِ الْأَمَانِي * وَحَقِّقْهَا عَلَى رَغَمِ الْخَصِيمِ
(٥) أَقْفْنَا بَعْدَ نَوْمٍ فَوْقَ نَوْمٍ * عَلَى نَوْمٍ كَأَصْحَابِ الرِّقِيمِ
(٦) وَأَصْبَحْنَا بِمَيْنِكَ فِي نُهُوضٍ * يُكَافِي نُهْضَةَ النَّبْتِ الْجَنِيمِ
فُطْنَا بِالرَّعَايَةِ كُلَّ يَوْمٍ * تُحْفُفُكَ بِالْوَلَاءِ الْمُسْتَعِيمِ

- (١) يريد « بالتاجين » تاج الملك ، وتاج الدين . (٢) يريد بالبناء : دار البرلمان .
ويريد « بنسيم » : محمد توفيق نسيم باشا ، وكان رئيسا للوزارة إذ ذاك . (٣) التيم : التام .
(٤) الضمير في « عوذه » للدستور . والكليم : موسى عليه السلام . (٥) يريد
« بأصحاب الرقيم » أهل الكهف ؛ ويضرب المثل بطول نومهم . قال تعالى : (وليثوا في كهفهم
ثلاث مائة سنين وازدادوا تسما) الآية . والرقيم : لوح كتبت فيه أسماءهم ، أو هو كهفهم الذي
بلاوا إليه . (٦) المين : البركة . ويكافئ : يماثل . والجيم من النبات : الناهض المنتشر .

تهنئة المغفور له سعد زغلول باشا بالنجاة^(١)

قالها على أثر الاعتداء عليه بإطلاق النار في محطة القاهرة إذ كان مسافرا إلى الاسكندرية^(٢)

[نشرت في ١٢ يولية سنة ١٩٢٤ م]

أَحْمَدُ اللَّهِ إِذْ سَلِمْتَ لِمَصْرِ * قَدْ رَمَاهَا فِي قَلْبِهَا مَنْ رَمَاكَ
أَحْمَدُ اللَّهِ إِذْ سَلِمْتَ لِمَصْرِ * لَيْسَ فِيهَا لَيَوْمٍ جَدِّ سِوَاكَ
أَحْمَدُ اللَّهِ إِذْ سَلِمْتَ لِمَصْرِ * وَوَقَاهَا بِطُفْهِ مَنْ وَقَاكَ
قَدْ شَغَلْنَا يَا (سَعْدُ) عَنْ كُلِّ شَيْءٍ * وَشَغَلْنَا بِأَنْ يَتِمَّ شِفَاكَ
فِي سَبِيلِ الْجِهَادِ وَالْوَطَنِ الْحَقِّ * جُوبِ مَا سَأَلَ أَحْمَرًا مِنْ دِمَاكَ
قُلْ لِدَاكِ الْإِيْمِ وَالْفَاتِكِ الْمَفْدِ * نَتُونِ: لَا كُنْتَ، كَيْفَ تَرِي السَّمَاءَ؟^(٣)
أَتَمَا قَدْ رَمَيْتَ فِي شَخِصٍ (سَعْدِ) * أَمَّةٌ حُرَّةٌ فَشَلَّتْ يَدَاكَ

- (١) ولد المغفور له سعد زغلول باشا بباينا من أعمال مركز قزة سنة ١٨٦٠ م وبعد أن قضى في الأزهر حيناً من الزمن تولى بعض أعمال التحرير في الوقائع المصرية ، وكتب فيها بعض المقالات في الاستبداد والشورى والأخلاق ، ثم التحق ببعض الأعمال الإدارية في الحكومة ، وفصل لانتهاه بالاشتراك في الثورة العربية ، فاشتغل بالحاماة إلى أن أختير للقضاء بحكمة الاستئناف الأهلية سنة ١٨٩٢ م وهو أول محام ولى مناصب القضاء في مصر ، ثم ولى منصب وزارة المعارف ، وهو أول من تقرر دراسة العلوم الرياضية باللغة العربية ، ثم تولى وزارة الحفانية ، ثم كان عضواً بالجمعية التشريعية ، وتولى زعامة النهضة الوطنية ورأسه الوفد المصري ، وظل زعيماً لتلك النهضة من سنة ١٩١٩ م إلى أن توفى في أغسطس سنة ١٩٢٧ م رحمه الله .
- (٢) في يوم ١٢ يولية سنة ١٩٢٤ م بينا كان سعد زغلول باشا والوزراء في محطة القاهرة يريدون السفر إلى الاسكندرية لتهنئة جلالة الملك بعيد الأضفى (سنة ١٣٤٢ هـ) (١٩٢٤ م) ، ومن ثم يسافرون إلى المنجرا للقواضات ، تقدم من سعد باشا عبد الخالق عبد اللطيف الدلبشاني وأطلق عليه رصاصة مرت بالذراع اليمى فيما على الإبط ، ومست التدى الأيمن ، وكان الجرح غير شديداً ، فنفى منه بعد أيام .
- (٣) يريد بالأنيم الفاتك عبد الخالق الدلبشاني ، وهو الذى اعتدى على المغفور له سعد زغلول باشا .

وقال فيه أيضا :

أنشدها في الحفل الذي أقامه أعضاء البرلمان يوم الخميس ٢٤ يولية سنة ١٩٢٤ بكازينو سان استافانو بالاسكندرية تكريما لسعد وإبتهاجا بنجاحه من حادث الاعتداء عليه

الشَّعْبُ يَدْعُو اللَّهَ يَا زَغْلُولُ * أَنْ يَسْتَقِيلَ عَلَى يَدَيْكَ النَّيْلُ
إِنَّ الَّذِي آتَدَسَّ الْإِثْمُ لَقَتْلِهِ * قَدْ كَانَ يَجْرُسُهُ لَنَا جَبْرِيلُ
أَيَمُوتُ (سَعْدُ) قَبْلَ أَنْ نَحْيَا بِهِ ؟ * خَطْبُ عَلَى أَنْبَاءِ مِصْرَ جَلِيلُ
يَا (سَعْدُ) إِنَّكَ أَنْتَ أَعْظَمُ عُدَّةٍ * ذُخِرَتْ لَنَا تَسْطُوبُهَا وَنُصُولُ
(١)
وَلَأَنْتَ أَمْضَى نَبَلَةٍ تَزِي بِهَا * فَأَنْقُذْ وَأَقْصِدْ فَالْنَّالُ قَلِيلُ
(٢)
النَّسْرُ يَطْمَعُ أَنْ يَصِيدَ بَارِضَنَا * سَنُرِيهِ كَيْفَ يَصِيدُهُ زُغْلُولُ
(٣)
إِنَّا رَمَيْنَاهُمْ بِنَدَبِ حُورٍ * عَنْ قَصْدِ وَايِ النَّيْلِ لَيْسَ يَحُولُ
(٤)
بَاشِدْنَا بَاسًا وَأَقْدَمِنَا عَلَى * خَوْضِ الشَّدَائِدِ وَالْخُطُوبِ مَثُولُ
(٥)
بَقِيَ جَمِيعُ الْقَلْبِ غَيْرَ مُشْتَتٍ * إِنْ مَالَتْ الْأَهْرَامُ لَيْسَ يَمِيلُ
(٦)
فَاوِضْ وَلَا تَحْفِضْ جَنَاحَكَ ذَلَّةً * إِنَّ الْعَدُوَّ سِلَاحَهُ مَقْلُولُ
(٧)
فَاوِضْ وَأَنْتَ عَلَى الْمَجْرَةِ جَالِسٌ * لِقَامِكَ الْإِعْظَامُ وَالتَّبَجُّيلُ
فَاوِضْ نَخْلَفَكَ أُمَّةٌ قَدْ أَقْسَمَتْ * أَلَّا تَنَامَ فِي الْبِلَادِ دَخِيلُ

- (١) أقصد السهم : أصاب المقتل . (٢) يريد بالنسر : الانجليز ؛ واستعمله هنا لإشارة العجب من أن يصيد الزغلول (فرخ الحمام) النسر . (٣) الضمير في « رميناهم » للإنجليز . والتدب : الماخذ في الحاجة ، النافذ في قضائها . والحول : الشديداً الاحتيال . (٤) مَثُولُ ، أى ماثلات حاضرة . (٥) جميع القلب : لا يتفرق من الخوف . (٦) مَقْلُولُ : مظلوم مكسر الحد لا يصلح للضرب والطماع . (٧) يريد علق مكانته وارتفاع منزلته .

عَزَلٌ وَلَكِنْ فِي الْجِهَادِ ضَرَاغِمٌ * لَا الْجَيْشُ يُفَزِعُهَا وَلَا الْأَسْطُولُ^(١)
 أَسْطُولُنَا الْحَقُّ الصُّرَاحُ وَجَيْشُنَا أَلْ * حُجَجُ الْفِصَاحِ وَحَرْبُنَا التَّنْذِيلُ
 مَا الْحَرْبُ تُذَكِّرُهَا قَنَا وَصَوَارِمٌ * كَالْحَرْبِ تُذَكِّرُهَا نَهْيٌ وَعُقُولُ^(٢)
 خُضُّهَا هُنَاكَ بِالْيَقِينِ مُدَرَّمَا * وَاللَّهُ بِالنَّصْرِ الْمُسِينِ كَفِيلُ
 أَرْعِيهِمْ شَاكِيَ السَّلَاحِ مَدِيحٌ * وَزَعِيمُنَا فِي كَفِّهِ مِنْدِيلُ^(٣)
 وَكَذَلِكَ الْمِنْدِيلُ أَبْلَغُ ضَرْبَةٍ * مِنْ صَارِمٍ فِي حَدِّهِ التَّضْيِيلُ
 لَكَ وَقْفَةٌ فِي الشَّرِّ تَعْرِفُهَا الْعُلَا * وَيُحْنُهَا التَّكْبِيرُ وَالتَّهْلِيلُ
 زَلْزَلُهَا فِي الْغَرْبِ كُلِّ مُكَابِرٍ * لِيرَى وَيَعْلَمَ مَا حَوَاهُ الْغَيْلُ^(٤)
 لَا تَقَرِّبِ (التَّامِيزَ) وَأَحْذَرِ وَرَدَهُ * مَهْمَا بَدَا لَكَ أَنَّهُ مَعْسُولُ^(٥)
 الْكَيْدُ تَمْزُوجٌ بِأَصْفَى مَائِهِ * وَالتَّخَلُّلُ فِيهِ مُتَوَبٌ مَصْقُولُ^(٦)
 كَمْ وَارِدٍ يَا (سَعْدُ) قَبْلَكَ مَاءَهُ * قَدْ عَادَ عَنْهُ وَفِي الْفَوَادِ غَلِيلُ^(٧)
 الْقَوْمُ قَدْ مَلَكُوا عِنَانَ زَمَانِهِمْ * وَلَهُمْ رِوَايَاتٌ بِهِ وَقُصُولُ^(٨)

(١) العزل : الذين لا سلاح معهم ، الواحد أعزل . والضراغم : الأسود .

(٢) أذكى الحرب : أشعل نارها . والقنا : الرماح ، الواحدة قناة . والصوارم :

السيوف القواطع . (٣) شاكي السلاح ، أى ذو شوكة وحدة في سلاحه . والمدحج :

اللابس السلاح . (٤) الغيل : الأجمة وموضع الآساد .

(٥) معنى النهي عن قرب التاميز : التحذير من خداع أهله . (٦) التخلل : الخداع والمكر .

(٧) الغليل : شدة العطش . (٨) القوم : الإنجليز . والعنان : سير الجمال الذي

يمسك به الفرس .

(١)
 وَلَهُمْ أَحَابِيلٌ إِذَا أَلْقَوْا بِهَا * فَتَنُّوْا النَّهْيَ فَاسِيرُهُمْ تَحْوِيلُ
 فَاحْذَرُ سِيَاسَتَهُمْ وَكُنْ فِي يَقْظَةٍ * سَعْدِيَّةٍ إِنَّ السِّيَاسَةَ غَوْلُ
 إِنْ مَثَلُوا فَدَجَّ الْخَيَالُ فَإِنَّمَا * عِنْدَ الْحَقِيقَةِ يَسْقُطُ التَّمَثِيلُ
 الشُّبْرُ فِي عُرْفِ السِّيَاسَةِ فَرَسَخٌ * وَالْيَوْمُ فِي فَلَكِ السِّيَاسَةِ جِيلُ
 وَلِكُلِّ لَفْظٍ فِي الْمَعَاجِمِ عِنْدَهُمْ * مَعْنَى يُقَالُ بَأَنَّهُ مَعْقُولُ
 تَصَلَّتْ سِيَاسَتُهُمْ وَحَالَ صِبَاغُهَا * وَلِكُلِّ كَاذِبَةٍ الْخِضَابُ نُصُولُ
 جَمَعُوا عَقَائِرَ الدَّهَاءِ وَرَكَّبُوا * مَا رَكَّبُوهُ وَعِنْدَكَ التَّحْلِيلُ
 يَا (سَعْدُ) أَنْتَ زَعِيمُنَا وَوَكِيلُنَا * وَعَلَيْكَ عِنْدَ مَلِكِنَا التَّعْوِيلُ
 فَادْفَعْ وَانْضِلْ عَنْ مَطَالِبِ أُمَّةٍ * يَا (سَعْدُ) أَنْتَ أَمَامَهَا مَسْئُولُ
 النَّيْلُ مَتَّبِعُهُ لَنَا وَمَتَّصِبُهُ * مَا إِنْ لَهُ عَنْ أَرْضِهَا تَحْوِيلُ
 وَبَقِيَ بَكَ الثَّقَّةَ الَّتِي لَمْ يَنْفَرِجْ * لِلرَّيْبِ فِيهَا وَالشُّكُوكِ سَبِيلُ
 جَعَلْتَ مَكَانَكَ فِي الْقُلُوبِ نَجْمَةً * أَوْ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى الْوَلَاءِ دَلِيلُ
 كَادَتْ تُجِنُّ وَقَدْ جُرِحَتْ وَخَانَهَا * صَبْرٌ عَلَى حَمْلِ الْخَطُوبِ بِجَمِيلُ
 لَمْ يَتَّقْ فِيهَا نَاطِقٌ إِلَّا دَمًا * لَكَ رَبِّهِ وَدُعَاؤُهُ مَقْبُولُ
 يَا سَعْدُ كَادَ الْعَيْدُ يُصْبِحُ مَائِمًا * الدَّمْعُ فِيهِ أُمِّي عَلَيْكَ يَسِيلُ

(١) الأحابيل، أى المصايد .

(٢) فصلت : انكشفت وتخرجت من لونها الكاذب الى لونها الصادق . وحال : تحوّل .

(٣) العيد، أى عيد الأضحي من سنة ١٣٤٢ هـ . وقد حطت فيه الهاني بسبب الاحتذاء على سعد باشا .

لولا دِفَاعُ اللَّهِ لَأَنْطَوِيَ الْمُنَى * عِنْدَ أَنْطَوَائِكَ وَانْقَضَى التَّأْمِيلُ
 شَلَّتْ أَنَا مِلْ مَنْ رَمَى، فَلِكَفِّهِ * حَزُّ الْمُدَى وَلِكَفِّكَ التَّقْيِيلُ^(١)
 هَذَا وَسَامُكَ فَوْقَ صَدْرِكَ مَالَهُ * مِنْ بَيْنِ أَوْسَمَةِ الْفَخَارِ مِثْلُ^(٢)
 حَلِيَّتِهِ بِدَمٍ زَكَّى طَاهِرٍ * فِي حُبِّ مِصْرَ مَصُونُهُ مَبْدُؤُ^(٣)
 فِي كُلِّ عَصْرِ الْجَنَافَةِ جَرِيرَةٍ * لَيْسَتْ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ تَزْوِيلُ^(٤)
 جَارُوا عَلَيَّ (الْفَارُوقِ) أَعْدَلَ مَنْ قَضَى * فِينَا وَزَكَّى رَأْيَهُ التَّنْزِيلُ^(٥)
 وَعَلَى (عَلِيٍّ) وَهُوَ أَطْهَرُنَا فَا * وَيَدَا وَسَيْفُ نَيْنَا الْمَسْلُوكُ^(٦)
 قِفْ يَا خَطِيبَ الشُّرْقِ جَدِّدْ عَهْدَنَا * قَبْلَ الرَّجِيلِ لِقَطْعِ التَّأْوِيلِ
 فَأَوْضُ فَإِنْ أَوْجَسَتْ شَرًّا فَاغْتَرِمَ * وَاقْطَعْ خَبْلَكَ بِالْهُدَى مَوْصُولِ
 وَارْجِعْ إِلَيْنَا بِالْكَرَامَةِ كَاسِيَا * وَعَلَيْكَ مِنْ زَهْرَانِهَا إِكْلِيلُ^(٧)
 إِنَّا سَنَعْمَلُ لِلْخَلَّاصِ وَلَا تَنِي * وَاللَّهُ يَقْضِي بَيْنَنَا وَيُدِيلُ^(٨)
 كَمْ دَوْلَةٍ شَهِدَ الصَّبَاحُ جَلَالَهَا * وَأَتَى عَلَيْهَا اللَّيْلُ وَهِيَ قُلُوكُ^(٩)
 وَقُصُورِ قُرُومِ زَاهِرَاتٍ فِي الدُّجَى * طَلَعَتْ عَلَيْهَا الشَّمْسُ وَهِيَ طُلُوكُ^(١٠)

- (١) المدي : جمع مدية ، وهي السكين . (٢) يريد « بالوسام » ما أصاب صدره من الدم .
 (٣) الجريرة : الجنانية . (٤) الفاروق ، هو عمر بن الخطاب . يشير إلى قتل أبي لؤلؤة
 إمارة خيلة . وزكي : عزز . يريد ما كان يزل من الآيات تعززا ومواقفة لما كان يراه عمر .
 (٥) يشير إلى قتل عبد الرحمن بن ملجم عليا رضي الله تعالى عنه غيلة أيضا . (٦) وفي نسخة :
 قصر . ويديل : يجعل الدولة لنا عليهم . (٧) وهي قلول ، أي متفرقة مهزومة .
 (٨) الطلول : جمع طلل ، وهو الشاخص من آثار الديار .

(١)
يَا أَيُّهَا النَّشْءُ الْكَرَامُ تَحِيَّةٌ * كَالرَّوْضِ قَدْ خَطَرَتْ عَلَيْهِ قَبُولُ
يَا زَهْرَ مِصْرَ وَزَيْنَهَا وَحَمَاتَهَا * مَدَحِي لَكُمْ بَعْدَ الرَّئِيسِ فُضُولُ
(٢)
جُدْتُمْ لَهَا بِالنَّفْسِ فِي وَرْدِ الصَّبَا * وَالْوَرْدُ لَمْ يُنْظَرْ إِلَيْهِ ذُبُولُ
(٣)
كَمْ مِنْ بَيِّينٍ دُونَهَا وَمُجَاهِدٍ * دُمَهُ عَلَى عَرَصَاتِهَا مَطْلُولُ
سِيرُوا عَلَى سَنَنِ الرَّئِيسِ وَحَقَّقُوا * أَمَلِ الْإِلَادِ فَكُلُّكُمْ مَأْمُولُ
(٤)
أَتَمَّ رِجَالُ غَدٍ وَقَدْ أَوْفَى غَدٌ * فَاسْتَقْبِلُوهُ وَجَّوِلُوهُ وَطُولُوا

الى الأستاذ أحمد لطفى السيد بك (باشا)

وجهها اليه حين ترجم كتاب الأخلاق لأرسطو سنة ١٩٢٤ م

يَا كَايِمِي الْأَخْلَاقِ فِي * بَلَدٍ عَنِ الْأَخْلَاقِ عَارِي
(٥)
لَمْ يَبْقَ فِينَا مَنْ يُجَا * دِلٌ فِي مَقَامِكَ أَوْيُمَارِي
(٦)
بِالْأَمْسِ قَدْ عَلَّمْتَنَا * أَدَبَ الْيَكَابَةِ وَالْخَوَارِ
(٧)
وَالْيَوْمَ قَدْ أَلْطَفْتَنَا * بِالطَّيِّبَاتِ مِنَ الثَّمَارِ

- (١) القبول : ربح الصبا . (٢) في ورد الصبا ، أى في زهرة الشباب .
(٣) العرصات : جمع عرصة ، وهى كل بقعة ليس فيها بناء ؛ يريد ميادينا . ومطلول : لم يثار به .
(٤) أوفى : أوفى . وجلوله ، أى اجعلوه يوما أبيض . وطولوا : انخرطوا واعتروا .
(٥) يمارى : ينازع . (٦) يشير بهذا البيت الى عهد المندوح فى رئاسة تحرير «الجريدة»
وما كان يكتبه فيها من مقالات . (٧) أطفه بكذا : أتخفه به .

(١)
بِكَتَابِ رَسْطَالَيْسَ تَا * جِ نَوَادِرِ الْفَلَكَ الْمُدَارِ
جَاهَدْتَ فِي تَفْصِيلِهِ * وَصَلْتَ لَيْلَكَ بِالنَّهَارِ
تَرِنَ الْكَلَامَ كَأَنَّهُ * مَأْسُ بِيْزَانِ التَّجَارِ
(٢)
وَتَصُونُ مَعْنَى رَبِّهِ * صَوْنُ اللَّائِي فِي الْحَارِ
(٣)
وَتَضُنُّ دِهْقَانَ الْكَلَا * مِ كَضْنِ دِهْقَانِ النُّضَارِ
حَتَّى حَسِبْتُكَ فِي الْأَنَا * ةِ وَالْأَخْبَارِ وَالْأَخْيَارِ
(٤)
صَنَعًا يُصَوِّرُ فِي الْقُصُورِ * صِ لَدَى الْفَرَاعِنَةِ الْبِكَارِ
إِنِّي قَرَأْتُ كِتَابَهُ * بَيْنَ الْخُشُوعِ وَالْأَعْبَارِ
فَإِذَا الْمُتَرَجِّمُ مَا بِلَّ * جَنَبَ الْمُؤَلِّفِ فِي إِطَارِ
وَعَلَيْهِمَا نُورٌ يَفِي * ضُ مِنْ الْمَهَابَةِ وَالْوَقَارِ
قَالُوا : لَقَدْ هَجَرَ السَّيَا * سَةَ وَأُتْرَوَى فِي عُقْرِ دَارِ
تَرَكَ الْجَمَالَ لَفَيْهِ * وَرَأَى النَّجَاةَ مَعَ الْفِرَارِ
(٥)
لَا تَظْلِمُوا رَبَّ الْهُنَى * وَحَذَارِ مِنْ خَطَلٍ حَذَارِ
هَجَرَ السِّيَاسَةَ لِلْسَيَا * سَةِ لَا لِنُومٍ أَوْ قَرَارِ

(١) تاج نوادر الفلك، أى آمن نوادر الزمن وأقمها . (٢) ربه، أى مؤلفه
أرسطوطاليس . (٣) دهقان الكلام (بالنصب)، على النداء . والدهقان (بكر الدال وقضم) :
التاجر . والنضار : الذهب . (٤) الصنع (بالتحريك) : الحاذق بالصنع؛ وشبهه بالمصور
في الفصوص لما في ذلك من مراعاة الدقة . (٥) الخطل : الخطأ والزلل .

لو أَنَّهُمْ عَلِمُوا الَّذِي * بَنَى لَهُمْ حَلْفَ السَّارِ
 (١)
 لَسَعَوْا إِلَى حَامِي الْقَضِيَّةِ * لَمَّةَ وَالْحَقِيقَةِ وَالذَّمَّارِ
 (٢)
 وَأَفَاهُمْ بِدَعَائِمِ .ال * أَخْلَاقِ وَالْحَكَمِ السَّوَارِي
 (٣)
 أَسَّ السِّيَاسَةِ وَالنَّجَا * جَ وَحِصْنِ سَيِّدَةِ الْبَحَارِ
 (٤)
 كَكَلَفَتْ بِهَا وَتَمَسَّكَتْ * قَبْلَ الْفَيَالِقِ وَالْجَوَارِي
 (٥)
 يَا مَا شَقَّ الْخُلُقِ الصَّرِيدِ * بَجَّ وَشَانِي الْخُلُقِ الْمَوَارِي
 (٦)
 لَمَّا نِيَّ اخْتَبَرْتُكَ فِي الْكُفُوهِ * لَمَّةَ وَالصَّبَا حَقَّ اخْتِبَارِ
 (٧)
 لَمْ يَمُحِرْ فِي نَادِيكَ هُجْ * رُ الْقَوْلِ أَوْ خَلَعُ الْعِذَارِ
 (٨)
 حُلُوُ التَّوَاضُّعِ وَالتَّوَا * ضُعُ آيَةُ الْقَوْمِ الْإِحْيَارِ
 (٩)
 مَرُّ التَّكْبَرِ حِينَ يَدُ * عُوكَ التَّوَاضُّعِ لِلصَّغَارِ
 (١٠)
 سِرٌّ فِي طَرِيقِكَ وَإِدْمَا * فَلَانَتْ مَأْمُونُ الْعِثَارِ
 (١١)
 وَأَجْعَلْ عَلَى لُقَمِ الطَّرِيدِ * بَقِي صَوِي تَلُوحُ لِكُلِّ سَارِي

- (١) الذمار : كل ما يلزمك حفظه وحمايته .
 (٢) الدعائم : العمدة ، الواحدة دعامة .
 (٣) السواري : جمع سارية ، أى التى تسير فى الناس .
 (٤) الفياق : الجيوش العظيمة ، الواحد فيلق . والجواري : السفن ، الواحدة جارية .
 (٥) الشانى : المبعوض .
 (٦) هجر القول : القبح منه . وخلع العذار : تغطية عن التهنك
 وعدم المبالاة .
 (٧) الصغار : الذل .
 (٨) لقم الطريق (بفتح اللام وضمها) :
 وسطه . والصوى : العلامات التى تجعل على الطريق لينتدى بها ؛ الواحدة صوة (بضم الصاد
 وتشديد الواو) .

(١)
إِنَّا إِلَى (كُتِبَ السَّيَا * سَةِ) يَا حَكِيمُ عَلَى أَوَارِ
(٢)
تَجَلَّ بِهَا قَبْلَ (الْقَسَا * دِ) وَقَبْلَ عَادِيَةِ الْبَوَارِ
(٣)
إِنَّا تُنَاضِلُ أُمَّةً * أَقْطَبُهَا أَسَدُ ضَوَارِ
(٤)
عَمَرُوا الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ * وَتَحَصَّنُوا مِنْ كُلِّ طَارِ
أَمَسَتْ سِيَاسَتُهُمْ كَيْطَلَسِمُ يُخَيِّرُ كُلَّ قَارِ
إِنِّ يُبْكِرُوا بَعْضَ الْغُمُ * ضِ عَلَى أَدِيبِ ذِي أَقْتِدَارِ
(٥)
فَلَا تَهْمُ لَمْ يَذْكُرُوا * أَنْ الْمُتَرَجِّمَ فِي إِسَارِ
(٦)
لَمْ يَبَيِّ أَحَدُ أَنْ يَحْيَ * بَايَ قَيْسٍ أَوْ نِزَارِ
(٧)
وَهُوَ الْمَجَلَّى فِي أَسَا * لَيْبِ الْفَصَاحَةِ وَالْمُبَارِ
(٨)
لُغَةُ الْعُلُومِ حَقَائِقُ * هِيَ عَنْ زَخَارِفِنَا عَوَارِ
(٩)
تَابَى الْغُلُوفُ وَتَحَسَّبُ الـ * لِإِغْرَاقِ كَالْثَوْبِ الْمَعَارِ
وَالْتَقَلُّ إِنِّ عَدِمَ الْأَمَّا * نَهَّ كَانِ عُنْوَانِ الْخَسَارِ

- (١) يريد بكتب السياسة : كتاب أرسطو فيها . والأوار : شدة العطش . (٢) يشير إلى كتاب (الكون والفساد) الذي كان يترجمه الأستاذ أحمد لطفى السيد وقتئذ ، وكان يود حافظ لو أن الأستاذ ترجم كتاب أرسطو في السياسة ونشره قبل كتاب الكون والفساد . (٣) يريد الأمة الانجليزية . والضواري : المتحردة الصيد والأقتراس . (٤) عركوا الزمان : خبروه . والطاري ، أى الطارىء ، أى ما يطرأ على الدول من أحداث . (٥) ، «أن المترجم» : الخ : أى أنه متقيد بأغراض المؤلف وعباراته لا يبعدها . (٦) يريد بقوله : «بأى قيس أو نزار» : بيان العرب الأقدمين . وقيس ونزار : قبيلتان من العرب معروفتان . (٧) المجلى : السابق الذى يحى . أولاً . (٨) زخارفنا ، أى ما يزين به الأدباء أشعارهم ورسائلهم من تخلية وتجميل . (٩) الغلو والإغراق فى الشيء : المبالغة فيه .

الى حفى بك محمود

قالها حين رشح الوفاء لعضوية البرلمان عن بندر الجزيرة

[نشرت في ١١ مايو سنة ١٩٢٦م]

(١)

يا كاسى الخلق الرضى وصاحب الـ * أدب السرى ويا قفى الفتيان

(٢)

إن رشحوك فانت من بيت رعى * بسهامه عن حوزة الأوطان

(٣)

زكالك إقدام ورأى شاهد * ونقى إيمان وحسن بيان

(٤)

لو كنت بين الناهخين لأدرتوا * ما فيك يا (حفى) من رضوان

الى سعد زغلول باشا

أنشدها بين يديه على أثر قدومه من مسجد وصيف إلى العاصمة على البانزة دندرة

[نشرت في ٧ نوفمبر سنة ١٩٢٦م]

(٤)

ما بال (دندرة) تميمس هاديا * ميس العروس مشت على إستبرق

(٥)

والنيل يجرى تحتها مهلا * والموج بين مهلل ومصفق

(٥)

أعلها والتيه يثني عطفها * حلت ركاب زعيم قلب المشرق

(١) السرى : الرفيع . (٢) حوزة الأوطان ، أى ما يجب الدفاع عنه وحمايته منها .

(٣) يشير بهذا البيت الى أن الممدوح من بلد آخر غير البلد الذى رشح النيابة عنه ، ولو كان منه لأدرك

أهله ما فيه من رضى وخير . (٤) تميمس : تمايل وتبخر ، والإستبرق : الديباج الغليظ ،

وهو لفظ معرب . (٥) العطف : الجانب . ويريد « بقلب الشرق » : مصر ، لأنها منه بمنزلة

القلب من الجسد .

إِنِّي أَرَى نُورًا يَفِيضُ وَطَلْعَةً * قَدْ زَانَهَا وَصَحَّ الْحَيَيْنِ الْمَشْرِقُ
(١)
هَذَا زَيْعُ النَّيْلِ حَلَّ عَرِينَهُ * بَعْدَ الْغِيَابِ فَيَا وَفُودُ تَدْفِقُ
(٢)
وَتَمَيَّنِي بِقُدُومِهِ وَتَرَفَّقِي * عِنْدَ الزَّحَامِ فَسَلِّمْ وَتَفَرَّقِي
(٣)
وَتَنْظُرِي إِنَّ الْخِلَاصَ مُحْتَمٌّ * فَاللَّهُ أَسْلَمَ أَمْرَنَا لِمُوفَقِي
(٤)
كَمْ أَزْمَةٍ مَرَّتْ بِنَا فَأَجْتَا حَهَا * (سَعْدُ) بِسِيلِ بَيَانِهِ الْمُتَدَفَّقِي
(٥)
يَأْيُهَا السَّبَاقُ فِي طَلَبِ الْعَلَا * هَا قَدْ آتَيْتَ مُجَلِّبًا لَمْ تُسَبِّقِي
(٦)
سَبَقَ الْبَشِيرَ رِكَابُ سَعْدٍ جَارِيَا * وَرِكَابُ سَعْدٍ وَإِنِّي لَمْ يُلْحَقِي

(٧) تهنئة أحمد شوقي بك

أنشدنا في المهرجان الذي أقيم لتكريمه بالأوبرا في ٢٩ أبريل سنة ١٩٢٧ م

وقد اشترك فيه بعض شعراء الأقطار الشرقية

(٨)
بَلَّابِلَ وَادِي النَّيْلِ بِالْمَشْرِقِ أُنْجَبِي * بِشِعْرِ أَمِيرِ الدَّوْلَتَيْنِ وَرَجَبِي
(٩)
أَعْيَدِي عَلَى الْأَسْمَاعِ مَا غَرَّدَتْ بِهِ * بِرَأْعَةِ شَوْقِي فِي ابْتِدَاءِ وَمَقْطَعِ
(١) العرين : مأوى الأسد . (٢) يروى أن الرئيس ابنسّم عند ما أنشد هذا البيت ، وقال :
« إلا أنت يا حافظ » . (٣) تنظري : انتظري . (٤) اجتاحتها : استأصلها وأودى بها .
ويقال : إن حافظا لما أنشد هذا البيت خاطب الرئيس وقال : « ألم يحصل ؟ » ، فضحك سعد
وقال : « أنا لا أعرف » . (٥) المحل : السابق الذي يحى ، أو لا . (٦) يقول : إن سعدا
قد أفاض من صفته — وهى السبق فى سبل العلا — على الباهرة ، فسبقت البشير وهو يجرى ، ولو كانت
وانية لسبقتة أيضا ، لأنها اكتسبت فضيلة السبق بمن حل بها . (٧) انظر التعريف بالمرحوم
(أحمد شوقي بك) فى الحاشية رقم ٥ من ص ٥٠ (٨) يد « بالدولتين » : النظم والثر .
والترجيع : ترديد الصوت بالغناء . (٩) فى ابتداء ومقطع ، أى فى أول القصيدة وآخرها .

- (١) بَرَاها له الباري فلم يَنْبُ سِنُها * إذا ما نَبَا الْعَسَالُ في كَفِّ أَرْوَعِ
(٢) مَوَاقِعُها في الشَّرِقِ والشَّرْقُ مُجْدِبٌ * مَوَاقِعُ صَيِّبِ الْغَيْثِ في كُلِّ بَلْقَعِ
(٣) لَدَيْها وَفُودُ اللَّفِظِ تَنْسَأُ خَلْفَها * وَفُودُ الْمَعَانِي خُشَعًا عِنْدَ خُشْعِ
(٤) إذا رَضِيَتْ جَاءَتْ بِأَنْفَاسِ رَوْضَةٍ * وإنْ غَضِبَتْ جَاءَتْ بِنَجَاءِ زَعْرَجِ
(٥) أَحْنُ على الْمَكْدُودِ مِنْ ظِلِّ دَوْحَةٍ * وَأَحْنَى على الْمَوْلُودِ مِنْ ثَدْيِ مُرْضِعِ
(٦) على سِنِّها رِفْقٌ يَسِيلُ وَرَحْمَةٌ * وَرَوْحٌ لَمَنْ يَأْسَى وَذِكْرٌ لِمَنْ يَبْعِي
(٧) تَسَابِقُ فَوْقَ الطَّرِيسِ أَفْكَارُ رَبِّها * سَبَاقُ جِيَادٍ في جِمالِ مُرْبِعِ
(٨) تَطِيرُ بُرُوقُ الْفِكْرِ خَلْفَ بُرُوقِها * تُنَاشِدُها بِاللَّهِ لَا تَتَسَرَّعِي
(٩) تُحَاوِلُ قُوَّةَ الْفِكْرِ لَوْ لَمْ تُكْفَها * أَنَا مِلْهُ كَفِّ الْجَمُوحِ الْمُرُوعِ

- (١) نبا، ينبو: كل وارتد. والعسال: الرخ يهتز لنا. والأروع: الشجاع الشهم.
(٢) صيب (يسكن الياء) أصلها صيب (يتشدها)، وهو المطر المنهمر المنصب. والبلقع: الأرض القفر لانبثاقها. يقول: إن آثار قلبه تفعل في نفوس الشريين الظامنة ما تفعل السحب في الأرض المجردة. (٣) يقول: إن براعة هذا الشاعر قد ملكت ناصيتي الألفاظ والمعاني لا يستعصى عليها منها شيء. (٤) النكباء: الريح تتحرف عن مهب الرياح، وتقع بين ريحين. والزعرج: الشديدة العصف. (٥) المكدود: من أضناه الكد والمشقة. والدوحة: الشجرة العظيمة المتسعة الظل. (٦) الروح: الراحة والرحمة. ويأسى: يمزن. ويبي: يحفظ. (٧) تسابق، أي تتسابق. والطريس: الصحيفة يكتب فيها. والمجال: حيث تجول الجياد، أي تمجى. (٨) بروق الفكر، أي بروق فكر الشاعر. والضمير في «بروقها» يعود على «البراعة» المتقدمة. شبه فكر الشاعر وبراعته في مرعيتها بالبروق، وحصل برق براعته أسرع من برق فكره. (٩) الجموح: الفرس الذي يركب رأسه لا يثنيه شيء. والمرزع: المفزع. يقول: إن يراعته تسبق أفكاره لولا أن أنامله ترددها وتكبيها.

- (١) فهذا (كَلِمَةُ اللَّهِ) قد جاءَ قَبْلَهُ * (بهارون) ما يَأْمُرُهُ بِالْوَحْيِ يَصْدَعُ
(٢) بَلَغْتَ بَوْصِفِ النَّيْلِ مِنْ وَصْفِكَ الْمَدَى * وأَيَّامَ (فِرْعَوْنَ) وَمَعْبُودِهِ (رَجِ)
(٣) وما سُمِّتَ مِنْ عَادِ الْبِلَادِ وَأَهْلِهَا * وما قُلْتَ فِي أَهْرَامِ (خُوفُو) وَ(خَفَرِ)
(٤) فَأَظْلَعَتْهَا شَوْقِيَّةٌ لَوْ تَنَسَّقَتْ * مع النَّسِيرَاتِ الزُّهْرِ خُصِّتْ بِمَطْلَعِ
(٥) أَلَمْ يَأَيَّ عَهْدٍ فِي الْقُرَى) قد تَفَجَّرَتْ * يَنَابِيعُ هَذَا الْفِكْرِ أَمْ (أَخْتُ يَوْشَعَ)
(٦) وَفِي (تُوتَ) مَا أَعْيَا أَشْكَارَ مُوَقِّقٍ * وَفِي (نَاشِئُ فِي الْوَرْدِ) إِلْهَامُ مُبْدِعِ

(١) كَلِمَةُ اللَّهِ : نبيه موسى عليه السلام . وصدع بالأمر : جاهر به مصرحاً . ويشير إلى ما ورد في القرآن حكاية عن موسى عليه السلام : (واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخى أشد به أزرى) الآيات . (٢) المدى : الناية . ويشير بهذا البيت إلى قصيدة لشوقي في النيل وتاريخ من ملكه من القراعة بعث بها إلى مرجليوث المستشرق المعروف في سنة ١٩١٤ م ، وأولها :
من أى عهد في القرى تتدفق * وبأى كف في البرية تفسق
«ورع» : اسم للشمس عند قدماء المصريين ، وهو من معبوداتهم . (٣) العاد : جمع عادة ؛ يريد عادات قدماء المصريين . وخوفو وخفر : ملكان معروفان من ملوك مصر القراعة .
(٤) تنسقت : انتظمت . والنسيرات الزهر : النجوم . (٥) «من أى عهد في القرى» : مطلع القصيدة السابق ذكرها في الحاشية رقم ٢ من هذه الصفحة . وأخت يوشع : الشمس ؛ وأطلق عليها ذلك لما روى من أنها تأخرت عن الغيب لأجل يوشع . ويشير إلى قصيدة لشوقي في توت عنخ آمون ، أولها :
آمون ، أولها :
قنى يا أخت يوشع خبرينا * أحاديث القرون الغابرينا

(٦) يشير بقوله : «وفي توت» إلى قصيدة لشوقي في توت عنخ آمون أولها :
درجت على الكثر القرون * وأنت على الدن السنون
وبقوله : «ناشئ في الورد» إلى قصيدة له في المتحررين لرسوبهم في الامتحانات ، أولها :
ناشئ في الورد من أيامه * حسب الله بالورد عثر

(١) أَسَأَلْتُ (سَلَا قَلْبِي) شُؤْنِي تَذَكُّرًا * كَمَا تَرْتَرُ (رِيمٌ عَلَى الْقَاعِ) أَدْمَعِي
(٢) وَ(سَلْ يَلْدِزَا) إِنِّي رَأَيْتُ جَمَاهَا * عَلَى الدَّهْرِ قَدْ أَسَى جَمَالَ (المُقَنِّعِ)
(٣) أَطَلَّتْ عَلَيْنَا (أَخْتُ أُنْدَلُسَ) بِمَا * أَطَلَّتْ فَكَانَتْ لِلنُّهَى خَيْرَ مَشْرِعِ
(٤) وَفِي تَسْجِجِ (صَدَاحِ) آتَيْتَ بَايَةً * مِنْ السَّهْلِ لَا تَتَقَادُ (لَا بِنِ الْمُقَفِّعِ)

(١) يشير بقوله : "سلا قلبي" الى قصيدة لشوقي قالها في استنباله لمصر عند عودته من منفاه بالأندلس ، أولها :

سلا قلبي غداة سلا وتابا * لعل على الجبال له عتابا

وبقوله : "ريم على القاع" الى قصيدة له في مدح النبي صلى الله عليه وسلم سماها : تهج البردة ، وأولها :

ريم على القاع بين البان والعلم * أحل سفك دمي في الأشهر الحرم

والشئون : الدموع .

(٢) يشير الى قصيدة للمدوح في خلع السلطان عبد الحيد سماها : (عبرة الدهر) أولها :

سل يلدزا ذات القصور * هل جامعا نبأ البسودر

ويريد بالمقنع : المقنع الكندي ، وهو لقب ظب عليه لأنه كان أحسن الناس وجها وأمداهم قامه وأكلهم خلقه ، فيرون أنه كان إذا سقر التام أصابه أعين الناس فيمرض ويلحقه عنت ، فكان لا يمشي إلا مقنعا ، وأحمد محمد بن ظفر بن عمير ، وهو شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية ، وكان ذا منزلة وشرف بين قومه .

(٣) أطلت علينا ، أى ظهرت لنا من أعلى . ويشير الى قصيدة لشوقي في رثاء مدينة أدرنة ، وهي من

أمهات مدن الدولة العثمانية ، وكانت قد سقطت في يد البلقار في الحرب البلقانية ، وأول القصيدة :

يا أخت أندلس عليك سلام * هوى الخلافة عنك والإسلام

والمشريع : المورد الذي يستقى منه .

(٤) يشير الى قصيدة لشوقي في تفصيل حجاب المرأة على سفورها ، يخاطب بها المرحومة باحثة

البادية ، أولها :

صداح يا ملك الكفا * روى أمير الببل

وابن المقفع ، هو عبد الله بن المقفع الكاتب المعروف .

(١)
ورائعَ وَصِفَ في (أَبَى الْهَوْلِ) مُقْتَه * كُبُسْتَانِ نَوْرِ قَبْلَ رَعِيكَ مَا رُئِيَ
(٢)
نَحَرَجْتَ بِهِ عَنْ طَوِّقِ كُلِّ مُصَوِّر * يُجِيدُ دَقِيقَ الْفَنِّ فِي جَوْفِ مَصْنَعِ
(٣)
وَفِي (انْظُرْ إِلَى الْأَقْصَارِ) زَفْرَةٌ وَاجِد * وَأَنَّهُ مَقْرُوجُ الْفُرَادِ مُوزَّعِ
بَكَّتْ عَلَى سِرِّ السَّمَاءِ وَطُهِرَهَا * وَمَا أَبْتَدَلُوا مِنْ خِذْرِهَا الْمُتَرَفِّعِ
(٤)
شَاطِطِينَ أَنَسَ تَسْرِقُ السَّمْعَ خُلْسَةً * وَلَا تَحْذَرُ الْمَخْبُوءَ لِلتَّسْمِعِ
(٥)
وَسَيْلِيَّةٍ (الْبُخْتَرِيَّ) تَسَعَتْهَا * بِسَيْلِيَّةٍ قَدْ أَخْرَسَتْ كُلَّ مُدْعِي
(٦)
أَتَى لَكَ فِيهَا طَائِعًا كُلُّ مَا عَصَى * عَلَى كُلِّ جَبَّارٍ الْقَرِيحَةَ أَلْعَى

(١) الرائع : ما أعجب الناس بحسه . ويشير إلى قصيدة لشوقي في وصف أبي الهول ، أولها :
أبا الهول طال طيك العصر * وبلغت في الأرض أقصى العمر
والنور (يفتح النون) : زهر النبات .
(٢) الطوق : الجهد والطاقة . (٣) يشير إلى قصيدة لشوقي في رثاء فتحي ونوري الطيارين
العمانيين ، وكانا قد سقطت بهما طائرتهما أثناء رحلتهما إلى مصر قبل نشوب الحرب العظمى ، وأولها :
انظر إلى الأقمار كيف تزول * وإلى وجوه السعد كيف تحول
والواجد : ذو الوجد . والفؤاد الموزع : المفرق لما اختطف عليه من الشجون . (٤) يريد
بشياطين الإنس : الطيارين . ويريد « بالخبوء للتسمع » : الشهب التي يربح بها من الشياطين من يسرق
السمع من السماء . (٥) يشير بهذا البيت إلى قصيدة لأبي عبادة البعترى على قافية السين في وصف
ليوان كسرى ، أولها :

صنت نفسي عما يندس نفسي * وترفعت عن جدا كل جيس
وقصيدة لشوقي يمارضه بها ، يذكر فيها بعده عن بلاده في منفاه ، ويرى فيها الأندلس ، وأولها :
اختلاف النهار والليل ينسى * أذكرا لي الصبا وأيام أنسى
(٦) الأملئ (بتشديد الياء ونخفت الشعر) : الذكي المتوقد .

المديح والتهاني

١٢٥

- (١) شَجَا (الْبُحْتَرَى) إِيوَانُ (كَسْرَى) وَهَاجَه * وَهَاجَتْ بِكَ (الْحَمْرَاءُ) أَفْجَانٌ مُوجِعٌ
وَقَفَّتْ بِهَا تَبْكِي الرُّبُوعَ كَمَا بَكَى * فَيَا لَكَا مِنْ وَاقِفَيْنِ بَارِّعِ
(٢) فَتَسْجُوكَ كَاللِّبَاسِ حَلَاةً وَشَيْءٌ * وَفِي النَّسِجِ مَا يَأْتِي بِشَوْبٍ مُرَقِّعِ
(٣) وَشِعْرُكَ مَاءُ النَّهْرِ يَجْرِي مُجَدِّدًا * وَشِعْرُ سَوَادِ النَّاسِ مَاءٌ بَمَنْقَعِ
(٤) أَلْأَفْضَى إِلَى خَتَمِ الزَّمَانِ فَفَضُّهُ * مِنْ الْوَحَى وَالْإِلْهَامِ أَمْ قَوْلُ لَوْدَعِي
(٥) وَ(قَلْبِي أَذْكَرَتِ الْيَوْمَ غَيْرُ مُوَفِّقٍ) * رَفَى السَّحْرِ أَمْ أَنَا تُتْ أَسْوَانُ مُوَلِّعِ
تَمَلَّكَتَ مِنْ مُلْكِ الْقَرِيضِ فَسِيحَهُ * فَلَمْ تَبْقِ يَا (شَوْقِي) لَنَا قِيدَ إِصْبَعِ
(٦) فَبِاللَّهِ دَعِ النَّائِرِينَ وَسِيلَةً * تُفِيءُ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ بِي اللَّهِ وَأَقْنَعِ
(٧) عَمِلْتَ عَلَى نَيْلِ الْخُلُودِ فَنَلْتَهُ * فَقُلْ فِي مَقَامِ الشُّكْرِ يَا رَبِّ أَوْزِعِ
(٨) جَلَا شِعْرَهُ لِلنَّاسِ مِرَاةَ عَصْرِهِ * وَمِرَاةَ عَهْدِ الشُّعْرَيْنِ عَهْدِ (تُبْعِ)

(١) البحتري، هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الله الطائي، الشاعر المعروف . والحمراء : قصر بفرطاة بالأندلس ، بنى في عهد دولة بني الأحمر، ولا تزال آثاره ماثلة حتى اليوم . (٢) الوحى : النقش . وشبه في الشطر الثاني الشعر الذى لا تستوى أجزاؤه فى الحسن وضده بالتوب المرقع . (٣) سواد الناس : عامتهم . والممنوع : الموضع يستنقع فيه الماء . (٤) يشير الى قول شوقي فى رثاء اللورد كارنارفون الذى كشف عن قبر توت عنخ آمون :

أَفْضَى إِلَى خَتَمِ الزَّمَانِ فَفَضُّهُ * وَحُبَا إِلَى النَّارِخِ فِي مَحْرَابِهِ

واللودعى : الذكى الذهن . (٥) الأسوان : الحزين . والرقى : جمع رقية ، وهى العوذة يتوكل بها من العلل والآفات . (٦) تفىء عليهم ، أى تعود عليهم بالخير والرزق . (٧) أوزعه الله الشكر : ألهمه إياه . ويشير إلى قوله تعالى حكاية عن سليمان بن داود عليهما السلام فى سورة النمل : (فَتَبَسَّمْ سَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الْآيَةَ . (٨) تبع : لقب للملك حير . ويريد بهذا البيت أن شعر الممدوح قد صوّر القديم والجديد .

- (١) يَحْيَىٰ لَنَا آتَا (بِأَحْمَدَ) مَا مِثْلًا * وَأَوْنَةً (بِالْبُحْثَرِيِّ) الْمُرْصِعِ
(٢) وَيَشْأَوُرُقِي (هُوْجُو) وَيَأْتِي نَسِيْبُهُ * لَنَا مِنْ لِيَالِي (الْقَرِيدَ) بَارَبِيعِ
(٣) وَإِنْ خَطَرْتُ ذِكْرِي الْفُحُولِ بِفَارِسِ * وَمَا خَلَفُوا فِي الْقَوْلِ مِنْ كُلِّ مُشْبِعِ
(٤) أَنَا نَا بَرَوْضِ مُزْهِرٍ مِنْ رِيَاضِهِمْ * وَ (حَافِظُهُمْ) فِيهِ يُغْنِي وَيَرْتَعِي
(٥) قُلْ لِلَّذِي يَنْبَغِي مَدَاهُ مُنَافِسًا * طَمِعْتَ تَعْمُرُ اللَّهَ فِي غَيْرِ مَطْمَعِ
(٦) فَذَلِكَ سَيْفٌ سَلَّهُ اللَّهُ قَاطِعٌ * فَأَيَّانَ يَضْرِبُ يَفْرِ دِرْهَمًا وَيَقْطَعُ
(٧) وَهَلْ تَدْفَعُ الدَّرْعَ الْمُنِيْعَةَ صَارِمًا * بِهِ يَضْرِبُ الْمِقْدَارُ فِي كَفِّ سَلْفَعِ

(١) يريد «بأحمد» أبا الطيب أحمد بن الحسين المنيني الكوفي الكندي الشاعر المعروف . (٢) يشأو: يسبق . ورق هو جو، أى أشعاره التى تشبه ورق السحر . وفكتور هو جو، هو شاعر فرنسا المعروف . انظر التعريف به فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٣٨ والنسب : التشبيب بالنساء وذكر محاسنهن فى الشعر . والقريد : هو القريد ديموسيه من كبار شعراء فرنسا ، ولد بياريس سنة ١٨١٠ م ، وتوفى بها سنة ١٨٥٧ م وكان ممتازا فى شعره بالركة ولطف الصياغة ، وهو صاحب الليالى الأربع المشار إليها فى هذا البيت فى الحب والشك والسلوان ، وهى ليلة من (آيار) وليلة من (كانون أول) ، وليلة من (آب) وليلة من (تشرين أول) . وفى كل ليلة من هذه الليالى الأربع يشرح حالا من أحواله المتعلقة بالحب ، وهذه الليالى هى التى رفته إلى الطبقة الأولى بين شعراء فرنسا . (٣) بفارس ، يريد أمة الفرس ، وقد عرف شعراؤها بالإبداع فى المعانى ، وفى هذا يقول حافظ من قصيدة له فى مدح البارودى :
ومر كل معنى فارسي بطاعتي * وكل تقور منه أن يتوددا

(٤) يريد « بحافظ » : شمس الدين محمد الشيرازى الشاعر الغنائى المعروف ، ولد بشيراز فى مبتهل القرن الثامن الهجرى ، وتوفى سنة ٨٧٩٣ . يقول فى هذا البيت والذى قبله : إنه إذا ذكر الفحول من شعراء الفرس وما ابدعوا فيه من المعانى وأجادوا ، نمت شوق من رياض أشعاره ما يحكى رياض أشعارهم حتى إن شاعرهم الكبير حافظ الشيرازى ليتغنى ويرتعى فى رياض ذلك الشاعر العربى (شوق) .
(٥) المدى : الناية . (٦) يفرى : يشق . (٧) المقدار : القدر . والسلفع : الجرىء الشجاع .

(١) نَفِيتَ فَلَمْ تَجْزَعْ وَلَمْ تُكْ ضَارِعًا * وَمَنْ تَرِمِهِ الْأَيَّامُ يَحْزَعْ وَيَضْرَعْ
(٢) وَأَخْصَبْتَ فِي الْمَنَى وَمَا كُنْتَ مُجْدِبًا * وَفِي النَّثَى خَصْبُ الْعَبْقَرِيِّ السَّمِيدِجِ
(٣) لَقَدْ زَادَ (هُوجُو) فِيهِ خَصْبَ قَرِيحَةٍ * وَأَبَ إِلَى أوطَانِهِ جِدَّ ثَمَرِجِ
(٤) وَأَدْرَكَ (سَامِي) بِالْحَزِيرَةِ غَايَةً * إِلَيْهَا مُلُوكُ الْقَوْلِ لَمْ تَطْلَعْ
(٥) تَذَكَّرْتَ عَذَبَ النَّيْلِ وَالنَّفْسُ صَبَّةً * إِلَى نَهْلَةٍ مِنْ كُوبِ مَاءٍ مُشْعِشِ
(٦) وَأَرْسَلْتَ تَسْنِسِقِي بَنِي مِصْرَ شَرِبَةً * فَقَطَّعْتَ أَحْشَائِي وَأَضْرَمْتَ أَضْلَعِي
أَزْرَوِي وَلَا تَرَوِي وَأَنْتَ أَحَقْنَا * يَرِيَّ فَيَا قَلْبَ النُّبُوغِ تَقَطَّعِ
(٧) وَإِنْ شِئْتَ عَنَّا يَا سَمَاءُ فَأَقْلَعِي * وَيَا مَاءَهَا فَأَكْفُفِي وَيَا أَرْضُ فَأَبْلَعِي
حَرَامٌ عَلَيْنَا أَنْ نَلْدَّ بِنَهْلَةٍ * وَأَنْتَ تُنَادِينَا وَنَحْنُ بِمَسْمَعِ
أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَرُدَّكَ سَالًا * وَمَنْ يَرِعَهُ يَسْلَمَ وَيَقْنَمَ وَيَرْجِعَ

(١) يضرع : يذل . (٢) يريد بقوله : « اخصبت في المنى » : أن شعره
جاد وحسن في النثى ، وما كان مجدبا من قبل . والسديدج : السيد الكريم . (٣) « فيه »
أى في المنى . والممرج : المخصب . شبه شوقيا (يهوجو) كلاهما زاده النثى خصبا في قريحته
ونضوجا في شاعريته . (٤) ملوك القول : فحول الشعراء . ويشير إلى فني المرحوم محمود باشا
سامي البارودي إلى جزيرة سيلان عقب الثورة العرابية ، وما قاله في أثناء النثى من الشعر .
(٥) النهلة : السفية . والمشعشع : المزوج . يشير بهذا البيت وما بعده إلى الأبيات التي بحث بها
شوقي وهو في منغاة إلى حافظ ، وهي :

يا ساكني مصر إنا لا نزال على * عهد الوفاء وإن غبتا مقيمتا

الأبيات . انظر صفحة ١٨٦ من هذا الجزء . وانظر رد حافظ عليها في ص ١٨٧ .
(٦) أضرمت : ألهبت . (٧) أفلعت السماء : كفت عن المطر . ويشير إلى قوله تعالى
في سورة هود : (وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي)

- (١) وَعُدَّتْ فَقَرَّتْ عَيْنُ مِصْرٍ وَأَصْبَحَتْ * رِيَاضُ الْقَوَافِي فِي رَيْبِ مَوْشِعٍ
(٢) وَأَدْرَكْتَ مَا تَبْنِي وَشَيْدَتْ آيَةً * عَلَى الشَّاطِئِ الْغَرْبِيِّ فِي خَيْرِ مَوْقِعٍ
(٣) يَمُحُّ بِهَا رَوْضٌ يُحْيِي بُدُورَهَا * بُكُورًا رِيًّا عَمْرِفَهُ الْمُتَضَوِّعِ
(٤) جَمِي يَهَادِي النَّيْلُ تَحْتَ ظِلَالِهِ * تَهَادِي خَوْدٍ فِي رَدَائِ جُبْزِعِ
(٥) لَقَدْ كُنْتَ تَرْجُو مِنْهُ بِالْأُمْسِ قَطْرَةً * فُدُونَكَ فَا بَرْدٌ غَلِيْلَكَ وَانْقَسِجِ
أَمِيرَ الْقَوَافِي قَدْ أَتَيْتُ مُبَايَعًا * وَهَذِي وَفُودُ الشَّرْقِ قَدْ بَايَعَتْ مَعِي
(٦) فَهَنْ رُبُوعَ النَّيْلِ وَأَعْطَفَ بَنْظَرَهُ * عَلَى سَاكِنِي النَّهْرَيْنِ وَأَصْدَحْ وَأَبْدِعِ
(٧) وَلَا تَلَسْ (تَجِدَا) إِنَّمَا مَنِيْتُ الْهَوَى * وَمَرَعَى الْمَهَامِ مِنْ سَارِحَاتٍ وَرُتِجِ
وَحَى ذُرَا (لُبْنَانَ) وَأَجْعَلْ (لُتُوْسِ) * نَيْصِيَاءَ مِنَ السَّلَوَى وَقَسَمَ وَزَجِ
فِي الشَّعْرِ حَثَّ الطَّامِعِينَ إِلَى الْعَلَا * وَفِي الشَّعْرِ زُهْدُ النَّاسِكِ الْمُتَوَرِّجِ
(٨) وَفِي الشَّعْرِ مَا يُنْفِي عَنِ السَّيْفِ وَقَعَهُ * كَمَا رَوَّعَ الْأَعْدَاءَ يَنْتُ (لَا تُجْعِجِ)

- (١) الربيع الموشع : الموشى بألوان الزهر والنبات . (٢) يشير الى قصر شوقى الذى بناه على الشاطئ الغربى للنيل بالجيزة . (٣) الريا والعرف : الراحة الطيبة . وبكورا ، أى فى بكرة الصباح . والمتضوع : المنتشر الراحة . (٤) يتهادى : يمشى فى لين وخفة . والخود : الشابة الحسنة . والمهزج : مختلف الألوان . (٥) تقع ظمأ بالماء : أرواه . (٦) يريد بساكينى النهرين : أهل العراق . والنهران : دجلة والفرات . واصدح ، أى غن بالشعر . (٧) المهام : قمر الوحش ، الواحدة مهاة ؛ يريد النساء اللاتي تشبهها فى سمة العيون وجمالها . ويطلب الى الشاعر أن ينفى نجيذا بشعره ، كما ينفى أهل مصر . (٨) يشير الى بيت لأشعش بن عمرو السلى الشاعر العباسى المعروف من قصيدة يمدح بها الرشيد :
- وعلى حدوك يا بن صمم محمد * رصدان ضوه الصبح والإغلام
فاذا تلبسه رعته وإذا خفا * سلت عليه سيوفك الأحلام
- والمقصود هنا البيت الثانى .

وفي الشَّعر إحياءُ النَّفوسِ وربُّها * وأنتَ لِرَى النَّفْسِ أَعْدَبُ مَنبَجٍ^(١)
 فَنَبَّةٌ عُقُولًا طَالَ عَهْدُ رُقَادِهَا * وَأَفِيدَةٌ شُدَّتْ إِلَيْهَا بَأْسَجُ
 فَقَدْ عَمَرَتْهَا مَحَنَةٌ فَوْقَ مَحَنَةٍ * وَأنتَ لها يا شاعِرَ الشَّرْقِ فَأَدْفِعِ
 وَأنتَ بِحَمْدِ اللَّهِ مَازَلْتَ قَادِرًا * عَلَى النَّفْعِ فَاسْتَنْهْضِ بَيَانَكَ وَأَقْعِ^(٢)
 وَخُذْ بِرِمَامِ الْقَوْمِ وَأَنْزِعْ بِأَهْلِهِ * إِلَى الْمَجْدِ وَالْمَلَأِ أَكْرَمَ مَتْرَجٍ^(٣)
 وَفَقْنَا عَلَى التَّهَجِّ الْقَوِيمِ فَإِنَّا * سَلَكْنَا طَرِيقًا لِلْهُدَى غَيْرَ مَهْمِجِ
 مَلَأْنَا طِبَاقَ الْأَرْضِ وَجَدًّا وَلَوْعَةً * بِنَهْدٍ وَدَعْدٍ وَالرَّابِ وَبَوَزَعٍ^(٤)
 وَمَلَّتْ بَنَاتُ الشَّعْرِ مِنَّا مَوَاقِفًا * بِسَقْطِ اللَّوَى (وَالرَّقَّتَيْنِ) (وَلَعَلَّجِ)^(٥)
 وَأَقْوَامُنَا فِي الشَّرْقِ قَدْ طَالَ نَوْمُهُمْ * وَمَا كَانَ نَوْمُ الشَّعْرِ بِالْمُتَوَقِّعِ^(٦)
 تَغَيَّرَتِ الدُّنْيَا وَقَدْ كَانَ أَهْلُهَا * يَرَوْنَ مُنُونَ الْعَيْسِ أَلْبَنَ مَضْجَعِ^(٧)
 وَكَانَ بَرِيدُ الْعِلْمِ عِيْرًا وَأَيْنُقًا * مَتَى يُعِيهَا الْإِيْجَافُ فِي الْيَدِ تَطْلُعِ
 فَأَصْبَحَ لَا يَرْضَى الْبُخَارَ مَطِيَّةً * وَلَا السَّلْكَ فِي تَيَّارِهِ الْمَتَدَفِّعِ

(١) الأنسج : جمع نسع (بكسر النون) وهو سير من جلد تشد به الرحال . يريد وصف الأقدرة
 بالنقيد والأسر في أغلال العادات القديمة . (٢) وانزع بأهله ، أى قد أهل الشرق وسر بهم .
 (٣) ففتا على التهج القويم ، أى أرشدنا الى الطريق المستقيم فى أعراض الشعر . والمهج : الطريق
 الواضح البين . (٤) بنات الشعر ، أى معانيه وأغراضه . و « سقط اللوى » الخ :
 أسماء مواضع فى بلاد العرب وردت فى شعر القدماء . (٥) منون العيس : ظهور الإبل .
 (٦) العير : القافلة . والإيجاف : الإسراع . واليد : جمع يدا . وتطلع : تخرج فى مشيتها .
 يقول : كانت وسائل العلم فى الماضى السفر على ظهور الإبل التى لا تسعف راحتها .

وقد كَانَ كُلَّ الْأَمْرِ تَصْوِيبُ نَبَلَةٍ * فَأَصْبَحَ بَعْضُ الْأَمْرِ تَصْوِيبُ مَذْفَعٍ
(١)
وَنَحْنُ كَمَا غَنَى الْأَوَائِلُ لَمْ نَزَلْ * نَغْنَى بِأَرْمَاحٍ وَبِيضٍ وَأَدْرَعٍ
(٢)
عَرَفْنَا مَدَى الشَّيْءِ الْقَدِيمِ فَهَلْ مَدَى * لَشَيْءٍ جَدِيدٍ حَاضِرِ النَّفْعِ مُتَمِيعٍ
(٣)
لَدَى كُلِّ شَعْبٍ فِي الْحَوَادِثِ عُذَّةٌ * وَعُدَّتْنَا نَدْبُ التُّرَاثِ الْمُضْيعِ
(٤)
فِيَا ضَيْعَةَ الْأَقْلَامِ إِنْ لَمْ تُقَمِّمْ بِهَا * دِعَامَةَ رُكْنِ الْمَشْرِقِ الْمُتَرَعِّزِ
(٥)
أَتَمِشِي بِهِ شُمَّ الْأَنْفُوفِ عُدَاتُهُ * وَرَبُّ الْحِمَى يَمْشِي بِأَنْفٍ مُجْدَعٍ
(٦)
عَزِيزٌ عَلَيْهِ يَا بَنِي الشَّرْقِ أَنْ تُرَى * كَوَاكِبُهُ فِي أَفْقِهِ غَيْرَ طُلُوعٍ
(٧)
وَأَعْلَامُهُ مِنْ فَوْقِهِ غَيْرَ خُفْيٍ * وَأَقْلَامُهُ مِنْ تَحْتِهَا غَيْرَ شَرْعٍ
وَكَيْفَ يُوقَى الشَّرُّ أَوْ يُلْغَى الْمُنَى * عَلَى مَا تَرَى مِنْ شَمْلِهِ الْمُتَصَدِّعِ
فَإِنْ كُنْتَ قَوَّالًا كَرِيماً مَقَالُهُ * فَقُلْ فِي سَبِيلِ النَّيْلِ وَالشَّرْقِ أَوْ دَعِ

(١) يريد بالبيض : السيوف .

(٢) المدى : الغاية .

(٣) ندب التراث المضيع ، أى البكاء على ما خلفه العرب الأقدمون من مآثر ومفانير .

(٤) الدعامة : عماد البيت . والمتزعزع : المضطرب .

(٥) شُمَّ الأنوف : وصف يقال للسادة الأعزاء . والمجدع : المقطوع ، ويقال ذلك للدليل .

يقول : إن أعداء الشرق والطامعين فيه قد عزوا به وسادوا ، وأهله ذلوا به وأستكانوا . ويشير بذلك إلى ما يجتته الامتيازات على الشرق .

(٦) الشرع : المسددة المصوبة إلى الغرض .

الى المحتفلين بتكريم حافظ

بيان قالها في المأدبة التي أقامها بعض أدباء الغرب في (جروبي) لتكريمه هو (وشوق) (ومطران)

[نشرت في ٣١ يناير سنة ١٩٢٨ م]

(١)
قَدْ قَرَأْنَاكُمْ فَهَشَّتْ نُهَانَا * فَأَقْتَبَسْنَا نُورًا يُضِيءُ السَّبِيلَا
فَأَقْرَأُونَا وَمَنْ لَنَا أَنْ تُصَيِّبُوا * يَبِينُ أَفْكَارِنَا شُعَاعًا ضَبِيلَا

تحية لجمعية المرأة الجديدة

[نشرت في ١٢ أبريل سنة ١٩٢٨ م]

إِلَيْكُنَّ يُمْدِدُ النَّيْلُ أَلْفَ تَحِيَّةٍ * مُعْطَرَةٌ فِي أَسْطُرٍ عِطْرَاتِ
(٢)
وَيُنْبِي عَلَى أَعْمَالِكُنَّ مُوَكَّلِي * بِإِطْرَاءِ أَهْلِ الْبِرِّ وَالْحَسَنَاتِ
أَقْتُنَّ بِالْأَمْسِ الْأَسَاسَ مُبَارَكَا * وَجِئْتَنَّ يَوْمَ الْفَتْحِ مُقْتَبِطَاتِ
صَنَعْتَنَّ مَا يُعْيِي الرِّجَالَ صَنِيعُهُ * فَزِدُّنَنَّ فِي الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ
يَقُولُونَ: نِصْفُ النَّاسِ فِي الشَّرْقِ عَاطِلٌ * نِسَاءٌ قَضَيْنَ الْعُمَرَ فِي الْحُجَرَاتِ
وَهَذِي بَنَاتُ النَّيْلِ يَحْمِلْنَ لِلنَّهْيِ * وَيَغْرِسْنَ غَرْسًا دَائِي الثَّمَرَاتِ

(١) قرأناكم، أي قرأنا ما أنشأتموه من نظم ونثر.

(٢) موكلتي، أي أن النيل قد أنابه عنه في إبلاغهن ثناءه عليهن وشكره لهن.

(١) وفي السَّنةِ السَّوداءِ كُنْتُ قُدْوَةً * لَنَا حِينَ سَالَ الْمَوْتُ بِالْمُهْجَاتِ
(٢) وَقَفْتُ فِي وَجْهِ الْخَيْسِ مُدَجِّجًا * وَكُنْتُ بِالْإِيْمَانِ مُعْتَصِمَاتِ
(٣) وَمَا هَالِكُنَّ الرُّخَّ وَالسَّيْفُ مُصَلَّتَا * وَلَا الْمِدْفَعُ الرَّشَاشُ فِي الطَّرْقَاتِ
تَعَلَّمَ مِنْكَ الرِّجَالُ فَأَصْبَحُوا * عَلَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ أَهْلَ بَبَاتِ
(٤) صَفِيَّةٌ قَادَتُكَ لِلْجِدِّ وَالْعُلَا * كَمَا كَانَ (سَعْدٌ) قَائِدَ السَّرَوَاتِ
عَرَفْنَا لَهَا فِي جِدِّ (سَعْدٍ) نَصِيْبَهَا * مِنْ الْحَزْمِ وَالْإِقْدَامِ فِي الْأَزْمَاتِ
تُهَوَّنُ لِلشَّيْخِ الْجَلِيلِ هُجُومَهُ * عَلَى الْمَهْوِلِ بِالتَّشْجِيعِ وَالْبَسَامَاتِ
(٥) وَتَدْفَعُهُ لِلْمَوْتِ وَالتَّنْفِيسِ بِاسْمٍ * وَفِي صَدْرِهَا نَوْءٌ مِنَ الزَّفَرَاتِ
(٦) كَذَا فَلْيَكُنْ صُنْعُ الْكَرِيمِ وَصَبْرُهُ * عَلَى دَهْرِهِ وَالْدَّهْرِ غَيْرُ مُوَائِي
لِتَحْيَ الْغَوَايِي فِي ظِلَالِ مَلِيكَةٍ * سَمَتْ فِي مَعَالِيهَا عَلَى الْمَلِكَاتِ
وَزَلَّ (فَوَادٍ) مَفْخَرُ الشَّرْقِ كُلِّهِ * كَثِيرَ الْأَيْدِي صَادِقَ الْعَزَمَاتِ

(١) يريد بالسنة السوداء : سنة ١٩١٩ م التي احتدمت فيها نار الثورة الوطنية ، وقد أخذ السيدات
المصريات من الجهاد فيها بنصيب وافر . (٢) الخيس : الخبيث . والمدجج : لايس السلاح .
ويشير بهذا البيت وما بعده الى مظاهره السيدات التي تعرض لها الجنود ايام اشتعال الثورة الوطنية ، وثبت
السيدات لهم ولم يفرقن ؛ وقال حافظ في هذه الحادثة قصيدته المعروفة التي اوتوها :
خرج الغوايى يتحججون * ورحلت ارقب بجمعتهم

(٣) المصلت : المجرد من غمده . (٤) سروات الناس : أشرفهم .
(٥) نوء من الزفرات ، أى تفل منها تنوء باحتماله . (٦) المواقي : الموافق .

إلى محمد حسين هيكل بك و خليل مطران بك

قالها في مناظرة كانت بين هيكل ومطران في مدرّج كلية الآداب، موضوعها :

“هل الأدب العربي قديمه وحديثه يكفى وحده لتكوين الأديب ؟”

[نشرت في ١٨ أبريل سنة ١٩٢٨ م]

(١) سَمِ الْخَطِيبَانِ فِي الْمَعَالِي * وَجَازَ شَأَوُهُمَا السَّمَاءَا

(٢) جَالَا فَلَمْ يَتْرُكََا جَمَالَا * وَاعْتَرَكَا بِالنُّهَى عِمْرَا

فَلَسْتُ أُدْرِى عَلَى اخْتِبَارِي * مَنْ مِنْهُمَا جَلَّ أَنْ يُجَاحَى

فَوَحَى عَقْلِي يَقُولُ : هَذَا * وَوَحَى قَلْبِي يَقُولُ : ذَاكَ

(٣) وَدِدْتُ لَوْ كُلَّ ذِي غُرُورٍ * أَمَسَى لِنَعْلَيْهِمَا شِرَا

تحية الشام

أُنشدتها في الحفل الذي أقيم لسماع هذه القصيدة بالجامعة الأميركية ببيروت

[نشرت في ٢ يونيو سنة ١٩٢٩ م]

(٤) حَيَّا بِكُورُ الْحَيَا أَرْبَاعَ بُنْيَانٍ * وَطَالَعَ الْيَمْنُ مَنْ بِالشَّامِ حَيَانِي

(٥) أَهْلَ الشَّامِ لَقَدْ طَوَّقْتُمْ عُنُقِي * بِيَنَّةٍ نَحَرَجَتْ عَنْ طُوقِ تَبْيَانِي

(١) الشَّوْرُ : الغاية . والسهك : أحد كوكبين يرين يقال لأحدهما : السهك الراح ، وللآخر :

السهك الأعزل . (٢) التهى : العقول ، الواحدة نبهة . (٣) شارك النمل : سيره

الذى يكون على ظهر القدم ، وهومثل فى القلة . (٤) بكورالحيا : المطر المبكر . والأرباع : المنازل

الواحد ربيع . وطالعه : طلع عليه . واليمن : البركة والخير . (٥) الطوق : الطائفة والجهد .

(١)
قُلْ لِلْكَرِيمِ الَّذِي أَسَدَى إِلَى يَدَا * أَنَّى تَزَحَّتْ فَانَتْ النَّازِحُ الدَّانِي
(٢)
مَا إِنْ تَقَاضَيْتُ نَفْسِي ذِكْرَ مَارِفَةٍ * هَلْ يَحْدُثُ الذِّكْرُ إِلَّا بَعْدَ نَسْيَانٍ
(٣)
وَلَا عَثَبْتُ عَلَى خَلٍّ يَضُرُّ بِهَا * مَا دَامَ يَزْهَدُ فِي سُكْرِي وَعِزِّفَانِي
أَقْرَعَيْنِي أَنَّى قُتُّ أُنْشِدُكُمْ * فِي مَعَهْدٍ بِحُلَى الْعِرْفَانِ مُزْدَانٍ
وَشَاعَ فِي سُرُورٍ لَا يُعَادِلُهُ * رَدُّ الشَّبَابِ إِلَى شَعْرِي وَجُتْمَانِي
لِي مَوْطِنٌ فِي رُبُوعِ النَّيْلِ أَعْظَمَهُ * وَلِي هُنَا فِي حِمَاكُمْ مَوْطِنٌ ثَانِي
إِنِّي رَأَيْتُ عَلَى أَهْرَامِهَا حُلَلًا * مِنْ الْجَلَالِ آرَاهَا فَوْقَ (لُبْنَانِ)
(٤)
لَمْ يَمُحْ مِنْهَا وَلَا مِنْ حُسْنِ جَدَّتِهَا * عَلَى التَّعَاقِبِ مَا يَمْحُو الْجَدِيدَانِ
حَسِبْتُ نَفْسِي تَزِيلًا بَيْنَكُمْ فَإِذَا * أَهْلِي وَمَعْنِي وَأَجْبَابِي وَجِيرَانِي
(٥)
مِنْ كُلِّ أَلْبَجٍ سَامِي الطَّرَفِ مُضْطَلِعٍ * بِالْخَطْبِ مُبْتَهِجٍ بِالضَّيْفِ جَذْلَانِ
(٦)
يَتَمَشَّى إِلَى التَّجْدِ مُخْتَلًا وَمُبْتَسِمًا * كَأَنَّهُ حِينَ يَسْدُو عُودُ مُرَّانِ

- (١) أسدى : بذل وأعطى . والد : المعروف والجليل . ونزح : هدم ، أى أنت إذا هدمت عنا
بجسمك ، قريب بذكرنا لأباديك علينا .
- (٢) تقاضى : طلب . والمارقة : المعروف . يريد أنه ما طلب إلى نفسه يوما أن تتذكر بجيلا أسدى
إليها ، فهي دائما تذكره ولا تنساه ، ولا يتذكر الإنسان شيئا إلا بعد نسيانه .
- (٣) يضر بها ، أى بالمارقة . وعزفانى ، أى مرقى .
- (٤) الجدة : ضد القدم . والجديدان : الليل والنهار ، ولا يفردان ، فلا يقال للواحد منهما : الجديد .
- (٥) الألبج : الطلق الوجه . وسامى الطرف : مرتفعه ، أى طموح الى المالى . واضطلع بالامر :
نهض به . والجذلان : القرح .
- (٦) المران : الزمان اللذة ، الواحدة مرانة . شبه بالريح فى استقامة القامة .

- (١) سَكَنَتْ جَنَّةً قِيَّاءَ لَيْسَ بِهَا * عَيْبٌ سِوَى أَتَمَّا فِي الْعَالَمِ الْفَانِي
(٢) إِذَا تَأَمَّلْتَ فِي صُنْعِ الْإِلَهِ بِهَا * لَمْ تَلَقَ فِي وَشِيهِ صُنْعًا لِإِنْسَانٍ
(٣) فِي سَهْلِهَا وَأَعَالِيهَا وَسَلْسِلِهَا * بُرءُ الْعَلِيلِ وَسَلْوَى الْعَاشِقِ الْعَانِي
(٤) وَفِي تَضْوِيعِ أَفْئَاسِ الرِّيَاضِ بِهَا * رَوْحٌ لِكُلِّ حَزِينٍ الْقَلْبِ أَسْوَانٍ
(٥) أَيْ تَحَيَّرْتَ مِنْ (لُبَّانٍ) مَزِلَّةً * فِي كُلِّ مَزِلَّةٍ رَوْضٌ وَعَيْنَانِ
(٦) يَأْلَيْتَنِي كُنْتُ مِنْ دُنْيَايَ فِي دَعَا * قَلْبِي جَمِيعٌ وَأَمْرِي طَوْعٌ وَجَدَانِي
(٧) أَقْضِي الْمَصِيفَ بَلْبَانٍ عَلَى شَرَفٍ * وَلَا أَحُولُ عَنِ الْمَشَقِّ (بُحُلُونٍ)
(٨) يَا وَقْفَةً فِي جِبَالِ الْأَرِزِ أَشْهَدُهَا * بَيْنَ الصَّنَوْبَرِ وَالشَّرِيبِ وَالْبَانِ
(٩) تَسْتَهْبِطُ الْوَحْيَ نَفْسِي مِنْ سَمَاوَتِهَا * وَيَنْتَنِي مَلَكًا فِي الشَّعْرِ شَيْطَانِي
(١٠) عَلَى أَجَاوِدُكُمْ فِي الْقَوْلِ مُقْتَدِيًا * بِشَاعِرِ الْأَرِزِ فِي صُنْعٍ وَإِتْقَانِ

- (١) النقيحة : الواسعة . (٢) الوحى : نعمة الثوب ونقشه وتحسينه ، شبه به اختلاف الألوان في الزهر والنبات . (٣) السلسل : الماء العذب السلس السهل . والعانى : المعذب . (٤) التضويع : انتشار الراحة . والروح : الراحة والرحمة . والأسوان : الحزين . (٥) « في كل » جواب « أنى » الشرطية . (٦) الدعة : السكون والراحة . وجميع ، أى غير متفرق ولا مشتت الشؤون . (٧) الشرف : المرتفع من الأرض . (٨) جبال الأرز : مرتفعات لبنان . والأرز : شجر معروف بها ، وكذلك الصنوبر . والشربين : شجر كالسرو إلا أنه أشد حمرة وأزكى رائحة وأعرض ورقاً وأصغر ثمرًا . والبان : شجر سبط القوام لين ورقه كورق الصفصاف ، الواحدة بانه ، وبه تشبه القدود . (٩) من سماواتها ، أى من أعلى هذه الجبال . (١٠) جاوده في القول ، أى باراه في جودته . ويريد « بشاعر الأرز » : خليل مطران بك .

(١)
لَا يَدْعُ ابْنُ أَخَصَبَتْ فِيهَا قَرَأْتُمْكُمْ * فَأَعْجَزَتْ وَأَعَادَتْ عَهْدَ (حَسَانِ)
طِيبُ الْهَوَاءِ وَطِيبُ الرُّوضِ قَدْ صَبَقَا * لَوْحَ الْجِبَالِ فَأَغْرَاكُمْ وَأَغْرَانِي
(٢)
مَنْ رَأَى أَنْ يَشْهَدَ الْفِرْدَوْسَ مَائِلَةً * فَلْيَغْشَ أَجْيَاءَكُمْ فِي شَهْرِ تَيْسَانَ
(٣)
تَاهَتْ بِقَبْرِ (صَلَاحِ الدِّينِ) تُرْبَتَا * وَتَاهَ أَحْيَاؤُهَا نَيْبَا (بِمَطْرَانِ)
يَبْنِي وَيَهْدِمُ فِي الشَّعْرِ الْقَدِيمِ وَفِي الشَّعْرِ الْحَدِيثِ فَنِعَمَ الْهَادِمُ الْبَانِي
(٤)
إِذَا لَمَحْتُمْ بِشِعْرِي وَمَضَ بَارِقَةٌ * قَبَّعْضُ إِحْسَانِهِ فِي الْقَوْلِ إِحْسَانِي
(٥)
رَعِيَا لِسَائِعِرَكُمْ، رَعِيَا لَكَائِيكُمْ * جَزَاهُمَا اللَّهُ عَنِّي مَا يَقُولَانِ
أَرَى رِجَالًا مِنَ الدُّنْيَا الْجَدِيدَةِ فِي الدُّنْيَا الْقَدِيمَةِ تَبْنِي خَيْرَ بُيُوتَانِ
قَدْ شِيدُوا آيَةً بِالشَّامِ خَالِدَةً * شَتَّى الْمَنَاهِلِ تَرَوِي كُلَّ ظَمْآنِ
(٦)
لَئِنْ هَدَوْتُمْ لَقَدْ كَانَتْ أَوَائِلُكُمْ * تَهْدِي أَوَائِلَهُمْ أَزْمَانِ
(٧)
لَا غُرُوَانِ عَمَرُوا فِي الْأَرْضِ وَأَبْتَكُرُوا * فِيهَا أَفَانِينَ إِصْلَاحِ وَعُمُرَانِ

(١) يريد بحسان : حسان بن ثابت الأنصاري الشاعر المعروف .

(٢) تيسان (بالفتح) : شهر من شهور السنة المسيحية ، وهو يقابل أبريل .

(٣) يريد بصلاح الدين : الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب مؤسس الدولة الأيوبية بمصر ، ورجل الحروب الصليبية المعروف ، وكانت وفاته بدمشق سنة ٥٨٩ هـ . ويريد بمطران :

خليل مطران بك الشاعر المعاصر المشهور . (٤) الومض : اللعان .

(٥) يريد « بالدنيا الجديدة » : أمريكا . و« بالبنات » : الجامعة الأمريكية ببيروت التي

أنشد فيها الشاعر قصيدته هذه . (٦) يشير إلى فضل الشرق قديما على العالم . ويريد بقوله :

« أزمان أزمان » : الإيمان في القدم . (٧) لا غرو : لا عجب . والأفانين : الضروب

الواحد أفنون (بالضم) .

(١) فَبَلَكَ دُنْيَاهُمْ فِي الْحَوْقِ قَدْ تَزَعَتْ * أَعْنَةَ الرِّيحِ مِنْ دُنْيَا مُسْلِمَانِ
(٢) أَبَتْ أُمَيَّةُ أَنْ تَقْنَى عَمَامُهَا * عَلَى الْمَدَى وَأَبَى أَبْنَاءُ غَسَّانِ
(٣) فَبِنْ غَطَارِقَةٍ فِي (جَلْقِي) تُجْبِي * وَمِنْ غَطَارِقَةٍ فِي أَرْضِ (حَوْرَانِ)
(٤) عَافُوا الْمَذَلَّةَ فِي الدُّنْيَا فَعِنْدَهُمْ * عِزُّ الْحَيَاةِ وَعِزُّ الْمَوْتِ سَيَّانِ
لَا يَصْبِرُونَ عَلَى ضَمٍّ يُحَاوِلُهُ * بَاغٍ مِنَ الْإِنْسِ أَوْ طَائِفٍ مِنَ آلِجَانِ
شَقَقْتُ أَسْوَاقَ (يَبُورِ) فَمَا أَخَذْتُ * عَيْنَايَ فِي سَاحِلِهَا حَانُوتَ يُونَانِي
فَقُلْتُ فِي غِبْطَةٍ : لِلَّهِ دَرُّهُمْ * لَيْسَ الْقَلْحُ لِوَانٍ غَيْرِ يَقْظَانِ
(٥) تَيَمَّمُوا أَرْضَ كُؤُلُبٍ فَمَا شَعَرْتُ * مِنْهُمْ بَوْطَةَ غَرِيبِ الدَّارِ حَيْرَانِ
(٦) سَادُوا وَشَادُوا وَأَبْلَوْا فِي مَنَاكِهَا * بَلَاءَ مُضْطَلِّعٍ بِالْأَمْرِ مِعْوَانِ
(٧) إِنْ ضَاقَ مَيْدَانُ سَبَقِي مِنْ عِزَائِهِمْ * صَاحَتْ بِهِمْ فَأَرْوَاهَا أَلْفَ مَيْدَانِ

(١) الأعنة : جمع عنان ، وهو سير الحمام الذي تمسك به الدابة . وسليمان ، هو سليمان بن داود عليه السلام . ويشير بهذا الى تفوق الأمر يكيين في الطيران . (٢) الغسانيون : أمراء نخوم الشام قديما من العرب ، وكانت لهم فيها حضارة ، ثم كان الشام ملك بني أمية ، وكانت دمشق دار خلافتهم نحو تسعين عاما ، وإلى هاتين الدولتين يشير الشاعر .
(٣) الغطارقة : الأشراف والسادة ، الواحد غطريف (بالكسر) . وجلق (بكسرتين وتشديد اللام) اسم لكورة الغولة كلها ، أو هي دمشق نفسها . وحوران (بالفتح) : كورة واسعة من أعمال دمشق ذات قرى كثيرة ومزارع . (٤) عافوا : أبوا وكروها . (٥) تيمموا : قصدوا . وأرض كؤلب : أمريكا ، نسبة الى كاشفها كريستوف كولم . يشير الى هجرة الشاميين إليها واستيطانهم لها حتى أصبحوا كأنهم من أهلها . (٦) ابلاوا في مناكها : جدوا واجتهدوا في نواحيها . ومضطلع بالأمر : تاهض به قوى عليه والمعوان (بالكسر) : الحسن المعونة الكثيرها .
(٧) الضمير في « صاحت » يعود على عزائهم .

لَا يَسْتَشِيرُونَ إِنْ هُمَا سَوَى هِمِّ * تَأْتِي الْمَقَامَ عَلَى ذُلٍّ وَإِذْعَانٍ^(١)
وَلَا يُبَالُونَ إِنْ كَانَتْ قُبُورُهُمْ * ذُرَا الشَّوَاخِ أَوْ أَجْوَافِ حِيتَانٍ^(٢)
فِي الْكَوْنِ مَوْرُقُهُمْ فِي الشَّامِ مَغْرُسُهُمْ * وَالْفَرْسُ يَزْكُو نَقَالًا بَيْنَ بُلْدَانٍ^(٣)
إِنْ لَمْ يَقْضُوا بِسُلْطَانٍ يُقْرَهُمْ * فِي الْمُهَاجِرِ قَدْ عَزَّوْا بِسُلْطَانٍ
أَوْ ضَاقَتِ الشَّامُ عَنْ بُرْهَانٍ قُدْرَتِهِمْ * فَنَى الْمُهَاجِرِ قَدْ جَاءُوا بِبُرْهَانٍ
إِنَّا رَأَيْنَا كِرَامًا مِنْ رِجَالِهِمْ * كَانُوا عَلَيْهِمْ لَتَيْنَا خَيْرَ عُتُونٍ
أَتَى التَّقِينَا التَّقَى فِي كُلِّ مُجْتَمَعٍ * أَهْلُ بَاهِلٍ وَإِخْوَانُ بِلَاخْوَانٍ
كَمْ فِي نَوَاحِي رُبُوعِ النَّيْلِ مِنْ طُرْفٍ * (لِلْيَازِجِيِّ) وَ (صَرُوفٍ) وَ (زَيْدَانٍ)^(٤)
وَكَمْ لِأَخْيَانِهِمْ فِي الصُّخْفِ مِنْ أَثَرٍ * لَهُ (الْمُقَطَّمُ) وَ (الْأَهْرَامُ) رُكْنَانِ^(٥)
مَتَى آرَى الشَّرْقَ أَدْنَاهُ وَأَبْعَدَهُ * عَنْ مَطْمَعِ الْغَرَبِ فِيهِ غَيْرَ وَسْنَانٍ^(٦)
تَجْرِي الْمَوَدَّةُ فِي أَعْرَاقِهِ طُلُقًا * يَكْهَرِيهِ الْمَاءُ فِي أَثْنَاءِ أَفْنَانٍ

- (١) ذرا الشواخ: أعالي الجبال . (٢) موركهم، أى حيث آثارهم النظرة وأعمالهم الناجحة؛ وهو من ورق الشجريق (وزان وعد بعد)، أى ظهر ورقه . يقول: إن آثارهم الباهرة وأعمالهم الموقفة في مختلف نواحي العالم، وموطنهم الذى نشأوا فيه بلاد الشام . ويزكو: ينمو . شبههم بالفرس الذى يستفيد من تغيير بيئته وترابه قوة ونماء . (٣) المهاجر (الضم وفتح الجيم): اسم المكان من هاجر . (٤) المقطم والأهرام: صحيفتان مصريتان معروفتان أحدهما من إخواننا اللبنانيين . (٥) الرستان: النائم . (٦) طلقا: متلفة . والأفنان: الأغصان، الواحد فن بالتحريك . والذى في نسخة الديوان أفنا. أفنان؛ ولم نجد لقوله « أفنا » معنى يناسب سياق البيت . وقد أثبتناها بالتاء مكان الفاء نقلا عن الشاعر نفسه .

لَا فَرْقَ مَا بَيْنَ بُودَى يَعِيشُ بِهِ * وَمُسْلِمٍ وَيُودِيٍّ وَتَضَرَّيَ
(١)
مَا بِالْ دُنْيَاهُ لَمَّا فَاءَ وَارِفُهَا * عَلَيْهِ قَدْ أَدْبَرَتْ مِنْ غَيْرِ إِذَا بَاتِ
(٢)
عَهْدُ (الرَّشِيدِ) (بِقَدَادِ) عَفَا وَمَضَى * وَفِي (دِمَشْقِ) (أَنْطَوَى) عَهْدُ (ابْنِ مَرْوَانَ)
(٣)
وَلَا تَسَلْ بَعْدَهُ عَنْ عَهْدِ (قُرْطَبَةَ) * كَيْفَ أُنْمَحَى بَيْنَ أَسْيَافٍ وَنِيرَانِ
فَعَلَّمُوا كُلَّ حَىٍّ عِنْدَ مَوْلَاهُ : * عَلَيْكَ اللَّهُ وَالْأَوْطَانِ دِينَارِ
(٤)
حَتْمٌ قَضَاؤُهُمَا، حَتْمٌ جَزَاؤُهُمَا * فَأَرَبَا بِنَفْسِكَ أَنْ يُنْمَى بِجُحْرَانِ
(٥)
(النَّيْلِ) وَهُوَ إِلَى (الأُرْدُنِّ) فِي شَغَفٍ * يُهْدِي إِلَى (بَرْدَى) أَشْوَاقَ وَلَهَانِ
(٦)
وَفِي (العِصْرَاقِ) بِهِ وَجَدٌ (بِدَجَلَتِهِ) * وَ(بِالْفُصْرَاتِ) وَتَحْنَانُ (السَّيْحَانِ)
(٧)
إِنْ دَامَ مَا تَحْنُ فِيهِ مِنْ مُدَابَرَةٍ * وَفِتْنَةٍ بَيْنَ أَجْنَابِ وَأَذْيَانِ
(٨)
رَأَيْتُ رَأَى (المَعْرَى) سَحِينٌ أَرْهَقَهُ * مَا حَلَّ بِالنَّاسِ مِنْ بَغْيٍ وَعُدْوَانِ

- (١) فاء وارفها : أقبل غيرها ونعيمها . والوارف : الظل المنتشر المتسع . والإبذان : الإعلام .
(٢) يشير إلى عهد بغداد الحافل أيام الرشيد من (سنة ١٧٠ هـ) (سنة ٧٨٦ م) إلى (سنة ١٩٣ هـ) (سنة ٨٠٩ م) وإلى عهد دمشق الزاهر أيام بنى أمية ؛ وقد بقيت فيها الخلافة ٩٠ عاماً من (سنة ٤١ هـ) (سنة ٦٦١ م) إلى سنة (١٣٢ هـ) (سنة ٧٥٠ م) . (٣) قرطبة : بلد معروف بالأندلس . ويريد بههنا : دولة العرب بها . (٤) يقال : إنى أدبأ بك من هذا الأمر ، أى أضعك عنه ولا أرضاه لك . وتحنى : تصاب . (٥) الأردن : نهر معروف بالنعام ، يصب في البحر الميت . ويردى (بالتحريك) : نهر بدمشق . (٦) دجلة والفرات : نهران معروفان في العراق بصبان في الخليج الفارسي . ويريد «سيحان» : نهر سيحون في آسيا الوسطى الروسية الذى يصب في بحر آرال . (٧) المدابرة : المقاطعة . (٨) أرهقه : آذاه . والمعزى ، هو أبو العلاء المعرى الشاعر المعروف .

(١) لَا تَطْهَرُ الْأَرْضُ مِنْ رَجِيسٍ وَمِنْ دَرَنِ * حَتَّى يُعَاوِدَهَا (نُوحٌ) بِطُوفَانٍ
(٢) وَلَى الشَّابَابُ وَجَازَتْنِي قُوَّتُهُ * وَهَدَمَ السَّقْمُ بَعْدَ السَّقْمِ أَرْكَانِي
(٣) وَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى السَّيْنِ أَسْأَلُهَا * أَسَوْفَتْ أَمْ أَمَدَّتْ حُرَّ أَكْخَفَانِي
(٤) شَاهَدْتُ مَضْرَعَ أَتْرَابِي فَبَشَّرَنِي * بِضُجْعَةٍ عِنْدَهَا رَوْحِي وَرَيْحَانِي
كَمْ مِنْ قَرِيبٍ نَأَى عَنِّي فَأَوْجَعَنِي * وَكَمْ عَزِيزٍ مَضَى قَبْلِي فَأَبْكَانِي
(٥) مَنْ كَانَ يَسْأَلُ عَنْ قَوْمِي فَلَانَهُمْ * وَلَوْ سِرَامًا وَخَلَّوْا ذَلِكَ الْوَانِي
إِنِّي مَلَيْتُ وَقُوفِي كُلَّ آوِيَةٍ * أَبْكِي وَأَنْظِمُ أَحْزَانًا بِأَحْزَانٍ
إِذَا تَصَفَّحْتَ دِيوَانِي لَتَقْرَأَنِي * وَجَدْتَ شِعْرَ الْمَرَاثِي نِصْفَ دِيوَانِي
(٦) أَتَيْتُ مُسْتَشْفِيًا وَالشُّوقُ يَدْفَعُ بِي * إِلَى رَبَابِكُمْ وَعُسُودِي غَيْرُ فَيْتَانٍ
(٧) فَأَنْزِلُونِي مَكَانًا أَسْتَجِمُّ بِهِ * وَيَجْعَلِي عَنْ قُوَادِي بَرْحُ أَحْزَانِي
(٨) وَجَنَّبُونِي عَلَى سُكْرِ مَوَائِدِكُمْ * بِمَا حَوَتْ مِنْ أَفَاوِيهِ وَالْوَانِ
حَسْبِي وَحَسْبُ الْهُبَى مَا نَلَيْتُ مِنْ كَرَمٍ * قَدْ كِدْتُ أُنْسِي بِهِ أَهْلِي وَخُلَانِي

- (١) الرجس : النجس . والدون : الدنس . ونوح ، هو نوح النبي عليه السلام ، وقصة الطوفان في عهده معروفة ، ورد ذكرها في القرآن . ويشير بهذا البيت الى قول أبي العلاء :
والأرض للطوفان مشتاقة * لعلها من درن تغسل
- (٢) جازتني : خلفتني وتركنتني . (٣) حركل شيء : خالعه . (٤) الروح : الراحة .
(٥) الواني : أي المتأخر عنهم . (٦) غير فيتان ، يريد أن عوده ذابل ذاو . والفيتان من النبات : ما طال منه وحسن . (٧) استجيم : استريح . والبرح : الأذى والسقم .
(٨) يريد «بالأفاويه» : التوابل .

تهنئة محمد محمود باشا

بلقب دكتور الشرف في الحقوق الذي منحه إياه جامعة أكفورد، وكان رئيسا للوزارة إذ ذاك

[نشرت في ٢٦ مايو سنة ١٩٢٩م]

شَرُفَ الرَّاسَةِ يَا مُحَمَّدُ زَانَهُ شَرُفَ النَّهْيِ
 بُرْدَانٍ مِنْ نَسِجِ الْجَلَا * لِإِلِيْهِمَا الْفَخْرُ أَتَيْتَ
 جَعَلَا مَقَرَّكَ يَا مُحَمَّدُ فَوْقَ أَكْنَافِ السَّهْلِ^(١)
 زَانَتِكَ أَلْقَابُ الرَّجَا * لِإِلِ الْعَامِلِينَ وَزَيْتَهَا
 أُمِّيَّةٌ قَدْ نَالَهَا * أَمَلُ الْخُلُودِ وَنَيْلَهَا
 فَاسْلُكْ سَبِيلَكَ فِي الْجَهَا * دُمُوقًا وَمُتَرَهَا
 وَأَحْفَظْ لِمَصْرَ حُقُوقَ مِصْرٍ * رَفَائَتَ فِي الْجُلَى لَهَا^(٢)

إلى الدكتور علي إبراهيم بك (باشا)

فالها وقد عمل الدكتور عملياً لصاحب الدولة محمد محمود باشا

[نشرت في ٢٥ يولييه سنة ١٩٣٠م]

أَيَا يَدَا قَدْ خَصَّاهَا رُبُّهَا * بَأَيَّةِ الْإِعْجَازِ فِي الْخَلْقِ
 وَمِشْرَطًا جَمَعَ مِنْ رَحْمَةٍ * وَصَيَغَ مِنْ يَمِينٍ وَمِنْ رِيفِي
 نَجِيَّتًا مِنْ مَرِيضٍ قَاتِلٍ * مَطْلَعِ آمَالِ بَنِي الشَّرْقِ

(١) المهمل : كوكب خفي من بنات نعش الصغرى . (٢) الجلى : ما جل من الشدائد .

لَوْلَا كُنَّا لَأَنْدَكَ صَرْحُ الْعَلَا * وَأَنْحَدَرَ الْبَدْرُ عَنِ الْإَفْقِ
وَبَاتَتْ الْأَخْلَاقُ فِي حَسْرَةٍ * عَلَى نَيْبِلِ النَّفْسِ وَالْخُلُقِ
صَانِكُ اللَّهِ لِبُرِّهِ الْوَرَى * وَصَانَهُ لِلْعُرْفِ وَالْحَقِّ^(١)

وقال فيه أيضا :

(ارتجلهما في حفل أقيم لتكريمه سنة ١٩٣٠ م)
(٢) قُلْ لِلطَّيِّبِ الَّذِي تَعْنُو الْجِرَاحُ لَهُ * مَاذَا أَعْتَدْتِ لَجُرْحِ الْعَاشِقِ الْعَانِي
(٣) قَدْ كَانَ مَبْضَعُهُ وَالْجُرْحُ يَرْمُقُهُ * يُبْنَى الْحَيِّبِ تُوَامِي صَدْرَ وَهْشَانِ

الى المستشار محمود غالب بك^(٤)
والأستاذ أحمد لطفى السيد بك مدير الجامعة المصرية

[نشرت في ٢١ مارس سنة ١٩٣٢ م]

قَدْ رَاعَ دَارَ الْعَدْلِ طُعْنَهُ * بَيَانُ وَرَاعَ الْجَامِعَةِ
حَقْمَتُهُمَا حَرَمِيَّتُهُمَا * وَغَمَ الْخَطُوبِ الْفَاجِعَةُ

(١) العرف : الخبر والجود . (٢) تمنو : تخضع وتذل . واعتدلت ، أى أهدت .
والعاني : الأسير . (٣) المبضع : المشرط . (٤) يشير الشاعر بهذه القصيدة الى حادثتين :
إحداهما ، أن محمود بك غالب (محمود باشا الآن) المستشار بحكمة الاستئناف كان رئيسا لإحدى دوائر
محكمة الجنائيات ، وقد عرضت على الدائرة التى يرأسها قضية القنابل المروقة ، اتهم فيها جماعة بالقاء
القنابل على بيوت بعض الكبراء ، واستمر غالب بك يتظر هذه القضية ثلاث جلسات ، فلما كانت الجلسة
الرابعة يوم ٢٣ مارس سنة ١٩٣٢ تقضى عن النظر فيها ، وقال : إنه يرى من الحكمة أن يمسك عن ذكر
الأسباب التى حملته على هذا التنعى . وإنه لم يحضغ فى هذا إلا لسلطان ضميره . والثانية ، أن الأستاذ
أحمد لطفى السيد بك (لطفى السيد باشا الآن) مدير الجامعة كان قد استقال من منصبه فى ٩ مارس سنة ١٩٣٢ م
لنقل الدكتور (طله حسين) عميد كلية الآداب الى وزارة المعارف بدون رضا ، ودون رضا الجامعة .

(١)

وَقَهَرْتُمَا الْبَاغِيَ عَلَى * رَدِّ الْحُقُوقِ النَّاصِعَةِ

(٢)

لِلَّهِ دَرُّ الْمُسْتَسَا * رٍ وَدَرُّ ذَلِكَ الْبَاقِعَةِ

فُهُمَا اللَّذَانِ تَكْفَلَا * عَنَّا بِصَدِّ الْقَارِعَةِ

(٣)

نَظَرَ الْحَيَادُ بَعَيْنَهُ * فِي النَّاسِ هَوْلَ الْوَاقِعَةِ

(٤)

أَمْسَى الْمُحَايِدُ أَنْ يَرَى * مِصْرَ الْعِزِّيزَةِ ضَارِعَةِ

كَذَّبَ الْحَيَادُ فَلَنْ تَكُورَ * نَ جُهِودُ مِصْرٍ ضَائِعَةِ

(٥)

فَالْحَقُّ لَا تُلَوِّى بِهِ * تِلْكَ السُّيُوفُ الْأَمِيعَةِ

أَصْبَحْتُ أَسْأَلُ خَاطِرِي * وَالنَّفْسُ مِنِّي جَارِعَةِ

أَنْعِشْ تَحْتَ اللَّيْلِ أُم * تَحْتَ الشُّمُوسِ السَّاطِعَةِ

الى الدكتور طه حسين

أنشدما في حفل أقيم للدكتور فتلقينا هاتين من طلبة الجامعة بعد فصله من منصبه

[تسرا في ٧ أبريل سنة ١٩٣٢ م]

(٦)

قَدْ أَجْدَبَتْ دَارَ الْحِجَا وَالنَّهْيَ * بَعْدَكَ مِنْ آرَائِكَ النَّافِعَةِ

وَأَخْصَبَتْ أَرْجَاءُ مِصْرٍ بَيْنَ * صَيِّرَ مِصْرًا كُلَّهَا جَامِعَةِ

(١) الناصعة، أى الظاهرة التى لا يسع أحدا نكرانها . (٢) الباقعة : الذكى العارف ، الذى

لا يغوته شئ ولا يدهى . (٣) كنى «الحياذ» عن الإنجليز ، لأنهم كانوا فى هذا العهد يدعون أنهم على

الحياذ فى الشؤون الداخلية فى مصر ، وأن المسئولية كلها على الوزراء المصريين . (٤) ضارعة : ذليلة .

(٥) ألوى بالشئ : ذهب به . (٦) يريد «بدار الحجا والنهى» : الجامعة المصرية .

تهنئة المغفور له جلالة الملك فؤاد بعيد جلوسه

(١) أَرَأَيْتَ رَبَّ السَّجِّ فِي * عِيدِ الْجُلُوسِ وَقَدْ تَبَدَّى
 وَشَهِدَتْ جَبْرِيلاً * عَلَيْهِ ظِلُّ اللَّهِ مَدَا
 وَنَظَرَتْ تَطَوَّافَ الْقُلُوبِ * بِسَاحَةِ الْعَرْشِ الْمُفَدَّى
 وَسَمِعَتْ تَسْبِيحَ الْوُفُودِ * دِيحَمِيهِ وَقَدْ فَوَّدا
 هَذَا ابْنُ إِسْمَاعِيلَ رَبِّ * النَّيْلِ مَنْ أَغْنَى وَأَسَدَى
 النَّيْلُ يَجْرِي تَحْتَهُ * فَيَخُذُ وَجْهَ الْأَرْضِ خُذَا
 يَهْبُ النَّضَارَ كَأَنَّهُ * مِنْ فَيْضِ جَدَّوَاهِ أَسْمَدَا
 وَكَأَنَّمَا هُوَ عَالِمٌ * بِالْكِيَمِيَاءِ أَصَابَ جَدَا
 يَدْعُ الثَّرَى تَبّاً فَهَلْ * شَهِدَ الْوَرَى لِلنَّيْلِ نَدَا
 النَّاسُ يَوْمَ جُلُوسِهِ * يَسْتَقْبِلُونَ الْعَيْشَ رَغْدَا
 أَنَّى سَلَكَتَ سَمِعْتَ أَدَّ * عِيَّةً لَهُ وَسَمِعْتَ حَمْدَا
 عِشْ يَا (أَبَا الْفَارُوقِ) وَالِدَ * بَسْمٍ مِنْ نَسِيحِ الْحَمْدِ بُرْدَا
 هَا صَوْلِحَانَ الْمَلِكِ مِنْ * شَجَرِ الْجَنَانِ إِلَيْكَ يُهْدَى

(١) تبدى : بدا وظهر . (٢) أسدى : أعلى . (٣) يخذ : يشق .

(٤) النضار : الذهب . والجودي : المعطية والمعروف . (٥) الجدة : الحظ .

(٦) الصولحان : العصا المنعطفة الرأس ؛ والجمع صوالجة ؛ وهو لفظ فارسي معرب ؛ ويقال :

صولحان الملك ، لأن الملك قديماً كانوا يخذونه شعاراً لللك .

المديح والتهاني

١٤٥

(١)
حَدَّثَ عَلَا صَيْدِ الْمُلُو * كِ وَلَا أَرَى لُعْلَاكَ حَدَا
(٢)
فَأَبْرِبَ الرَّجَالَ بِنَايَةً * يَشْقَى الْعَدُوَّ بِهَا وَيَرْدَى
(٣)
وَأَضْرِبَ بَسَوطِ الْبَاسِ أَعْدَا * طَافَ الزَّمَانُ إِذَا اسْتَبَدَّ
أَيُّ الْمُلُوكِ أَجَلُ مِنْ * لَكَ مَكَانَةٌ وَأَعَزُّ جُنْدَا ؟
(٤)
مَنْ مِنْهُمْ كَفَاهُ يَوْمَ * مَ الْبَدَلِ مِنْ كَفِّكَ أُنْدَى ؟
مَنْ مِنْهُمْ نَامَتْ رَعَا * تَهُ وَقَامَ اللَّيْلَ مُسَهْدَا ؟
(٥)
مَنْ مِنْهُمْ سَامَاكَ أَوْ * سَامَى جَلَالِكَ أَوْ تَحْدَى ؟
(٦)
مَنْ مِنْهُمْ أَوْفَى حِجَا * وَحَصَافَةٌ وَأَبْرُوعَدَا ؟
فِي الشَّرْقِ فَانْظُرْ هَلْ تَرَى * حَسَبًا (كَلِشْمَاعِيلَ) عُدَا ؟
(٧)
هَذِي (الْجَزِيرَةُ) وَالْعِرَا * قُ (وَفَارِسُ) يُهْدِنُ هَذَا
وَالِيكَ (مَكَّةَ) هَلْ تَرَى * أَحَدًا بِهَا وَإِلَيْكَ (تَجْدَا)
وَالِيكَ (تُونِسَ) وَالْجَزَا * رُ (قَدْ لَيْسَنَ الْعَيْشَ نَكْدَا
لَمْ يَرْتَفِعْ فِي الشَّرْقِ تَا * جُ فَوْقَ تَاجِ (النَّيْلِ) جَدَا
جَدَّدْتَ عَهْدَ (الرَّاشِدِ) * نَ (تَقَى) وَإِحْسَانًا وَزُهْدَا
وَنَرَى عَلَيْكَ خَيَالَ الْ * خُلَفَاءِ إِنْصَافًا وَرُشْدَا

(١) الصيد: جمع أصيد، وهو المتكبر المزهو. (٢) يردى: يهلك. (٣) الأعطاف: الجوانب، الواحد عطف (الكسر). (٤) أُنْدَى: استخفى. (٥) سَامَاكَ، أي غالبك في السمق. وتحداك: نازحك الغلبة. (٦) الحجا: العقل. والحصافة: جودة الرأي. (٧) يهدن هذا، أي إن أركان العمران تتداحى فيها.

(١)
جَلَّتْ صِفَاتُكَ، كَمْ نَحْوُ * تَ أَسَى وَكَمْ أَوْرَيْتَ زُنْدًا
(٢)
أَعْطَيْتَ لَا مُتَرَبِّحًا * أَوْ مُخْفِيًا فِي الْجُودِ قَصْدًا
(٣)
رَوَيْتَ أَفْئِدَةَ الرَّعْبِ * يَدِي مِنْ هَوَاكَ فَكَيْفَ تَصْدِي
(٤)
وَمَلَكَتُنَّ كَمَا مَلَكَ * تَ زِيَامَ (مِصْرَ) أَبَا وَجْدًا
فَإِذَا نَهَيْتَ فَطَاعَةً * وَإِذَا أَمَرْتَ فَلَا مَرَدًا
أَعْطَوْكَ طَاعَةَ مُخْلِصٍ * وَمَنْحَتَهُمْ عَطْفًا وَوُدًا
(٥)
أَوْضَحْتَ لِلْمُضَرِّي نَهْ * سَجَ صَلاَحِهِ فَسَعَى وَجْدًا
أَعَدَدْتَهُ وَكَفَلْتَهُ * وَرَعَيْتَهُ حَتَّى اسْتَعَدَا
وَدَعَوْتَهُ أَنْ يَسْتَرِدَّ * نَفَارَ مِصْرٍ فَاسْتَرَدَا
وَرَدَّ الْحَيَاةَ عَزِيزَةً * فَتَجَا وَكَانَ الْمَوْتُ وَرَدًا
وَحَمَى الْكِتَابَةَ بَعْدَ مَا * حَفَرَتْ لَهَا الْأَطَاعُ حُدَا
(٦)
فَتَّحْتَ أَعْيُنَنَا فَأَبَدَ * مِصْرَ الضَّيَاءِ وَكُنْ رُمْدًا
(٧)
وَأَقَمْتَ جَامِعَةً بِمِصْرَ * رَتَسُدَّ أَوْرَ الْعِلْمِ شُدَا
(٨)
كَمْ سَيِّدَ بِالْعِلْمِ كَا * نَ بَرِّغْمِهِ لِلْجَهْلِ عَبْدَا

(١) الأسي: الحزن. وإبراء الزند: كتابة عن إغاثة الملهوف وإجابة السائل. والأصل في إبراء الزند، استخراج ثاره. (٢) لا متربحاً، أى غير مترقب من وراء معروفك وإعطائك تفعلالك. (٣) تصدى: قظماً. (٤) الزمام (بالكسر): ما تقاد به الدابة. (٥) النهج: الطريق. وجد: اجتهد. (٦) الرمد: المصابة بالرمد، الواحدة رمداء. وكفى بذلك عن الجهل. و«بالضياء» عن العلوم والمعارف. (٧) تشد أورد العلم، أى تقويه وتمهضه. (٨) يقول: كم من رجل سوده العلم وكان قبل ذلك على الرغم منه عبداً للجهل.

(١)
 وَرَفَعْتَ فِي تَغْرِ الثُّغْوِ * رِ الْمُنَشَّاتِ الْبَحْرِ بِنْدَا
 أَسَسْتَ مَدْرَسَةً تُعِي * بَدُلْنَا بِمُلْكِ الْبَحْرِ عَهْدَا
 فَتَى أَرَى أَسْطُولَ مِصْرَ * رَ يُشِيرُ فَوْقَ الْبَحْرِ رَعْدَا
 وَمَتَى أَرَى جَيْشَ الْبِلَا * دِ يَسُدُّ عَيْنَ الشَّمْسِ سَدَا
 (٢)
 وَنَظَرْتَ فِي الطَّيْرَانِ نَظْ * رَةً مُصْلِحٍ لَمْ يَأَلْ جُهِدَا
 أَعَدَدْتَ عُذَّتَهُ وَلَمْ * تَرَمْنَهُ لِلْأَوْطَانِ بُدَا
 أَعْظَمَ بِأَسْطُولِ الْهَوَا * إِذْ أَنْبَرَى فَسَطًا وَشَدَا
 (٣)
 مَنْ رَأَاهُ يَوْمَ التَّرَا * لِي رَأَى النَّسُورَ تَصِيدُ أُسْدَا
 (٤)
 وَرَأَاهُ عِنْدَ السَّلِيمِ سِرْ * بَا مِنْ طَوَاوِيسَ تَبَدَّى
 (٥)
 وَطَوَائِفُ الْعَمَالِ كَمْ * أَوَّلَتْهَا رِفْدًا فِرْفِدَا
 مَنْ ذَا يُطِيقُ لَبِيعُ مَا * أَصْلَحَتْ أَوْ أَسَدَيْتَ عَدَا
 دُمْ يَا (فُؤَادُ) مُؤَيَّدَا * بِالْمَالِ وَالْأَرْوَاحِ تُقْدَى
 (٦)
 وَأَعِدْنَا عَهْدَ الْمُحَرِّ * زُ الْفَاطِمِيِّ فَأَنْتَ أَهْدَى

(١) يريد «بشر الثغور» الاسكندرية . والمنشآت : السفن . والبند : العلم الكبير ، فارسي . يشير إلى مدرسة البحرية التي أنشأها المغفور له الملك فؤاد الأول . (٢) لم يأل : لم يقصر . وفي عهد المغفور له الملك فؤاد الأول نظمت مصر الطيران ، وأنشأت أول أسطول جوي . (٣) رآه : رآه . والتزال : الحرب . (٤) السرب : جماعة الطير . والمعنى أن هذه الطائرات في أيام السلم تشبه الطواويس في الإعجاب بجمالها والاختيال بحسنها . (٥) الرند : العطاء والصلة . يشير إلى ما فاته تقابلات العمال في عهد جلالة من تأييد ومساعدات . (٦) كان «الحزب» رابع خلفاء الدولة الفاطمية ، ولى الخلافة سنة ١٠٣٤ . وتوفي سنة ١٠٣٦ . وفي أيامه دخل الفاطميون مصر ، وكان عهده من أزهى عصورها وأزهرها .

تهنئة لصاحب السعادة نجيب الهلالي بك

قال هذين البيتين مرتجلاً عند ما تولى وكالة المعارف للتعليم الفني والفنون الجميلة سنة ١٩٢٩ م

أَصْحَى (نَجِيبٌ) وَيَكَلَّا * لَنَا وَقِمْ الْوَكِيلُ
فَلْيَنْعَمِ الشَّعْرُ بَالًا * فَالشَّعْرُ فَرٌّ جَمِيلُ

التقريظات

تقريظ كتاب "فحول البلاغة" لمؤلفه السيد توفيق البكري^(١)

[نشر هذان البيتان في سنة ١٣١٣ هـ]

هَذَا كِتَابٌ مَذَّ بَدَا سِرُّهُ * لِلنَّاسِ قَالُوا : مُعْجَزٌ ثَانِي
أَتَأَبَّكَ اللَّهُ عَلَى جَمْعِهِ * ثَوَابَ (عُمَانَ بْنِ عَفَانَ)^(٢)

تقريظ "بحريدة مصباح الشرق" لصاحبها إبراهيم المويلحي بك^(٣)

أَهْلَ الصَّحَافَةِ لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ * فَسَمَّاؤُكُمْ قَدْ زَانَهَا (المِصْبَاحُ)
الْحَقُّ فِيهِ زَيْتُهُ، وَقَتِيلُهُ * صِدْقُ الْحَدِيثِ، وَنُورُهُ الْإِصْلَاحُ^(٤)

(١) ولد السيد توفيق البكري في سنة ١٨٧٠ م، وقد كان قنيا للأشراف ومشیخة الطرق الصوفية. كما كان عضواً بمجلس شورى القوانين. وكان يجيد اللغتين الفرنسية والانجليزية فوق إجادته للربية التي عدها من أئمة الأدب والبيان. وقد أنعم عليه السلطان عبد الحميد، وسمي الخديوي السابق بكثير من الأوسمة. وله غير هذا الكتاب، صهاريج اللؤلؤ، وأراجيز العرب، والمستقبل للإسلام؛ وتوفي رحمه الله يوم السبت ١٣ أغسطس سنة ١٩٣٢ م. (٢) خص «عثمان بن عفان» بالذكر لأنه هو الذي نال ثواب جمع القرآن. (٣) مصباح الشرق : صحيفة سياسية أدبية، وكانت تصدر في كل أسبوع في مصر، أنشئت في (سنة ١٣١٥ هـ) (سنة ١٨٩٨ م) واحتجبت في (سنة ١٣٢١ هـ). (٤) القتيل : جمع قتيلا، وهي ذبالة المصباح. (سنة ١٩٠٣ م).

تقريظ ديوان الشاعر الكاتب مصطفى صادق الرافعي

(سنة ١٣٢١ هـ - سنة ١٩٠٤ م)

- (١) أَرَاكَ - وَأَنْتَ تَبْتُ الْيَوْمَ - تَمَّشِي * بِشِعْرِكَ فَوْقَ هَامِ الْأَوَّلِينَا
(٢) وَأَوْتَيْتَ النَّبُوءَةَ فِي أَلْمَعَانِي * وَمَا دَانَيْتَ حَدَّ الْأَرْبَعِينَا
(٣) فَرَزْتُ تَاجَ الرَّأْسَةِ بَعْدَ (سَامِي) * كَمَا زَانَتْ فَرَائِدُهُ الْجَيْنَا
(٤) وَهَذَا الصُّوْبُلَانُ فَكُنْ حَرِيصَا * عَلَى مُلْكِ الْقَرِيضِ وَكُنْ أَمِينَا
(٥) فَحَسْبُكَ أَتْ مُطَرِّيكَ (أَبْنُ هَانِي) * وَأَنْتَ قَدْ غَدَوْتَ لَهُ قَرِينَا

(١) الهام : الروس ، الواحدة هامة .

(٢) يشير بهذا الى ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله : بعثت على رأس الأربعين .

(٣) يريد «سامي» : المرحوم محمود سامي البارودي باشا . انظر التعريف به في الحاشية رقم ٢ من صفحة ٧ . وفرائد اللؤلؤ : يتأمله التي لاتوائم لها .

(٤) الصوبلجان (في أصل معناه) : العصا المعوجة من طرفها ؛ وهو لفظ فارسي معرب ، ويقال : صوبلجان الملك ، لأن الملوك كانوا في القديم يحتضونه علامة على توليهم الملك .

(٥) مطريك : مادحك . ويريد «ابن هاني» : المرحوم أحمد شوقي بك ، وكان يلقب بابن هاني ، وسمى داره بالمطرية : كرامة ابن هاني تشبهاً بالحسن بن هاني المعروف بأبي نواس .

تهنئة المؤيد بداره وبمظهره الجديدين

[نشرت في ٢ أكتوبر سنة ١٩٠٦م]

(١)
أَحْيَيْتَ مَيِّتَ رَجَائِنَا بِصَحِيفَةٍ * أَتَيْتَ عَلَيْهَا الشَّرْقُ وَالْإِسْلَامُ
(٢)
أَفْخَحْتَ مُصَلِّىَ اللَّبْلَاغَةِ عِنْدَمَا * تَجَدَّتْ بِرَحْبٍ فِنَائِهَا الْأَقْلَامُ
فَعَلَى مُؤَيِّدِكَ الْجَدِيدِ تَحِيَّةٌ * وَعَلَى مُؤَيِّدِكَ الْقَدِيمِ سَلَامُ

تقريظ "حديث عيسى بن هشام"

(٣)
لصاحبه محمد المويلحي بك

[نشر في أول مارس سنة ١٩٠٧م]

قَلَمٌ إِذَا رَكِبَ الْأَنَامِلَ أَوْ جَرَى * تَجَدَّتْ لَهُ الْأَقْلَامُ وَهِيَ جَوَارِي
(٤)
يَخْتَالُ مَا بَيْنَ السُّطُورِ كَضَيْغِمٍ * يَخْتَالُ بَيْنَ عَوَامِلٍ وَشِفَارِ
(٥)
تَأْوِي الظُّبَاءَ إِلَيْهِ وَهِيَ أَوَانِسُ * وَتَحِيدُ عَنْهُ الْأَسَدُ وَهِيَ ضَوَارِي

- (١) يخاطب بهذا البيت وما بعده صاحب المؤيد وهو الشيخ علي يوسف . (٢) الفناء (بكسر الفاء) : الساحة أمام البيت . (٣) هو محمد بك ابن إبراهيم بك المويلحي ؛ ولد بالقاهرة سنة ١٨٥٨م ، وبعد أن أخذ حظه من التعلم تولى عدة مناصب في الحكومة المصرية ، واشترك في تحرير عدة صحف ، وكان هو وأبوه إبراهيم بك من أعلام الكتاب المشهورين في مصر إذ ذاك ، وهما صاحبا صحيفة مصباح الشرق . ومحمد بك المويلحي ، هو مؤلف كتاب عيسى بن هشام ؛ وتوفي يوم السبت أول مارس سنة ١٩٣٠م . (٤) الضيغ : الأسد ؛ ويريد به هنا : الشجاع . والعوامل : صدور الرماح ، الواحد عامل . والشفار : جمع شفرة ، وهي حدة السيف . (٥) الضواري : المدبرة على الصيد والاقتراس . يريد أن هذا القلم إذا رقى ولطف أنست إليه الظباء ؛ وإذا قسا : خافته الآساد .

- (١)
ما حال خُلُقِ المَاءِ بَيْنَ سَطُورِهِ * إِلَّا إِلَى خُلُقِ الزَّنَادِ الْوَارِي
فَإِذَا رَضِيَتْ فَأَحْرَفُ مِنْ رَحْمَةٍ * وَإِذَا غَضِبَتْ فَأَحْرَفُ مِنْ نَارِ
(٢)
يَابْنَ الَّذِي غَنَى الْبِرَاعُ بِكَفِّهِ * فَصَبَّتْ إِلَيْهِ مَسَامِعُ الْأَقْدَارِ
(٣)
لَكَ فِي دَيْمِي حَقٌّ أَرَدْتُ وَفَاءَهُ * يَوْمَ الْوَفَاءِ فَقَصَّرْتُ أَشْعَارِي
لَمْ يُنْسِنِي مَرُّ الزَّمَانِ وَلَمْ يَزَلْ * حِفْظُ الْيُودَادِ تَبَيَّنِي وَشِعَارِي
(٤)
هَذَا كِتَابُكَ فَدَحَكْتُ آيَاتُهُ * آيَاتِ مُوسَى التَّسْعِ فِي الْإِكْبَارِ
(٥)
تَسْجَعُ الْحَرِيرَ أَبُوكَ تَسْجَعُ بِحَارِهِ * وَتَسْجَعُ أَنْتَ حَرَارَ الْأَفْكَارِ
(٦)
فَإِذَا نَشَرْتَ عَلَى الصَّبِيغَةِ خِلْتَهَا * غَرَسْنَا أَلْحَ عَلَيْهِ صَوْبُ قِطَارِ

- (١) ما حال ، أى ماتحول . ويريد « بخلق الماء » : الرقة والمذربة . و « بخلق الزناد » : ما فيه من التوفد والالتهاب . والزناد الوارى : الذى خرجت ناره .
(٢) صبت : مالت . (٣) كان الممدوح كثير الإغداق على حافظ ، فهو إلى ذلك يشير بهذا البيت . (٤) آيات موسى التسع ، أى معجزاته ، وهى مذكورة كلها فى القرآن ، قال الله تعالى فى سورة الإسراء : (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) الآية .
(٥) التجار : الأصل والمختد . ويشير بهذه العبارة إلى أن أبا الممدوح وهو إبراهيم بك المولى كان من كبار تجار الحرير بمصر ، وكان شريكا فى هذه التجارة لأخيه عبد السلام المولى باشا عم الممدوح وقد أخطأهما التوفيق فى تجارتها ، فدلهما يد المساعدة المنفورة لإسماعيل باشا الخديوى ، واختصهما بجعلهما وحدهما المقدمين لجميع ما يلزم البيت الخديوى من أنواع الحرير ؛ واتسدى به فى ذلك سراً مصر وجهاتها ، فصلحت حالها بعد ذلك .
(٦) إلح السحاب على النبات : دام مطره عليه . والقطار : الأمطار ، الواحد قطر (فتح فسكون) . يريد تشبيه ما يكتب فى صحفه بأنواع الزهر النفس المتزعزع مما توالى عليه من الأمطار . وفى الديوان المطبوع : « نثار » مكان « قطار » .

يا صاحِبَ المِصْبَاحِ ما ذَنْبُ النِّهْيِ * حَتَّى سَجَّتَ مَطَالِيعَ الأنْوارِ ^(١)
 قد كُنْتَ تَهْدِيهَا السَّيْلَ بَصْوِيهِ * فَتَرَكْتَهَا فِي ظُلْمَةٍ وَعِشَارِ ^(٢)
 باتَتْ تُرَجِّي مِنْكَ عَوْدَةَ غَائِبِ * نُورُ البَصَائِرِ فِيهِ وَالْأَبْصَارِ ^(٣)
 وَشَمَائِلَ الْفِكْرِ الَّتِي أَرْسَلْتَهَا * حِكْمًا فَأَغْنَتْهَا عَنِ الْأَسْفَارِ ^(٤)
 فاشْرَعْ يَرَامِكَ يَا (مُحَمَّدُ) إِنَّهُ * نَارُ اللَّثَامِ وَجَنَّةُ الْأَحْزَارِ ^(٥)
 وَأَبْعَثْ لَنَا (عِيسَى) فَهَذَا وَقْتُهُ * فَالْأَنَاسُ يَنْتَحِدِعُ وَمُوَارِي ^(٦)
 وَمُطَاوِيلِ فِي الْكَائِبِينَ وَمُدَّيْعِ * فِي الْعَالَمِينَ وَمَوْلَعِ بِفَخَارِ ^(٧)
 أَمِنُوا بِرَأْعِكَ حِينَ طَالَ سُكُونُهُ * فَتَطَلَّعُوا لِمَرَايِبِ الْأَقْفَارِ ^(٨)
 لِمَئِي لَا نَنْظِمُ مَا تَثَرَّتْ وَإِنْ يَكُنْ * نَثْرُ النُّظِيمِ مَطِيَّةَ الشَّارِ ^(٩)

- (١) قد سبق التعريف بصحيفة «مصباح الشرق» في الحاشية رقم ١ من صفحة ١٤٩ من هذا الجزء .
 (٢) تهديها أى تهدي النهى . (٣) الأسفار: الكتب ، الواحد سفر (بكسر السين وسكون الفاء) .
 (٤) اشرع يراعك ، أى سدد قلبك وصوبه نحو الأفراض السامية . (٥) يريد كتاب عيسى
 ابن هشام . ويشير بذلك إلى ما ورد من أن نبي الله عيسى عليه السلام سيعود في آخر الزمان لهداية الناس .
 والموارى : المدارى الذى يطن خلاف ما يظهر . (٦) المطاول : المفاشر . والعالمين : جمع عالم
 (بكسر اللام) فهما . (٧) يقول : ان هؤلاء المدعين قد آمنوا بطش قلبك بهم حين احتجبت بصيفتك
 فطلعوا الى المراتب العالية التى لم يكونوا ليتطلعوا اليها لو أنك دأبت على الكتابة . (٨) يقول :
 إن شعري فى الحقيقة ليس بالأفلا لى نثر ، فهو مقتبس من وحى قلبك ، وإن تكن عادة الكتاب
 ثر ما ينظم الشعراء .

تقريظ كتاب مرآة العروض

المطبع سنة ١٣٣٥ هـ تأليف الشيخ أحمد عثمان المحرزي القاضي الشرعي

(١)
 (عُثْمَانُ) إِنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ مُوقِفًا * شَرَوَى سَمِيكَ جَامِعَ التَّنْزِيلِ
 جَمَعْتَ أَشْتَاتَ الْقَرِيضِ وَزِدْتَهُ * حُسْنًا بِهَذَا الشَّرْحِ وَالتَّنْزِيلِ
 وَجَلَوْتَ (مِرْآةَ الْعُرُوضِ) صَقِيلَةً * لِلنَّبِيلِ فَاسْتَوْجِبْتَ شُكْرَ النَّبِيلِ

تقريظ صحيفة كوكب الشرق

لصاحبها محمد حافظ عوض بك

[نشر هذا البَيَانُ في أول عدد صدر منها في ٢١ سبتمبر سنة ١٩٢٤ م]

يَا كَوْكَبَ الشَّرْقِ أَشْرِقْ * فَالْحَادِثَاتُ تَجِيءُ
 لَا تَخْشِ طَالَعَ سُوءٍ * فَكَوْكَبُ الشَّرْقِ سَعْدُ

تهنئة المقتطف بعيدها الخمسيني

[نشرت في أول يونيو سنة ١٩٢٦ م]

(٢)
شِيخَانٍ قَدْ خَبَّرَا الْوُجُودَ وَأَدْرَكََا * مَا فِيهِ مِنْ عِلَالٍ وَمِنْ أَسْبَابِ
(٣)
وَأَسْتَبْطَنَّا الْأَشْيَاءَ حَتَّى طَالَعَا * وَجَهَ الْحَقِيقَةِ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ
(٤)
نَحْمُسُونَ عَامَا فِي الْجِهَادِ كَلَامُهَا * شَاكِي الْيَرَامَةِ طَاهِرُ الْخَلْبَابِ
لَا تَعْجُبُوا أَنْ خَضَّيَا قَلْبَيْهِمَا * وَبَيَاضُ شَيْبِهِمَا بَقِيرُ خَضَابِ
فَلِكُلِّ حُسْنٍ حَلِيَّةٌ يُزْهِى بِهَا * وَأَرَى الْيَرَامَةَ حَلِيَّةَ الْكُتَابِ
إِنِّي نَفَرْتُ إِلَى الْيَرَامَةِ فِي يَدِي * لِحَسْبُهَا فِي الْقَدْرِ عُمُودٌ ثِقَابِ
وَنَفَرْتُهَا تَنْقُضُ مِنْ كَفَيْهِمَا * فَوْقَ الطُّرُوسِ نِخْتُهُا كِشَابِ
(٥)
يُزْهِى مُدَجَّجًا بَرْخٍ وَاحِدٍ * وَأَرَاهُمَا لَا يُزْهِيانِ بِنَابِ
(٦)
مُتَوَاضِعَانِ وَلَا أَرَى مُتَكَبِّرَا * غَيْرَ الْجَهْلُولِ مُدَنِّسًا بِالْعَابِ

- (١) أنشئت هذه المجلة في سنة ١٨٧٦ م وكان مقرها أولا سورية ، ثم انتقلت إدارتها الى مصر في سنة ١٨٨٥ م . (٢) يريد « بالشيوخين » : الدكتور فارس نمر ، والدكتور يعقوب صروف ؛ أما الأول منها فهو العالم السوري المعروف عضو مجمع اللغة العربية الملكى في مصر ، ومنشئ مجلة المقتطف وجريدة المقطم مشتركا مع صاحبه السابق ذكره في كلتا الصحيفتين . أما الثانى وهو الدكتور يعقوب صروف ، فولد بلبان في سنة ١٨٥٢ م وكان الدكتور منقطعا الى تحرير المقتطف ، واقطع الدكتور نمر الى تحرير المقطم ؛ وكانت وفاة الدكتور صروف في سنة ١٩٢٧ م . (٣) استبطننا الأشياء : اختبرا بباطنها . (٤) شاكى اليرامة ، أى ذو شوكة وحدة في قلبه . (٥) المدجج : لابس السلاح . والغاب : جمع غابة ، وهى الشجر الكثير . ويطلق أيضا على القصب القارسى تنخذ منه الأقلام . والشاعر يرمى الى المعنيين . (٦) العاب والعيب ، كلاهما بمعنى واحد .

- (١) يَجَادِبُ الْقَطْرَانِ مِنْ فَضْلَيْهِمَا * ذَيْلَ الْفَخَارِ وَلَيْسَ ذَا بَعْجَابِ
فَهُمَا هُنَا عَلَمَانِ مِنْ أَعْلَامِنَا * وَهُمَا هُنَا لِكَ نُجْبَةِ الْأَنْجَابِ
(٢) جَازَا مَدَى السَّعِينِ لَمْ يَتَوَانِيَا * عَنْ وَصْلِ حَمْدِ وَأَجْنَابِ سَبَابِ
(٣) نَسَبَاهُمَا قَلَمَاهُمَا فَلَيْسَ حَبَابَا * ذَيْلًا عَلَى الْأَحْسَابِ وَالْأَنْسَابِ
(٤) قَلَمَانِ مَشْرُوعَانِ، فِي شَقِيهِمَا * وَخِيٌّ يُفِيضُ عَلَى أُولَى الْأَلْبَابِ
(٥) مُتَسَانِدَانِ إِذَا الْخُطُوبُ تَنَالَتْ * مُتَعَانِقَانِ تَعَانُقُ الْأَجَابِ
(٦) نَفَحَاتُ (آذَارِ) إِذَا لَمْ يُظْلَمَا * فَإِذَا هُمَا ظُلُمَا فَلَفَحَةُ (آبِ)
(٧) مَا سَوَدَا بَيْضَاءَ إِلَّا بَيْضَا * بِالكَاتِبَيْنِ صَحِيفَةَ الْإِعْجَابِ
(٨) لَلْقَيْصِدِ الْأَسْمَى لَدَى حَرَمِ النَّهْيِ * رَفَعَا قِبَابًا حُورِجَتْ بِقِبَابِ
(٩) خَطًّا بِمُقْتَطِفِ الْعُلُومِ بَدَائِعًا * وَرَوَائِعًا بَقِيَتْ عَلَى الْأَحْقَابِ
جَاءَ لَنَا مِنْ كُلِّ عِلْمٍ نَافِعٌ * أَوْ كُلِّ فَنٍّ مُتِمِّعٌ بِلُبَابِ
فِي كُلِّ لَفْظٍ حِكْمَةٌ تَجَلُّوهُ * وَبِكُلِّ سَطْرِ مَهِيضٌ لِصَوَابِ

- (١) القطران : مصر وسورية . (٢) جازا : جاوزا . والمدي : النهاية .
(٣) يقال : سحب الذيل على كذا ، أى أنه لم يحفل به ولم يأبه له . (٤) مشروعان ، أى
مصوّبان مستدنان . (٥) تالبت : تجمت وتضافت . (٦) آذار وآب : شهران من شهور
السنة المسيحية معروفان ، وتكثر الأزهاري الأول ، ويشتهد الحزفي الثاني : واللفحة من قولهم : لفتحه النار
والنسوم (فتح السين) : أى أحرته بجزءها . (٧) بالكاتين : متعلق بقوله بعد : «الإعجاب» .
أى لم يكتب بالمداد الأسود صحيفة بيضاء إلا كتبها عند قرائتها صحيفة أخرى ملوذة بالإعجاب بها .
(٨) قبايا حورجت بقباب ، أى متصلة بعضها ببعض . (٩) الروائع من الأشياء :
ما أعجبك بحسنها . والأحقاب : الدهور .

فَالْفُظُّ فِيهِ مُقَوِّمٌ بِصَحِيفَةٍ * وَالسُّطْرُ فِيهِ مُقَوِّمٌ بِكِتَابٍ
(١)
دَانِي الْقُطُوفِ كَرِيْمَةٌ أَفْيَاؤُهُ * عَذْبُ الْوُرُودِ مُفْتَحُ الْأَبْوَابِ
(٢)
ذُلٌّ مَسَالِكُهُ فَأَنَّى جَنَّتْهُ * أَلْفَيْتَ نَفْسَكَ فِي فَيْسِجِ رِحَابٍ
(٣)
تَسَابِقُ الْأَقْلَامُ فِيهِ وَلَا تَرَى * مِنْ عَائِرٍ فِيهَا وَلَا مِنْ نَائِي
(٤)
كَمْ مِنْ يَرَاعِيهِ كَاتِبٌ جَالَتْ بِهِ * وَلُعَابُهَا فِي الطَّرْسِ حُلُوُّ رُضَائِي
كَمْ مِنْ سُؤَالٍ فِيهِ كَانَ جَوَابُهُ * الْهَامَ نَائِيَةً وَفَصَلَ خِطَابِ
(٥)
كَمْ فِيهِ مِنْ نَهْرٍ جَرَى بِطَرِيقَةٍ * تَرِدُ النَّهْيَ مِنْهُ أَلَدَّ شَرَابِ
(٦)
وَقَفَّتْ مُسْقَاةُ الْفَضْلِ فِي جَنَابَتِهِ * تُرَوِّى النُّفُوسَ بِمُتَرَجِّعِ الْأَكْوَابِ
مَاذَا أَعَدُّ وَهَذِهِ آيَاتُهُ * فِي الْعَدِّ تُعْجِزُ أَمَهَرَ الْحُسَابِ
(٧)
قَدْ نُسِّقَتْ وَتَأَلَّفَتْ فَكَأَنَّهَا * فِي الْحُسْنِ مِثْلُ تَأَلِّفِ الْأَحْرَابِ
وَتَرَى تَهَافُتْنَا عَلَيْهِ وَحِرْصَنَا * فَتَخَالُ فِيهِ مَقَاعِدَ النَّوَابِ
يَا ثَرَوَةً الْقُرَاءِ مِنْ عِلْمٍ وَمِنْ * فَضْلٍ وَمِنْ حِكْمٍ وَمِنْ آدَابِ
الشُّرُقِ أَثْبَتَ يَوْمَ عَيْدِكَ أَنَّهُ * مَا زَالَ فِي رِيٍّ وَخِصْبٍ جَنَابِ

- (١) الأفياء: الظلال، ويريد بقوله: «داني القُطُوف» قرب مأخذه وسهولة الاستفادة من بحوثه.
(٢) ذل مسالك: سهلة ممهدة. (٣) ناي يذو: كل وأريد عن المقصد. (٤) اللعاب: الريق.
ويريد به هنا: المداد. والرضاب: لعاب العسل. (٥) النهر: يجري الماء المعروف. ويؤى به
الى العمود من الصحيفة، وهو استعمال صحفى معروف في هذا العصر. (٦) المترع: الملو. .
(٧) نسقت: نظمت. ويشير الشاعر بالتشبيه الذى فى هذا البيت الى ما كان فى هذا العهد الذى أنشئت فيه
هذه القصيدة من تألف الأحزاب المصرية واجتماعها بعد الانقراق، وتكوين وزارة وبرلمان آتلافيين.

عَادَتْ سَمَاءُ الْفَضْلِ فِيهِ فَأَطْلَعَتْ * زُهْرًا مِنَ الْأَعْلَامِ وَالْأَفْطَابِ ^(١)
 الْعِلْمُ شَرَقِيٌّ تَغَافَلَ أَهْلُهُ * عَنْهُ فَعَاقَبَهُمْ بِطُولِ غِيَابِ
 وَتَنَبَّهُوا لِمُصَابِهِمْ فَتَضَرَّعُوا * فَعَفَا وَعَاوَدَهُمْ بِغَيْرِ عِتَابِ ^(٢)
 فَتَذَوَّقُوا طَعْمَ الْحَيَاةِ وَأَدْرَكُوا * مَا فِي الْجَهَالَةِ مِنْ أَدْنَى وَتَبَابِ ^(٣)
 الْعِلْمُ فِي الْبَاسَاءِ مُزْنَةٌ رَحْمَةٌ * وَالْجَهْلُ فِي التَّنْمَاءِ سَوِطٌ عَذَابِ
 وَلَعَلَّ وَرَدَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَرَعَهُ * سَاقٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ وَرَدُّ سَرَابِ ^(٤)
 إِنِّي قَرَأْتُكَ فِي الْكُھُولَةِ وَالصَّبَا * وَمَلَأْتُ مِنْ ثَمَرِ الْعُقُولِ وَطَائِي
 وَأَتَيْتُ أَقْصَى بَعْضِ مَا أَوْلَيْتَنِي * وَأَقُولُ فِيكَ الْحَقَّ فَيَرُدُّ حَيَابِي
 لَوْ كُنْتُ فِي عَهْدِ الْفُتُوَّةِ لَمْ أَزَلْ * لَوْ هَبْتُ لِلشَّيْخَيْنِ بُرْدَ شَبَابِي
 لَكُنْتُ أَبْلَيْتُهُ وَطَوَيْتُهُ * وَتَخَذْتُ مِنْ تَسْجِ الْمَشِيبِ ثِيَابِي ^(٥)
 وَأَرَى رِكَابِي حِينَ شَابَتْ لِمَتِي * يَحْتَنُهَا سَفَرٌ بَغِيرِ إِيَابِ
 (يَعْقُوبُ) إِنَّكَ قَدْ كَبُرْتَ وَلَمْ تَزَلْ * فِي الْعِلْمِ لَا تَزْدَادُ غَيْرَ تَصَابِي
 لَاحَتْ بِرَأْسِكَ هِرَّةٌ وَلَعَلَّهَا * مِنْ وَقَعِ فِكْرِكَ لَا مِنْ الْأَعْصَابِ ^(٦)
 فِكْرٌ سَرِيعٌ كَرِهَ مُتَدَفِّعٌ * كَتَدَفَّعَ الْأَمْوَاجَ فَوْقَ عُبابِ
 لَا يَسْتَقِرُّ وَلَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ * أَرَنْ يَنْتَفِي عَنْ جَيْتِهِ وَذَهَابِ

(١) الزهر : النجوم . (٢) الباب : النقص والخسران . (٣) المزة : السحابة المثلثة بالماء . (٤) الطوب : جمع وطب ، وهو في الأصل سقاء اللبن ؛ والمراد هنا : أنه ملاء فكره وقسمه . (٥) الله : الشعر المجاور لشفة الأذن . ويحتنأ : يسرع بها . ويريد « بالسفر » : الموت . (٦) العباب : معطم السيل .

- (١) أو أنها طرب بنفسك كلما * وفقت في بحث وكشف هباب
أو أنها استنكر ما شاهدته * في الناس من هيو وسوء مآب
(٢) لم يلهك الإثراء عن طلب العلا * بالجد لا بتصيد الألقاب
لك في سبيل العلم أجر مجاهد * والصبر أجر ملازم الخراب
(٣) وإليك من جهد المقل قصيدة * يغنيك موجدها عن الإسهاب
(٤) لولا السقام وما أكابد من آسى * للفت في هذا المجال صحابي

تقرير كتاب "في ظلال الدموع"

لصاحبه محمد شوكت التوني

[نشر في ٧ نوفمبر سنة ١٩٢٩م]

- قد قرأنا ظلالكم فاشتفتنا * بارك الله في (ظلال الدموع)
علمتنا لدى الأمي كيف تشفي * مرسلات الدموع داء الضلوع
(٥) وأرتنا من الجديد بياناً * لم يكن قبلها كثير الشيوخ
(٦) في طراز كأنما نسقته * من بجاني الربا بنان الربيع
فعلى كاتب الظلال سلام * من حزين وبائس وصريع

- (١) أو أنها ، أى هزة رأسه . والقاب : التام . (٢) الإثراء : كثرة الأموال . والجد : الاجتهاد . (٣) المقل : الفقير . والإسهاب : الإطالة . (٤) صحابي ، أى الذين تكلوا في هذا الحفل وأنتوا طليكا ، وأجادوا القول فيكما . (٥) الجديد ، أى الأدب الجديد . (٦) نسقته : نظمته ؛ شبه بيانه بأزهار الربا في الربيع .

الأساجي

قال في هجاء الجرائد

[نشر في أول ديسمبر سنة ١٩١٧م]

جرائد ما خُطَّ حَرْفُهَا * لَفَيْرٌ تَفْرِيقِي وَتَضْلِيلُ^(١)
يَحْلُوها الْكَذْبُ لَا رِبَاها * كَأَنَّها أَوَّلُ إِبْرِيلِ

في عيَاب كثير العيوب

[نشر في ٢ نوفمبر سنة ١٩٢١م]

يَا سَاكِنَ الْبَيْتِ الرَّجَا * جِ هَيْلَتَ، لَا تَرْمِ الْحُصُونَا^(٢)
أَرَأَيْتَ قَبْلَكَ عَارِيَا * يَبْنِي نِزَالَ الدَّارِعِينَا^(٣)

في ملكٍ ضعيفٍ الراي

لَا تَعَجَّبُوا فَلَيْكُمُ لَبَّتْ بِهِ * أَيْدِي آلِطَانَةٍ وَهِيَ فِي تَضْلِيلِ
إِنِّي أَرَاهُ كَأَنَّهُ فِي رُقْعَةٍ أَلْشَّ طَرْنُجٍ أَوْ فِي قَاعَةِ التَّمْثِيلِ

(١) أول إبريل : يوم يتلج فيه الكذب عند بعض الافرنج ؛ وكذبة إبريل معروفة .

(٢) كنى بيت الزجاج عن كثرة عيوب هذا المهجو ، وأنه من اليسر على الناس نفسيته والخط من شأنه ، كما كنى بالحصون عن عكس ذلك . « هيلت » بالبناء للفاعل ، كما قاله بعض النحويين . وقال ثعلب : القياس « هيلت » بالبناء للجهول ، أى تكلتك أمك . (٣) الدارعون : لابسوا الدروع .

في رَجُلٍ عَظِيمِ البَطْنِ ضَخْمِ البَدَنِ

(١) عَطَلَتْ قَنَّ الكَهْرَبَاءِ فَلَمْ تَجِدْ * شَيْئًا يَعُوّ مَسِيرَهَا إِلَّا كَأَنَّ

(٢) تَسْرَى عَلَى وَجْهِ الْبَسِيطَةِ لَحْظَةً * فَتَجُوبُهَا وَتَحَارُّ فِي أَحْشَاكَ

(٣) وقال على لسان بعض المتصوفة

[في محبوب نافر]

(٤) أَنْحَرِقُ الدَّفَّ لَوْ رَأَيْتُ شَكِيًّا * وَأَفْضُ الْأَذْكَارَ حَتَّى يَغِيْبَ

هُوَ ذِكْرِي وَقَبْلَتِي وَإِمَامِي * وَطَيْبِي إِذَا دَعَا زُتُّ الطَّيِّبِ

(٥) لَوْ تَرَانِي وَقَدْ تَعَمَّدْتَ قَتْلِي * بِالتَّنَائِي رَأَيْتَ شَيْخًا حَرِيْبًا

كَانَ لَا يَنْحَنِي لَعَنِيكَ إِجْلًا * لَا وَلَا يَسْتَسِي سِوَاكَ حَيِّبًا

(٦) لَا تَعْيِبَنَّ يَا شَكِيبُ دَيْبِي * (إِنَّمَا الشَّيْخُ مَنْ يَدِبُّ دَيْبِيَا)

كَمْ شَرِبْتَ الْمُدَامَ فِي حَضْرَةِ الشَّيْءِ * يَخُجُّ جِهَارًا وَكَمْ سَقَيْتَ الْحَلِيبَا

(١) الكهرا : مقصور؛ وقد مدّه الشاعر هنا للضرورة . (٢) تسرى ، أى الكهرا

والبسيطة : الأرض . ويجوبها : تقطعها . يقول : إن أحشاءه أوسع من الأرض مسالك .

(٣) يلاحظ أننا أثبتنا هذه القصيدة في باب الهجاء لما تفيد من وصف هذا الصوفي بصفة قبيحة ؛

وهو ما يقصد إليه حافظ وإن كانت القصيدة في النزول . (٤) شكيب : غلام تركي زعموا أنه كان

مشفقه هذا المتصوف . والدف (بالضم) أو (بالفتح) : والأول أفصح ، نوع من الطبل معروف ، يضربون

عليه في اللهب وبعض حلقات الذكر . (٥) تعمدت : قصدت . والتنائي : التباعد . والحريب :

المسلوب . (٦) الديب : المشى على هيئة كشي الشيوخ ؛ ويستعمل في الزحف أسللا .

والشطر الأخير من هذا البيت عجز بيت لشاعر قديم ، وصدره :

زعمنى شيخا ولست بشيخ * إنما الشيخ ... البيت

فَسَلُّوا سُبْحَتِي فَهَلْ كَانَ تَسْبِيهِ * حَيَّ فِيهَا إِلَّا (شَكِيًّا شَكِيًّا)
 (١) وَإِذَا أَذَقْتُ الشُّبُوحَ غَرَامٌ * كُنْتُ فِي حَلْبَةِ الشُّبُوحِ قَهِيًّا
 عَذَّ إِلَيْنَا فَقَدْ أَطْلَقْتَ التَّجَافِي * وَأَرْكَبِ الْبَرْقَ إِنْ أَطَقْتَ الرُّكُوبَا
 (٢) وَإِذَا خِفْتَ مَا يُخَافُ مِنَ الْيَمِّ فَرُشْنَا لَأَتَمَّصَنَّكَ أَلْقُلُوبَا
 (٣) وَدَعَوْنَا بِسَاطِ صَاحِبِ يَلْقَيْدٍ * سَنَ فَلَيْ دُعَاءَنَا مُسْتَجِيَا
 (٤) وَأَمَرْنَا الرِّيَّاحَ تَجْرِي بِأَمْرِ * مِنْكَ حَتَّى تَرَكَ مِنَّا قَرِيًّا

فِي بَائِعِ كُتُبِ صَفِيْقِ الْوَجْهِ

أَدِيمُ وَجْهِكَ يَا زَنْدِيقُ لَوْ جُعِلَتْ * مِنْهُ الْوَقَايَةُ وَالْتَّجْلِيدُ لِلْكُتُبِ
 لَمْ يَلْعَلْهَا عَنُكُوبُكُ أَيُّهَا تُرْكُ * وَلَا تُخَافُ عَلَيْهَا سَطْوَةُ اللَّهِ

فِيمَنْ كَثُرَتْ مَخَازِيهُ

هَذَا يَسْتَعِثُّ الطَّرْسُ وَالنَّقْسُ وَالَّذِي * يَحْطُ وَمَنْ يَتَلَوُّ وَمَنْ يَسْمَعُ
 مَخَازِيْمَا أَدْرِي إِذَا مَا ذَكَرْتُهَا * إِلَى الْحَمْدِ أَدْعِي أَوْ إِلَى اللَّوْمِ أَدْفَعُ

- (١) أَدْعُهُ الْمَرَضَ : أَثْقَلُهُ وَأَضْنَاهُ . (٢) الْيَمُّ : الْبَحْرُ . وَالْأَنْحَصُ : مَا لَا يَمْسُ الْأَرْضَ مِنْ بَاطِنِ الْقَدَمِ ؛ وَرِيَادُهُ الْقَدَمُ كُلُّهَا كَمَا هُنَا . (٣) يَلْقَيْسُ ، هِيَ مَلَكَةٌ سَيِّئَةٌ ، وَمُصَاحِبُهَا هُوَ نَبِيُّ أَهْلِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، وَقَصَّتْهُمَا مَعَ ذَلِكَ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ مَشْهُورَةٌ ؛ وَقَدْ رُوِيَ ذِكْرُهَا فِي الْقُرْآنِ فِي سُورَةِ النَّمْلِ . (٤) يَرِيدُ هَذَا الْبَيْتَ وَالَّذِي قَبْلَهُ أَنَّنَا نَهْدُكَ وَمَا نَلَّكَ الْإِسْرَاعَ فِي الْعُودَةِ . (٥) أَدِيمُ الْوَجْهِ : جِلْدُهُ ؛ يَصِفُ فِي هَذَا الْبَيْتِ وَمَا بَعْدَهُ جِلْدَهُ وَجْهَهُ بِالصَّفَاقَةِ . (٦) الطَّرْسُ (بِالْكَسْرِ) : الصَّحِيفَةُ يَكْتُبُ فِيهَا . وَالنَّقْسُ بِكَسْرِ النُّونِ : الْمَدَادُ .

الأخوانية

ذكرى وتشوق

كتب بها من السودان إلى صديقه محمد بك يريم

[نشرت في سنة ١٩٠٠ م]

أثرت بنا من الشوق القديم * وذكري ذلك العيش الرخيم^(١)
 وأيام كسوناها جمالا * وأرقصنا لها فلك النسيم^(٢)
 ملأناها بنا حسنا فكانت * بجيد الدهر كالعقيد النظيم^(٣)
 وفينان مساميح عليهم * جلايب من الذوق السليم^(٤)
 لهم شيم الله من الأمانى * وأطرب من معاينة النديم^(٥)
 كهكمك في الخلعة والتصايف * وإن كانوا على خلق عظيم^(٦)
 دعوتهم إلى أنيس فوافوا * موافاة الكريم إلى الكريم^(٦)
 وجاءوا كالقطا وردت تميرا * على ظمإ وهبوا كالنسيم

(١) أثرت : هيجت . والعيش الرخيم : اللين الناعم . (٢) الجليد : العتق .

(٣) المساميح : جمع مسباح ، وهو الجواد الكريم .

(٤) الشيم : السجايا والأخلاق . والمعاينة : المتابعة ؛ ويريد بها متابعة الخير .

(٥) كهكمك ، أى كهنك وإرادتك . أى هم كما شئت من خلعة ولهو .

(٦) القطا : الحمام ، الواحدة قطاة ، ويضرب بها المثل في الاحتذاء ، فيقال : « أدل من قطاة »

لأنها لا تخطئ الطريق ليلا في القلاة . والماء الغدير : الناجع في الرى .

- (١) وَكَانَ اللَّيْلُ يَمْرَحُ فِي شَبَابٍ * وَيَلْهُو (بِالْمَجَرَّةِ) وَالنُّجُومِ
(٢) فَوَاصَلْنَا كُتُوسَ أَرَاخٍ حَتَّى * بَدَتْ لِلْعَيْنِ أَنْوَارُ الصَّرِيمِ
(٣) وَأَعْمَلْنَا بِهَا رَأْيَ (أَبْنِ هَانِي) * فَأَلْحَقْنَا بِأَصْحَابِ الرَّقِيمِ
(٤) وَظَنِّي مِنْ بَنِي مُضِرٍّ غَيْرِي * شَيْءَ اللَّفِظِ ذِي خَدِّ مَشِيمِ
(٥) وَلَحِظْتُ بِإِبِلِي ذِي أَنْكَسَارٍ * كَأَنَّ بَطْرَفَهُ سَيَا أَلَيْتِيمِ
(٦) سَقَانَا فِي مُنَادِمَةٍ حَدِيثًا * نَسِينَا عِنْدَهُ بَنْتَ الْكُرُومِ

- (١) مَرَحَ يَمْرَحُ (وَزَانَ فَرَحَ يَفْرَحُ) : تَبَخَّرَ وَأَخْتَالَ . وَشَبَابُ اللَّيْلِ : أَوَّلُهُ . وَالمَجَرَّةُ : بِمَجْمُوعَةِ
نَجْمٍ كَثِيرَةٍ يَنْتَشِرُ مَنُوهَا فَيَرَى كَأَنَّهُ بَقْعَةٌ بَيَاضٌ فِي السَّمَاءِ ، وَتَشَبُّهُ بِالنَّهْرِ ، يُقَالُ : نَهْرُ المَجَرَّةِ .
- (٢) الصَّرِيمُ (هَذَا) : الصَّبِيحُ . (٣) يَرِيدُ أَبَا عَلِيٍّ الْحَسَنَ بْنَ هَانِيٍّ الْحَكَمِيِّ ، الْمَشْهُورِ بِأَبِي نَوَاسٍ
مِنْ أَهْلِ شَعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ، وَلَدَ بِالبَصْرَةِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَارْبَعِينَ وَمِئَةً ، وَقِيلَ سَنَةُ ثَلَاثِينَ وَمِئَةً .
وَتَوَفَّى سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَمِئَةً ، وَقِيلَ سَنَةُ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَمِئَةً ، وَدُفِنَ بِبَغْدَادَ ؛ وَكَانَ كَثِيرَ المَجْهُونِ ، دَائِمَ
التَّشْيِيبِ ، مَدْمَنًا لِلخَمْرِ . وَأَصْحَابُ الرَّقِيمِ : هُمُ أَصْحَابُ الكَهْفِ الْمَذْكُورِينَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :
(أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الكَهْفِ وَالرَّقِيمِ) الْآيَةَ . وَيُشِيرُ الشَّاعِرُ بِهَذَا الْبَيْتِ إِلَى نَوْمِهِمْ فِي كَهْفِهِمْ ، أَيْ
مَغَارَتِهِمْ ، مَدَّةً طَوِيلَةً ، قَالَ تَعَالَى : (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْمًا) . وَالرَّقِيمُ :
قَرِيبُهُمْ الَّتِي خَرَجُوا مِنْهَا ، أَوْ جَبَلُهُمْ الَّذِي كَانَ فِيهِ الكَهْفُ . وَقِيلَ : الرَّقِيمُ لَوْحٌ رَمَاصٌ تَقُشُّ فِيهِ نَفْسُهُمْ
وَأَسْمَاؤُهُمْ وَقَصَصُهُمْ وَدِينُهُمْ ، وَمِمَّنْ هَرَبُوا . يَرِيدُ أَنَّهُمْ هَرَبُوا عَلَى مَذْهَبِ أَبِي نَوَاسٍ فِي الشَّرْبِ حَتَّى تَامُوا
نَوْمَهُ أَهْلُ الكَهْفِ .
- (٤) الْغَرِيرُ : الْحَدِيثُ السَّنُّ الْغَافِلُ ، الَّذِي لَمْ يَجْرِبِ الْأُمُورَ لِحْدَائِثِهَا . وَالْمَشِيمُ : الَّذِي فِيهِ شَامَةٌ ،
أَيْ خَالَ فِي خَدِّهِ .
- (٥) الْبَابِلُ : نِسْبَةٌ إِلَى بَابِلَ ، وَهِيَ نَاحِيَةُ الْعِرَاقِ ، مِنْهَا الْكُوفَةُ وَالْحِلَّةُ ، يُنْسَبُ إِلَيْهَا الْخَمْرُ وَالسَّحَرُ .
وَيُرِيدُ «بِالْهَيْظِ الْبَابِلِي» أَنَّهُ يَعْمَلُ فِي الْمَقُولِ وَالنُّصُوصِ عَمَلُ الْخَمْرِ وَالسَّحَرِ . وَأَنْكَسَارُ الْهَيْظِ : قُثُورُهُ . وَسَيَا
الْيَتِيمِ : ضَعْفُهُ وَمِثْلُهُ ، لِأَنَّهُمَا أَظْهَرَا يَكُونَانِ فِي الْيَتِيمِ . وَالسَيَا وَالسَّمَاءُ : الْعَلَامَةُ وَالْهَيْظَةُ .
- (٦) بَنْتُ الْكُرُومِ : الْخَمْرُ ، لِأَنَّهَا تَعْتَصِرُ مِنْهَا .

سَلَامُ اللَّهِ يَا عَهْدَ التَّصَابِي * عَلَيْكَ وَفِيَّهِ الْعَهْدُ الْقَدِيمُ
 (١) أَحْنُ لَهُمْ وَدُونَهُمْ قَلَاةٌ * كَأَنَّ فَيْسِحَهَا صَدْرُ الْحَلِيمِ
 (٢) كَأَنَّ أَدِيمَهَا أَحْشَاءُ صَبَّ * قَدْ آلَتْهَبَتْ مِنَ الْوَجْدِ الْأَلِيمِ
 (٣) كَأَنَّ سَرَابَهَا إِذْ لَاحَ فِيهَا * خِذَاعٌ لَاحَ فِي وَجْهِهِ اللَّئِيمِ
 (٤) تَضِلُّ بِلِيلِهَا (لُحْبٌ) فَتَحْكِي * (يُوَادِي آلَتِيهِ) أَقْوَامَ الْكَلِيمِ
 (٥) وَتَمْشِي السَّافِيَاتُ بِهَا حَيَارَى * إِذَا نُقِلَ الْهَجِيرُ عَنْ الْجَحِيمِ
 (٦) فَنَنْ لِي أَنْ أَرَى تِلْكَ الْمَغَانِي * وَمَا فِيهَا مِنَ الْحُسْنِ الْقَدِيمِ؟
 (٧) فَا حَظُّ (أَبْنِ دَاوُدَ) حَكْظَى * وَلَا أُوتِيَتْ مِنْ عِلْمِ الْعَلِيمِ

- (١) القلابة : الصحراء الواسعة . (٢) أديم : وجهها وظاهرها .
 (٣) السراب ، هو ما تراه نصف النهار على بعد عند اشتداد الحر (يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا) . ويشبهون به من يطمعك ظاهره وتوكلك حقيقته .
 (٤) لُحْب (بكسر اللام وسكون الهاء) : قبيلة من الأزد بايمن كانت على معرفة تامة بالنجوم تسرى على ضوئها وتعرف بها السبل ، كما كان يضرب بها المثل في العياقة والزجر . ووادى التيه : هو القسم المنحصر بين خليج السويس وخليج العقبة من شبه جزيرة طور سيناء ؛ وسمى بالتيه لأن بني إسرائيل قد تاهوا فيه أربعين سنة ، كما قص الله تعالى ذلك في القرآن الكريم . والكليم : نبي الله موسى عليه السلام . يقول : إن ما بيننا من فياف لومرت فيها لُحْب لما أفادتها خبرتها ، ولضلت كما ضل قوم موسى في التيه .
 (٥) السافيات : الريح التي تسفى التراب ، أي تجمله وتذروه . والهجير : شدة الحر . أي أن الرياح تسير فيها حائرة لا تهتدي إلى وجهة من اتساع أقطارها ، وتبحث عن كنف من ذلك الحر الذي كأنه أقطع من الجحيم .
 (٦) المغاني : المنازل التي غنى بها أهلها ، أي أقاموا ، الواحد مغنى (بفتح الميم وسكون الغين) .
 (٧) ابن داود ، هو نبي الله سليمان بن داود صلوات الله عليهما وسلامه . والمعنى أنه لم يؤت من الحظ ما أوتي سليمان بن داود من تفسير الرياح والجن لأمره ، فيحملانه إلى تلك المغاني والمنازل التي يتشوق إلى رؤيتها والإقامة فيها .

(١) ولا أنا مُطَلَّقٌ كَالْفَكْرِ أُسْرَى * فَاسْتَبَقُ الضَّوَاحِكَ فِي الْغَيُومِ
(٢) وَلَكِنِّي مُقَيَّدَةٌ رِحَالِي * بِقَيْدِ الْعُذْمِ فِي وَادِي الْمُحُومِ
(٣) تَزَحْتُ عَنِ الذِّيارِ أَرْوَمُ رِزْقِي * وَأَضْرِبُ فِي الْمَهَامِيهِ وَالْخُحُومِ
(٤) وَمَا غَادَرْتُ فِي السُّودَانِ قَفْرًا * وَلَمْ أَصْبُغْ بِتُرْبَةِ أَدِيمِي
(٥) وَهَآنَا بَيْنَ أَنْيَابِ الْمَنَايَا * وَتَحْتَ بَرَاثِنِ الْخَطْبِ الْجَسِيمِ
(٦) وَلَوْلَا سَوْرَةُ الْمَجْدِ عِنْدِي * قَنِتُ بِعِيشَتِي قَنَعَ الظَّلِيمِ



(٧) أَيَّابُنَ الْأَكْرَمِينَ أَبَا وَجَدًا * وَيَا بَنَ عُضَادَةِ الَّذِينَ الْقَوِيمِ
(٨) أَقَامَ لِدِينِنَا أَهْلُوكَ رُكْنًا * لَهُ نَسَبٌ إِلَى رُكْنِ الْخَطِيمِ

- (١) « استبق الضواحك » الخ : أسبق البرق في السحب ، أى أجاوزها وأخلفها ورائى .
(٢) العدم : الفقر . (٣) تزحت : بدت . وضرب في الأرض : خرج فيها ساعياً .
والمهامه : جمع مهمه ومهمه ، وهى المفاضة البعيدة المتسمة . والخحوم : الحدود بين الأرضين .
(٤) الأديم : الجلد . يريد أنه لم يترك قفراً في السودان إلا خلط جلده بترابه . قسوله :
« لم أصبغ » الخ : صبغ لقوله « قفراً » ، واقرآن جملة الصفة بالواركاً هنا غير مقيس ، وزادتها
لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف ، ومنه قوله تعالى : (وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم) .
(٥) المعروف المشهور « هأنذا » إلا أن مثل هذا ورد في الشعر ، ومنه قوله :
فهأننا تائب عن حب ليل * فإلك كلما ذكرت تدوب
والبراثن : مغالب الأسد ، الواحد برثن (يضم الباء والثاء وسكون ما بينهما) .
(٦) سورة المجد : أثره وأمارته . والظليم : ذكر النعام . وقد ضرب الشاعر قناعة النعام مثلاً
في الاكتفاء بأقل القوت ولو كان مما لا يقتات به ، وذلك لأن النعام يقتات بما يجده في القفلة من
الحصى والحجارة إذا أعوزه القوت وعن عليه الكلام . (٧) العضادة : الذى يماضك
أى يماونك . (٨) الخطيم : حجر الكعبة ؛ أو هو ما بين الركن والمقام .

- (١) فَاطَافَ الْمَغَاةَ بِهِ وَعَادُوا * بَغَيْرِ الْعَسْجَدِيَّةِ وَاللَّطِيمِ
(٢) أَتَيْتَكَ وَالْخُطُوبُ تُزِفُ رَحْلِي * وَلِي حَالٌ أَرْقُ مِنْ السَّيِّمِ
(٣) وَقَدْ أَصْبَحْتُ مِنْ سَعْيِي وَكَدَحِي * عَلَى الْأَرْزَاقِ كَالثَّوْبِ الرَّدِيمِ
(٤) فَلَا تُخْلِقْ - فُئِدَتِ - أَدِيمَ وَجْهِي * وَلَا تَقْطَعْ مُوَاصَلَةَ الْحَيِّمِ

عتاب محمد البابلي بك^(٥)

[نشرت في سنة ١٩٠٠ م]

- (٦) أَنِّي وَاللَّهِ قَدْ مُلِئْتُ الْوُطَابُ * وَدَاخَلَنِي بِصُجَّتِكَ أَرْتِيَابُ
(٧) رَجَوْتُكَ مَرَّةً وَعَتَبْتُ أُخْرَى * فَلَا أَجْدَى الرَّجَاءِ وَلَا أَلِئَابُ
نَبَذْتَ مَوْدِقِي فَأَهْنَأُ بِيُعْدَى * فَأَخِرْ عَهْدَنَا هَذَا الْكِتَابُ

- (١) المغاة : طلاب الأرزاق والمعروف ، مفردة العافي . والعسجدية : الإبل التي تحمل المسجد
أى الذهب . واللطيم : الإبل التي تحمل الطيب واليز ، واحده لطيمة . أى ما قصد أهلك فاصد إلا عاد
مقلدا بالعطاء من ذهب وثياب . (٢) تزف رحلي ، أى تحملني على الإسراع اليك ؛ يقال : أزفه :
إذا حمله على الزيف ، وهو الإسراع . ويجوز أن يقرأ تزف (بفتح الزاء وضم الزاى) على سبيل التشبيه
بزفاف العروس ، وهو إهداؤها . والسديم : الضباب الرقيق ، جمعه سديم (بضمين) .
(٣) الكدح : هو الدثوب في طلب الرزق وكسبه بمشقة . والرديم : الثوب الخلق البالي .
(٤) تخلق ، من أخلق الثوب إذا أبلاه . وأديم الوجه : جلده . وإخلاق أديم الوجه : كناية عن
إذلاله وابتذال حياته بالإلخاف في المسألة . والحميم : الصديق ، جمعه أحما . (بكرس الحاء وتشديد الميم) .
(٥) هو محمد البابلي بن عبده البابلي بك الذى كان من كبار تجار الجواهر في مصر ؛ وقد أدخل ولديه
محمد وأحمد في مدرسة البوليس ، وبعد اتمامهما الدراسة بها ألحقا ببعض الأعمال في الحكومة المصرية ،
ولكنهما لم يمكنا طويلا حتى تركا الحكومة وتفرغا لأعمالهما ؛ واشتهر محمد بظفره وفكاهته الخلوقة حتى إن بعض
الأدباء قد جمع كتابا ممتا في نكتة وطرائقه ؛ وكان من أصدقاء حافظ الملازمين له ؛ وكانت وفاته في سبتمبر
سنة ١٩٢٤ م . (٦) الوطاب : جمع وطب (بالفتح) ، وهو فى الأصل سقاء اللبن ؛ والمراد أنه
قد أكثر من فعل ما يريب حتى امتلأت نفسه بالشك في صدق مودته . (٧) أجدى : قطع .

بين حافظ وداود عمون

بحث حافظ هذه القصيدة إلى داود عمون بك الشاعر اللبناني والمحامي المعروف

فأجابه عليها بقصيدة تأتي بعد

[نشرت في ٢٦ مارس سنة ١٩٠٢ م]

- (١) شَجَنَّا مَطَالِعُ أَقَارِهَا * فَسَالَتْ نُفُوسٌ لَتَذْكَارِهَا
وَبُنَا نَحْنُ لَيْلِكَ الْقُصُور * وَأَهْلُ الْقُصُورِ وَزُؤَارِهَا
(٢) قُصُورٌ كَانَتْ بَرْجِ السَّمَاءِ * خُدُورُ الْغَوَايِ بِأَدْوَارِهَا
(٣) ذَكَرْنَا حِمَاهَا وَبَيْنَ الضُّلُوعِ * قُلُوبٌ تَلَطَّى عَلَى نَارِهَا
فَرَّتْ بَارَوَاحِنَا هِزَّةً * هِيَ الْكَهْرَبَاءُ بَتَّارِهَا
(٤) وَأَرْضٌ كَسَتْهَا كِرَامُ الشُّهُورِ * حَرَارٍ مِنْ تَسْجِ (أَذَارِهَا)
(٥) إِذَا تَقَطَّتْهَا أَكْغُفُ الْغَمَامِ * أَرَّتَكَ الدَّرَارِي بِأَزْهَارِهَا
(٦) وَإِنْ طَالَمَتْهَا ذُكَاؤُ الصَّبَاحِ * أَرَّتَكَ الْبُحَيْنُ بِأَنْهَارِهَا

- (١) شجننا : أطربنا وشوقنا . وسالت نفوس ، أى ذابت من اللوعة والشوق . والضمير في قوله : « أقارها » و « تذكارها » : للقصور في البيت التالي . (٢) يشبه خدور الغواني ، أى حيث يستترن بروج السماء في الامتناع على من رامها . وأدوار القصور : طبقاتها ؛ وهو استعمال عامي . (٣) تلطى : تلطى ، أى تحترق . (٤) وأرض (بالرفع) : عطف على قوله في البيت الثالث : « قصور » . وأذار : الشهر الثالث من السنة المسيحية ، وهو شهر تكثر فيه الأزهار . (٥) الدراري (بتشديد الياء ، ونخفها الشاعر لضرورة الوزن) : الكواكب المتوقدة الثلاثة ، الواحد دري (بتشديد الياء) . يقول : إن هذه الأرض إذا أمطرها السحاب أنبتت من الأزهار ما يشبه الكواكب في إشراقها ولعانها . (٦) ذكاه : الشمس . والبحين : الفضة . يقول : إذا طلعت الشمس على هذه الأرض بدت أنهارها تحت الشعاع كأنها القضة في صفائها وبريقها .

(١)
وإن هبَّ فيها نسيمُ الأصيلِ * أذاك النسيمُ بأخبارِها
(٢)
وخلَّ أقامَ بارِضَ الشَّامِ * فباتت تُدِلُّ على جارِها
وأصحتَّ تتيههُ ربُّ القَرِيضِ * ككتبه البوادي بأشعارِها
ولليلٍ أولى بذاك الدَّلالِ * وميضُ أحقِّ (ببشارِها)
(٣)
فشمَّرَ وعجَّلَ إليها المآبِ * وخلَّ الشَّامَ لأقدارِها
فكيفَ لعمري أطفَتَ المَقامِ * بارِضٍ تضيُّقُ بأخارِها؟
وأنْتَ المَشْمَرُ إثرَ المَظالِ * سيمُ تَسعى إلى عَحو آثارِها
(٤)
تأثرتَ اللَّيالي وأقعدتها * بمصقُولٍ عَزمِكَ عن نَارِها
(٥)
إذا ثُرتَ ما جتَ هِضابُ الشَّامِ * وباتت تَراعى بُشوارِها
(٦)
أَلَسْتَ قَتَاها ومُختارِها * وشِبلَ قَتَاها ومُختارِها؟
وإن قُلْتَ أَصَغَتْ مُلُوكُ الكَلَامِ * ومالَتْ إِلَيْكَ بِأَبصارِها
(أداؤُ) حَسْبُكَ أَنَّ المَعَالِ * سى تَحسَبُ دَارَكَ فى دارِها
وَأَنْ صَمَّا تَرَهُذا الوُجُودِ * تَبُوحُ إِلَيْكَ بِأَسرارِها

(١) الأصيل : وقت ما بعد العصر إلى المغرب . يقول : ان النسيم اذا هب على هذه الأرض حل من طيبها وروائحها العطرة ما يدل على ما فيها من الأزهار والرياحين . (٢) يريد بالخيل : داود بك المدوح . وتدل : من الدل ، وهو معروف . ويريد «بجوارها» : وادى النيل . (٣) المآب : الرجوع . (٤) المصقول من السيوف : المجلق . ومعنى البيت أنه جعل لليالي هذه ثارا بانتصاره على أحداثها وفوائدها ، ثم أعجزها عن طلب ثارها بمضاء مزمه . (٥) تراعى : تزاوى . (٦) الشبل : ولد الأسد .

(١) وَأَنْتَ إِمَّا حَلَلْتَ الشَّامَ * رَأَيْتَكَ جَدْوَةَ أَفْكَارِهَا
(٢) وَإِنْ كُنْتَ فِي مِصْرَ نَعِمَ النَّصِيرَ * إِذَا مَا أَهَابَتْ بِأَنْصَارِهَا

أبيات داود بك التي أجاب بها حافظا

(٣) آمِنَ ذِكْرِ مَلَمَى وَتَذَكَّرِهَا * نَثَرْتَ الدَّمُوعَ عَلَى دَارِهَا
(٤) وَعِغْتَ الْقُصُورَ لِأَجْلِ الطُّلُولِ * تُطَالِعُ طَامِسَ آثَارِهَا
(٥) وَقَفْتُ بِهَا لَيْلَى نَاشِدًا * عَسَاهَا تَبُوحُ بِأَسْرَارِهَا
(٦) وَلَلدَّارُ أَنْطَقُ آيَاتِهَا * مِنْ الرِّوَايَاتِ وَأَخْبَارِهَا
(٧) تُعِيدُ عَلَيْكَ لَيْلَى الْجَمَى * بِأَنْجُمِهَا وَبِأَقْمَارِهَا
(٨) سَلَامٌ عَلَيْكَ زَمَانَ الشَّبَابِ * رَبِيعَ الْحَيَاةِ بِأَنْدَارِهَا
(٩) لَأَنْتَ مُحَقِّفٌ أَحْزَانَهَا * وَأَنْتَ مُسَوِّغٌ أَكْثَادِهَا
وَلَوْلَا الشَّبَابُ وَذِكْرَى الشَّبَابِ * لَمَآسَ الْفَتَى عُمَرَهُ كَارِهَا
(١٠) قَطَفْنَا الْحَيَاةَ بِهَ حُلُوءَةٍ * وَقَدْ جَاءَ إِبَابُ إِمْرَارِهَا
أَطُوفُ فِي الشَّرْقِ عَلَى أَرَى * بِلَادًا تَطِيبُ لِأَحْرَارِهَا

(١) الجدوة (بتخفيف الجيم) : الجدة الممتدة . (٢) أهاب به : دعاه . (٣) يلاحظ أن التذكارة نفس الذكر ؛ فالجمع بينهما تكرر ظاهر . (٤) عاف الشيء : رغب عنه وزهد فيه . وتطالع : تنظر . والطامس من آثار الديار وغيرها : ما اندثر منها وانحى . (٥) الناشد : السائل . (٦) أنطق آياتها ، أى آثارها أنطق ؛ وفي هذه العبارة نبوة واضطراب ظاهران ؛ ومعنى البيت أن آثار الديار أوضح بياناً عن أبناء من سكنوها عن يحدث عنها ويرى أخبارها . (٧) شبه زمن الشباب بالربيع ، وهو أنضر فصول السنة . (٨) مسوغ أكدارها ، أى سهل وقع مصائبها وأحزانها . (٩) إبان الشيء : وقته .

فَلَمْ أَرَ إِلَّا أُمُورًا تَسُوءُ * وَتَصْدَعُ أَكْبَادَ نَظَائِرِهَا
 (١)
 فَظُلُمٌ بِتِلْكَ وَذُلٌّ بِهَيْذِي * وَجَهْلٌ مُغَشٍّ لَأَبْصَارِهَا
 (٢)
 تَعْقُ مَرَاحِمَ رُغَيَانِهَا * وَتَرْتَمِي الْوَلَاءَ بِحَزَائِرِهَا
 (٣)
 إِذَا شَاءَ (فَاسِمٌ) رَفَعَ الْحِجَابَ * تُسَمِّيهِ هَائِكَ أَسْتَارِهَا
 (٤)
 فَلَا قَوْلَ إِلَّا لِحُثَاهَا * وَلَا رَأْيَ إِلَّا لِأَغْرَارِهَا
 يَلْبَسُ التَّزَانِي عَلَى تَرْبِهَا * وَيَخْرِى الْخُمُولُ بِأَنْهَارِهَا
 (٥)
 مَنَالُ السَّتْرِ بِإِرْغَامِهَا * وَمَرْجَى الْفَلَاحِ بِإِجْبَارِهَا
 أَهَذَا الَّذِي أَوْرَثَتْ أَهْلَهَا * بِلَادُ الْعُلُومِ وَأَنْوَارِهَا؟



صَدِئْتُ حَيَاتِي إِذَا لَمْ أَقِفْ * حَيَاتِي عَلَى تَفْجِئِ أَمْصَارِهَا
 (أَحَافِظُ) هَذَا بِجَالِ الْعَلَا * فَشَمْرٌ لَسَبْقِي بِمَضَامِيرِهَا
 (أَشْوِقِي) (أَحَافِظُ) طَالَ السُّكُوتُ * وَتَرَكْتُ الْأُمُورَ لِأَقْدَارِهَا
 (٦)
 فَصُوغًا الْقَوَائِي مَصْقُولَةً * وَشَقًّا أَبْجُلُودَ بَتَارِهَا

(١) مغش لأبصارها، أى يحجبها بهشاوة . (٢) الولاء : الحب . يريد أن الأمم الشرقية
 تعجده الجبل لأنصاراتها وأوليائها، وتصدى المؤدة لخصومها وأعدائها . (٣) يريد المرحوم قاسم بك
 أمين . وقد منه من الصرف هنا لضرورة الوزن . ويشير بهذا البيت إلى رأى قاسم أمين فى حرية المرأة
 وما لقيه فى سبيل ذلك من التقيد الشديد . (٤) الأغرار : الذين لا تجربه لهم ، واحده غر بكسر
 الفين وتشد بالراء . (٥) يريد أن الرقى والفلاح إنما يتألفا فى هذه الأمم الشرقية من اطلاع المستعمرين
 فى إرغامها على ما تكره وإكراهها على ما لا تحب . (٦) المصقولة : الصافية المجلوة . والبار من
 السيوف والبار : القاطع منها .

(١)
عَسَاها تُحَرِّكُ أَوْطَانًا * وَتُنْشُرُ مَيِّتَ أَحْيَائِهَا
أَقُولُ وَأَعْلَمُ أَنِّي سَأُومِي :: بَأَنِّي تُحَرِّكُ نُوَارِهَا
(٢)
وَأَنِّي الدَّخِيلُ وَأَنِّي الْغَرِيبُ * وَأَنِّي النَّصِيرُ لِقَهَّارِهَا
أُحِبُّ بِلَادِي عَلَى رَغْمِهَا * وَإِنِّي لَمْ يَنْلَيْ سِوَى عَارِهَا
(٣)
وَلَسْتُ بِأَقُولِ ذِي هِمَّةٍ * تَصَدَّى الزَّمَانُ لِإِنْكَارِهَا

(٤)
(إلى إسماعيل صبرى باشا)
عند استقالته من وكالة الحفانيّة

[نشرت في ٩ فبراير سنة ١٩٠٧م]

(٥)
يَا صَارِمًا أَنْفَ التَّوَاءِ يَغْمِدُهُ * وَأَبَى الْقَرَارَ، أَلَا تَرَأَى صَقِيلًا
(٦)
فَالْبَيْضُ تَصَدَّى فِي الْجُفُونِ إِذَا تَوَتَّ * وَالْمَاءُ يَأْسِنُ إِنْ أَقَامَ طَوِيلًا

(١) نشر الميث وأشره : أحياء . ويلاحظ أن هنا غلطا في حرف الروى ، إذ عدل الشاعر في هذا البيت عن الراء إلى الهمز . (٢) الدخيل في القوم : الداخل فيهم المنسوب إليهم وليس منهم . (٣) تصدّى : تعرض . (٤) ولد المرحوم إسماعيل صبرى باشا في سنة ١٨٥٤م وبعد أن أخذ حظه من التعلم في مصر وتال شهادة الحقوق سافر إلى أوروبا فأتى علومه القانونية هناك ؛ وتال الشهادة من كلية إكس ، وبعد عودته إلى مصر تولى عدة مناصب قضائية وإدارية ، وآخر منصب تولاه وكالة للحفانيّة ، واعتزله في سنة ١٩٠٧م وكانت وفاته في ربيع سنة ١٩٢٣م وشعره معروف بالركة ولطف الصياغة وجودة النسيب ، كما اشتهر بالاجادة في المقطعات الصغيرة . (٥) الصارم : السيف القاطع . والتواء : الإقامة . والصقيل : المجلول ؛ يقال : صقله يصقله (بضم القاف) صقلا وصقلا ، إذا جلاه وكشفت صدأه . شبه صبريا بالسيف القاطع المجلول ، ومنصبه الحكومى بالنعم الذي يستقر فيه السيف . (٦) البيض : وصف يكنى به عن السيوف . وجفون السيوف : أعينها ، الواحد جفن . وتوت : أقامت . وأسِن الماء (من باب ضرب ونصر وعل) فهو آسن : تغير فلم يشرب .

- (١) أَهْلًا بِمَوْلَى الرَّئِيسِ وَلَيْسَ مِنْ * شَرَفِ الرَّأْسَةِ أَنْ أَرَاكَ وَيَكِلَا
فَاطْرَحَ مَعَاذِيرَ السُّكُوتِ وَقُلْ لَنَا * هَلَّا وَجَدْتَ إِلَى الْكَلَامِ سَبِيلًا؟
(٢) وَأَضْرِبْ عَلَى الْوَتْرِ الَّذِي أَهْتَرْتُ لَهُ * أَعْطَانَا زَمَنًا وَغَرَّبَ النَّيْلَا
(٣) وَأَرَدُّدْ عَلَى مُلْكِ الْقَرِيضِ جَمَالَهُ * تَصْنَعُ بِصَاحِبِكَ الْقَدِيمِ جَمِيلًا
(٤) مَا زَالَ يَرْجُو أَنْ يُقَالَ عِثَارُهُ * حَتَّى أَقَالَ اللَّهُ (إِسْمَاعِيلًا)

(ذكرى وتشوق)

كتب بها إلى صديقه أحمد بك بدر وهو في كلية أدنبره بإنجلترا

[نشرت في ١٥ يولي سنة ١٩٠٨م]

- (٥) مِلَكْتُ عَلَى مَذَاهِبِي * وَعَصَانِي الطَّبَعُ السَّلِيمُ
وَجَفَّ رَايَ الصَّاحِبَا * بِنَ فَلَ التَّيْرُ وَلَا النَّظِيمُ
أَشَقَى وَأَكْثَمُ شَفَوَتِي * وَاللَّهُ بِي وَبِهَا حَلِيمُ
(٦) حَلِمَ الْأَدِيمُ وَمَا الَّذِي * أَرْجُو وَقَدْ حَلِمَ الْأَدِيمُ

- (١) ويكلا، يريد وكالة مدوحه لوزارة الحفانية، وهى آخر المناصب التى تولها .
(٢) الأعطاف : الجوانب، الواحد عطف . (٣) يريد «بصاحبه القديم» : الشعر .
(٤) يقال : أظنت فلانا عثرته وأظنته منها، أى عفوت عنه ودفعت عنه شر ما كان يتوقع بسببها .
ويريد بالإفالة الثانية : تحمل مدوحه عن منصبه . وأصل الإفالة فى البيع فسخه والتحلل بما يوجبه عقده .
(٥) ملكت عليه مذاهبه، أى سدت عليه سبل القول .
(٦) حلم الأديم : مثل يضرب فى فساد الأمر حتى لا يرجى صلاحه . والأديم : الجلد ؛ يقال :
حلم الأديم يحلم (وزان علم يعلم)، اذا وقع فيه الحلم (بالتحريك)، وهو دود يقع فيه حتى يفسد وينتقب .

(١)
 لَا مِصْرُ تُصَفِّي وَلَا * أَنَا عَنْ مَوَدَّتِهَا أَرِيمُ
 وَإِذَا تَحَوَّلَ بِأَس * عَنْ رَبِّهَا فَنَا الْمَقِيمُ
 فِيهَا صَحْبُكَ وَأَصْطَفَيْ * نَكَ أَيْهَا الْحِلُّ الْحَمِيمُ
 أَنَا مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ خَبَر * تَ وَمَنْ مَوَدَّتُهُ تَلُومُ
 لِلَّهِ ذِيَاكَ الْخَوَا * رُ وَذَلِكَ الْعَيْشُ الرَّخِيمُ (٢)
 بِالْجَانِبِ الْغَرِيِّ قَوْ * قَ النَّيْلِ وَالذُّنْيَا نَعِيمُ
 أَيَّامَ يَعْرِفْنَا السُّرُ * رُ بِهَا وَتُنَكِّرُنَا الْهُمُومُ
 أَيَّامَ نَلْهُو بِالظُّلُبَا * ءِ وَفِي مَسَارِحِهَا نَهِيمُ (٣)
 لَا أَنْتَ تُصْنَعِي لِلْعَدُو * لِ وَلَا أَبَالِي مَنْ يَلُومُ
 لِلَّهِ أُنْدِيَّةٌ لَنَا * قَدْ زَانَهَا الْخُلُقُ الْكَرِيمُ
 لَمْ يَنْشَأْ وَغَدٌ وَلَمْ * يَتَرَلَّ بِسَاحَتِهَا لَيْمُ
 تَمْشِي الْخَلَاعَةُ فِي نَوَا * حِيهَا تُرَاقِبُهَا الْحُلُومُ (٤)
 لَمْ يَكُنْ شَاءَ الصَّبَا * وَجَّأَ كَمَا شَاءَ الْحَيَكُمُ (٥)
 وَمُدَامَةٌ يَسْعَى بِهَا * مُتَادَّبٌ وَيَطُوفُ رِيمُ (٦)

(١) أريم : أتحوّل . (٢) العيش الرخيم : اللين الرغد .

(٣) المسارح : المراعى ، الواحد مسرح .

(٤) الحلوم : العقول ، الواحد حلم . ويريد بقوله : « تراقبها الحلوم » : أن هذه الخلعة لم يجاوز

فيها الحد . (٥) الحجا : العقل . (٦) الريم : الظبي الخالص اليأس ، شبه به الساق .

يَجْرِي عَلَى كَاسَاتِهَا * أَنَسُ يُخْفِلُ لَهَ الْحَلِيمُ
 لَا تَشْكِي مِنَّا وَلَا * يَشْكُو عَوَاقِبَهَا النَّدِيمُ
 وَالنَّيْلُ مِرَاةٌ تَنَفَّسَ فِي صَحِيفَتِهَا النَّسِيمُ
 سَلَبَ السَّمَاءَ نُجُومَهَا * فَهَوَتْ بِلُجَّتِهِ تَعُومُ^(١)
 نُشِرَتْ عَلَيْهِ غِلَالَةٌ * بَيَضاءُ حَاكَتْهَا الْغُيُومُ^(٢)
 شَفَّتْ لَأَعْيُنِنَا سَوَى * مَا شَابَهُ مِنْهَا الْأَدِيمُ^(٣)
 وَكَأَنَّا فَوْقَ السَّمَاءِ * وَتَحْتَنَا ذَاكَ السَّيِّدِمْ^(٤)
 تَجْرِي الْحَوَادِثُ حَيْثُ تَجْمُ * بَرَى لَا نُضَامُ وَلَا نَضِيمُ^(٥)
 لَا الصَّبْحُ يُزَيِّجُنَا بَازًا * بَاءَ الزَّمَانِ وَلَا الصَّعِيرِمْ
 يَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ أَزْ * مَتَ وَكَيْفَ حَالُكَ يَا زَيْمِمْ^(٦)
 أَمَا أَنَا فَكَمَا أَنَا * أَبْلَى كَمَا يَبْلَى الرَّيِّمْ
 لَا يَخِلْ بِعَدْلِكَ مُؤَنِّسُ * نَفْسِي وَلَا قَلْبُ رَحِمِمْ

(١) يريد بهذا البيت أن نجوم السماء قد تمثلت على صفحته لصفاء مائه .

(٢) الغلالة (بالكسر) : ثوب رقيق . وحاكته : نسجته .

(٣) شفت : رقت . وشابه : خالعه ومازجه . « ويريد بالأديم » : أديم السماء ، أى ظاهرها .
 يقول : إن هذه الغلالة تمثلت على صفحة الماء كالثوب الممزق . وكانت الغيوم قطعاً في السماء ، فما صادف
 من وجه الماء انعكاس غيم كان شفافاً يبين ما تحته ، وما صادف منه أديم السماء بدا غير شفاف .

(٤) السديم : الضباب الرقيق ، شبه به البحر الذي يجري من تحته .

(٥) الصعير : الليل . (٦) الرديم : الثوب القديم .

الإخوانيات

١٧٥

(١) كَادَ الزَّمَانُ لَنَا وَلَا * عَجَبٌ إِذَا كَادَ الْفَرِيمُ
(٢) أَمْسَى أَحْوَاكَ الزَّمْهَرِي * رُ وَظَلَّ يَصْهَرُنِي الْجَحِيمُ
(٣) فَشَرَابُكَ الْمَاءُ الشَّنَا * نُ وَشُرْبِي الْمَاءُ الْجَحِيمُ
(٤) وَمُنَاكَ لَوِطَلَّتْ دُكَا * ؤ عَلَيْكَ فِي يَوْمٍ يَصُومُ
(٥) وَمُنَايَ لَوِ مُحِقَّتْ دُكَا * ؤ وَغَالَهَا لَيْلٌ بِهِمِ
(٦) فَيَلَيْتَنِي الْحَرُّ الْأَلِي * سُمُ وَخَطْبُكَ الْقُرْ الْأَلِيمُ
(٧) فَكَأَنِّي فِرْعَوْنُ مِصْرَ * رَ وَأَنْتَ شَيْطَانُ رَجِيمِ
(٨) فَأَبَسْتُ إِلَى بَنَفْعَةٍ * بَرَدًا بِهَا يَحْدُو الْمَزِيمِ
(٩) أَبَسْتُ إِلَيْكَ بِلَفْعَةٍ * حَرَّى بِهَا تَجْرِي السُّومِ
أَمَّا تَحِيَّتُنَا إِلَيْهِ * سَكَ فَسَوْفَ يَشْرَحُهَا الرَّقِيمُ

- (١) الفريم : الخضم . (٢) الزمهرير : شدة البرد . ويريد بالزمهرير : شدة البرد في استكثاد . (٣) الماء الشنان (بالضم) : البارد . والماء الجيم : الحار . (٤) دكا : (بالضم) : اسم الشمس ، غير منصرف للعلية والتأنيث . ويقال : صامت النهار : إذا قام قائم الظهيرة وأعتدل ، ويقال : صامت الشمس (أيضا) إذا أَسَوْتُ . (٥) ليل بهيم : مظلم . (٦) القر (بالضم) : البرد . (٧) شبه الشاعر نفسه بفِرْعَوْنَ مِصْرَ ، لأنه يعذب بالنار ، ومديقه بالشيطان الرجيم ، لأن الشيطان تارى الطبع يعذب بالزمهرير . (٨) البرد : حب الغمام ، وهو مفعول « يحذر » . يقول : أهد إلى قنجة من جوق بلادكم بردا يسبقه رعد . ويحذر ، من الحداء . والمزيم : الرعد . (٩) السوم : الریح الحارة . ولقحتها : إراقها .

شكر

أشيد هذه القصيدة في فندق الكونتنتال في الحفل الذي أقيم تكريمه

في يوم الجمعة ٣١ مايو ١٩١٢ م

مَلَكْتُمْ عَلَى عَنَانِ الْخُطْبِ * وَجُزْتُمْ بِقَدْرِ سَمَاءِ الرُّتَبِ
فَمَنْ أَنَا بَيْنَ مُلُوكِ الْكَلَامِ * وَمَنْ أَنَا بَيْنَ كِرَامِ الْحَسَبِ
أَتَسْعَى إِلَى حُمَاةِ الْقَرِيضِ * وَتَمْشِي إِلَى سَرَاةِ الْعَرَبِ^(١)
وَتَنْظِمُ فِي عُقُودِ الْجَنَانِ * وَتَشْتُرُ فَوْقَ نِسَارِ الذَّهَبِ^(٢)
وَأُكْرِمَ حَتَّى كَأَنِّي نَبَغْتُ * وَنُفْتُ لِمَصْرَ بَهَا قَدْ وَجَبْتُ؟
فَمَاذَا أَتَيْتُ مِنَ الْبَاقِيَاتِ * وَهَذَا شَبَابِي ضَيَاعًا ذَهَبَ^(٣)
عَمِلْتُ لِقَوْمِي جُهْدَ الْمُقِلِّ * عَلَى أَنَّهُ عَمَلٌ مُقْتَضِبُ^(٤)
فَلَمْ يَنْفِنِ شَيْئًا وَلَمْ يُجِدِهِمْ * وَلَمْ يَنْتَقِ إِلَّا بَقَاءَ الْحَبِيبِ^(٥)
وَهَلْ أَنَا إِلَّا أَمْرُؤُ شَاعِرٌ * كَثِيرُ الْأَمَانِي قَلِيلُ النَّشْبِ^(٦)
يَقُولُ وَيُطْرِبُ أَتْرَابَهُ * وَيَقْنَعُ مِنْهُمْ بِذَاكَ الطَّرِبِ^(٦)
تَعَلَّقْتُ حِينَ بَدَيْلِ الْيَانِ * وَأَدْخَلْتُ نَفْسِي فِيمَنْ كَتَبَ

(١) حُمَاةُ الْقَرِيضِ : رجال الشعر . والسراة : جمع سرى ، وهو الرفيع القدر من الناس .

(٢) الْجَنَان : الزلزال ، الواحدة جمانة . شبه به وينثار الذهب ما قيل من الشعر والخطب في مدحه

والثناء على أدبه . (٣) الْمُقْتَضِبُ : المقطع قبل التمام . (٤) الْحَبِيب : الفقايع

التي تكون على سطح الماء . ويشبه به زوال الشيء بسرعة . (٥) النَّشْب : المال .

(٦) أَتْرَابَهُ : أمثاله في السن ، الواحد ترب (يكسر التاء وسكون الراء) .

فلا السُّبْقُ لِي فِي جَمَالِ النَّهْيِ * وَلَا لِي يَوْمَ الْقَهَارِ الْقَلْبُ
 وَلَا أَنَا مِنْ عِلْيَةِ الْكَاتِبِينَ * وَلَا أَنَا بِالشَّاعِرِ الْمُتَخَبِّ
 وَلَكِنْ تَمَّ بِي عَطْفُ الْأَمِيرِ * وَرَأَى الْوَزِيرُ وَقَضَى الْأَدَبُ^(١)
 وَمَا كُنْتُ أَحْلَمُ - لَوْلَا الْوَزِيرُ - * بِهَذَا الْمَنَاءِ وَهَذَا اللَّقَبُ^(٢)
 عَلَى أَبَادٍ لَهُ جَمَّةٌ * وَقَضَى قَدِيمٌ شَرِيفُ السَّبَبِ^(٣)
 فَأَنَا أَقَالَ بِهِ عَثْرِي * وَأَوْرَى زِنَادِي وَأَنَا وَهَبُ^(٤)
 تَفَيَّاتٌ مِنْهُ ظِلَالُ النِّعَمِ * وَأَصْبَحْتُ أَعْرِفُ بُسَّ الْقَصَبِ^(٥)
 وَأُمْنِي أَخْتِيَالًا إِلَى عَائِدِينَ * يُطَالِعُنِي بِدُرْهَا عَنْ كَتَبِ^(٦)
 وَالنِّمُّ كَفَّ كَرِيمِ الْجُدُودِ * غِيَاثِ الْعُفَاةِ مُزِيلِ الْكُرْبِ^(٧)
 وَأَخْتَتَيْنِ وَفُودِ السَّرَاةِ * مَطَايَا الرَّجَاءِ لَذَاكَ الرَّحْبِ^(٨)
 أَتَوَّا خَالِصِينَ لَوَجْهِ الْأَمِيرِ * فَلَا عَنْ رِيَاءٍ وَلَا عَنْ رَهْبِ^(٩)

- (١) يريد « بالوزير » : أحمد حشمت باشا وزير المعارف إذ ذاك . ولد في كفر المصلحة من إقليم المنوفية في (سنة ١٢٧٥هـ) (سنة ١٨٥٨م) وبعد أن أتم علومه ونال شهادة الحقوق تولى عدة مناصب قضائية وإدارية في الحكومة المصرية ، وأتم المناصب التي تولاها نظارته للمعارف العمومية ، وتوفي في سنة ١٩٢٦م وكان له من الأباذى البيضاء على حافظ ما جعله يلهج بشكره في هذه القصيدة .
- (٢) يريد لقب (البكوية) الذي أنعم عليه به في السنة المشار إليها في أول هذه القصيدة .
- (٣) الأباذى : النعم . (٤) الضمير في « به » الفضل . يقال : أوردى فلان زندي ، إذا أجابني إلى ما أطلب . والأصل في إيراد الزند ، أن تستخرج ناره . (٥) تخيلاً الظل : التجأ إليه واستظل به . (٦) يريد « بالبلد » : الخديوي عباس الثاني ، والكتب (بالحرريك) : القرب .
- (٧) العفاة : طلاب المعروف ، الواحد عاف (كقاض) . (٨) أخت مطايا الرجا ، أى أيتها في سرعة . والمرأة من الناس : الزعيم المزعلة ، الواحد سرى (يفتح السين) . (٩) الرهب : الخوف .

لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ مِنْ رَبِّهِمْ * رِضَاءُ الْأَمِيرِ وَنَيْلُ الْأَرْبِ
 (١) وَلِلْكَاشِحِينَ نَكَالُ الزَّمَانِ * وَنَحْسُ النُّجُومِ ذَوَاتِ الذَّنَبِ
 فَعَهْدُ الْأَمِيرِ كَعَهْدِ الرَّشِيدِ * يَمُتُ إِلَيْهِ بِجَبَلِ النَّسَبِ
 (٢) إِلَيْكَ (أَبَا حَسَنِ) أَتَتَنِي * فَازَلَّ مَوْلى إِلَيْكَ أَنْتَسَبِ
 (٣) عَرَفْتَ مَكَانِي فَأَذْنَيْتَنِي * وَشَرَفْتَ قَدْرِي (بِدَارِ الْكُتُبِ)
 وَعَرَفْتَ دَهْرِي مَكَانَ الْأَدِيبِ * وَقَدْ كَانَ دَهْرِي شَدِيدَ الْكَلْبِ
 (٤) فَلَوْ أَنَّ لِي مَرْقِصَاتِ (الْخَلِيلِ) * وَإِعْجَازَ (شَوْقِي) إِذَا مَا رَغِبَ
 لَقُمْتُ بِشُكْرِكَ حَقَّ الْقِيَامِ * وَلَكِنْ طَلَبْتُ فَعَزَّ الطَّلَبُ
 فَشُكْرِي لَصُنْعِكَ شُكْرُ النَّبَاتِ * يَبْطِنُ الْفَلَاةِ لِقَطْرِ السَّحْبِ
 وَشُكْرًا (لَشَوْقِي) رَسُولِ الْقَرِيضِ الـ * كَرِيمِ الْإِخَاءِ الْمَتِينِ السَّبَبِ
 (٥) وَشُكْرًا (لِدَاوُدَ) رَبِّ الْيَرَّاعِ * وَشُكْرًا (لِسَرْكِيْسَ) رَبِّ الْعَجَبِ
 وَشُكْرًا لِكُلِّ كَرِيمٍ سَمَى * إِلَى وَكُلِّ أَدِيبٍ خَطَبَ

- (١) الكاشحون : الأعداء الذين يطنون العداوة، الواحد كاشح، وذلك لأنه يتباعد منك ويوليكَ كشحه . (٢) اتنى : انتسب . ويريد « بأبي حسن » : المرحوم أحمد حشمت باشا .
 (٣) يشير إلى أن حشمت باشا هو الذى عين حافظاً فى منصبه المعروف بدار الكتب .
 (٤) يريد « بالخليل » : خليل بك مطران الشاعر المعروف ؛ ومرقصاة : قصائده .
 (٥) داود ، هو داود بركات الكاتب اللبناني المعروف ، وكان رئيساً لتحرير جريدة الأهرام .
 ولد بقرية يحشوش من أعمال لبنان سنة ١٨٧٠ م ، وتوفى فى ٤ نوفمبر سنة ١٩٣٣ م . وسركيس ،
 هو سليم سركيس الكاتب اللبناني المعروف ، محرر جريدة المشير ومجلة سركيس ، ولد فى بيروت عاصمة لبنان
 سنة ١٨٦٩ م ، وكانت وفاته فى سنة ١٩٢٥ م .

(١) هُمُ يَجْعُونِي عَلَى أَنْفِ أَقُولُ * وما كَانَ لِي بَيْنَهُمْ مَضْطَرَبٌ
(٢) هُمُ أَلْمُونِي فَصِيحَ الْكَلَامِ * هُمُ عَلَّمُونِي طَرِيقَ النُّخْبِ
فَعَنَّهُمْ أَخَذْتُ وَعَنْهُمْ صَدَرْتُ * وَمِنْ عِنْدِهِمْ فَضْلِي الْمَكْتَسَبُ
فَحَبَّبُوا عَزِيزَ الْبِلَادِ الَّذِي * عَلَى السُّخْبِ ذَيْلَ الْمَعَالِي سَعَبُ
(٣) وَجَبُوا (مَسْعِدًا) وَزِيرَ الْأَمِيرِ * قَرِيبَ الصَّوَابِ بَعِيدَ الْغَضَبِ
تَوَلَّى الرَّأْسَةَ وَالْحَادِثَاتِ * تَرَوُّعُ النَّفْسِ يَوْجُ النَّوَبِ
فَسَاسَ الْبِلَادِ وَأَرْضَى الْعِبَادِ * وَأَرْضَى الْأَمِيرَ وَأَرْضَى الْأَدَبِ

إلى حَفْنِي نَاصِفِ بَكْ

قالها في حفل أقامه أعضاء نادى ملطاً لكرم حَفْنِي بَكْ لانتقاله من القضاء الى التقاعد بنظارة المعارف

[نشرت في ٥ أكتوبر سنة ١٩١٢ م]

(١)

يَا يَوْمَ تَكْرِمِ (حَفْنِي) * أَرَهَفْتَ لِلْقَوْلِ ذَهْنِي

فِيَا قَرِيبُ أَجِبْنِي * فَيَا بَيَّانُ أَعْنِي

(١) المضطرب: المذهب. (٢) طريق النخب، أى طريق المنتخب من الكلام المختار منه، وهو جمع نخبة (بضم النون وسكون الخاء أو بضمهما). (٣) يريد المرحوم محمداً سعيداً باشا وكان رئيساً للوزارة إذ ذاك. (٤) حَفْنِي بَكْ ناصف هو ابن الشيخ إسماعيل ناصف؛ ولد عام ١٢٧٢ هـ في ضاحية من ضواحي القاهرة تدعى بركة الحاج، ثم دخل كتّاب القرية فالأزهر فدارالعلوم، ثم كان أستاذ اللغة العربية في مدارس الحكومة، وأختير للتدريس في مدرسة الحقوق، فرأى إن يشارك طلبتها في دروسهم، فعلم القانون وترك التدريس وانتخب كاتب سر للنايب العمومي، ثم عين قاضياً بالحاكم الأهلية سنة ١٨٩٢ م فولا للاحدى الحاكم، وانتخب لتدريس الأدب العربي في الجامعة المصرية وهي أعلية، ثم انتخب مفتشاً للغة العربية بوزارة المعارف؛ وتوفي في سنة ١٣٣٧ هـ - سنة ١٩١٩ م وكان رحمه الله فكه الحديث، مليح النادرة، مشاركاً في كل علم وفن من علوم اللغة وفنونها. (٥) الإرهاف: الشد والتحديد.

عَلَى أَفَى بَعْضَ دَيْبِي * إِنَّ كَانَ ذَلِكَ يُغْنِي
 يَا مَنْ ضَرَبْتَ بِسَهْمٍ * فِي كُلِّ عِلِيمٍ وَفَنٍّ
 بَنَيْتَ لِلشَّعْرِ فِينَا * وَالنَّثْرِ أَعْظَمَ رُكْنِي
 وَمَا خُلِقْتَ لَعَمْرِي * فِي الشَّرْقِ إِلَّا لِتَبْنِي
 فَكُلُّ رَبِّ يَرَايَ * فِي مِصْرَ خَرَجَ (حَفْنِي)
 (١) إِنَّ قَالَ شِعْرًا فَرَاخَ * تُدَارُ فِي يَوْمٍ دَجْنِ
 (٢) أَوْ قَالَ نَثْرًا فَرَوْحَ * يَحْتَازُنَا غِبُّ مُزِينِ
 فَإِنَّ بَدَأْتَ بِقَوْلٍ * مِنْهُ فَبِالكَأْسِ تَنْ
 وَطَرِ إِلَى اللَّهِوِ وَأَرْغَبَ * عَنْ حِكْمَةِ الْمُتَأَنِّ
 (٣) فَالْعَيْشُ فِي يَنْتِ فِكْرٍ * تُجَلَّى وَفِي يَنْتِ دَنْ
 وَإِنْ طَلَبْتَ مَزِيدًا * فَنِي مُنَاجَاةٍ يَخْنِدِ
 لَوْلَا الْحَيَاءُ وَلَوْلَا * دِينِي وَعَقْلِي وَمِسْنِي
 (٤) لَقُمْتُ فِي يَوْمٍ (حَفْنِي) * أَدْعُو لِسَكْرَةٍ دُونِي

(١) الراح : الخمر . والديجن : ظل النسيم في اليوم المطير . وقديما مدح الشعراء الشرب والهوفيه .

(٢) الروح : الريح . والمزن : المطر ، وأنق ما يكون النسيم غيب مطر .

(٣) بنت الفكر : نتاج القرائح والأفكار . وبنت الدن : الخمر . والدن : رماء كبير لها .

(٤) سكرة بنى ، مثل مصرى يضرب في كثرة الشرب والإفراط في السكر .

- (١) وَلَا أَقُولُ (لَحْفَنِي) * مَا قِيلَ قَدَمًا (لَمَعْنِ)
 (٢) لَا تَنْسَ عَيْشًا تَوَلَّى * مَا بَيْنَ شَرِيحٍ وَمَتْنٍ
 وَلِيَّ شَبَابِكَ فِيهِ * مَا بَيْنَ مَدٍّ وَغَرْبٍ
 (٣) وَذُقْتَ مِنْ «جَاءَ زَيْدٌ» * وَمِنْ شُرُوحِ (الشُّمْنِ)
 (٤) وَمِنْ حَوَائِشِ الْحَوَائِشِ * عَلَى مُتُونِ (ابْنِ جَنِّي)
 (٥) مَا لَمْ تُذِقْكَ اللَّيَالِي * قَلْبَيْنِ ظَهَرَ الْمَجْنُونُ
 (٦) أَيَّامَ (سُلْطَانٍ) يَلْهُو * (بِمَشْهُ) وَيَغْنَى

(١) يشير بهذا البيت الى ما ورد من أن شاعرا أراد أن يجزب حلم من بن زائدة الشيباني ويستثير حفيظته، فجهجاه بقصيدة، منها :

أَنْذِرْكَ إِذْ لَحَافَكَ جِلْدَ شَاةٍ * وَإِذْ نَعْلَكَ مِنْ جِلْدِ الْبَيْرِ

(٢) يريد بهذا البيت وما بعده من الأبيات تذكري حفتي بمهده في الأزهر وما لاقاه من شغل العيش فيه أيام كان طالبا به مع زميله المرحوم سلطان محمد بك .

(٣) الشمني، هو أبو العباس تقي الدين أحمد بن محمد بن محمد بن حسن التميمي الداري الحفني من علماء القرن التاسع، ولد بالاسكندرية سنة ٨٠١ هـ وتوفي في شهر ذي الحجة سنة ٨٧٢ هـ .

(٤) ابن جني، هو أبو الفتح عثمان بن جني الموصل، إمام من أئمة النحو معروف، ولد قبل سنة ٣٣٠ هـ وتوفي في صفر سنة ٣٩٢ هـ .

(٥) «ما» : مفعول لقوله قبل : «وذقت» . والحجن : الترس . وقلبين له ظهر المجن، أي تقيرن عليه وتكرن له، وهو مثل يضرب لمن كان مع صاحبه على مودة ثم يتحول عنها .

(٦) يريد بسلطان : المرحوم سلطان محمد بك زميل حفتي بك، وكان مجاورا معه في الأزهر، وتخرج في دار العلوم، ثم كان أستاذا بها وبالجامعة المصرية القديمة أيضا .

بَيْتُ يَقْصَعُ مَا لَمْ * أَسْمَهُ أَوْ أُكَيَّ
يَشْكُو إِلَيْكَ وَتَشْكُو * إِلَيْهِ عَيْشَةَ عَيْنِ
أَيَّامُ يَدْعُوكَ (حَفِي): * مِنَ الْحَيَاةِ أُخْرَى
هَاتِ الْمَسَدَّسَ إِنِّي * سَمِيتُ (مَتَّى) وَ (جُنَيْ)
(١)
مَنْ لِي بِدِرْهِمٍ لَحِيمٍ * عَلَيْهِ حَبَّةُ تَمْرٍ
(٢)
قَرِئْتُ وَاللَّهِ حَقِّي * صَاحَتْ عَصَافِيرُ بَطْنِي
أَيَّامُ عَيْلِكَ يَوْمٌ * تَقُوزُ فِيهِ بُدْهِنُ
(٣)
أَيَّامُ (مَهْيَا) أَشْهَى * إِلَيْكَ مِنْ (سَنَ جَوْنِي)



أَقُولُ هَذَا وَإِنِّي * لَمُحْسِنٌ فِيكَ ظَنِّي
فَإِنِ فُتِّتَ وَزِيرًا * يَوْمًا وَجِئْنَا نُهْنِي
فَلَا تَكُنْ ذَا حِجَابٍ * وَلَا تُطْلُ فِي التَّجَنِّي
وَلَا تُقْلُ مِنْ غُرُورٍ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي

(١) الحبة . جاز من ثمانية وأربعين جزءاً من درهم .

(٢) قرم إلى اللحم قرماً (بالتحريك) : اشتدت شهوته إليه . وصياح عصافير البطن : سخاية عن شدة الجوع .

(٣) مهياً : اسم لبايع أطعمة أكثرها من الفول بجوار الأزهر . (وسان جوني) : اسم لبايع حلواء في مدينة حلوان .

(٤) إني ، أي إنني وكذا وكذا بما يحدث به عن نفسه في معرض الفخر .



(١)
أَخَشَى عَلَيْكَ الْمَنَابَا * حَتَّى كَأَنَّكَ مِنِّي
إِذَا شَكَّوْتَ صُدَاعَا * أَطَلْتُ تَسِيدَ جَفْنِي
وَإِنْ عَرَكَ هُزَالٌ * هَيَّأْتُ لِحْدِي وَقُطْنِي
وَإِنْ دَعَوْتُ لِحْيَ * يَوْمًا فَلِإِيَّاكَ أَغْنِي
عُمْرِي بِعُمْرِكَ رَهْنٌ * فَعِشْ أَعِشْ أَلْفَ قَرْنٍ
نَبَقِي وَإِلَيْسَ فِيهَا * نُبْلِي أَلْيَالِي وَتُقْنِي
أَسْرَفْتُ فِي الْمَرْحِ فَاصْصَقْ * يَا سَيِّدِي وَأَعْفُ عَنِّي
فَالذَنْبُ ذَنْبٌ (شُدُودِي) * فَالْعَنَ (شُدُودِي) وَدَعْنِي
(٢)
قَدْ سَنَّا فِينَا مُرَاحَا * عَلَى الْحَقِيقَةِ يَمْحِي
دُقْتُ الْأَمْرَيْنِ مِنْهُ * فَسَلَّ (سَلِيًّا) وَسَلَّنِي
(٣)
وَأَسْمَعُ مَدِيحَ مُحِبٍّ * يُطْرِي بِحَقٍّ وَيُنْنِي

- (١) يشير بهذا البيت وما بعده من الأبيات الخمسة الآتية بعده إلى حادثة معروفة بين حفني وحافظ ، وذلك أنه لما توفي المرحوم الشيخ محمد عبده وقف على قبره يوم تأييده ستة من الخطباء ، وهم : الشيخ أبو خنوة ، وحسن حاصم باشا ، وحسن عبد الرازق باشا ، وقاسم أمين بك ، وحفني ناصف بك وحافظ إبراهيم بك ، وقد مات الأربعة الأولون واحدا بعد واحد على حسب ترتيبهم في يوم الاثنين وجاءت النوبة على حفني بك ، وكان قد بعث إلى حافظ بأبيات يذكر فيها بالموت ، ويدعوه إلى الاستعداد له إذا نزلت به المنية . (٢) هو الدكتور إبراهيم شُدودي الرمدي الشاعر الأديب المعروف وكان قد نظم مقطوعة في تكريم حافظ نحا فيها هذا النحون المزعج ، وذكر حافظا عبده السابق في الجيش . (٣) يريد سليم مركيس انظر التعريف به في الحاشية رقم ٦ من صفحة ١٧٨

لقد جمعت خلافاً * تَضَمَّنَتْ كُلَّ حُسْنٍ
(١)
مُقْتَنِّشاً وَفَقِيهًا * وَقَاضِيًا وَأَبْنَ قَنْ
إِنَّ (الْمَعَارِفَ) فَازَتْ * مُبْنِيَةَ الْمُتَمَنَّى
(٢)
(بِحِشْمَتٍ) وَ(عَلَى) * أَبِي الْفُتُوحِ) وَ(حَفْنِي)

اعتذار إلى أحمد شوقي بك

كتب به إليه حينما أقيم حفل زواج كريمته السيدة أمينة هانم بحامد العللايلي بك
في كرسية ابن هاني ولم يحضره حافظ لمرض ألم به
[نشرت في ١٥ يناير سنة ١٩١٣ م]

يَا سَيِّدِي وَإِلْمَايِي * وَيَا أَدِيبَ الزَّمَانِ
قَدْ عَاقَبَنِي سُوءُ حَظِّي * عَنْ حَفَلَةِ الْمِهْرَجَانِ
(٣)
وَكُنْتُ أَوَّلَ سَاعٍ * إِلَى رِحَابِ (أَبْنِ هَانِي)
لَكِنْ مَرِضْتُ لِنَحْيِي * فِي يَوْمِ ذَلِكَ الْفَرَانِ

(١) ابن فن : كلمة شائعة الاستعمال يوصف بها الظرفاء وأصحاب الذكى الطريفة
والفكاهات الرقيقة .

(٢) يريد بحشمت : أحمد حشمت باشا ناظر المعارف إذ ذلك . وعلى أبو الفتوح باشا ويكلها .
(٣) يريد بابن هاني : أحمد شوقي بك ، وكان يكنى بهذه الكنية تشبهاً بأبي نواس الحسن بن هاني
الحكي الشاعر العباسي المعروف ، لما بين الشاعرين من الشبه في الاتصال بالملك ومخالطتهم ، والاتحاد
في بعض أغراض شعرهما .

وقد كفاني عقاباً * ما كان من حرمانى
 حرمت رؤية (شوق) * ولثم تلك البنان
 فاصفح فانت خليق * بالصفح عن كل جاني
 وعش لعرش المعاني * ودُم لتاج البيان
 إن فاتني أن أوقى * بالأمس حقّ الثّاني
 فأقبله مني قضاء * وكن كريم الجنان^(١)
 والله يقبل منّا الصّلاة بعد الأوان

دعابة

رزق الشيخ أمين تقي الدين الأديب السوري بمولود سماه حافظاً
 وقال فيه :

لي ولدٌ سمّيته حافظاً * تيمناً بحافظ الشاعر^(٢)
 [نشرت في ١٥ يولييه سنة ١٩١٣ م]

فقال حافظ :

حافظ إبراهيم لكنه * أجمل خلقاً منه في الظاهر
 قلنّه الله على (حافظ) * إن لم يكن بالشاعر الماهر^(٣)
 لعل أرض الشام تُزهي به * على بلاد الأدب الزاهر

(١) الجنان : القلب . (٢) لم يتون اسم حافظ لضرورة الوزن .

(٣) يريد « يبلاد الأدب » : مصر .

(١)
على بلاد النيل تلك التي * تاهت بأضباب الذكا النادر
شوقي و(مطران) و(صبري) ومن * سميته في مطلقى الباهر

فقال الشيخ أمين :

واتجلى إن لم يحن شاعرا * ينسى أباه حكمة النائر
شعر نظمنه ولولا الذى * رزقه ما مر بالخاطر

فقال حافظ :

(٢)
فيا وليدى كُنْ قدا شاعرا * وأبدأ بهجوى الوالد الأير
فالذنب ذنبى وأنا المعتدى * هل يسلم الشاعر من شاعر

بين شوقي وحافظ

[نشرت فى سنة ١٩١٧ م]

كان (أحمد شوقي بك) قد بحث بأبيات ثلاثة وهو فى منفاه بالأندلس

الى حافظ، وهى :

باساكى مضرا لانا لا تزال على * عهد الوفاء - وإن غنا - مقيمينا
(٣)
هلا بعث لنا من ماء نهرهم * شيئا نبذل به أحشاء صاديننا
(٤)
كل المناهل بعد النيل آسنة * ما أبعد النيل إلا عن أمانينا

(١) تاهت : اختفت . (٢) الأمر ، أى الذى يأمر بك بصنع الشعر .

(٣) الصادى : الظمان . (٤) المناهل : الموارد . والماء الآسن : المتغير .

فأجابه حافظ بهذه الأبيات

[نشرت في ٨ مايو سنة ١٩١٧ م]

عَجِبْتُ لِلنَّيْلِ يَدْرِى أَنَّ بُلْبُلَهُ * صَادٍ وَيَسْقِي رَبًّا مِصْرَ وَيَسْقِينَا
وَاللَّهِ مَا طَابَ لِلْإِخْتَابِ مَوْرِدُهُ * وَلَا أَرْتَضُوا بَعْدَكُمْ مِنْ عَيْشِهِمْ لَنَا
لَمْ تَسْأَلْ عَنْهُ وَإِنْ فَارَقْتَ شَاطِئَهُ * وَقَدْ نَأَيْنَا وَإِنْ كُنَّا مُقِيمِينَ^(١)

بين حافظ والمهراوى

احتجب المرحوم حافظ ابراهيم بك حين كان بدار الكتب المصرية بعض أيام
في بيته بالجيزة سنة ١٩١٨ م فذهب صديقه محمد المهراوى الشاعر المعروف ليزوره
ولما رآه على غير حالته المألوفة جالت بعض المعانى في خاطره، فارتجل هذه الأبيات:

يَا رَيْئِسَ الشَّعْرِ قُلْ لِي * مَا الَّذِى يَقْضِى الرَّئِيسَ^(٢)
أَنْتَ فِي الْحِيزَةِ خَافٍ * مِثْلَمَا تَخْفَى الشُّمُوسُ
قَائِعٌ فِي كِسْرِ بَيْتٍ * قَدْ أَظْلَمَتِ الْغُرُوسُ
زَاهِدٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ * مُظْطَرِقٌ سَاهٍ عِبُوسُ
أَيْنَ شَعْرُ مَنْكَ نَضَّرُ * فَلَنَّا فِيهِ مَسِيسُ^(٣)
وَحَدِيثُ مَنْكَ حُلُوٌ * يَتَشَهَّاهُ الْجُلُوسُ

(١) يتأى: يبعد. (٢) يقضى: يصنع ويعمل. قال تعالى: (فقضاهن سبع سموات في يومين).

(٣) مسيس، أى حاجة ماسة، يقال: مست الحاجة الى كذا، أى ألجأت إليه.

وَفُكَّاهَاتٍ عِذَابٍ * تَمَنَّاها النَّفُوسُ
قَدْ جَفَوْتَ الشَّعْرَ حَتَّى * حَدَّثَتْ عَنْكَ الطُّرُوسُ
وَهَجَرَتِ النَّاسَ حَتَّى * سَاءَلُوا أَيْنَ الْأَنْيَسُ؟

فأجابه حافظ على البديهة أيضا :

^(١)
أَنَا فِي الْحِيزَةِ ثَابِرٌ * لَيْسَ لِي فِيهَا أَنْيَسُ
أَنْكَرَ الْأَنْسَ مَكَانِي * وَنَأَى عَنِّي الْجَلِيسُ
لَيْسَ يَدْرِي مَنْ رَأَى نِي * أَطْلِقُ أَمْ حَيْسُ

دعابة كتب بها إلى السيد محمد البيلالوي نقيب الأشراف

[لما ولد نقابة الأشراف في سنة ١٩٢٠ م]

^(٢)
قُلْ لِلنَّقِيبِ لَقَدْ زُرْنَا قَضَيْتَهُ * فَذَادَنَا عَنْهُ حُرَّاسٌ وَجَجَابُ
^(٣)
قَدْ كَانَ بِأَبْكَ مَفْتُوحًا لِقَاصِدِهِ * وَالْيَوْمَ أَوْصَدَ دُونَ الْقَاصِدِ الْبَابُ
^(٤)
هَلَا ذَكَرْتَ (بِدَارِ الْكُتُبِ) مُحِبَّتَنَا * إِذْ نَحْنُ رَغَمُ صُرُوفِ الدَّهْرِ أَحِبَابُ
^(٥)
لَوَاتْنِي جِئْتُ (لِلْبَابِ) لَا كَرَمَنِي * وَكَانَ يُكْرِمُنِي لَوْ جِئْتُهُ (الْبَابُ)

- (١) الثابري : المقيم . (٢) ذادنا : منعنا . (٣) أوصد الباب : أغلقه .
(٤) صرُوف الدهر : نوائبه ؛ يشير إلى أن السيد محمد البيلالوي كان هو والشاعر يعملان معا
في دار الكتب المصرية . (٥) يريد « بالباب » : رأس الطائفة المعروفة بالبابية ، وهم فرقة من
غلاة الشيعة ، وسمى باباء لأنهم يعدونه باب المهدي ، أى نائبه .

(١)
لَا تَحْشَ جَائِزَةً قَدْ جِئْتُ أَطْلُبُهَا * إِيَّيْ شَرِيفٍ وَالْأَشْرَافِ أَحْسَابُ
(٢)
فَاهْتَابًا نِلْتَ مِنْ فَضْلٍ وَإِنْ قُطِعَتْ * بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْيَوْمِ أَسْبَابُ

استئذان الرئيس

بيتان أرتجلهما في الاستئذان على المغفور له سعد زغلول باشا

[نشر في ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢٤ م]

قُلْ لِلرَّيْسِ أَدَامَ اللَّهُ دَوْلَتَهُ * بَأَنَّ شَاعِرَهُ بِالْبَابِ مُتَنَظِّرُ
إِنْ شَاءَ حَدَّثَهُ أَوْ شَاءَ أَطْرَبَهُ * بِكُلِّ نَادِرَةٍ تُجَلَّى بِهَا الْفِكْرُ

دعابة

قالها في الدكتور محبوب ثابت سنة ١٩٢٧ م ، وكان كلاهما في ضيافة
المرحوم سعد زغلول باشا في مسجد وصيف ، وكان الدكتور — فيما قالوا —
مشغولا بأمرين إذ ذاك : وزارة يتولاها ، وفئة غنية من بيت عريق يتزوجها
والى هذا يشير الشاعر في هذه القصيدة :

(٣)
يُرْنِي وَيُزِيدُ بِالْقَائَاتِ تَحْسِبُهَا * قَصَفَ الْمَدَافِعِ فِي أَفْئِ الْبَسَاتِينِ
(٤)
مِنْ كُلِّ قَافٍ كَأَنَّ اللَّهَ صَوَّرَهَا * مِنْ مَارِجِ النَّارِ تَصْوِيرَ الشَّيَاطِينِ

(١) يشير بقوله : « إِيَّيْ شَرِيفٍ » ، إلى الحكم الشرعي المعروف من أن الصدقة لا تجوز على
الأشراف . (٢) يريد بالأسباب : روابط المودة . (٣) يشير بهذا البيت إلى كثرة ورود
حرف القاف في حديث الدكتور محبوب ثابت وجرسه على النطق بها . ويريد بالخطر الثاني منه أن هذه
القفات القليلة الواقع على الأذن في وسط كلماته الرقيقة أشبه بأصوات المدافع المرمدة في البساتين الغناء .
(٤) المارح : النار التي لا دخان لها .

(١) قَدْ خَصَّهُ اللَّهُ بِأَلْفَاتٍ يَلِكُهَا * وَأَخْتَصَّ سُبْحَانَهُ بِالْكَافِ وَالنُّونِ
 (٢) يَغِيبُ عَنْهُ الْحِجَابُ حِينَ وَيَحْضُرُهُ * حِينَ فَيَخْلُطُ مُحْتَلًّا بِمُزَوِّنِ
 (٣) لَا يَأْمَنُ السَّامِعُ الْمُسْكِينُ وَثَبَّتَهُ * مِنْ (كَرْدَقَانِ) إِلَى أَعْلَى (فَلَسْطِينِ)
 (٤) بَيْنَا تَرَاهُ يُنَادِي النَّاسَ فِي (حَلَبِ) * إِذَا بِهِ يَتَعَدَّى الْقَوْمَ فِي (الصَّيْنِ)
 (٥) وَلَمْ يَكُنْ ذَاكَ عَنْ طَيْشٍ وَلَا خَيْلٍ * لَكِنَّا عَبَقَرِيَّاتُ الْأَسَاطِينِ
 (٦) بَيْتٌ يَنْسُجُ أَحْلَامًا مُدْهَبَةً * تُغْنِي تَفَاسِيرُهَا عَنْ (ابْنِ سِيرِينَ)
 (٧) طَوْرًا وَزِيرًا مُشَاعًا فِي وَزَارَتِهِ * يُصَرِّفُ الْأَمْرَ فِي كُلِّ الدَّوَاوِينِ
 (٨) وَتَارَةً زَوْجَ عُطْبُولٍ خَدْبَلَجِيَّةٍ * حَسَنَاءَ تَمْلِكُ آلَافَ الْقَدَادِينِ
 (٩) يُغْنِي مِنَ الْمَهْرِ إِكْرَامًا لِلْحَيَّةِ * وَمَا أَظْلَمَتْهُ مِنْ دُنْيَا وَمِنْ دِينِ

- (١) يملكها: يصفها. ويريد «بالكاف والنون»: قوله تعالى لما يريد خلقه: «كن فيكون».
- (٢) الحجا: العقل والفتنة. (٣) كردقان: بلد بالسودان معروف. ويشير بهذا البيت وما بعده إلى كثرة تنقل الدكتور محبوب بين المجالس والأندية، وتنقله في موضوعات الحديث، وعدم استقراره في مكان واحد ولا موضوع واحد، وبعد المسافات التي يقطعها في هذا التنقل. (٤) تحذاه: يراه وتازمه الغلبة.
- (٥) يريد «بالأساطين»: الأعلام المبرزين في مختلف العلوم والفنون، جمع أسطوانة، وهي في الأصل العمود والسارية. (٦) أظهر الممزق «ابن سيرين» لضرورة الوزن. وابن سيرين: عالم معروف بتفسير الأحلام، وينسب له كتاب مشهور في ذلك. (٧) يشير بهذا البيت إلى أمانة الدكتور محبوب في أن يكون وزيرا في إحدى الوزارات، هو لا يستقر في أمانة حل وزارة واحدة.
- (٨) العطبول من النساء: الفتية الجميلة المنحلة، الطويلة النقى. والخدبلجة: المنحلة الذراعين والساقين. يشير إلى أمانة الدكتور محبوب في أن يتزوج من تلك صفتها. (٩) يشير بهذا البيت إلى طول لجة الدكتور محبوب وما يتوسمه الناس فيه بسببها من الصلاح والخير حتى إنهم ليعفونه من مهور بناتهم إكراما لها إذا أراد التزوج من إحداهن.

دمع السرور

قال هذين البيتين عند زيارته للجمع العلمي بدمشق

شَكَرْتُ جَمِيلَ صُنْعِكُمْ بِدَمْعِي * وَدَمْعُ الْعَيْنِ مِقْيَاسُ الشُّمُورِ
لِأَوَّلِ مَرَّةٍ قَدْ ذَاقَ جَفْنِي * — عَلَى مَا ذَاقَهُ — دَمْعُ السُّرُورِ

دعابة كتب بها إلى صديق له

وكانت جواباً عن قصيدة دعابة أيضاً بعث بها إليه هذا الصديق

وَإِنِّي كِتَابُكَ يَزْدَرِي * وَالذَّرَّ أَوْ بِالْجَوْهَرِ
فَقَرَأْتُ فِيهِ رِسَالَةً * مُزِجَتْ بِذَوْبِ السُّكَّرِ
أَجَرَيْتَ فِي أَشْنَائِهَا * نَهْرَ أَنْسِجَامِ الْكَوْثَرِ^(١)
وَقَرَّطْتَ بَيْنَ سَطُورِهَا * مَنُظُّومَ تَاجِ الْقَيْصَرِ^(٢)
وَحَبَّاتٍ فِي أَلْفَاطِهَا * مِنْ كُلِّ مَعْنَى مُسْكِرِ^(٣)
فَتَرَى الْمَعَانِي الْفَارِسِيَّةَ * فِي مَفَاضِي الْأَسْطَرِ^(٤)
كَالْغَانِيَّاتِ تَقْنَعَتْ * خَوْفَ الْمُرِيبِ الْمُجْتَرِي

(١) الكوثر: نهر في الجنة . وأنسجامه : انسياه واطراده ؛ وفي هاتين الكلمتين قلب ظاهر دعت

إليه ضرورة الوزن ، والأصل : انسجام نهر . (٢) منظوم تاج القيصر : جواهره .

(٣) المعاني الفارسية ، أي البديعة ؛ وقد نسبها إلى فارس لأنهم كانوا أهل إبداع في الفنون .

وشبه الأسطر المحتوية على المعاني بالمعاني ، وهي المنازل المكونة .

(٤) الغانيات : جمع غانية ، وهي المرأة الغنية بحسنها وجمالها عن الزينة . والمجترى : المجترى .

مَعْنَى الَّذِي مِنَ السَّمَاءِ * تَهَ بِالْعَلَوِّ الْمَذْبُورِ^(١)
 أَوْ مِنْ عَنَابٍ بَيْنَ مَحْ * بُوَيْ وَحِبِّ مُعْذِرِ^(٢)
 أَوْ فِتْرَةٍ أَضَاعَهَا أَلْ * قَامِرٌ عِنْدَ الْمَيْسِرِ^(٣)
 أَوْ مَجْلِسٍ لِلتَّحْمِيرِ مَعْد * قُودٍ بِيَوْمٍ مُطِيرِ^(٤)
 تَسْعُونَ بِجَانِبِهَا * فَوْقَ سِنَانِ السَّمْهَرِيِّ^(٥)
 وَالسَّمْهَرِيُّ قَلَمٌ * فِي كَفِّ لَيْثٍ قَسُورِ^(٥)
 أَتَى الْقَوَائِي كَيْفَ أَذْ * مَت؟ فَقَدْ أَطْلَتَ تَحْسِيرِي؟
 أَتَرَى أَرَاكَ أَمْ أَلَلَا * يُكُونُ يَوْمَ الْحَشِيرِ^(٦)
 ... * ...
 مَا كَانَ ظَنِّي أَنْ تَعِيدَ * شَأْنِ أَيْلَافِ الْمَكِيرِ^(٧)
 وَلَقَدْ قُذِفَتْ إِلَى الْجَحِيمِ * سِيمٌ وَبُئْسَ عُقْبَى الْمُنْكَرِ^(٨)
 تَاللَّهِ لَوْ أَصْبَحْتَ (أَفْ * لَأَطُونُ) تِلْكَ الْأَعْصِرِ^(٨)

- (١) المذبر : التهميم . (٢) الحب (بالكسر) : المحبوب . والمعذر : المنصف العادل .
 ويجوز أن يراد به معنى المقصر فيما يرضى محبوبه . (٣) يشبه لذة ممانيه بلحظة اللعب
 في الميسر . والقامر : المقامر . (٤) السهمري : الرمح الصلب . أو هونبة إلى سمهرزج
 ودبسة الذين كانوا يهفان الرياح ؛ أو إلى قرية في الحبشة . ومعنى (شادها فوق سنان السهمري) أنه
 أنشأها بقله الجبار . (٥) القسور : اسم من أسماء الأسد ، سمى بذلك لقبته وقهره .
 (٦) هنا تضرب من ذكر أبيات اقتضاها مقام المداعبة بين حديقين جميعين لا يصح نشرها .
 (٧) الهم المكسر : الذي يظهر لومه بعد الاختبار . وأصله من العود الذي يظهر ضعفه حين يكسر .
 (٨) أطلطون : فيلسوف يوناني معروف ؛ ولد في سنة ٢٧٤ ق م ، وكانت وفاته في سنة ٣٤٧ ق م .

وفداً (إقراط) ييا * بك كالعديم المعير
 وبرعت (جالينوس) أو * (لقمان) بين الحضر^(١)
 ما كنت إلا تافه ال * آداب عند المعسر^(٢)
 غفراك اللهم إني من ظلاميته برى^(٣)
 سويته كالركن كدت وجاءنا كالأخدرى^(٤)
 وجه ولا وجه الخطو * ب وقامة لم تسير^(٥)
 ومن العجائب أن يش * مل لسانه لم يستر^(٦)
 كم بات يلتحم العرو * ض وجاء بالأمر الفرى^(٧)
 فافعل به اللهم كال * مروذ فهو بها حرى^(٨)
 وأنزل عليه السخط إن * أمسى ولم يستغفر^(٩)

- (١) الحضر : جمع حاضر . (٢) برى : برى .
 (٣) سويته : خلقته . والركن : حيوان في جنة القيل خلقته نخلقة النور إلا أنه أعظم منه
 ذو حافر ، وعلى رأسه قرن واحد ، وهو يتشديد الدال وتحفيف النون ، ويجيء كما هنا مشدد النون من
 لغة العامة ، وكذلك ورد في شعر المتنبي . والأخدرى : حمار الوحش .
 (٤) لم تسير : لم تقس بالشبر لشدة قصرها .
 (٥) يستر : يقطع . (٦) يلتحم العروض ، أى ينال من أعراض الناس .
 والمعروف في هذا : « لم » و « ألم » ؛ يقال : لم فلان فلاناً من باب نصر ، إذا أضر به وناله
 بمكره ؛ وألحق عرض فلان ، إذا أمكنى منه أشته ، أى جعل عرضه لمة لهائب . والفري (يتشديد الياء
 وخففت للشعر) : المصنوع المختلق (يفتح اللام) ، أو الأمر العظيم . (٧) الفروذ : جبار من
 القدماء كان في زمن نبي الله إبراهيم عليه السلام . وحري (يتشديد الياء وخففت للشعر) : خليق وجدير .
 (٨) وأنزل ؛ أصله « وأنزل » بآيات الحزمة ، ووصلها لضرورة الوزن .

فهو الذى ابتدع الربا * وأقام ركن الفجر
وأقام دين عبادة الله * يد ينار بين الأظهر
ولقد نجيت لبحله * ولكفه المستجير
لا يصرِف السخوت إلا * وهو غير محير^(١)
لو أن في إمكنه * عيشا بغير تضور^(٢)
لأختار سد الفتحة * ن وقال: يا جيب أحرر^(٣)

عتاب كتب به إلى محمد سليمان أباطة بك^(٤)

طال الحديث طيكم أيها السمر * ولاح للنوم في أجفانكم أثر^(٥)
وذلك الليل قد ضاعت راحله * فليس يربحى له من بعدها سفر^(٦)
هذى مضاجعكم يا قوم فالتقطوا * طيب الكرى بعيون شابها السهر^(٧)
هل ينكر النوم جفن - لو أتبع له - * إلا أنا ونجوم الليل والقمر
أبيت أسأل نفسي كيف قاطعتي * هذا الصديق ومالى عنه مضطرب

- (١) السخوت : الشيء القليل ؛ واستعمل في نوع من العملة قليل القيمة . (٢) التضور : التالم من شدة الجوع . (٣) يريد « بالفتحين » مدخل الطعام ومخرجه . وأحرر ، أى أحرز الاتفاق .
(٤) ذكر في هامش ديوان حافظ المطبوع عند ذكر هذه القصيدة أنها كانت طويلة فقد أكثر أبياتها ؛ وقد حاولنا العثور على بقيتها فلم نوفق . (٥) السمر : المتسامرون .
(٦) الرواحل : الركائب . شبه الليل في طوله بمسافر فقد راحله ، فهو لذلك مقم غير متحول .
(٧) التقطوا طيب الكرى ، أى تصيدوا لذيق النوم . وشابها : خالطها .

(١) فَمَا مُطَوَّقَةٌ قَدْ نَالَهَا شَرَكٌ * عِنْدَ الْغُرُوبِ إِلَيْهِ سَاقَهَا الْقَدَرُ
(٢) بَاتَتْ تُجَاهِدُهُمَا وَهِيَ آيِسَةٌ * مِنَ النَّجَاةِ وَجَنَحَ اللَّيْلُ مُعْتَكِرٌ
(٣) وَبَاتَ زُعْلُولُهَا فِي وَكْرِهَا فَرِيحًا * مُرَوَّعًا لِرُجُوعِ الْأُمِّ يَنْتَظِرُ
(٤) يُحْفَظُ الْخَوْفُ أَحْشَاءَهُ وَتَزِيغُهُ * إِذَا سَرَتْ تَسْمَةُ أَوْسُوسِ الشَّجَرِ
(٥) مَنَى بِأَمْنٍ حَالًا حِينَ قَاطَعَنِي * هَذَا الصَّدِيقُ فَهَلَّا كَانَ بِدَرْكٍ
يَا بَنَ الْكِرَامِ أَتَنْسَى أَتَى رَجُلٌ * لِيُظِلَّ جَاهِيكَ بَعْدَ اللَّهِ مُفْتَقِرُ
إِنِّي قَتَاكَ فَلَا تَقْطَعْ مُوَاصَلَتِي * هَبْنِي جَنِبْتُ قُلُوبِي لِي كَيْفَ أَعْتَذِرُ؟

استعطاف

بعث به للأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

لَقَدْ رَيْتُ مُحْسُودًا طَلِكَ لِأَتْنِي * قَتَاكَ، وَهَلْ غَيْرُ الْمُنْعَمِ مُحْسَدٌ؟
فَلَا تُبْلِغِ الْحُسَادَ مِنِّي شِمَاتَةً * فَيَعْمَلُكَ مَجُودًا وَأَنْتَ مُحَمَّدٌ

- (١) المطوقة : الحماة ذات الطوق ؛ وهو لون يخالف لون سائرهما بحيث بالعين .
(٢) جنح الليل (بالكسر ويضم) : طائفة منه . واعتكر الغلام : اختلط .
(٣) زعلولها : فرخها الصغير .
(٤) يحفز أحشاه : يفزعها ويدفعها إلى الاضطراب . ويريد « يوسوس الشجر » : حقيقه .
(٥) أسوأ : خبر « ما » في قوله السابق : « فَمَا مُطَوَّقَةٌ » ... الخ . ويذكر : يتذكر .

وداع محمد المويلحي بك^(١)

حين سفره إلى معرض باريس

(٢)

يا كاتب الشرق ويا خير من * تَلُوْبُنُو الشَّرْقِ مَقَامِيهِ

(٣)

سَافِرٌ وَعُدَّ يَحْفَظُكَ رَبُّ الْوَرَى * وَأَبْعَثْ لَنَا عَيْسَى بِأَيَاتِهِ

وقال يستقبله عند عودته من هذا المؤتمر :

مَنْ لَمْ يَرِ الْمَعْرِضَ فِي اتَّسَاعِ * وَفَاتَهُ مَا فِيهِ مِنْ إِبْدَاعِ

(٤)

فَمَعْرِضُ الْقَوْمِ بِلَا زِنَاعِ * فِي نَفْسِهِ مِنْ ذَلِكَ آلِ رِيَاعِ

عتاب كتب به إلى جماعة من أصحابه

(٥)

تَنَاءَيْتُ عَنْكُمْ فُلْتُ عُرَا * وَضَاعَتْ عُهُودٌ عَلَى مَا أَرَى

(٦)

وَأَصْبَحَ حَبْلُ اتِّصَالِي بَكُمْ * نَكِيْطُ الْفِرَازَةِ بَعْدَ النَّوَى

(١) انظر التعريف بالمويلحي في الحاشية رقم ٣ من صفحة ١٥٠ (٢) يريد «مقاماته» : كتاب

عيسى بن هشام الذي أنشأ محمد بك المويلحي على نسق هذا النوع القديم من النثر المعروف بالمقامات .

(٣) يريد عيسى بن هشام ، الذي اقترضه محمد المويلحي بك صاحب حديثه ؛ ويشير بذلك الى أن

مؤلف هذا الكتاب كان قد وعد بعمل بينه وبين ثان خاص بأوروبا ، فهو يستنجزه وعده بذلك .

(٤) الريح : القلم . ويريد بنفته : ما يخطه من عروحة وصف ، شبه ذلك بنفث السحر .

(٥) تناءيت : بعدت . والعرى : جمع عروة ، وهي معروفة ؛ وقد كنى بها عن العهود والمواثيق .

أى أنه بعد عنهم فقطعوا الصلة به . (٦) الفزاة : الشمس . ويخطها : شعاعها . وقد شبه به

حبل اتصاله بأصدقائه في الضعف والوهن .

وقد زال ما كان من آفة * وودَّ زوالَ شهابِ الدُّجى
 (١) كأنَّ بقاءَ ألَوفٍا يَتَنَكُّمُ * وبيِّنِي بقاءَ حَبَابِ الْحَبَا
 (٢) سَكَنْتُ إِلَيْكُمْ وَلَمْ تَسْكُنُوا * إِلَى وَقَدْ كُنْتُ نِعَمَ الْفَتَى
 وَتَقِيَّ قَرِيقَانِ : هَذَا بِهِ * مَرَجْتُ أَلُوفَاءَ، وَذَلِكَ النَّدَى
 (٣) أَصَبْتُمْ تُرَاتًا وَأَلْهَكُمُ الْبَدَا * كَأَنَّ عَنَّا فُسْرًا أَلْبَدَا
 (٤) وَمَنْ كَانَ يُنْسِيهِ إِثْرُهُ * صَدِيقَ الْخَصَاصَةِ لَا يُصْطَفَى

ذِكْرِي

كتب بها من السودان إلى طائفة من إخوانه

(٥) * مِنْ وَاجِدٍ مُتَقَرِّ الْمَنَامِ *
 * طَرِيدٍ تَهْمٍ جَائِرِ الْأَحْكَامِ *
 * مُشْتَتِّ الشَّمْلِ عَلَى الدَّوَامِ *
 * مُلَازِمٍ لِلْهَمِّ وَالسَّقَامِ *

(١) حباب الماء (يفتح الماء) : قفائعه التي تكون على سطحه . والحيا : المطر .

(٢) سكن إليه : اطمأن إليه ووثق به .

(٣) الترات (بالضم) : ما يصاب من المال الموروث . ويريد « بالكثرة » : التنافس في كثرة الأموال والمفاخرة بها . (٤) الإثراء : كثرة الأموال . والخصاصة : الفقر والاحتياج .

(٥) الواجد ، ذو الوجد . ومتفر المتام : مطرود عنه النوم . وقوله : « من واجد » : خير مقدم ، والمبتدأ قوله : « تحية » بعد أبيات طويلة .

- * إِلَيْكُمْ يَا نُزْهَةَ الْأَنَامِ *
- * وَفَيْةَ الْإِنْسَانِ وَالْمُدَامِ *
- * مَنْ أَقْسَمُوا بِالزَّيْمِ الْأَقْسَامِ *
- * بَأَنْ يُقْضُوا دَوْلَةَ الظَّلَامِ ^(١) *
- * مَا بَيْنَ بَنَاتِ الْحَانِ وَالْأَنَامِ *
- * وَمُطَرِّبٍ مِنْ خَيْرِ الْأَقْوَامِ ^(٢) *
- * أَرْقَ مِنْ شِعْرِ (أَبِي تَمَامٍ) *
- * وَجَلِّسْ فِي غَفْلَةِ الْأَيْتَامِ ^(٣) *
- * قَدْ مَلَّ فِيهِ كَاتِبُ الْأَنَامِ ^(٤) *
- * نَمِيَّةٌ كَالْوَرْدِ فِي الْكِتَامِ *
- * أَزْهَى مِنَ الصَّحَّةِ فِي الْأَجْسَامِ ^(٥) *
- * يَسُوقُهَا شَوْقٌ إِلَيْكُمْ نَائِي *
- * تَقْصُرُ عَنْهُ هَيْئَةُ الْأَقْلَامِ *
- * يَا لَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ هَذَا أَلْعَامِ *

(١) بنت الحان : الخمر . والحان : موضع بيها . (٢) أبو تمام ، هو حبيب بن أوس الطائي شاعر عياشي معروف . (٣) مل : تعب . وكاتب الأنام : الملك الذي يكتب سيئات المروءة ونقوبه . يريد أن المجلس قد أتى من المعاصي ما يعي كاتب الذنوب فيمل الكتابة من كثرة ما يكتب ويحصى . (٤) الكام (بكسر الكاف) : جمع كامة ، وهي غطاء الزهر . (٥) نائي : زائد .

- * إِلَيْكُمْ تَرْمِي بِي الْمَرَامِي *
(١)
- * أَمْ يَتَّقُونِي رَائِدُ الْحِمَامِ *
(٢)
- * فَأَنْظُرِي فِي هَذِهِ الْأَكَامِ *
(٣)
- * وَتُولِي الضَّجَّ عَلَى عِظَامِي *
(٤)
- * وَلَأَيُّهَا لِلْوَحْشِ فِي الْإِظْلَامِ *
(٥)
- * فَإِنِّي أَنِّي يَوْمِي وَأَوْدَى لَامِي *
(٦)
- * وَبَاتَ زَادَ السُّدُودِ وَالرَّغَامِ *
(٧)
- * بِاللَّهِ أَدْعُوكُمْ وَبِالْإِسْلَامِ *
(٨)
- * أَنْ تَذْكُرُوا نَاطِمَ ذَا الْكَلَامِ *
(٩)
- * إِذَا جَلَسْتُمْ مَجْلِسًا لِلْحِمَامِ *
(١٠)
- * وَكَانَ سَاقِيكُمْ مِنَ الْأَرَامِ *
(١١)
- * فِي لَيْلَةٍ وَالْبَدْرُ فِي تَمَامِ *
(١٢)

- (١) انشواء : قصده . والحمام : الموت . رواثده : رسوله .
- (٢) الأكام : جمع أكمة ، وهي الرابية والمجارة تجتمع في مكان واحد ؛ يريد أكام السودان .
- (٣) تولم : تقيم للولائم .
- (٤) أودى : هلك . ولام الإنسان ، شتمه .
- (٥) الرغام : التراب .
- (٦) الحمام : الإبناء من قضة ؛ ويريد به هنا : قذح الخمر ؛ وهو لفظ فارسي معرب .
- (٧) الآرام : الفزلان ، الواحد رثم .

وداع لصديقيه محمد بدر وأحمد بدر

عند سفرهما الى بلاد الإنجليز للتعلم

- (١) سِيرَا أَيَا بَدْرَى سَمَاءِ الْعَلَا * وَأَسْتَقْبِلَا السَّمَّ وَلَا تَأْفُلَا
(٢) سِيرَا إِلَى مَهْدِ الْعُلُومِ الَّتِي * كَانَتْ لَنَا ثُمَّ أَزْدَهَاهَا إِلَيْنِي
(٣) سِيرَا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَنْبَتَتْ * عِزًّا وَأَحْصَتْ لِيْلًا مَوْتَلَا
(٤) يَمْشِي عَلَيْهَا الدَّهْرُ مُسْتَحْذِيَا * وَتَجَزَّعُ الْأَحْدَاثُ أَنْ تَقْرِلَا
(٥) شِعَارُ أَهْلِهَا وَأَبْنَائِهَا * أَنْ يَعْلَمَ الْمَرْءُ وَأَنْ يَعْمَلَا
(٦) فَرَيْنَا الْحَجْدَ بُنُورِ النَّهْيِ * وَبَجَمَلَا الْجَاهَ بَأَنْ تَكْمَلَا
(٧) وَأَسْتَقْبِلَا الْعِلْيَاءَ وَاسْتَمْسِكَا * بِعُرْوَةِ الصَّبْرِ وَلَا تَعْجَلَا
(٨) وَخَبِّرَا الْقُرْبَ وَأَبْنَاءَهُ * بَأَنَّا نَحْنُ الرَّجَالُ الْإِلَى
(٩) لَنْ عَدَا الدَّهْرُ بِنَا مُذِيرَا * لَا بُدَّ لِلدُّرِّ أَنْ يَقْبِلَا
(١٠) لَا زُلْمًا قَرَصَيْنِ فِي دَوْحَةٍ * يُظِلُّ مَنْ رَجَى وَمَنْ أَمَلَا
(١١) نَمْتَكُّ مَضْرُورًا بِأَكْمَا * أَبُّ كَرِيمٌ جَدُّ حَتَّى عَلَا

- (١) تم البدر : تمامه وأكملته . وأفل القمر والشمس يأفل (بكسر الفاء، وضهما) : غابا .
(٢) ازددهاها إلينا : تهاون بها واستخف . (٣) يريد « الأرض » : بلاد الإنجليز .
والموتل : الملجأ . (٤) استخذى استخذاء : خضع وذلل . (٥) النهي : العقول .
(٦) الألىء أي الذين كان لهم تاريخ حافل بالسبق في ميادين الحضارة والعلوم ؛ لحذف الصلة للعلم بها .
(٧) الدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة الظل .

(١)
مَضَى وَقَدْ أَوْلَا كُنَّا نِعْمَةً * لَا تَبْسُطَا فِيهَا وَلَا تَغْلَا
فَرَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى وَالِدٍ * كَسَا كُنَّا الْإِعْزَازَ بَيْنَ آلَا

(٢) إلى أحمد شوقي بك

يودّعه حين سفره إلى مؤتمر المستشرقين
(٣)
يَا شَاعِرَ الشَّرْقِ أَتَيْتُ * مَا ذَا نُحَاوِلُ بَعْدَ ذَلِكَ
هَذِي النُّجُومُ نَظَمَتْهَا * دُرَّرَ الْقَرِيضُ وَمَا كَفَاكَ
(٤)
وَالْبَدْرُ قَدْ عَلِمَتْهُ * أَدَبَ الْمُثُولِ إِذَا رَأَى
(٥)
وَسَمَوْتَ فِي أَفْقِ السَّمَوِ * دَفِكَتَ تَعَثَّرُ بِالسَّمَاءِ
(٦)
وَحَبَاكَ عَبَّاسُ الْحَا * مِدِّ بِالْمَوَاهِبِ وَأَصْطَفَاكَ
وَدَعَتْكَ بِضُرِّ رُسُومَهَا * لِلْغَرْبِ مُدَّ عَرَفَتْ عُلاكَ
فَارْحَلْ وَعُدْ بَوْدِيْعَةِ الرَّحْمَنِ أَنْتَ وَصَاحِبَاكَ

- (١) لا تبسطا فيها ، أى لا تسبعا في الإقفاق . وغل يده يغلها (من باب نصر) : إذا قبضها عن الإقفاق . وأصله من وضع اليد في الثقل (بضم التين وتشديد اللام) ، وهو طوق من حديد أو جلد يجعل في العنق أرفى البد . (٢) انظر التعريف بشوقي في الحاشية رقم ٥ من صفحة ٥ .
(٣) أتيت : تمهل . (٤) أدب المثول ، أى أدب الوفوف بين يديك .
(٥) السماء : أحد كوكبين نيرين ، يقال لأحدهما : السماء الراح ، وللآخر : السماء الأعزل .
(٦) حباك : أعطاك .

إلى صديقه محمد عبده البابلي^(١) بك يعاتبه

كُتِبَ بِهَا إِلَيْهِ مِنَ السُّودَانِ

أَنْ عَضَّيْكَ يَا أُنَى بِالْمَلَامِ * لَا يُؤَدِّي لِنَسِيلِ هَذَا آلِخَصَامِ^(٢)
 أَنْتَ (وَالشَّمْسُ) (وَالضُّحَى) وَاللَّيَالَى الـ * عَشِيرَ (وَالْفَجْرِ) غَيْرُ رَاعِي الدَّمَامِ^(٣)
 مَا عَيْهَذَاكَ يَا كَرِيمَ السَّجَايَا * تَصْرِفُ النَّفْسَ عَنْ هَنَاتِ الْكَرَامِ^(٤)
 لَيْسَ فِي كُتُبِنَا سُؤَالُ نَسْوَالٍ * مِنْكَ حَتَّى خَشِيتَ رَدَّ السَّلَامِ^(٥)
 نَحْنُ نَرْفُضُ بِالْقُوتِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا وَإِنْ بَاتَ دُونَ قُوْتِ النَّعَامِ^(٦)
 وَإِذَا خَانَ قِسْمُنَا مَا شَكَّوْنَا * لِسِوَى اللَّهِ أَعْدِلَ الْقَسَامِ^(٧)
 كَيْفَ تَتَنَّى يَا (بَابِلِي) غَرِيبَا * بَاتَ بَيْنَ الظُّنُونِ وَالْأَوْهَامِ^(٨)
 وَحَزِينَا إِذَا تَنَفَّسَ عَادَتْ * خَمَّةُ اللَّيْلِ بِجَمْرَةٍ مِنْ ضِرَامِ^(٩)
 وَإِذَا أَنْ كَادَ يَنْصِيدُ الْآفَ * قُبُوتُ وَتَقْتُلُ دَوْرَةَ الْأَجْرَامِ^(١٠)
 بَاتَ تَحْتَ الْبَلَاءِ حَتَّى تَمْتَنَى * لَوْ يَكُونُ الْمَيِّتُ تَحْتَ الرِّغَامِ

(١) انظر التحريف بمحمد البابلي في الحاشية رقم ٥ من صفحة ١٦٦ (٢) عضيك، أى
 عضى إليك . (٣) يقسم بما أقسم الله به في سور (الشمس) (والضحى) (والفجر) . والذمام :
 الحق والخمرة . (٤) يريد بالهنات : الحقوات اليسيرة التى يحتمل مثلها ، الواحدة هنة ، أى
 ما عهدناك تسامح لغيرك فى أقل حفرة ، فما بالك تأتى بالأخطاء الكبيرة . (٥) النوال : العطاء .
 (٦) ضريب الشاعر قوت النعام مثلا فى التفاحة والقلة ، لأن النعامة تقتات بالحصى والحجارة إذا لم تجد
 ما تقتات به . (٧) القسم (بكسر القاف) : النصيب والحظ من الخير والرزق . (٨) يريد
 «بفحة الليل» : سواده الشديد المشبه للقمح . (٩) الأجرام : الأفلاك . (١٠) الرغام
 (فتح الراء) : التراب . وكفى بالميت تحت الرغام عن الموت .

وكتب إليه أيضا يعاتبه ويداعبه :

أَدْلَالٌ ذَاكَ أَمْ كَسَلٌ * أَمْ تَنَاسٍ مِنْكَ أَمْ مَلَلٌ
 أَمْ غَيْرِيُقُ أَنْتَ فِي جَدَلٍ * أَمْ بِكَاسَاتِ الْهَنَا تَمَلُّ^(١)
 أَمْ - وَقَاكَ اللَّهُ - فِي كَدَرٍ * أَمْ عَلَى الْأَعْذَارِ مُتَكَلِّمٌ
 أَمْ مَشُوقٌ مُغْرَمٌ وَلَهُ * شَفَهُ التَّشْيِيبُ وَالْفَرْزُ^(٢)
 أَمْ غَنِيٌّ بَاتَ يَشْفَلُهُ * مَالُهُ وَالْكَسْبُ وَالْأَمَلُ
 أَمْ وَشَى وَإِشْرَ الْيَكْ بِنَا * فَأَحْتَوَاكَ الشُّكُّ (بِاطِلٌ)^(٣)
 قَدْ مَضَى ثَمَرٌ وَأَعْقَبَهُ * ضِعْفُهُ وَالْفِكْرُ مُشْتَعِلٌ
 لَا كِتَابٌ مِنْكَ يُطْفِئُهُ * فِي فُؤَادِي بَاتَ يَشْتَعِلُ
 لَا وَلَا رَدُّ يُعَالِلُنِي * أَوْ عَلَى التَّسْلِيمِ يَشْتَعِلُ^(٤)
 يَا صَدِيقِي لَا مُوَاخَذَةً * أَنْتَ يَا بَنَ الْبَابِلِيِّ ...^(٥)

وكتب إليه أيضا يتشوق :

تَمَى يَا بَابِلِيُّ إِلَيْكَ شَوْقِي * وَعَيْنِي لَا زَمَتْ سَكَبَ الدَّمُوعِ^(٦)
 وَلَوْ أَنَّي تَرَكْتُ سَرَّاحَ قَلْبِي * لَطَارَ إِلَيْكَ مِنْ قَفْصِ الضُّلُوعِ

(١) الجدل (بالحرريك) : الفرح . والتل : التشوان . (٢) الوله : المتحير من شدة
 الوجد . وشفه : هزله وأوهيه . والتشييب بالنساء : وصفهن وذكر محاسنهن . (٣) احتواء :
 ملكه وظب عليه . (٤) علاه : شفه وألماه . (٥) موضع هذه القطعة كلمة يستجبا من
 ذكرها ، ولا تخفى على القارئ . (٦) نَمَى : زاد .

شكر وزير زار حافظا في منزله

لا غرَّوْا إنَّ أَشْرَقَ في مَنْزِلِي * في لَيْلَةِ الْقَدْرِ مُجِبَّ الْوَزِيرِ
فَالْبَدْرُ في أَعْلَى مَدَارَاتِهِ * لِلْعَيْنِ يَبْدُو وَجْهُهُ في الْعَدِيرِ^(١)

دعابة^(٢) كتب بها الى الأستاذ حامد سرى

في يوم زفافه (٢ نوفمبر سنة ١٩١٧) يستهديه من طعام العرس وثيبا بلبسها، وكانا إذ ذاك متجاورين بالحيزة :

أَحَامِدُ كَيْفَ تَتَسَانَى وَيَنَى * وَبَيْتُكَ يَا أَخِي صِلَةَ الْجَوَارِ
سَأَشْكُو لِلْوَزِيرِ فَإِنْ تَوَانَى * شَكْوَتُكَ بَعْدَهُ لِلْمُسْتَشَارِ^(٣)
أَيْشَمِعْ مُصْطَفَى الْخُلُوفِ وَأُمْسَى * أَعَالِجُ جَوْعَتِي في كِسْرِ دَارِي^(٤)
وَيَلَّتِي فَارِغٌ لَا شَيْءَ فِيهِ * سِوَايَ وَإِنِّي في اللَّيْلِ عَارِي
وَمَالِي جَزْمَةٌ سَوْدَاءُ حَتَّى * أُوَافِيكُمْ عَلَى قُرْبِ الْمَزَارِ
وَعِنْدِي مِنْ صِحَابِي الْآنَ رَهْطٌ * إِذَا أَكَلُوا فَاسَادُ صَوَارِي
فَإِنْ لَمْ تَبْعَثْنِي إِلَى حَالًا * بِمَائِدَةٍ عَلَى مَتْنِ الْبُخَارِ
تُغَطِّيهَا مِنَ الْحُلُوفِ صُنُوفٌ * وَمِنْ حَمَلٍ تَبَيَّلَ بِالْبَهَارِ
فَإِنِّي شَاعِرٌ يُخَيِّسِي لِسَانِي * وَسَوْفَ أُرِيكَ عَاقِبَةَ أَحْتِقَارِي

(١) يقول في هذين البيتين : إن الوزير على سحر منزله قد أشرق نوره في منزلي على ضعفه ، ولا عجب ، فالبدْر في السماء تظهر صوته في غير الماء . (٢) وردت إلينا هذه الأبيات بعد الانتهاء من طبع هذا الباب فأنبتها في آخره ؛ وكان مقتضى طريقتنا في ترتيب القصائد ترتيبا تاريخيا أن نضع قبل ذلك ، أي بعد الأبيات التي رد بها حافظ على شوقي في سنة ١٩١٧ (٣) يريد وزير الزراعة ؛ وكان حامد سرى بك من رجال هذه الوزارة ولا يزال بها إلى اليوم . (٤) إنما خص الأستاذ مصطفى الخولي بك بالذكر لما بينه وبين الأستاذ حامد سرى من صلة المصاهرة .

الوصف

وصف كساء له

قالها أرتجالا في مجلس من إخوانه

[نشرت في سنة ١٩٠٠ م]

(١)
 لِي كِسَاءٌ أَنْعِمَ بِهِ مِنْ كِسَاءٍ * أَنَا فِيهِ أَتَيْتُهُ مِثْلَ الْكِسَاءِ
 حَاكُهُ الْعِزِّ مِنْ خُيُوطِ الْمَعَالِ * وَسَقَاهُ النَّعِيمُ مَاءَ الصَّفَاءِ
 (٢)
 وَتَبَدَّى فِي صِبْغَةٍ مِنْ أَدِيمِ اللَّيْلِ مَضْقُولَةً بِجُسْنِ الطَّلَاءِ
 (٣)
 خَاطَهُ رَبُّهُ بِإِبْرَةٍ يُتَمِّنُ * أَوْحَرُوا سَمَهَا خُيُوطَ الْهَنَاءِ
 فَكَأَنِّي - وَقَدْ أَحَاطَ بِجُسمى - * فِي لِبَاسٍ مِنَ الْعُلَا وَالْبَهَاءِ
 تُكْثِرُ الْعَيْنُ رُؤْيَايَ وَتَرَائِي * فِي صُفُوفِ السُّوَلَاةِ وَالْأَمْرَاءِ
 أَلِفَ النَّاسِ - حَيْثُ كُنْتُ - مَكَانِي * أَلْفَةَ الْمُعْدِمِينَ شَمْسَ الشَّنَاءِ
 (٤)
 يَارِدَائِي وَأَنْتَ خَيْرُ رِدَائِي * أَرْتَجِيهِ لَزِينَةٍ وَأَزْدِيهِ

- (١) الكسائي، هو علي بن حمزة، إمام الكوفيين في النحو واللغة، وكان معلما لأولاد أمير المؤمنين
 هارون الرشيد، وتوفي حوالي سنة ١٨٩ هـ. (٢) تبَدَّى : ظهر. والأديم : الجلد. وأديم
 الليل : سواده، لأنه كالجلد يغشى الليل. ويفطيه. (٣) العين : البركة. «وأحروا سمها» الخ
 أى أدخلوا الخيوط في ثوبها. والإيجار في الأصل : إدخال الوجور (وهو الدواء) في فم المريض؛
 أو هو الطعن بالرجح في الفم أو الصدر. (٤) الأزدهاء : الزهو والاختيال.

(١)
 لَا أَحَالَتْ لَكَ الْحَوَادِثُ لَوْنًا * وَتَعَدَّتْكَ نَاصِبَاتُ الْجَوَاءِ
 غَفَلَتْ عَنْكَ لِلَّيْلِ نَظَرَاتٌ * وَتَحَطَّنَتْ إِبْرَةُ الرِّفَاءِ
 (٢)
 صَحْبَتِي قَبْلَ أَصْطِحَاكِ دَهْرًا * يَذَلُّ فِي تَلَوْنِ الْحِرْبَاءِ
 (٣)
 تَسْبُوها لَطِيلَسَانِ (أَبْنِ حَرْبٍ) * نِسْبَةً لَمْ تَكُنْ بِذَاتِ افْتِرَاءِ
 كُنْتُ فِيهَا إِذَا طَرَقْتُ أَنَاسًا * أَنْكَرُونِي كَطَارِقٍ مِنْ وَبَاءِ
 كَسَفَ الدَّهْرُ لَوْنَهَا وَاسْتَعَارَتْ * لَوْنَ وَجْهِ الْكَذُوبِ عِنْدَ اللِّقَاءِ
 يَا رِدَائِي جَعَلْتَنِي عِنْدَ قَوْمِي * فَوْقَ مَا أَشْتَهِي وَفَوْقَ الرَّجَاءِ
 (٤)
 إِنِّي قَوْمِي تَرْوِقُهُمْ جِدَّةُ الشُّو * بِ وَلَا يَعْشُقُونَ غَيْرَ الرِّوَاءِ
 قِيمَةُ الْمَرْءِ عِنْدَهُمْ بَيْنَ ثَوْبٍ * بَاهِرٍ لَوْنُهُ وَبَيْنَ حِذَاءِ
 (٥)
 قَعَدَ الْقَضْلُ بِي وَقُتَّ بِعِزِّي * بَيْنَ صَحْبِي ، بُحْرِي خَيْرَ الْجَزَاءِ

(١) أحاله : حوله من حال إلى حال . وناصبات الجواء : الرياح التي تذهب في الأجواء طولاً وعرضاً كما يفعل الناصب فيما يسبحه ، لأنه يعترض النسيجة فيلحم ما أطال من السدى . والجواء : جمع جوق بالمعنى المعروف ؛ أو بمعنى القفلة الواسعة . (٢) الذلة من الثياب : ما لا يصاب منها . والحرباء : دويبة نحو المظاية تستقبل الشمس برأسها وتدور معها كيف دارت ، وتتلون ألواناً بحز الشمس ؛ ويضرب بها المثل في التقلب . (٣) الطيلسان (بالفتح وتلث اللام) : كساء مدور أخضر لا أسفل له ، لحته وقيل سداه من صوف ، يلبسه الخواص من العلماء ، وأصله من لباس العجم . وطيلسان ابن حرب : مثل يضرب لكل ثوب قديم خلق ، وسبب ذلك أن بعض الشعراء كان قد مدح ابن حرب ، فغلغ عليه طيلساناً بالياً ، فقال في ذلك الطيلسان شعراً كثيراً حتى صير ذلك الطيلسان مثلاً لكل ما يلي ورث من الثياب ؛ فن ذلك قوله : يأبى حرب كسوتني طيلساناً * رق من صحبة الزمان وصدى طال ترداده إلى الرفق حتى * لو بعثناه وحده لتهدى وغير ذلك من الشعر . والافتراء : اختلاق الكذب . (٤) تروقهم : تعجبهم . والرواء : حسن المنظر . (٥) قعدني : عجز عن رفع شأني ، إذ لم يقومه قومي لجهلهم به .

الحاكي

[نشرت في سنة ١٩٠٠ م]

وَجَدُوا السَّبِيلَ إِلَى التَّقَاطُعِ بَيْنَنَا * وَالسَّمْعُ يَمْلِكُهُ الْكَذُوبُ الْحَاقِقُ
لَا تَجْعَلِ الْوَاشِينَ رُسُلَكَ فِي الْهَوَى * فَلَا صَدَقَ الرُّسُلُ الْجَبَادُ النَّاطِقُ^(١)

الشمس

[نشرت في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٠٠ م]

لَا حَ مِنْهَا حَاجِبٌ لِلنَّاطِرِينَ * فَتَسُوا بِاللَّيْلِ وَصَاحَ الْجَبِينُ^(٢)
وَعَتَّ آيَتُهَا آيَتَهُ * وَتَبَدَّتْ فِتْنَةُ الْعَالَمِينَ
نَظَرَ آبرَاهَامُ فِيهَا نَظْرَةً * فَارَى الشُّكَّ وَمَا ضَلَّ الْيَقِينَ^(٣)
قَالَ : ذَا رَبِّي ، فَلَمَّا أَفَلَتْ * (قَالَ : إِنِّي لَا أَحِبُّ الْإِفْلِينَ)^(٤)
وَدَعَا الْقَوْمَ إِلَى خَالِقِهَا * وَأَتَى الْقَوْمَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ^(٥)

- (١) يصف في البيت الأول اللوثة وأنهم أصابوا السبيل لامتلاك سمع من يحبا بما يلقون إليها من أكاذيب ؛ وما أقدر الكذوب على ذلك ، وبنهاها في البيت الثاني عن أن توسط اللوثة بينه وبينها ، فان فعلت فليكن الرسول ذلك الحاكي ، فهو الجساد الناطق الصادق . (٢) وصاح الجبين : القمر .
(٣) ابراهيم : لغة في ابراهيم ، وهو نبي الله ابراهيم الخليل عليه السلام . ويشير بذلك الى ما قصه الله تعالى في القرآن في سورة الأنعام عن ابراهيم عليه السلام ؛ قال تعالى : (فلما رأى الشمس بازغة) الآية . وقوله : «فارى الشك» ... الخ ، أى أظهر لقومه أنه شك في الإله لكنهم إليه وهو متيقن وجوده .
(٤) أفلت : غابت . (٥) السلطان : الحجة .

رَبِّ إِنَّ النَّاسَ ضَلُّوا وَغَوَوْا * وَرَأَوْا فِي الشَّمْسِ رَأْيَ الْخَالِيسِرِ
خَشَعَتْ أَبْصَارُهُمْ لَمَّا بَدَتْ * وَإِلَى الْأَذْقَانِ نَحَرُوا سَاجِدِينَ
نَظَرُوا آيَاتِهَا مُبْصِرَةً * فَعَصَوْا فِيهَا كَلَامَ الْمُتْرَسِلِينَ
نَظَرُوا بَدْرَ الدُّجَى مِرَاتَهَا * فَتَجَلَّى فِيهِ حِينًا بَعْدَ حِينٍ
ثُمَّ قَالُوا : كَيْفَ لَا نَعْبُدُهَا * هَلْ لَهَا فِي تَرَى الْعَيْنِ قَرِينٌ؟
هِيَ أُمُّ الْأَرْضِ فِي نِسْبَتِهَا * هِيَ أُمُّ الْكَوْنِ وَالْكَوْنُ جَنِينٌ^(١)
هِيَ أُمُّ النَّارِ وَالنُّورِ مَعًا * هِيَ أُمُّ الرِّيحِ وَالْمَاءِ أَلْمَعِينُ^(٢)
هِيَ طَلْعُ الرُّوضِ نَوْرًا وَجَنَى * هِيَ نَشْرُ الْوَرْدِ، طِيبُ الْيَاسْمِينِ^(٣)
هِيَ مَوْتُ وَحَيَاةُ السُّورَى * وَضَلَالٌ وَهُدًى لِلْغَابِرِينَ
صَدَقُوا لَكُنْهُمْ مَا عَلِمُوا * أَنَّهَا خَلَقَ سَبِيلَ السَّائِرِينَ
أَيُّ لَهْ لَمْ يُسْتَرَّ ذَاتَهُ * عَنْ كُسُوفٍ، بَلَسَ زَعْمُ الْجَاهِلِينَ
لَأَمَّا الشَّمْسُ وَمَا فِي آيَاتِهَا * مِنْ مَعَانٍ لَمَعَتْ لِلْعَارِفِينَ
حِكْمَةٌ بِالْقَةِ قَدْ مَثَلَتْ * قُدْرَةَ اللَّهِ لِقَوْمٍ عَاقِلِينَ

(١) يشير بقوله : « هي أم الأرض » ، الى ما يقال من أن الأرض كانت جزءا من الشمس .

ثم اقمعت وبرد ظاهرها بتناول الزمن . (٢) المعين : التابع من العيون .

(٣) يريد « بالطلع » : ما يسود من الثمرة في أول ظهورها . ونور النبات : زهره . والجنى :

ما يجنى من الشجر . ونشر الورد : راحته المنتشرة منه .

دولة السيف ودولة المدفع

[نشرت في ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٠٠م]

- (١) * يَدَوَّلَةُ الْقَوَاضِي الصَّقَالِ *
- (٢) * وَصَوَّلَةُ الدَّوَابِلِ الطَّوَالِ *
- (٣) * كَمْ شَتَّ بَيْنَ الْأَعْصِرِ الْخَوَالِي *
- (٤) * مَمَالِكًا عَزِيزَةً الْمَنَالِ *
- (٥) * قَامَتْ بِحَدِّ الْأَبْيَضِ الْقَصَالِ *
- (٦) * وَسِنَّ ذَاكَ الْأَسْمَرِ الْعَسَالِ *
- * رَاحَتْ بِهَا الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي *
- * وَخَلَقَتْهَا دَوْلَةُ الْجَلَالِ *
- (٧) * مَمْلَكَةُ الْمِدْفَعِ ذَاتُ الْحَالِ *
- (٨) * قَامَتْ بِحَوْلِ النَّارِ وَالزَّلْزَالِ *
- * فَارْهَبَتْ أَنْفِدَةَ الْأَبْطَالِ *
- (٩) * أَرْهَبَهَا مِنْ عِزِّ الْجِبَالِ *

- (١) القواضب: السيوف القواطع، الواحد قاضب. والصقال: السيوف المجلوة، الواحد صقيل.
 (٢) الصولة: السطوة والقهر. والدوابل: الرياح الرقيقة اللاصقة بالبط، وهو القشر؛ وهي أجود الرياح، الواحد ذابل. (٣) الخوالي: الماضية. (٤) عزيزة المثال: ممتعة على من يريدها.
 (٥) يريد «بالأبيض»: السيف. والقصال (بالقاف): القطاع. (٦) الأسمر: صفة للرمح. والعسال: الشديد الاهتزاز والاضطراب لتيه، وهو من صفات الرياح الجيدة. (٧) الحال: الكبير والخيلاء. (٨) الحول: القوة. (٩) يريد «بمززع الجبال»: المدفع.

- * وَمُقْزِعُ اللَّيْثِ فِي الدَّحَالِ ^(١) *
- * وَقَاطِعُ الْآجَالِ وَالْأَمَالِ *
- * وَخَاطِفُ الْأَرْوَاحِ مِنْ أَمِيَالِ *
- * يَثُورُ كَالْبَرْكَانِ فِي السَّزَالِ ^(٢) *
- * فَيُتْبِعُ الْأَهْوَالَ بِالْأَهْوَالِ *
- * وَيُرْسِلُ النَّارَ عَلَى الْتَوَالِي *
- * فَيَحِطِّمُ الْهَامَ وَلَا يُيَالِي ^(٣) *
- * مَا كَوَّكَبُ الرَّجَمِ هَوَى مِنْ عَلِي *
- * فَكَرَّ كَالْفِكْرِ سَرَى بِالْبَالِ *
- * عَلَى عَيْنَيْهِ مَا يَرِدُ مُحْتَالِ ^(٤) *
- * مُسْتَرْقٍ لِلسَّمْعِ فِي ضَلَالِ ^(٥) *
- * مِنْ عَالِمِ التَّنْصِيحِ وَالْإِهْلَالِ ^(٦) *
- * أَمْضَى وَأَنْكَى مِنْهُ فِي الْقِتَالِ ^(٧) *

- (١) الدحال : جمع دحل (يفتح الدال وسكون الحاء) وهو قُب ضيق فيه ، ثم يتسع أسفلهُ حتى يشي فيه ، وربما أنبت السدر ، وتسترق فيه السباع . (٢) السزال : القتال .
- (٣) يحطم : يكسر . والهام : الروس ، الواحدة هامة . (٤) العنيد : المخالف للحق الذي رذة وهو يرفه ، والجمع عند (ضمتين) . ويريد « بالعنيد المارد » : الشيطان .
- (٥) استرق السمع : استمع مستغفياً . ويشير الشاعر إلى ما ورد من أن الجن كانت تسترق السمع من السماء قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما بعث عليه الصلاة والسلام أرادت الجن استراق السمع كما كانوا يفعلون قبل البعثة ، فرجعوا بالنهب ؛ وقد ذكر الله ذلك في القرآن في سورة الجن (٦) الإهلال : رفع الصوت بذكر الله . ويريد « بعالم التنصيح والإهلال » : عالم الملائكة . (٧) قوله : « أَمْضَى ... الخ خبر « لما » في قوله قبل : « ما كوكب الرجم » . وأنكى : أبلغ نكابة ، أى قتل وجرحا .

- * إِذَا سَرَتْ قُنْبُلَةُ الْوَبَالِ ^(١) *
- * مِنْ فِيهِ الْمُحْشَوُّ بِالنَّكَالِ ^(٢) *
- * يُنْذِرُهُمْ فِي سَاحَةِ الْمَجَالِ *
- * بِالْبَرْقِ وَالرَّعْدِ وَبِالْآجَالِ *
- * وَلَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ الْخِتَالِ ^(٣) *
- * يَحْزُ فِي أَلْهَامٍ وَفِي الْأَوْصَالِ ^(٤) *
- * صَامِتَ قَوْلٍ نَاطِقَ الْفِعَالِ *
- * رَأَيْتُهُ كَالْقَوْمِ فِي الْمِثَالِ ^(٥) *
- * مَالُوا عَنِ الْقَوْلِ إِلَى الْأَعْمَالِ *
- * فَامْتَلَكُوا نَاصِيَةَ الْمَعَالِ ^(٦) *

ليلة عيد جلوس الخديوى

يصف فيها الزينة الكبرى التي أقيمت بحديقة الأزبكية في مساء ٨ يناير سنة ١٩٠١ م

يَا لَيْلَةَ الْهَمْتَنِ مَا أَيْبَهُ بِهِ * عَلَى حِمَاةِ الْقَوَائِي أَيْمًا تَاهُوا ^(٧)

لَأَنِّي أَرَى نَجَبًا يَدْعُو إِلَى نَجَبٍ * الدَّهْرُ أَضْمَرَهِ وَالْعَيْدُ أَفْشَاهُ

- (١) استعمال «القنبلة» بمعنى ما يخرج من فم المدفع عند انطلاقه استعمال شائع في كلام عصرنا، ولم ترد به لغة العرب؛ وإنما ورد ذكر القنبلة بمعان أخرى . والوبال : الهلاك . (٢) النكال : العذاب .
- (٣) الختال : الخداع، ويريد به السيف، والمعنى أن المدفع لا يأخذ الناس على غرة، بل ينذرهم بشوره المشبه للبرق، ثم بصوته المشبه للعداء ولم يكن كالسيف الذي يفنك بهم على غفلة فلا يشعرون به إلا وهو يحجزهم ويقطع في أوصالهم . (٤) يحز : يقطع . وهي من الأفعال التي تتعدى بنفسها، وعديت هنا بالحرف على تضمينها معنى (يقرض) أو نحوها مما يتعدى بالحرف . والأوصال : المفاصل، الواحد وصل (بالكسر وبالضم) . (٥) يريد «بالقوم» : أمم القوم . (٦) الناصية : مقدم الرأس . وامتلكوا ناصية المعالي، أى بلغوا ذروتها وأعلاها . (٧) حماة القوائى : لحول الشعراء .

(١) هل ذاك ما وعدَ الرحمنُ صفوته * رؤى وحورٍ وولدانٍ وأموه
(٢) أم الحديقة ذات الوشي قد حليت * في منظرٍ يستعيد الطرف مرآه
(٣) أرى المصابيح فيها وهى مشرقة * كأنها النور والوشي حياه
(٤) أو إنما هى ألفاظٌ مدبجة * وكل لفظٍ تجلّ فيه معناه
(٥) أرى عليها قلوب القوم حائمة * كالطير لآح له ورد فوافاه
(٦) أرى نبي مصر تحت الليل قد نسلوا * إلى سعودٍ به ضاحٍ حياه
(٧) أرى على الأرض حلياً قد نسيبتُ به * حلى السماء وحسناً لتست أنساه
(٨) أرى أريكة (عباس) تخف بها * وقاية الله والإقبال وأجلاه
أرى سمو خديوشا وقد بسطت * بالعدل والبذل يمناه ويسراه
قل للآلى جعلوا للشعر جائزة * فيم الخلاف! ألم يرشدكم الله!
(٩) إني فتحت لها صدراً تليق به * إن لم تحلوه فالرحمن حلاه

(١) صفوته: من اصطفاهم. والأمواه: جمع ماء. (٢) يريد «بالوشي» هنا: ما اختلف من ألوان النبات والزهر، تشبها بالوشي في الثوب، وهو النقش. «ويستعيد الطرف مرآه» أى أن جمال المظهر يقرى بتكرار النظر. (٣) النور: زهر النبات. والوشي: المطر أول الربيع. (٤) مدبجة: مزينة مزينة. وتجلّى: تكشف. (٥) حام الطائر على الماء: دار حوله. والورد (بكسر الواو): الماء المورود. (٦) نسلوا: أسرعوا. وضاحى الحيا: مشرق الوجه. (٧) الحلى: ما يزين به. (٨) الأريكة: سرير الملك. (٩) يشير بهذا البيت والذي قبله إلى جماعة من كبار الأدباء والعلماء، منهم أحمد زكى باشا، وإسماعيل صبرى باشا، وحفنى ناصف بك، اجتمعوا على أن يجعلوا للشعر جوائز من أنواع مختلفة تمنح للشعراء بحسب درجاتهم في الشعر؛ لحافظ يقول: «لا تختلفوا في تفضيل بعض الشعراء على بعض، فالأمر في تفضيل بين لا جدال فيه، وإنكم إن لم تحلوا صدرى بأعلى هذه الأنواع وأفضلها، فإن الله قد حلاه بما وهبى من شاعرية مبدعة، وملكة فياضة».

(١)
لَمْ أَخَشَ مِنْ أَحَدٍ فِي الشَّعْرِ يَسْبِقُنِي * إِلَّا قَتَى مَا لَهْ فِي السَّجْنِ إِلَّاهُ
(٢)
ذَاكَ الَّذِي حَكَمَتْ فِينَا يَرَاعَتُهُ * وَأَكْرَمَ اللَّهُ (وَالْعَبَّاسُ) مَثْوَاهُ

البورصة

[نشرت في ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٠٤]

يَا بَيْكَ النَّحْسُ وَالسُّعُودُ * وَمَوْقِفُ الْيَأْسِ وَالرَّجَاءِ
(٣)
وَفِيكَ قَدْ حَارَبَ الْيَهُودُ * يَا مَطْلَعِ السَّعْدِ وَالشَّقَاءِ

+

(٤)
وَوَجْهِكَ الضَّاحِكُ الْعَبُوسُ * قَدْ ضَاقَ عَنْ وَصْفِهِ الْبَيَانُ
(٥)
كَمْ سَطَرْتُ عِنْدَهُ طُرُوسُ * بِقِسْمَةِ الْعِزِّ وَالْهَوَانِ
(٦)
وَطُوْطِطْتُ دُونَهُ رُءُوسُ * يَهْتَرُّ مِنْ خَوْفِهَا الزَّمَانُ

+

وَكَمْ أَطَافَتْ بِهِ وَفُودُ * وَاكْثُرُوا حَوْلَهُ الدَّعَاءُ
(٧)
فَرَايِحَ نَجْمِهِ سَعِيدُ * وَطَامِعُ الْخَسَارِ بَاءُ

- (١) يريد « بالفتى » : أحد شوق بك شاعر الأمير . (٢) البراعة : القلم . والنوى : المنزل .
(٣) إنما خص اليهود ، لأنهم أعلم من غيرهم بمسائل المال وطرق اكتسابه واستناره ، كما هو معروف .
(٤) سكنت هذه القافية دفعا لما يترتب على تحريكها من وجود إقواء في البيت الثاني ، وهو اختلاف في حركة الروى . ويلاحظ أن في هذه القصيدة أياتا أخرى سكن رويها دفعا لهذا العيب المتقدم .
(٥) الطروس : الصحائف يكتب فيها ، الواحد طرس (بكر فسكون) . (٦) طوططت ، أى انحفضت وتطامت . (٧) باء بالخسار ، أى رجع به .



لَمَّا عَلَتْ صَبِيحَةُ الْمُنَادَى * وَأَصْبَحَ الْقَوْمُ فِي عَنَاءٍ
 (١) وَشَمَرَتْ ثَرْوَةُ الْبِلَادِ * وَصَحَّتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ
 (٢) قَمِعَتْ بِالْقُطَيْنِ فِي الْوَسَادِ * وَفِي الْحَشِيَّاتِ وَالْغِطَاءِ
 وَإِنَّمَا الْعَاقِلُ الرَّشِيدُ * مَنْ سَارَ فِي مَنَهِجِ النَّجَاءِ
 (٣) بِاللَّهِ يَا قَوْمُ لَا تَزِيدُوا * فَإِنَّ آمَالَكُمْ هَبَاءُ



(٤) مُضَارِبَاتُ هِيَ الْمَنَايَا * وَرُسُلُهَا أَحْرَفُ الْبُرُوقِ
 (٥) صَبُوحُ أَتَمَحَايَا الرِّزَايَا * وَمَا لَمْ دُونَهَا غُبُوقُ
 قَدْ أَتَلَقْتُ أَنْفَسَ الْبَرََايَا * بِأَسْمِهِمُ الْغَدِيرَ وَالْعُقُوقُ



هُبُوطُهَا الْمَوْتُ، وَالصُّعُودُ * ضَرْبٌ مِنَ الْبُؤْسِ وَالْبَلَاءِ
 وَمَا لَهَا عِنْدَهُمْ عُهُودُ * إِلَّا كَمَا تَعَاهِدُ النِّسَاءُ

- (١) شمرت ثروة البلاد، أى استعدت للإسراع فى الذهاب والضياع .
 (٢) الحشيات: الفرش المحشوة، الواحدة حشية (يفتح الحاء وتشديد الياء)، وهى المعروفة بالمرتبة .
 (٣) الهباء: الغبار؛ أو هو النشء المنبثق فى ضوء الشمس يشبه الدخان .
 (٤) يريد « بأحرف البروق » : الرسائل الطغرافية .
 (٥) الصبوح : ما يشرب فى الصباح . والنبيق : ما يشرب فى العشى .

+
+ +

(١) كم "بَالَةٍ" سَبَّيْتُ وَبَالَا * وَأَشْبَهْتُ لَامِعَ السَّرَابِ
(٢) وَبَذَرَةٍ أَنْبَتَتْ خَبَالَا * وَأَتَمَّرْتُ عَاجِلَ الْخُرَابِ
وَكَمْ غَنَى أَضَاعَ مَالَا * وَشَابَ فِي مَوْقِفِ الْحِسَابِ

+
+ +

(٣) فَلْيَتَعِظْ مِنْكُمْ الْبَعِيدُ * وَلْيَتَّقِ اللَّهَ ذُو الثَّرَاءِ
(٤) فَذَلِكَ التَّاجِرُ الشَّيْءُ * قَدْ عَافَ مِنْ أَجْلِهَا الْبَقَاءُ

زلزال مَسِينَا^(٥)

سنة ١٩٠٨ م

(٦) نَبْتَانِي إِنْ كُنْتُمَا تَعْلَمَانِ * مَا دَهَى الْكَوْنِ أَيُّهَا الْفَرَقْدَانِ
(٧) غَضِبَ اللَّهُ أَمْ تَمَرَّدَتِ الْأَرْضُ * ضُفْ فَأَنْحَتِ عَلَى بَنِي الْإِنْسَانِ ؟
لَيْسَ هَذَا سُبْحَانَ رَبِّي وَلَا ذَا * لَكْ وَلَكِنْ طَبِيعَةُ الْأَكْوَانِ

- (١) البالة : مقدار وزن معروف . (٢) النبال : ذهاب العقل .
(٣) الثراء : الغنى . (٤) يشير بقوله : «التاجر الشئد» الى أن بعض التجار كان قد انخرجن
ذهبت ثروته كلها في تلك المضاربات . وعاف الشيء : يعافه ويغفقه : كرهه وزهد فيه . (٥) مسينا :
بلد بجنوب إيطاليا معروف وقع فيه هذا الزلزال . (٦) الفرقدان : نجان مروغان .
(٧) انحنت على بني الإنسان ، أى أقبلت عليهم بالعذاب . ويرويه بعض الأدباء : « فأخنت » ،
أى أهلكهم وأتت عليهم .

غَلِيَانٌ فِي الْأَرْضِ نَفَسَ عَنْهُ * ثَوْرَانٌ فِي الْبَحْرِ وَالْبُرْكَانِ
 رَبِّ، أَيْنَ الْمَفَرُّ وَالْبَحْرُ وَالْبَرُّ * عَلَى الصَّكِّدِ لِلْوَرَى عَامِلَانِ؟
 كُنْتُ أَخْشَى الْبَحَارَ وَالْمَوْتَ فِيهَا * رَاصِدٌ غَفْلَةً مِنَ الرُّبَانِ^(٢)
 سَاحِجٌ تَحْتَنَا، مُطْلِعٌ عَلَيْنَا * حَائِمٌ حَوْلَنَا، مُنَاءٌ مُدَانِي^(٣)
 فِذَا الْأَرْضُ وَالْبَحَارُ مَسَوَاءٌ * فِي خَلْقٍ كِلَاهُمَا غَادِرَانِ
 مَا (لِلسَّيْنِ) عُوجِلَتْ فِي صِبَاهَا * وَدَعَاهَا مِنَ الرَّدَى دَاعِيَانِ^(٤)
 وَنَحْتٌ تِلْكَمُ الْحَاسِنِ مِنْهَا * حِينَ تَمَّتْ آيَاتُهَا آيَاتَانِ
 خُسِفَتْ، ثُمَّ أَغْرِقَتْ، ثُمَّ بَادَتْ * قُضِيَ الْأَمْرُ كُلُّهُ فِي ثَوَانِي
 وَأَتَى أَمْرُهَا فَأَصْحَتْ كَأَنِّي لَمْ * تَكُ بِالْأَمْسِ زِينَةَ الْبُلْدَانِ^(٥)
 لَيْتَهَا أُمِيتَتْ فَتَقْضَى حُقُوقًا * مِنْ وَدَاعِ اللَّدَاتِ وَالْجِيرَانِ
 لَحْمَةٌ يَسْعَدُ الصَّدِيقَانِ فِيهَا * بِاجْتِمَاعٍ وَيَلْتَقِي الْعَاشِقَانِ^(٦)
 بَقِيَ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ عَلَيْهَا * وَطَنِي الْبَحْرُ أَيْمًا طُغْيَانِ^(٧)
 تِلْكَ تَغْلِي حَقْدًا عَلَيْهَا قَتْنَشٌ * أَنْشِقَاقًا مِنْ كَثْرَةِ الْغَلِيَانِ

- (١) نفس عنه : خفف . (٢) الربان : رئيس السفينة . (٣) الخلاق : الحظ والنصيب
 من الخير والصلاح . يقول في هذه الأبيات الثلاثة : إنه كان لا يخشى إلا غائلة البحر ، ويأمن بجانب البر
 فإذا بهما في العدم سواء . (٤) يريد « بالآيتين » : زوال الأرض ؛ وفيضان البحر .
 (٥) اللدات : الأتراب ، الواحدة لدة (بكسر اللام وتخفيف الدال) . والمراد نظائرهما من البلاد .
 (٦) بني عليه : ظله . (٧) تلك ، أي الأرض .

- (١) فُتِحِبُ الْجِبَالُ رَجْمًا وَقَدْفًا * بُشَاطِ مِنْ مَارِجٍ وَدُخَانٍ
(٢) وَتَسُوقُ الْبِحَارُ رَدًّا عَلَيْهَا * جَيْشَ مَوْجٍ نَائِي الْجَنَاحِينَ دَانِي
(٣) فَهَذَا الْمَوْتُ أَسْوَدُ اللَّوْنِ جَوْنٌ * وَهَذَا الْمَوْتُ أَحْمَرُ اللَّوْنِ قَانِي
(٤) جَنَدَ الْمَاءِ وَالْثَرَى لِمَلَاكٍ أَلِ * خَلْقِي ثُمَّ أَسْتَعَانَ بِالنَّيِّرَانِ
(٥) وَدَعَا السُّحْبَ عَاتِيًا فَأَمَدَّتْ * لَهُ يُجَيِّشُ مِنَ الصَّوَاعِقِ نَائِي
(٦) فَاسْتَحَالَ النَّجَاءُ وَاسْتَحْكَمَ الْيَأَى * مَسْ وَخَارَتْ عَزَائِمُ الشُّجْعَانِ
(٧) وَشَفَى الْمَوْتُ غِلَّهُ مِنْ نُفُوسٍ * لَا تُبَالِيهِ فِي بَحَالِ الطَّعْنَانِ
(٨) أَيْنَ (رِدْجُو) وَأَيْنَ مَا كَانَ فِيهَا * مِنْ مَغَانٍ مَاهُولَةٍ وَغَوَانِي
(٩) عُوِجِلَتْ مِثْلَ أُخْتِهَا وَدَهَاها * مَا دَهَاها مِنْ ذَلِكَ الثَّوْرَانِ
(١٠) رُبُّ طِفْلٍ قَدْ سَاخَ فِي بَاطِنِ الْأَرَى * ضِ يُنَادِي : أُمِّي ، أَبِي ، أَذِيرْكَانِي

- (١) الشواط : لخب لادخان فيه . والمارج : الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد .
(٢) نائي الجناحين ، أى بعيد ما بين الجنانين . والداني : القريب . يريد أن الموج يسع مرة
ويضيئ أخرى . (٣) الجون : الشديد السواد . والقاني والقائي : الشديد الجرة . والعرب تطلق
الموت الأسود على الموت غمًا ، والموت الأحمر على الموت قتلا لما يحده القتل من سيلان الدم .
(٤) الضمير فى «جند» و«استعان» : الموت . (٥) عاتيا : معتديا ظالما .
(٦) خارت : ضعفت . (٧) الفل : الحقد والموجدة .
(٨) ريدجو كاليريا : ولاية فى إيطاليا ، وهى القصوى من جهة الجنوب ، متاخمة للبحر الأيونى وبوغاز
مسينا ، وقد هدمها ما انتابها من الزلازل . وإلى هذا يشير الشاعر . والمغانى : المنازل التى غنى بها أهلها
أى سكنوا وأقاموا ، الواحد مغانى (يفتح الميم والنون وسكون الغين) . والغوانى : النساء غنبن بمجانهن
وحسنهن عن الزينة . (٩) أختها ، أى مسينا . (١٠) ساخ : غاص .

(١)
وَقَاءَ هَيْفَاءَ تُسَوَّى عَلَى الْجَمَّةِ * يَرْتَمَانِي مِنْ حَرِّهِ مَا تُعَانِي
وَأَيْ ذَاهِلًا ، إِلَى النَّارِ يَمْشِي * مُسْتَعِيًا تَمْتَدُّ مِنْهُ أَلْيَدَانِ
(٢)
بَاحِثًا عَنْ بَنَاتِهِ وَبَنِيهِ * مُسْرِعَ الْخَطْوِ مُسْتَطِيرَ الْجَنَانِ
(٣)
تَأْكُلُ النَّارُ مِنْهُ لَا هُوَ نَاجٍ * مِنْ لَظَاهَا وَلَا اللَّظَى عَنْهُ وَإِنِّي
(٤)
غَضَبْتُ الْأَرْضَ أَتُنْجِمَ الْبَحْرَ مِمَّا * طَوَّيَاهُ مِنْ هَذِهِ الْأَبْدَانِ
وَشَكَا الْحَوْتَ لِلنُّسُورِ شَكَاةً * رَدَدَتْهَا النَّسُورُ لِلْيَتَانِ
(٥)
أَسْرَفًا فِي الْجُسُومِ نَقْرًا وَنَهْشًا * ثُمَّ بَاتَا مِنْ كِظَّةٍ يَشْكُوَانِ
(٦)
لَا رَعَى اللَّهُ سَاكِنَ الْقِمَمِ الشَّامِ * وَلَا حَاطَ سَاكِنَ الْقِيَعَانِ
(٧)
قَدْ أَغَارَا عَلَى أَكُفِّ بَرَاهَا * بَارِئُ الْكَائِنَاتِ لِلْإِتْقَانِ
(٨)
كَيْفَ لَمْ يَرَحْمَا أَنَا مِلْهَا الْغَدْرُ * وَلَمْ يَرْفُقَا بِتِلْكَ أَلْبَانِ
(٩)
لَهْفَ نَفْعِي وَأَلْفَ لَهْفٍ عَلَيْهَا * مِنْ أَكُفِّ كَانَتْ صَنَاعَ الزَّمَانِ

- (١) الهيفاء : الضامرة البطن ، الرقيقة الخصر . (٢) مستطير الجنان ، أى ذاهب القلب
بجزاء وإشفاقا . (٣) الظى : حر النار واشتعالها .
(٤) غصت ، أى امتلأت . وأنجم : امتلا بجوفه ، من النجمة ، وهى الامتلاء من الطعام .
(٥) الكظة : البطء وما يعترى الإنسان من الامتلاء من الطعام . (٦) ساكن القمم : يريد
النسر ، لأنه يسكن أعالي الجبال . والشم : العالية المرتفعة ، الواحدة شماء . وحاط : حفظ ووقى .
ويريد «ساكن القيعان» : ما يسكن قيعان البحر من الحيتان ، كما يدل على ذلك ما سبق . (٧) براهها :
خلقتها . ويريد أكف أصحاب الفنون . (٨) البنان : الأصابع ، الواحدة بناة . (٩) الصناعات :
الحاذقة الماهرة فى العمل .

- (١) مَوَلَاتٍ بَصِيدٍ كُلِّ جَمِيل * نَاصِبَاتٍ حَبَائِلَ الْأَلْوَانِ
حَافِرَاتٍ فِي الصَّخْرِ أَوْ نَاقِشَاتٍ * شَائِدَاتٍ رَوَائِعَ الْبُيُوتَانِ
(٢) مُنْطَقَاتٍ لِسَانٍ كُلِّ جَمَادٍ * مُفْجِحَاتٍ سَوَاجِعَ الْأَفْنَانِ
مُلْهَمَاتٍ مِنْ دِقَّةِ الصَّنْعِ مَا لَا * يُلْهَمُ الشَّعْرُ مِنْ دَقِيقِ الْمَعَانِي
(٣) مِنْ تَمَائِيلَ كَالنُّجُومِ الدَّرَارِي * يَهْرَمُ الدَّهْرُ وَهِيَ فِي عُتُقُونِ
(٤) تَعَجُّ صُنْعُهَا وَاعْجَبُ مِنْهُ * صُنْعُهُ تِلْكَ قُدْرَةُ الرَّحْمَنِ
(٥) إِيَّاهُ «مَسِينٌ» آتِيهِ الْيَوْمَ «بُيْبِي» * «سَيِّ» فَقَدْ أَوْحَشَتْ بِذَلِكَ أَلْكَانِ
آتِيهِ الدَّرَّةُ الَّتِي كَانَتْ الْحِلَّةَ * بِيَّةً فِي تَاجِ دَوْلَةِ (الرُّومَانِ)
(٦) فَالْمَا قَبْلَكَ الزَّمَانُ اغْتِيَالًا * وَهِيَ تَلْهُو فِي غِبْطَةٍ وَأَمَانِ

- (١) الحبائل : الأشرار . ويريد بقوله : « ناصبات حبائل الألوان » أن هذه الصور تمسيد القلوب والأفكار بما فيها من دقة وإحسان . ويحيى أن روائع المصور المعروف صور مرة عقودا من العنب على حائط نخلع بها بعض الطيور ، فالإله يتفرح به .
(٢) سواجع الأفنان : الحائض التي تسجع ، أي تفرد . والأفنان : الأغصان ، الواحد فن (بالتحريك) . ويشير بالسطر الأول إلى ما صنعه هذه الأيدي من التماثيل التي تقرب من الحقيقة حتى تكاد تنطق ؛ وبالسطر الثاني إلى أيدي الموسيقين البارعين .
(٣) الداراي (بتشديد الياء ، وخفف للشعر) : جمع دري ، وهو الكوكب المتوقد المتلألئ الصافي الشعاع . وعقون الشباب : أوله وريانه . (٤) صنعه ، أي صنع الله تعالى . يقول : إن هذه التماثيل مهما بولغ في إتقانها ودقتها فهي لا تبلغ صنع الله الذي أتقن كل شيء .
(٥) بمبي : مدينة قديمة من إيطاليا الجنوبية تبعد اثني عشر ميلا عن نابلي إلى الجنوب الشرق وموقعها بجوار جبل فيزوف ؛ وقد حدث فيها زلزلتان تتربنا قسما منها في سنة ٦٣ م وكان بين هاتين الزلزلتين فترة أشهر ، ثم خربت بالمواد المتفجرة في ٢٤ آب سنة ٧٩ ، وبقيت هذه المدينة مدمجة عشر قرنا بعد ذلك مطمورة ، طامة الذكر ، حتى استكشفت أخيرا . (٦) غالما : أهلكتها .

(١)
جاءها الأمرُ والسَّراةُ عُكُوفٌ * في المَلاهي على غِناءِ القِيانِ
(٢)
يَنْ صَبَّ مُدَلِّهِ وطُروِبٌ * وخَلِيعٌ في اللّهُو مُرَنِّحِ العِنانِ
فانطَوَّوا كَانِطِواءِ أَهْلِكَ بالأَمَدِ * يسَ وزالَتْ بَشاشَةُ العُمَرانِ
(٣)
أَنْتِ (مَسِين) لَنْ تَزُولِي كما زَا * لَتَ وَلَكِنْ أَمْسَيْتِ رَهْنَ الْأَوانِ
إِنِّ إِيطالِيَا بَنُّوها بُنْءٌ * فاطمِنِّي ما دَامَ في الحَيِّ بايِ
فَسَلامٌ عَلَيْكَ يَوْمَ تَوَلَّيَ * بَتَ بِما فَيْكَ مِنْ مَغانٍ حِسانِ
وَسَلامٌ عَلَيْكَ يَوْمَ تَعَوَّدِي * نَ كما كُنْتَ جَنَّةَ الطُّلَبانِ
وَسَلامٌ مِنْ كُلِّ حَيٍّ على الْأَرِ * ضِ على كُلِّ هالِكٍ فَيْكَ فاني
(٤)
وَسَلامٌ على الْأَلَى أَكَلِ الدُّدِ * بُ وَناشَتْ جَوارِحُ العِقبانِ
(٥)
وَسَلامٌ على أَمْرِي جادَ بالَّذِمِّ * بَجِ وَثَنِي بِالْأَصْفَرِ الرِّتانِ
ذاكَ حَقُّ الْإِنسانِ عِنْدَ بَنِي الْإِذِ * سانِ لَمْ أَدْعُكُمْ إلى إِحسانِ
فاكُتُبُوا في سَما (رَدْجُو) و (مَسِي * سَنا) و (كَالْبِرِّيا) بِكُلِّ لِسانِ
(٦)
ها هُنَا مَضْرَعُ الصَّناعَةِ وَالنَّصَبِ * - يَرِ وَالْحَنَقِ وَالْجَبَا وَالْأَغْانِي

(١) يريد «بالأمر»: الحلاك والقضاء . والسراة : جمع سرى (فتح السين وتشديد الياء)، وهو الرفيع القدر من الناس . والقِيان : المغنيات، الواحدة قِيَة . (٢) المدله : الذاهب العقل من عشق ونحوه . والخَلِيع : المتهك . ومرنح العنان : الممدود له في حبل الشهوات . (٣) يريد بقوله : «أمسيت رهن الأوان» : أنه سيأتي الوقت الذي يجدد الشعب فيه عمارتك ، ويعيد ما هدمته الزلازل من مغانيك فخصبحين كما كت ، كما يدل عليه البيت الذي بعده . (٤) فاشت : نهشت . (٥) الأصفر الرتان : الذهب ؛ يريد ما يتبرع به المتبرعون في عمارة هذا البلد . (٦) الجبا : العقل .

براعةُ غناء

قالها في جاك رومانو المغنى الإسرائيلي المعروف

[نشرت في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٠٨ م]

إِرْحَمُونَا بَنِي الْيَهُودِ كَفَانُكُمْ * مَا جَمَعْتُمْ بِحَذَقِكُمْ مِنْ قُودٍ^(١)
وَأَصْفَحُوا عَنْ عُقُولِنَا وَدَعُوا الْخَلْدَ * مَقَى بَسِيرِ التَّوْرَةِ وَالتَّسْهُودِ^(٢)
لَا تَرِيدُوا عَلَى الصُّكُوكِ فِخَاخًا * مِنْ غِنَاءٍ مَا يَنْبَغُ دَفَّ وَعُودٍ^(٣)
وَيَحْكُمُ إِنْ (جَاكَ) أَتْرَفَ حَتَّى * زَادَ فِي قَوْمِهِ عَلَى (دَاوُدَ)^(٤)
أَسْكِتُوهُ لَا أَسْكَتَ اللَّهُ ذَاكَ إِلَّا صَوْتُ صَوْتِ الْمُتَيْمِّمِ الْفَرِيدِ^(٥)
أَوْ دَعُوهُ، فِدَاؤُهُ إِنْ تَغْنَى * كُلُّ نَفْسٍ وَكُلُّ مَا فِي الْوُجُودِ

وقال فيه أيضا :

[نشرت في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٠٨ م]

يَا (جَاكَ) إِنَّكَ فِي زَمَانِكَ وَاحِدٌ * وَلِكُلِّ عَصْرٍِ وَاحِدٌ لَا يُلْحَقُ
إِنْ الْآتَى قَدْ عَاصَرُوكَ وَفَاتَهُمْ * أَنْ يَسْمَعُوكَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يُخْلَقُوا

- (١) جاك رومانو : يهودى من أهال الاسكندرية ، كان من رجال المال ، يعمل عملا رئيسيا في أحد المصارف ، وكان حسن المأدبة والثناء ، ظريف الثبائل ، وكان صدقا حيا للرحوم عبده الحامولى .
- (٢) التلمود : سفر ديني لليهود نما في القرون الأربعة أو الستة من العهد المسيحى ، وصار مع التوراة كتاب اليهود المقدس .
- (٣) الصكوك : وثائق الديون التى اشتهر بها اليهود .
- (٤) خص دارد عليه السلام لما اشتهر به من حسن الصوت ، ولما اشتهرت به مزماريه من الترميم وتريلها .
- (٥) الفريد : المنفرد .

(١)
 قد جاء (موسى) بالعصا وأتينا * بالعود يسدو في يديك وينطق
 فاذا أرتجت لنا الغناء فكلنا * مهج تسيل وأنفس تتحرق
 فطالب بإعادة ومطالب * بزيادة ومهل ومصفق
 (٢)
 تتسابق الأسماع صويك كلما * غنيها شوقا إليك وتغنى
 (٣)
 وتود أنثى تهتك شغافها * لو أنها بذولها تتعلق
 (٤)
 خلق كما شاء المجلس وشية * يذكوها صدر الندى ويبقى
 ومروءة لو أنها قد قسمت * بين اليهود لأحسنوا وتصدقوا

نادى الألعاب الرياضية

أشدها في ليلة أحياء نادى الألعاب الرياضية بالأوبرا السلطانية

[ليلة السبت ٨ أبريل سنة ١٩١٦ م]

ينادى الجزيرة قف ساعة * وشاهد برك ما قد حوى
 (٥)
 ترى جنة من جنات الربيع * تبدت مع الخلد في مستوي
 (٦)
 بحال الطبيعة في أفقها * تجلى على عرشه وأستوى

- (١) موسى ، هو نبي الله موسى بن عمران عليه السلام ؛ ومعجزته في عصاه مشهورة ورد ذكرها في القرآن . (٢) صويك : جهنك . وتغنى : تسرع .
 (٣) بذولها ، أى الأسماع . وشغاف القلب : غلافه . (٤) الندى : مجلس القوم .
 ويذكر ويبقى ، أى يظلم ويظلم . (٥) تبدت : ظهرت .
 (٦) تجلى : ظهر . وأستوى ، أى استقر .

فَقُلْ لِلْحَزِينِ وَقُلْ لِلْعَلِيلِ * وَقُلْ لِلْمَلُولِ : هُنَاكَ الدُّوَا
^(١)
 وَقُلْ لِلْأَدِيبِ : ابْتَدِرْ سَاحَهَا * نَظَا مَا الْيَسَانُ عَلَيْكَ اتَّوَى
^(٢)
 وَقُلْ لِلْمِكْبِ عَلَى دَرَسِهِ * إِذَا نَهَكَ الدَّرْسُ مِنْهُ الْقَوَى :
^(٣)
 تَسَمَّ صَبَاهَا تُجَدِّدُ قَوْلَكَ * فَأَرْضُ الْجَزِيرَةِ لَا تُجْتَوَى
 فِيهَا شِفَاءٌ لِمَرْضَى الْهُمُومِ * وَمَلَهَى كَرِيمٌ لِمَرْضَى الْهَمَوَى
^(٤)
 وَفِيهَا وَفِي نَيْلِهَا سُؤْلَةٌ * لِكُلِّ غَرِيبٍ رَمَتْهُ النَّوَى
^(٥)
 وَفِيهَا غِذَاءٌ لَأَهْلِ الْعُقُولِ * إِذَا الرَّأْسُ إِثْرَ كَلَالٍ خَوَى
^(٦)
 وَيَا رَبُّ يَوْمٍ شَدِيدِ اللَّظَى * رَوَى عَنْ جَهَنَّمَ مَا قَدْ رَوَى
^(٧)
 بِهِ الرِّيحُ لِفَاحَةً لِلْوُجُوهِ * بِهِ الشَّمْسُ نَزَاعَةً لِلشَّوَى
 قَصَدْتُ الْجَزِيرَةَ أَبْغَى النِّجَاةِ * وَجِسْمِي شَوَاهِدُ اللَّظَى فَاشْتَوَى
^(٨)
 فَأَلْفَيْتُ نَادِيَهَا زَاهِرًا * وَأَلْفَيْتُ ثُمَّ نَعِيًا تَوَى
 فَأَتَزَلَّنِي مُتَزَلًّا طَيِّبًا * وَرَوَى فَوَادِي حَتَّى أَرْتَوَى
^(٩)
 وَأَطْفًا وَأَرْفُ تِلْكَ الظَّلَالِ * سَعِيرَ الْهَجِيرِ وَحَرَّ الْجَوَى

- (١) الساح : جمع ساحة . والنوى : صعب وأصعبى . (٢) المكب على درسه : المقبل عليه
 المحبته فيه . (٣) لا تجتوى ، أى لا تكفه الإقامة بها . (٤) النوى : البعد . (٥) الكلال :
 الإعياء والتعب . ونحوى : خلا . (٦) الظى : شدة الحزن . (٧) لقاحة الوجوه : محقرة لها مغيرة
 لأنوائها . والنوى : البدان والرجلان ونحف الرأس . وكنى بقوله : « نزاعة للشوى » : عن شدة الحر . يشير
 الى قوله تعالى في وصف جهنم : (كلا إنها لظى نزاعة للشوى) . (٨) نوى بالمكان : أقام به .
 (٩) الوارف من الظلال : ما اتسع وامتد منها . والهجير : شدة الحزن . والجوى : الحزن والحرة وشدة الوجد .

- (١) وَحَلَّ الْأَصِيلُ عِقَالَ الشَّامِ * فَهَبَّتْ بَنَشِيرُهَا أَنْضَوَى
(٢) فَأَحْيَتْ بَنْفَسِي ذِكْرَى الشَّبَابِ * وَمَا كَانَ مِنْهَا وَمِنْهُ أَنْطَوَى
(٣) وَعَاوَدَ قَلْبِي ذَاكَ الْخُفُوقِ * وَقَدْ كَانَ بَعْدَ الْمَشِيبِ أَرْعَوَى
(٤) فَمَا بِالْ قَوْمِي لَا يَأْخُذُونَ * لَيْتَكَ أَلْجَنَانِ طَرِيقًا سَوَا
(٥) وَمَا بِالْ قَوْمِي لَا يَتَزَلُّونَ * بَغَيْرِ (جُرِّي) وَ (بَارِ اللَّوَا)
(٦) تَرَاهُمْ عَلَى نَزْدِهِمْ عُكْفًا * يُيَادِرُ كُلُّ إِلَى مَا غَوَى
(٧) وَلَوْ أَنْصَفُوا الْجِسْمَ لَأَسْتَظْهَرُوا * لَهُ بِالْمِرَانِ وَطِيبِ أَلْهَوَا



- فِيَا نَادِيًا ضَمَّ أَتْسَ النَّدِيمِ * وَلَهُوَ الْكَرِيمُ وَقِيَّتَ الْإِبْلَى
(٨) لِيَالِيكَ أَتْسُ جَلَاها الصِّفَا * فَأَسْرَتْ إِلَيْكَ وَفُودُ الْمَلَا
(٩) فَكَمْ لَيْلَةً طَابَ فِيكَ الْحَدِيثُ * فَكَانَ الْكُثُوسَ وَكَانَ الطَّلَا

- (١) الأصيل : وقت العشي . يقول : إن ربح الشمال انطلقت في هذا الوقت . والنشر : الرائحة الطيبة . وانضوى : انضم إليها وامتزج بها . (٢) الضمير في « منها » للذكرى ؛ وفي « منه » للشباب . (٣) ارعوى عن الأمر : رجع عنه وكف . (٤) طريقا سوا (بفتح السين والقصر) ، أى سوا (بالمد) بمعنى المستوى الذى لا صوج فيه . (٥) جري ، وبارالوا : مقهيان معروفان في القاهرة يقصد إليهما خاصة الناس . (٦) الازد ، هو اللعبة المعروفة بالطاولة . (٧) استظهروا ، أى استعانوا . و « له » أى لأجله . والذى وجدناه في كتب اللغة مرن الجسم مرونا ومراثة لا مرانا كما استعمله الشاعر متابعة لما شاع في كلام أهل مصر . (٨) الإسراء والسرى : السير بالليل . (٩) الطلاء (بالمد) وقصر للضرورة) : انخرء شبه به طيب الحديث .

(١) فَنَ مُشْجِيَاتٍ إِلَى مُطْرِبَاتٍ * إِلَى مُضْجِحَاتٍ تُسَلَّى ، إِلَى ...
 وَقَدْ زَانَ لَهْوَكَ ثَوْبُ الْوَقَارِ * فَلَهْوُكَ فِي كُلِّ ذَوْقٍ حَلَا
 تَخَفُ إِلَيْهِ رِزَانُ الْجَحَا * وَتَمْشِي إِلَيْهِ السَّرَاةُ الْأَلَى (٢)
 فَقُلْ لِلَّذِي بَاتَ تَحْتَ الْعُقُودِ * بِحَرْبٍ عَلَى نَفْسِهِ مُبْتَلَى (٣)
 أَتِلْكَ الْأَمَاكِزَ لَا تُسْتَرَادُ * أَتِلْكَ الْمَنَاطِرُ لَا تُجْتَلَى (٤)
 أَتَحْتَ السَّمَاءِ وَبَذَرِ السَّمَاءِ * وَبَيْنَ الرِّيَاضِ وَبَيْنَ الْخَلَا
 يَمْلُ الْجُلُوسُ وَيَفْنَى الْحَدِيثُ * فَهَذَا النِّعِيمُ وَالْأَفَلَا؟
 سَأَلْتُ الْأَلَى يَقْدِرُونَ الْحَيَاةَ * أَلَمْ تَفْتَنْتَنِيكُمْ؟ فَقَالُوا : بَلَى
 مَكَانٌ لَعْمُوكَ مَا حَلَّ فِي * نَوَاحِيهِ ذُو الْحُزْنِ إِلَّا سَلَا
 فَمَا أَنْتَ فِي مِصْرَ إِنْ لَمْ تَطُرْ * إِلَيْهِ فَتَشْهَدَ تِلْكَ الْحُلَى
 لَهُ مَلْعَبٌ فِيهِ مَا يَسْتَهْيِ * مُحِبُّ الرِّيَاضَةِ مَهْمَا غَلَا
 لِكُلِّ فَرِيقٍ بِهِ لُعْبَةٌ * تَلَايُمُ مِنْ سِنِّهِ مَا خَلَا (٥)
 وَلِعَبٌ هُوَ الْجِدُّ لَوْ أَنْنَا * نَظَرْنَا إِلَيْهِ بَعَيْنِ النَّهَى

(١) إلى ، أى إلى غير ذلك من أنواع الهوى . (٢) الرزان : جمع رزين ، يريد العقول الراجحة . وتخف له ، أى إلى ما فى هذا النادى من لهو ونشاع . وسراة القوم : ذور الأقدار الرفيعة ، الواحد سرى (بفتح السين وتشديد الباء) . والألى ، أى الذين بلغوا من الرفعة وعلو المنزلة مبلغا عظيما ؛ فغذف الشاعر الصلة للعلم بها . (٣) العقود : نوع من الأبنية معروف فى مصر ؛ ومنه ما يسمى بالبواكى ؛ وكان بعض أصحاب المقاهى يتخذون تحتها مقاعد للناس .
 (٤) تستراد : تبغى وتطلب . (٥) ما خلا ، أى ماضى من عمره .

لَدَى غَيْرِ (مُضَرٍّ) لَهُ حُظْوَةٌ * فَمَنْ رَاحَ يَلْهُو بِهِ مَنْ لَهَا
 وَفِي أَرْضِ (يُونَانَ) شَاهِدَتُهُ * فَأَيُّ جَمَالٍ إِلَيْهِ أَتَتْهُ
 وَشَاهَدَتْ مُوسِمَهُ قَدْ حَوَتْ * تَوَاحِيهِ غَايَةً مَا يُشْتَهَى^(١)
 وَمَجَاجِ بُزُورِهِ الْمُؤَلَّعِينَ * وَأَصْحَى بَعْرِشِ الْمُلُوكِ أَزْدَهَى
 وَقَدْ زَادَ أَلْمَابَهُ بِهِجَةً * مَكَانٌ فَسِيحٌ مَعْدُهُمَا^(٢)
 صِرَاعٌ وَعَدُوٌّ يَبِيدُ الْمَدَى * وَوَثْبٌ يَكَادُ يَنَالُ الشُّهَا^(٣)
 وَشَاهَدَتْ عَدَاءَهُمْ قَدْ عَدَا * ثَلَاثِينَ مِيلًا وَمَا إِنِّ وَهَى^(٤)
 وَقَامَتْ مُلَاكِمَةُ اللَّاعِينَ * فَأَتَسَتْ تَنَاطُحَ وَحْشِ أَلْمَهَا^(٥)
 بَأَوْحَى مِنَ اللَّمَحِ كَانَ التَّرَالِ * فَيَاوِيلَ مَنْ مِنْهُمَا قَدْ سَهَا^(٦)
 وَلَوْرُحْتُ أَتَعْتُ تِلْكَ الضُّرُوبَ * لَضَاقَ الْقَرِيضُ وَأَعْيَا يَهَا^(٧)
 عَلَى أَنْ فِي أَفْقِنَا نَهْضَةً * سَتَبْلُغُ رَغَمَ الْقُعُودِ الْمَدَى^(٨)
 وَإِنْ لَمْ تَكُنْ بَلَغَتْ أَوْجَهَا * كَذَا كُلُّ شَيْءٍ إِذَا مَا أَبْتَدَا^(٩)
 وَنَادَى الرِّيَاضِيَةَ أَوَّلَى بِأَنْ * يَكُونَ عَلَيْهَا مَنَارُ الْمُدَى^(١٠)

(١) ازدهى : افتخر وأعتال .

(٢) العدو : الجرى . والسها : كوكب خفى لشدة بعده . (٣) عدا : جرى . ووهى : ضعف .

(٤) المها : بقر الوحش ، الواحدة مهاة . (٥) أوحى من اللح ، أى أسرع منه . والوحى :
 (بالألف المقصورة ، والوواء بالمد) : السرعة . ومنها ، أى من المتلاكين .

(٦) الضروب : أنواع اللعب . (٧) أوجها ، أى غاية ما تسمو إليه .

(٨) عليها ، أى على تلك النهضة السابق ذكرها .

(١) أَظَلَّتْ جَلَالَ أَعْمَالِهِ * ظِلَالُ (حُسَيْنٍ) حَلِيفِ النَّدَى
(٢) مَلِيكَ رَعَاهُ بِإِقْبَالِهِ * وَحُسْنِ عِنَايَتِهِ وَالْجَدَا
فَفِي عَهْدِهِ فَلْيَجِدْ الْمُحَدَّ * فَإِنَّ السُّعُودَ بِهِ قَدْ بَدَا

رحلته إلى إيطاليا

[نشرت في نوفمبر سنة ١٩٢٣ م]

(٣) طَاصِفٌ يَرْتَمِي وَبَحْرٌ يُغِيرُ * أَنَا بِاللَّهِ مِنْهُمَا مُسْتَجِيرُ
(٤) وَكَأَنَّ الْأَمْوَاجَ، وَهِيَ تَوَالِي * مُحْتَقَاتٍ، أَشْجَانُ نَفْسٍ تُشَوِّرُ
(٥) أَزِيدَتْ، ثُمَّ جَرَجَتْ، ثُمَّ ثَارَتْ * ثُمَّ فَارَتْ كَمَا تَقُورُ الْقُدُورُ
(٦) ثُمَّ أَوْقَتْ مِثْلَ الْجِبَالِ عَلَى الْقُدُ * يَكُ وَلِلْقُلُوكِ عَزْمَةٌ لَا تَحُورُ
(٧) تَتَرَامَى يُجْجُجُؤُ لَا يُبَالِي * أَمِيَاهُ تَحَوُّطُهُ أَمْ صُخُورُ؟
أَزْجَعُ الْبَحْرُ جَانِبَيْهَا مِنَ الشَّدِّ * بَحْنَبٌ يَعْلُو وَجَنْبٌ يَغْسُورُ
(٨) وَهُوَ أَنَا يَنْحَطُّ مِنَ الْعُلُوكِ كَالسَّيِّ * بَلْ وَأَنَا يَحُوطُهَا مِنْهُ سُورُ

- (١) يريد المغفور له السلطان حسين كامل . والندى : الجود . (٢) الجدا : العطاء .
(٣) يرتى : يشتد في هوبه . (٤) توالى، أى توالى . ومحقات : غاضبات . وتشور :
تهيج . (٥) أزيدت : قذفت بالزبد (بالتحريك) ، وهو الرغوة التى تملأ الماء عند فورانه .
وجرجرت : صوت . (٦) أوقى عليه : أشرف . وتحور : تضعضع . (٧) تترامى ، أى
القلك ؛ وهو يذكر ويؤنث . ويجوؤ السفينة : صدرها . (٨) ضمير وهو ، والهاء ، فى قوله :
« منه » البحر . ومن علو (مثلك الواو) ، أى من أعلى .

(١) وهى تَزُورُ كالجَوَادِ إِذَا مَا * سَاقَهُ لِلطَّعَانِ نَذْبُ جَسُورِ
(٢) وَعَلَيْهَا نُفُوسُنَا خَائِرَاتٌ * جَازِعَاتٌ كَادَتْ شَعَاعًا تَطِيرُ
(٣) فِي شَايَا الْأَمْوَاجِ وَالزَّيْدِ الْمَنْدُ * دُوفٍ لَاحَتْ أَكْفَانُنَا وَالْقُبُورُ
مَرَّ يَوْمٌ وَبَعْضُ يَوْمٍ عَلَيْنَا * وَالْمَنَايَا إِلَى النُّفُوسِ تُشِيرُ
(٤) ثُمَّ طَافَتْ عِنَايَةُ اللَّهِ بِالْقُدِّ * لِكَ فَرَاثَتْ عَمَّنْ يُقِلُّ الشُّرُورُ
مَلَكَتْ دَفْعَةَ النَّجَاةِ يَدُ اللَّهِ * بِهِ فُسْجَانٌ مَنِ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ
(٥) أَمَرَ الْبَحْرَ فَاسْتَكَانَ وَأَمْسَى * مِنْهُ ذَاكَ الْعُبَابُ وَهُوَ حَصِيرُ
(٦) أَيْهَا الْبَحْرُ لَا يَغُرَّنْكَ حَوْلٌ * وَأَتَّسَاعُ وَأَنْتَ خَلَقْتَ كَبِيرُ
(٧) إِنَّمَا أَنْتَ ذَرَّةٌ قَدْ حَوَّثَهَا * ذَرَّةٌ فِي فَضَاءٍ رَبِّي تَدُورُ
(٨) إِنَّمَا أَنْتَ قَطْرَةٌ فِي إِنَاءٍ * لَيْسَ يَدْرِي مَدَاهُ إِلَّا الْقَدِيرُ
(٩) إِيهِ (أَسِيرِيَا) فَدَتِكَ الْجَوَارِي * مَنَشَاتٍ كَأَتَهَنَ الْقُصُورُ
(١٠) يَا عَرُوسَ الْبَحَارِ إِنَّكَ أَهْلٌ * أَنْ تُحْلِيكِ بِالْجُمَانِ الْبُحُورُ
فَاللَّيْسَى الْيَوْمَ مِنْ ثَنَائِي عِقْدًا * تَشْتَبِيهِ مِنْ آلِ حُسَيْنِ النُّحُورُ

- (١) تَزُورُ : تحرف وتميل . والنذب : الماضي الخفيف في الحاجة . (٢) طارت نفسه شعاعا ، أى ذهبت مضجرة من خوف أو نحوه . (٣) يقال : نذف القطن يندفه ، وذلك إذا ضربه بالندف ليرق . وشبه الشاعر زيد البحر بالقطن المدوف . (٤) تقل : تحمل . (٥) استكان : سكن وخضع . والعباب : الموج . وهو حصير ، أى مستوى السطح كالحصير . (٦) الحول : القوة . (٧) أى إن البحر ذرة من الكرة الأرضية التى هى ذرة فى الفضاء . (٨) مداه ، أى ملى الإناء . ويريد «بالإناء» الكون . (٩) أسيريا : اسم الباهرة التى أقلت الشاعر الى إيطاليا . والجوارى : السفن ، الواحدة جارية . (١٠) الجمان : اللؤلؤ ، الواحدة جمانة . وخص الجمان لأنه مما تحويه البحار فى أجوافها .



(١) إِيهِ إِيْطَالِيَا عَدَّتِكَ الْعَوَادِي * وَتَحْيَى عَنْ سَاكِينِكَ الثُّبُورُ
فِيكَ يَا مَهِيْطَ الْجَمَالِ فُنُونٌ * لَيْسَ فِيهَا عَنِ الْجَمَالِ قُصُورُ
(٢) وَدُمِّي جَمَعَ الْحَاسِنَ فِيهَا * صَنَعَ الْكَفَّ عَبْقَرِيَّ شَهِيْرُ
قَدْ أُقِيْمَتْ مِنَ الْجَمَادِ وَلَكِنْ * مِنْ مَعَانِي الْحَيَاةِ فِيهَا سُطُورُ
(٣) فَهِيَ تَبْدُو مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَكْسُو * هَا جَمَالٌ عَلَى حِفَافِهِ نُورُ
أَمِرَتْ بِالسُّكُوتِ مِنْ جَانِبِ الْحَقِّ * بَدُنِيَا فِيهَا الْأَحَادِيثُ زُورُ
أَرْضُهُمْ جَنَّةٌ وَحُورٌ وَوِلْدَانٌ * نَكَمًا تَشْتَهِي وَمُلْكٌ كَبِيْرُ
(٤) تَحْتَهَا - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - نَارٌ * وَعَذَابٌ وَمُنْكَرٌ وَنَكِيْرُ
(٥) إِنْ يَوْمًا كَيَوْمِ (رَدْجُو) وَ(مَسِيْدٍ * سِنَا) وَ(كَالْبَرِّيَا) لَيَوْمٌ عَسِيْرُ
(٦) سَاعَةً مِنْهُ تُهْلِكُ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ * لَمْ وَتَحْجُوا مَا سَطَرَتْهُ الدُّهُورُ
(٧) ذَاكَ (فِيْزُوفٍ) قَائِمًا يَتَلَطَّى * قَدْ تَعَالَى شَيْقُهُ وَالزَّرْفِيْرُ

- (١) عدتلك العوادي : جاوزتك النوايب ومخطئك . والثبور : الهلاك .
(٢) يريد « بالدمى » : التماثيل ، الواحدة دمية . وصنع الكف (بالتحريك) : حاذق بصنعه .
ويشير بهذا البيت وما بعده الى ما اشتهر به الإيطاليون من صنع التماثيل التي تنطق بمهارة صناعها وحذقهم .
(٣) على حفافيه : على جانبيه . (٤) منكر ونكير : ملكان قيل لهما بفتان الميت
في قبره ؛ وهما مثلان في القزع والرعب . ويشير بهذا البيت الى ما خصت به طبيعة بلادهم من وجود
البراكين وكثرة الزلازل بها . (٥) يريد يوم ردجو ومسينا : يوم الزلزال الذي وقع في هذين
البلدين انظر القصيدة السابقة في زلزال مسينا . (٦) الحرت : الزرع . (٧) فيزوف :
بركان بإيطاليا معروف .

(١)
يُنْذِرُ الْقَوْمَ بِالرَّحِيلِ وَلَكِنْ * لَيْسَ يُغْنِي مَعَ الْقَضَاءِ النَّذِيرُ
وَكَذَلِكَ الْأَوْطَانُ مَهْمَا تَجَنَّتْ * لَيْسَ لِلْحُرِّ عَنْ حِمَاهَا مَسِيرُ
(٢)
تَشْمُسُهُمْ غَادَةً عَلَيْهَا حِجَابٌ * فِيهِ شَرْقِيَّةٌ حَوَّتْهَا الْخُدُورُ
(٣)
تَشْمُسُنَا غَادَةً أَبَتْ أَنْ تَوَارَى * فِيهِ غَرْبِيَّةٌ جَلَّاهَا السُّفُورُ
جَوْهَرُهم فِي ثَقَلٍ وَاخْتِلَافٍ * غَيْرَ أَنَّ الثَّبَاتَ فِيهِمْ وَفِيرُ
(٤)
جَوْنًا أَتَبْتُ الْجَوَاءَ وَلَكِنْ * لَيْسَ فِينَا عَلَى الثَّبَاتِ صَبُورُ
وَلَيْسَ مِنْهُمْ مِنَ الْفُنُونِ لُبَابٌ * وَلَدَيْنَا مِنَ الْفُنُونِ قُشُورُ
(٥)
أَنْكَرَ الْوَقْفَ شَرُّهُمْ فَلِهَذَا * كُلُّ رَبْعٍ بَارِضِهِمْ مَعْمُورُ
(٦)
لَيْسَ فِيهَا مُسْتَنْقِعٌ أَوْ جِدَارٌ * قَدْ تَدَاعَى أَوْ مَسْكَنٌ مَهْجُورُ
(٧)
كُلُّ شَيْءٍ فِيهَا عَلَيْهِ بِنَاءٌ * مُشْمِخَرٌ أَوْ رَوْضَةٌ أَوْ غَدِيرُ
قَسَمُوا الْوَقْتَ بَيْنَ لَهْوٍ وَجَدٍّ * فِي مَدَى الْيَوْمِ قِسْمَةٌ لَا تَجُورُ
(٨)
كُلُّهُمْ كَادِحٌ بِكُورٍ إِلَى الرِّزِّ * قِيَّ وَلَا يَ إِذَا دَعَاهُ السُّرُورُ

- (١) أى إن فيزوف بما يتصعد منه من دخان دائم كأنه نذير للقوم بالرحيل عن جواره واختيار مكان آثر يقيمون به ، ولكن إذا حم القضاء فلا تنفى النذر . (٢) الغادة : المرأة الناعمة الينة . وشرقية ، أى امرأة شرقية ؛ ويشير إلى ما يحجب الشمس في بلادهم من الضباب والقيم . (٣) غربية ، أى امرأة غربية . ويشير إلى صحو الحق وصفائه من القيم في بلاد الشرق . (٤) الجواء : جمع جو . (٥) يشير إلى ما يلحق منازل الأوقاف في مصر من التخريب والدمار لقلة العناية بها . وكان الشاعر كلمة مأثورة في هذا ، وهى : « بيوت الوقف كالجلدى في وجه المدينة » . (٦) تداعى : تهتم . (٧) مشمخر : مرتفع . (٨) الكادح : الساعى المحبة في طلب الرزق . والبكور (فتح الباء) : المبكر .

لا تَرَى فِي الصَّبَاحِ لَا عِبَ نَزْدِ * حَوْلَهُ لِلرَّهَائِنِ جَمٌ غَفِيرٌ
 لَا وَلَا بَاهِلًا سَلِيمَ النَّوَاحِي * ^(١) لِلْقَهَائِرِ رَوَاحِهِ وَالْبُكُورِ
 لَمْ يَحْمِلْ بَيْنَهُمْ وَيْنَ الْمَلَاهِي * ^(٢) أَوْشُورِ الْحَيَاةِ جَوْ مَطِيرِ
 لَا يُبَالُونَ بِالطَّيْعَةِ حَنْتَ * ^(٣) أَمْ تَجَنَّتْ أَمْ أَحْوَاهَا النُّعُورِ
 عَصَفَتْ فَوْقَهُمْ رِيَّاحُ عَوَاتٍ * ^(٤) أَمْ أَجَازَتْ بِهِمْ صَبَاً أَمْ دُبُورِ
 قَدْ آعَدُوا لِحَادِثَاتِ اللَّيَالِي * ^(٥) عُدَّةً لَا يُحْزِزُهَا التَّقْدِيرِ
 نَضَرُوا الصَّخْرَ فِي رُءُوسِ الرُّوَامِي * وَلَدَيْنَا فِي مَوْطِنِ الْخُصْبِ بُورِ
 قَدْ وَقَفْنَا عِنْدَ الْقَدِيمِ وَسَارُوا * حَيْثُ تَسِيرُ إِلَى كَجَالِ الْبُذُورِ
 وَالْجَوَارِي فِي النَّيْلِ مِنْ عَهْدِ (نُوج) * لَمْ يُقَدَّرْ لَصُنْعِهَا تَغْيِيرِ
 وَلَعَ الْقَوْمُ بِالنَّظَافَةِ حَتَّى * جُنَّ فِيهَا غَنِيُّهُمْ وَالْفَقِيرِ

- (١) الباهل : المتردد بلا عمل . وسليم النواحي ، أى صحيح الجسم ليس به عاهة تمنعه العمل . وإطلاق «الفهوة» على المكان الذى تشرب فيه : مجاز ، كإطلاق النار على جهنم .
- (٢) يريد بهذا البيت أن الأمطار فى تلك البلاد مهما غزرت فلن تنوق السائر من مقاصدهم لما لديهم من الوسائل التى تجعل ذلك من الأمور المألوفة . ويشير الشاعر إلى المقارنة بين ما لديهم من تلك الوسائل وما لدينا . (٣) النور : الريح التى تقاطعك بحروا أنت فى برد ، أو يبرد وأنت فى حر .
- (٤) العواتى من الرياح : الشديدة العصف ، التى جاوزت حد هبوبها . وأجازت بهم ، أى مرت بهم . وفى كعب اللسان أن أجاز وجاز ، كلاهما بمعنى جاوز . ومنه حديث المسعى : «لا تحجزوا البطحاء إلا شدا» أى لا تحجزوا . والصبا : ريح الشمال ، وتقابلها الدبور ، وهى ريح الجنوب .
- (٥) يشير بهذا البيت إلى ما امتازت به أمم الغرب من دؤوب على العمل وعلم بجم حتى إنهم جعلوا الصخر فى رؤوس الجبال التى لاتنتب شيئا نضرة بما غرسوا فيها من ألوان النبات ، عكس ما لدينا من كل وتواكل جعلنا أرضنا الخصبه مقفرة من الزرع .

فَإِذَا سِرْتُ فِي الطَّرِيقِ نَهَارًا * خِلْتُ أَنِّي عَلَى الْمَرَامِ أَسِيرُ
 أَقْرَطُ الْقَوْمُ فِي النَّظَامِ وَعِنْدِي * أَنْتَ قَرَطَ النَّظَامِ أَسْرَ وَنِيرُ^(١)
 وَلَدَيْدُ الْحَيَاةِ مَا كَانَ قَوْضَى * لَيْسَ فِيهَا مُسَيِّطَرٌ أَوْ أَمِيرُ
 فَإِذَا مَا سَأَلْتَنِي قُلْتُ عَنْهُمْ * أَمَّةٌ حُرَّةٌ وَفَرْدٌ أَسِيرُ^(٢)
 ذَلِكَ رَأَيْي وَهَلْ أَشَارَكُ فِيهِ * إِنَّهُ قَوْلُ شَاعِرٍ لَا يَضِيرُ^(٣)
 فِي جِبَالِ التَّيْرُولِ إِنْ أَقْبَلَ الصَّبِي * فُي نَعِيمٌ وَإِنْ مَضَى زَمْهَرِيرُ^(٤)
 أَذْكَرْتَنِي مَا قَالَهُ عَرَبِي * طَارِقِي أَمْسَى أَحْتَوَاهُ (شَلِيرُ)^(٥)
 حَلَّ تَرَكُ الصَّلَاةِ فِي هَذِهِ الْأَرْ * ضٍ وَحَلَّتْ لَنَا عَلَيْهَا الْخُمُورُ

- (١) النير : الخشبة المعترضة في عنق الثورين بأداتها . (٢) يشير بقوله : وفرد أسير، إلى كثرة ما سئوا من قوانين ونظم تقيد الأفراد في فواحي الحياة ولا تجعلهم مطلق الحرية .
 (٣) التيرول : إقليم جبلي من جبال الألب يقع في الشمال الشرق من إيطاليا .
 (٤) طارق : نسبة إلى طارق بن زياد فاتح الأندلس . وشلير (بلفظ التصغير) : جبيل بالأندلس من أعمال البيرة، لا يفارقه الطلج شتاء ولا صيفا . وفي هذا البيت سناح حلو، وهو اختلاف حركة الحرف الذي قبل الرفع، والردف : حرف مد قبل الروي . ويشير الشاعر بهذا البيت إلى قول بعض المغاربة وقد مر بشلير فوجد ألم البرد :

يحل لنا ترك الصلاة بأرضكم * وشرب الحما وهو شئ محبم
 فرارا إلى نار الجحيم فانها * أخف علينا من شلير وأرحم
 اذا هبت الريح الشمال بأرضكم * فطوبى لعبد في لظى يتنعم
 أقول ولا أنحى على ما أقوله * كما قال قبلي شاعر متقدم
 فان كان يوما في جهنم مدخل * ففي مثل هذا اليوم طابت جهنم
 وقد ضمن حافظ معنى هذه الآيات في البيتين الآتين .

إِن صَدَرَ السَّعِيرِ أَخْنَى عَلَيْنَا * مِنْ (شُلَّيرِ) وَأَيْنَ مِنَّا السَّعِيرُ
 قَدْ بَلَّوْتُ الْحَيَاةَ فِي الشَّرْقِ وَالْقَرْ * بِ فَمَا فِي الْحَيَاةِ أَمْرٌ يَسِيرُ
 مِنْ ثَوَاءٍ فِيهِ الْمَلَالُ لِزَامُ * أَوْ رَجِيلٍ فِيهِ الْعَنَاءُ كَثِيرُ^(١)

حريق

قال هذه الأبيات في حريق رآه بمنزل عبد الله أباطه بك

عَجِبَ النَّاسُ مِنْكَ يَا بَنَ سُلَيْمًا * نَ وَقَدْ أَبْصَرُوا لَدَيْكَ عَجِيبًا^(٢)
 أَبْصَرُوا فِي حِمَاكَ غَيْثًا وَنَارًا * ذَاكَ يَهْمِي وَتِلْكَ تَذْكُو لِهَيْبَا
 وَنُسُوا أَنْ جُودَكَ كَفَّفَكَ غَيْثُ * ظَلَّ لِلْمُتَجَمِّعِ الْوُرُودَ قَرِيبًا^(٣)
 وَهِيَ ضَيْفٌ أَصَابَهُ عَنَتُ الدَّهْرِ * يَرِ وَالْفَى هَذَا الْفِنَاءَ رَجِيبًا^(٤)
 فَأَتَى يُبْرِدُ الْغَلِيلَ بِقَطْرِ * مِنْ نَدَى سَيِّدِ يُوَيْسَى الْغَرِيبَا

(١) الثراء : الإقامة .

(٢) يهيم : ينصب . ويريد « بالفيث » : كرم الممدوح . وتذكو : تظفرم وتشتعل .

(٣) هي ، أى النار . والعنت : الشدة والمشقة . والفناء (بكسر الفاء) : ساحة البيت .

(٤) الغليل : شدة العطش .

خنجر مكبث

قصيدة مترجمة عن الشاعر الإنجليزي شكسبير، قالها على لسان مكبث يخاطب خنجرا تخليه حينما
 هم بأغتيال ابن عمه دانكان الملك ليخلفه في ملكه ؛ ويصف تردده أولا ثم تصيبه بعد ذلك على
 تنفيذ ما أراد :

(١)
 كَأَنِّي أَرَى فِي اللَّيْلِ نَضَلًا مَجْرَدًا * يَطِيرُ بِكَلْتَا صَفْحَتَيْهِ شَرَارُ
 (٢)
 تُقَلِّبُهُ لِلْعَيْنِ كَفَّ حَفِيَّةٌ * فِيهِ خُفُوقُ نَارَةٍ وَقَرَارُ
 (٣)
 يُمَائِلُ نَضَلِي فِي صَفَاءِ فِرْنِدِهِ * وَيُحْكِيهِ مِنْهُ رَوْنَقٌ وَغَرَارُ
 (٤)
 أَرَاهُ تُذْنِبُنِي إِلَيْهِ شَرَّاسَتِي * فَيَنَآيُ فِي نَفْسِي إِلَيْهِ أَوَارُ
 (٥)
 وَأَهْوَى بِنَدَى طَامِعًا فِي التَّقَاطُطِ * فَيُدْرِكُهُ عِنْدَ الدُّنُوفِ قَارُ
 (٦)
 تَجَبَّطُنِي مَسٌّ مِنَ الْحَنِّ أَمْ سَرَتْ * بِأَجْزَاءِ نَفْسِي تَشْوَةٌ وَنَحَارُ
 أَرَانِي فِي لَيْلٍ مِنَ الشُّكِّ مُظْلِمٍ * فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَلِيهِ نَهَارُ؟
 سَأَقْتُلُ ضَيْفِي وَابْنَ عَمِّي وَمَالِكِي * وَلَوْ أَنَّ عُقْبَى الْقَاتِلِينَ خَسَارُ

(١) فصل السيف : حده . والمحزود من السيوف : المسلول من غمده .

(٢) الخفوق : الاضطراب . والقرار : الاستقرار . (٣) فِرْنِد السيف : جوهره وماؤه

الذي يترقق في صفحته ؛ وهو فارسي معرَّب . وغرار السيف (بالكسر) : حده . والمعنى أن هذا

الخنجر يشبه خنجري في لماعته وبريقه ومضاء حده . (٤) الشراسة : الحدة وسوء الخلق .

ويَنَآي : يبعد . والأوار : شدة العطش . (٥) الزند من القراع : ما فوق المرق . والنقار

(بكر النون) والنفور (بضمها) كلاهما بمعنى واحد . (٦) يقال : تخبطه الشيطان ، أى مسه

بأذى أو جنون . والنشوة : السكر . ونحار النحر : ما خالطك من سكرها .

وَأَرْضِي هَوَى نَفْسِي وَإِنْ صَحَّ قَوْلُهُمْ * هَوَى النَّفْسِ ذُلٌّ، وَالْحَيَانَةُ عَارُ
 فَيَأْبَاهَا النَّصْلُ الَّذِي لَاحَ فِي الدَّبْحِ * وَفِي طَى نَفْسِي لِلشُّرُورِ مَثَارُ^(١)
 تَرَى خَدَعَتْنِي الْعَيْنُ أَمْ كُنْتُ مُبْصِرًا * وَهَذَا دَمٌ، أَمْ فِي شَبَابِكَ نَارُ؟^(٢)
 وَهَلْ أَنْتَ تَمَثَّلُ لِكَيْدِ نَوَيْتِهِ * وَذَلِكَ الدَّمُ الْجَارِي عَلَىكَ شِعَارُ؟^(٣)
 فَإِنْ لَمْ تَكُنْ وَهْمًا فَكُنْ خَيْرَ مُسْعِدٍ * فَإِنِّي وَجِيدٌ وَالْخَطُوبُ كُتَارُ^(٤)
 وَكُنْ لِي دَلِيلًا فِي الظُّلَامِ وَهَادِيًا * فَلَيْسَ لِي بِهِمْ وَالطَّرِيقُ عِشَارُ^(٥)
 عَلَى الْقَتْلِ يَا (دُنْكَانُ) صَحَّتْ عَزِيمَتِي * وَإِنْ لَمْ يَكُنْ يَتْنِي وَيَتَكَ نَارُ
 فَإِنْ يَكُ حُبُّ النَّاسِ أَعْمَى بَصِيرَتِي * فَمَا لِي عَلَى هَذَا الْقَضَاءِ خِيَارُ
 أَعْرِضْ قُوَادًا مِنْكَ يَا دَعْمَرُ قَاسِيًا * لَوْ أَنَّ الْقُلُوبَ الْقَاسِيَاتِ تُعَارُ
 وَيَا حِلْمُ قَاطِنِي وَيَا رُشْدُ لَا تُتَبِّ * وَيَا شَرُّ مَا لِي مِنْ يَدَيْكَ فِرَارُ^(٦)
 وَيَا لَيْلُ أَتَزِلْنِي بِخَوْفِكَ مَرَلًا * يَفْضُلُ بِهِ سِرْبُ الْقَطَا وَيَحَارُ^(٧)

(١) عار، أي مكان لثوران الشر، ويجوز أن يراد به المهدر، أي ثورة الشر واحتياجه .

(٢) شباة السيف : حده .

(٣) الشعار : العلامة .

(٤) الكُتَار (بضم الكاف) : الكثير . يقول : إن كنت أبها المنجر خنجرًا حقيقًا فاعني على

ما هممت به من قتل ابن عمي، فإنني وحيد لا أقوى على احتمال هذه المصائب المحيطة بي .

(٥) العتار : الشر .

(٦) لا تُتَبِّ، أي لا ترجع .

(٧) سرب القطا : جماعة الحمام . وخص القطا بالذكر لأنها يضرب بها المثل في الهداية . يعلب

إلى الليل أن يسره بظلامه حتى لا يهتدي أحد إلى خيائنه وغدره .

(١) وَإِنْ كُنْتَ لَيْلَ (الْمَانَوِيَّةِ) فَلْيَكُنْ * عَلَى سِرِّ أَهْلِ الشَّرِّ مِنْكَ سِتَارُ
(٢) وَيَا قَدَمِي سِيرِي حِذَارًا وَخَافِي * مِنَ الْمَشْيِ لَوْ يُنْجِي الْأَنِيمَ حِذَارُ
وَقَفْتُ بِحُفِّ اللَّيْلِ وَقَفَّةً سَاحِرٍ * لَهُ الْجِرْبُ أَهْلٌ وَالْمَكَايِدُ دَارُ
(٣) إِذَا أَشْتَمَلَ اللَّيْلُ الْبَهِيمَ عَلَى الْوَرَى * تَجَرَّدَ لِلْإِيذَاءِ حَيْثُ يُشَارُ
(٤) فَمَالِي كَأَنِّي فَاتِكَ ذُو عَشِيرَةٍ * خِيَارُهُمْ نَحْتِ الظَّلَامِ شِرَارُ
(٥) إِذَا مَا عَوَى ذِئْبُ الْفَلَا هَبَّ جَمْعُهُمْ * إِلَى الشَّرِّ وَأَسْتَلْتُ طُبَّاً وَشِفَارُ

طول الليل

(٦) يَاسَاهِدَ النَّجْمِ هَلْ لِلصُّبْحِ مِنْ خَيْرٍ * إِنِّي أَرَاكَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الضَّجْرِ
(٧) أَظُنُّ لَيْلَكَ مُدَّ طَالِ الْمَقَامِ بِهِ * كَالْقَوْمِ فِي مِصْرَ، لَا يَنْوِي عَلَى سَفَرٍ

(١) أضاف الليل الى المانوية، وهي الطائفة المنسوبة الى ماني، لأنهم كانوا يعتقدون أن الليل إله الشر، والنهار إله الخير، قال أبو الطيب المتنبي :

وكم لظلام الليل عندك من يد * تخبرأت المانوية تكذب

يقول : إن كنت أهابها الليل إله الشر كما تزعم المانوية، فاستر على أهل الشر شرورهم ولا تدل أحدا عليهم .

(٢) خافني من المشي، أى خففيه ونخضى من صوته حتى لا يسمعه أحد . (٣) البهيم : الشديد الظلة . وتجرد للإيذاء : انبث إليه وأسرع نحوه . وبنار : يهاج، أى أسرع إلى الإيذاء حيث يكون الإيذاء . (٤) يريد بهذه العشيرة : جماعة اللصوص وقطاع الطرق وسفاحى الدماء .

(٥) عوى : صَوْت . والفلا : الصحارى، الواحدة فلاة . وأسلت : أخرجت من أعماقها . والظبا : جمع ظبة (بضم ففتح)، وهى حد السيف . والشفار : السكاكين، الواحدة شفرة .

(٦) الساهد : الساهر . (٧) يريد «بالقوم» : الإنجليز . ولا ينوى، أى الليل . شبه

الليل بجيش الاحتلال فى مصر فى طول الإقامة، وعدم ظهور أمارات تدل على الجلاء .

(١)
وقال في هذا المعنى أيضا :

(٢) أَقْضِيهِ فِي الْأَشْوَاقِ إِلَّا أَقْلَهُ * بَطِيءُ سُرَى أَبْدَى إِلَى اللَّبِثِ مِيلَهُ
(٣) وَلَيْسَ أَشْيَاقِي عَنْ غَرَامٍ بِشَادِنٍ * وَلَكِنَّهُ شَوْقُ أَمْرِي فَاتَ أَهْلَهُ
(٤) فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ أَعْرَتْ نُجُومَهُ * تَوَقَّدَ أَنْفَاسِي وَطَانِيَتْ مِثْلَهُ
وَمَلَّ كَلَامًا مِنْ أَخِيهِ وَهَكَذَا * إِذَا طَالَ عَهْدُ الْمَرْءِ بِالشَّيْءِ مَلَهُ

الشعر

(٥) ضَعَّتْ بَيْنَ النَّهْيِ وَبَيْنَ الْخِيَالِ * يَا حَكِيمَ النَّفُوسِ يَا بَنَ الْمَعَالِي
(٦) ضَعَّتْ فِي الشَّرْقِ بَيْنَ قَوْمٍ مُجُودٍ * لَمْ يُفَيِّقُوا وَأَتَتْهُ مِكَسَالُ
(٧) قَدْ أَذَالُوكَ بَيْنَ أَنْسٍ وَكَأْسٍ * وَغَرَامٍ بِظُلَيْسَةٍ أَوْ غَزَالِ
(٨) وَتَسِيْبٍ وَمِدْحَةٍ وَهَجَاءٍ * وَرِثَاءٍ وَفِتْنَةٍ وَضَلَالِ
(٩) وَحَمَاسٍ أَرَاهُ فِي غَيْرِ شَيْءٍ * وَصَفَارٍ يُحَرِّدُ ذَيْلَ اخْتِيَالِ
(١٠) عِشْتَ مَا يَنْبَغُ مَذَالًا مُضَاعًا * وَكَذَا كُنْتَ فِي الْعُصُورِ الْخَوَالِي

- (١) أشير في الديوان المطبوع إلى أنها قصيدة طويلة، ولم يثر منها إلا على هذه الأبيات، ولم تقف نحن أيضا على بقيتها . (٢) أقضيه أى أقضى الليل . واللث : المكث . (٣) الشادن : ولد الظبية . والمراد هنا : الملح . (٤) يريد أن النجوم اشتعلت من توقد أنفاسه ، وفي قلبه من اللوعة والشوق مثل هذا التوقد . (٥) النهى المقول ، الواحدة : نية . (٦) الهجود : النيام . (٧) أذالوك : أهانوك وأصغروا شأنك . (٨) التسبيح : التثني بالنساء وذكر محاسنهن في الشعر . (٩) الصقار : الذل . ومعنى قوله : « وصقار » الخ أى أنهم تهاون بهم أذلاء . (١٠) المذال : المهان .

- (١)
حَمْلُوكَ الْعَنَاءَ مِنْ حُبِّ (لَيْلَى) * وَ (سُلَيْمَى) وَوَقْفَةَ الْأَطْلَالِ
(٢)
وَبُكَاءٍ عَلَى عَزِيزِ تَوَلَّى * وَرُسُومِ رَاحَتِ يَدَيْ اللَّيَالِي
(٣)
وَإِذَا مَا سَمَوْا بِقَدْرِكَ يَوْمًا * أَسْكَنُوكَ الرَّحَالَ فَوْقَ الْحِمَالِ
أَنْ يَاشِعُرُوا أَنَّ تَفَكُّ قُبُودًا * قَيَّدَتْنَا بِهَا دُعَاءُ الْمُحَالِ
فَارْفَعُوا هَذِهِ الْكَجَائِمَ عَنَّا * وَدَعُونَا نَشْمُ رِيحَ الشَّمَالِ

خزان أسوان

قال مدين البتين في العام الذي أسس فيه خزان أسوان وقص فيه الفيضان

- (٤)
أَنْكَرَ النَّيْلُ مَوْقِفَ الْخَزَانِ * فَانْتَبَى قَافِلًا إِلَى السُّودَانِ
(٥)
رَاعَهُ أَنْ يَرَى عَلَى جَانِبَيْهِ * رَصَدًا مِنْ مَكَائِدِ الْإِنْسَانِ

مَعُونَةُ الدَّمْعِ

- يَا مَنْ خَلَقْتَ الدَّمْعَ لُطً * نَفَا مِنْكَ بِالْبَاكِي الْحَزِينِ
بَارِكْ لِعَبِيدِكَ فِي الدُّمُوعِ * عِجْ فَإِنَّهَا نِعَمَ الْمُعِينِ

- (١) ليلي وسليبي : من الأسماء التي رددتها الشعراء قديماً وأكثرها فيها القول نسيباً وتشبيهاً .
والأطلال : ما بقى من آثار الديار ، الواحد طلل (بالتحريك) . ولشعراء في الأطلال وقفات ذكروا فيها غرامهم
وحبهم وحسرتهم على أيام خلّت . (٢) الرسوم : آثار الديار . (٣) «أسكنوك الرحال» الخ ،
أى وصفوا الرجال والجمال وما يتعلق بذلك في أشعارهم . ويعرض الشاعر بما نحن فيه من اتباع طريق العرب
في الشعر من ذكر العيس ، ومناداة الأطلال ، وإن صح هذا للعرب فلا يصح لنا ، فلقد كانوا يصدرون
في ذلك عما يحيط بهم ؛ وأما نحن فلا نحس من ذلك شيئاً . (٤) القافل : الراجع .
(٥) الرصد : الحافظ والحارس .

الخمسة

قال :

[نشرت في سنة ١٩٠٠ م]

- (١)
هَذَا الظَّلَامُ أَتَارَ كَلِمَ دَائِي * يَا سَاقِيَّ عَلَى الصَّبَاءِ
(٢)
بِالْكَاسِ أَوْ بِالطَّاسِ أَوْ بَأَثْنَيْهِمَا * أَوْ بِاللَّدَانِ فَإِنَّ فِيهِ شِفَائِي
(٣)
مَسْمُومَةٌ لَوْلَا التَّقَى لَعَجِبْتُ مِنْ * تَحْرِيمِهَا وَالذَّنْبُ لِلْقَدَمَاءِ
قَرَّبُوا الصَّلَاةَ وَهُمْ سُكَارَى بَعْدَمَا * نَزَلَ الْكِتَابُ بِحِكْمَةٍ وَجَلَاءِ
(٤)
يَا زَوْجَةَ ابْنِ الْمُزْنِ يَا أُخْتَ الْمَنَا * يَا ضَرَّةَ الْأَحْزَانِ فِي الْأَحْشَاءِ
(٥)
يَا طِبَّ (جَالِينُوسَ) فِي أَنْوَاعِهِ * مَا لِي أَرَاكَ كَثِيرَةَ الْأَعْدَاءِ

- (١) الصبَاء : الخمر، سميت بذلك لصببها ، أى حرمتها . (٢) الطاس : إناء معروف وذكر (أثنيهما) على اعتبار أنهما إناءان ، ولوراعى اللفظ لأنه ، لأن الكأس والطاس مؤنثان . والدنان (بالكسر) : جمع دن (بالفتح) ، وهو الجرة العظيمة . وفيه ، أى فى الشراب .
(٣) المسمومة : الخمر، سميت بذلك لأنها تشمل الناس بريحتها ، ولأن لها عصفة كعصفة ريح الشمال . وفى جملة الذنب على القدماء إشارة إلى سبب التحريم ، وذلك أن الله تعالى كان قد نهى المسلمين عن أن يقرئوا الصلاة وهم سُكَارَى ، فقال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ) ، فلما لم يفته بعضهم عن ذلك حرّمها الله بقوله : (إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ) . وقد بسط الشاعر هذا المعنى فى البيت التالى .
(٤) المزن (بالضم) : السحاب . وابن المزن : الماء الذى ينزل منه ، ويجعل الخمر زوجة ابن المزن ، لأنها تمتزج به . والضرة : الزوج الثانية . ويجعلها ضرة الأحزان ، لأنها لا يجتمع معها فى قلب .
(٥) كلود يوس جالينوس : طبيب وفيلسوف يونانى مشهور ، ولد نحو سنة ١٣٠ م ، وتوفى نحو سنة ٢٠٠ م . وقد عنى العرب بكتبه عناية شديدة بعد أن ترجمت إلى العربية ، فأكثر مؤلفوهم فى الطب من الأخذ عنه .

- (١) عَصْرُوكَ مِنْ حَدَى سُهَيْلٍ خُلْسَةً * ثُمَّ اخْتَبَأَتْ بِمُهْجَةِ الظَّلَمَاءِ
(٢) فَلَيْتَ فِيهَا قَبْلَ نُوحٍ حَقْبَةً * وَتَدَاوَلَتْكَ أَنْامِلُ الْآنَاءِ
(٣) حَتَّى أَنَاكَ اللَّهُ أَنْ تَتَجَمَّلِي * يَسِيدِ الْكَرِيمِ وَرَاحَةِ الْأَدْبَاءِ
(٤) يَا صَاحِبِي كَيْفَ التَّرْوُعُ عَنِ الطَّلَا * وَلَقَدْ يُلِيتُ مِنَ الْهُمُومِ يَدَايَ
(٥) وَاللَّيْلِ أَرْشَدَهُ أَبُوهُ لِيَشَقَّوَنِي * وَكَذَا الْبُنُونَ عَلَى هَوَى الْأَبَاءِ
(٦) أَلَفْتُ بَيْنَ ابْنِ السَّحَابِ وَبَيْنَهَا * فَرَأَيْتُ صِحَّةَ مَا حَكَاهُ (الطَّائِي) :
(٧) صُغْبْتُ وَرَاضَ الْمَرْجُ سَيِّءَ خُلُقِهَا * فَتَعَلَّمْتُ مِنْ حُسْنِ خُلُقِ الْمَاءِ

(١) سبيل ، هو أجل نجم في السماء بعد الشعرى اليمانية ، وهو كثير الاضطراب ، ولونه يضرب إلى الحمرة ؛ قال المعري :

وسهيل كوجنة الحب في الو * ن وقلب الحب في الخلفقان

يريد تشبيه لون الخمر بلون هذا النجم . ويريد بقوله : « ثُمَّ اخْتَبَأَتْ » الخ : حفظها في الدنان .

(٢) الحقبة (بالكسر) : الدهر . والآاء : جع آن ، وهو الحين والوقت ، أى تعاقبت عليك الأزمان حيناً بعد حين . يصفها في هذا البيت بقدوم العهد .

(٣) يريد أنها لا يشربها إلا كريم أو أديب ، فهمي تردد في يدهما بجالا .

(٤) الترويع : الكف والانتها . والطلاء (بكسر الطاء والمدة ، وقصر الشمر) : الخمر .

(٥) أبو الليل : الدهر . يريد أن الدهر أوصى ابنه الليل بمحاربتى ، بغرت الأبناء على سنن الآباء .

(٦) ابن السحاب : المطر ، أى أنه مزجها بالماء . والطائي هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي الشاعر المعروف .

(٧) راضه يروضه : ذله وجعله ليئاً سهلاً . يريد أن الماء قد كسر من حدتها وسورتها ، فكانها اكتسبت ليئاً ولطفاً . وهذا البيت من قصيدة لأبي تمام يمدح بها يحيى بن ثابت ، ومطلعها :

قد كنت أريد أن أرى في الفضلواء * كم تعذلون وأتم سبجرائ

وقال وقد بعث بها إلى محمد المويلحي بك الكاتب المعروف

[نشرت في سنة ١٩٠٠ م]

(٢)
أَوْشَكَ أَلَدَيْكَ أَنْ يَصْبَحَ وَتَقْسِي * بَيْنَ هَمٍّ وَبَيْنَ ظَرْفٍ وَحَدْسٍ
(٣)
يَا غَلَامُ، أَلْمَدَامَ وَالْكَاسَ، وَالطَّا * سَ، وَهَيَّ لَنَا مَكَانًا كَأَمْسٍ
(٤)
أَطْلِقِ الشَّمْسَ مِنْ غِيَاهِبِ هَذَا * نَّ وَأَمْلَأْ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ كَأَمْسِي
(٥)
وَأَذِنِ الصَّبْحَ أَنْ يُلَوِّحَ لَعْنِي * مِنْ سَنَاها فَذَلِكَ وَقْتُ التَّحْسِي
(٦)
وَأَذْعُ نَدْمَانَ خَلَوْتِي وَأَقْتِنَايِي * وَتَعَجَّلْ وَأَسْبِلْ سُورَ الدَّمَقْسِ
وَأَسْقِنَا يَا غَلَامُ حَتَّى تَرَانَا * لَا تُطِيقُ الْكَلَامَ إِلَّا بِهَمْسٍ
(٧)
نَحْمَرَّةً قِيلَ لِنَهْمِ عَصْرُهَا * مِنْ خُدُودِ أَلِمْلَاجِ فِي يَوْمِ عُرْسٍ
(٨)
مُذَرَّاهَا فَتَى الْعَزِيزِ مَنَامًا * وَهُوَ فِي السَّجَنِ بَيْنَ هَمٍّ وَيَأْسٍ

- (١) انظر التعريف بمحمد بك المويلحي في الحاشية رقم ٣ من ص ١٥٠ (٢) صياح الديك :
كناية عن طلوع الفجر . والحدس : التخمين والتوهم . والمعنى أن نفسه بين هم متيقن وهم مظلون .
(٣) المدام (بالنصب) ، أى هات المدام . (٤) يريد « بالشمس » : الخمر ، شبهها بها
في اللون . والغياهب : جمع غيب ، وهي الظلمة . (٥) يريد في هذا البيت تشبيه لونها بضوء
الصبح . والسنا : النور . وتحسب الشراب : شربه شيئاً بعد شيء في مهلة .
(٦) الندمان : جمع نديم . والدقمس : الحرير أو الديباج ، ووصل الهزة في قوله : « واسبل »
لضرورة الوزن . (٧) شبه الخمر في حمرتها بحمرة خدود الحسان في يوم العرس ، لأن خدودهن
تكون في ذلك الحين أشد احمراراً بما عليها من أصباغ . (٨) العزيز : ملك مصر . وفاته
هو أحد الفتنين اللذين كانا مع يوسف عليه السلام في السجن ، وقد كان رأى في منامه أنه يصير مصرًا ،
وفسر له يوسف عليه السلام هذه الرؤيا بأنه سوف يسق ربه عزيز مصر نحرًا ، فالبث أن خرج من
السجن ، وجعله العزيز صاحب شرابه . ويريد بهذا البيت والذي بعده أن رؤيا الخمر في المنام أسعدت
فتى العزيز بالنجاة ويخدمته لذلك بعد ما كان فيه من يأس ونحس ؛ فكيف لو كان شرابها .

أَعَقَبْتُهُ الْخَلَّاصَ مِنْ بَعْدِ ضَيْقٍ * وَحَبَّتْهُ السُّعُودَ مِنْ بَعْدِ نَحْسٍ
(١)
يَا نَدِيَّ بِاللَّهِ قُلْ لِي لِمَ إِذَا * هَذِهِ الْخَنْدَرِيسُ تُدْعَى بِرَجَسٍ؟
(٢)
هِيَ نَفْسٌ زَكِيَّةٌ وَأَبَّوْهَا * غَرَسُهُ فِي الْحِنَانِ أَكْرَمُ غَرَسٍ
هِيَ نَفْسٌ تَعَلَّمَتْ حُسْنَ أَخْلَا * قِي (الْمَوْلَى) فِي صَفَاءٍ وَأَنْسِ
خَصَّهُ اللَّهُ حَيْثُ يُصْبِحُ بِالْإِقْ * بِبَالٍ، وَالْعِزِّ، وَالْعُلَا، حَيْثُ يُمَسِّي

مجلس شراب

وَفِيَّانِ أَنْسِ أَقْسَمُوا أَنْ يَدَّوْا * جُيُوشَ الدُّجَى مَا بَيْنَ أَنْسٍ وَأَفْرَاجٍ
(٣)
فَهَبُّوا إِلَى نَحَارَةٍ قِيلَ إِنَّهَا * قَعِيدَةٌ تَحْمِرُ تَمْزُجُ الرُّوحَ بِالرَّاحِ
(٤)
وَقَالُوا لَهَا : إِنَّا أَتَيْنَا عَلَى ظَلَمًا * نُحَاوِلُ وَرَدَ الرَّاحِ رَغْمًا عَنِ الْإِلَاحِ
(٥)
فَقَامَتْ وَفِي أَجْفَانِهَا كَسَلُ الْكَرَى * وَفِي رِدْفِهَا وَأَسْتَعْرَضَتْ جَبَشَ أَقْدَاجٍ
وقال أيضا :

(٦)
مَرَّتْ كَعْمَرِ الْوَرْدِ بَيْنَنَا أَجْتَلِي * إِصْبَاحَهَا إِذْ أَذْنَتْ بِرَوَاجٍ
لَمْ أَقْضِ مِنْ حَقِّ الْمُدَامِ وَلَمْ أَقْمُ * فِي الشَّارِبِينَ بَوَاجِبِ الْأَقْدَاجِ

(١) الخندريس : الخمر القديمة . والرجس : النجس . (٢) زكية : طاهرة . وأبو النحر :
الكرم . يريد أن أصلها أكرم الأشجار في الحدائق . (٣) النخارة : بائعة الخمر . ويريد بكونها
« قعيدة نحر » : أنها ملازمة لها لا تفارقها . والراح : الخمر . (٤) الظلم : الظلم (بالهمز) .
والإلح : اللطم . (٥) الكرى : النعاس . والردف : العجز . (٦) اجتلى الشيء :
نظر إليه . وأذنت : أعلنت . شبه جلسة الأنس وساعات اللهو بعمر الورد في القصر .

(١) وَالزَّهْرُ يَحْتَبُّ الْكُتُوسَ بِحِظِهِ * وَيَسُوبُهَا بِأَرِيحِهِ الْفَيَاحِ
(٢) أَخْشَى عَوَاقِبَهَا وَأَغْطِطُ شَرِبَهَا * وَأَجِيدُ مِدَحَهَا مَعَ الْمُدَاحِ
وَأَمِيلُ مِنْ طَرَبٍ إِذَا مَالَتْ بِهِمْ * فَاجْتَبِ لِنَشْوَانِ الْجَوَانِحِ صَاحِي
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ فَإِنِّي * أَفْسَدْتُ فِي ذَلِكَ النَّهَارِ صَلاحي

وقال :

(٣) نَمْرَةٌ فِي (بَابِلَ) قَدْ صُهِرَجَتْ * هَكَذَا أَخْبَرَ حَاخَامُ الْيَهُودَ
أَوْدَعُوهَا جَوْفَ دَنٍّ مُظْلِمٍ * وَلَدَيْهِ بَسْرُوهَا بِالْخُلُودِ
سَأَلُوا الْكُهَّانَ عَنْ شَارِبِهَا * وَعَنِ السَّاقِي فِي أَيِّ الْيَهُودِ؟
(٤) فَاجَابُوهُمْ : قَتَى ذَوِ مِرَّةٍ * مِنْ بَنِي مِصْرَ لَهُ فَضْلٌ وَجُودُ
(٥) مُغْرَمٌ بِالْعُودِ وَالنَّايِ مَعًا * مُوَلَّعٌ بِالشَّرِبِ وَالنَّاسُ هُجُودُ
(٦) هُمُ فَصْدُ دِنَانٍ وَنَدَى * وَأَبُوهُ هُمُ جَمْعُ النُّقُودِ

- (١) يبحث : يبحث . يقول : كان الزهر بالحال يوحى إلى الشاربين والسقاء بالإمراع في إدارة الكتوس . وشاب الشيء يشوبه : خلطه . وأريج الزهر : نفحة ريحه .
- (٢) عواقبها ، أى عواقب المدام ؛ ويريد أنه لا يشربها . والشرب : الشاربون .
- (٣) بابل : ناحية بالعراق منها الكوفة والحلة ، ينسب إليها الخمر والسحر . وصهرجت ، يريد أنها حفظت في الصهاريج ؛ ولم نجد هذا اللفظ بهذا المعنى فيما راجعناه من كتب اللغة ؛ والذي وجدناه أن « الصهرجة » هى أن يطل الحوض بالصاويج ، وهى النورة ؛ وليس هذا مراداً هنا . ويريد « بإخبار حاخام اليهود » أنها قد ورد ذكرها في الكتب القديمة ؛ وفي هذا دليل على قدمها .
- (٤) المزة (بكسر الميم وفتح الراء مشددة) : القوة والعزيمة . (٥) الهجود : النيام .
- (٦) فصد الدن : ثقبه وإهراق ما به من نحر ، تشبهاً له بفصد العرق .

ذِكْرِي مَجْلِسِ شَرَابٍ

بعث بها من السودان إلى بعض أصدقائه بمصر

فِيَّةَ الصَّبَاءِ خَيْرَ الشَّارِبِينَ * جَدُّوْا بِاللَّهِ عَهْدَ الْغَائِبِينَ^(١)
وَأَذْكُرُونِي عِنْدَ كَاسَاتِ الطَّلَا * إِنِّي كُنْتُ لِمَامِ الْمُذْمِينَ^(٢)
وَإِذَا مَا اسْتَهَضَّتْكُمْ لَيْلَةٌ * دَعْوَةُ الْخَمْرِ فَتُورُوا أَجْمَعِينَ^(٣)
رَبِّ لَيْلٍ قَدْ تَعَاهَدْنَا عَلَى * مَا تَعَاهَدْنَا وَكُنَّا فَاعِلِينَ^(٤)
فَقَضَيْنَاهُ وَلَمْ نَخْفَلْ بِمَا * سَطَرَتْ أَيْدِي الْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ^(٥)
بَيْنَ أَقْدَاجٍ وَرَاجٍ عُتِقَتْ * وَرِيَاحِينَ وَوِلْدَانٍ وَعَيْنَ^(٦)
وُسُقَاةٍ صَفَقَتْ أَكْوَابَهَا * بَعْضُهَا الْبَلُورُ وَبَعْضُ الْجُحَيْنِ^(٧)
أَكْمَسْتُ مِنَّا عِطَاشًا كَالْقَطَا * صَادَقْتُ وَرْدًا بِهِ مَاءٌ مَعِينُ^(٨)
فَمَشَتْ بِالكَاسِ وَالطَّاسِ لَنَا * مِشْيَةَ الْأَفْرَاجِ لِلْقَلْبِ الْحَزِينِ^(٩)
وَتَوَاتَبْنَا إِلَى مَشْمُولَةٍ * ذَاتِ أُلْوَانٍ تُسَرُّ النَّاطِرِينَ^(١٠)

(١) الطلأ: بالكسر والمذ، وقصر للشعر: الخمر. (٢) نودوا: هبوا، مسرعين.

(٣) الكرام الكاتبون: الملائكة الذين يكتبون حسنات المرء وسيئاته. (٤) العين: جمع

عيناء، وهي الغادة الواسعة العين. (٥) الجبين: الفضة. ويلاحظ أن هذا البيت عيبان من

عيوب القافية يسمى (سناد الخلو)، وهو اختلاف حركة ما قبل الرفع. والردف هو حرف الملة الذي

قبل الروى. (٦) القطا: جمع قطاة، وهي الحمامة. والورد: المورد. والمعين: الجارى.

(٧) المشمولة: الخمر، سميت بذلك لأنها تشمل الناس بريحها، فهو فعل بمعنى فاعل، أولأن بها

صفة كصفة ربح الشمال.

(١) عَمَدَ السَّاقِ لِأَنْ يَقْتُلَهَا * وَهِيَ بِكَرٍّ أَحْصَنَتْ مِنْدُسَيْنِ
(٢) ثُمَّ لَمَّا أَنْ رَأَى عِقَّتَهَا * خَافَ فِيهَا اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ
(٣) وَأَجَلْنَا الْكَاسَ فِيمَا بَيْنَنَا * وَعَلَى الصَّبَاءِ بَنَاتَا كَافَيْنِ
(٤) وَشَفِينَا النَّفْسَ مِنْ كُلِّ رَشَا * نَطَقَتْ عَيْنَاهُ بِالسَّحْرِ الْكَلِيمِ
(٥) وَطَوَى مَجْلِسَنَا بَعْدَ الْمَنَا * وَأَنْشَرِاحَ الصَّدْرِ تَكْبِيرُ الْأَذِينِ
(٦) هَكَذَا كُنَّا بِأَيَّامِ الصِّفَا * تَنْهَبُ اللَّذَاتِ فِي الْوَقْتِ الثَّمِينِ
لَيْتَ شِعْرِي هَلْ لَنَا بَعْدَ النَّوَى * مِنْ سَبِيلٍ لِلْقَا أَمْ لَا تَحِينُ

(١) عمد له (من باب ضرب) : قصد . ويقتلها ، أى يزجها بالماء ؛ وأصله من قول حسان بن ثابت :

إِن التَّى نَاولَتْنِي فَرَدَدْتُهَا * قَتَلْتُ قَتَلْتُ فَهَاتَهَا لَمْ تَقْتُلْ

وأحصنت البكر : حافظت على عفتها ؛ وإحصان الخمر هنا : بقاؤها في الدنان . (٢) كنى بعفة

الخمر في هذا البيت عن إياها المزج . يقول : إن الساق لما رأى أن الخمر لا تقبل المزج بالماء ، خاف فيها

الله رب العالمين ، أى لم يقتلها بالمزج وسقانا إياها صرفا . (٣) أجلنا الكأس : أدرناها .

(٤) الرشا (بالهمز ومهل للشعر) : ولد الظبية الذى قد تحرك ومشى ؛ يريد الملبح الحسن الجليل .

(٥) الأذنين : المؤذنين . (٦) لات حين : أى ذهب وقت اللقاء وليس الحين حينه .

ويلاحظ أن قواعد اللغة تقتضى ذكر (أو) مكان (أم) في هذه العبارة ، فإن (أم) المتصلة لاتذكر بعد

(هل) إلا شذوذاً ، نحو : هل زيد عندك أم عمرو ؛ وإنما تذكر مع همزة الاستفهام فى الأكثر .

الغزل

قال ترجمة عن جان جاك روسو :

[نُشرا في ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٠٠ م]

يَأْيُهَا الْحُبُّ أَمْتَرَجُ بِالْحَشَى * فَإِنَّ فِي الْحُبِّ حَيَاةَ الشُّهُوسِ
(١) وَأَسْأَلُ حَيَاةَ مَنْ يَمِينِ الرَّدَى * أَوْشَكَ يَدْعُوهَا ظِلَامُ الرُّمُوسِ

وقال ترجمة عنه أيضا :

[نُشرا في سنة ١٩٠٠ م]

(٢) تَمَثَّلْ إِنِّ شِئْتِ فِي مَنْظَرٍ * (بِاجُولِيَا) أَنْكِرُ فِيهِ الْقَرَامُ
(٣) أَوْ فَاتَّبِعِي قَلْبًا إِلَى أَضْلَعٍ * رَاحَ بِهِ الْوَجْدُ وَأَوْدَى السَّقَامُ

وقال ترجمة عنه أيضا :

[نُشرت في ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٠٠ م]

غَضِي جُفُونِ السَّحْرِ أَوْ فَارَحِي * مُتِمًّا يَحْشَى نِزَالَ الْجُفُونِ
(٤) وَلَا تَصُولِي بِالْقَوَامِ الَّذِي * تَمَيِّسُ فِيهِ يَا مُنَايَ الْمُنُونِ
إِنِّي لِأَدْرِي مِنْكَ مَعْنَى الْهَوَى * (بِاجُولِيَا) وَالنَّاسُ لَا يَعْرِفُونِ

- (١) الرموس : القبور، الواحد رمس . يقول : انقذ الحياة بممارسة الحب قبل أن يقطعها الموت .
(٢) يرغب في هذا البيت إلى محبوبته أن تخلع تلك الصورة التي يحباها ، وتمثل في صورة أخرى ينكر فيها حبها وإياها وغرامها بها ، ليستريح مما يقاسيه من تباريح الهوى .
(٣) أودى به : ذهب . (٤) تميس : تتأمل وتبخر . والمنون : الموت .

فِي جُنْدِيٍّ مَلِيحٍ

[تُشْرَافِي سَنَةَ ١٩٠٦ م]

(١) وَمِنْ عَجَبٍ قَدْ قَلَدْتُكَ مُهَنْدًا * وَفِي كُلِّ لَحْظٍ مِنْكَ سَيْفٌ مُهَنْدٌ
(٢) إِذَا أَنْتَ قَدْ جَرَدْتَهُ أَوْ غَمَدْتَهُ * قَتَلْتَ بِهِ وَاللَّحْظُ لَا يَتَعَمَّدُ

وقال :

(٣) أَنَا الْعَاشِقُ الْعَانِي وَإِنْ كُنْتَ لَا تَدْرِي * أَعِيدُكَ مِنْ وَجْدٍ تَغْلَغَلٍ فِي صَدْرِي
(٤) خَلِيلِي هَذَا اللَّيْلُ فِي زِيَّتِهِ أَتَى * فَقُمْتُ نَلْتَمِسُ لِلشَّهِيدِ دِرْعًا مِنَ الصَّبْرِ
(٥) وَهَذَا السَّرَى نَحْوَ الْجَنِيِّ يَسْتَفِرُّنَا * فَهَيَّا وَإِنْ كُنَّا عَلَى مَرَكَبٍ وَغَيْرِ
(٦) خَلِيلِي هَذَا اللَّيْلُ قَدْ طَالَ عُمُرُهُ * وَلَيْسَ لَهُ غَيْرُ الْأَحَادِيثِ وَالذِّكْرِ
(٧) فَهَاتِ لَنَا أَذْكَى حَدِيثٍ وَعَيْتَهُ * أَلَدَّ بِهِ إِنَّ الْأَحَادِيثَ كَالنَّخْرِ

وقال :

(٧) قَالَتْ الْجَوْزَاءُ حِينَ رَأَتْ * جَفَنَهُ قَدْ وَاصَلَ السَّهْرَا
(٨) مَا لِهَذَا الصَّبِّ فِي وَلَّتِهِ * أَتَرَاهُ يَعْشَقُ الْقَمَرَا

- (١) المهند : السيف . (٢) جردته : سلته من غمده . ولا يتعمد : لا يقصد القتل .
ويريد بهذا أنه لا يحاسب على ما جنى لعدم قصده . (٣) العاني : الأسير . وتغلغل : دخل
وأوغل . (٤) في زيه ، أى سواده . (٥) السرى : السيرا بالليل . ويستفرنا : يستخفنا .
والوعر : الصعب . (٦) وعيته : حفظته .
(٧) الجوزاء : برج في السماء معروف . (٨) الوله : التحير من شدة الوجد .

وقال يتغزل في مליح ويعرض بأحتلال الإنجليز :

(١) ظَنَنْيَ الْجَمِيَّ بِاللَّهِ مَا ضَرَّكَ * إِذَا رَأَيْنَا فِي الْكَرَى طَيْفَكَ

وما الذي تَحْشَاهُ لو أَنَّهُمْ * قالوا فُلَانٌ قد غَدَا عَبْدَكَ؟

(٢) قد حَرَّمُوا الرِّقَّ وَلَكَنَّهُمْ * مَا حَرَّمُوا رِقَّ الْهَوَى عِنْدَكَ

(٣) وَأَصْبَحَتْ مِصْرٌ مُرَاحًا لَهُمْ * وَأَنْتَ فِي الْأَحْشَاءِ مُرَاحٌ لَكَ

(٤) مَا كَانَ سَهْلًا أَنْ يَرَوْا نِيلَهَا * لَوْ أَنَّ فِي أَسْفَانَا لَحْظَكَ

يقين الحب

(٥) أَذْنُكَ تَرْتَابِينَ فِي الشَّمْسِ وَالضُّحَى * وَفِي النُّورِ وَالظُّلُمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ

وَلَا تَسْمَعِي لِلشَّكِّ يَحْطِرُ خَطَرَةً * بِنَفْسِكَ يَوْمًا أَنْتِ لَسْتُ مُغْرَمًا

الحال

قالها في مليح رأى خلا على غُرَّتِهِ

(٦) سَأَلْتُهُ مَا لِهَذَا الْحَالِ مُنْقَرِدًا * وَأَخْتَارَ غُرَّتَكَ الْغَرًّا لَهُ سَكَنًا

(٧) أَجَابَنِي: خَافَ مِنْ سَهْمِ الْجَفُونِ وَمِنْ * نَارِ الْخُدُودِ، لِهَذَا هَاجَرَ الْوَطَنَ

- (١) الكرى: العاس . والطف: الخيال الطائف في المنام . (٢) الضمير في «حرموا» للإنجليز .
 (٣) المراح (بضم الميم) : المأوى والمزل . ويجوز أن يقرأ بفتحها ، بمعنى الموضع يروح القوم منه وإليه . ولم ، أى الإنجليز . (٤) أى لم يكن من اليسر على الإنجليز أن يحتلوا مصر لو أن سيف لحظك الفتاك من سيوفنا . (٥) أذنتك ، أى أذنت لك . وترتابين ، أى تشكين . (٦) الغراء (بالذوق قصر للشعر) : البيضاء . (٧) يريد بالوطن (هنا) : غده ، لأن الحال أكثر ما يكون فيه .

رسائل الشوق

سُورِعْنِي لَهْ مَكْتُوبُهُ * وَدَلَّوْ يَسْرِ بِهَا الرُّوحُ الْأَمِينُ^(١)
 إِنِّي لَا أَمَنُ الرُّسْلَ وَلَا * أَمَنُ الْكُتُبَ عَلَى مَا تَحْتَوِينُ
 مُسْتَهِينٌ بِالَّذِي كَابَدْتُهُ * وَهَوَ لَا يَدْرِي بِمَاذَا يَسْتَهِينُ
 أَنَا فِي هَمٍّ وَيَأْسٍ وَأَسَى * حَاضِرُ اللَّوْعَةِ مَوْضُولُ الْإَيْنِ

(١) الروح الأمين : جبريل عليه السلام .

(٢) يريد بقوله : «وهو لا يدري» الخ أن محبوه لم يكابد ألم الهوى حتى يعرف قدر ما يستهين به .

الاجتماعية

(١)
حريق ميت غمر

[نشرت في ٧ مايو سنة ١٩٠٢ م]

سائلوا الليل عنهم والنهارا * كيف باتت نساؤهم والعدارى
كيف أمسى رضيعهم فقد الأُم * وكيف أصطلّى مع القوم نارا
كيف طاح العجوز تحت جدار * يتداعى وأسقف تتجارى^(٢)
ربّ إنّ القضاء اتّخى عليهم * فأكشف الكرب وأعجب الأقدار
ومرّ النار أن تكفّ أذاها * ومري القيت أن يسيل أنهارا^(٣)
أين طوفان صاحب الفلك يروى * ههنا النار؟ فهى تشكو الأوارا^(٤)
أشعلت قحمة الدياجى فباتت * تملأ الأرض والسماء شرارا
غشيتهم والنحس يجرى يمينا * ورمتهم والبؤس يجرى يسارا^(٥)
فأغارَتْ وأوجهُ القوم بيض * ثمّ غارت وقد كسّتهن قارا

- (١) . ثبت النار في مدينة ميت غمر من أعمال الدقهلية في (يوم الخميس أول مايو سنة ١٩٠٢ م) (٢٢) .
محرم سنة ١٣٢٠ هـ) وبقيت تأكل كل ماتاقى عليه في هذه المدينة حتى يوم ٨ مايو؛ وهلك بسبب هذا
الحريق كثير من، ودمرت كثير من الدبر والمحال، ولعظم الكلفة تألفت جماعة من الأعيان لتخفيف ويلات
هذا المصائب، وتساق أهل الخير بغادوا بالمال الكثير، وحضت الصحف الناس على جمع المال لذلك؛
وفيها يقول الشاعر هذه القصيدة . (٢) طاح : هلك . وتداعى الجدار : انقض وتهدم .
وتجارى : تساقى في السقوط . (٣) الفلك : السفينة . وماحبها : نوح عليه السلام . والأوار
شدة الحرارة والمطر . (٤) قحمة الدياجى : ظلمة الليل، تشبها لها بالقمر . (٥) القار : الزفت .

- (١) أَكَلْتُ دُورَهُمْ فَلَمَّا اسْتَقَلْتُ * لَمْ تُغَادِرْ صِغَارَهُمْ وَالْكِبَارَا
أَخْرَجْتُهُمْ مِنَ الدِّيَارِ عُرَاءَ * حَذَرَ الْمَوْتِ يَطْلُبُونَ الْفِرَارَا
يَلْبَسُونَ الظَّلَامَ حَتَّى إِذَا مَا * أَقْبَلَ الصُّبْحُ يَلْبَسُونَ النَّهَارَا
حُلَّةَ لَا تَقِيمُ الْبَرْدَ وَالْحَرَّ * وَلَا عَنْهُمْ تَرُدُّ الثُّبَارَا
(٢) أَيُّهَا الرَّافِلُونَ فِي حُلِّ الْوَشَى * مَيِّجُونَ لِلذُّبُولِ أَفْخَارَا
(٣) إِنَّ فَوْقَ الْعَرَاءِ قَوْمًا جِيَاعًا * يَتَوَارُونَ ذِلَّةً وَأَنْكِسَارَا
(٤) أَيُّهَا السَّجِينُ لَا يَمْنَعُ السَّجْ * مِنْ كَرِيمًا مَنْ أَنْ يَقِيلَ الْعِشَارَا
(٥) مَرُّ يَأْلِفُ لَهُمْ وَإِنْ شِئْتَ زِدْهَا * وَأَجْرُهُمْ كَمَا أَجَرْتَ النَّصَارَى
(٦) قَدْ شَهِدْنَا بِالْأَمْسِ فِي مِصْرَ عُرْسًا * مَلَأَ الْعَيْنَ وَالْفُؤَادَ ابْتِهَارَا
(٧) سَأَلَ فِيهِ النَّضَارُ حَتَّى حَسِبْنَا * أَنَّ ذَاكَ الْفَنَاءَ يَجْرَى نُضَارَا
بَاتَ فِيهِ الْمُتَعَمُّونَ بِلَيْلٍ * أَتَجَمَّلُ الصُّبْحَ حُسْنُهُ قَوَارَى

- (١) استقلت، أى عدت ما أحرقته من الدور قليلا . (٢) رفل فى ثوبه : اختال فيه وتجنبت .
وحلل الوشى : الثياب المنقوشة . (٣) العراء : الفضاء . ويتوارون : يستترون . (٤) يريد
بالسجين : المنشأى بأشأ الترى المعروف ، وكان إذ ذاك مسجوناً لارتكابه جريمة تعذيب اللصوص الذين
اتهموا بسرقة بعض المواشى من مزرعة ممق الخديوى عباس حلى الثانى ، حتى اضطروهم إلى الإقرار بما سرقوا
بتأثير العذاب ؛ وكان ذلك فى سنة ١٩٠٢ م . والمثار : الشر والمكره . وإقالته : دفعه عن نزل به .
(٥) يشير إلى أن المنشأى كان قد أجاز كثيرا من الأوربيين وحمام من أذى المصريين فى العودة
العربية ، وأزلم به . (٦) ابتهرا : يريد عجباً . ولم نجد فيما راجعنا من كتب اللغة هذا اللفظ
بهذا المعنى . وهذا العرس الذى يشير إليه الشاعر هو عرس زواج الأمير حيدر رشدى فاضل بك من كريمة
على فهمى باشا وقد أقيم مهرجان عظيم بدار على فهمى باشا مكث ثلاث ليال من ليلة الأربعاء ٣٠ إبريل
سنة ١٩٠٢ م إلى ليلة الجمعة ٢ مايو من السنة قسماً . (٧) الفناء : ساحة الدار .

يَكْتَسُونَ السُّرُورَ طَوْرًا وَطَوْرًا * فِي يَدِ الْكَأْسِ يَحْلُمُونَ الْوَقَارَا
وَسَمِعْنَا فِي (مِيت غَمِيرٍ) صِيَاحًا * مَلَأُ الْبَرْجَجَةَ وَالْبَحَارَا
جَلَّ مَنْ قَسَمَ الْحُظُوظَ فِهَذَا * يَتَغَنَّى وَذَلِكَ يَبْكِي الدِّيَارَا
رُبَّ لَيْلٍ فِي الدَّهْرِ قَدْ ضَمَّ تَحْسًا * وَسُعودًا وَعُسْرَةً وَيَسَارَا

(١) الى الأرض

[بركان مارتيك سنة ١٩٠٢ م]

(٢)
أَلْبَسُوكِ الدَّمَاءَ فَوْقَ الدَّمَاءِ * وَأَرْوِكِ الْعِدَاءَ بَعْدَ الْعِدَاءِ
(٣)
فَلَيْسَتْ النَّجِيعَ مِنْ عَهْدٍ قَائِمٍ * لَمْ وَشَاهَدْتِ مَضْرَعَ الْأَبْرِيَاءِ
فَلَكَ الْعُدْرُ إِنَّ قَسْوَتِ وَإِنْ خُدَّ * يَتِ وَإِنْ كُنْتِ مَصْدَرًا لِلشَّقَاءِ
(٤)
غَلِطَ النَّاسُ، مَا طَغَى جَبَلُ النَّا * رِ بِأَرْسَالِ نَفْثَةٍ فِي الْهَوَاءِ
(٥)
أَخْرِجُوا صَدْرَ أُمِّهِ فَأَرَاهُمْ * بَعْضَ مَا أَضْمَرَتْ مِنَ الْبُرْهَاءِ

(١) المارتيك، هي إحدى جزر الهند الغربية الفرنسية، وبها كثير من القووات البركانية. ويشير الشاعر الى الثوران البركاني الذي حدث فيها، والذي لم يشهد العالم مثله في شدته وكثرة ضخامه، وذلك في ٨ مايو سنة ١٩٠٢ م. (٢) ألبسوك: يخاطب الأرض. ويشير بهذا البيت والذي بعده الى عدوان الناس بعضهم على بعض بالقتل من عهد آدم الى اليوم. (٣) النجيع: الدم. وقابل: هو ابن آدم عليه السلام، وهو الذي قتل أخاه هابيل؛ وقصتهما مشهورة ورد ذكرها في القرآن. (٤) قمة جبل النار: ما يقذف به البركان من نيران. (٥) أمه، أي الأرض. ويريد بالبرحاء: نار الضغن والحقد.

- (١) اسْتَخْطَوْهَا فَصَابَرْتَهُمْ زَمَانًا * ثُمَّ انْخَسَتْ عَلَيْهِمُ بِالْجَزَاءِ
أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ يَكُنْ ذَاكَ سُخْطُ آلِ * بَارِئِ ، مَاذَا يَكُونُ سُخْطُ السَّمَاءِ ؟
(٢) إِنْ فِي عُلُوِّ مَسْرَحًا لِلْقَادِيدِ * يَرَوْنَ فِي الْأَرْضِ مَكْنًا لِلْقَضَاءِ
فَاتَّقُوا الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ سَوَاءً * وَاتَّقُوا النَّارَ فِي الثَّرَى وَالْقَضَاءِ

اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها

[نشرت في سنة ١٩٠٣ م]

- (٣) رَجَعْتُ لِنَفْسِي فَأَتَمْتُ حَصَاتِي * وَنَادَيْتُ قَوْمِي فَأَحْسَبْتُ حَيَاتِي
(٤) رَمَوْنِي بِعُقْمٍ فِي الشَّابِ وَلَيْتَنِي * عَقِمْتُ فَلَمْ أَجْزَعْ لِقَوْلِ عِدَائِي
(٥) وَلَدْتُ وَلَمْ أَجِدْ لِعَرَائِسِي * رِجَالًا وَأَكْفَاءً وَأَدْتُ بَنَاتِي
(٦) وَسِعَتْ كِتَابَ اللَّهِ لَفْظًا وَغَايَةً * وَمَا ضِغْتُ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتٍ
فَكَيْفَ أَضِيقُ الْيَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلَةٍ * وَتَلْسِيقِ أَسْمَاءِ الْخُتَرَاتِ

- (١) صابرتهم ، أي طاولتهم في الصبر . وانخست عليهم بالجزاء : أقبلت عليهم به .
(٢) في علو ، أي في أعلى ، وهو يسكون اللام وضم الواو وكسرها وفتحها ، يريد السماء .
(٣) رجعت لنفسى ، أي تأملت . والحصاة : الرأى والعقل . واحتسبت حياتى : عددتها عند الله فيما يدخر . يقول على لسان اللغة العربية : إننى عدت الى نفسى وفكرت فيما آل اليه أمرى ، فأسأت الفطن بمقدرتى ، وكنت أصدق ما رمونى به من القصور ، وناديت الناطقين بى أن ينصرونى فلم أجدهم منهم سميعا ، فادخرت حياتى عند الله . (٤) العداة : الأعداء . يقول : اتهمونى بأنى لا ألدعلى حين أنى فى ريمان شبابى . وليتنى كنت كما قالوا فلا يحزننى قولهم . وكنتى بالعقم هنا عن ضيق اللغة وجودها . (٥) يريد «بالعرائس» : الألفاظ المجلوة الحسة . وواد البنات : دفنها حية . (٦) الآى : جمع آية .

أنا الْبَحْرُ فِي أَحْشَاءِهِ الدُّرَّ كَامِنٌ * فهل سَأَلُوا الْغَوَاصَّ عَنْ صَدَفَاتِي
 (١)
 فَيَا وَيْحَكُمْ أَيْلَى وَتَبَلَى مَحَاسِنِي * وَمَنْكُمْ وَإِنْ عَزَّ الدَّوَاءُ أُسَاتِي
 (٢)
 فَلَا تَكِلُونِي لِلزَّمَانِ فَإِنَّنِي * أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ يَحِينَ وَفَاتِي
 (٣)
 أَرَى لِرِجَالِ الْغَرْبِ عِزًّا وَمَنْعَةً * وَكَمْ عَزَّ أَقْوَامٌ بِعِزِّ لُغَاتِ
 أَتَوْا أَهْلَهُمْ بِالْمُعْجَزَاتِ تَفَنُّنًا * فَيَا لَيْتَكُمْ تَأْتُونَ بِالْكَلِمَاتِ
 (٤)
 أَطِيرُ بِكُمْ مِنْ جَانِبِ الْغَرْبِ نَاعِبٌ * يُنَادِي بِوَادِي فِي رَبِيعِ حَيَاتِي
 (٥)
 وَلَوْ تَزْجُرُونَ الطَّيْرَ يَوْمًا عَلِمْتُمْ * بِمَا تَحْتَهُ مِنْ عَثَرَةٍ وَشَتَاتِ
 (٦)
 سَقَى اللَّهُ فِي بَطْنِ الْجَزِيرَةِ أَعْظَمًا * يِعِزُّ عَلَيْهَا أَنْ تَلِينَ قَنَاتِي
 حَفِظَنَ وِدَادِي فِي الْبَلَى وَحَفِظْتُهُ * لَهْنٌ بِقَلْبٍ دَائِمٍ الْحَسَرَاتِ
 (٧)
 وَقَاحَرَتُ أَهْلَ الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ مُطْرِقٌ * حَيَاءً بِتِلْكَ الْأَعْظَمِ النُّخْرَاتِ
 (٨)
 أَرَى كُلَّ يَوْمٍ بِالْجَرَائِدِ مَزَلَّقًا * مِنْ الْقَبْرِ يُدْنِينِي بَغِيرِ آثَانَةِ

- (١) الأساة : جمع الآسى ، وهو الطيب . (٢) تكلوني : تتركوني . ونحين : تحل .
 (٣) يقال : هوفى منعة ، أى فى قوم يمنونه ويحمونه . (٤) الناعب : المصوت بما
 هو مستكره . وربيع الحياة : أيام الشباب والقوة .
 (٥) زجر الطير ، هو أن ترى الطائر بمحصة أو تصيح به ، فإن ولاك فى طيرانه ميا منه تقاءلت
 به خيرا ، وإن ولاك يأسره تطيرت منه . والعثرة : السقوط . والشتات : الفرق . يقول : لو استنبأتم
 الغيب بزجر الطير ، كما كان يفعل العرب ، لعلمتم ما يجردقى طليكم من السقوط والآنحلال .
 (٦) الفتاة : الرمح . ولينها : كناية عن الضعف . ويريد « بالأعظم » : من دفن فى الجزيرة من
 العرب الأتولين . (٧) النخرات : البالية المنفضة . (٨) المزلق : مكان الاتزلاق ، أى
 السقوط والزلل . والآثاة : التأتى والإبطاء . ويريد وصف لغة الجرائد اذ ذاك بالضعف .

- (١) وَاسْمِعْ لِلْكَتَابِ فِي مِصْرَ صَجَّةً * فَأَعْلَمُ أَنَّ الصَّائِحِينَ نُعَاتِي
(٢) أَيَهْجُرْنِي قَوْمِي - عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ - * إِلَى ثَغَةٍ لَمْ تَتَّصِلْ بِرُوَاةِ
(٣) سَرَتْ لُوثَةُ الْإِفْرِيجِ فِيهَا كَمَا سَرَى * لُعَابُ الْأَفَاعِي فِي مَسِيلِ فُرَاتِ
بِفَاعَتْ كُتُوبٌ ضَمَّ سَبْعِينَ رُقْعَةً * مُشْكَلَةٌ الْأَلْوَانِ مُخْتَلِفَاتِ
(٤) إِلَى مَعْشَرِ الْكُتَابِ وَالْجَمْعِ حَافِلٌ * بَسَطْتُ رَجَائِي بَعْدَ بَسْطِ شِكَايِي
(٥) فَإِنَّمَا حَيَاةٌ تَبْعَثُ الْمَيِّتَ فِي اللَّيْلِ * وَتُنِيتُ فِي تِلْكَ الرُّمُوسِ رُفَائِي
وَإِنَّمَا مَمَاتٌ لَا قِيَامَةَ بَعْدَهُ * مَمَاتٌ لَعَمْرِي لَمْ يُقَسَّ بِمَمَاتِ

- (١) النعاة : جمع ناع ، وهو المخبر بالموت .
(٢) لم تتصل برواة ، أى لم يأخذها الخلف عن السلف بطريق الرواية التى تحفظها من التغيير كما هو الشأن فى العربية . ويشير الى تلك اللغة المرقعة التى كانت مستعملة أيام شرهذه القصيدة .
(٣) اللوثة (بالضم) : عدم الإبانة . ولعاب الأفاعى : سمها . والقرات : الماء العذب .
(٤) الشكاة : الشكوى .
(٥) تبعث الميت : تحييه . والرموس : القبور ، الواحد درس . والرفات : كل ما تكسر ويلى ؟ يريد مابقى من الجسد بعد الموت .

زواج الشيخ على يوسف صاحب (المؤيد)^(١)

قالها ينعي فيها على المصريين بعض العيوب الاجتماعية ، وما يراه من فوضى الرأي وقلة الثبات عليه

[نشرت في سبتمبر سنة ١٩٠٤ م]

^(٢)
حَطَمْتُ الْيَرَاعَ فَلَا تَعْجَبِي * وَعِفْتُ أَلْيَانَ فَلَا تَعْتَبِي

فَمَا أَنْتِ يَا مَصْرُ دَارَ الْأَدِيبِ * وَلَا أَنْتِ بِالْبَلَدِ الطَّيِّبِ

^(٣)
وَكَمْ فِيكَ يَا مَصْرُ مِنْ كَاتِبٍ * أَقَالَ الْيَرَاعَ وَلَمْ يَكْتُبِ

فَلَا تَعْدِلِي لِهَذَا السُّكُوتِ * فَقَدْ ضَاقَ بِي مِنْكَ الْخِثَابُ

^(٤)
أَيُعْجِبُنِي مِنْكَ يَوْمَ الْوَفَاقِ * سَكُوتُ الْجَمَادِ وَلَعِبُ الصَّبِيِّ؟

وَكَمْ غَضَبَ النَّاسُ مِنْ قَبْلُنَا * لَسَلْبِ الْحَقُوقِ وَلَمْ تَغْضَبِ

- (١) كان بين المرحوم الشيخ على يوسف صاحب المؤيد وبين السيد أحمد عبد الخالق السادات شيخ السادة الوفائية صلة مودة وصداقة ، فخطب الشيخ على ابنته السيدة صفية ، ورضيت الفتاة وسكت الأب ، فعقد العقد في بيت البكرى من غير علم الأب ، فرفع الوالد الأمر إلى المحكمة الشرعية طالبا فسخ العقد لعدم الكفاءة في النسب ، ودافع الشيخ على عن نفسه ، وأثبت شرف نسبه بتسجيل اسمه في دفتر الأشراف ، وقضت المحكمة بالحيلولة المؤقتة بين الزوجين ، ثم قضت بعد ذلك بفسخ عقد الزواج في أغسطس سنة ١٩٠٤ م فاستأنف الزوج الحكم أمام المجلس الابتدائي الشرعى في محكمة مصر الشرعية الكبرى ، فقضت بتأييد الحكم بتاريخ أول أكتوبر سنة ١٩٠٤ م ، وكان لهذه القضية ثودة في رأى العام فاضت بها الصحف وأكثر فيها الشعراء .
- (٢) حطمت : كسرت . واليراع : القلم . وعاف الشيء : يعافه : كرهه .
- (٣) أقال اليراع : أعفاه من أن يكتب به .
- (٤) يشير الشاعر « بيوم الوفاق » إلى الاتفاق الذى تم بين إنجلترا وفرنسا سنة ١٩٠٤ م ، والذى أباح لفرنسا بعض امتيازات في مراكش في مقابل إطلاق يد الإنجليز في مصر .

(١)
 أَنَابَتَ الْعَصِيرَ إِنَّ الْغَرِيبَ * مُجِدُّ مِمَّصَرَفَ لَا تَلْعَبِي
 يقولون: في النَّشْءِ خَيْرٌ لَنَا * وَلِلنَّشْءِ شَرٌّ مِنَ الْأَجْنَبِيِّ
 (٢)
 أَفِي (الْأَزْيَكِيَّةِ) مَثْوَى الْبَيْنِ * وَبَيْنَ الْمَسَاجِدِ مَثْوَى الْآبِ ؟
 (٣)
 (وَكَمْ ذَا مِمَّصَرَفٍ مِنَ الْمُضْحِكَاتِ) * كَمَا قَالَ فِيهَا (أَبُو الطَّيِّبِ)
 (٤)
 أُمُورٌ تَمُرُّ وَعَيْشٌ يُمِزُّ * وَنَحْنُ مِنَ اللَّهِوِ فِي مَلْعَبٍ
 وَشَعْبٌ يَفِرُّ مِنَ الصَّالِحَاتِ * فِرَارَ السَّلِيمِ مِنَ الْأَجْرَبِ
 (٥)
 وَصُحُفٌ تَطْنُ طَيْنَ الذُّبَابِ * وَأُخْرَى تَنْشُ عَلَى الْأَقْرَبِ
 (٦)
 وَهَذَا يَلُودُ بِقَصْرِ الْأَمِيرِ * وَيَدْعُو إِلَى ظِلِّهِ الْأَرْحَبِ
 وَهَذَا يَلُودُ بِقَصْرِ السَّفِيرِ * وَيُطْنِبُ فِي وَرْدِهِ الْأَعْدَبِ
 وَهَذَا يَصْبِغُ مَعَ الصَّائِحِينَ * عَلَى غَيْرِ قَصْدٍ وَلَا مَارَبِ
 (٧)
 وَقَالُوا : دَخِيلٌ عَلَيْهِ الْعَفَاءُ * وَنِعَمَ الدَّخِيلُ عَلَى مَذْهَبِي
 رَأَى نِيَامًا وَلَمَّا نَفَقَ * فَشَمَّرَ لِلسَّعْيِ وَالْمَكْسَبِ

- (١) النابئة : الناشئون . (٢) المَثْوَى : موضع الثَّوَاءِ ، وهو الإقامة . يريد أن الشاب في الملاهي ، والآباء في المساجد . (٣) يشير إلى قول أبي الطيب المتنبي قصيدة له في هجاء كافور : وَكَمْ ذَا مِمَّصَرَفٍ مِنَ الْمُضْحِكَاتِ * وَلَكِنَّهُ ضَحِكَ كَالْبَكَا
 (٤) عيش يمز ، أى يصير مرا . (٥) طنين الذباب : صوته . وتشت على الأقرب : تصب عليه غارتها من كل جهة . ويريد « بالأقرب » : أبناء الوطن . (٦) الأرحب : المتسع . ويشير بهذا البيت والبيتين اللذين بعده إلى انقسام الرأى السياسى فى مصر ، ففرق مع الخلدوى ، وآخر يتاصر دار العميد الإنجليزى ، وثالث لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء . (٧) يريد « الدخيل » : الأجانب الذين أصابوا فى مصر حظا من الثروة لم يصبه أهلها . والعفاء : البلى والاندثار .

(١)
وماذا عليه إذا فاتنا * ونحن على العيش لم ندأب
ألفنا الخمول وبألتنا * ألفنا الخمول ولم نكذب



(٢)
وقالوا : (المؤيد) في غمرة * رمأ بها الطمع الأشعي
(٣)
دعاه الغرام بسن الكهول * بفن جنونا بينت النبي
(٤)
فضج لها العرش والحاملوه * وضح لها القبر في يثرب
(٥)
ونادى رجال يسقاطه * وقالوا : تلون في المشرب
(٦)
وعدوا عليه من السيئات * ألوفا تدور مع الأحقب
(٧)
وقالوا لصيق بيت الرسول * أغار على النسب الأنجب
(٨)
وزكى (أبوخطوة) قولهم * بحكم أحد من المضرب
(٩)
فما للتهاني على داره * تساقط كالمطر الصيب ؟

(١) دأب في عمله يدأب : جده فيه واستمر عليه . (٢) يريد «بالمؤيد» : صاحبه الشيخ على يوسف . والغمرة : ما يفر الإنسان ويشمله من الشدائد؛ ويريد بها هنا ما وقع فيه من شدة بما أثير حوله في قضية الزوجة . والأشعي : نسبة إلى أشعب ، وهو رجل من الموالي بالمدينة كان شديد الطمع فضرب به المثل ، قيل : «أطعم من أشعب» . (٣) بسن الكهول ، أى فى سن الكهول ؛ ويريد «بينت النبي» : السيدة صفية ، وهى من أمرة السادة الوفائية . (٤) لها ، أى لهذه الحادثة . ويثرب : اسم قديم لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . (٥) يريد «بالمشرب» : المذهب أو الطريقة ؛ وهو معنى مولد . (٦) الأحقب : السنون ، الواحد حقب (بضم الحاء وسكون القاف أو بضمهما) . وتدور مع الأحقب ، أى تبتقى على الدهر . (٧) اللصيق بالقوم : الداخل فيهم وليس منهم . (٨) أبوخطوة ، هو الشيخ أحمد أبوخطوة قاضى المحكمة الذى حكم حكما ابتدائيا بفسخ عقد الزواج . والمضرب (بكسر الراء وفتحها) : السيف ، والجمع مضارب . (٩) داره ، أى دار الشيخ على يوسف . والصيب : المنهمر المتدفق .

وما للوفود على بابِه * تَرْفُ البشائرُ في موكِبِ ؟
 (١)
 وما للخليفةِ أسدى إليه * وساماً يَلِيْقُ بصَدْرِ الأبي ؟
 (٢)
 فيا أُمَّةً ضاقتْ عن وَصْفِها * جَنَانُ المَقوَّةِ والأَخْطَبِ
 (٣)
 تَضِيْعُ الحَقِيقَةُ ما بَيَّنَّا * وَيَصِلَى البرىءُ مع المُنْدِبِ
 وَيُهْضَمُ فينا الإمامُ الحَكِيمُ * وَيَكْرَهُ فينا الجُهْلُوالُ الغَيِّ
 على الشَّرْقِ مِنِّي سَلامُ الودودِ * وإن طَاطَأَ الشَّرْقُ لِلْغَرْبِ
 (٤)
 لَقَدْ كانَ خِصْباً يَجْدِبُ الزَّمانَ * فَاجْدَبَ في الزَّمانِ الخِصْبِ

إلى رجال الدنيا الجديدة

أُنشدها في الحفل الذي أقامته كلية البنات الأمريكية بمصر لتوزيع الشهادات على خريجاتها .

في ٢٦ ما يوسنة ١٩٠٦ م

أَيُّ رِجالِ الدُّنيا الجَدِيدَةِ مُدُّوا * لِرِجالِ الدُّنيا القَدِيمَةِ باعًا
 وَأَفِيضُوا عَلَيمُ مِنْ أَيْادِهِ * سَكْمُ عُلُوماً وَحِكْمَةً وَأَخْترَعا

(١) يشير إلى ما قاله الشيخ على يوسف من الرب والأومة من الدولة العثمانية . والأبي
 (بتشديد الياء ، وخففت الشعر) : الذي لا يرضى الدنية أهنة وكبرا .

(٢) الجنان : القلب . والمقوَّة : المنطق . وينعى الشاعر على الأمة أخلافتها ، فينهاى تعد على
 الشيخ على يوسف السيئات ، وترميه بالتقلب في الرأي ، وشكر عليه زواجه ، إذا بها تتوافد على داره وترف
 إليه الهانى . (٣) يصلى : يعذب . (٤) يقول : لقد كان الشرق غنيا بالحضارة والعمران
 في عهد خلو العالم منهما ، فأصبح مجددا من ذلك ، إذ الزمان خصب بهما .

كُلُّ يَوْمٍ لَكُمْ رَوَائِعُ أَنَا * يَرُؤَالُونَ بَيْنَهُنَّ تَبَاعَا
 كَمْ خَلَبْتُمْ عُقُولَنَا بِعَجِيبٍ * وَأَمَرْتُمْ زَمَانَكُمْ فَاطَاعَا
 وَبَذَرْتُمْ فِي أَرْضِنَا وَزَرَعْتُمْ * فَسَرَّانَا مَا يُعْجِبُ الرُّزَاعَا
 وَلَمَحْنَا مِنْ نُورِكُمْ فِي نَوَاصِي * حَفَلَةَ الْيَوْمِ لَمْعَةً وَشُعَاعَا
 وَشَهِدْنَا مِنْ فَضْلِكُمْ أَثَرًا فِيد * هَاهَا يَرُوقُ الْعُيُونُ وَالْأَسْمَاعَا
 لَيْسْنَا نَقْتَدِي بِكُمْ أَوْ نُجَارِي * كَمْ عَسَى تَسْتَرِدُّ مَا كَانَ ضَاعَا
 إِنِّ فِينَا لَوْلَا التَّخَاذُلُ أَبْطَا * لَا إِذَا مَا هُمْ أَسْتَقْلُوا الْيَرَاعَا ^(١)
 وَعُقُولًا لَوْلَا الْجُمُوعُ تَوَلَّيَا * هَاهَا لَفَاضَتْ غَرَابَةً وَأَجِيدَا
 وَدُعَاءَ الْخَيْرِ لَوْ أَنْصَفُوهُمْ * مَلَأُوا الشَّرْقَ عِزَّةً وَأَمِينَا
 كَاثِفَ الْكَهْرَبَاءِ لَيْتَكَ تُعْنَى * بَاخْتِرَاعِ يَرُوضُ مِنَ الطَّبَاعَا ^(٢)
 آلَةٌ تَسْحَقُ التَّوَاكُلَ فِي الشَّرِّ * قِي وَتُلْقِي عَيْنَ الرِّبَاءِ الْقِنَاعَا
 قَدْ مَلَلْنَا وَقُوفُنَا فِيهِ نَبِيكِي * حَسَبًا زَائِلًا وَمَجْدًا مُضَاعَا
 وَسَمِينَا مَقَالَهُمْ كَانِ زَيْدٌ * عَبَقِيرِيًّا وَكَانَ عَمْرُو شُجَاعَا
 لَيْتَ شِعْرِي مَتَى تُتَارِعُ مِصْرٌ * غَيْرَهَا الْمَجْدُ فِي الْحَيَاةِ نَزَاعَا
 وَزَاهَا تُفَاخِرُ النَّاسَ بِالْأَحْ * بِيَاءِ نَخْرًا فِي الْخَافِقِينَ مُدَاعَا ^(٣)

(١) استقلوا اليراع، أى حلوا الأتلام . (٢) يروض الطباع ، أى يسوسها ويدلها بعد

جاحها . (٣) التلاقان : المشرق والمغرب .

- (١)
أَرْضُ كَوْلَبَ) أَي تَبَتَّكَ أَغْلَى * قِيَمَةً فِي الْمَلَا وَأَبْقَى مَتَاعاً
- (٢)
أَرَجَالُ بِهِمْ مَلَكَتِ الْمَعَالِي * أَمْ نُضَارُّ بِهِ مَلَكَتِ الْبِقَاعَا
- لَا عَدَاكَ السَّمَاءُ وَالْخِصْبُ وَالْأَمْرُ * نَ لَا زِلْتَ السَّلَامُ رِبَاعَا
- (٣)
طَالِبِي الْكَوْنِ وَأَنْظُرِي مَا دَهَاهُ * إِنْ رُكِّنَ السَّلَامُ فِيهِ تَدَاغَى

مدرسة مصطفى كامل

أنشدها في الحفل الذي أقامته المدرسة لتوزيع الجوائز على المتفهمين

من تلاميذها في ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٠٦ م

- (٤)
سَمِعْنَا حَدِيثًا كَقَطْرِ النَّدى * فَحَدَّدَ فِي النَّفْسِ مَا جَدَّدَا
- فَأَضْحَى لَأَمَانًا مُنْعِشًا * وَأَمْسَى لَأَمَانًا مُرْقِدَا
- قَدَيْنَاكَ يَا شَرْقُ لَا تَجْزَعَنَّ * إِذَا الْيَوْمُ وَثَى فِرَاقُ غَدَا
- فَكَمْ حِجْنَةٍ أَعْقَبَتْ حِجْنَةً * وَوَلَّتْ سِرَاعًا كَرَجْعِ الصَّدَى
- (٥)
فَلَا يُبَيِّنُكَ قِيلُ الْعُدَاةِ * وَإِنْ كَانَ قِيلاً كَحَزَّ الْمُدَى
- (٦)
أَتَوَدَّعُ فِيكَ كُنُوزَ الْعُلُومِ * وَيَمِشِي لَكَ الْغَرْبُ مُسْتَرْفِدَا؟

- (١) أرض كولب : يريد أمريكا، أضيفت إلى مكتشفها كريستوف كولب . (٢) النضار : الذهب . يشير إلى كثرة الذهب في أمريكا . (٣) طالبي الكون : انظري إليه . وتداغى : تهادم . (٤) يريد « بالحديث » : ما قيل في الحفل من خطاب وأشعار . (٥) قيل العداة : قوالم والمدي (بالضم) : جمع مدية ، وهي السكين . (٦) المسترفد : طالب الرشد (بكر الراء) وهو المطاع .

وَتُبْعَتْ فِي أَرْضِكَ الْإِنِّيَاءَ * وَيَأْتِي لَكَ الْغَرْبُ مُسْتَرِشِدًا؟
 وَتَقْضِي عَلَيْكَ قُضَاةُ الضَّلَالِ * طَوَالَ اللَّيَالِي بَأَنْ تَرْقُدَا؟
 أَتَشْقَى بِعَهْدٍ سَمَّا بِالْعُلُومِ * فَاصْحَى الضَّعِيفُ بِهَا أَيَّدَا؟^(١)
 إِذَا شَاءَ بَزَّ الشَّهَاسِرَهُ * وَأَدْرَكَ مِنْ جَرِيهِ الْمَقْصِدَا^(٢)
 وَإِنْ شَاءَ أَذْنَى إِلَيْهِ النُّجُومِ * فَنَاجَى الْمَجَرَّةَ وَالْفَرْقَدَا^(٣)
 وَإِنْ شَاءَ زَعَزَعَ شُمَّ الْجِبَالِ * نَفَرَتْ لِأَقْدَامِهِ سُبُجْدَا^(٤)
 وَإِنْ شَاءَ شَاهَدَ فِي ذَرَّةٍ * عَوَالِمَ لَمْ تَحَى فِيهَا سُدَى^(٥)
 زَمَانٌ تُسَخَّرُ فِيهِ الرِّيحُ * وَيَغْدُو الْجَمَادُ بِهِ مُنْشِدَا^(٦)
 وَتَتَنَوُّ الطَّبِيعَةُ لِلْعَارِفِينَ * بِمَعْنَى الْوُجُودِ وَسِرِّ الْهُدَى^(٧)

- (١) الأيد (بتشديد الياء) : القوى ؛ من الأيد (بفتح الهززة وسكون الياء) بمعنى القوة . يقول : أتشقى أيما الشرق بحرمانك من العلوم والمعارف في زمن فاض فيه العلم ، وأخذت كل أمة منه بحظ حتى أصبح الضعيف ذا قوة بسببه ، بما اكتسب من علم . (٢) بز : غلب . والسها : كوكب صغير خفى الضوء في نبات نعش ، والناس يمتحنون به أبصارهم لخفاء ضوئه . يقول : إذا شاء ذو العلم سلب من هذا النجم سره المكتوم ، ويجعله ظاهرا للناس يعرفون من أمره ما يعرفون من الكائنات التي يدركونها بحواسهم . ويشير بهذا البيت والذي بعده إلى علماء الفلك وما وصلوا إليه من اكتشافات في هذا العلم . (٣) المجرة : نجوم كثيرة لاتدرك بجزد البصر ، وإنما ينتشر ضوءها فيرى كأنه بقعة بيضاء ؛ ولهذا يشبهها الأدباء بالنهر ، فيقولون : نهر المجرة . والفرقد : نجم قريب من القطب الشمالي يهتدى به ، جمعه فراقدة . (٤) شُم الجبال : ما علا منها وشمخ ، الواحد أشم . ويشير بهذا البيت إلى المخترعات الحربية التي تصف الجبال . (٥) الذرة : واحدة الذر (بفتح الدال) ، وهو الهباء المتبث في الهواء . ويشير بهذا البيت إلى المظنار الكبير للأشياء ، المعروف بالمكسكوب ونحوه . ويريد « بالعوالم » : عوالم الميكروبات . (٦) يشير بالنظر الأول من هذا البيت إلى الطائرات ؛ وبالشرط الثاني إلى الحاكى . (٧) تنو : تخفض وتذل .

الاجتماعيات

٢٦٣

- (١) إذا ما أهابوا أجاب الحديد * وقام البخار له مسعدا
(٢) وطارت إليهم من الكهرا * بروق على السلك تطوى المدى
(٣) أيجمل من بعد هذا وذاك * بأن تستكين وأن تجمدا
(٤) وها أمة (الصفير) قد مهدت * لنا النهج فاستبقوا المورد
(٥) فيأثم الناشئون أعملوا * على خير مفسر وكونوا بدا
(٦) ستظهر فيكم ذوات الغيوب * رجالا تكون لمصر الفدا
فيا ليت شعري من منكم * إذا هي نادى يلبى النداء
لك الله يا (مضطفي) من قى * كثير الأيدي، كثير العدا
إذا ما حدثك بين الرجال * فانت الخلق بأن محمد
سيحصى عليك سجل الزمان * ثناء يجلد ما خلدا
ويهتف باسمك أبناؤنا * إذا آن للزرع أن يحصدا

(١) أهاب به : دعاه . ومسعدا : معيا .

(٢) المدى : المسافة على نوعها من زمنية أو مكانية . ويشير بهذا البيت إلى الآتين المعروفين بالهرفاء والتليفون .

(٣) تستكين : نذل ونخضع .

(٤) يريد « بأمة الصفير » : اليابانيين ؛ وسما بذلك للونهم . والنهج : الطريق . واستبقوا المورد أى سبقوا غيرهم من أمم الشرق إلى الارتشاف من مآهل العلوم والمعارف .

(٥) كونوا بدا : عبارة يراد بها اتحاد الكلمة واجتماع الراى حتى كأنهم فرد واحد

(٦) ذوات الغيوب ، أى الأقدار المخبية في عالم الغيب .

إلى ناظر المعارف سعد زغلول باشا

[نشرت في ١٣ ديسمبر سنة ١٩٠٦ م]

- (١)
مالي أرى بحر السّيا * سية لا نبي جزراً ومداً
- (٢)
وأرى الصّحائف أَيْسَتْ * ما بيننا أخذاً ورداً
- (٣)
هَذَا يَرَى رَأَى الْعَمِيد * يدِ وذا يعدُّ عليه عداً
- (٤)
وأرى الوِزَارَةَ تَجْتَنِي * مِنْ مَرِّ هَذَا الْعَيْشِ شُهْداً
- (٥)
نَامَتْ بِمَصْرَ وَأَقْطَعَتْ * لِحَوَادِثِ الْأَيَّامِ (سعداً)
- فَطَرَحَتْهَا وَمَا تَعْدُ * لَهُ قِيلٌ لِي : لَمْ يَأَلْ جُهْداً
- (٦)
يَا (سعدُ) أَنْتَ (مَسِيحُهَا) * فَاجْعَلْ لِهَذَا الْمَوْتِ حَدّاً
- يَا (سعدُ) إِنَّ (بِمَصْرَ) آيَةً * نَتَامَا تُؤْمَلُ فِيكَ سَعْدَا
- قَدْ قَامَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ * نَ الْعِلْمِ ضَيْقُ الْحَالِ سَدَا

(١) يني : يطنئ .

(٢) أَيْسَتْ ما بيننا ، أى قطعت ما بيننا من مودة ؛ ويستعار اليبس للتقاطع ؛ يقال : قد يبس ما بينهما : إذا تقاطعا ، كما يستعار الليل للتواصل .

(٣) يريد أن ساسة مصر فريقان : فريق يوافق عميد الدولة الانجليزية على ما يرى ، وفريق آخر يعد مساوية في مصر .

(٤) يريد أن الوزراء كانوا يستغلون بؤس الناس لإسعاد أنفسهم .

(٥) نامت ، أى الوزارة .

(٦) شبهه بالمسيح في أن معجزته إحياء الموتى . قال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام :
(وأبرئ الأكمه والأبرص وأحي الموتى بأذن الله) .

ما زِلْتُ أَرْجُو أَنْ أَرَا * لَكَ أَبَا وَأَنَّ أَلْفَاكَ جَدًّا
 حَتَّى غَدَوْتَ أَبَا لَهُ * أَصَحَّتْ عِيَالُ الْقُطْرِ وَلَدَا
 فَارْدُدْ لَنَا عَهْدَ (الإِمْ) * وَكُنْ بِنَا الرَّجُلَ الْمُقْدَى ^(١)
 أَنَا لَا أَلُومُ الْمُسْتَشَا * رَ إِذَا تَعَلَّلَ أَوْ تَصَدَّى ^(٢)
 فَسَيْلُهُ أَنْ يَسْتَبِيْدَ * وَشَأْنُنَا أَنْ نَسْتَعِيْدَا
 هِيَ سُنَّةُ الْمُحْتَلِّ فِي * كُلِّ الْعُصُورِ وَمَا تَعْدَى

الحث على تعضيد مشروع الجامعة

أنشدها في الحفل الذي أقامه محفل الصدق الماسوني في دار التمثيل العربي،

وخصص لإيراده لمشروع الجامعة المصرية

[نشرت في ١٩ مارس سنة ١٩٠٧ م]

إِنْ كُنْتُمْ تَبْدُلُونَ الْمَالَ عَنْ رَهَبٍ * فَتَحْنُ نَدْعُوكُمْ لِلْبَلِّ عَنْ رَغَبٍ ^(٣)
 ذَرِ الْكَتَاتِبَ مُثْسِئًا بِلا عَدَدٍ * ذَرِ الرَّمَادِ بَعَيْنِ الْحَازِقِ الْأَرَبِ

(١) يريد « بالإمام » : الأستاذ المرحوم الشيخ محمد عبده ،

(٢) يريد بالمستشار : المستر (داقلوب) الإنجليزي ، مستشار المعارف إذ ذاك . وتعلل :

تصنع العلل والمعاذير المانعة من نشر العلم في البلاد المصرية . وقصدى : تعرض للصالحين بالمنع .

(٣) الأرب : البصير الماهر . ويشير بهذا البيت إلى ما كان يقصد إليه المستشار الإنجليزي

لنظارة المعارف والعميد الإنجليزي إذ ذاك من إلقاء المصريين وتسكينهم بأكار الكاتيب الصغيرة في القرى

والمدن عن أن يطلبوا إلى الحكومة إنشاء جامعة على نسق الجامعات الأوربية .

فَأَنْشَأُوا الْفَ كُتَابَ وَقَدْ عَلِمُوا * أَنْ الْمَصَائِيحَ لَا تُغْنِي عَنِ الشَّهْرِ
 هَبُوا الْأَجِيرَ أَوْ الْحَزَاتِ قَدْ بَلَّغَا * حَدَّ الْقِرَاءَةِ فِي صُحُفٍ وَفِي كُتُبِ
 (١)
 مِنَ الْمَدَاوِي إِذَا مَا عِلَّةٌ عَرَضَتْ * مَنِ الْمُدَافِعُ عَنْ عِرْضٍ وَعَنْ نَسَبِ
 (٢)
 وَمَنْ يَرُوضُ مِيَاهَ النَّيْلِ إِنْ جَمَحَتْ * وَأَنْذَرَتْ مِصْرَ بِالْوَيْلَاتِ وَالْحَرْبِ
 (٣)
 وَمَنْ يُوَكِّلُ بِالْقِسْطِ بَيْنَكُمْ * حَتَّى يَرَى أَلْحَقَ ذَا حَوْلٍ وَذَا غَلَبِ
 (٤)
 وَمَنْ يُطْلُ عَلَى الْإِفْلَاقِ يَرُصُّهَا * بَيْنَ الْأَنَاطِقِ عَنْ بُعْدٍ وَعَنْ كَشِبِ
 يَبْتَ يَنْفُتْنَا عَمَّا تَنْمُ بِهِ * سَرَائِرِ الْغَيْبِ عَنْ شَفَافَةِ الْأُنْجُبِ
 (٥)
 وَمَنْ يَبْزُ أَدِيمَ الْأَرْضِ مَا رَكَوَتْ * فِيهَا الطَّيْبَةُ مِنْ بَدِيعٍ وَمِنْ عَجَبِ
 (٦)
 يَظْلُ يَنْشُدُ مِنْ ذَرَاتِهَا نَبَأَ * ضَلَّتْ بِهِ الْأَرْضُ فِي مَاضٍ مِنَ الْحَقْبِ
 (٧)
 وَمَنْ يُحِيطُ سِتَارَ الْجَهْلِ إِنْ طُمِسَتْ * مَعَالِمُ الْقَصْدِ بَيْنَ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ

(١) النشأ (بالتحريك) : المال . ويشير بهذا البيت والأبيات السبعة بعده إلى طوائف المختارين من الجماعة على اختلافهم : من أطباء ، ومحامين ، ومهندسين ، وقضاة ، وفلكيين ، وعلماء بطبقات الأرض ، ومعلمين . (٢) يروض مياه النيل : يقوم على تصرفها وتدير أمرها ، ولا يدعها تترك البلاد بظفائها . وأصله من رياضة الدواب ، وهو تذليلها بعد صعبتها وفقورها . (٣) القسطاس (بكسر القاف وضمةا) : ميزان العدل ؛ قيل هو روى معرب . والحول : القوة . (٤) يرصدها : يرقبها . والكشب (بالتحريك) : القرب . (٥) يبز : يسلب . وأديم الأرض : وجهها . وركوَتْ ، أى طوت وخبأت . والبديع : الذى لا منيل له . (٦) ينشد : يطلب . (٧) يحيط : يكشف . وطمس : انمحت . وأنذرت . ومعالم القصد : العلامات التى تبين طريقه وتدل عليه . يقول : إن هذا العالم الذى يبحث فى طبقات الأرض وما حوت من معادن يظل يطلب فى كل ذرة من ذراتها سرا كنتمه ولم تبح به فى غابر الأزمان لجلل الماضين بما فى باطن الأرض من عجائب .

- (١) فما لَكُمْ أَيُّهَا الْأَقْوَامُ جَامِعَةً * إلا بِجَامِعَةٍ مَوْصُولَةِ السَّبَبِ
(٢) قد قَامَ (سَعْدٌ) بِهَا حِينًا وَأَسْلَمَهَا * إلى (أَمِينٍ) فَلَمْ يُنْجِمْ وَلَمْ يَهَبِ
فَعَاوُنُوهُ يَعَاوِنُكُمْ عَلَى عَمَلٍ * فيه الْفَخَارُ وما تَرْجُونَ مِنْ أَرَبٍ
وَيَبْنُوا لِرِجَالِ الْغَرْبِ أَنْتُمْ * إذا طَلَبْتُمْ بَلَقْتُمْ غَايَةَ الطَّلَبِ
لَا تَلْجَأُوا فِي الْعِلَا إِلَّا إِلَى هِمِّ * وَثَابَةِ لَا تُبَالِي هِمَّةَ النَّوَبِ
(٣) فَإِنَّ تَأْمِيلَكُمْ فِي غَيْرِكُمْ وَهَنْ * فِي النَّفْسِ يُرْخِي عِنَانَ السَّعْيِ وَالْدَّأْبِ
(٤) إِنْ قَامَ مِنْهَا مُنَادٍ فَالْ قَائِلُهُمْ * لَا تَصْخَبُوا فَهَلَاكُ الشَّعْبِ فِي الصَّخَبِ
(٥) أَوْ نَابًا حَدِيثٌ تَرْجُو إِزَالَتَهُ * قَالَ اسْتَكْبَرُوا وَخَلَّوْا سُورَةَ الْغَضَبِ
(٦) فَمَا سَمَّوْنَا إِلَى تَجْدٍ مُحَاوِلُهُ * إِلَّا هَبَطْنَا إِلَى غَوْرٍ مِنَ الْعَطَبِ
(٧) يَا مِصْرُ هَلْ بَعْدَ هَذَا الْيَأْسِ مُتَسَعٍّ * يَحْمِرِي الرَّجَاءُ بِهِ فِي كُلِّ مُضْطَرَبٍ
لَا تَحْنُ مَوْتِي وَلَا الْأَحْيَاءُ تُسَيِّئُنَا * كَأَنَّا فِيكَ لَمْ نَشْهَدْ وَلَمْ نَغِبِ

- (١) يريد بالجامعة (الأولى) : الرابطة التي تربط الأمة وتجمع طوائفها . وبالجامعة (الثانية) : ذلك المعهد المعروف . (٢) يريد المرحوم سعد زغلول باشا ، وكان من أقوى أنصار فكرة إنشاء الجامعة المصرية والساعين في تحقيقها ، فلما أسندت إليه نظارة المعارف أسلم أعمال الجامعة إلى المرحوم قاسم بك أمين . (٣) الوهن : الضعف . والدأب : الاجتهاد في الأمر والاستمرار عليه . (٤) الصخب (بالتحريك) : شدة الأصوات واختلاطها . (٥) استكبروا : استدلوا . وسورة الغضب : حدته . (٦) التجد : ما ارتفع من الأرض . والغور : ما اطمأن منها وانخفض . والعطب : الهلاك . (٧) المضطرب : المذهب يضطرب فيه الناس ، أى يذهبون ويحيثون في أمور حياتهم . يقول : هل بعد هذا اليأس من فسحة تسع فيها آمال مصر في جميع مناحي الحياة ومذاهبها .

(١) نَبِيَّ عَلَى بَلَدٍ سَالَ النَّضَارُ بِهِ * لِلوَافِدِينَ وَأَهْلُوهُ عَلَى سَفِيٍّ
مَتَى نَرَاهُ وَقَدْ بَاتَتْ خَزَائِنُهُ * كَثَرًا مِنَ الْعِلْمِ لَا كَثَرًا مِنَ الذَّهَبِ
(٢) هَذَا هِيَ الْعَمَلُ الْمَبْرُورُ فَأَكْتَبُوا * بِالْمَالِ إِنَّا أَكْتَبْنَا فِيهِ بِالْأَدَبِ

سورية ومصر

انشدها في الحفل الذي أقامه لتكريمه جماعة من السوريين بمنتدى شبرد

[نشرت في ٢٥ مارس سنة ١٩٠٨ م]

(٣) لِمَصْرَامٍ لِرُبُوعِ الشَّامِ تَنْتَسِبُ * هُنَا الْعَمَلُ وَهُنَاكَ الْمَجْدُ وَالْحَسَبُ
(٤) رُكَّانِ الشَّرْقِ لَا زَالَتْ رُبُوعُهُمَا * قَلْبُ الْهَيْلَالِ عَلَيْهَا خَافِقٌ يَجِبُ
(٥) خُذْرَانِ الْقَضَادِ لَمْ تُهْتِكْ سُبُورُهُمَا * وَلَا تَحُولَ عَنْ مَغْنَاهُمَا الْأَدَبُ
(٦) أُمُّ اللُّغَاتِ غَدَاةُ الْفَخْرِ أُمُّهُمَا * وَإِنْ سَأَلْتَ عَنِ الْآبَاءِ فَالْعَرَبُ

(١) النضار : الذهب . والسنب : البلوع . (٢) استعمال «الاكتتاب» بمعنى جمع المال من القوم لمصلحة عامة أو خاصة ، استعمال شائع في كلام أهل مصر ، وهو استعمال شجاذي ؛ وأصله من قولهم : اكتب فلان ، إذا كتب اسمه في ديوان السلطان . ولما كان المتبرعون بالأموال تقيد أسماءهم في سجل مخصوص لذلك ، صح أن يجوز في ذلك ريعير عن جمع الأموال بالاكتتاب .

(٣) أى انتسب إلى أى الأمتين شئت ، فكنتاهما في العلاء والحسب سواء . (٤) وجب عليها وجبا ووجيا ؛ وهو هنا تخاية عن الإشفاق على كلتا الأمتين والرعاية لهما والحرص عليهما . والحلال : شعار الدولة العثمانية . (٥) الضاد : تخاية عن اللغة العربية . والمغنى : المنزل الذي غنى به أهله ، أى أقاموا . (٦) يريد أن الأمتين تجمع بينهما أمومة واحدة وهى اللغة ، وأبوة واحدة ، وهم العرب .

(١) أَرِغْبَانٍ عَنِ الْحُسْنَى وَيَتَّهِمَا * فِي رَائِعَاتِ الْمَعَالِي ذَلِكَ النَّسَبُ
(٢) وَلَا يَمْتَنِينَ بِالْقُرْبَى وَيَتَّهِمَا * تِلْكَ الْقَرَابَةُ لَمْ يَقْطَعْ لَهَا سَبَبُ
(٣) إِذَا أَلَمَتْ بِوَادِي النَّيْلِ نَازِلَةً * بَاتَتْ لَهَا رَاسِيَاتُ الشَّامِ تَضْطَرِبُ
(٤) وَإِنْ دَعَا فِي تَرَى الْأَهْرَامِ ذُو أَلَمٍ * أَجَابَهُ فِي ذُرَا بُنَانٍ مُتَحَبِّبُ
(٥) لَوْ أَخْلَصَ النَّيْلُ وَالْأَرْدُنُّ وَدَّهْمَا * تَصَاحَفَتَ مِنْهُمَا الْأَمْوَاءُ وَالْعُشْبُ
(٦) بِالْوَادِيَيْنِ تَمْشِي الْفَخْرُ مِشْيَتَهُ * يَحْفُفُ نَاحِيَّتَهُ الْجُودُ وَالذَّأْبُ
(٧) فَسَالَ هَذَا سَخَاءً دُونَهُ دِيمٌ * وَسَالَ هَذَا مَضَاءً دُونَهُ الْقَضْبُ
نَسِيمَ بُنَانٍ كَمْ جَادَتْكَ عَاطِرَةٌ * مِنَ الرِّيَاضِ وَكَمْ حَيَّاكَ مُنْسَكِبُ
(٨) فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ أَتْقَاسُ مَسْعَرَةٍ * تَهْفُو إِلَيْكَ وَأَكْبَادُهَا لَهْبُ
(٩) لَوْلَا طِلَابُ الْعُلَا لَمْ يَتَقَفُوا بَدَلًا * مِنْ طَيْبِ رِيَاكَ لَكِنَّ الْعُلَا تَعْبُ
(١٠) كَمْ غَادِيَةٌ بِرُبُوعِ الشَّامِ بَاكِئَةٌ * عَلَى أَلْفٍ لَهَا يَرِيحِي بِهِ الطَّلَبُ

- (١) ارغبان عن الحسنى : ينصرفان عن حسن الجوار . ورائعات المعالي : ما ظهر منها ووضح .
(٢) مت إليه بكذا : توصل إليه به . (٣) ألت : نزلت . وراسيات الشام : جبالها .
(٤) ذرا لبنان : مرتفعاته وأعالیه ، الواحدة ذروة . (٥) الأردن : نهري فلسطين معروف .
والأمواء : جمع ماء . (٦) الذأب (بالتحريك) : الجحد والاجتهاد . (٧) الديم
من السحب : جمع ديمة ، وهى الدائمة المطر . والقضب : السيوف القواطع ، الواحد قضيب ، فعل
بمعنى فاعل . يشير بالشر الأول إلى وادى النيل ، وبالشر الثانى إلى وادى الأردن . (٨) مسعرة :
مطلبية من الشوق . وتهفو : تميل . ويشير الى حنين رجال لبنان الثائين عن وطنهم فى أنحاء الأرض طلبا
للرزق . (٩) الريا : الرائحة الطيبة . (١٠) الغادية : الفتاة الخثنية لينا ونعومة .
« ويرى » الخ ، أى يقذف به طلب الرزق فى أنحاء البلاد .

(١) يَمْضَى وَلَا حِيلَةَ إِلَّا عَزِمَتْهُ * وَيَنْتَنِي وَحُلَاهُ الْجَدُّ وَالذَّهَبُ
(٢) يَكُرُّ صَرْفُ اللَّيَالِي عَنْهُ مُتَقَلِّبًا * وَعَزَمُهُ لَيْسَ يَدْرِي كَيْفَ يَنْقَلِبُ
(٣) بِأَرْضِ (كَوْلَب) أَبْطَالُ غَطَارِفَةٍ * أَسَدٌ جِيَاعٌ إِذَا مَا وَوَبُوا وَثَبُوا
(٤) لَمْ يَحْجِمْهُمْ عِلْمٌ فِيهَا وَلَا عُدَدٌ * سَوَى مَضَاءٍ تَحَامَى وَرَدَهُ النُّوبُ
(٥) أَسْطُولُهُمْ أَمَلٌ فِي الْبَحْرِ مُرْتَحِلٌ * وَجَيْشُهُمْ عَمَلٌ فِي الْبَرِّ مُغْتَرِبٌ
(٦) لَهُمْ بِكُلِّ خِصْمٍ مُسَرَّبٌ نَهْجٌ * وَفِي ذُرَا كُلِّ طَوْدٍ مَسْلُوكٌ عَجَبٌ
(٧) لَمْ تَبْدُ بَارِقَةً فِي أَفْقٍ مُتَجَجِّعٍ * إِلَّا وَكَانَ لَهَا بِالشَّامِ مُرْتَقِبٌ
مَا عَابَهُمْ أَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ قَدْ نَثَرُوا * فَالشَّهْبُ مُثَوَّرَةٌ مَدَّ كَانَتْ الشَّهْبُ

(١) يقول : إن هذا الطالب يذهب على وجهه غير مزود إلا بزعمة ماذقة ، ويعود متحلياً بجلى الخجد ، وموفور الثراء والغنى . (٢) « يكر صرف الليالي عنه » الخ ، يقول : إن نواب الأيام ترتد عنه متقلبة وعزمه ثابت ماض في سبيله لا يتغير ولا يتبدل . (٣) أرض كولب : أمريكا أضيفت الى مكتشفها . والقطارفة : السادة الثراء والسرارة من الناس ، الواحد غطريف وغطراف . ويريد رجال لبنان المهاجرين الى أمريكا . وإذا ما ووبوا وثبوا ، أى اذا ما اعتدى عليهم انتصفوا لأقسامهم . والموائية بين الخصمين : أن ينب كل منهما على صاحبه . (٤) تحامى : تحامى ، فحذف إحدى التاءين للتخفيف . ويريد بقوله : « لم يحجمهم علم » : أنهم ليسوا أصحاب سفارة يحتمون بها وإنما يحتمون بمضائهم وعزمهم الذين ترتد عنهم نواب الأيام كهيئة مهزومة . (٥) يقول : إنهم لا أسطول لهم ولا جيش غير الأمل البعيد والعمل للرزق في كل مكان . (٦) الخضم : البحر . والمسرب : الطريق . والتج من الطرق (بتسكين الهاء) : الواضح المسلك منها ؛ وحرك الهاء بالفتح لضرورة الوزن . « وذرا كل طود » ، أى أعلى كل جبل . (٧) المتجعج : مكان الانتخاب ، أى طلب الرزق . يقول : إنه قد بلغ من سعمهم على الرزق أنه لا تظهر علامة تنبئ بوجوده في مكان إلا وجدت من رجال الشام من يرقبها ويسبق الناس إليها .

- (١) وَلَمْ يَضْرِبْهُمْ سُرَّاءَ فِي مَنَاجِبِهَا * فَكُلُّ حَيٍّ لَهُ فِي الْكَوْنِ مُضْطَرَبٌ
(٢) رَأَدُوا الْمَنَاهِلَ فِي الدُّنْيَا وَلَوْ وَجَدُوا * إِلَى الْحَجَرَةِ رَكْبًا صَاعِدًا رَكِبُوا
(٣) أَوْ قِيلَ فِي الشَّمْسِ لِلزَّاجِنِ مُتَجَعٌ * مَدُّوا لَهَا سَبَبًا فِي الْجَوِّ وَاتَّجَدُّوا
(٤) سَعَوْا إِلَى الْكَسْبِ مَحْمُودًا وَمَا قَنَّتْ * أُمُّ اللَّغَاتِ بِذَلِكَ السَّعْيِ تَكْتَسِبُ
فَأَيْنَ كَانَ الشَّامِيُّونَ كَانَ لَهَا * عَيْشٌ جَدِيدٌ وَفَضْلٌ لَيْسَ يَحْتَاجُ
هَذِي يَدِي عَنْ نَبِيٍّ مُضِرٍّ نَصَاحَتُكُمْ * فَصَاحُوهَا تُصَافِحُ نَفْسَهَا الْعَرَبُ
فَمَا الْكَانَةُ إِلَّا الشَّامُ عَاجَ عَلَى * رُبُوعِهَا مِنْ بَيْنِهَا سَادَةُ مُجَبِّ
لَوْلَا رِجَالٌ تَغَالَوْا فِي سِيَاسَتِهِمْ * مِنَّا وَمِنْهُمْ لَمَّا لَمْنَا وَلَا عَتَبُوا
إِنْ يَكْتُبُوا إِلَى ذَنْبٍ فِي مَوَدَّتِهِمْ * فَإِنَّمَا الْفَخْرُ فِي الذَّنْبِ الَّذِي كَتَبُوا

- (١) السرى (مقصودا ومدد الشعر) : السير بالليل . وما كب الأرض : نواحيها . والمضطرب : المذهب يضطرب فيه الناس ، أى يذهبون ويحيثون .
(٢) رادوا : طلبوا . والمناهل : الموارد .
(٣) انتدب فلان للأمر : خف إليه .
(٤) يريد بقوله : « وما قنت » الخ : أنهم يشتركون اللغة العربية حيثما حلوا ؛ وفي ذلك كسب لها .
(٥) عاج على المكان : مال إليه .
(٦) يقول : لولا جماعة المفرقين بين القطرين وتغالهم في ذلك ، لما وقع بيننا ما يوجب اللوم منا ولا العتاب منهم .
(٧) الضمير في « مودتهم » السوريين .

في الحث على تعزيد مشروع الجامعة

أنشدها في الحفل الذي أقيم في « تياتر برتانيا » في ٨ مايو سنة ١٩٠٨ م

- (١)
حَيَّاكُمْ اللَّهُ أَحْيُوا الْعِلْمَ وَالْأَدَبَا * إِنَّ تَنْشُرُوا الْعِلْمَ يَنْشُرْكُمْ الْعَرَبَا
وَلَا حَيَاةَ لَكُمْ إِلَّا بِجَامِعِيَةِ * تَكُونُ أُمَّا لَطُلَّابِ الْعِلْمِ وَأَبَا
تَبْنِي الرِّجَالَ رَبَّنِي كُلَّ شَاهِقِيَةِ * مِنَ الْمَعَالِي وَتَبْنِي الْعِزَّ وَالْغَلْبَا
ضَعُوا الْقُلُوبَ أَسَاسًا لَا أَقُولُ لَكُمْ * ضَعُوا النُّصَارَ فَإِنِّي أَصْغِرُ الذَّهَبَا
(٢)
وَأَبْنُوا بَأْجَادَكُمْ سُورًا لَهَا وَدَعُوا * قِيلَ الْعَدُوِّ فَإِنِّي أَعْرِفُ السَّبَبَا
(٣)
لَا تَقْنَطُوا إِن قَرَأْتُمْ مَا يُزَوِّقُهُ * ذَاكَ الْعَمِيدُ وَيَمِيكُمُ بِهِ غَضَبَا
(٤)
وَرَأَيْتُمْ يَوْمَ لَا تُغْنِي حَصَائِدُهُ * فَكُلُّ حَيٍّ سَيُجْزَى بِالَّذِي اكْتَسَبَا
(٥)
بَنَى عَلَى الْإِنْفِكَ أَبْرَاجًا مُشِيدَةً * فَابْنُوا عَلَى الْحَقِّ بُرْجًا يَنْطَعُ الشُّهُبَا
(٦)
وَجَاوِبُوهُ بِفَعْلٍ لَا يَقْوُضُهُ * قَوْلُ الْمُفْنِدِ أَنِّي قَالَ أَوْ خَطَبَا
(٧)
لَا تَهْجَعُوا إِنَّهُمْ لَنْ يَهْجَعُوا أَبَدًا * وَطَالِبُوهُمْ وَلَكِنْ أَجْلُوا الطَّلَبَا

(١) « ينشر » الخ، أى يبعث فيكم مجد العرب كما كان أولا .

(٢) قيل العدو، أى قوله .

(٣) يشير إلى ما كان يقيمه عميد الدولة الإنجليزية من المقبات في سبيل إنشاء الجامعة، وما كان يهتم به المصريين وريمهم به من أنهم ليسوا أهلا للتعليم العالي . (٤) حصائده، أى حصائد العميد، أى ما يقوله من الكلام الذى لا قيمة له لينتج به الزاتم عن إنشاء الجامعة .

(٥) الإنفك : المكذب . (٦) يقوِّضه : يهدمه . والمفند : المكذب .

(٧) الضمير في « إنهم » للانجليز . وأجل في الطلب : ترقى .

- (١) هل جاءكم نبأ القوم الآلى درجوا * وخلفوا للورى من ذكركم عجا
(٢) عزت (قرطاجة) الأمراس فأرثنت * فيها السفين وأمسى حبلىها أضطربا
(٣) والحرب فى لى، والقوم فى حرب * قد مد تقع المنايا فوقهم طنبا
(٤) ودوا بها وجوارىهم معطلة * لو أن أهدابهم كانت لها سببا
(٥) هنالك الغيد جادت بالذى بخلت * به دلا لا فقامت بالذى وجبا
(٦) جرت غداثر شعر مَرَحَتْ سُفُنَا * واستنقذت وطنا واسترجعت نسا
(٧) رأيت حلاها على الأوطان فابتهجت * ولم تحسر على الحلى الذى ذهب
(٨) وزادها ذاك حسنا وهى عاطلة * تزهى على من مشى للحرب أوريا
(٩) و (برتران) الذى حاك الإباء له * ثوبا من الفخر أبلى الدهر والحقب

- (١) درجوا : مضوا وذهبوا . ويريد «بالقوم» : أهل قرطاجة الآتى ذكرهم .
(٢) قرطاجة ، يريد قرطاجة ، وهى مدينة على شاطئ أفريقية الشمال بالقرب من موقع مدينة تونس الحالية ، أنشئت فى القرن التاسع قبل الميلاد . والأمراس : الحبال . عزت : قلت . ويشير هذا البيت إلى الحرب البونية الثالثة التى وقعت بين الرومان والقرطاجيين من سنة ١٤٩ ق م . إلى سنة ١٤٦ ق م . والتى قلت فيها حبال السفن عند القرطاجيين ، فذكر بعض المؤرخين أن نساءهم جدن بشورهن لتخذ منها تلك الحبال .
(٣) الحرب (بالبحريك) : الهلاك والويل . والتق : الغبار . ويريد «بالطنب» : الخيام ، شبه بها غبار الحرب . والطنب (فى الأصل) : حبال الخيام . (٤) الجوارى : السفن . (٥) الغيد : جمع غيداء ، وهى الفتاة المثنية لينا . (٦) الغداثر : جمع غديرة ، وهى الذراية من الشعر . والنشب : المسال والقمار . (٧) «رأت حلاها على الأوطان» أى رأت غداثرها تبذل فى الدفاع عن الوطن . وتحسر : تحسّر . (٨) الضمير فى قوله : «زادها» الغيد . «وتزهى» : تتخال وتفتخر . (٩) حاك : نسج . وبرتران : قائد فرنسى ولد سنة ١٧٧٣ م ، ودخل الخدمة العسكرية سنة ١٧٩٢ ضابطا ، وجاء مع نابليون إلى مصر حيث جعله قائدا للدفع . وقد صاحب نابليون إلى (جزيرة الباء) ثم إلى (جزيرة حنت هيلانة) حيث لبث معه إلى سنة ١٨٢١ ؛ وكانت وفاته سنة ١٨٤٤ وقد ذكر الشاعر قصته مفصلة فى الأبيات الآتية .

أَقَامَ فِي الْأَسْرِ حِينًا ثُمَّ قِيلَ لَهُ : * أَلَمْ يَنْ أَنْ تُقَدِّ الْمَجْدَ وَالْحَسَبَا
 قُلْ وَأَحْكِمِ أَنْتَ مُخْتَارٌ، فَقَالَ لَهُمْ : * إِنَّا رَجَالُ نُهَيْبٍ الْمَالِ وَالنَّشْبَا
 خُذُوا الْقَنَاطِيرَ مِنْ تَبَرٍ مُقَنْطَرَةٍ * يُحْشَرُ حَاظِنُكُمْ فِي عَدِّهَا تَعْبَا^(١)
 قَالُوا : حَكَمْتَ بِمَا لَا تَسْتَطِيعُ لَهُ * حَمَلًا نَكَادُ تَرَى مَا قُلْتَهُ لَعِبَا
 فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا فِي الْحَيِّ غَايِلَةٌ * مِنَ الْجِسَانِ تَرَى فِي فِدَيْتِي نَصْبَا^(٢)
 لَوْ أَنَّهُمْ كَلَّفُوهَا بَيْعَ مِغْرَلِهَا * لَا تَرْتِنِي وَصَحَّتْ قُوَّتُهَا رَغْبَا
 هَذَا هُوَ الْأَثَرُ الْبَاقِي فَلَا تَقْفُوا * عِنْدَ الْكَلَامِ إِذَا حَاوَلْتُمْ أَرْبَا
 وَدُونَكُمْ مَثَلًا أَوْشَكْتُ أَضْرِبُهُ * فَيْكُمْ وَفِي مِصْرَ إِنْ صَدَقًا وَإِنْ كَذِبَا
 سَمِعْتُ أَنْ أَمْرًا قَدْ كَانَ يَأْلُفُهُ * كَلْبٌ فَعَاشَا عَلَى الْإِخْلَاصِ وَأَصْطَحَبَا
 فَرَّيَوْمًا بِهِ وَالْجُوعُ يَنْهَبُهُ * نَهَبًا فَلَمْ يُبْقِ إِلَّا الْجِلْدَ وَالْعَصْبَا
 فَظَلَّ يَبْكِي عَلَيْهِ حِينَ أَبْصَرَهُ * يُزُولُ ضَعْفًا وَيَقْضَى نَجْبَهُ سَغْبَا^(٣)
 يَبْكِي عَلَيْهِ وَفِي يُمْنَاهُ أَرْغَفَةٌ * لَوْ شَامَهَا جَائِعٌ مِنْ فَرْسَخٍ وَثْبَا^(٤)
 فَقَالَ قَوْمٌ وَقَدْ رَفُّوا لِذِي أَلَمٍ * وَذِي أَلَمٍ يَسْتَقِيلُ الْعَطْبَا^(٥)
 مَا خَطَبُ ذَا الْكَلْبِ؟ قَالَ : الْجُوعُ يَخْطِفُهُ * مَنِّي وَيُنْشِبُ فِيهِ النَّابَ مُعْتَصِبَا
 قَالُوا وَقَدْ أَبْصَرُوا الرُّغْفَانَ زَاهِيَةً : * هَذَا الدَّوَاءُ فَهَلْ عَالَجَتْهُ فَأَبَى؟

(١) التبر : الذهب . ويخور : يضعف ويفتر . (٢) النصب : التعب .

(٣) سبأ : جوعا . (٤) شامها : نظر إليها . (٥) يريد بذى الألم الأثر :

صاحب الكلب . وبذى الألم الثاني : الكلب . والعطب : الهلاك .

(١) أَجَابَهُمْ وَدَوَاعِيَ الشُّحِّ قَدْ ضَرَبَتْ * بَيْنَ الصَّدِيقَيْنِ مِنْ قَرِطِ الْقَلَى حُجْبًا
لِذَلِكَ الْحَسَدُ لَمْ تَبْلُغْ مَوَدَّتَنَا * أَمَا كَفَى أَنْ يَرَانِي الْيَوْمَ مُتَحِبًّا
هَذِي دُمُوعِي عَلَى الْحَدِيدِ جَارِيَةً * حُزْنًا وَهَذَا فُؤَادِي يَرْتَعِي لَهَا
(٢) أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ إِنْ كَانَتْ مَوَدَّتَنَا * كَصَاحِبِ الْكَلْبِ سَاءَ الْأَمْرِ مُقْبَلًا
أَعِيدُكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِثْلَهُ فَتَرَى * مِنْكُمْ بُكَاءٌ وَلَا نُفْيَ لَكُمْ دَابًّا
(٣) إِنْ تَقْرِضُوا اللَّهَ فِي أَوْطَانِكُمْ فَلَكُمْ * أَجْرُ الْمُجَاهِدِ، طُوبَى لِلَّذِي أَكْتَبَ

رعاية الأطفال

أُنشدها في الحفل الذي أقامته هذه الجمعية في الأوبرا في ٨ أبريل سنة ١٩١٠ م

(٤) شَبَحًا أَرَى أَمْ ذَاكَ طَيْفُ خَيَالٍ * لَا، بَلْ قَتَاةٌ بِالْعَرَاءِ حَيَالٍ
(٥) أَمَسَتْ بِمَدْرَجَةِ الْخُطُوبِ فَمَا لَهَا * رَاجٍ هُنَاكَ وَمَا لَهَا مِنْ وَالٍ
(٦) حَسْرَى، تَكَادُ تُعِيدُ قَحْمَةً لَيْلَهَا * نَارًا بَانَاتٍ ذَكَيْنَ طِوَالٍ
(٧) مَا خَطْبُهَا، عَجَبًا، وَمَا خَطْبِي بِهَا ؟ * مَا لِي أَشَاطِرُهَا الْوَجِيعَةَ مَا لِي ؟
(٨) دَانَيْتُهَا وَلَصَوْتَهَا فِي مِسْمِي * وَقَعُ النَّبَالِ عَطْفَنَ إِثْرِ نِبَالٍ

- (١) القلى : البض والكرامية . (٢) المقلب : المربع والمصير :
(٣) الدأب : الجد والاجتهاد . (٤) العراء (فتح العين) : الفضاء الذي لا يستتر فيه بشي .
(٥) مدرجة الخطوب، أى طريق الترائب . (٦) ذكين، أى توقدن واشتعلن .
(٧) ما خطبها، أى ما شأنها . (٨) عطفن : رجعن .

(١) وسألتها : مَنْ أَنْتِ ؟ وهى كأنها * رَسَمٌ عَلَى طَلَلٍ مِنَ الْأَطْلَالِ
 فَعَمَلْتُ جَزْماً وَقَالَتْ : حَامِلٌ * لَمْ تَذِرْ طَعْمَ الْقَمِيضِ مُنْذُ لَبَايِ
 (٢) قَدْ مَاتَ وَالِدُهَا ، وَمَاتَتْ أُمُّهَا * وَمَضَى الْحِمَامُ بِعَمَّهَا وَالْحَالِ
 وَإِلَى هُنَا حَبَسَ الْحَيَاءُ لِسَانَهَا * وَجَرَى الْبُكَاءُ بِدَمْعِهَا الْمَطَالِ
 فَعَلِمْتُ مَا تُخْفِي الْفَنَاءُ وَإِنَّمَا * يَحْنُو عَلَى أَمْثَالِهَا أَمْثَالِي
 (٣) وَوَقَفْتُ أَنْظُرُهَا كَأَنِّي عَابِدٌ * فِي هَيْكَلٍ يَرْتُو إِلَى تِمْتَالِ
 (٤) وَرَأَيْتُ آيَاتِ الْجَمَالِ تَكْفُلْتُ * بِزَوَاهِرِ فَوَادِحِ الْأَتْقَالِ
 لَا شَيْءَ أَفْعَلُ فِي الثُّغُورِ كَقَامَةِ * هَيْفَاءَ رَوْعِهَا الْأَسَى بِهِ زَالِ
 (٥) أَوْ غَادَةٍ كَانَتْ تُرِيكَ إِذَا بَدَتْ * شَمْسَ النَّهَارِ فَأَصْبَحَتْ كَالْآلِ
 (٦) قُلْتُ : أَنْهَضِي ، قَالَتْ : أَيْنَهُضُ مَيِّتٌ * مِنْ قَبْرِهِ وَيَسِيرُ شَرْبٌ بِالِي
 فَعَمَلْتُ هَيْكَلَ عَظِيمِهَا وَكَأَنِّي * حُمَلْتُ حِينَ حَمَلْتُ عُودَ خِلَالِ
 (٧) وَطَفِيفْتُ أَنْتَهَبُ الْخَطَا مُتِمِّمًا * بِاللَّيْلِ (دَارَ رِيعَايَةِ الْأَطْفَالِ)
 (٨) أَمْشِي وَأَحْمِلُ بِأَيْسَرٍ : فَطَارِقُ * بَابَ الْحَيَاةِ وَمُؤَذِّنُ بَزْوَالِ

(١) الرسم : أثر الدار بعد بلاها . شبه هذه الفتاة برسوم الأطلال في النحول والضعف .

(٢) الحمام : الموت . (٣) يرنو : ينظر .

(٤) يريد « فوادح الأتقال » : نواب الدهر التي لا تخمد لتقلها . (٥) الآل : السراب .

(٦) التَّن : القرعة الخلق البالية . (٧) انتهب الخطا ، أى أسرع في السر . ومتيمما : قاصدا .

(٨) طارق باب الحياة : الجنين . ويريد « بالمؤذن بالزوال » : أمه .

(١) أَتَيْكُمَا وَكَأَنَّمَا أَنَا ثَالِثٌ * لَهَا مِنَ الْإِشْفَاقِ وَالْإِعْوَالِ
 وَطَرَقَتْ بَابَ الدَّارِ لَا مُتَبَيِّئًا * أَحَدًا وَلَا مُتَرَقِّبًا لِسُؤَالِ
 طَرَقِ الْمُسَافِرِ آتٍ مِنْ أَسْفَارِهِ * أَوْ طَرَقَ رَبَّ الدَّارِ غَيْرَ مُبَالِي
 (٢) وَإِذَا بِأَصْوَاتٍ تَصْبِحُ: أَلَا أَفْتَحُوا * دَقَاتُ مَرْضَى مُدْلِحِينَ عِجَالِ
 وَإِذَا بِأَيْدٍ طَاهِرَاتٍ عُدَّتْ * صُنْعَ الْجَبِيلِ تَطَوَّعَتْ فِي الْحَالِ
 جَاءَتْ تُسَاقِي فِي الْمَبَرَّةِ بَعْضُهَا * بَعْضًا لَوْجِهِ اللَّهُ لَا لِلَّالِ
 (٣) فَتَنَاولَتْ بِالرُّفْقِ مَا أَنَا حَامِلٌ * كَالْأَمِّ تَكَلًُّا طِفْلَهَا وَتُوَالِي
 وَإِذَا الطَّيِّبُ مُشَمَّرٌ وَإِذَا يَهَا * فَوْقَ الْوَسَائِدِ فِي مَكَانٍ عَالِي
 جَاءُوا بِأَنْوَاعِ الدَّوَاءِ وَطَوَّفُوا * بِسَرِيرِ ضَيْقِهِمْ كَبَعْضِ الْآلِ
 (٤) وَجَنَّا الطَّيِّبُ يُحْسِنُ نَبْضًا خَافِنًا * وَيُرُودُ مَكْنَنَ دَائِهَا الْقَتَالِ
 (٥) لَمْ يَدْرِ حِينَ دَنَا لِيَلْوُ قَلْبَهَا * دَقَاتِ قَلْبِ أُمِّ دَيْبَ نِمَالِ
 وَدَعَتْهَا وَتَرَكَّتْهَا فِي أَهْلِهَا * وَخَرَجَتْ مُنْشِرَحًا رِضَى الْبَالِ
 (٦) وَعَجَزَتْ عَنْ شُكْرِ الَّذِينَ تَجَرَّدُوا * لِلْبَاقِيَاتِ وَصَالِحِ الْأَعْمَالِ
 لَمْ يُحِطْ لُوحًا بِالسُّؤَالِ عَنْ أَسْمِهَا * تِلْكَ الْمُرُوءَةُ وَالشُّعُورُ الْعَالِي

(١) الإيعال : البكاء . (٢) المدبلجون : السائرون بالليل . والعجال : المسرعون .

(٣) 'تكلًا' : تحفظ وتحرس . وتواليه : تتمهده وتحنوله . (٤) جتا يجتو : جلس على

ركبته . والخلافت : الضعيف . ويرود : يطلب ويتعرف . ويمكن دائها : حيث يخفى الداء من جسمها .

(٥) يلو : يختبر . (٦) تجرد لاه : أخل نفسه له . والباقيات : الآثار التي تبقى بعد صاحبها .

(١)
 خَيْرُ الصَّنَائِعِ فِي الْأَنَامِ صَنِيعَةٌ * تَتَّبِعُوا بِحَامِلِهَا عَنِ الْإِذْلَالِ
 وَإِذَا النَّوَالُ أَتَى وَلَمْ يَهْرِقْ لَهُ * مَاءُ الْوُجُوهِ فَذَلِكَ خَيْرُ نَوَالٍ
 مَنْ جَادَ مِنْ بَعْدِ السُّؤَالِ فَإِنَّهُ * وَهُوَ الْجَوَادُ - يُعَدُّ فِي الْبُخَالِ
 لِلَّهِ دَرَاهِمُ فَكَمْ مِنْ بَائِسٍ * جَمَّ الْوَجِيعَةُ سَيِّئُ الْأَحْوَالِ
 تَرْمِي بِهِ الدُّنْيَا، فَمِنْ جُوعٍ، إِلَى * عُزْرِي، إِلَى سُقْمٍ، إِلَى إِفْلَاقِ
 عَيْنٍ مَسْهُودَةٍ وَقَلْبٍ وَاجِفٍ * نَفْسٌ مُرَوَّعَةٌ وَجِبِّ خَالِي
 لَمْ يَدِرْ نَظِيرُهُ أَعْرَانَا يَرَى * أَمْ كَاسِيًا فِي تِلْكَ الْأَسْمَالِ
 فَكَأَنَّ نَاحِلَ جَسَمِهِ فِي ثَوْبِهِ * خَلَفَ الْخُرُوقُ يُطْلُ مِنْ غِرَابِ
 يَا بَرْدُ، فَاجْلِ، قَدْ ظَفِرْتَ بِأَعْرَلٍ * يَا حَرُّ، تِلْكَ فِرَيسَةُ الْمُغْتَالِ
 يَا عَيْنُ سَعَى، يَا قُلُوبُ تَقْطِرِي * يَا نَفْسُ رِقَى يَا مُرَوَّعَةٌ وَإِلَى
 لَوْلَاهُمْ لَقَضَى عَلَيْهِ شَقَاؤُهُ * وَخَلَا الْمَجَالُ لَخَاطِيفِ الْأَجَالِ
 لَوْلَاهُمْ كَانَ الرَّدَى وَقَفَا عَلَى * نَفْسِ الْفَقِيرِ ثَقِيلَةَ الْأَحْمَالِ
 اللَّهُ دُرُّ السَّاهِرِينَ عَلَى الْآلَى * سَهَرُوا مِنَ الْأَوْجَاعِ وَالْأَوْجَالِ
 الْقَائِمِينَ بِخَيْرٍ مَا جَاءَتْ بِهِ * مَدَنِيَّةُ الْأَدْيَانِ وَالْأَجَالِ

- (١) الصنعة: الإحسان. «وتتبعوا بحاملها» الخ، أى يتبع من تقلدها عن القل. (٢) مسهدة: ساهرة. والواجف: الخائف. والمروعة: المفزعة. (٣) الأسمال: الخرق البالية. (٤) الأعزل: الذى لا سلاح معه. ويريد به العارى من الثياب. يقول: أيها البرد احمل على هذا العارى وهاجحه فليس لديه ما يتقيك به. (٥) خاطف الأجال: الموت. (٦) الأوجال: المخاوف.

(١)
 أَهْلُ الْيَتِيمِ وَكَهْفُهُ وَحُمَاتِهِ * وَرَيْحُ أَهْلِ الْبُؤْسِ وَالْإِمْحَالِ
 لَا تُهْمِلُوا فِي الصَّالِحَاتِ فَإِنَّكُمْ * لَا تَجْهَلُونَ عَوَاقِبَ الْإِمْعَالِ
 إِنِّي أَرَىٰ فَقْرَاءَكُمْ فِي حَاجَةٍ * — لَوْ تَعْلَمُونَ — لِقَائِلِ فَعَالِ
 فَتَسْبَقُوا الْخَيْرَاتِ فَهِيَ أَمَامَكُمْ * مِيدَانُ سَبَقِ الْجَوَادِ النَّالِ
 وَالْمُحْسِنُونَ لَهُمْ عَلَىٰ إِحْسَانِهِمْ * يَوْمَ الْإِنَابَةِ عَشْرَةُ الْأَمْثَالِ
 وَجَزَاءُ رَبِّ الْمُحْسِنِينَ يَجِلُّ عَنْ * عَدٍّ وَعَنْ وَزْنٍ وَعَنْ مِكْيَالِ

مدرسة البنات ببور سعيد

أُنشدها في حفل أقيم ببور سعيد في ٢٩ مايو سنة ١٩١٠ م لإغاثة تلك المدرسة

كَمْ ذَا يُكَادُ عَاشِقٌ وَيُلَاقِي * فِي حُبِّ مِصْرَ كَثِيرَةَ الْعُشَاقِ
 (٤)
 إِنِّي لَأَحِمْلُ فِي هَوَاكِ صَبَابَةً * يَا مِصْرُ قَدْ تَحَرَّجْتُ عَنْ الْأَطْوَاقِ
 لَهْفِي عَلَيْكَ مَتَىٰ أَرَاكَ طَلِيقَةً * يَجِيئُ كَرِيمَ جِهَامِكَ شَعْبٌ رَاقِي
 (٥)
 كَلَّفَ بِمَحْمُودِ الْخِلَالِ مَتِّيمٌ * بِالْبَذْلِ بَيْنَ يَدَيْكَ وَالْإِنْفَاقِ
 إِنِّي لَتُطْرِئُنِي الْخِلَالَ كَرِيمَةً * طَرَبَ الْغَرِيبِ بِأَوِيَّةٍ وَتَلَاقِ

- (١) الكهف : الملبأ والمختبئ . ويريد بقوله : ربيع أهل البؤس : أنهم للبائسين بمنزلة الربيع
 أي خصب وخير . والإمحال : الجذب . (٢) الجواد : الكريم . والثال : الكثير التائل
 وهو العطاء . (٣) الإنابة : الجزاء . ويشير إلى قوله تعالى : (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) .
 (٤) الأطواق : جمع طوق ، وهو الجهد والطاقة . (٥) الكلف (ففتح الكاف وكسر
 اللام) : الشد يد الحب للشيء .

وَهَزْنِي ذِكْرِي الْمُرُوءَةِ وَالنَّدَى * يَنْبِ الشَّمَائِلِ هِزَّةَ الْمُشْتَاكِ
(١)
مَا الْبَابِلِيَّةُ فِي صَفَاءِ مَزَاجِهَا * وَالشَّرْبُ بَيْنَ تَنَافُسٍ وَسِبَاقِ
وَالشَّمْسُ تَبْدُو فِي الْكُثُوسِ وَتَخْفَى * وَالْبَدْرُ يُشْرِقُ مِنْ جَبِينِ السَّاقِي
(٢)
بِأَلَدٍّ مِنْ خُلُقِي كَرِيمٍ طَاهِرٍ * قَدْ مَا زَجَّتْهُ سَلَامَةُ الْأَذْوَاقِ
(٣)
فَإِذَا رُزِقْتَ خَلِيقَةً مَجْمُودَةً * فَقَدْ أَصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الْأَرْزَاقِ
فَالنَّاسُ هَذَا حَظُّهُ مَالٌ ، وَذَا * عِلْمٌ ، وَذَاكَ مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ
(٤)
وَالْمَالُ إِنْ لَمْ تَدْخِرْهُ مُحْصَنًا * بِالْعِلْمِ كَانَ نِهَايَةَ الْإِمْلَاقِ
(٥)
وَالْعِلْمُ إِنْ لَمْ تَكْتَفِهُ شَمَائِلُ * تُعْلِيهِ كَانَ مِطِيطَةَ الْإِخْفَاقِ
(٦)
لَا تَحْسَبَنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُ وَحْدَهُ * مَا لَمْ يُتَوَّجْ رَبُّهُ بِخَلْقِ
(٧)
كَمْ عَالِمٌ مَدَّ الْعُلُومَ حَبَائِلًا * لَوْ قِيعَةٍ وَقِطِيعَةٍ وَفِرَاقِ
(٨)
وَفَقِيهِ قَوْمٌ ظَلَّ يَرْصُدُ فَقْهَهُ * لِمَكِيدَةٍ أَوْ مُسْتَحَلٍّ طَلَاقِ
يَمْشِي وَقَدْ نُصِبَتْ عَلَيْهِ عِمَامَةٌ * كَالْبُرْجِ لَكِنْ فَوْقَ تَلٍّ نِفَاقِ

- (١) البابلية : النمر ، نسبة إلى بابل ، وهي ناحية بالعراق كان ينسب إليها النمر الجيد . والشرب :
الشاربون . ويريد « بالسباق » : المسابقة في شرب النمر . (٢) ألد : خبر لـ « ما » في قوله السابق :
« ما البابلية » . (٣) الخليفة : السجية والطبيعة . (٤) الإملاق : الفقر .
(٥) تكتفه ، أي تحوطه وتحفظه . والشائيل : الأخلاق . والإخفاق : خيبة المسعى .
(٦) الإخلاق : النصيب من الصلاح والخير . (٧) حبايل الصيد : الأشراك التي يمدّها الصائد
للاصطياد ، الواحدة حبال . والوقية : غية الناس . والقطيعة ، هي قطع الصلات بين الناس بما تلقى
بينهم من التمام (٨) يرصد فقعه ، أي يعدّه ويهيئه .

- (١) يَدْعُوهُ عِنْدَ الشَّقَاكِ وَمَادَرُوا * أَنْتَ الَّذِي يَدْعُونَ خِذْنِ شِقَاقِي
وَطِيبِ قَوْمٍ قَدْ أَحَلَّ لِيْطَبَهُ * مَا لَا تُحِلُّ شَرِيْعَةُ الْخَلْقِ
(٢) قَتَلَ الْأَجِنَّةَ فِي الْبُطُونِ وَتَارَةً * جَمَعَ الدَّوَاتِقَ مِنْ دِيمٍ مُهْرَاقِ
أَغْلَى وَأَثْمَنُ مِنْ تَجَارِبِ عَلَيْهِ * يَوْمَ الْفَخَارِ تَجَارِبِ الْخَلْقِ
(٣) وَمُهَنْدِسٍ لِلنَّيْلِ بَاتَ بِكَفِّهِ * مِفْتَاحُ رِزْقِ الْعَامِلِ الْمَطْرَاقِ
(٤) تَنَدَّى وَتَبَسَّسَ لِلْخَلَائِقِ كَفَّهُ * بِالمَاءِ طَوَّعَ الْأَصْفَرَ الْبَرَّاقِ
(٥) لَا شَيْءَ يَلْوِي مِنْ هَوَاهُ فَخْذَهُ * فِي السَّلْبِ حَدُّ الْخَائِنِ السَّرَّاقِ
وَأَدِيبِ قَوْمٍ تَسْتَحِقُّ يَمِينُهُ * قَطَعَ الْأَنَامِلَ أَوْ لَظَى الْإِحْرَاقِ
يَلْهُو وَيَلْعَبُ بِالْعُقُولِ بَيَانُهُ * فَكَأَنَّهُ فِي السَّحْرِ رُقِيَّةٌ رَافِي
(٦) فِي كَفِّهِ قَلَمٌ يَمْحُ لُعَابُهُ * سُمًّا وَيَنْفِثُهُ عَلَى الْأَوْرَاقِ
(٧) يَرِدُّ الْحَقَائِقَ وَهِيَ بَيْضٌ نُصْعٌ * قُدْسِيَّةٌ عُلوِيَّةُ الْإِشْرَاقِ
(٨) فَيَرُدُّهَا سُودًا عَلَى جَنَابَتِهَا * مِنْ ظُلْمَةِ التَّمْوِيهِ أَلْفُ نِطَاقِ

- (١) الخلدن : صاحب الصديق . والشقاق : الخلاف . ويريد هنا الخلاف بين الزوجين .
(٢) المهرق : المنصب . المطراق : الذي يكثر طرق أبواب الرزق . (٤) تندى : تجل .
والمراد فيضان يده بالماء . والأصفر البراق : الذهب ، ويريد الرشوة . (٥) يلوي من هواه
أى يثنيه ويصرفه عما يريد . وحده في السلب ، أى جزاؤه على الرشوة . وحده السارق : قطع اليد .
(٦) مح العايب من فنه : دعى به . والعايب : الرقيق ، شبه المداد به . وينفثه : يخرجها .
(٧) النصع : الشديدة البياض . ويريد بقوله : « علوية الإشراق » : أن نورها من السماء .
(٨) يريد بهذا البيت والذي قبله أن هذا الكاتب يرى الحقائق ظاهرة جليلة فيزورها بقلبه على القراء
ويحوطها بالأكاذيب وأغيلة الشر حتى يرددها مظلمة سوداء لا يظهر فيها الحق .

عَمِرَيْتَ عَنِ الْحَقِّ الْمُطَهَّرِ نَفْسُهُ * فَيَا تُهْ نَقِلْ عَلَى الْأَعْنَاقِ
 لَوْ كَانَ ذَا خُلُقٍ لِأَسْعَدَ قَوْمَهُ * بَيَانِهِ وَيَرَاعِهِ السَّابِقِ
 (١)
 مَنْ لِي بِتَرْيِيَةِ النِّسَاءِ فَإِنَّهَا * فِي الشَّرْقِ عِلَّةٌ ذَلِكَ الْإِخْفَاقِ
 (٢)
 الْأُمُّ مَدْرَسَةٌ إِذَا أَعَدَّتْهَا * أَعَدَّتْ شَعْبًا طَيِّبَ الْأَعْرَاقِ
 (٣)
 الْأُمُّ رَوْضٌ إِنْ تَعَهَّدَ الْحَيَا * بِالرَّيِّ أَوْ رَقَّ أَيْمًا إِسْرَاقِ
 (٤)
 الْأُمُّ أَسْنَادُ الْأَسَاتِيدَةِ الْأَلَى * شَغَلَتْ مَأْتِرُهُمْ مَدَى الْأَفَاقِ
 (٥)
 أَنَا لَا أَقُولُ دَعُوا النِّسَاءَ سَوَافِرًا * بَيْنَ الرِّجَالِ يُمْلَنُ فِي الْأَسْوَاقِ
 (٦)
 يَدْرَجْنَ حَيْثُ أَرَدْنَ لَا مِنْ وَازِعٍ * يَحْذَرْنَ رِقَبَتَهُ وَلَا مِنْ وَائِي
 (٧)
 يَقْعَلْنَ أَفْعَالِ الرِّجَالِ لَوَاهِيَا * عَنْ وَاجِبَاتِ نَوَاعِيسِ الْأَحْدَاقِ
 (٨)
 فِي دُورِهِنَّ شُؤُونُهُنَّ كَثِيرَةٌ * كَشُؤُونِ رَبِّ السَّيْفِ وَالْمِزْرَاقِ
 (٩)
 كَلَّا وَلَا أَدْعُوكُمْ أَنْ تُسْرِفُوا * فِي الْحَجَبِ وَالتَّضْيِيقِ وَالْإِرْهَاقِ
 لَيْسَتْ نِسَاؤُكُمْ حُلًى وَجَوَاهِرًا * خَوْفَ الضِّيَاعِ تُصَانُ فِي الْأَحْقَاقِ

- (١) الإخفاق : عدم الظفر بالمطلوب . (٢) الأعراق : الأصول ، الواحد عرق .
 (٣) الحيا : المطر . (٤) «شغلت» انخ ، أى ملأت أعمالهم الباقية أنحاء الدنيا .
 (٥) السوافر : المكشفات الوجوه .
 (٦) يدرجن : يمين . والوازع : الزاجر . والرقبة المراقبة .
 (٧) نواعى الأحداق : فائزات الأجناف ؛ يريد انصرفهن عن الواجبات التى خص بها جنسهن .
 (٨) المزراق : الرمح ؛ يريد أن شأن المرأة فى بيتها لا يقل عن شأن الفارس فى الحرب .
 (٩) الإرهاق : القلم .

- (١) لَيْسَتْ نِسَاءُكُمْ أَثَانًا يُقْتَنَى * فِي الدُّورِ بَيْنَ خَنَادِجٍ وَطَبَاقٍ
 (٢) تَنْشَكُلُ الْأَزْمَانُ فِي أَدْوَارِهَا * دَوْلًا وَهِنَّ عَلَى الْجُمُودِ بَوَاقٍ
 (٣) فَتَوَسَّطُوا فِي الْحَالَتَيْنِ وَأَنْصِفُوا * فَالْشَّرُّ فِي التَّقْيِيدِ وَالْإِطْلَاقِ
 (٤) رَبُّوا الْبَنَاتِ عَلَى الْفَضِيلَةِ لِمَنَّا * فِي الْمَوْقِفَيْنِ مَنٌ خَيْرٌ وَثَاقٍ
 وَطَلَبُكُمْ أَنْ تَسْتَبِينَ بَنَاتُكُمْ * نُورَ الْمُهْدَى وَعَلَى الْحَيَاءِ الْبَاقِ

ملجأ رعاية الأطفال

أُنشدها في حفل أقامه جماعة رعاية الأطفال بالأوبرا ، وقد استلها بوصف القطار

[نُشرت في أول فبراير سنة ١٩١١ م]

- (٥) صَفْحَةُ الْبَرْقِ أَوْمَضَتْ فِي الْغَمَامِ * أُمُّ شِهَابٍ يَشْقَى جَوْفَ الظَّلَامِ
 (٦) أُمُّ سَلِيلِ الْبُخَارِ طَارَ إِلَى الْقَصْدِ * يَدُ قَاعِيَا سَوَاقِ الْأَوْهَامِ
 (٧) مَرَّ كَالنَّجْمِ لَمْ تَكْذَبْ قَفْ الْعَيْدِ * نُنْ عَلَى ظِلِّ جَرِيمِهِ الْمُتَرَامِي
 (٨) أَوْ كَشْرَخِ الشَّبَابِ لَمْ يَدِرْ كَامِيدِ * يَهْ تَوَلَّى فِي يَقْظَةٍ أَوْ مَنَامِ

- (١) الخنادج : الغرف ، الواحد مخدع (بكسر الميم وضمتها ، مع فتح الدال وسكون ما بعدهما) .
 (٢) يريد أن الزمن يتغير بأهله وهن باقيات على حال واحدة . (٣) يريد « بالحالتين » :
 التضييق على النساء والتوسيع عليهن . (٤) يريد « بالموقفين » : تقيد النساء في خدورهن وأخلاق
 السراح لمن . والوثاق : القيد الذي يوثق به من حبل أو نحوه . (٥) صفحة كل شيء .
 وجهه وجانبه . وأومض البرق : لمع خفياً . (٦) يريد « بسليل البخار » : القطار .
 (٧) المتراعى : المتد . (٨) شرخ الشباب : أوله وريانه ، شبه به القطار في سرعة زواله .
 وكاسيه ، أى لابسها والمتنوع به .

(١)
لَا يُسَالِي السَّرَى إِذَا اعْتَكَرَ اللَّيْلَ * لَمْ وَخَّانَتْ مَوَاقِعُ الْأَقْدَامِ
(٢)
يَقْطَعُ الْيَدَ وَالْقِيَا فِي وَجِيدَا * لَمْ تُضَعِفْهُ وَخْشَةُ الْإِظْلَامِ
(٣)
لَيْسَ يَنْثِيهِ مَا يُذِيبُ دِمَاعَ الْخَضْبِ يَوْمَ الْحَجِيرِ بَيْنَ الْمَوَايِ
(٤)
لَا وَلَا يَعْتَرِيهِ مَا يُنْخِرِسُ النَّاسَ * يَجَّحِي فِي الزَّمْهِرِ بَيْنَ الْأَنْخِيَامِ
(٥)
هَائِمٌ كَالظَّلِيمِ أَزْجَحَهُ الصَّبِي * لَمْ وَرَاعَتْهُ طَائِشَاتُ السَّمَاءِ
(٦)
فَهُوَ يَسْتَنْدُ فِي النَّجَاءِ وَيَهْوِي * حَيْثُ تُرْمَى بِجَانِبَيْهِ الْأَمْرَايِ
(٧)
يَا حَدِيدًا يَنْسَابُ فَوْقَ حَدِيدٍ * كَأَنْسَابِ الرُّقَطَاءِ فَوْقَ الرِّغَامِ
قَدْ مَسَحَتْ الْبِلَادَ شَرْقًا وَغَرْبًا * بِذِرَاعِي مُشْمِرٍ مِفْدَامِ
(٨)
بَيْنَ جَنْبَيْكَ مَا يَحْنِي لَكِنْ * مَا يَحْنِي مُسْتَدِيمُ الْفُضْرَامِ
أَنْتَ لَا تَعْرِفُ الْفُضْرَامَ وَإِنْ كُنْ * تَ تَرِينَا زَفِيرَ أَهْلِ الْقَرَامِ
(٩)
أَنْتَ لَا تَعْرِفُ الْحَيْنَ إِلَى الْإِلْد * يَفِ فَا هَذِهِ الدُّمُوعُ الْمَوَايِ

- (١) السرى : السير بالليل . واعتكر الليل : انخطط غلامه . (٢) اليد : الغلوات ، الواحدة يدها . والقياي : المقازات لا ماء فيها . (٣) ما يذيب دماغ الغيب : كناية عن شدة القبط . والحجير : شدة الحر . والمواي : المقازات لا ماء فيها ولا أنيس ، الواحدة موماء . (٤) الناج : الكلب . يقول : إنه لا يصيبه ولا يؤثر فيه طول السير ولا شدة البرد اللذان يجرسان الكلب الناج ويسكنانه . (٥) الظليم : ذكر النعام ، وهو معروف بسرعة العدو . وراعه : أفرجه . (٦) النجاء : الإصرار . ويهوى ، أى يستند في سرعته كأنه ينحدر . وقوله : « حيث ترمى بجانبه المرأى » : كناية عن السرعة في اختراق الغلوات والمضى في قطع القياي البعيدة . (٧) الرطاء : الحية المنقطة . والرغام : التراب . (٨) يشبه هذا البيت إلى نار القاطرة ونار شوقه . والضرغام : الاشتغال . (٩) همى الدمع يهيم (من باب ضرب) : حال .

- (١) أَنْتَ قَاسِيُ الْفُؤَادِ جَلْدٌ عَلَى الْأَيْدِ * بَيْنَ شَدِيدِ الْقَوَى شَدِيدُ الْعَرَامِ
(٢) لَا تُبَالِي أَرْعَتَ بِالْيَيْنِ أَحْبَا * بَا وَأَسْرَفْتَ فِي آذَى الْمُسْتَهَامِ
(٣) أَمْ جَمَعْتَ الْأَعْدَاءَ فَوْقَ صَعِيدٍ * وَخَلَطْتَ الْأَسْوَدَ بِالْأَرَامِ
أَتَى قَدْ شَهِدْتُ فَبِكَ عَجِيْبًا * ضَاقَ عَنْ وَصْفِهِ نِطَاقُ الْكَلَامِ
جُرْتُ يَوْمًا بِمَا وَتَحْنُ عَلَى الْجَسَدِ * بِرِقِيَامٍ وَاللَّيْلُ لَيْلُ التَّمَامِ
(٤) وَإِذَا رَاكِبٌ إِلَى الْجَسْرِ يَهْوِي * بَيْنَ صَفَيْنِ مِنْ تَمَاتِ زَوَامِ
(٥) مَرَّ كَالسَّهْمِ بَيْنَ تِلْكَ الْحَنَائِيَا * قَدْ رَمَاهُ مِنَ الْمَقَادِيرِ رَامِي
(٦) فَتَرَدَّى فِي الْمَاءِ وَالْمَاءُ غَمْرٌ * يَتَّقِيهِ الْقَضَاءُ وَالنَّهْرُ طَامِي
(٧) وَإِذَا سَابِحٌ قَدْ أَنْقَضَ فِي الْمَا * إِتْقِضَاضَ الْعُقَابِ فَوْقَ الْحَمَامِ
(٨) ظَاغَ فِي بِلْحَةِ الْخُتُوفِ بَعْزِمٌ * لَمْ يُعَوِّدْ مَوَاقِفَ الْإِنْجَامِ
(٩) غَابَ فِيهَا وَطَادَ يَتَحَمَّلُ جِنْمًا * سَلَّهُ مِنْ يَدِ الْمَهْلَاكِ الْإِزَامِ
(١٠) كَافَعَ الْمَوْجَ، صَارَعَ الْهَوْلَ، أَبْلَى * كِبْلَاءِ الْمُهْنِدِ الصَّنِصَامِ

- (١) الجلد: العصور. والأين: التعب. والعرام: الشراسة والقسوة. (٢) راعه يروعه: أقرعه.
(٣) الأرام: الطباء، الواحد رُم؛ وأمله للعلی الخالص اليأس. (٤) الزوام من الموت:
الكريه. ويريد «بالصفين»: الموت على الجسر بالقطار، والموت بالفرق في النهر. (٥) الحنايا:
القسي، واحدها حنية. ولما شبه الهوى بالمهم، شبه قضبان الجسر في امتحانها بالقسي.
(٦) الماء الغمر: الكثير. وطا الماء: ارتفع وملأ النهر. (٧) العقاب: طائر من الجوارح
معروف. (٨) الختوف: المهالك. وبلحها، أي حيث تشد. (٩) سلّه: أقرعه.
والإزام: الملازم. (١٠) المهند: السيف. والصنصام: الذي لا يثقي.

(١) وَأَنْتَنِي رَاجِعًا إِلَى شَاطِئِ النَّهْرِ * بِرُجُوعِ الْكَيِّ غَبَّ اغْتِنَامِ
وَقَفَّ النَّاسُ ذَاهِلِينَ وَصَاحُوا * تِلْكَ إِخْدَى عَجَائِبِ الْأَيَّامِ
أَنْجَاءً مِنَ الْقِطَارِ، مِنَ الْحَسَدِ * بِرِ، مِنَ النَّهْرِ، جَلَّ رَبُّ الْأَنَامِ
وَإِذَا صَبَحَتْ عَلَتْ مِنْ فَنَاءٍ * بَرَزَتْ مِنْ صُفُوفِ ذَلِكَ الرَّحَامِ
وَقَفَّتْ مَوْقِفَ الْخَطِيبِ وَنَادَتْ * تِلْكَ عُقْبَى رِيَايَةِ الْأَيَّامِ
(٢) بَسَطَتْ تَحْتَهُ أَكْفًا تَلَقَّتْ * لَهُ وَحَاطَتْهُ رَغَمَ أَنْفِ الْحِمَامِ
(٣) دَعْوَةُ الْبَائِسِ الْمَعْدِبِ سُورٍ * يَدْفَعُ الشَّرَّ عَنْ حِيَاضِ الْكِرَامِ
وَهِيَ حَرْبٌ عَلَى الْبَحِيلِ وَذِي الْبَغْدِ * بِي وَسَيْفٌ عَلَى رِقَابِ اللَّثَامِ
إِنَّ هَذَا الْكَرِيمَ قَدْ صَانَ عِرْضِي * وَحَانِي مِنْ عَادِيَاتِ السَّقَامِ
(٤) عَلَّ طِفْلِي وَمَالَنِي وَحَبَانِي * بِكِسَاءٍ وَبَذَرَةٍ وَطَعَامِ
وَهُوَ مِنْ مَعَشِيرِ أَغَاثُوا ذَوِي الْبُؤْسِ * سِيسَ وَقَامُوا فِي اللَّهِ خَيْرَ الْقِيَامِ
(٥) وَأَقَامُوا لِلْبِرِّ دَارًا فَكَانَتْ * خَيْرَ وَرْدٍ يُؤْمُهُ كُلُّ ظَالِمِي
مِلْتُ رَحْمَةً وَفَاضَتْ حَنَانًا * فَهِيَ لِلْبَائِسَاتِ دَارُ السَّلَامِ
زُرْتُهَا وَالشَّقَاءُ يُخْرِى وَرَائِي * وَشُعَاعُ الرَّجَاءِ يَسْرِى أَمَامِي
لَمْ يَقُولُوا : مِنَ الْفَنَاءِ ؟ وَلَكِنْ * سَأَلُونِي هُنَاكَ عَنْ آلَامِي

(٢) الحمام : الموت .

(١) الكي : الشجاع . غب : عقب .

(٤) عاله : كفاه معيشته . وجاه بكذا :

(٣) يريد «بجياض الكرام» : حاتم .

(٥) ظالمى : ظالمى .

أعطاه . ويريد «بالبدرة» هنا : جملة من المال .

ثُمَّ أَهَوَتْ إِلَى الْغَرِيقِ تُوَّاسِيَهُ * هِ بِأَحْلَى مِنْ مُنْعِشَاتِ الْمُدَامِ
 قَبْلَتْ رَاحَتَهُ شُكْرًا وَصَاحَتْ * قَدْ نَجَا صَاحِبُ الْأَيْدِي الْعِظَامِ^(١)
 قَدْ نَجَا الْمُتَنِيمُ الْجَوَادُ مِنَ الْمَوْتِ * تِ بِفَضْلِ الزَّكَاةِ وَالْإِنْعَامِ
 فَأَطَفْنَا بِهَا وَقَدْ مَلَأَ الْأَنْدَ * نَفْسَ مِنَّا جَلَالُ ذَلِكَ الْمَقَامِ
 وَشَهِدْنَا تَفَرُّقَ الْوَفَاءِ تَجَلَّى * إِذْ تَجَلَّى فِي ثَقْرِهَا الْبَسَامِ
 وَرَأَيْنَا شَخْصَ الْمُرُوءَةِ وَالْبِرِّ * تَبَدَّى فِي شَخْصِ ذَلِكَ الْأَهْمَامِ
 وَعَلَيْنَا أَنَّ الزَّكَاةَ سَبِيلٌ * لَدَيْهِ قَبْلَ الصَّلَاةِ قَبْلَ الصَّيَامِ
 خَصَّمَا اللَّهَ فِي الْكِتَابِ بِذِكْرِ * فَهِيَ رُكْنُ الْأَرْكَانِ فِي الْإِسْلَامِ^(٢)
 بَدَأَتْ مَبْدَأَ الْيَقِينِ وَظَلَّتْ * لِحَايَةِ الشُّعُوبِ خَيْرَ قِيَامِ^(٣)
 لَوْ وَفَى بِالزَّكَاةِ مَنْ جَمَعَ الدِّنَارَ * يَا وَأَهْوَى عَلَى اقْتِنَاءِ الْحُطَامِ
 مَا شَكَ الْجُوعَ مُعْدِمٌ أَوْ تَصَدَّى * لِرُكُوبِ الشُّرُورِ وَالْآثَامِ^(٤)
 رَايَكَا رَأْسَهُ طَرِيدًا شَرِيدًا * لَا يُبَالِي بِشِرْعَةٍ أَوْ ذِمَامِ^(٥)
 سَائِلًا عَنْ وَصِيَّةِ اللَّهِ فِيهِ * آخِذًا قُوَّتَهُ بِحَدِّ الْحُسَامِ
 لَمْ أَقِفْ مَوْفِقِي لِأُنْشِدَ شِعْرًا * صُبَّ فِي قَالِبٍ بِدِيْعِ النَّظَامِ

(١) الأيادي : النعم . (٢) القوام (بالكسر) : نظام الأمر وعماده الذي يقوم عليه .

(٣) حطام الدنيا : المال قل أركثر . (٤) ركب رأسه : مضى الى ما يريد من الشر

لم يثبته شيء . . والشرعة : الشريعة . والذمام : الحق والحرمه ، لأن قرض ذلك يوجب الذم .

(٥) وصية الله : ما أمر الله به للباس الفقير من بر ورحمة .

(١)
إِنَّمَا قُتُّ فِيهِ وَالنَّفْسُ تُشَوِّى * مِنْ كُؤُوسِ الْهُمُومِ وَالْقَلْبُ دَائِي
(٢)
ذُقْتُ طَعْمَ الْأَسَى وَكَابَدْتُ عَيْشًا * دُونَ شُرْبِي قَذَاهُ شَرِبُ الْجَمَامِ
(٣)
فَتَقَلَّبْتُ فِي الشَّقَاءِ زَمَانًا * وَتَنَقَّلْتُ فِي الْخَطُوبِ الْجَسَامِ
(٤)
وَمَشَى الْمَهْمُ نَاقِبًا فِي فُؤَادِي * وَمَشَى الْحُزْنُ نَاحِرًا فِي عِظَامِي
فَلِهَذَا وَقَفْتُ أَسْتَعِظُ النَّاسَ * عَلَى الْبَائِسِينَ فِي كُلِّ عَامٍ

الى الخديوى عباس^(٥)

قالها عند عودة سموه من دار الخلافة وقد عرّض فيها لما كان
في مصر من الخلاف بين المسلمين والأقباط في سنة ١٩١١ م

كَمْ تَحْتَ أَذْيَالِ الظُّلُمِ مُتِّمٌ * دَائِي الْفُؤَادِ وَلَيْلُهُ لَا يَعْلَمُ
مَا أَنْتَ فِي دُنْيَاكَ أَوَّلُ عَاشِقٍ * رَامِيهِ لَا يُخْنُو وَلَا يَتَرَحَّمُ
أَهْرَمْتَنِي يَا لَيْلٌ فِي شَرْخِ الصَّبَا * كَمْ فِيكَ سَاعَاتٍ تُشِيبُ وَتُهْرِمُ
لَا أَنْتَ تَقْصُرُنِي وَلَا أَنَا مُقْصَرٌ * أَتَعَبْتَنِي وَتَعَبْتَ، هَلْ مِنْ يَحْكُمُ؟
لِلَّهِ مَوْقِفُنَا وَقَدْ نَاجَيْتُهَا * بِعَظِيمِ مَا يُخْنِي الْقُبُودُ وَيَكْثُرُ

- (١) تشوى : سكرى . (٢) القذى : ما يقع في الشراب من رنج . والحمام بالكسر :
الموت . ويريد بقوله : « دون شربي » أى أن الموت أهون تجرعا على من تجرع هذا العيش المر .
(٣) الجسام : العظام ، الواحد جسيم . (٤) يقال : نخر العظم ، اذا بلى وقفت .
(٥) يلاحظ أننا أنبتنا هذه القصيدة في الاجتماعيات مع ما تضمنته من مدح الخديوى عباس ، لأن
غرضها الأول مسألة اجتماعية ، وهى الفتنة بين مسلمي مصر وأقباطها إذ ذاك . (٦) شرخ الصبا :
أزله وريعانه . (٧) أقصر : كفف وأمسك .

(١) قالت : مَنِ الشَّاكِي؟ تُسَائِلُ سِرْبَهَا * عَنِّي، وَمَنْ هَذَا الَّذِي يَتَّظِلُّ؟
فَأَجَبَتْهَا وَعَجِبْنَ كَيْفَ تَجَاهَلَتْ : * هُوَ ذَلِكَ الْمُتَوَجِّعُ الْمُتَالِمُ
(٢) أَنَا مَنْ عَرَفْتِ وَمَنْ جَهِلْتِ وَمَنْ لَهُ * لَوْلَا عُيُونُكَ - حُجَّةٌ لَا تُفْهَمُ
(٣) أَسَلَمْتُ نَفْسِي لِلْهَوَى وَأَظُنُّهَا * بِمَا يُحْشِمُهَا الْهَوَى لَا تَسْلَمُ
(٤) وَأَتَيْتُ يُحْدُو بِي الرَّجَاءُ وَمَنْ أَتَى * مُتَحَرِّمًا بِفَنَائِكُمْ لَا يُجْرَمُ
(٥) أَشْكُو لَذَاتِ الْخِلَالِ مَا صَنَعْتَ بِنَا : تِلْكَ الْعُيُونُ وَمَا جَنَاهُ الْمَعْصَمُ
لَا السَّهْمُ يُرْفِقُ بِالْجَرِيحِ وَلَا الْهَوَى : يَبْقَى عَلَيْهِ وَلَا الصَّبَابَةُ تَرْحَمُ
(٦) لَوْ تَنْظُرِينَ إِلَيْهِ فِي جَوْفِ الدُّجَى * مُتَمَلِّمًا مِنْ هَوْلِ مَا يَتَجَشَّمُ
(٧) يَمِشِي إِلَى كَنْفِ الْفِرَاشِ مُعَاذِرًا * وَجِلًّا يُؤْخِرُ رِجْلَهُ وَيُقَدِّمُ
يَرْمِي الْفِرَاشَ بِنَاطِرِيهِ وَيَتَنَبَّى * جَزْعًا وَيُقَدِّمُ بَعْدَ ذَلِكَ وَيُجِجُ
(٨) فَكَأَنَّهُ - وَالْيَأْسُ يُنْشِفُ نَفْسَهُ - : لِلْقَتْلِ فَوْقَ فِرَاشِهِ يَتَقَدَّمُ
(٩) رُشِقَتْ بِهِ فِي كُلِّ جَنْبٍ مُدْبِئَةً . وَأَنْسَابَ فِيهِ بِكُلِّ رُكْنٍ أَرْقَمُ

- (١) السرب (بالكسر) : الجماعة ، أى صواحبا . (٢) لا تفهم : لا تفهم .
(٣) يحشمه : كفه . (٤) يحدوني : يدفعني ويسوقني . ومتحرما : محتبا مستمنا .
(٥) الخلال : الشامة في البدن ، وهو غالب على شامة الخلد ؛ واجمع خيلان .
(٦) ما يجشم : ما يقاسى . (٧) الكنف (محركة) : الجانب والناحية .
(٨) ينشف نفسه ، أى يهلكها . و(القتل) : متعلق بقوله : « يتقدم » . (٩) الصم
في « به » و « فيه » يعود على القراش . وفي الشطر الأول من هذا البيت قلب ، إذ المسوع أن الباء تدخل
على المرشوق به ، وهو المادية ونحوها ، لا على المرشوق ؛ يقال : رشقته بالسم ، لا رشقت به السم .
وانساب ، أى جرت وتدافعت في مشيا . والأرقم : أحببت الحيات وأطلبها لا ذى .

(١) فكَانَ فِي مَوَلِهِ وَسَعِيرِهِ * وَإِذْ قَدْ أَطْلَعْتَ عَلَيْهِ جَهَنَّمَ
هَذَا وَحَقَّكَ بَعْضُ مَا كَابَدْتُهُ * مِنْ نَاطِرَيْكَ، وَمَا كَتَمْتُكَ أَعْظَمُ
قَالُوا: أَهَذَا أَنْتَ! وَيَحْكُ فَاتِّقْ * حَتَّى تُنَجِّدَ فِي الْقَرَامِ وَتُنْهِمَ^(٢)
كَمْ نَفْسَةٍ لَكَ تَسْتَيْبِرُهَا الْهَوَى * (هَارُوتُ) فِي أَشْنَاهَا يَتَكَلَّمُ^(٣)
إِنَّا سَمِعْنَا عَنْكَ مَا قَدْ رَأَيْنَا * وَأَطَالَ فِيكَ فِي هَوَاكَ الْأُيُومِ
فَاذْهَبْ بِسِحْرِكَ قَدْ عَرَفْنَاكَ وَاقْتَصِدْ * فِيمَا تُزَيِّنُ لِللسانِ وَتُوهِمُ
أَصْنَعْتَ إِلَى قَوْلِ الْوَشَاةِ فَاسْرَقْتَ * فِي حُجْرِهَا وَجَنَّتْ عَلَى وَأَجْرُمُوا
حَتَّى إِذَا يَلَسَ الطَّيِّبُ وَجَاءَهَا * أَنَّى تَلَفْتُ تَنَدَّمْتُ وَتَنَدَّمُوا
وَأَنْتَ تَعُودُ مَرِيضَهَا لَا بَلَّ أَنْتَ * مَنَّى تُسَيِّعُ رَاحِلًا لَوْ تَعْلَمُ
أَقْسَمْتُ (بِالْعَبَاسِ)، إِنِّي صَادِقٌ * فُرِيهِمْ يُجَلِّلُهُ أَنْ يُقْسِمُوا^(٤)
مَلِكٌ عَدَوْتُ عَلَى الزَّمَانِ بِحَوْلِهِ * وَغَدَوْتُ فِي آلَانِهِ أَتَنَعَمُ^(٥)
النَّجْمُ مِنْ حُرَايِهِ، وَالْدُّهْرُ مِنْ * خُدَامِيهِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْمُنْعِمُ
هَلَلْتُ حِينَ رَأَيْتُ رَجَبَكَ سَالِمًا * وَرَأَيْتُ (عَبَّاسًا) بِهِ يَتَبَسَّمُ

(١) اطلعت : طلعت وظهرت . (٢) اتق : تمهل . وانجد : أني نجدا ، وهو المرفع من الأرض . وأنهم : أني تنهه ، وهي المنخفض منها . والإنجاد والإتهام في القرام : كناية عن الذهاب فيه كل مذهب . (٣) نقت السحر ، هو أن يعقد عقدة ثم ينفخ فيها . وهاروت يضرب به المثل في السحر ، وقد ذكره الله تعالى في القرآن . (٤) مريهم ، أي مري الوشاة بالقسم على صدقهم فيما رشوا به . (٥) الحول : القوة . والآلاء : النعم .

(١) وَحَدَّثُ رَبِّي حِينَ حَلَّ عَرِيَّتِهِ * مُتَجَدِّدَ الْعَزَمَاتِ ذَاكَ الضَّبِغُ
خَفَقَتْ قُلُوبُ الْمُسْلِمِينَ وَأَشْفَقَتْ * دَارُ الْخِلَافَةِ وَالْمَلِكِ الْأَعْظَمِ
وَدَعَا لَكَ الْبَيْتُ الْحَرَامُ فَأَمَنْتَ * بَطْلَاءُ مَكَّةَ وَالْحَطِيمِ وَزَمَنُ^(٢)
وَدَوَى بِمَضَرِّكَ الدِّهَاءُ فَنِيلُهَا * وَسُوءُهَا وَفَصِيحُهَا وَالْأَنْجَمِ^(٣)
وَمَشَى الصَّغِيرُ إِلَى الْكَبِيرِ مُسَائِلًا * يَتَسَقَطُ الْأَخْبَارُ أَوْ يَتَنَسَّمُ^(٤)
حَتَّى أَطْلَمَأَنْتَ بِالشِّفَاءِ نَفْسَهُمْ * وَطَلَعَتْ بِالسَّعْدِ الْعِمِيمِ عَلَيْهِمُ
مَوْلَايَ أَمْسَكَ الْوَدِيعَةَ أَصْبَحَتْ * وَعُرَا الْمَوَدَّةِ بَيْنَهَا تَتَفَعَّمُ^(٥)
نَادَى بِهَا الْقَبِيلُ مِلَّةَ لَهَا * أَنْ لَا مَلَامَ وَضَاقَ فِيهَا الْمُسْلِمُ^(٦)
وَهَمُّ أَظَارَ عَلَى النَّهْيِ وَأَضَلَّهَا * بَلْغَرَى الْقَسِيٍّ وَأَقْصَرَ الْمُتَعَلِّمُ^(٧)
فَقَهَمُوا مِنَ الْأَذْيَانِ مَا لَا يَرْتَضَى * دِينَ وَلَا يَرْضَى بِهِ مَنْ يَفْهَمُ
مَاذَا دَعَا قَبِيلُ مِصْرَ فَصَدَّ * عَنْ وَدِّ مُسْلِمِيهَا وَمَاذَا يَنْقِمُ؟
وَعَلَامَ يَحْشَى الْمُسْلِمِينَ وَكَيْدَهُمْ * وَالْمُسْلِمُونَ عَنِ الْمَكَائِدِ نُومُ

- (١) الضَّبِغُ : الأسد . وعريته : مأواه .
والحطيم ، هو ما بين الزكن وزمزم والحفام .
إن نيل مصر وسهولها الخ تدعو لك ؛ نظير قوله : « فَنِيلُهَا » الخ ، محذوف العلم به .
(٢) بَطْلَاءُ مَكَّةَ : تطلعت في التماسه .
(٣) وَسُوءُهَا وَفَصِيحُهَا : تفتطمع .
(٤) عُرَا الْمَوَدَّةِ : روابطها . وتتفعَّم : تنقطع .
(٥) مِلَّةَ لَهَا : أي مله ، حنجرته .
واللهاء : الهمزة المشرقة على الحلق في أقصى الفم .
(٦) بَلْغَرَى الْقَسِيٍّ : أي سعى الأغنياء وقصار النظر في إشمال الفتنة بين المسلمين والأقباط ، وكف المتعلمون وأفسروا عن إجماعها وتلافى أسبابها .
(٧) عَنِ الْمَكَائِدِ نُومُ :

قَدْ صَمْنَا أَلَمَ الْحَيَاةِ وَكُنَّا * يَسْكُو، فَتَحْنُ عَلَى السَّوَاءِ وَأَنْتُمْ
 إِنِّي صَمِيْنُ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعُهُمْ * أَنْ يُخْلَصُوا لَكُمْ إِذَا أَخْلَصْتُمْ^(١)
 رَبِّ الْأَرْبَكَةِ، إِنَّا فِي حَاجَةٍ * لَجَيْلِ رَأْيِكَ وَالْحَوَادِثِ حُومِ^(٢)
 فَأَقِضْ عَلَيْنَا مِنْ سَمَائِكَ حِكْمَةً * تَأْسُو الْقُلُوبَ فَإِنَّ رَأْيَكَ أَحْكَمُ^(٣)
 وَاجْمَعْ شَتَاتَ الْعُنُصَرِينَ بِعَزْمَةٍ * تَأْتِي عَلَى هَذَا الْخِلَافِ وَتَحْمِمْ
 فِكْلَاهُمَا لِعَزِيزِ عَرْشِكَ مُخْلِصٌ * وَكِلَاهُمَا بِرِضَاكَ صَبٌّ مُغْرَمٌ

محاوره بين حافظ و خليل مطران
 في حفل أقامته جمعية رعاية الطفل بالأوبرا
 | نشرت في ٣١ مارس سنة ١٩١٣م |

حافظ :

هَذَا صَبِيٌّ هَائِمٌ * تَحْتِ الظَّلَامِ هُبَامٌ حَائِرٌ
 آيِلُ الشَّقَاءِ جَدِيدُهُ * وَتَقَلَّمَتْ مِنْهُ الْأَظْفَارُ^(٤)
 فَانْظُرْ إِلَى أَسْمَالِهِ * لَمْ يَسْقَ مِنْهَا مَا يُظَاهِرُ^(٥)

- (١) النسيان : الكفيل . (٢) الأربكة : سرير الملك . والحوادث حوم ، أى تطوف بنا وتحلق حولنا ، وأصله من تحويم الطائر حول الماء ، أى دورانه به . (٣) تأسو : تشى وتدارى . (٤) تقلم الأظفار : كناية عن أنه أعزل من أسلحة الجهاد فى الحياة . (٥) الأسمال : الثياب البالية الخلقه ؟ ويقال : « ظاهر الرجل بين نوبين » ، إذا طابق بينهما ولا دم . يريد أن الثوب الذى يلبسه هذا البائس قد صار طبقة واحدة وقيمة لا تدفع عنه ما يؤذيه من ألم الحر والبرد .

(١) هُوَ لَا يُرِيدُ فِرَاقَهَا * خَوْفَ الْقَوَارِسِ وَالْهَوَاجِرِ
(٢) لَكِنَّمَا قَدْ فَارَقَتْ * لَهُ فِرَاقٌ مَعْدُورٌ وَعَازِرُ
(٣) إِنِّي أَعُدُّ ضُلُوعَهُ * مِنْ تَحْتِهَا وَاللَّيْلُ عَاكِرُ
أَبْصَرْتُ هَيْكَلَ عَظِيمِهِ * فَذَكَرْتُ سُكَّانَ الْمَقَابِرِ
(٤) فَكَأَنَّمَا هُوَ مَيِّتٌ * أَحْيَاهُ (عَيْسَى) بَعْدَ (طَارِزِ)
(٥) قَدْ كَانَ يَهْدِيهِ النَّسِيبُ * ثُمَّ وَكَادَ تَذَرُوهُ الْأَعَاصِرُ
وَرَأَاهُ مِنْ قَرْطِ الْهَرَا * لِئَلَّا تَكَادُ تَقْبُحَهُ الْمَوَاطِرُ
(٦) نَجَّيَا أَتَقْرِسُهُ الطَّوَى * فِي قَلْبِ حَاضِرَةِ الْحَوَاضِرِ
(٧) وَتَقُولُهُ الْبُؤْسَى وَطَرُ * فُ (رِعَايَةِ الْأَطْفَالِ) سَاهِرُ!
(٨) كَمْ مِثْلِهِ تَحْتَ الدُّجَى * أَسْوَانَ بَادِي الضَّرِّ طَائِرُ
(٩) نَحْرِيَّانَ، يَخْرُجُ فِي الظَّلَا * مَخْرُوجَ خُفَاشِ الْمَغَاوِرِ

(١) القوارس : شذائد البرد . والهواجر : شذائد الحر .

(٢) يريد بقوله : « فراق معذور » الخ ، أنها قد تمزقت من القدم وطول العهد ، فهي معذورة لفراقها إياه ، وهو ذابل عذرها . (٣) عاكر : مختلط الظلام . (٤) عازر : اسم رجل أحياه عيسى عليه السلام بعد الموت . شبه البائس بميت ظهرت فيه معجزة عيسى عليه السلام من إحياء الموت بعد ما ظهرت في طارز . (٥) تذرؤه : تفرق أجزائه ، وتطير أشلاءه . والأعاصير : رياح ترتفع بمراب بين السماء والأرض وتستدير كأنها عمود ، الواحد إعصار . (٦) يقتره : يقتله . والطوى : الجوع . ويريد « بمحاضرة الحواضر » : مصر . (٧) تنوله : تهلكه . (٨) الأسوان : الحزين . ويريد بقوله : « طارز » أنه شديد الفزع والجزع مما يلاقى وما يتوقع من مصائب الزمن . (٩) شبه البائس في أنه لا يظهر إلا مستترا بظلمة الليل بالتلفاش الذي لا يبصر بالنهار ، وإنما يبصر ليلا .

مَتَلَفًا جِلْبَابَه * مُتَرَقِّبًا مَعْرُوفَ عَابِرٍ
(١)
يَقْدَى بِرُؤُوسِهِ فَلَا * تَلَوَّى عَلَيْهِ مَبْنُ نَاطِلٍ

ومنها :

قَعَدْتُ شُعُوبَ الشَّرْقِ عَنْ * كَسْبِ الْمَامِدِ وَالْمَفَاحِرِ
(٢)
فَوَنَّتْ فِي شَرْعِ النَّاسِ * حُرْمَنْ وَنَى لَا شَكَّ خَائِرِ
(٣)
تَمْتَحِي الشُّعُوبُ لَقَيْصِهَا * قُدَمَا وَشَعْبُ النَّيْلِ آخِرِ
(٤)
كَمْ فِي الْيَكَاةِ مِنْ قَتَى * تَذِبُ وَكَمْ فِي الشَّامِ قَادِرِ
(٥)
لَكُنْتُمْ لَمْ يُرْزُقُوا * رَأْيًا وَلَمْ يَرُدُّوا الْخَاطِرِ
(٦)
هَذَا يَطِيرُ مَعَ الْحَيَا * لِ وَذَلِكَ يَرْثِيهِ النَّوَادِرِ
(٧)
جَاهِلُوا الْحَيَاةَ وَمَا الْحَيَا * لَغَيْرِ مَكْدَاحِ مُفَامِرِ
(٨)
يَجْتَابُ أَجْوَاثَ الْفَقَا * رٍ وَيَمْتَلِئُ مَتْنُ الزَّوَاخِرِ
(٩)
لَا يَسْتَشِيرُ سِوَى الْعَزِيزِ * سَمَةَ فِي الْمَوَارِدِ وَالْمَصَادِرِ
(١٠)
يَسْرِي وَرَاءَ الْبَاقِيَا * تِ بَنَفِيسِهِ رَمَى الْمُقَامِرِ

- (١) يقول : إن هذا البار إذا مر بهذا المسكين ساء ما يراه بأدبا عليه من يؤس وفاقة ، فينص بصره عنه كأنما قد وقع في عيه القذى ، وهو ما يقع فيها من غصص أو رمص .
- (٢) يريد « بالناحر » : شدة التغلب في الحياة إلى أن يضر الناس بعضهم بعضا .
- (٣) متى قدما ، أى متقدما . (٤) التدب من الرجال : الماضي الخفيف في طلب الحاجة والسريع إلى الفضائل . (٥) ارتجل النادرة ونحوها : قالها من غير ترؤ . ويريد « بالنوادر » : تلك التكت التي يتظرف بها الناس في المجالس . (٦) يجتاب : يقطع . وأجواز القنار : أوساطها الواحد جواز (فتح الجيم) . والزواجر : البحار . (٧) في الموارد والمصادر ، أى في الحل والترحال .

مَا هَدَّ عَزَمَ الْقَادِرِ * نَ بِمَصْرَآلَا قَوْلُ : (بَاكِزْ)
 كَمْ ذَا يُحِيلُ عَلَى غَدٍ * وَغَدٌ مَصِيرَ الْيَوْمِ صَائِرُ
 خَوَاتِ الدِّيَارُ فَلَا أَخِيرَا * عَ وَلَا اقْتِصَادَ وَلَا ذَخَائِرُ^(١)
 دَعْ مَا يُحْشَمُهَا أَلْجُو * دُ وَمَا يَجْرُمِنَ الْجَرَائِرُ^(٢)
 فِي الْاِقْتِصَادِ حَيَاتَا * وَبَقَاؤُنَا رَغَمَ الْمَكَارِ^(٣)
 تَرْبُو بِهِ فِينَا الْمَصَا * نِعُ وَالْمَزَارِغُ وَالْمَسَايِرُ^(٤)
 سَلْ (حِشْمَتَا) عَنْهُ فَهُ * لَمَّا (حِشْمَتُ) فِي الْجَمْعِ حَاضِرُ^(٥)
 أَحْيَا الْمَنَاعَةَ وَالتَّجَا * رَةً مِثْلَهَا أَحْيَا الْقُصَايِرُ

مطران :

عَجَبًا تُعْرِفُنِي بِهِ * وَأَنَا بِهِئَتِهِ أَفَاخِرُ!
 لِي فِيهِ مَا لَكَ فِيهِ مِنْ * أَسِيلٍ عَلَى الْأَيَّامِ صَكَارِ^(٦)
 أَنْسَيْتَ (مُوجَرَ الْاِقْتِصَا * دِ) وَفَضْلَهُ أَمْ أَنْتَ ذَا كَرُ^(٧)
 أَوْ لَمْ يَكُنْ هَذَا الْوَزِيدِ * رُبُّ ذَلِكَ التَّعْزِيرِ بِأَمْرِ
 أَنْسَيْتَ مَا عَانَيْتَهُ * وَاللَّفْظُ مُسْتَصْنِ وَنَافِرُ^(٨)

- (١) خوات الديار : خلت . (٢) يحشمها : يكلفها . والجرائر : الجنائيات ، الواحدة جريرة .
 (٣) المكابر : الغالب والمائد . (٤) تربو : تزيد وتجو . (٥) يريد المرحوم أحد
 حشمت باشا ناظر المعارف إذ ذاك . (٦) الكابر : الكبير . (٧) (موجر الاقتصاد) :
 كتاب في الاقتصاد نقله عز القرنية الى العربية حافظ ومطران بأمر حشمت باشا وزير المعارف .
 (٨) يريد ما عاناه في ترجمة هذا الكتاب السابق ذكره .

حافظ :

لَمْ أَنَسْ مَا سَأَلَتْ بِهِ * مِنْ خَاطِرِي تِلْكَ الْمَقَاطِرِ

مطران :

لَمْ أَنَسْ إِذْ لَالَ الصَّكْلَا * عِ وَذِلَّتِي بَيْنَ الْحَايِرِ^(١)

حافظ :

لَمْ أَنَسْ نَحْيِي لِإِصْطِلَا * حِ دُونَهُ نَحْتُ الْحَايِرِ

مطران :

لَمْ أَنَسْ تَشْدِيبَ الْفُضُو * لِ مَقْرِضِ التَّثْقِيفِ دَائِرِ^(٢)

دعوة إلى الإحسان^(٣)

[نشرت في سنة ١٩١٥ م]

أَجَادَ (مَطْرَانَ) كَعَادَاتِهِ * وَهَكَذَا يُؤَثِّرُ عَنْ (قُسْ)^(٤)

فَإِنْ أَقْفَ مِنْ بَعْدِهِ مُنْشِدًا * فَلَتَمَّا مِنْ طَرِسِهِ طَبْرِي^(٥)

(١) يريد «إدلال الكلام» : تكبيره واستعصاءه وقلة مواناته .

(٢) تشنيب الفضول ، أى تقطيع الزوائد من الكلام وتختيها ؛ وأصله من تشذيب الشجر ، وهو إلقاء ما عليه من الأغصان الزائدة . والتثقيف : التكوين والإصلاح .

(٣) دعا سليم أفندي مركيس صاحب (مجلة مركيس) إلى إقامة حفل يخصص ما يجمع منه لمجوعة أحمد أفندي أبني العدل وأسرة محمود حبيب ، وكان من أشهر المثليين المصريين ؛ فقدمت بالأزول الشيخوخة واغتالت النية الثاني . وفي مساء ١٢ أكتوبر سنة ١٩١٥ م أقيمت حفلة تخيلية في تياترو برنانيا لهذا الغرض ، كان الشعراء فيها مجال ؛ وقد أعد خليل بك مطران قصيدة في هذا الغرض ، إلا أن المرض حال به وبين إنشادها ، فنزل ذلك عنه حافظ ، ومطلعها :

الصاحك اللاعب بالأمس * بات صريعا فاقد الأنس

(٤) يريد قس من ساعدة الإيادي خطيب العرب في الجاهلية ، ويضرب به المثل في القساحة والقس .

(٥) من طرسه طرسى ، أى أن شعره مشتمد منه . والطرس : الصحيفة .

وإِن رَأَيْتُمْ فِي يَدِي زَهْرَةً * فَإِنهَا مِنْ ذَلِكَ الْغَرَسِ
 رَقَى (حَيِّيًا) وَرَقَى بَعْدَهُ * لِذَلِكَ الْمَوْفِي عَلَى الرَّمَسِ^(١)
 كَانَا إِذَا مَا ظَهَرَا مِنْبَرًا * حَلَا مِنْ السَّامِعِ فِي النَّفْسِ^(٢)
 فَأَصْبَحَا هَذَا طَوَاهُ الرَّدَى * وَذَلِكَ نَهَبٌ فِي يَدِ الْبُؤْسِ^(٣)
 لَوْلَا (سَلِيمٌ) لَمْ يَقُلْ قَائِلٌ * وَلَمْ يُحْدِثْ مِنْ جَدِّهِ بِالْأَمْسِ^(٤)
 إِلَيْهِ مَا أَشْجَعَهُ إِنَّهُ * ذُو مِرَّةٍ فِينَا وَذُو بَأْسِ^(٥)
 يَقُومُ فِي مَشْرُوعِهِ نَافِدًا * كَكَانَهُ (عَنْتَرَةُ الْعَبَسِي)
 تَلْقَاهُ فِي الْحَدِّ كَمَا تَبْتَنِي * وَتَارَةً تَلْقَاهُ فِي (الْمَلْسِ)
 (مَرْكِسُ) إِنْ رَافَكَ مَا قُلْتُهُ * فِي مَعْرِضِ الْمَزَلِ فَقُلْ «مِرْمِي»
 أَقْسِمُ بِاللَّهِ وَالْآلِئِهِ * بِعَرْشِهِ بِاللَّوْجِ بِالْكَرْمِي^(٦)
 بِالْخُلَيْسِ الْكُنْئِسِ فِي سَبْحِهَا * بِالْبَذْرِ فِي مَرَاهُ بِالشَّمْسِ^(٧)
 بَأَنَّ هَذَا عَمَلٌ صَالِحٌ * قَامَ بِهِ هَذَا الْقَتَى الْقُدِيمِ
 ذَكَّرْنَا وَالْمَرْءُ مِنْ نَفْسِهِ * وَعَيْشِهِ فِي شَاغِلٍ يُلْمِي

- (١) يريد « بحبيب » : المرحوم محمود حبيب ، والموقف على الرمس : المشرف على القبر ،
 يريد به أحمد أفندي أبو العدل . (٢) ظهر المنبر ونحوه : علاه . (٣) يريد « بسليم » :
 سليم مركيس . ويشير بهذا البيت إلى دعوته إلى إقامة هذا الحفل . (٤) المرة : القوة والعزيمة .
 (٥) استعمال « المشرع » بمعنى الفرض الذي يبدأ في تحقيقه استعمال شائع في كلام أهل العصر .
 (٦) الخليس والكنس : الكواكب . (٧) القدسي : نسبة إلى بيت المقدس . يشير
 إلى مولده .

(١) يا لواجِبِ الأَقْدَيسِ في حَقِّ مَنْ * باعته مَضْرِبَةً الوَكِيسِ
هَذَا (أَبُو الْعَدْلِ) فَمَنْ خَالَه * حَيًّا فَا خَالَ مِوَى الْعَكِيسِ
(٢) كَانَتْ لَهُ فِي حَلْفِهِ تَرَوَةٌ * مِنْ نَبْرَةٍ تُشْجِي وَمِنْ جَرِيسِ
(٣) فغَالَمَا الدَّهْرُ كَمَا غَالَهُ * حَتَّى غَدَا كَالطَّلِيلِ الدَّرِيسِ
فَا كَتَبُوا الْأَجْرَ وَلَا تَبْتَغُوا * شِرَاءَهُ بِالثَّمَنِ الْبَخِيسِ
(٤) إِنِّي أَرَى التَّمَثِيلَ فِي غَمْرَةٍ * غَامِرَةٍ تَدْعُو إِلَى الْيَأْسِ
(٥) لَمْ يَرَمِهِ فِي شَرْخِهِ مَا رَمَى * لَوْ كَانَ مَبْنِيًّا عَلَى أَسْ
أَكْلَمَا حَقَّتْ بِهِ مَخْوَةٌ * مِنْ دَائِهِ عُوِجَلٌ بِالنَّكِيسِ
إِنْ تُفْصَلُوا دَارِسَ آثَارِهِ * عَنِّي عَلَيْهَا الدَّهْرُ بِالطَّمِيسِ
أَتَجْزَمُهَا التَّنْقِطُ بِمَا تَبَنَّا * تَنْوُبُ عَنْ أَلْسِنَاهَا الْخُرَيسِ

العدو والصديق

ترجمة عن قولبي

[نشر هذا البيت في ١٥ يناير سنة ١٩١٦ م]

لَا أَبَالِي أَدَى الْعَدُوِّ لِحُطْطِي * أَنْتَ يَا رَبِّ مِنْ وَلَايِ الصَّدِيقِ

- (١) - الوكس :- التصان والخسارة . (٢) - الجريس :- الصوت الخفى .
(٣) - الطلل :- ما بين من آثار الديار . والدريس ، أى الدارس البالى . (٤) - غمرة غامرة
أى شدة عامة شاملة . (٥) - فى شرخه ، أى فى ريمانه وأقول نهوضه .

جمعية الاتحاد السوري

أنشدها في حفل خيري أقامته هذه الجامعة في الأوبرا السلطانية لإعانة الطلبة الشاميين بالآزهر

ليلة الثلاثاء ١٥ يناير سنة ١٩١٦ م

(١)
أَيُّهَا الْوَسْمِيُّ زُرْتِ النَّبْتَ الرُّبَا * وَأَسْبَقِ الْفَجْرَ إِلَى رَوْضِ الزَّهْرِ
(٢)
حَيْثُ وَأَثَرٌ عَلَى أَكْبَامِهِ * مِنْ نِطَافِ الْمَاءِ أَشْبَاهِ الدُّرَرِ
(٣)
أَيُّهَا الزَّهْرُ أَفِقْ مِنْ سِنَةِ * وَأَصْطَبِخْ مِنْ ثَمَرَةِ لَمْ تَعْتَصِرْ
(٤)
مِنْ رَجِيْقِ أُمِّهِ غَادِيَةٍ * سَاقَهَا تَحْتَ الدُّجَى رَوْحُ السَّحَرِ
(٥)
وَأَنْفَجِ الرُّوْضَ بِنَشْرِ طَيِّبٍ * عَلَيْهِ يُوقِظُ سُكَّانَ الشَّجَرِ
(٦)
إِنِّي بِي شَوْقًا إِلَى ذِي غُنَّةٍ * يُؤَلِّسُ النَّفْسَ وَقَدْ نَامَ السَّمَرِ
(٧)
إِلَيْهِ يَا طَيْرُ الْأَمْنِ مُسْعِدٍ؟ * إِنِّي قَدْ شَفَقْتُ طُولَ السَّهْرِ
(٨)
قُمْ وَصَفِّقْ وَأَسْتَحِرْ وَأَجْمَعْ وَنُحْ * وَأَرْوِعْ عَنْ إِسْحَاقَ مَا تُؤَوِّرُ الْخَبَرَ
ظَهَرَ الْفَجْرُ وَقَدْ عَوَّدَنِي * أَنْ تُغْنِيَنِي إِذَا الْفَجْرُ ظَهَرَ

- (١) الوسمي : المطر أول الربيع . (٢) الأكام : أغصان الزهر . والنطاف : القطرات الصافية من الماء . (٣) السنة : النوم . والاصطباح : الشرب في الصباح .
(٤) الرجيق : الثمر . والغادية : السحابة تنثأ غدوة . والروح : الريح . جعل ماء المطر للزهر كالنهر . (٥) النسر : الرائحة العلية . وسكان الشجر : الطير . (٦) السمر : السار . (٧) المسعد : المعين . وشفه السهر : هزله وأضناه . (٨) تصفيق الطير : خفقه بأجنحته . واستحرق ، أى غنى سجرا . وجميع الطير : تغريده . ويريد «إسحاق» : إسحاق بن إبراهيم الموصلي الملقب بالباصي المعروف . يرغب إلى الطيور أن تغنيه غناه .

(١)
غَنِيَّ كَمْ لَكَ عِنْدِي مِنْ يَدٍ * سَرَّتِ الْأَشْجَانُ عَنِّي وَالْفِكَرُ
(٢)
إِنْ حَرِقَ السَّمْعَ سِوَى مِنْ نَبَأٍ * خَرَقَ السَّمْعَ فَأَذَى فَوْقَهُ
كُلَّ يَوْمٍ نَبَأٌ تَطْرُقُنَا * بَعْجِيْبٍ مِنْ أَعَايِبِ الْعِبَرِ
(٣)
أُمُّ تَفْنَى وَأَرْكَانُ تَهَى * وَعُرُوشٌ تَهَاوَى وَسُرُرُ
(٤)
وَجِيُوشٌ يُجِيُوشُ تَلْتَقِي * كَسِيُولٍ دَفَقَتْ فِي مُنْحَدَرِ
(٥)
وَرَجَالٌ تَبَارَى لِلرَّدَى * لَا تُبَالِي غَابَ عَنْهَا أُمُّ حَضَرِ
(٦)
مَنْ رَأَاهَا فِي وَغَاهَا خَلَاهَا * صِبْيَةٌ حَقَّتْ إِلَى لُغْبِ الْأَكْرِ
وَحُرُوبٌ طَاحِنَاتٌ كُلَّمَا * أَطْفِفَتْ شَبَّ لَطَاهَا وَأَسْتَمَرَّ
صَبَّتِ الْأَفْلَاحُ مِنْ أَهْوَاهَا * وَأَسْتَعَاذَ الشَّمْسُ مِنْهَا وَالْقَمَرُ
فِي الثَّرَى، فِي الْجَوِّ، فِي شَمِّ الدَّرَا * فِي عُجَابِ الْبَحْرِ، فِي مَجْرَى النَّهْرِ
(٧)
أَسْرَفَتْ فِي الْخَلْقِ حَتَّى أَوْشَكُوا * أَنْ يَبِيدُوا قَبْلَ مِيعَادِ الْبَشَرِ
(٨)
فَأَصْمِدُوا ثُمَّ أَحْمَلُوا اللَّهَ عَلَى * نِعْمَةِ الْأَمْنِ وَطِيبِ الْمُسْتَقَرِّ
(٩)

- (١) سرت الأشجان : كفتها ونخفت آلامها . (٢) يريد « بالنبا » : نبأ الحرب .
الغلى . يقول . اسمعنى أيها الطائر من أنباءك ، (أى غنائك) ما يلذ به سمعى ، ولا تسمعنى أنباء الحرب .
التي تصم الآذان وتدمى القلوب . (٣) تهى : تتخل وتسقط . وتهوى : يسقط بعضها إثر بعض .
(٤) دفقت : انصبت بشدة . (٥) الردي : الهلاك .
(٦) الوغى : الحرب ، لمافيا من الصوت والجلبة . والأكر : جمع أكرة ، وهى لفة فى الكرة .
(٧) فى شم الدرا ، أى فى أعلى المرتفعات . (٨) ييدوا : يهلكوا . وميعاد البشر :
يوم يقضى الناس جميعا . (٩) الصمد : القصد . ويسمعمل فى عصرنا بمعنى الصبر .

(١)
نِعْمَةُ الْأَمْنِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا * نِعْمَةُ الْأَمْنِ إِذَا الْخَطْبُ أَكْفَهَرَ
(٢)
وَاشْكُرُوا سُلْطَانَ مِصْرٍ وَاشْكُرُوا * صَاحِبَ الدَّوْلَةِ مَجْمُودَ الْأَثَرِ
نَحْنُ فِي عَيْشٍ تَمَنَّى دُونَهُ * أُمٌّ فِي الْغَرْبِ أَشْقَاهَا الْقَدَرُ
(٣)
تَمَنَّى هَجْعَةً فِي غَبْطَةٍ * لَمْ تُسَاوِرْهَا اللَّيَالِي بِالْكَدْرِ
إِنَّ فِي الْأَزْهِرِ قَوْمًا نَالَهُمْ * مِنْ لَقَى نِيرَانَهَا بَعْضُ الشَّرِّ
أَصْبَحُوا - لَا قَدَرَ اللَّهُ لَنَا - * فِي عَنَاءٍ وَشَقَاءٍ وَجَعْرٍ
(٤)
تَوَلَّاءُ بَيْنَنَا إِنْ يَرْهَقُوا * أَوْ يُضَامُوا إِنَّهَا إِحْدَى الْكِبَرِ
(٥)
فَاعَيْنُوهُمْ فَهُمْ إِخْوَانُكُمْ * مَسْهُمٌ ضُرٌّ وَنَابَتْهُمْ غَيْرُ
(٦)
أَقْرِضُوا اللَّهَ يُضَاعِفَ أَجْرَكُمْ * إِنَّ خَيْرَ الْأَجْرِ أَجْرُ مُدْنَرٍ

(١) اكفهر : تجهم وعبس .

(٢) صاحب الدولة : رئيس الوزراء ، وكان إذ ذاك حسين رشدي باشا .

(٣) الهجعة : النوم .

(٤) يرهقوا ، أى يمانون من شطف العيش مالا يطيقون .

(٥) غير الزمان : أحداثه وتقلباته

(٦) يستعمل إقراض الله بمعنى الإحسان وبذل المعروف ، لأن الله هو المتولى رده

والجزاء عليه .

الجمعية الخيرية الإسلامية

أنشد هذه القصيدة بين يدي المغفور له السلطان حسين كامل في ليلة أحيائها الجمعية الخيرية بالأوبرا السلطانية .
وقد قاطها على لسان صنيعة من صنائع الجمعية كان يتينا بأسا فكفلة الجمعية حتى اكتمل عقلا وعلمها

[نشرت في ٢٨ مارس سنة ١٩١٦ م]

قَصَيْتُ عَهْدَ حَدَاتِي * مَا بَيْنَ ذَلِكَ وَأَغْطَرَابِ
(١)
لَمْ يُغْنِ عَنِّي بَيْنَ مَشَى * بَرَقِهَا وَمَغْرِبِهَا أَضْطَرَابِ
(٢)
صَفَرْتُ يَدِي لِحَوَى لَهَا * رَأْسِي وَجَوْفِي وَالْوِطَابِ
(٣)
وَأَنَا أَبْنُ عَشِيرٍ لَيْسَ فِي * طَوْفِي مُكَالَفَةُ الصَّعَابِ
(٤)
لَمْ يَتَّقَ مِنْ أَهْلِ سَوَى * ذِكْرِ تَنَاسَاهُ الصَّحَابِ
(٥)
أَمْشِي يُرْنَحْنِي الْأَسَى * وَالْبُؤْسُ تَزِينُ الشَّرَابِ
(٦)
فَلَمْ ظَلَلْتُ عَلَى طَوَى * يَوْمِي وَيَتُّ عَلَى تَبَابِ
(٧)
وَالْجُوعُ فَرَّاسٌ لَهُ * طُفْرٌ يَصُولُ بِهِ وَتَابِ
(٨)
فَكَأَنَّهُ فِي مُهْجَتِي * نَصْلٌ تَغْلُغَلُ لِلنَّصَابِ

- (١) الاضطراب في الأرض : التردد فيها بجية وذهابا . (٢) صفرت يدي : فرغت .
وخوى : خلا . ويريد « بالوطاب » وعاء الزاد ، والأصل فيه : سقاء اللبن .
(٣) الطوق : الجهد . (٤) يرْنَحْنِي ، أى يملئني بمة وبرة . والأسى : الحزن .
(٥) الطوى : الجوع . والتباب : الحمران . (٦) فراس : شديد الافتراس .
(٧) تغلغل النصل في الشيء : دخل فيه وقد ألى جوفه . ونصاب السيف والسكين ونحوهما :
المقبض .

- (١) وَلَكُمْ مَحَبَّتُ الْاَبْيَضِ * بِنِ قَابِلِيَا بُرْدَ الشَّابِ
(٢) فَاِذَا ظَفِرْتُ بِكُسْرَةٍ * فَاِدَامُهَا مِنِّي لُمَابِ
(٣) وَعَلَى طَمْرُ لَوْ هَفَّتْ * رِيحُ الشَّمَالِ بِهِ لَنَابِ
نَفْرُوهُ وَمَصَائِي * فِي الْعَدِّ يُحْطِئُهَا الْحِسَابِ
(٤) مَا زِلْتُ أَوْسَعُ بِمَحْنِي * صَبْرًا وَأَحْتَمِلُ الْعَذَابِ
(٥) حَتَّى تَنْفَسَ صُبْحُ لِقَاءِ * جَالِي وَيَجْمُ النَّحِيسُ ظَابِ
(٦) وَلِكُلِّ سَيْفٍ مُضَلَّتْ * لِحَوَاثِ الدُّنْيَا قِرَابِ
(٧) وَالْعَيْشُ فِي إِقْبَالِهِ * شُهْدٌ وَفِي الْإِدْبَارِ صَابِ
(٨) فَتَلَقَّفْتَنِي فِتْيَةً * رُحْبُ الشَّمَائِلِ وَالْجَنَابِ
(٩) مَهْدُوا لِأَنْفُسِهِمْ بِمَا * صَنَعُوهُ زُلْفَى وَأَحْسَابِ

(١) الأبيضان : الماء والخبز؛ قال الشاعر :

الأبيضان بردا عظامي * الماء والفت بلا إدام

(٢) الإدام : ما يؤتد به في الطعام .

(٣) الطمر : الثوب البالي من غير الصوف ، وهفت الريح بالثوب ونحوه : حركته وذهبت به .

(٤) المحنة : ما يمتحن به صبر الإنسان من النوائب . (٥) تنفس الصبح : أضاء وأشرق ؛

وهو استعمال مجازي . (٦) المصلت من السيوف : المجزء من غمده ، وقرب السيف : جرابه .

يريد أن كل شدة الى انتهاء ، وكل عسر الى يسر . (٧) الشهد : عسل النحل . والصاب :

عصارة شجر شديد المرارة ؛ يريد أن العيش حلوف في إقباله ، شديد المرارة في إدباره .

(٨) يريد : « بالفتية » : رجال الجمعية الخيرية الإسلامية . (٩) مهدوا لأنفسهم ، أى كسبوا لها

خيرا . والزلفى : القربي . والاحتساب ، هو أن تقدم عملا صالحا تحتميه عند الله ، أى تخبره ولا تبغى عليه

جزاء من الناس . ولا حظ أن الوقف هنا يسكنون الباء في آخر البيت على غير الأصح ، وقد دعت اليه الضرورة .

(١)
وَعَدُوا إِلَى الْحُسْنَى كَمَا * تَعْدُو الْمُطَهَّمَةُ الْعِرَابُ
كَمْ أُسْرَى ضَاقَ الرِّجَا * بِهَا وَأَعْيَاهَا الطَّلَابُ
(٢)
دَقُّوا عَلَيْهَا بِأَبْهَا * وَاللَّيْلُ مَسْدُولُ النَّقَابِ
(٣)
وَتَعَاهَدُوهَا بِثَلَا * يَتَعَاهَدُ النَّبْتُ السَّحَابُ
وَبِحَالِ صُنْعِ الْبِرِّ أَلَا * يُسْتَشْفَى لَهُ حِجَابُ
(٤)
فَقَعُوا الْمَدَارِسَ حِسْبَةً * وَتَنْظُرُوا حُسْنَ الْمَابِ
فِيهَا تَبَيَّنَتْ الْهُدَى * وَقَرَأْتُ (فَاتِحَةَ الْكِتَابِ)
(٥)
وَبِهَا صَدَفْتُ عَنِ الضَّلَا * لَهُ وَأَهْتَدَيْتُ إِلَى الصَّوَابِ
وَعَدَوْتُ إِنْسَانًا تُجَنِّلُهُ الْفَضَائِلُ لَا الثِّيَابِ
مُتَبَصِّرًا ذَا فِطْنَةٍ * تَتَّبِعِي الْقُشُورَ عَنِ اللَّبَابِ
(بِجَمِيعَةِ خَيْرِيَّةٍ) * قَامَتْ لِتَخْفِيفِ الْمَصِيبِ
(٦)
قَدْ كَانَ فِيهَا (عَبْدُهُ) * غَوًّا يَلْبِي مَنْ أَهَابِ

- (١) عدوا : أسرعوا . والمطهَّم من الخليل : الذي تم حسنه وبرح في الجبال . والليل العراب :
الكرائم السالمة من الهجعة . (٢) يريد بقوله : «مسدول النقاب» : وصف الليل بشدة الظلام .
ويصف رجال الجمعية بأنهم يبدلون المعروف في خفية وتكتم ، وذلك أفضل الإحسان .
(٣) تعاهدوها : تفقدوها بالبدل والمعونة . (٤) تنظروا : انتظروا وأرتقبوا .
(٥) صدف عن الضلالة : أعرض عنها . (٦) يريد الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده .
انظر التعريف به في الحاشية رقم ٣ من صفحة ٤ من هذا الجزء . وكان أقوى مؤسسى الجمعية الخيرية وأعظم
الداعين الى إنشائها . وأهاب : دعا .

(١) لَمْ يَدْعُ مَسْمَحًا إِلَى * لِنَعِيشِهَا إِلَّا أَجَابَ
 مَا غَابَ عَنْهَا مَرَّةً * حَتَّى تَغِيبَ فِي الثَّرَابِ
 (٢) وَ (لِعَاصِمٍ) أَثَرُهَا * بَاقٍ وَذِكْرُ مُسْتَطَابِ
 (٣) قَدْ كَانَ يَجِيها كَمَا * تَجِي بِجَانِبِهَا الْعُقَابِ
 ثَبَّتَتْ وَكَانَ ثَبَاتُهَا * يَدْعُو إِلَى الْعَجَبِ الْعُجَابِ
 (٤) وَالشَّرْقُ أَوْرَثَ أَهْلَهُ * حُبَّ الثَّقَلْبِ وَالْخِلَابِ
 فِينَا عَلَى كَرَمِ الطُّبَا * عِ وَنِيلِهَا طَبْعُ يُعَابِ
 دَاءُ التَّوَاكُلِ وَهَوَى إِلَى * عُمْرَانَ دَاعِيَةً أَخْرَابِ
 (٥) ثَبَّتَتْ لِأَنَّهَا لَهَا إِلَى * أَعْتَابِ مَوْلَانَا أَتْسَابِ
 (٦) لَوْلَا (حُسَيْنٌ) لَمْ تَدُمِ * إِلَّا كَمَا دَامَ الْحَبَابِ
 اللَّهُ أَذْرَكَهَا بِهِ * بِحَرًّا مَوَارِدُهُ عِيَابِ
 يَا وَاهِبَ الْأَلَاِفِ كَمْ * طَوَّقَتْ بِالْمَنَنِ الرَّقَابِ
 (٧) لَكَ سَاحَةُ عَلَوِيَّةٍ * مَا أَمَّهَا أَمَلٌ وَخَابِ

(١) المساح: الكثير السباح. (٢) يريد «بعاصم»: المرحوم حسن عاصم باشا. (٣) مجاز العقباب: مواضعها التي تنزل بها، الواحد مجيم؛ يقال: بجم الطائر، إذا فرم مكانه فلم يبرحه؛ أو تلبس بالأرض. والعقباب: طائر من الجوارح، والعرب تسميه الكاسر. (٤) الخلاب: الخلداع. (٥) يريد بقوله: «مولانا» السلطان حسين كامل؛ وكان رئيسا لها أيام كان أميراً. والوقوف على قوله: «أتساب» يسكون الباء لضرورة القافية جريا على غير القصيح، وهي لغة ربيعة، فانهم يقفون على المنون بخذف تنوينه وسكون آخره مطلقا، أي سواء أكان منصوبا كما في هذا اللفظ، أم مرفوعا أم مجرورا. (٦) الحباب: فقائغ الماء التي تملوه. (٧) علوية: نسبة إلى المنصور له ساكن الجنان محمد علي باشا جد الأسرة المالكة.

مَهَّدَتِ لِلْأَخْيَارِ مِيَّةَ * دَانَ السَّيَاقِ إِلَى الثَّوَابِ
(١)
لَا زِلْتَ فِي الْفُطْرَيْنِ مَحْ * رُوسَ الْأَرِيكََةِ وَالرَّكَابِ

جمعية إعانة العميان

فالها في حفل أقامته الجمعية لبناء مدرسة العميان الأحداث بالأوبرا

في ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٦ م ونشرت في اليوم التالي

(٢) إِنْ يَوْمَ احْتِفَالِكُمْ زَادَ حُسْنًا * وَجَلَّلاً يَوْمَ عِيدِ الْجُلُوسِ
(٣) فَاقْتَرَبُ الْيَوْمَيْنِ رَمَزٌ إِلَى أَيْمٍ * بَيْنَ وَبُشْرَى تَسْرُوهَنَّ الْحُبُوسِ
(٤) فَكَأَنِّي أَشِيمُ عَاطِفَةَ السَّيْرِ عِيَانًا يُجُولُ بَيْنَ الْجُلُوسِ
(٥) وَأَرَى فِي الْوُجُوهِ سِيمَا آرْتِيَا ح * وَأَبْتَهَاجَ لَسَعَى تِلْكَ الْعُرُوسِ
إِنْ حَقَّ الضَّرِيرُ عِنْدَ ذَوَى الْأَبْدِ * صَارَ حَقٌّ مُسْتَوْجِبُ التَّقْدِيرِ
لَمْ يَضُرَّهُ فَقْدَانُهُ نُورَ عَيْنَيْهِ * بِهِ إِذَا اعْتَصَصَ عَنْهُمَا بِأَنْتِيسِ
أَنْسُوا نَفْسَهُ إِذَا أَظْلَمَ الْعَيْدُ * شُ بَعِلِمَ فَالْعِلْمُ أَنْسَ النُّفُوسِ
وَجَهَّوْهُ إِلَى الصَّلَاحِ يُفِدُّكُمْ * فَوْقَ مَا يَسْتَفِيدُهُ مِنْ دُرُوسِ
(٦) اكْمُلُوا قَصَصَهُ يَكُنْ عَبْقَرِيًّا * مِثْلَ (طَلْ) مُبْرَزًا فِي الطُّرُوسِ

- (١) القطاران : مصر والسودان . والأريكة : سرير الملك . (٢) يريد عيد جلوس
المفتقر له السلطان حسين كامل . (٣) يريد « برهن الحبوس » : أن هذا المكفوف رهين حبس
بصره ، وحبس بصره ، وكان أبو العلاء المعزى يلقب « برهين الحبسين » . (٤) أشيم : أرى وأنظر .
(٥) يريد « بالعروس » : عاطفة البر السابق ذكرها . (٦) يريد « بطله » : الدكتور طه
حسين (بك) عيد كلية الآداب الآن . والطروس : جمع طرس ، وهو الصحيفة يكتب فيها .

كَمْ رَأَيْنَا مِنْ أَكْثَرِ لَا يُجَارَى * وَضَرِيرٍ يُرْجَى لَيْسَ عُبُوسٍ
لَمْ تَقِفْ آفَةُ الْعُيُونِ حِجَازًا * يَبْنَ وَنَبَاتُهُ وَبَيْنَ الشُّمُوسِ
عَدِيمَ الْحَسَنِ قَائِدًا فَخْدَاهُ * هَدَى وَجْدَانَهُ إِلَى الْمُحْسُوسِ
مِثْلُ هَذَا إِذَا تَعَلَّمَ أَغْنَى * عَنْ كَثِيرٍ وَجَاءَنَا بِالنَّفِيسِ
ذَاكَ أَتَ الذِّكَاةَ وَالْحِفْظَ حَلًّا * فِي جَوَارِ النَّهْيِ بَتَكَ الرُّؤُوسِ
فَعَلَى كُلِّ أَكْثَرٍ وَبَصِيرٍ * شُكْرُ أَعْضَائِكُمْ وَشُكْرُ الرَّئِيسِ

ملجأ الحرية

[نشرت في ١٩ مايو سنة ١٩١٩ م]

- (١)
أَيُّهَا الطِّفْلُ لَكَ الْبُشْرَى فَقَدْ * قَدَّرَ اللَّهُ لَنَا أَنْ نُنْشَرَا
قَدَّرَ اللَّهُ حَيَاةَ حُرَّةٍ * وَأَبَى سُجْدَانَهُ أَنْ تُقْبَرَا
(٢)
لَا تَخَفْ جُوعًا وَلَا عُريًا وَلَا * تَبْكِي عَيْنَاكَ إِذَا خَطَبَ عَرَا
(٣)
لَكَ عِنْدَ الْبِرِّ فِي مَلْجَأِهِ * حَيْثُ تَأْوِي خَاطِرُنَّ يُكْمَرَا
(٤)
حَيْثُ تَلْقَى فِيهِ حَذْبًا وَتَرَى * بَيْنَ أَتْرَابِكَ عَيْشًا أَنْضَرَا

- (١) نشر: نحيما ونبعث . جعل ما كان فيه المصريون قبل من إهمال اليتيم وإغفال شأنه كالملوك؛
وما صاروا إليه بعد من رعايته والعناية به حياة وبعثا . (٢) عرا : ألم وزل . (٣) يستعمل
« كسر الخاطر » في إيجال السائل ورده بغير ما كان يؤمل ، وهو استعمال شائع في كلام عصرنا .
(٤) الحذب (بالفتح) وسكن للشعر : العطف . ويجوز أن يقرأ بالضم بمعنى جماعة العاطفين .
وأترابك : لداك ونظرائك ، الواحد ترب (بالكسر) .

لَا تُسَيِّ ظَنًّا بِمُثَرِّبِنَا قَدْ * تَابَ عَنِ آثَامِهِ وَاسْتَغْفَرَا
(١)
كَانَ بِالْأَمْسِ وَأَقْصَى هَمِّهِ * إِنَّ أُنَى عَارِفَةٍ أَنْ يَظْهَرَا
(٢)
فَدَا الْيَوْمَ يُوَامِي شَعْبَهُ * وَهُوَ لَا يَرْغُبُ فِي أَنْ يُشْكَرَا
(٣)
نَهَتْ عَاطِفَةَ الْبِرِّ بِهِ * مِحْنَةً عَمَتْ وَمِقْدَارُ جَرَى
(٤)
جَمَعْتَنَا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ * وَأَرَادَتْنَا عَلَى أَنْ تُقَهَّرَا
(٥)
فَتَعَاهَدْنَا عَلَى دَفْعِ الْأَذَى * بِرُكُوبِ الْحَزْمِ حَتَّى نَظْفَرَا
(٦)
وَتَوَاصَيْنَا بِصَبْرِ بَيْنَنَا * فَعَدَوْنَا قُوَّةً لَا تُزْدَرَى
(٧)
أَنْشَرْتُ فِي مِصْرَ شَعْبًا صَالِحًا * كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ مُتَفَكِّ الْعُرَا
(٨)
كَمْ حُبِّ هَائِمٍ فِي حُبِّهَا * ذَادَ عَنْ أَجْفَانِهِ سَرَحَ الْكَرَى
(٩)
وَشَبَابٍ وَكُھُولٍ أَقْسَمُوا * أَنْ يَسِيدُوا بِجَدِّهَا فَوْقَ الذُّرَا
(١٠)
يَارِجَالَ الْحِدْثِ هَذَا وَقْتُهُ * أَنْ أَنْتَ يَعْمَلُ كُلُّ مَا يَرَى
مَلَجَأً أَوْ مَصْرِفًا أَوْ مَصْنَعًا * أَوْ تَقَابَاتٍ لَزْزَاعِ الْقُفْرِ
(١١)
أَنَا لَا أَعْدِرُ مِنْكُمْ مَنْ وَنَى * وَهُوَ ذُو مَقْدَرَةٍ أَوْ قَصْرَا

- (١) العارفة : العطفية والمعروف . (٢) المحنة : ما يمتحن به الإنسان من بلية . والمقدار :
القدر (يفتح القاف والدال) . ويريد ما شمل الناس من قهروضيق إذ ذاك . (٣) الضمير في «جمعتنا»
«لجنة» . ويقال : أرادته على الأمر ، وذلك إذا حمله عليه . (٤) لا تزدرى : لا تحتقر .
(٥) أنشرت : أحييت . ويريد «بالعرا» : صلاة المودة ، الواحدة عروة .
(٦) الضمير في «حبها» لمصر . وذاد : منع ودفع . والكرى : النرم .
(٧) النرا : جمع ذرة ، وهي المكان المرتفع . (٨) ونى : أبطا .

فابْدَعُوا بِالْمَلَجَا الْحُرَّ الَّذِي * جِثْتُ لِلْأَيْدِي لَهُ مُسْتَمِطِرَا
 (١) وَاكْفُلُوا الْإِيْتَامَ فِيهِ وَاعْلَمُوا * أَنَّ كُلَّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْقَرَا
 أَيُّهَا الْمُتَرَيُّ لَا تَكْفُلْ مَنْ * بَاتَ مُحْرُومًا يَتِيْمًا مُعْسِرَا
 أَنْتَ مَا يُدْرِيكَ لَوْ أَنْبَأَهُ * رَبُّمَا أَطْلَعْتَ بَدْرًا نَبْرَا
 (٢) رَبُّمَا أَطْلَعْتَ (سَعْدًا) آخَرَا * يُحْكِمُ الْقَوْلَ وَيَرْقِي الْمِنْجَرَا
 (٣) رَبُّمَا أَطْلَعْتَ مِنْهُ (عَبْدَهُ) * مَنْ حَمَى الدِّينَ وَزَانَ (الْأَزْهَرَا)
 رَبُّمَا أَطْلَعْتَ مِنْهُ شَاعِرَا * مِثْلَ (شَوْقِي) نَابِيهَا بَيْنَ الْوَرَى
 (٤) رَبُّمَا أَطْلَعْتَ مِنْهُ فَارِيسَا * يَدْخُلُ الْغَيْلَ عَلَى أَسَدِ الشَّرَى
 كَمْ طَوَى الْيُؤُسُ نَفُوسًا لَوَرَعَتْ * مَتِيئًا خَضْبًا لَكَانَتْ جَوْهَرَا
 (٥) كَمْ قَضَى الْعُدْمُ عَلَى مَوْهَبَةٍ * فَتَوَارَتْ تَحْتَ أَطْبَاقِ التَّرَى

- (١) كَفَلَهُ يَكْفِلُهُ (من باب نصر) : قام بأمره . والقرا : الحمار الوحشي « وكل الصيد في جوف القرا » : مثل ؛ وأصله أن ثلاثة خرجوا متصيدين ، فاصطاد أحدهم أرنبًا ، والآخر طيًّا ، والثالث حمارًا فاستبشر صاحب الأرنب وصاحب الطي بما نالا ، وتطاولا على صاحب الحمار . فقال لهما : « كل الصيد في جوف القرا » ، أي أن هذا الذي رقت به ونظفرت يشتمل على ما عندكما ، وذلك أنه ليس مما يصيده الناس أعظم من الحمار . ومعنى المثل هنا أن معونة اليتيم تحمل في ثناياها جميع الأعمال الصالحة .
- (٢) يريد المغفور له (سعد زعول باشا) وكان رئيسًا للوفد المصري إذ ذاك .
- (٣) يريد « عبده » : الأستاذ الإمام محمد عبده (انظر التعريف به في الحاشية رقم ٣ من صفحة ٤ من هذا الجزء . (٤) الغيل (بالكسر وفتح) : الشجر الكثير الملتف ، وتأوى إليه الأسود . والشري : مأسدة جانب القرات يضرب بأسادها المثل .
- (٥) العدم - الفقر .

كُلُّ مَنْ أَحْيَا يَتِيًّا ضَائِعًا * حَسْبُهُ مِنْ رَبِّهِ أَنْ يُؤَجِّرَا
إِنَّمَا تُحْمَدُ عُقْبَى أَمْرِهِ * مَنْ لَأَنَحَاهُ بِدُنْيَاهُ أَشْتَرَى

جمعية الطفل

أنشدنا في الحفل الذي أقامته هذه الجمعية في يوم الثلاثاء أول مايو سنة ١٩٢٨ م

- (١)
أَيُّهَا الطِّفْلُ لَا تَخَفْ عَنَّا الدَّهْرُ * وَلَا تَخَشَّ عَادِيَاتِ اللَّيَالِي
(٢)
قِيْضَ اللَّهُ لِلضَّعِيفِ نَفْسًا * تَعَشَّقُ الْبِرَّ مِنْ ذَوَاتِ الْجِبَالِ
أَيُّ ذَوَاتِ الْجِبَالِ عَشَّتْ لِلْبِرِّ * وَدُمْنُ قُدُوَّةٍ لِلرِّجَالِ
لَمْ يَكُونُوا يُدْرِكُوا الْمَجْدَ لَوْلَا * كُنْ أَوْ يَسْلُكُوا سَبِيلَ الْمَعَالِي
(٣)
بَسْمَةً تَجْعَلُ الْجَبَانَ تُجَاعًا * وَتُعِيدُ الْبَخِيلَ أَكْرَمَ نَالِ
(٤)
وِعِظَامُ الرِّجَالِ مِنْ كُلِّ جَنَسٍ * فِي رِضَاكَ أَنْ خُصُّوا كُلٌّ غَالِي
(٥)
رَاعَنِي مِنْ نَفْسٍ كُنَّ جَمَالُ * يَتَجَلَّى فِي هَالَةٍ مِنْ جَلَالِ
(٦)
وَجَمَالُ النُّفُوسِ وَالشَّعْرِ وَالْأَخْ * لِقَ عِنْدِي أُنْتَمَى بِجَالِي الْجَمَالِ
(٧)
فَمَنْ عَلِمْنَا الْمُرُوءَةَ وَالْعِظَمَ * مَفَّ عَلَى الْبَائِسِينَ وَالسُّؤَالَ

(١) العنت : المشقة . (٢) قِيض : أتاح . وذوات الجبال : النساء . والجبال : جمع
جبل ، وهي موضع يزین للعروس . ويشير إلى أن تلك الجمعية من السيدات : (٣) النال : الجواد
الكریم . (٤) الهالة : دائرة القمر . (٥) مجالى الجبال ، أى مظاهره وما يبدو منه .

فَمَنْ عَلَّمَنَا الْحَنَانَ عَلَى الطَّفِّ * لِي شَرِيدًا فَرِيسَةً الْمُتَعَالِ
 قَدْ أَجَبْنَا نِدَاءَ كُنَّ وَجِئْنَا * نَسْأَلُ الْقَادِرِينَ بَعْضَ النَّوَالِ
 (١)
 لَوْ مَلَكْنَا غَيْرَ الْمَقَالِ لَجَدْنَا * إِنْ جُهِدَ الْمُقِلُّ حُسْنُ الْمَقَالِ
 انْقُدُوا الطِّفْلَ إِنْ فِي شِقْوَةِ الطَّفِّ * لِي شَقَاءٌ لَنَا عَلَى كُلِّ حَالِ
 (٢)
 إِنْ يَعْشُ بِائِسًا وَلَمْ يَطْوِهِ الْبُؤْسُ * سُبُعُ نَكْبَةٍ عَلَى الْأَجْيَالِ
 رَبِّ بُؤْسٍ يُجَبِّتُ النَّفْسَ حَتَّى * يَطْرَحُ الْمَرْءَ فِي مَهَاوِي الضَّلَالِ
 (٣)
 أَنْقِدُوهُ فَرُبَّمَا كَانَ فِيهِ * مُصْلَحٌ أَوْ مُغَامِرٌ لَا يُبَالِي
 (٤)
 رَبَّمَا كَانَ تَحْتَ طَمْرِيهِ عَزَمٌ * ذُو مَضَاءٍ يَدُكُ شَمُّ الْجِبَالِ
 (٥)
 رَبِّ سِرٌّ قَدْ حَلَّ جِسْمَ صَغِيرٍ * وَتَأَبَّى عَلَى شَدِيدِ الْحَالِ
 (٦)
 خِفَافُ الْأَقْيَالِ أَرْفَقُ وَقَعًا * لَوْ تَبَيَّنَتْ مِنْ دَيْبِ الثَّمَالِ
 (٧)
 شَاعَ بُؤْسُ الْأَطْفَالِ وَالْبُؤْسُ دَاءٌ * — لَوْ أُبَيِّحَ الطَّيِّبُ — غَيْرُ عَضَالِ
 أَيَّدُوا كُلَّ بَجْعٍ قَامَ لِلْبَرِّ بِجَاهٍ يُظْلَهُ أَوْ يَمَالِ
 كَمْ يَتِيمٍ كَادَتْ بِهِ الْبَاءُ * سَاءُ لَوْلَا (رِعَايَةُ الْأَطْفَالِ)

(١) المقل : الفقير القليل المال . (٢) يطويه : يغييه ويذهب به .

(٣) المغامر : المقاتل الذي لا يبال الموت .

(٤) الطمر : الثوب الخلق . وشم الجبال : المرتفعة منها ، الواحد أشم .

(٥) سر ، أى موهبة خفية ونبوغ كامن . وتأبى : امتنع . والحال : القدرة والقوة .

(٦) يريد بهذا البيت أن التلمذ على ضالتها فيها من السر ما ليس للفقير على ضحاكته .

(٧) داء ، عضال : شديد غالب معي .

(١) ورجال الإنساعاف أنبل - لولا * شهوة الحرب - من رجال القتال
(٢) يسهرون الدجى لتخفيف ويل * أو بلاء مصوب أو تكال
كم جريح لولاهم مات تزقا * في يد الجهل أو يد الإقبال
(٣) كم صريع من صدمة أو صريع * من شوم تحذر الأوصال
كم حريق قد أجم الناس فيه * عن مخايا تبث تحت التلال
(٤) يترامون في الليب سراعاً * كترامى الفطال ليورد الزلال
(٥) لا لشيء يسوى المروءة يخلو * طعمها في قيم المرىء المسوال
فامسئوا البرمئيين وجودوا * أيها القادرون قبل السؤال
لا تشار العلوم أو لا تطواء له * بجؤس والشر أو لترفيه حال

كلية البنات الأمريكية

قالها في الحفل الذي أقامته الكلية لادع الشابات والمواهب على العازات

[نشرت في ٢٦ مايو سنة ١٩٢٨ء]

(٦) أي رجال الدنيا الجديدة مهلاً * قد شأوتم بالمعجزات الرجال
(٧) وفيهم معنى الحياة فأرصد * ثم عليها لكل نقير كلال

- (١) يقول : لولا حاجتنا إلى الجند في الحرب التي لا تحو لنا عنها ، كان رجال الإنساعاف أنبل منهم وأفضل . (٢) الكال ، العذاب . (٣) يريد « بالسوم » : المخدرات . والأوصال : الأعضاء ، الواحد وصل (بالكسر وبالضم) . (٤) الفطال : جمع فطالة ، وهي طائر في جم الحمامة . (٥) المرىء : ذر المروءة . والمواال : المنصر الدين . (٦) الدنيا الجديدة : أمريكا . وشأوتم : غلظتم . (٧) أرصدتم ، أي أعدتم .

الاجتماعيات

٣١٣

(١) وَحَرَّضْتُمْ عَلَى الْعُقُولِ فُحْرًا * ثُمَّ عَصِيًّا يَرَاهُ قَوْمٌ حَلَالًا
وَقَدَرْتُمْ دَقِيقَةَ الْعُمُرِ حِرْصًا * وَسِوَانَكُمْ لَا يَقْدُرُ الْأَجْبَالَا
كُمُ أَحَالُوا عَلَى غَدِ كُلِّ أَمْرٍ * وَنَحِيلُ الْأُمُورِ بَيْنِي وَالْحَالَا
(٢) قَدْ تَحَدَّيْتُمُ الْمَنِيَّةَ حَتَّى * هَمَّ أَنْ يَغْلِبَ الْبَقَاءُ الزَّوَالَا
وَطَوَّيْتُمْ فَرَاسِخَ الْأَرْضِ طِبَا * وَمَشَيْتُمْ عَلَى الْمَهْوَاءِ أَخْيَالَا
ثُمَّ سَخَّرْتُمُ الرِّيَّاحَ فُسْطَمَ * حَيْثُ شِئْتُمْ جَنُوبَهَا وَالشَّامَالَا
(٣) تُسْرِجُونَ الْمَهْوَاءَ إِنْ رُمْتُمُ السَّيْ * رَوْفِي الْأَرْضِ مَنْ يَشُدُّ الرِّجَالَا
(٤) وَتَحَدَّيْتُمْ مَوْجَ الْإِثِيرِ بَرِيدًا * حِينَ خَلَّيْتُمْ أَنَّ الْبُرُوقَ كُمَالَا
ثُمَّ حَاوَلْتُمْ الْكَلَامَ مَعَ النَّجْمِ * سِمْ حَفَمْتُمْ الشُّعَاعَ مَقَالَا
(٥) وَمَا (فُورْدُ) آيَةَ الْمَشْيِ حَتَّى * شَرَعَ النَّاسُ يَنْدِيدُونَ النَّعَالَا
وَأَتَرَعْتُمْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بَظْهُرَالِ * أَرْضِ أَوْ بَطْنِهَا الْمُحْتَجِّبِ مَالَا
(٦) وَأَقْسَمْتُمْ فِي كُلِّ أَرْضٍ صُرُوحًا * تَتَطَّحُّ السُّحُبُ شَايِخَاتٍ طَوَالَا

- (١) يشير بهذا البيت الى قانون تحريم انحر الذي كانت جمهورية الولايات المتحدة قد أصدرته .
(٢) تحدَّيْتُمُ الْمَنِيَّةَ ، أى نازعتموها الغلبة وعارضتموها . ويشير الى ما فى هذه البلاد من العناية
الشؤون الصحية والمستشفيات الطيبة ، والاهتمام الى مداواة بعض الأمراض التى كانت قبل مستعصية
العلاج . (٣) تسْرِجُونَ الْمَهْوَاءَ ، أى تمدونه وتهيئونه للركوب كما يسرج الفرس ، أى يشد عليه مرجه
ليركب . ويشير بذلك الى الطائرات . ويريد بقوله « روى الأرض » الخ : أنه لا تزال فى الأرض أم
متأخرة لم تتحول عن جودها فى الحياة ، وتشد الرجال على ظهور الجبال كهدها فى العصور الأولى .
(٤) يشير بهذا البيت الى الآلات اللاسلكية . (٥) فورد : صاحب معامل كبيرة للسيارات
فى أمريكا . ويريد الشاعر أنه قد أكثر منها فى أنحاء العالم حتى يكاد الناس لكثرتها وقلة أمانها ليستغنون
ركوبها عن المشى ولبس النعال . (٦) الصروح : الأبنية العالية .

وَعَرَسْتُ لِلْعِلْمِ رَوْضًا أَيْقًا * فوق دُنْيَا الْوَرَى يَمُدُّ الظَّلَالَ
 وَحَلَّيْتُ بِأَرْضِنَا قَعْرَفًا * كيف تُنْمُون بَيْنَنَا الْأَطْفَالَ
 وَرَأَيْتُ الْبَنَاتِ كَيْفَ يُثَقِّفُ * نَ بَعِلِمُ يَزِيدُهُنَّ جَمَالًا
 لَيْتَ شِعْرِي مَتَى أَرَى أَرْضَ مُصِيرٍ * في حِمَى اللَّهِ تُنْبِتُ الْأَبْطَالَ
 وَأَرَى أَهْلَهَا يُبَارُونَكُمْ عِدًا * مَا وَوَبَّأَ إِلَى الْعَلَا وَنِضَالًا
 (١)
 قَدْ تَقَضَّيْنَا عَنَّا الْكَرَى وَابْتَدَرْنَا * فُرْصَ الْعَيْشِ وَأَنْتَقَلْنَا أَنْتَقَالًا
 (٢)
 وَعَلَيْنَا بَأْسٌ غَفْلَةٍ يَوْمٍ * تَحْرِمُ الْمَرْءَ سَعْيَهُ أَحْوَالًا
 فَشَقَقْنَا إِلَى الْحَيَاةِ طَرِيقًا * وَأَصَبْنَا عَلَى الرَّحَامِ جَمَالًا
 وَنَهَضْنَا فِي ظِلِّ عَرْشٍ (فُؤَادٍ) * وَرَفَعْنَا لِعَهْدِهِ تِمْنَالًا
 (٣)
 قَدْ أَبَى اللَّهُ أَنْ نَعِيشَ عَلَى النَّاسِ * سِوَا أَنْضَاقِ الْوُجُوهِ عِيَالًا

الأزبكية

(٤)
 كَمْ وَارِثٍ غَضَّ الشَّبَابَ رَمَيْتِهِ * بَغْرَامٍ رَاقِصَةٍ وَحِبِّ هَلُوكِ
 (٥)
 أَلْبَسْتِهِ الثَّوْبَيْنِ فِي حَالِيهِمَا * تِيَةَ الْغَنِيِّ وَذِلَّةَ الْمَقْلُوكِ

(١) ابتدنا فرص العيش : عاجلناها وأسرعنا إليها . والكرى : النوم .

(٢) الأحوال : السنون ، الواحد حول . (٣) الوجوه : المذاهب .

(٤) الهلوك : الفاجرة المتساقطة على الرجال . (٥) المفلوك : الفقير البائس ؛ وهي تسمية

فارسية . قال صاحب تحباب (الفلاكة والمفلوكون) : هذه اللفظة تلقيناها من أفاضل العجم ، ويريدون

بها بشهادة مواقع الاستعمال : الرجل غير المحظوظ ، المهمل في الناس لإملائته وفقره .

نشيد الشبان المسلمين

(١) أَعِيدُوا مَجْدَنَا ذُنَيْبًا وَدِينًا * وَذُرُّوْا عَن تَرَاتِ الْمُسْلِمِيْنَ

(٢) قَمَرٌ يَعْنُو لغيرِ اللَّهِ فِينَا * وَنَحْنُ بِبُؤِ الْعِزَّةِ الْفَاتِيحِيْنَ

مَلَكًا الْأَمْرَ فَوْقَ الْأَرْضِ دَهْرًا * وَخَلَدَنَا عَلَى الْأَيَّامِ ذِكْرِي

أَنَّى (عُمَرُ) فَأَنْتَ عَدَلٌ (كُثْرِي) * كَذَلِكَ كَانَ عَهْدُ الرَّاشِدِيْنَ

(٣) جَيْتَا السُّحْبَ فِي عَهْدِ الرَّشِيدِ * وَبَاتَ النَّاسُ فِي حَيْشِ رَغِيدِ

(٤) وَطَوَّقَتِ السَّوَارِفُ كُلَّ جَيْدٍ * وَكَانَ شِعَارُنَا رِفْقًا وَلِينًا

سَلُّوا (بَغْدَادَ) وَالْإِسْلَامَ دِينَ * أَكَانَ لَهَا عَلَى الدُّنْيَا قَرِينُ

رِجَالٌ لِلْعَوَادِثِ لَا تَلِينُ * وَعِظْمُ أَيْدِ الْفَتْحِ الْمُيْنِ

(٥) فَلَسْنَا مِنْهُمْ وَالشُّرْقُ عَانِي * إِذَا لَمْ نَكْفِهِ عَنَّتِ الزَّمَانِ

وَنَرَفَعُهُ إِلَى أَعْلَى مَكَانٍ * كَمَا رَفَعُوهُ أَوْ نَلْقَى الْمُنُونَا

(١) ذُرُّوْا : ادفوا .

(٢) يعنو : يذل ويخضع .

(٣) جيتا السحاب ، يريد بسطة الملك وسعة السلطان . ويشير بذلك الى ما روى عن أحد خلفاء

الإسلام حين رأى منجاة سارية فقال ما معناه : امطري حيث شئت فإن ما تنبتني سيجي خراجها اليك .

(٤) السوارف : العطايا والمنن ، الواحدة عارقة . والجيد : العنق .

(٥) العاني : الأسير المقيد . وعنت الزمان : مثفته .

غلاء الأسعار

أَيُّهَا الْمُضْلِحُونَ ضَاقَ بِنَا الْعَيْدُ * شُسْ وَلَمْ تُحْسِنُوا عَلَيْهِ الْقِيَامَا
(١)
عَزَزَتِ السَّلْعَةُ الذَّلِيلَةَ حَتَّى * بَاتَ مَسْحُ الْحِذَاءِ حَطْبًا جُسَامَا
وَضَدَّ الْقُوْتُ فِي يَدِ النَّاسِ كَالِيَا * قُوْتُ حَتَّى نَوَى الْفَقِيرُ الصِّيَامَا
(٢)
يَقْطَعُ الْيَوْمَ طَاوِيًا وَلَدَيْهِ * دُونَ رِيحِ الْقَتَارِ رِيحُ الْخُرَايَا
وَيَخَالُ الرِّغْفَ فِي الْبُعْدِ بَدْرًا * وَيَظُنُّ الْمُحُومَ صَيْدًا حَرَامًا
(٣)
إِنْ أَضَابَ الرِّغْفَ مِنْ بَعْدِ كَدِّ * صَاحَ : مَنْ لِي بَأَنِّ أُصِيبَ الْإِدَامَا ؟
أَيُّهَا الْمُضْلِحُونَ أَصْلَحْتُمُ الْأَرْضَ * ضَ وَبِئْسَ عَنْ النُّفُوسِ نِيَامَا
أَصْلِحُوا أَنْفُسًا أَضَرَّ بِهَا الْفَقْدُ * رُ وَأَحْيَا بِمَوْتِهَا الْإِثَامَا
لَيْسَ فِي طَوْفِهَا الرِّجْلُ وَلَا الْيَدُ * وَلَا أَنْ تُوَاصِلَ الْإِفْدَامَا
(٤)
تُؤَثِّرُ الْمَوْتَ فِي رُبَا النَّيْلِ جُومًا * وَتَسْرَى الْعَارَ أَنْ تَعَاثَ الْمُقَامَا
(٥)
وَرِجَالُ الشَّيْمِ فِي صُكْرَةِ الْأَرْضِ * يَضُّ يَبَارُونَ فِي الْمَسِيرِ الْغَامَا
رَكِبُوا الْبَحْرَ، جَاوَزُوا الْقُطْبَ، فَأَتَوْا * مَوَاقِعَ النَّيِّرَيْنِ خَاضُوا الظَّلَامَا

- (١) السَّلْعَةُ : المتاع المتجرفه . والخطب الجسام : العظيم . (٢) طَاوِيَا : جَاءَا .
والقَتَارُ (بالضم) : رِيحُ الشَّوَاءِ . وَالْخُرَايَا : نوع من الرياحين ، وزهره من أطيب الأزهار نفعه .
يقول : إن رِيحَ ذاك الزهر أقل شأنًا عنده من رِيحِ الشَّوَاءِ لحاجته الى الثاني دون الأول .
(٣) الْإِدَامَا : مَا يُؤْتَمُّ بِهِ . (٤) الرِّبَا : مرئعات الأرض ، الواحدة رِبْسَةٌ .
وتعاف : تَكَرَّهَ . (٥) بَارَاهُ : جَارَاهُ وفعل مثل فعله .

يَمْتَطُونَ الْخُطُوبَ فِي طَلَبِ الْعَيْدِ * يَشِ وَيَبْرُونَ لِلنَّصَالِ السَّهَامِ
وَبُنُومِضَرٍ فِي حِمَى النَّيْلِ صَرَغَى * يَرْقُبُونَ الْقَضَاءَ عَامًا فَعَامًا
أَيُّهَا النَّيْلُ كَيْفَ مُنْمِئِي عِطَاشًا * فِي بِلَادٍ رَوَّيَتْ فِيهَا الْأَنَامُ^(١)
يَرِدُ الْوَاعِلُ الْغَرِيبُ فَيَرَوَى * وَبُنُوكَ الْكِرَامُ تَشْكُو الْأَوَامُ^(٢)
إِنَّ لَيْنَ الطَّبَاعِ أَوْزَنَّا الذُّلَّ * وَأَغْرَى بِنَا الْجُنَاءَ الطَّغَامَا
إِنَّ طِيبَ الْمَنَاجِ جَرَّ عَلَيْنَا * فِي سَبِيلِ الْحَيَاةِ ذَاكَ الزَّحَامَا
أَيُّهَا الْمُصْلِحُونَ رَفِّقَا بِقَوْمٍ * قَيَّدَ الْعَجْزُ شَيْخَهُمُ وَالْغُلَامَا^(٣)
وَأَغِيثُوا مِنَ الْغَلَاءِ نَفُوسًا * قَدْ تَمَّتْ مَعَ الْغَلَاءِ الْجِمَامَا^(٤)
أَوْشَكْتَ تَأْكُلُ الْهَيْدَ مِنَ الْفَقْدِ * بِرٍ وَكَادَتْ تَذُودُ عَنْهُ النَّعَامَا^(٥)
فَاعْيِدُوا لَنَا الْمُكُوسَ فَإِنَّا * قَدْ رَأَيْنَا الْمُكُوسَ أَرْجَى زِمَامَا^(٦)
ضَاقَ فِي مِضَرٍ قِسْمُنَا فَاعِزُّوْنَا * إِنَّ حَسَدَنَا عَلَى الْجَلَاءِ الشَّامَا
قَدْ شَقِينَا — وَنَحْنُ كَرَّمْنَا اللَّهَ * — بَعْضُ يَكْرُمُ الْأَنْعَامَا

- (١) الواغل : الذى يدخل على القوم فى طعامهم وشرابهم دون أن يدعى . والأوام :
شدة العطش . (٢) الطلغام (بالفتح) : أوعاد الناس وأراذلهم .
(٣) الجمام (بكسر الجاء) : الموت . (٤) الهيد : حب الخنظل . وتذود : تدفع
وتمنع . ونخص النعام لأنها تأكل هذا الهيد . (٥) المكوس : ضرائب كانت تؤخذ على السلع
الواردة لبيع فى المدن ، وكان يتنازل فى فرضها . والزمام : ما نزم به الدابة ، أى نقاد . ويريد بقوله :
«أرحنى زماما» : أن عهد المكوس كان أيسر على الناس وأهون . (٦) القسم (بالكسر) :
النصيب من الرزق . ويريد «بالجلاء» : انتقال القوم من أوطانهم إلى أوطان أخرى طلبا للرزق .

أضرحه الأولياء

أَحْيَاؤُنَا لَا يُرْزَقُونَ بِدِرْهِمٍ * وَبِأَلْفِ أَلْفٍ تُرْزَقُ الْأَمْوَاتُ
مَنْ لِي بِحِطِّ النَّائِمِينَ بِحُفْرَةٍ * قَامَتْ عَلَى أَتْجَارِهَا الصَّلَوَاتُ
يَسْعَى الْأَنَامُ لَهَا، وَيَجْرَى حَوْلَهَا * بِحَرِّ النُّدُورِ، وَتُقْرَأُ الْآيَاتُ
وَيُقَالُ: هَذَا الْقُطْبُ بِأَبِ الْمُصْطَفَى * وَوَسِيلَةُ تُقْضَى بِهَا الْحَاجَاتُ

وقال على لسان طفلة :

أَخْشَى مُرِيَّتِي إِذَا * طَلَعَ النَّهَارُ وَأَفْزَعُ
وَأَظْلَلَ بَيْنَ صَوَاحِي * لِعِقَابِهَا أَتَوَقَّعُ
لَا الدَّمْعُ يَسْقَعُ لِي وَلَا * طُولُ النَّضْرِ يَنْفَعُ
وَأَخَافُ وَإِلْدَتِي إِذَا * جَنَّ الظَّلَامُ وَأَجْزَعُ
وَأَيْتُ أَرْتَقِبُ الْجَزَا * ءَ وَأَعْيُنِي لَا تَهْجَعُ
مَا ضَرَّنِي لَوْ كُنْتُ أَسَدَ * تَتِمُّعُ الْكَلَامَ وَأَخْضَعُ
مَا ضَرَّنِي لَوْ صُنْتُ أَثَدَ * بَوَائِي فَلَا تَنْقَطَعُ
وَحَفِظْتُ أَوْرَاقِي بِحِمْ * فَظَنِّي فَلَا تَتَوَزَّعُ
فَأَعِيشُ آمِنَةً وَأَمَّ * رَعُ فِي الْهَنَاءِ وَأَرْتَعُ

السِّيَاسِيَّاتُ

العلماء المصري والانجليزى فى مدينة الخرطوم

- (١) رَوَيْدَكَ حَتَّى يَخْفِقَ الْعَلَمَانِ * وَتَنْظُرَ مَا يُجْرِي بِهِ الْفَتَيَانِ
(٢) فَاِمْصُرْ كَالسُّودَانِ لُقْمَةً جَائِعٍ * وَلَكِنَّمَا مَرْهُونَةٌ لِأَوَانِ
(٣) دَعَانِي وَمَا أَرْجَفْتُمَا بِاحْتِمَالِهِ * فَلَمَّا نَى بِمَكْرِ الْقَوْمِ "شِقْ" زَمَانِي
أَرَى مِصْرَ وَالسُّودَانَ وَالْهِنْدَ وَاحِدًا * بِهَا اللَّزْدُ وَالْفَيْكُنْتُ يَسْتَبِقَانِ
(٤) وَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّ يَوْمَ جَلَائِهِمْ * وَيَوْمَ نُشُورِ الْخَلْقِ مُقْتَرَنَانِ
(٥) إِذَا غَاضَتِ الْأَمْوَاهُ مِنْ كُلِّ مُزِيدٍ * وَخَرَّتْ بُرُوجُ الرَّجْمِ لِلْحَدَثَانِ

- (١) الفتیان : اللیل والنهار . مخاطب صاحبه یقول : تمهل حتى یمحق علی السودان العلماء ، ویکمل للإنجلیز یملكه ، فإنهم بعد سیملکون مصر كما ملکوا السودان .
(٢) یشیر بهذا الییت الی توقع أخذ مصر كما أخذ السودان ، وأن الاستیلاء علیها لیس فی سهولة الاستیلاء علیہ ، ولكن ذلك مرهون بالوقت الملائم .
(٣) ما أُرْجِفْتُمَا ، أى ما خضتُمَا فیہ من القول الذى لم یصح . واحتماله ، أى باحتمال وقوعه وتحققه ؛ وهو جلاء الإنجلیز عن مصر . ورید « بالقوم » : الانجلیز . وشق (بکسر الشین) : کاهن عربی قديم اشهر بمعرفه الغیب ، وكان فی زمن کسرى أنوشروان . (٤) يوم النشور : يوم القيامة .
(٥) غاض الماء : غل فغضب . والأمواه : جمع ماء . والمنزید : البحر یقذف بالزبد . والحداثان (محرکة) : اسم بمعنى حوادث الدهر ونوائبه .

(١)
وعَادَ زَمَانُ السَّمْهَرِيِّ وَرَبِّهِ * وَحُكْمَ فِي الْمَيْجَاءِ كُلِّ يَمَانِي
(٢)
هُنَاكَ أَذْكُرَا يَوْمَ الْجَلَاءِ وَنَبَّهَا * نِيَامًا عَلَيْهِمْ يَنْدُبُ الْمَرْمَانِ

إلى مولاي عبد العزيز سلطان مراکش

قالها وقد اقترح المؤيد على الشعراء أن ينظموا في عتاب مولاي عبد العزيز سلطان مراکش

[نشرت في ٤ إبريل سنة ١٩٠٤م]

(٣)
عبد العزيز) لقد ذكّرنا أُمّنا * كانت جوارك في مَسْوَوفِي طَرِبِ
ذَكَرْتَنِي يَوْمَ ضَاعَتْ أَرْضُ أَنْدَلُسِ * الْحَرْبُ فِي الْبَابِ وَالسُّلْطَانُ فِي اللَّعِبِ
(٤)
فاحذّر على التَّخْتِ أَنْ تَمِيرَ الْحَرْابُ لَهُ * فَتَخْتُ (سُلْطَانَةً) أَعْدَى مِنَ الْجَرْبِ

(١) السمهرى : الرمح الصلب . أو هو المنسوب الى رجل من العرب اسمه سمهر، كان مشهورا بصنع الرماح . والمهيجاء : الحرب . واليماني : السيف ، نسبة الى اليمن ، لأن أجود السيوف كان يصنع بها .
(٢) هناك اذكرا : جواب «لإذا» في البيت السابق . يقول : اذا ظهرت امارات الساعة من غيض مياه البعاد ... الخ ، أو وقع المستخيل ، فساد الزمن الى سيرته الأولى أيام كان القتال بالسيوف والرماح فانتظرا إذ ذاك خروج الإنجليز من مصر .

(٣) عبد العزيز سلطان مراکش ، هو ابن السلطان مولاي الحبيب ، وكان مولده سنة ١٢٩٦ هـ .
تولى الملك بعد وفاة أبيه في ٤ ذى الحجة سنة ١٣١١ هـ ، ثم طلع في سنة ١٣٢٦ هـ وسنة ١٩٠٨ م .
وكان معروفا بالانحلال الى المحزون والهلوس ، حتى إنه بعث الى مصر في طلب جماعة من المطربين والمطربات ، فاسافر اليه جماعة منهم ، فأكثر عليه المسهلون فله ، لاسيما مصر ، وكثبت الصحف مستهجة هذا الصنيع من سلطان مسلم ، وأكثر الشعراء في ذلك من المقطعات الطريفة .

(٤) يريد «بالتخت» الأول في هذا البيت : سرير السلطان ، وهو معزب . وباللاني : تحت الغناء ، تسمية مامية . وسلطنة : منية كانت من المنغيات المشهورات في مصر في ذلك العصر ، وكانت بين بنة الغناء التي سافرت الى سلطان مراکش .

غادة اليابان

ضمها غرامه بغادة يابانية، وأشاد بالشجاعة التي ظهرت بها أمة اليابان في الحرب بينها وبين روسيا

[نشرت في ٦ أبريل سنة ١٩٠٤ م]

- (١)
لَا تَلَمْ كَفِّي إِذَا السَّيْفُ نَبَا * صَحَّ مَنَى الْعَزْمُ وَالْدَّهْرُ أَبِي
- رُبَّ سَاعٍ مُبْصِرٍ فِي سَعِيهِ * أَخْطَا التَّوْفِيقَ فِيمَا طَلَبَ
- (٢)
مَرْحَبًا بِالْخَطْبِ يَبْلُونِي إِذَا * كَانَتِ الْعَلِيَاءُ فِيهِ السَّبَا
- (٣)
عَقْنِي الدَّهْرُ وَلَوْلَا أَنِّي * أُورِئُ الْحُسْنَى عَقَقْتُ الْأَدْبَا
- (٤)
إِيهِ يَا دُنْيَا أَغْبِسِي أَوْ فَأَبْسِمِي * لَا أَرَى بَرَقِكَ إِلَّا خَلْبَا
- أَنَا لَوْلَا أَنْتَ لِي مِنْ أُنْتَى * خَاذِلًا مَا يَتَّ أَشْكُو النَّوْبَا
- (٥)
أَمَّةٌ قَدَفَتْ فِي سَاعِدِهَا * بُقْضُهَا الْأَهْلَ وَحُبُّ الْغُرْبَا
- تَعَشَّقُ الْأَلْقَابَ فِي غَيْرِ الْمَلَا * وَتُفْذَى بِالنُّفُوسِ الرَّبَّيَا
- (٦)
وَهِيَ وَالْأَحْدَاثُ تَسْتَهْدِفُهَا * تَعَشَّقُ اللَّهُوَ وَتَهْوَى الطَّرْبَا
- (٧)
لَا تُبَالِي لِعِبَ الْقَوْمِ بِهَا * أَمْ بِهَا صَرُفُ اللَّيَالِي لَعْبَا

- (١) نبا السيف : كل وأرتد . (٢) ييلول : يختبرني . (٣) عقه : ترك الاحسان اليه ولم يبره . يقول : إن الدهر لم ينصفني ، والجاني على هو أدبي ؛ ولولا أنني أورث الاحسان لمجرت الأدب الذي كان سببا في شقائي . (٤) البرق الخلب : الذي يلطم الناس في مطره ويحلقهم . (٥) فت في ساعدها : عبارة يكتفى بها من الإضعاف وإيهان القوى . (٦) والأحداث تستهدفها ، أى أن حوادث الدهر تحملها هدفا لما تريه . (٧) يريد . « بالقوم » : الانجليز . ومصروف الليالي : غيرها ونواحيها . أى أنها لا تعبأ بحوادث الزمان تصيبها من المحتلين أو من الدهر .

- (١) لَيْتَهَا تَسْمَعُ مِنِّي قِصَّةً * ذَاتَ شَجْوٍ وَحْدِيثًا عَجَبًا
 (٢) كُنْتُ أَهْوَى فِي زَمَانِي غَادَةً * وَهَبَ اللَّهُ لَهَا مَا وَهَبَا
 ذَاتَ وَجْهِ مَرْجَ الحُسْنِ بِهِ * صُفْرَةً تُنْسِي اليَهُودَ الذَّهَبَا
 حَمَلْتُ لِي ذَاتَ يَوْمٍ نَبَأً * لَا رَعَاكَ اللَّهُ يَا ذَاكَ النَّبَا
 (٣) وَأَتَتْ تَخْطُرُ وَاللَّيْلُ فَنِي * وَهَلَالُ الْأَفْقِ فِي الْأَفْقِ حَبَا
 (٤) ثُمَّ قَالَتْ لِي بِشْفَرٍ بِاسْمِ * نَظَمَ الدَّرْبُ بِهِ وَالْحَبَا
 (٥) تَبْتُونِي بِرَجِيلٍ عَاجِلٍ * لَا أَرَى لِي بَعْدَهُ مُتَقَلِّبَا
 (٦) وَدَعَانِي مَوْطِنِي أَنْ أَغْتَدِي * عَلَّيْ أَقْضَى لَهُ مَا وَجَبَا
 (٧) نَدَجَ الدُّبَّ وَتَفَرَّى جِلْدَهُ * أَيُّظُنُّ الدُّبَّ أَلَّا يُغْلَبَا
 (٨) قُلْتُ وَالْآلَامُ تَفَرَّى مُهَجَّتِي * وَيَكُ! مَا تَصْنَعُ فِي الْحَرْبِ الطُّبَا؟
 مَا عَيْدَانَا لَطْفِي مَسْرَحًا * يَتَنِي مَلْهُي بِهِ أَوْ مَلْعَبَا
 (٩) لَيْسَتْ الْحَرْبُ نَفُوسًا تُشْتَرَى * بِالْمَتْنِيِّ أَوْ عُقُولًا تُسْتَبَى

(١) يقال : شجاع شجوا، اذا هيج أحرزانه وشوقه . (٢) الغادة : المرأة الناعمة اللينة .

(٣) واللَّيْلُ فَنِي، أى فى أوله . وشبه الهلال فى أول طلوعه بالطفل الذى يحب فى مهده .

(٤) الحبيب : القفاقيب التى تعلو سطح الماء، شبه بها الأسنان فى بياضها . (٥) المنقلب :

المودة والرجوع . (٦) أغتدى، أى أبادر بمكة للدفاع عنه . (٧) الدب : رمز تعرف

به روسيا، كما تعرف إنجلترا بالأسد، واليابان بالثنين، وألمانيا بالنسر . وتفرى : تشق . ويشير بهذا البيت

الى الحرب التى نشبت بين اليابان وروسيا فى ليلة ٩ فبراير سنة ١٩٠٤ م وانتهت بالصلح فى يوم ٥ سبتمبر.

سنة ١٩٠٥ م . (٨) الطبا : الأطباء، وقصر الشعر . (٩) تمنى : توسر بالحلب .

(١) أَحْسَنَتِ الْقَدَّ مِنْ مُدَّتِهَا * أَمْ ظَنَنْتِ اللَّحْظَ فِيهَا كَالشَّبَا؟
 (٢) فَسَلِينِي ، إِنِّي مَارَسْتُهَا * وَرَكِبْتُ الْهَوَلَ فِيهَا مَرْكَبًا
 (٣) وَتَقَحَّمتُ الرَّدَى فِي غَارَةٍ * أَسْدَلَ النَّقْعُ عَلَيْهَا هَيْدَبًا
 (٤) قَطَّبْتُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهَا لَنَا * فَرَأَيْتُ الْمَوْتَ فِيهَا قَطْبًا
 (٥) جَالَ عِزْرَائِيلُ فِي أَلْحَايَا * تَحْتَ ذَلِكَ النَّقْعِ يَمْشِي الْهَيْدَبِي
 (٦) فَدَعَيْهَا لِلَّذِي يَعْرِفُهَا * وَالزَّمَى يَا ظُيَّةَ الْبَانِ الْإِلْبَا
 (٧) فَاجَابَتْنِي بِصَوْتٍ رَاعِي * وَأَرَتْنِي الظُّيَّ لَيْثًا أَغْلَبَا
 (٨) إِنَّ قَوْمِي أَسْتَعَذَّبُوا وَرَدَّ الرَّدَى * كَيْفَ تَدْعُونِي إِلَّا أَشْرَبَا؟
 (٩) أَنَا يَا بَانِيَّةُ لَا أَنْتَنِي * عَنْ مُرَادِي أَوْ أَذُوقَ الْعَطْبَا
 أَنَا إِنِّي لَمْ أَحْسِنِ الزَّمَى وَلَمْ * تَسْتَطِعْ كَفَايَ تَقْلِيبَ الظُّلْبَا

- (١) القَدَّ : القامة . والشبَا : جمع شبابة ، وهي حد السنان . (٢) مارستها : عاينتها .
 (٣) تقحمت الردى : ربيت بنفسى فى غمرته . والنقع : الغبار . والهيدب : السحاب المتدل من أسافله . وإثارة الغبار وكثرته وارتفاعه فى الحرب ، نكايه عن شدتها وكثرة الكرو والفرزها .
 (٤) التقطيب : العبوس . والضربى «قطبت» للغارة . (٥) الهيدبي (بالهمزة والمهمله) : نوع من المشى فيه جلد . ويشير بهذا البيت إلى كثرة ما تحطفه عزرائيل من الأرواح فى هذه الحرب .
 (٦) البان : شجر سبط القوام لين ، وده كورق الصفصاف ، تألقه الغلباء . والخبأ (بالقصر) : الخباء (بالد) ، وقصر للشعر . وهو فى الأصل : البيت من وبرأوصوف ، ويريد به البيت عامة .
 (٧) راعى : أفرغى . والأظب من السباع : الغليظ الرقبه ، وهي علامة للقوة . يقول : إنها خضبت من تقصه لها ، وأنها لا تصلح للحرب ، فأجابته بصوت أفرغه لشدة وقسوته ، واستمعات من ظي وادع إلى أسد قوى . (٨) العطب : الهلاك . (٩) الغلبا : جمع غلبة (بضم الأول) وهي حد السيف أو السنان .

(١)
أَخِذْهُمُ الْجَرْحَى وَأَقِضْ حَقَّهُمْ * وَأُوَايِسِي فِي الْوَعَى مِنْ نِيكَبَا
(٢)
هَكَذَا (الْمِيكَادُ) قَدْ عَلَّمَنَا * أَنْ نَرَى الْأَوْطَانَ أَمَا وَأَبَا
مَلِكٌ يَكْفِيكَ مِنْهُ أَنَّهُ * أَنْهَضَ الشَّرْقَ فَهَزَّ الْمَغْرِبَا
(٣)
وَإِذَا مَارَسَتْهُ أَلْفَيْتَهُ * حَوْلًا فِي كُلِّ أَمْرِ قَلْبَا
كَانَ وَالتَّاجِ صَغِيرَيْنِ مَعَا * وَجَلَّالُ الْمُلْكِ فِي مَهْدِ الصَّبَا
فَقَدْ هَذَا سَمَاءَ لِلْعُلَا * وَغَدَا ذَلِكَ فِيهَا كَوْكَبَا
(٤)
بَعَثَ الْأُمَمَةَ مِنْ مَرْقَدِهَا * وَدَعَاهَا لِلْعُلَا أَنْ تَدَا
(٥)
فَسَمَتْ لِلْعَجْدِ تَبْنِي شَأُوهُ * وَقَضَّتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَارَبَا

(٦) الحرب اليابانية الروسية

[نشرت في ١٠ نوفمبر سنة ١٩٠٤ م]

(٧)
أَمَّا حَقُّ الْحَرْبِ أَمْ تَحْشَرُ * وَمَوْرِدُ الْمَوْتِ أَمْ الصَّكُورُ؟
(٨)
وَهَذِهِ جُنْدٌ أَطَاعُوا هَوَى * أَرَابَاهِمُ ، أَمْ نَعَمْ تَحْشَرُ؟

(١) الوعى : الحرب ، لما فيها من الصوت والجليلة . (٢) الميكادو : لقب ملك اليابان .
(٣) الحول : الشدائد الاحتيال ، لا تؤخذ عليه طريق إلا نقل في أخرى . والقلب : البصير بقلب الأمور .
(٤) تداب : تبحر في طلبها . (٥) الشار : الغاية . (٦) هي تلك الحرب التي نشبت بين اليابان والروس بسبب احتلال الروس لمنشوريا ، وبدأت بنصف اليابانيين جزءا من الأسطول الروسى في ميناء بورت آرثر في ليلة ٩ فبراير سنة ١٩٠٤ م ، وانتهت في سبتمبر سنة ١٩٠٥ م بصلح اعترف فيه بنفوذ اليابان في كوريا ، وبجلاء الروس من منشوريا ، وبشروط أخرى في صالح اليابانيين . (٧) الكور : النهر ، وسمى به نهر في الجنة .
شبه (في الشطر الأول) كثرة المتحاربين وأزدحامهم على القتال بازدهام الناس يوم المحشر ؛ وشبه في الشطر الثانى استعذاب الناس للموت باستعذابهم للكور . (٨) النعم : الإيل والشاء واليقر . يريد أن الأرواح قد رخصت في هذه الحرب وكثر القتل في الجنود حتى لم يتبين إن كان هؤلاء بشرًا يجب حقن دماهم أو أفعاما تنخر .

لِلَّهِ مَا أَقْسَى قُلُوبَ الْأُلَى * قَامُوا بِأَمْرِ الْمَلِكِ وَأَسْتَثَرُوا !
 (١)
 وَغَرَّهُمْ فِي الدَّخْرِ سُلْطَانُهُمْ * فَامْتَعُوا فِي الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمَرُوا
 (٢)
 قَدْ أَقْسَمَ الْبَيْضُ بِضُلْبَانِهِمْ * لَا يَهْجُرُونَ الْمَوْتَ أَوْ يُنْصَرُوا
 (٣)
 وَأَقْسَمَ الصُّفْرُ بِأَوْتَانِهِمْ * لَا يَقْمِدُونَ السَّيْفَ أَوْ يَظْفَرُوا
 (٤)
 فَادَّت الْأَرْضُ بِأَوْتَانِهَا * حِينَ أَلْتَقَى الْأَبْيَضُ وَالْأَصْفَرُ
 (٥)
 وَأَتَمَّتْهَا نَخْرَةً مِنْ دِيمٍ * يَلْهُو بِهَا (الْمِكَادُ) وَالْقَيْصَرُ
 (٦)
 وَأَشْبَهَتْ يَوْمَ الْوَعَى أَخْتَهَا * إِذْ لَاحَ فِيهَا الشَّقِيُّ الْأَحْمَرُ
 (٧)
 وَأَصْبَحَتْ تَشْتَاقُ طُوفَانَهَا * لَعَلَّهَا مِنْ رَجَبِهَا تَطْهَرُ
 (٨)
 أَشْبَعَتْ يَأْخَرُ ذَنَابَ الْقَلَا * وَغَضَبَتِ الْعِقَابُ وَالْأَنْسَرُ
 (٩)
 وَمِيرَاتِ الْحَيْثَانُ فِي بَحْرِهَا * وَمَطْمَعُ الْإِنْسَانِ لَا يُقْدَرُ
 (١٠)
 إِنْ كَانَ هَذَا الدُّبُّ لَا يَتَّقِي * وَذَلِكَ النَّتْنُ لَا يَقْهَرُ

- (١) أمن : بالغ وأبد . (٢) يريد «البيض» : الروس .
 (٣) يريد «بالصفر» : اليابانيين . (٤) مادت : تحركت واضطربت . وأوتاد الأرض :
 جبالها . (٥) الضمير في «أشبهت» للأرض . ويريد «بأختها» : السماء .
 (٦) الرجس : النجس . ومعنى هذا البيت مأخوذ من قول الممرى :
 والأرض للطوفان مشتاقة * لعلها من درن تفصل
 (٧) غصت : امتلأت ونجحت . والعقاب : جمع عقاب ، وهو طائر من الجوارح . والأنسر : جمع
 قسر . يشير إلى كثرة ما تأكل هذه الجوارح والوحوش من جثث القتلى . (٨) ميرت ، أتى لها
 بالميرة ، أي بالعلام من جثث القتلى . ولا يقدر ، أي لا يحمد ولا يفتى . (٩) التين : الحية
 العظيمة . ويشير (الدب) إلى روسيا ، و(النتن) إلى اليابان .

وَالْيَيْضُ لَا تَرْضَى بِخِذْلَانِهَا * وَالصُّفْرُ بَعْدَ الْيَوْمِ لَا تُكْسَرُ
 فَا لِيْلِكَ الْحَرْبِ قَدْ شَمَرَتْ * ^(١) عَنْ سَاقِهَا حَتَّى قَضَى الْعَسْكَرُ
 سَالَتْ نُفُوسُ الْقَوْمِ فَوْقَ الظُّبَا * ^(٢) فَسَالَتْ الْبَطْخَاءُ وَالْأَنْهَرُ
 وَأَصْبَحَتْ (مَكْدُنٌ) يَاقُوتَةٌ * ^(٣) يَغَارُ مِنْهَا الدَّرُّ وَالْجَوْهَرُ
 يَاقُوتَةٌ قَدْ قُوَّتْ بَيْنَهُمْ * ^(٤) بِأَنْفُسٍ كَالْقَطْرِ لَا تُحْصَرُ
 أَهْجَى رَسُولِ الْمَوْتِ مَا بَيْنَهَا * حَيْرَاتٌ لَا يَدْرِى بِمَا يُؤْمَرُ
 عِزْرِبُلٌ أَهْلُ أَبْصَرَتْ فَيَا مَضَى * وَأَنْتَ ذَاكَ الْكَيْسُ الْأَمْهَرُ
 كَذَلِكَ الْمِدْفَعُ فِي بَطْشِهِ * ^(٥) إِذَا تَبَالَى صَوْتُهُ الْمُتَسَكَّرُ
 تَرَاهُ إِنْ أَوْقَى عَلَى مُهْجَةٍ * ^(٦) لَا الدَّرْعُ يَثْلِيهِ وَلَا الْمِغْفَرُ
 أَمْسَى (كُرُوبَتَيْنِ) فِي غَمْرَةٍ * ^(٧) وَبَاتَ (أَوِيَامَا) لَهُ يَنْظُرُ

(١) قضى : هلك . ويريد الشاعر بهذا البيت والبيتين اللذين قبله أن الدولتين إذا كانتا قد تكافأتا في الشجاعة والقوة ، وصحمتا كلتاهما على ألا تخذل ، فقيم الحرب وإراقة الدماء ، والحرب لا تقوم إلا حيث يكون متصرا ومنهزم . (٢) الظبا : جمع ظبة ، وهي حد السيف أو السنان . والبطحاء : مسيل الماء فيه دقاق الحصى ، ويريد به هنا : الفضاء المتسع . (٣) مكدن : مدينة مشهورة في منشوريا ، وكانت بها الموقعة الفاصلة التي بدأت بيوم ٦ مارس سنة ١٩٠٥ م . واستمرت خمسة أيام ، وبلغ مجموع ما خسره الفريقان فيها عشرين ومائة ألف مقاتل ، بين قتيل وجريح ، وأسرفيا من الروس أربعون ألفا . يقول : إن هذا البلد قد غطيت أرضه بالدماء حتى أصبحت كأنها ياقوتة حمراء ترمى بالدُر والجوهر . (٤) يريد « بالأقس » في هذا البيت : من قتل في هذه المدينة من الفريقين . (٥) كذلك ، متعلق « بأبصرت » . (٦) أوقى : أشرف . والمغفر : زرد بليس تحت القلنسوة . (٧) كروبأتين : قائد الروس في تلك الحرب . وأوياما : قائد اليابان . والغمرة : الشدة التي تقهر الناس ، أى تمهم وتمثلهم .

وَنَلَّتْ (الرُّوسُ) عَلَى جَمْرَةٍ * وَالمَجْدُ يَدْعُوهُمْ أَلَا قَاصِرُوا
 وَذَلِكَ الْأَسْطُولُ مَا خَطْبُهُ * حَتَّى عَمَرَهُ الْقَزْعُ الْأَكْبَرُ^(١)؟
 أَكَلًا لَاحَ لَهُ سَائِجٌ * تَحْتَ الدُّجَى أَوْ قَارِبٌ يَخْرُ^(٢)
 ظَنٌّ بِهِ (طُوجُو) فَأَهْدَى لَهُ * نَحِيَّةً (طُوجُو) بِهَا أَخْبَرُ^(٣)؟
 نَحِيَّةً مِنْ وَاجِدٍ شَيْقٍ * أَنْفَاسُهُ مِنْ حَرِّهَا تَزْفَرُ^(٤)
 فَهَلْ دَرَى الْقَيْصَرُ فِي قَصْرِهِ * مَا تُعْلِنُ الْحَرْبُ وَمَا تُضْمِرُ^(٥)؟
 فَكَمْ قَتِيلَ بَاتَ فَوْقَ الثَّرَى * يَنْتَابُهُ الْأُظْفُورُ وَالْمِنْسَرُ^(٦)
 وَكَمْ جَرِيحٍ بَاسِطٍ كَفَّهُ * يَدْعُو أَخَاهُ وَهُوَ لَا يُبْصِرُ
 وَكَمْ غَيْرِي رَاحَ فِي بِلْحَةٍ * يَهْوِي بِهَا الطُّودُ فَلَا يَظْهَرُ^(٧)
 وَكَمْ أَسِيرَ بَاتَ فِي أَسْرِهِ * وَنَفْسُهُ مِنْ حَسْرَةٍ تَقْطُرُ
 إِنْ لَمْ تَرَوْا فِي الصُّلْحِ خَيْرًا لَكُمْ * فَالْدَهْرُ مِنْ أَطْعَامِكُمْ أَقْصَرُ

- (١) يريد «الأسطول» : أسطول روسيا . (٢) يخمر : يشق عباب الماء .
 (٣) طوجو : أمير من أمراء البحر اليابانيين المعروفين بالقوة ، وهو الذي نسب أسطول بحر البلطيق
 الروسي في موقعة تسوشيا في ٢٧ ماير سنة ١٩٠٥ م ، وقضى بذلك على كل أمل للروس في هذه الحرب .
 (٤) يريد «الواجد الشيق» : المدفع . ويريد «بالنحية» : ما يصبه المدفع على السفينة من مقذوفات ؛
 ولا يخفى ما في هذا من التهمك . (٥) يقول : هل علم القيصر وهو نائم مطمئن في قصره
 بولايات الحرب ، ما ظهر منها وما بطن ، فينبه ذلك عن إثارته والاستمرار فيها . (٦) الأظفور :
 الظفر . والمنسر (كجلس ومنبر) : مقار الطائر . يقول : إن القتلى أصبحوا فوق الثرى نيا السباع القترنة
 والطيور الكاسرة . (٧) الحجة : منظم البحر . والطود : الجبل العظيم . يصف الحجة بالعمق بحيث
 لو هوى فيها الجبل لم يظهر .

تُسَوُّنَا الْحَرْبُ وَإِنْ أَصْبَحَتْ * تَدْعُو رِجَالَ الشَّرْقِ أَنْ يَفْعَحُوا
أَتَى عَلَى الشَّرْقِ حِينٌ إِذَا * مَا ذَكَرَ الْأَحْيَاءُ لَا يُذَكَّرُ
وَمَرَّ بِالشَّرْقِ زَمَانٌ وَمَا * يَمُرُّ بِالْبَالِ وَلَا يَخْطُرُ
حَتَّى أَعَادَ (الصُّفْرُ) أَيَّامَهُ * فَانْتَصَفَ الْأَسْوَدُ وَالْأَسْمَرُ
فَرَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى أُمَّةٍ * يَرَوِي لَهَا التَّارِخُ مَا يُؤَثِّرُ^(١)

الى الامبراطورة أوجيني^(٢)

نظم هذه القصيدة إجابة لاقتراح صحيفة المؤيد على الشعراء أن ينظموا في هذه الامبراطورة، ويوازنوا بين مجيئها إلى مصر متكرة تنزل في فندق سافواي ببورسعيد، ومجيئها قبل ذلك في سنة ١٨٦٩ في افتتاح قناة السويس، واستقبال الخديوي اسماعيل إياها استقبالا فخما .

[نشرت في ٢٦ يناير سنة ١٩٠٥ م]

أَيْنَ يَوْمُ (القَنَالِ) يَا رَبَّةَ النَّا * جَ وَيَا شَمْسَ ذَلِكَ الْمِهْرَجَانِ؟^(٣)
أَيْنَ مَجْرَى الْقَنَالِ أَيْنَ مُيْتُ الْ * حَالِ أَيْنَ الْعَزِيزُ ذُو السُّلْطَانِ؟^(٤)

(١) يريد «بالأمة» هنا : مصر - ينحصر عليها ويندب ما ضيها .

(٢) ولدت أوجيني في غرناطة في ٥ مايو سنة ١٨٢٦ م . وفي ٣ يناير سنة ١٨٥٣ تزوجها نابليون الثالث . وكانت فيمن حضر إلى مصر لافتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩ ؛ وقد اتفق الخديوي اسماعيل باشا في استقباله الكثير من المال ؛ وبعد وفاة زوجها هجرت فرنسا إلى إنجلترا ، ثم تركت إنجلترا إلى مدريد ، وبها ماتت في ١١ يولي سنة ١٩٢٠ م .

(٣) المهرجان : عيد القوس ، ويطلق الآن على كل عيد .

(٤) مجرى القنال ، يريد اسماعيل باشا الخديوي . وإمالة المال : تخاية عن الإمراف والانتساع في البذل .

(١) أين هارون مضر؟ أين أبو الأشد * جال رب القصور رب القيان؟
 (٢) أين ليث الجزيرة (ابن علي) * وإهب الألف مكرم الضيفان؟
 أين ذا القصر بالجزيرة تجري * فيه أرزاقنا وتجبوا الأمان؟
 (٣) فيه للنحس كوكب مسرع السيل * رويل السعد كوكب متواني
 (٤) قد جرى النيل تحته بحشوع * وأنكسار وهابته الفتيان
 كنت بالأمس جنة الحور يا قصر * رفا أصبحت جنة الحيوان
 (٥) خطر الليث في فناءك يا قصر * روقد كنت مسرحا للسان
 (٦) وصوى الذئب في نواحيك يا قصر * روقد كنت معقلا للسان
 (٧) وحباك الزوار بالمال يا قصر * روقد كنت مصدر الإحسان
 كنت تُعطي، فمالك اليوم تُعطي * أين بانيك؟ أين رب المكان؟
 إن أطاقت بك الخطوب فهذي * سنة الكون من قديم الزمان

- (١) هارون : هو هارون الرشيد الخليفة العباسي المعروف ، وشبه به إسماعيل في ترفه وبجاهه ، دسمة سلطانه ، وما حفلت به أيامه من مجالس اللهو والغناء ، وما عرف به من كرم وسخاء . والأشبال : أولاد إسماعيل . والقيان : الإماء المنيات .
 (٢) يشير بقوله : «ليث الجزيرة» الى أن إقامة إسماعيل كانت بقصر الجزيرة الذي صار حديقة الحيوان ، كما يشير الشاعر الى ذلك بعد وابن علي ، لأنه حفيد محمد علي .
 (٣) يريد أن صاحب لهذا القصر اذا غضب فسرطان مايزول غضبه ، وإذا أقبل طال إقباله ، فكانه في غضبه كوكب يحس ما طلع حتى غاب ، وفي رضاه كوكب سعد طويل الإقامة ، على السير .
 (٤) الفتيان : الليل والنهار ؛ يريد الدهر .
 (٥) الفناء : الساحة .
 (٦) معقل للسان ، أى حابس له عن الكلام هيئة لصاحب القصر وخوفا من بطلته .
 (٧) حباء : أعطاه . يشير إلى مايدفعه كل داخل إلى حديقة الحيوان .

(١)
رُبَّ بَابٍ نَأَى، وَرُبَّ بِنَاءٍ * أَسْلَمْتَهُ النَّوَى إِلَى غَيْرِ بَابِي
(٢)
تلك حَالُ الْإِيوَانِ يَا رَبَّةَ السَّ * جِ فَما حَالُ صَاحِبِ الْإِيوَانِ؟
(٣)
قَدْ طَوَّاهُ الرَّدَى وَلَوْ كَانَ حَيًّا * لَمْشَى فِي رِكَائِكَ الثَّقْلَانِ
(٤)
وَتَوَلَّتْ حِرَاسَةَ الْمَوْكِبِ الْأَسَدِ * نَحَى نَجْمُ السَّمَاءِ وَالنَّيِّرَانِ
إِنْ يَكُنْ غَابَ عَنِّ جَبِينِكَ تَاجٌ * كَانَ بِالْغَرْبِ أَشْرَفَ التَّيجَانِ
فَلَقَدْ زَانِكَ الْمَشِيبُ بَتَاجٍ * لَا يُدَانِيهِ فِي الْجَلَالِ مُدَانِي
ذَلِكَ مِنْ صَنَعَةِ الْأَنَامِ وَهَذَا * مِنْ صِلَعِ الْمُهَيِّمِينَ الدِّيَانِ
(٥)
كُنْتُ بِالْأُمَيْسِ ضَيْفَةً عِنْدَ مَلِكٍ * فَأَنْزَلَنِي الْيَوْمَ ضَيْفَةً فِي خَانٍ
(٦)
وَأَعْدَدُونَا عَلَى الْقُصُورِ، كِلَانَا * غَيْرَتَهُ طَوَارِيءُ الْحَدَثَانِ

(١) نَأَى : بعد وذهب . والنوى : البعد . يقول : قد يذهب بابي الدار ويخلفه عليها من لم يذهبها .

(٢) يريد «بالإيوان» : القصر، وهو في الأصل الصفة العظيمة ؛ أجمعى معرب .

(٣) الردى : الهلاك والموت . والثقلان : الإنسان والجن . ويشير بهذا البيت والذي بعده الى ما كان أعداه اسماعيل باشا حين حضرت الى مصر سنة ١٨٦٩ م ، في مهرجان فتح قناة السويس من ضروب الخفاوة والإكرام .

(٤) الأسنى ، من النساء ، وهو الرقة . والنيران : الشمس والقمر .

(٥) الخان : الخافوت . ويريد به هنا : الفندق . يريد أنها بعد أن كانت تنزل في قصر ملك أصبحت تنزل في الفنادق حيث ينزل عامة الناس .

(٦) القصور : التصغير . والحدثان (بكر الحاء وسكون الدال) : النوايب . .

عيد تأسيس الدولة العلية

أشدها في الحفل الذي أقيم في فندق (الكوتنتال) في مساء الجمعة ٢٦ يناير سنة ١٩٠٦ م

أَيُّحْيِ مَعَانِيكَ الْقَرِيضَ الْمُهْتَبُ * عَلَى أَنْ صَدَرَ الشُّعْرُ لِلْمَدْحِ أَرْحَبُ
 لَقَدْ مَكَنَ الرَّحْمَنُ فِي الْأَرْضِ دَوْلَةً * لَعْنَانَ لَا تَعْفُو وَلَا تَنْشَعِبُ^(١)
 بَنَاهَا فَظَنَّتْهَا الدَّرَارِي مَنَازِلًا * لِيَذِرَ الدُّجَى بُنَى وَلِلْسَعْدِ تُنْصَبُ^(٢)
 وَقَامَ رِجَالٌ بِالْإِمَامَةِ بَعْدَهُ * فَزَادُوا عَلَى ذَاكَ الْبِنَاءِ وَضَبُّوا^(٣)
 وَرَدُّوا عَلَى الْإِسْلَامِ عَهْدَ شَبَابِهِ * وَمَدُّوا لَهُ جَاهًا يُرْجَى وَيُرْهَبُ
 أَسْوَدَ عَلَى الْبُسْفُورِ تَحْيَى عَرِينَهَا * وَتَرَقَّى نِيَامُ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ يَرْقُبُ^(٤)
 لَهَا وَثَبَاتٌ تَحْتَ ظِلِّ هِلَالِهَا * كَمَا مَرَّ سَهْمٌ أَوْ كَمَا أَنْقَضَ كَوْكَبُ^(٥)
 إِذَا رَاعَهَا مَسٌّ مِنَ الضَّمِيمِ خَلَّتْهَا * كَمَنْ رَاعَهُ بِالْمَسِّ سِلَاحٌ مُكْهَرَبُ^(٦)
 وَإِنْ هَزَّهَا ذَاكَ الْهَلَالُ لِحَادِثٍ * رَأَيْتَ قَضَاءَ اللَّهِ يَمْشِي وَيَرْكَبُ^(٧)
 إِذَا ضَاعَتِ الْأَحْسَابُ يَوْمًا لِمُعْرِيقٍ * فَعُثْنَانُ خَسِيرُ الْفَاتِحِينَ لَهُمْ أَبُّ^(٨)

- (١) عثنان ، هو عثمان بن أرطغرل مؤسس الدولة العثمانية ، وإليه تنسب ؛ ولد سنة ١٢٥٦ هـ ، وتولى السلطنة سنة ١٢٩٩ هـ ، وتوفي سنة ١٢٧٢ هـ . وتلفظ : تشدر وتحي . وتنشعب : تنفزع .
 (٢) الدراري (بتشديد الاء وخففت للشم) : الكواكب المضطربة الصافية البيضاء ، الواحد دري .
 (٣) طنبا البناء : مكنوه وزادوه منة وقوة . وأصل التطنيب : شد الخيمة بالأطناب ، وهي الحبال .
 (٤) العرين : مأوى الأسد . (٥) يريد « بهلالها » : رأيتها المرسوم فيها الهلال ، وهو شعار الدولة العثمانية . (٦) راعها : أقرعها . (٧) يشير بقوله « يمشي ويركب » : إلى مشاة الجيش وفرسانه . (٨) المعرق : الذي له عرق وأصل في الكرم .

(١) وإن تاه بالآبَاءِ وَالْبَاسِ وَالِدُ * فَأَوَى الْوَرَى بِالنَّيِّبِ ذَاكَ الْمُعْصِبُ
(٢) فُهَذَا سُلَيْمَانٌ وَقَانُونٌ عِنْدِهِ * عَلَى صَفَحَاتِ الدَّهْرِ بِالنَّبْرِ يُكْتَبُ
(٣) وَذَلِكَ الَّذِي أَجْرَى السَّيْفَيْنِ عَلَى الثَّرَى * وَسَارَ لَهُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مَرَكِبُ
(٤) عَلَى بَابِهِ الْعَالِي هُنَاكَ تَأَلَّقَتْ * سُطُورٌ لِأَقْلَامِ الْجَلَالَةِ تُنْسَبُ
(٥) هُنَاكَ فَآخِضُوا الْأَبْصَارَ عَرِشُ مُجِيدٍ * هُنَا الْفَاتِحُ الْغَازِي الْيَكِّي الْمُدْرِبُ
(٦) وَمَا كَانَ مِنْ (عَبْدِ الْمُجِيدِ) إِذْ أَحْتَمَى * بِأَكْثَافِهِ (كُوشُوطُ) وَالْخَطْبُ غَيْبُ

(١) المعصب : المتوج . (٢) سليمان ، هو سليمان القانوني ، السلطان العاشر من سلاطين آل عثمان ، وهو ابن السلطان سليم . ولد سنة ٩٠٠ هـ . وتولى الملك سنة ٩٢٦ هـ . ومات سنة ٩٧٤ هـ . وقد لقب بالقانوني لأنه وضع قانونا للدولة تسيير على مقتضاها .
(٣) يشير بهذا البيت الى الطريقة التي اتبعها محمد الفاتح في مهاجمة القسطنطينية ، وتفسيره سفته على البر حتى وصل بها الى القرن الذهبي . (٤) تألقت : أضاءت ولمت . (٥) الكمي : الشجاع .
ومحمد ، وهو محمد الملقب بالفاتح ، وهو السلطان السابع من سلاطين آل عثمان . ولد سنة ٨٣٣ هـ . وتولى الملك سنة ٨٥٥ هـ . وهو في الحادية والعشرين من عمره ، فبادر بالثأب لفتح القسطنطينية . وفي سنة ٨٥٧ هـ — ١٤٥٣ م تم له فتحها ؛ وتوفي بجأفة سنة ٨٨٦ هـ . ومدة ملكه إحدى وثلاثون سنة .
(٦) الغيب : الشديد السواد . وعبد المجيد ، هو السلطان الحادي والثلاثون من سلاطين آل عثمان ، ولد سنة ١٢٣٧ هـ ، وتولى السلطة سنة ١٢٥٥ هـ . بعد وفاة أبيه السلطان محمود ، وتوفي سنة ١٢٧٧ هـ ، ومدة جلوسه اثنا عشر عاماً . ويشير الشاعر بهذا البيت والذي بعده الى ما حدث سنة ١٨٤١ م ، وذلك أن جماعة من الفارين ، مابين بولونيين ومجريين ، التجأوا الى البلاد النمانية ليتمتعوا فيها بالسكون والهدوء ، بعد أن نالهم الشئ الكثير من الظلم والاضطهاد والعذاب على أيدي النمساويين والروس الذين قاموا الثورات الناشئة في بولونيا والمجر ، وكان بين هؤلاء الفارين زعماء مشهورون ، منهم (كوشوط) المجرى المذكور في هذا البيت ؛ وكان زعيم ثورة يقصد بها تحرير المجر ، فطلبت النمسا والروسيا من الدولة النمانية تسليمهم ، فرفض ذلك السلطان عبد المجيد بحجة أن هذا التسليم لا تقره شريعة ولا خلق ، وعضده في ذلك سفير بريطانيا . إذ ذاك ، فكان ذلك سببا لقطع العلاقات بين الدولة العلية وبين النمسا وروسيا ؛ ولولا ظهور الأسطولين الإنجليزي والفرنسي في مياه الدردنيل لتفاقم الخطب وقعت الحرب .

(١) يُبَادِيهِمْ : أَمَا تَزِيلِي فِدْوَنَهُ * حَيَاتِي ، وَأَمَا صَارِي فَمُشْطَبُ
فَإِنْ كَانَتْ الْحُسْنَى فَإِنِّي سَمَاءُهَا * وَإِنْ كَانَتْ الْآخَرَى فَشُدُّوا وَجَرُّوا
(٢) كَذَلِكَ كَانُوا يَسْتَقِرُّونَ فِي الدُّرَا * وَأَعْدَاؤُهُمْ فِي الْغَرْبِ تَسْقَى وَتُنْكَبُ
(٣) فَكَمْ طَلَبُوا مِنْهُمْ أَمَانًا فَأَمَّنُوا * وَأَمْسَى لَهُمْ فِي الشَّرْقِ مَسْرَى وَمَسْرَبُ
(٤) فَكَانَ أَمَانَ الْقَوْمِ وَالشَّرْقُ مَشْرِقُ * فَأَصْحَى آمْتِيزَ الْقَوْمِ وَالشَّرْقُ مَغْرِبُ
يقولون : فِي هَذِي الرُّبُوعِ تَعَصُّبُ * وَأَيُّ مَكَانٍ لَيْسَ فِيهِ تَعَصُّبُ ؟
(٥) فَيَا شَرْقُ إِنْ الْغَرْبَ إِنْ لَانَ أَوْ قَسَا * فَفِيهِ مِنَ الصَّهْبَاءِ طَبْعٌ مُذَوَّبُ
- خَفَّ بِأَسَاسِهَا فِي الرَّأْسِ وَالرَّأْسُ يَصْطَلِي * وَخَفَّ ضَعْفُهَا فِي الْكَأْسِ وَالْكَأْسُ تُطْرِبُ
(٦) وَيَا غَرْبُ إِنْ الدَّهْرَ يَطْفُو بِأَهْلِيهِ * وَيَطْوِيهِ تَيَّارُ الْقَضَاءِ فَيَرْسِبُ
(٧) أَرَاكَ مَقَرَّ الطَّامِعِينَ كَأَمَّا * عَلَى كُلِّ عَرِيشٍ مِنْ عُرُوشِكَ (أَشْعَبُ)

(١) الصارم : السيف القاطع . والمشطب : الذي فيه شطب ، وهي الخطوط والطرائق التي في نعله .

(٢) الدرا : جمع ذروة (بالكسر والضم) ، وهي المكان المرتفع .

(٣) الضمير في « طلبوا » يعود على قوله « أعداؤهم » في البيت السابق . ومنهم ، أي من آل عثمان .

والمسرب : المذهب والطريق .

(٤) يريد « بالقوم » : الافرنج . ويشير بهذا البيت والذي قبله إلى ما نالوه من بعض سلاطين آل عثمان من منح أعطيت لهم لتيسير سبل التجارة ، وتأمينهم على أنفسهم وأموالهم في بلاد الشرق ، أيام قوة الدولة العثمانية ، ثم صارت هذه المنح بعد ضعفها امتيازات تملك بها الغربيون وأوذيت بها تركيا ورعاياها .

(٥) الصهباء : الخمر . يطفو : يعلو . ويرسب : يهبط ويسفل .

(٧) أشعب : رجل من المدينة كان مولى لعثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ؛ ويضرب به المثل

في الطمع ، فقال : « أطلع من أشعب » .

(١) حادثة دنشواي

[نشرت في ٢ يولييه سنة ١٩٠٦ م]

(٢)
أَيُّهَا الْقَائِمُونَ بِالْأَمْرِ فِينَا * هَلْ نَسِيْمُ وَلَاءَنَا وَالْوِدَادَا
(٣)
خَفَضُوا جَيْشَكُمْ وَأَمَّوْا هَنِيئًا * وَابْتَغُوا صَيْدَكُمْ وَجُوبُوا الْبِلَادَا
(٤)
وَإِذَا أَعَوَزْتَكُمْ ذَاتُ طَوْقٍ * بَيْنَ تِلْكَ الرِّبَا فَيَصِيدُوا الْبِلَادَا
(٥)
إِنَّمَا تَحْنُ وَالْحَمَامُ سَوَاءٌ * لَمْ تُنَايِزْ أَبْطَوَاقُنَا الْأَجْيَادَا
(٦)
لَا تَبْغُتُنَا بِنَا الْعُقُوقَ وَلَكِنْ * أَرِشِدُونَا إِذَا ضَبَلْنَا الرِّشَادَا
(٧)
لَا تُقِيدُونَا مِنْ أُمَّةٍ بِقَتِيلٍ * صَادَتْ الشَّمْسُ نَفْسَهُ حِينَ صَادَا
جَاءَ جَهَانُنَا بِأَمْرِ وَجَيْشْتُمْ * ضِعْفَ ضِعْفَيْهِ قَسْوَةً وَأَشْتِدَادَا

(١) في يوم الأربعاء ١٣ يونيه سنة ١٩٠٦ م ، قام خمسة من الضباط الإنجليز من معسكرهم ، وقصدوا إلى بلدة دنشواي بإقليم المنوفية من أعمال مركز تلا ، لصيد الحمام ، وهناك أصيب بعض الأهليين فأصلطدوا بالإنجليز ؛ فأصيب بعض الضباط بإصابات أفضت إلى الموت ، فثارت نائرة اللورد كرومر عميد القولة البريطانية إذ ذاك ، وصعدت المحكمة المختصة لمحاكمتهم ، وكان المدعى العمومي فيها ابراهيم الملباوي بك الهامي المعروف ، وقضت هذه المحكمة بإعدام أربعة من الأهليين ، وجلد وحبس ثمانية منهم . وقد الإعدام والجلد في قس البلد على مرأى ومسمع من أهله ، وكان في ذلك الحكم وفي تنفيذه من القسوة ما أثار الأقس وأطلق السنة الوطنيين وزعماء النهضة بما يجيش في النفوس من أسي وحسرة . (٢) الخطاب في هذا البيت وما بعده للإنجليز . (٣) جاب البلاد : قطعها . (٤) ذات الطوق : الحمامة المطوقة ، لأن لها طوقا حول عنقها ، وهو لون يخالف سائر لونها . (٥) يريد « بالأطواق » في هذا البيت : أغلال الأسر والاستعباد . والأجساد : الأعتاق ؛ الواحد جيد . (٦) يقال : أقاد الأمير القاتل بالقتيل ، إذا قتله به . ويشير بهذا البيت إلى ما قرره الأطباء من أن وفاة الضباط الإنجليز كانت بضربة الشمس ، لا بإصابة أحد .

أَحْسِنُوا الْقَتْلَ إِنِ ضَنْتُمْ بِعَفْوٍ * أَقْصَا أَرَدْتُمْ أَمْ كِيَادَا؟
 أَحْسِنُوا الْقَتْلَ إِنِ ضَنْتُمْ بِعَفْوٍ * أَنْفُوسًا أَصَبْتُمْ أَمْ بَحَادَا؟
 لَيْتَ شِعْرِي أَتِلِكَ (مَحْكَمَةُ التَّفْ) . تَيْشِ عَادَتِ أَمْ عَهْدُ (نِيرُونَ) عَادَا؟^(١)
 كَيْفَ يَحْلُو مِنْ الْقَوَى التَّشْفَى * مِنْ ضَعِيفٍ أَلْقَى إِلَيْهِ الْقِيَادَا؟
 إِنَّمَا مُثَلَّةٌ تُشْفَى عَنِ الْغِي * يَظِ وَلَسْنَا لَفِظِكُمْ أَنْدَادَا^(٢)
 أَكْرِمُونَا بِأَرْضِنَا حَيْثُ كُنْتُمْ * إِنَّمَا يُكْرِمُ الْجَوَادُ الْجَوَادَا^(٣)
 إِنِ عَشِيرِينَ حِجَّةً بَعْدَ خَمِيسٍ * عَلِمْتَنَا السُّكُونَ مَهْمَا تَمَادَى^(٤)
 أُمَّةُ النَّيْلِ أَكْبَرَتْ أَنَّ تُعَادَى * مَنْ رَمَاهَا وَأَشْفَقَتْ أَنْ تُعَادَى
 لَيْسَ فِيهَا إِلَّا كَلَامٌ وَإِلَّا * حَسْرَةً بَعْدَ حَسْرَةٍ تَهَادَى

أَيُّهَا الْمُدَّعِي الْعُمُومِيُّ مَهْلًا * بَعْضَ هَذَا فَقَدْ بَلَّغْتَ الْمُرَادَا^(٥)
 قَدْ ضَمِنَّا لَكَ الْقَضَاءَ بِمُضِرٍ * وَضَمِنَّا لِنَجْلِكَ الْإِسْعَادَا^(٦)

(١) تعرف محاكم التفتيش بالقسوة والظلم واضطهاد الناس ومصادرة أملاكهم، ثم إحقاقهم من غير أن تترك لهم فرصة للدفاع عن أنفسهم؛ وقد استغلت تلك المحاكم في اضطهاد العرب في إسبانيا في آخر أيامهم بها حتى تم جلاؤهم عنها في سنة ١٦٠٩ م. ونيرون، هو الملك الروماني المعروف بالظلم والقسوة والاستبداد، وما ينسب إليه أنه أحرق مدينة روما، وكان يوم إحقاقها يشاهد النيران تأكل المدينة وأهلها، فيسر هذا المظهر كأنما ينظر إلى رواية تمثل في ملهى من الملاهي. (٢) المثلثة (بالضم) : التكيل . وتشف : تكشف وتبين . والأندَاد : النظراء ؛ الواحد ند (بكسر النون) . (٣) الحجّة : السنة . (٤) أشفقت : خشيت . (٥) المدعى العمومي : إبراهيم الخلباوى بك . (٦) يشير إلى ما كان يقال من أن الخلباوى بك كان قد وعد بأن يكون بعد من رجال القضاء لدفاعه عن الإنجليز في هذه الحادثة .

فإذا ما جَلَسْتَ لِحُكْمٍ فَاذْكُرْ * عَهْدَ (مِصْرِ) فَقَدْ شَفَيْتَ الْفُؤَادَا
(١)
لَا جَرَى النَّيْلُ فِي نَوَاحِيكَ يَا (مِصْرُ) * وَلَا جَادَكَ أَلْبَا حَيْثُ جَادَا
(٢)
أَنْتِ أَنْبَتِ ذَلِكَ النَّبْتَ يَا (مِصْرُ) * فَأَحْضَى عَلَيْكَ شَوْكًَا قَدَادَا
(٣)
أَنْتِ أَنْبَتِ نَاعِقًا قَامَ بِالْأَمِّ * سِيسَ فَأَدْنَى الْقُلُوبَ وَالْأَكْبَادَا
(٤)
إِيَّاهُ يَا مِدرَةَ الْقَضَاءِ وَيَا مَنْ * سَادَ فِي غَفْلَةِ الزَّمَانِ وَشَادَا
أَنْتِ جَلَدْنَا فَلَا تَنْسَ أَنَا * قَدْ لَيْسْنَا عَلَى يَدَيْكَ أَلِحْدَادَا

استقبال اللورد كرومر عند عودته من مصيفه بعد حادثة دنشواي^(٥)

[نشرت في ١٧ أكتوبر سنة ١٩٠٦ م]

(٦)
(قَصْرُ الدَّيَّارَةِ) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُنَا * فَالْشُّرْقُ رِيحَ لَهْ وَجِغِ الْمَغْرِبُ
(٧)
أَهْلًا بِسَاكِنِكَ الْكَرِيمِ وَمَرْحَبًا * بَعْدَ التَّحِيَّةِ إِنِّي أَتَعَبُ
نَقَلْتُ لَنَا الْأَسْلَاكَ عَنْكَ رِسَالَةً * بَأَنْتِ لَهَا أَحْشَاؤُنَا نَتَلَهَّبُ

(١) الحيا : المطر . (٢) الفتاد : شجر صلب له شوك كالإبر . يخاطب مصر بأنها أحسنت
إلى بعض أبنائها ورتت بهم ، فأساءوا إليها وبجحدوا نعمتها . (٣) يريد « بالناقص » : المدعى
العمومي في هذه القضية . والتعيق (بالعين المهملة ، وفي كتب اللغة أنه بالعين المعجمة أفصح) : صياح
الفراب . (٤) المدره : خطيب القوم والمتكلم عنهم . (٥) انظر الكلام على الحادثة التي
وقعت في هذا البلد (في الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠ من هذا الجزء) . (٦) ريع (البناء للجهول) :
من الروع ، وهو الفرع . يخاطب في هذا البيت القصر مريدا صاحبه . (٧) التعيب ، هو تواصف
الموجدة ، ومخاطبة المدينين أخلاهم طالين حسن مراجعتهم ، ولما كرتهم ما كره بعضهم من بعض .

- (١) ماذا أقول وأنت أَصْدَقُ نَاقِلٍ * عَنَّا وَلَكِنَّ السِّيَاسَةَ تَكْذِبُ
- (٢) عَلَّمْتَنَا مَعْنَى الْحَيَاةِ فَمَا لَنَا * لَا نَشْرِبُهَا وَمَا لَكَ تَغْضَبُ
- (٣) أَتَقِمْتَ مِنَّا أَنْ نُحْسِسَ ؟ وَإِنَّمَا * هَذَا الَّذِي تَدْعُو إِلَيْهِ وَتَسْتَدْبُ
- (٤) أَنْتَ الَّذِي يُعْزَى إِلَيْهِ صَلاَحُنَا * فِيمَا تَقَرَّرُهُ لَدَيْكَ وَتَكْتُمُ
- (٥) إِنْ ضَاقَ صَدْرُ النَّيْلِ عَمَّا هَالَهُ * يَوْمَ الْحَمَامِ فَإِنَّ صَدْرَكَ أَرْحَبُ
- (٦) أَوْكُلُهَا بَاحَ الْحَزِينِ بَأْتِيَةً * أَمْسَتْ إِلَى مَعْنَى التَّعَصُّبِ تُنْسَبُ !
- (٧) رِفْقًا عِمِيدَ الدَّوْلَتَيْنِ بِأُمَةٍ * ضَاقَ الرَّجَاءُ بِهَا وَضَاقَ الْمَذْهَبُ
- رِفْقًا عِمِيدَ الدَّوْلَتَيْنِ بِأُمَةٍ * لَيْسَتْ بِغَيْرِ وَلَايَها تَتَعَدَّبُ
- (٨) إِنْ أَرَهَقُوا صَيَادَكُمْ فَلَعَلَّهُمْ * لِلْقُوْتِ لَا لِلْمُسْلِمِينَ تَعَصَّبُوا
- (٩) وَلرُبَّمَا ضَنَّ الْفَقِيرُ بِقُوْتِهِ * وَسَخَا بِمُهْجَتِهِ عَلَى مَنْ يَغْضَبُ

(١) يشير بهذا البيت والذي قبله إلى مقتطفات من تقرير اللورد كرومر عن مصر نقلها البرق إلى الصحف المصرية، وفيها يطن على المصريين ويصفهم بأنهم لا يعرفون بحيلًا . (٢) نثرِبُها : تَطْلَعُ إليها . والأشْرَبَابُ (في الأصل) : مَدَّ العَقْلَ لِلنَّظَرِ . (٣) نَدَبَهُ إِلَى الْأَمْرِ : دَعَاهُ إِلَيْهِ . (٤) يُعْزَى : يُنْسَبُ . يشير إلى ما كان يكتبه اللورد كرومر في تقاريراته من أنه هو الذي جلب الخير والرفاهية لمصر . (٥) يوم الحمام ، أى يوم صيد الحمام الذى سبب حادثة دنشواى المعروفة . (٦) الأُتَّةُ : من الأنثى ، وهو التأثره . ويشير بهذا إلى ما وجهه إلى المسلمين في مصر من التعصب الدينى ، وأن ذلك التعصب كان السبب في قتل الإنجليز في دنشواى . (٧) عِمِيدَ الدَّوْلَتَيْنِ ، أى عِمِيدَ الدَّوْلَةِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ وَالْمِصْرِيَّةِ . (٨) أَرَهَقُوا صَيَادَكُمْ : اعْتَدُوا عَلَيْهِ وَأَذَوْهُ . ويريد « بالصياد » : أحد ضباط الإنجليز الذين كانوا يصيدون الحمام في دنشواى ولاقي حظه هناك . (٩) ضَنَّ : بَجَلَ . وسَخَا بِمُهْجَتِهِ ... الخ ، أى بذل نفسه في دفع من يغصبه طامعه . ويشير بهذا إلى ما حدث من بعض هؤلاء الصيادين ، حين أطلقوا النار على الحمام فأحرقت بعض أجران القمح هناك .

فِي (دُنْشَوَايَ) وَأَنْتَ عَنَّا غَائِبٌ * لَعِبَ الْقَضَاءُ بِنَا وَعِزَّ الْمَهْرَبُ
 حَسِبُوا النُّفُوسَ مِنَ الْحَمَامِ بِدِيلَةٍ * قَسَابَقُوا فِي صَبِيلِهِنَّ وَصَوَّبُوا^(١)
 نَكَبُوا وَأَقْفَرَتِ الْمَنَازِلُ بَعْدَهُمْ * لَوْ كُنْتَ حَاضِرَ أَمْرِهِمْ لَمْ يُنْكَبُوا
 خَلَّتْهُمْ وَالْقَاسِطُونَ بِمَرْصِدٍ * وَسَيَّاطُهُمْ وَجِبَالُهُمْ تَنَاهَبُ^(٢)
 جُلِدُوا وَلَوْ مِنْهُمْ لَتَعَلَّقُوا * بِجِبَالٍ مَنْ شَقُّوا وَلَمْ يَتَهَيَّبُوا^(٣)
 شَقُّوا وَلَوْ مُنَحُوا الْخِيَارَ لَأَهْلُوا * بَلَطَى سَيَّاطُ الْجَالِدِينَ وَرَجَبُوا^(٤)
 يَتَحَسَّدُونَ عَلَى الْمَوَاتِ، وَكَأْسُهُ * يَبْنِي الشِّفَاءَ وَطَعْمُهُ لَا يَمْدُبُ^(٥)
 مَوَاتٍ : هَذَا عَاجِلٌ مُتَمَرِّدٌ * يَرْنُو، وَهَذَا آجِلٌ يَتَرَقَّبُ^(٦)
 وَالْمُسْتَشَارُ مُكَائِرٌ بِرِجَالِهِ * وَمُعَاجِزٌ وَمُنَاجِزٌ وَمُحْزَبٌ^(٦)
 يَحْتَالُ فِي أَتْحَانِهَا مُتَبَسِّمًا * وَالذَّمْعُ حَوْلَ رِكَابِهِ يَتَصَبَّبُ

(١) يقال : صَوَّبَ السَّهْمَ نحو الرِّمِيَّةِ (بشديد الياء)، إِذَا سَدَّه .

(٢) الْقَاسِطُونَ : الظَّالِمُونَ الْجَائِرُونَ عَنِ الْحَقِّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا) . وَالْمَرْصِدُ : الْمَرْقَبُ .

(٣) مِنْهُمْ ، أَيِ خَيْرَتِهِمْ فَيَا يَتَنَوَّنُهُ مِنْ أَخْفِ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ .

(٤) أَهْلُوا وَرَحِبُوا ، أَيِ قَالُوا : أَهْلًا وَمَرْحَبًا . وَمَعْنَى الْبَيْنِ : أَنْ كَلَامًا مِنْ جِلْدٍ وَشَقٍّ رَأَى فِي مَذَابِهِ مِنْ الشَّدَةِ مَا تَعْنَى مَعَهُ أَنْ يَسْتَبْدِلَ بِهِ عَذَابُ أَخِيهِ . وَالْقَلْبَى : النَّارُ؛ وَقِيلَ : لَهَا . (٥) التَّمَرُّدُ : الْغَضَبُ ، شَبِيهَا لَهُ بِالْفَرِّ ، لِأَنَّ مِنْ عَادَتِهِ أَلَّا يَلْقَاكَ دَائِمًا إِلَّا مُتَنَكِّرًا غَضْبَانًا ، وَرْنُو : يَنْظُرُ .

(٦) يَرِيدُ «بِالْمُسْتَشَارِ» هُنَا : الْمُسْتَرْبُودُ الْإِنْجِلِيزِيُّ ، وَهُوَ مِنْ قَضَاءِ الْحَكْمَةِ الَّتِي حَكَمَتْ عَلَى مَتَمِي دُنْشَوَايَ . وَالْمُنَاجِزُ : مَنْ عَاجَزَتِ الرَّجُلَ ، إِذَا آتَيْتَ بِمَا يَجْعَلُهُ عَاجِزًا . وَالْمُنَاجِزُ : الْمَقَاتِلُ الْمُبَارِزُ . وَمُحْزَبٌ ، أَيِ مُفْرَقُ أَعْرَافِهِ ، فَبَعْضُهُمْ يَتَوَلَّى أَمْرَ الْجِلْدِ ، وَبَعْضُهُمْ يَتَوَلَّى أَمْرَ الشَّقِّ ... الخ .

- (١)
طَاحُوا بِأَرْبَعَةٍ فَأَرَدُوا خَامِسًا * هُوَ خَيْرٌ مَا يَرْجُو الْعَمِيدُ وَيَطْلُبُ
حُبُّ يُحَاوِلُ غَرَسَهُ فِي أَنْفُسِ * يُجْنَى بِمَغْرِسِهَا الثَّنَاءُ الطَّيِّبُ
كُنْ كَيْفَ شِئْتَ وَلَا تَكِلْ أَرْوَاحَنَا * لُئْلَسَ شَارِ فَإِنَّ عَدْلَكَ أَخَصَبُ
وَأَفْضُ عَلَى (بُنْدٍ) إِذَا وَلَّى الْقَضَا * رِقْقًا يَهْشُ لَهُ الْقَضَاءُ وَيَطْرَبُ
قَدْ كَانَ حَوْلَكَ مِنْ رِجَالِكَ نُجْبَةٌ * سَأَسُوا الْأُمُورَ فَدَرَبُوا وَتَدَرَبُوا
(٢)
أَقْصَيْتَهُمْ عَنَّا وَجِئْتَ بِفِتْيَةٍ * طَاشَ الشَّبَابُ بِهِمْ وَطَارَ الْمَنْصِبُ
فَاجْعَلْ شِعَارَكَ رَحْمَةً وَمَوَدَّةً * إِنَّ الْقُلُوبَ مَعَ الْمَوَدَّةِ تُكْتَبُ
وَإِذَا سُئِلَتْ عَنِ الْكِبَانَةِ قُلْ لَهُمْ * هِيَ أُمَّةٌ تَلْهُو وَشَعْبٌ يَلْعَبُ
(٣)
وَأَسْتَبِقْ عَقْلَهَا وَنَمَّ عَنْهَا تَمَّ * فَالْنَّاسُ أَمْثَالُ الْحَوَادِثِ قَلْبُ

شكوى مصر من الاحتلال

[نشرت في أول يناير سنة ١٩٠٧ م]

- (٤)
لَقَدْ كَانَ فِينَا الظُّلْمُ فُوضَى فُهِدَّتْ * حَوَاشِيهِ حَتَّى بَاتَ ظُلْمًا مُنْظًا
(٥)
تَمَّنَّ عَلَيْنَا الْيَوْمَ أَنْ أَخْصَبَ الثَّرَى * وَأَنْ أَصْبَحَ الْمِصْرِيُّ حُرًّا مُنْعَا

- (١) طاحوا بأربعة، أى ذهبوا بنفوسهم، وأردوا: أهلكوا. ويريد «بالخامس»: الحب المذكور في البيت الآتي. (٢) أقصيتهم: أبعدتهم. وطار المنصب، أى خفت أحلامهم من الفرور بتناصبهم. (٣) قلب، أى متقلبون لا يثبتون على حال واحدة. والذي وجدناه في كتب اللغة أن القلب: صفة للفرد أى المتقلب كيف شاء، وقد أخبر الشاعر به عن الناس مراعاة للفظ، ومنه قول الشاعر: ولقد سئمت من الحياة وطولها * وسؤال هذا الناس كيف ليد؟ (٤) الحواشي: النواحي. وتهذيبها: إصلاحها. (٥) تمن: يحاطب عبيد الدولة الإنجليزية. ويشير إلى ما كان يكتبه ذلك العميد في قراراته من صلاح حال مصر ورفاهتها بفضل الإنجليز.

- (١) أَعِدْ عَهْدَ (إِسْمَاعِيلَ) جَلْدًا وَشُجْرَةً * فَإِنِّي رَأَيْتُ الْمَنَ أَنْكَى وَالْمَا
عَمِلْتُمْ عَلَى عِزِّ الْجَادِ وَذُلُّنَا * فَأَغْلَيْتُمْ طِينًا وَأَرْخَصْتُمْ دَمًا
(٢) إِذَا أَخْصَبَتْ أَرْضٌ وَأَجْدَبَ أَهْلُهَا * فَلَا أَطْلَعَتْ بَتًّا وَلَا جَادَهَا السَّمَاءُ
(٣) نَهَشَ إِلَى الدِّينَارِ حَتَّى إِذَا مَشَى * بِهِ رَبُّهُ لِلْسُّوقِ أَفْأَهُ دِرْهَمًا
فَلَا تَحْسَبُوا فِي وَفْرَةِ الْمَالِ - لَمْ تُفِدْ * مَتَاعًا وَلَمْ تَعِصْ مِنَ الْفَقْرِ - مَعْنَا
(٤) فَإِنَّ كَثِيرَ الْمَالِ وَالْخَفْضُ وَارِفٌ - * قَلِيلٌ إِذَا حَلَّ الْغَلَاءُ وَخِيَا

وداع اللورد كرومر

قالها عند استقالة اللورد ومنها آراء الناس في سياسته

[نشرت في ٢٧ أبريل سنة ١٩٠٧ م]

- (٥) قَتَى الشَّعْرَ هَذَا مَوْطِنُ الصَّدِيقِ وَالْهُدَى * فَلَا تَكْذِبِ التَّارِيخَ إِنْ كُنْتَ مُنْشِدًا
(٦) لَقَدْ حَانَ تَوْدِيعُ الْعَمِيدِ وَإِنَّهُ * حَقِيقٌ بِتَشْيِيعِ الْحَبِيبِ وَالْعَمِيدِ

(١) يشير بهذا البيت إلى ما كان يردده عميد الدولة الإنجليزية وغيره من ساسة الإنجليز من تفضيل عهد احتلالهم على ما قبله من اليهود، ولا سيما عهد إسماعيل، ممنين على المصريين بأنهم قد أزالوا عنهم ما كان يحق بهم من المظالم قبل احتلالهم، من تسخير الناس وجلد ظهورهم. (٢) جادها السماء أي نزل عليها المطر. (٣) هش إليه: ارتاح وبش. ويشير بهذا إلى غلاء الحاجات وارتفاع أثمانها، حتى إن الدينار يزل إلى قدر الدرهم في الشراء. (٤) الخفض: سعة العيش وورعده. والوارف: التسع. يقول: إن كثرة الأموال مع ارتفاع الأسعار وغلاء الحاجات لا تغني شيئاً. (٥) قَتَى الشعر، يريد نفسه. (٦) العميد، هو عميد الدولة الإنجليزية في مصر، وهو اللورد كرومر، وقد بقى بها ما يزيد على أربعة وعشرين عاماً، فقد حضر إليها في سبتمبر سنة ١٨٨٣ م وتركها في سنة ١٩٠٧ م. وحقيق: جدير.

- (١) فودّع لنا الطود الذي كان شاخاً * وشيخ لنا البحر الذي كان مزيداً
وزوده عنا بالكرامة كلها * وإن لم يكن بالباقيات مزوداً
(٢) فلم لا نرى الأهرام يا نيل ميّداً * وفرعون عن واديك مرتجل غداً؟
(٣) كأنك لم تجزع عليه ولم تكن * ترى في حى فرعون أمناً ولا جداً
سلامً ولو أنا نسيء إلى الألى * أسأوا إلينا ما مددنا لهم يداً
(٤) سنطري أباديك التي قد أفضتها * علينا فلنسنا أمة تجحد اليدا
أمناً فلم يسلك بنا الخوف مسلماً * ونمنا فلم يطرق لنا الدهر مرّداً
وكنّت رحيم القلب نجي ضيعفنا * وتدفع عنا حادث الدهر إن عدا
(٥) ولولا أسي في دنشواي ولوعة * وفاجعة أدمت قلوباً وأكبدت
(٦) ورميك شعباً بالتعصب غافلاً * وتصويرك الشرق غراً مجرّداً

- (١) الطود : الجبل العظيم . والشاخ : المرتفع . والمزيد : الذى يقذف بالزبد (بالتحريك) ، وهو ما يعلو الماء من الرغوة ، ولا يكون ذلك إلا عند هيجان البحر وثورانه . شبه الشاعر اللورد بالجبل العظيم فى رسوخه فى السياسة وطوشأنه ، كما شبهه بالبحر المزبد فى ثورته وغضبه .
(٢) ميّداً : مائلة مضطربة ، الواحد مائد . وشبه كرومر بفرعون ، لما كان يعرف به من الجبروت . (٣) الجدا (بفتح الجيم وتخفيف الدال) : العطاء . (٤) فطرى : تمدح . والأيادى : النعم ، وأفضتها : أجنبتها . ويشير فى هذا البيت والبيتين اللذين بعده الى ماثر اللورد فى مصر ، من تشرالأم فى ربوع البلاد ، والأخذ بناصر الضعفاء ، وإنصافهم من ظلم الأقوياء .
(٥) الأسي : الحزن . وانظر التعريف بجادة دنشواي (فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٢ من هذا الجزء) .
(٦) رميك ، أى آتاهمك . والنر : الذى لا تحجرة له بالأمور لقصر نظره . ومجزداً ، أى غير مزود بأسباب النهوض والجلاء .

لَذَبْنَا أَسَى يَوْمَ الْوَدَاعِ لَأَنَّنَا * نَرَى فِيكَ ذَاكَ الْمُصْلِحَ الْمُتَوَدِّدَا
تَشَبَّتِ الْآرَاءُ فِيكَ فَقَائِلُ * أَفَادَ الْغِنَى أَهْلَ الْإِلَادِ وَأَسْعَدَا
(١)
وَكَانَتْ لَهُ فِي الْمُصْلِحِينَ سِيَاسَةٌ * تَرْخَصُ فِيهَا تَارَةً وَتَسَدِّدَا
(٢)
رَأَى الْعِزَّ كُلَّ الْعِزِّ فِي بَسْطَةِ الْغِنَى * فَخَارَبَ جَيْشَ الْفَقْرِ حَتَّى تَبَدَّدَا
(٣)
وَأَمْتَعَكُمْ بِالنَّيْلِ فَهُوَ مُبَارَكُ * عَلَى أَهْلِهِ ، خُصْبًا وَرِيًّا وَمُورِدَا
(٤)
وَسَنَّ لَكُمْ حُرِّيَةَ الْقَوْلِ عِنْدَ مَا * رَأَى الْقَوْلَ فِي أَسْرِ السُّكُوتِ مُقِيدَا
(٥)
وَأَتَرَلَمْ يَقْصِرْ عَلَى الْمَالِ هَمُّهُ * يَرَى أَنَّ ذَاكَ الْمَالَ لَا يَكْفُلُ الْهَدَى
(٦)
فَلَا يَتِمُّدُ الْإِثْرَاءُ حَتَّى يَزِينَهُ * بِعِلْمٍ ، وَخَيْرِ الْعِلْمِ مَا كَانَ مُرْشِدَا
(٧)
يُنَادِيكَ قَدْ أَزْرَيْتَ بِالْعِلْمِ وَالْحِجَا * وَلَمْ تُبْقِ لِلتَّعْلِيمِ يَا (رُدُّ) مَعْهَدَا
وَأَنَّكَ أَخْصَبْتَ الْإِلَادَ تَعْمُدَا * وَأَجْدَبْتَ فِي مِصْرَ الْعُقُولِ تَعْمُدَا
(٨)
قَضَيْتَ عَلَى أُمِّ اللُّغَاتِ وَإِنَّهُ * قَضَاءٌ عَلَيْنَا أَوْ سَبِيلٌ إِلَى الرَّدَى

(١) ترخص : لان ومهل . (٢) بسطة الغنى : سمته .

(٣) يشير بهذا البيت إلى الإصلاحات المتعلقة بالرى وتحسين النظم في صرف مياه النيل التي أجريت

في عهد اللورد كرومر . (٤) سن : شرع . يشير بهذا البيت إلى حرية الصحافة في عهد اللورد

(٥) وآخر : معطوف على قوله السابق : « فقائل » . ويقصر ، أى يجبس . وهمه ،

أى همته وعزمه . (٦) الإثراء : كثرة الأموال .

(٧) أزرى به : تهاون به ووضع من شأنه . (٨) يريد « بأم اللغات » : اللغة العربية .

و يشير الى ما كان في عهد اللورد كرومر من جعل دراسة أكثر العلوم في المدارس باللغة الإنجليزية .

والردى : الهلاك .

- (١) وواقيتَ والقُطرانِ في ظلِّ رايَةٍ * فما زلتَ (بالسودان) حتى تمرِّداً
(٢) فطاح كما طاحت (مُصوِّع) بعده * وضاعت مساعينا بأطاعكم سدى
(٣) حجتَ ضياءَ الصحفِ عن ظلماته * ولم تستقل حتى حجتَ (المؤيدا)
(٤) وأودعتَ تقريرَ الوداعِ مفامِراً * رأينا جفاءَ الطبعِ فيها مجسداً
عمرتَ بها دينَ النبي وإننا * لننضبُ إن أغضبتَ في القبرِ (أحمداً)
(٥) يُناديكَ أينَ للتايُّفِ بعهدكم * وأى بناءٍ شاخٍ قد تجدداً
(٦) فما عهدُ (إسماعيل) والعيشُ ضيقٌ * بأجذبَ من عهدِكم سألَ عسجدنا
(٧) يُناديكَ ولَّتِ الوزارةَ هيئةً * من الصمِّ لم تسمعَ لأصواتنا صدَى
فليسَ بها عندَ التَّشاوُرِ من قى * أئني إذا ما أصدرَ الأمرَ أوردنا

- (١) واقيت ، أى حضرت إلى مصر . والقطران : مصر والسودان . ويريد « الراية » :
الراية المصرية . وتُمرّد : عصى ونجّ عن الطاعة . يشير بهذا البيت إلى رأى السياسة البريطانية التى
أشارت به على مصر من إخلاء السودان فى سنة ١٨٨٤م عند ما ثار المهدى ، حتى استنفل أمره وانتشرت
دعوته ، وتألّبت معظم القبائل على الحكومة ؛ وقد أعيد فتحه بعد ذلك بالجيشين المصرى والإنجليزى
فى سنة ١٨٩٧م . (٢) طاح ، أى ذهب وضاع . ومصوِّع : ثمر معروف على البحر الأحمر ، وقد كان
فى يد مصر ، ثم اضطرت إلى إخلائه أيام الحروب السودانية ، فضمته إيطاليا إلى أملاكها بموافقة إنجلترا .
(٣) ظلماته ، أى ظلمات السودان ؛ ويريد ظلمات الجهل التى فيه . ويشير الشاعر إلى ما حدث
فى عهد اللورد كرومر من منع بعض الصحف المصرية ، ومنها صحيفة المؤيد ، من دخول السودان خوفاً من
تشرذمها ضد الإنجليز . (٤) المفامِر : المطاعن . ويشير الشاعر إلى ما ذكره اللورد كرومر
فى تقريره عن مصر ، حين تركها ، من طعن على المصريين . (٥) يناديك ، أى هذا الآخر الذى
سبق ذكره فى قوله : « وآخر لم يقصر ... الخ » . (٦) المسجد : الذهب الخالص .
(٧) الصدى : ما يرجع من الصوت إذا خرج ووجد ما يجبهه ؛ ولذلك يقال له : رجع الصدى .

- (١) بِرَبِّكَ مَاذَا صَدَدْنَا وَلَوْ يَنَّا * عَنِ الْقَصْدِ إِنْ كَانَ السَّبِيلُ مُمَهَّدًا؟
 (٢) أَشَرْتَ بِرَأْيِي فِي كِتَابِكَ لَمْ يَكُنْ * سَدِيدًا وَلَكِنْ كَانَ مَهْمًا مُسَدَّدًا
 (٣) وَحَاوَلْتَ إِعْطَاءَ الْغَرِيبِ مَكَانَهُ * تَجَرُّ عَلَيْنَا الْوَيْلَ وَالذَّلَّ مَرَمَدًا
 (٤) فَيَاوَيْلَ مِصْرِ يَوْمَ تَسْقَى بِنْدَوَةٍ * يَبِيتُ بِهَا ذَاكَ الْغَرِيبُ مُسَوَّدًا
 (٥) أَلَمْ يَكْفِنَا أَنَّا سُؤْلُنَا ضِيَاعَنَا * عَلَى حِينٍ لَمْ نَبْلُغْ مِنَ الْفِطْنَةِ الْمَدَى
 (٦) وَزَاخَمْنَا فِي الْعَيْشِ كُلِّ مُمَارِسٍ * خَيْرٍ وَكُنَّا جَاهِلِينَ وَرُقْدًا
 وَمَا الشَّرَكَاتُ السُّودُ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ * سِوَى شَرِكٍ يُلْقَى بِهِ مَنْ تَصِيدَا
 (٧) فَهَذَا حَلِيتُ النَّاسِ وَالنَّاسُ أَلْسَنُ * إِذَا قَالَ هَذَا، صَاحَ ذَاكَ مَفْنَدًا
 وَلَوْ كُنْتُ مِنْ أَهْلِ السِّيَاسَةِ يَنْبَهُمُ * لَسَجَلْتُ لِي رَأْيًا وَبُلَغْتُ مَقْصِدَا
 وَلَكِنِّي فِي مَعْرِضِ الْقَوْلِ شَاعِرٌ * أَضَافَ إِلَى التَّارِيخِ قَوْلًا تُحْمَلَا
 (٨) فَيَأْتِيهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ تَحِيَّةً * وَيَأْتِيهَا الْقَصْرُ الْمُنِيفُ تَجَمُّلَا
 لَنْ غَابَ هَذَا اللَّيْتُ عَنْكَ لِغَلَّةٍ * لَقَدْ لَبِثْتُ أَنَا رُهُ فِيكَ شُهُدَا

- (١) لوى به عن القصد، أى صرفه عنه . يقول : إن صح ما يقال من أنك أحسنت السياسة فى مصر ووليت أمورها أكفأها، فأبالتنا نخوف عن القصد ونفسر فى غير النهج .
 (٢) المسدّد : المصوب نحو الهدف . (٣) السرد : الدائم . (٤) الندوة : المكان يجتمع فيه القوم للتشاور . ويشير إلى ما كان يراد من إنشاء مجلس للشورى يختلط من المصريين والأجانب . (٥) المدى : الغاية . ويشير بهذا البيت إلى ما استولى عليه الأجانب من أراضينا الزراعية بما نصوبه من أشرار الديون ذوات الفوائد المرحقة . (٦) مارس الأمر : عايله وزاوله . يشير فى هذا البيت إلى أبواب الاقتصاد الخبيرين باكتساب المال واستثماره من الأجانب، ويحمل المصريين بهذا الفن . (٧) مفتدا : مكذبا مجھلا . (٨) يريد قصر الدوبارة الذى كان يسكنه العميد .

(١) استقبال السير غورست

قالها في استقباله عند مجيئه إلى مصر معتمدا للدولة الإنجليزية خلفا للورد كرومر

يثل فيها آلام المصريين وآمالهم

[نشرت في ١٠ أكتوبر سنة ١٩٠٧ م]

(٢) بَنَاتِ الشَّعْرِ بِالنَّصَحَاتِ جُودِي * فَهَذَا يَوْمٌ شَاعِرِكَ الْمُحِيدِ
(٣) أَطْلَى وَأَسْفِرِي وَدَعْنِيهِ يُحْيِي * بِمَا تُوحِينِ أَيَّامَ الرَّشِيدِ
إِذَا مَا جَلَّ قَدْرُكَ عَن هُبُوطِ * مُرِيهِ إِلَى تَمَائِكَ بِالصُّعُودِ
وَأُولَى ذَلِكَ الْفَانِي يَبَانَا * يَتِيَهُ بِهِ عَلَى أَهْلِ الْكُلُودِ
(٤) وَحَلَّى عُقْدَةً مِنْ أَصْغَرِيهِ * يَلْنُ لُتَافِهِ قَاسِيِ الْحَدِيدِ
(٥) هَا أَنَا وَأَقِفُ بِرُسُومِ دَارٍ * أَسْأَلُهَا وَلَا كَلِّفُ رُودِ
وَلَا مُسْتَتَرِلٌ هِبَةً بِمَنْجٍ * وَلَا مُسْتَنْجِزٌ حُرَّ الْوَعُودِ
وَلَيْكُنِّي وَقَفْتُ أَنْوَحُ نَوْحًا * عَلَى قَوِيٍّ وَأَهْنِفُ بِاللَّشِيدِ
(٦) وَأَذْفَعُ عَنْهُمْ بِسَبَابِ يَرَاعٍ * يَصُولُ بِكُلِّ قَافِيَةٍ شُرُودِ

(١) ولد غورست سنة ١٨٦١ م، وتوفي في يولييه سنة ١٩١١ م. وكان مستشارا لوزارة المالية من

سنة ١٨٩٨ م إلى سنة ١٩٠٤ م. وفي سنة ١٩٠٧ م عين عميدا للدولة الإنجليزية مكان اللورد كرومر.

(٢) بنات الشعر : معانيه وخواطره. ويريد «بالشاعر المجيد» : نفسه . (٣) سفرت المرأة

تسفر (من باب ضرب) : كشفت عن وجهها. ويريد «بالرشيد» : هارون الرشيد الخليفة العباسي المعروف ؛

وخصه بالذكر لكثرة من كان في زمرته من الشعراء المجيدين . (٤) الأصفران : القلب واللسان .

(٥) رسوم الدار : آثارها . والكلف : المولع بالشيء، الشديد الحب له . والرؤد (بالهمز وسهلت) :

الشابة الحسنة . (٦) شبا اليراع : سن القلم . وقافية شرود، أى سائرة ذائعة .

- (١)
بَنَاتُ الشَّعْرِ إِنَّمَا أَسْعَدَتْنِي * شَكَوْتُ مِنَ الْعَمِيدِ إِلَى الْعَمِيدِ
- (٢)
وَلَمْ أَجْحَدْ عَوَارِفَهُ وَلَكِنْ * رَأَيْتُ الْمَنْ دَاعِيَةَ الْجُودِ
- (٣)
أَذِيقُونَا الرَّجَاءَ فَقَدْ ظَمَيْنَا * بِمَهْدِ الْمُصْلِحِينَ إِلَى الْوُرُودِ
- (٤)
وَمُنُوا بِالْوُجُودِ فَقَدْ جَهِلْنَا * بِفَضْلِ وَجُودِكُمْ مَعْنَى الْوُجُودِ
- (٥)
إِذَا أَعْلَوْتُ الصَّيَاحُ فَلَا تَأْمَنَّا * فَإِنَّ النَّاسَ فِي جُهِدٍ جَهِيدٍ
- (٦)
عَلَى قَدْرِ الْأَذَى وَالظُّلْمِ يَعْلُو * صِيَاحُ الْمُشْفِقِينَ مِنَ الْمَزِيدِ
- (٧)
يَرْحُحُ فِي النَّفُوسِ نَغْرَنَ نَغْرًا * وَكُنَّ قَدْ انْدَمَلْنَ عَلَى صَدِيدِ
- (٨)
إِذَا مَا هَاجَهُنَّ أَسَى جَدِيدٌ * هَتَكْنَ سَرَائِرَ الْقَلْبِ الْجَلِيدِ
- (٩)
إِلَى مَنْ نَشَكَّتْ عَنَتَ اللَّيَالِي * إِلَى (الْعَبَّاسِ) أُمِّ (عَبْدِ الْحَمِيدِ)؟
- (١٠)
وَدُونَ جَاهُهَا قَامَتْ رِجَالٌ * تَرَوَعُنَا بِأَصْنَافِ الْوَعِيدِ

- (١) أسعدتني : أعاتقتني . وفي كتب اللغة : أن «شكا» يتعدى بنفسه لا بالحرف .
- (٢) العوارف : النعم ؛ الواحدة عارفة . وفي البيت تعريض بما كان يمتن به اللورد كرومر على المصريين من أنه أنهمهم وأصلح من أحوالهم .
- (٣) الخطاب في «أذيقونا» للخطين . وفي قوله : «بمهد المصلحين» تهكم ظاهر .
- (٤) اعلوى : علا .
- (٥) المشفقون : الخائفون .
- (٦) نغراجرح : سال دمه . واندمل : التأم .
- (٧) السرائر : جمع سريرة ، وهي ما يستره الإنسان من أمره . والجليد : الصبور .
- (٨) العنت : الأذى والمشقة .
- (٩) روعه : أخافه وأزعجه .

(١)
فَا جِئْنَا نَطَاوِلُكُمْ بِجَاهٍ * يُطَوِّلُكُمْ وَلَا رُكْنٍ شَدِيدٍ
(٢)
وَلَا بَشَا نُعَاجِزُكُمْ بِعِلْمٍ * يَبِينُ بِهِ الْقَوِيُّ مِنَ الرَّشِيدِ
(٣)
وَلَكِنَّا نَطَالِبُكُمْ بِحَقٍّ * أَضَرُّ بِأَهْلِهِ تَقْضُ الْعُهُودُ
(٤)
رَمَانَا صَاحِبُ التَّقْرِيرِ ظُلْمًا * بِكُفْرَانِ الْعَوَارِفِ وَالْكُنُودِ
وَأَقْسَمَ لَا يُجِيبُ لَنَا نِدَاءً * وَلَوْ جِئْنَا بِقُرْآنٍ بِجِيدٍ
(٥)
وَبَشَّرَ أَهْلَ مِصْرٍ بِاحْتِلَالٍ * يَدُومُ عَلَيْهِمْ أَبَدَ الْأَيَّامِ
(٦)
وَأَنْبَتَ فِي النُّفُوسِ لَكُمْ جَفَاءً * تَعَهَّدَ بِمَنْهَلٍ الصُّدُودِ
(٧)
فَأَثْمَرَ وَحْشَةً بَلَّغَتْ مَدَاهَا * وَزَكَّاهَا بِأَرْبَعَةِ شُهُودِ
(٨)
فَقَتِيلُ الشَّمْسِ أَوْرَثَنَا حَيَاةً * وَأَيَقِظُ هَاجِعَ الْقَوْمِ الرُّقُودِ
فَلَيْتَ (كُرُومَرَا) قَدْ دَامَ فِينَا * يُطَوِّقُ بِالسَّلَاسِلِ كُلَّ جِيدٍ

- (١) طاوله بجاهه : فانخر به . وطاله يطوله : علاه وارفع عليه . ويريد « بالركن الشديد » :
الغزة والمنمة . وانخطاب في هذا البيت وما بعده للإنجليز .
- (٢) نعاجزكم : نأق بما يعجزكم . (٣) يريد « بالعهود » : وعود ماسة الإنجليز بالجلاء عن مصر .
- (٤) صاحب التقرير : هو اللورد كرومر ، وكان قد آتهم المصريين في أحد تقاريره التي كان يرسلها
لدولته بعدم الاعتراف بحجمل الدولة البريطانية عليهم . والكفرون : الكفر بالنعمة .
- (٥) أيد الأيد ، أى أيد الدهر . (٦) المنهل : المطر يشد أنصبابه .
- (٧) يريد « بالشهود الأربعة » : من أعدموا في دنشواى ، فهم بما لقوا شهود عدول على ظلم العميد .
- (٨) قتييل الشمس : الضابط الإنجليزى الذى مات في حادث دنشواى بضريرة الشمس ، وآتهم
الأهلون بقتله . والهاجع : النائم . يريد أن ما أصاب الناس من العذاب بسبب هذا القتل جعلهم
يهبون ويستيقظون الى المطالبة بالحرية .

وَيُخَفِّفُ (مُضَرَّ) أَنَا بَعْدَ آنَ * يَجْمَلُودُ وَمَقْتُولٍ شَهِيدٍ
لِنَنْزِعَ هَذِهِ الْأَكْفَانَ عَنَّا * وَنُبْعَثَ فِي الْعَوَالِمِ مِنْ جَدِيدٍ
(١)
رَمَى (دَارَ الْمَعَارِفِ) بِالرَّزَايَا * وَجَاءَ بِكُلِّ جَبَّارٍ عَيْنِيدٍ
(٢)
يُدِلُّ بِحَوْلِهِ وَيَتِيَهُ يَتِيَهَا * وَيَعِيْتُ بِالنَّهْيِ عَبَثَ الْوَلِيدِ
(٣)
فَبَدَّدَ شَمْلَهَا وَأَدَالَ مِنْهَا * وَصَاحَ بِهَا : سَبِيلُكَ أَنْ تَيِيدِي
(٤)
هَبُوا (دَنُلُوبَ) أَرْجَبَكُمْ جَنَانًا * وَأَقْدَرْتُكُمْ عَلَى تَزْعِ الْحُقُودِ
(٥)
وَأَعْلَى مِنْ (غِلَادَسْتُونَ) رَأْيَا * وَأَحْكَمَ مِنْ فَلَاسِفَةِ (الْمُنُودِ)
فَإِنَّا لَا نُنْطِيقُ لَهُ جَوَارًا * وَقَدْ أَوْدَى بِنَا أَوْكَادَ يُوْدَى
(٦)
بَلَيْنَا طُولَ صُحْبَتِهِ وَمَلَّتْ * سَوَائِقُنَا مِنَ الْمَشْيِ الْوَلِيدِ
بِحَمْدِ اللَّهِ مُلْكُكُمْ كَبِيرٌ * وَأَنْتُمْ أَهْلُ مَرَحْمَةٍ وَجُودِ
خُدُّوه فَامْتَعُوا شَعْبًا سَوَانَا * بِهَذَا الْفَضْلِ وَالْعِلْمِ الْمَفِيدِ

(١) كل جبار عنيد : يريد مستشار المعارف إذ ذاك، وهو المستر دانلوب وأعوانه .

(٢) الحول : القوة .

(٣) أدال منها : أذلها وأذهب عزها ودولتها . وتييد : تهلك .

(٤) الجنان : القلب .

(٥) غلادستون ، هو وليم غلادستون . ولد بليفربول في التاسع والعشرين من شهر سبتمبر

سنة ١٨٠٩ م ، وكان من ساسة الانجليز المشهورين ، وتولى وزارة المالية مرتين ، ثم كان رئيساً لمجلس

النواب ، ثم رأس الوزارة الانجليزية أربع مرات . وتوفي في ١٩ مايو سنة ١٨٩٨ م .

(٦) السوابق : الخليل التي تحيي ، سابقة في الحلبة ؛ ويريد بهم أعلام الأمة ونوابها . والوئيد من

المشي : البطي . منه .

- (١) إذا استوزرت فاستوزر علينا * قتي (كالفصل) او (كابن العميد)
 (٢) ولا تثقل مطاه بمسئار * يحد به عن القصد الحميد
 (٣) وفي الشورى بنا داء عهيد * قد استعصى على الطب العميد
 شيوخ كلما همت بأمر * زارتم دونه زار الأسود
 (٤) لي بيضاء يوم الرأى هانت * على حمر الملايس والحدود
 (٥) أترضى أن يقال - وأنت حر - * بأنك قين هاتيك القيود؟
 (٦) وهل في دار ندوتكم أناس * بهذا الموت أو هذا الجمود؟
 فتح غضاصة التامير عنا * كفانا سائغ النبل السعيد
 (٧) أرى أحدائكم ملوكوا علينا * (بمصر) موارد العيش الرغيد

(١) الفضل ، هو أبو العباس الفضل بن سهل أخو الحسن بن سهل ، أسلم على يد الأمون في سنة ١٩٠ هـ . وكان وزيرا للرشد ، وكان يلقب بذي الرياستين لأنه كان رب القلم والسيوف . ومات مقتولا يوم الخميس ثاني شعبان سنة ٢٠٢ هـ . وابن العميد ، هو الوزير أبو الفضل محمد بن الحسين بن العميد الفارسي الأصل ، وزر لركن الدولة أبي علي بن بويه ، والد عضد الدولة المشهور في سنة ٣٢٨ هـ ، فباس دولته ووطد أركانها ، وما زال في وزارته محط رجال الشعراء والأدباء والعلماء حتى توفي سنة ٣٦٠ هـ . ونخص الفضل وابن العميد لتشجيعهما العلم والأدب . (٢) المطا : الظاهر . يرغب إلى العميد البريطاني أن يجعل على وزارة المعارف أمثال الفضل وابن العميد ، على ألا يشل أيديهم بمسئار (كندوب) .
 (٣) المهيد : القديم الذي أتى عليه عهد طويل . يقول إن مجلس الشورى في مصر عيوبها قديمة استعصى شفاؤها من قديم على المصلحين . (٤) يريد « بالحي البيضاء » : أعضاء مجلس الشورى والجمعية العمومية . و « بحر الملايس والحدود » : الانجليز . وكان مما تميز به جنودهم إذ ذاك الأكسية الحمراء .
 (٥) القين : الخناد . (٦) دارندوتكم ، يريد بها مجلس العموم البريطاني . ويشير بهذا البيت والأبيات الأربعة التي قبله إلى ضعف رأى مجلس الشورى والجمعية العمومية ، لأن الحكومة كانت حرة في قبول رأيهما أو رده . (٧) الرغيد : الواسع الطيب .

وقد ضيقنا بهم وأيسك ذرعاً * وضاق بجهلهم ذرع البريد
 أكل موظف منكم قدير * على التشريع في ظل العبيد؟
 فضغ حدا لهم وأنظر إلينا * إذا أنصفتنا نظر الودود
 وخبرهم وأنت بنا خير * بأن الدل شيشنة العبيد (١)
 وأن نفوس هذا الخلق تآبى * لغير إلهها ذل السجود
 وول أمورنا الأخبار منا * تنب بهم إلى الشاؤ البعيد (٢)
 وأثركنا مع الأخبار منكم * إذا جلسوا لإيقام الحدود (٣)
 وأسعدنا بجامعية وشيد * لنا من مجد دولتك المشيد (٤)
 وإن أنعمت بالإصلاح فابدأ * بتلك فإنها بيت القصيد
 وفرج أمة الأموال عا * بما أوتيت من رأي سيد
 وسل عنها (اليهود) ولا تسلنا * فقد ضاقت بها حيل (اليهود)
 إذا ما نأح في (أموان) بالك * سمعت آنين شاك في (رشيدي)
 جميع الناس في البلوى سواء * بأذى الثغر أو أعلى الصعيد (٥)
 تدارك أمة بالشرق أمست * على الأيام عائرة أبجدود

(١) النشئة : العادة والطبيعة . (٢) الشاؤ : الغاية . (٣) يلاحظ أنه لم يرد

في كتب اللغة « إيقام » بياء بعد الهزة كما في هذا البيت . والذي ورد « إقام » بدون ياء

مصدر أقام . (٤) بتلك ، أى بالجامعة المصرية ، ولم تكن قد أنشئت إذ ذاك .

(٥) عائرة الجدود : أى تاعسة المخلوط .

وَأَيْدٍ مِصْرَ وَالسُّودَانَ وَأَغَمَّ * ثَنَاءَ الْقَوْمِ مِنْ بَيْضِ وَسُودِ
(١)
وَمَا أَدْرِى وَقَدْ زَوَّدْتُ شِعْرِي * وَظَنَى فَيْكَ بِالْأَمَلِ الْوَيْطِ
(٢)
أَجِثْتُ تَحُوطُنَا وَتَرَدُّ عَنَّا * وَتَرْفَعُنَا إِلَى أَوْجِ السُّعُودِ؟
(٣)
أَمِ اللُّرْدُ الَّذِي أَنَحَى عَلَيْنَا * أَتَى فِي تَوْبٍ مُعْتَمِدٍ جَدِيدِ؟

تحيّة العام الهجرى

[سنة ١٣٢٧ هـ - يناير سنة ١٩٠٩ م]

أَطَّلَ عَلَى الْأَكْوَانِ وَالْخَلْقِ تَنْظُرُ * هِلَالُ رَأَى الْمُسْلِمُونَ فَكَبَّرُوا
(٤)
تَجَلَّى لَهُمْ فِي صُورَةٍ زَادَ حُسْنُهَا * عَلَى الدَّهْرِ حُسْنًا أَنَّهُا تَتَكَرَّرُ
وَبَشَّرَهُمْ مِنْ وَجْهِهِ وَجَبِينِهِ * وَغُرَّتِهِ وَالنَّظِيرِينَ مُبَشِّرُ
وَأَذْكَرَهُمْ يَوْمًا أَغْرَى مُحَجَّلًا * بِهِ تَوَجَّعَ النَّارِخُ وَالسَّعْدُ مُسْفِرُ
(٥)
وَهَاجَرَ فِيهِ خَيْرُ دَاخِلٍ إِلَى الْهَدَى * يُخَفُّ بِهِ مِنْ قُوَّةِ اللَّهِ عَسْكَرُ
يُمَاشِيهِ جِبْرِيلُ وَتَسْعَى وَرَاءَهُ * مَلَائِكَةُ تَرْغَى خُطَاهُ وَتَتَخَفِرُ
(٦)

- (١) الوطيد : الثابت القوى . و « بالأمل » متعلق بـ « زودت » . (٢) حاطه يحوطه :
حفظه وتمهده . (٣) أنحى علينا ، أى أقبل علينا بالشدة والقسوة والعنف .
(٤) تجل : ظهر وتكشف . (٥) يقال : يوم أغر محجل ، إذا كان مشهوراً . وأصل
هاتين الصفتين من القوت المحمودة في الخليل ؛ الأغر منها : ما كان في جهته بياض . والمحجل : ما كان
البياض في قوائمه . والمسفر : المضيء المشرق . ويريد بهذا اليوم : يوم هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم
من مكة إلى المدينة . (٦) يماشيه : يمشى معه . وتتحفر : تحرس .

يُسرَّاهُ بِرَهَانٍ مِّنَ اللَّهِ سَاطِعٌ * هُدًى، وَيُنْشَاهُ الْكِتَابُ الْمُنِيرُ
 فَكَانَ عَلَى أَبْوَابِ (مَكَّةَ) رَكْبُهُ * وَفِي (يَثْرِبِ) أَنْوَارُهُ تَنْفَجِّرُ^(١)
 مَضَى الْعَامُ مَمِئُونَ الشُّهُورُ مُبَارَكًا * تَعَدَّدُ آثَارُ لَهُ وَتَسْطُرُ^(٢)
 مَضَى غَيْرَ مَذْمُومٍ فَإِنْ يَذْكُرُوا لَهُ * هَنَاتٍ فَطَبَعَ الدَّهْرُ يَصْفُو وَيَكْدُرُ^(٣)
 وَإِنْ قِيلَ أَوْدَى بِالْأَلُوفِ أَجَابَهُمْ * يُجِيبُ : لَقَدْ أَحْيَا الْمَلَائِكِينَ فَانْظُرُوا^(٤)
 إِذَا قَيْسَ إِحْسَانُ أَمْرِي بِإِسَاءَةٍ * فَأَرَبَى عَلَيْهَا فَالْإِسَاءَةُ تُغْفَرُ^(٥)
 ففِيهِ أَفَاقُ النَّائِمُونَ وَقَدْ أَتَتْ * عَلَيْهِمْ كَاهِلُ الْكَهْفِ فِي النَّوْمِ أَعْصَرُ^(٦)
 وَفِي عَالَمِ الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بُقْعَةٍ * لَهُ أَثَرٌ بَاقٍ وَذِكْرٌ مُعْطَرُ^(٧)
 سَلُّوا (الْتَرَكْ) عَمَّا أَذْرَكُوا فِيهِ مِنْ مَنَى * وَمَا بَدَلُوا فِي الْمَشْرِقَيْنِ وَغَيْرُوا^(٨)
 وَإِنْ لَمْ يَقُمْ إِلَّا (نِيَازِي) وَ(أَنُورُ) * فَقَدْ مَلَأَ الدُّنْيَا (نِيَازِي) وَ(أَنُورُ)^(٩)
 تَوَاصَوْا بِصَبْرِ ثُمَّ سَلُّوا مِنَ الْجَحَا * سُيُوفًا وَجَدُّوا جَدَّهُمْ وَتَدَبَّرُوا^(١٠)

- (١) يثرب : الاسم القديم لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وشبه انبثاق الأنوار بنفجر الماء .
 (٢) الهنات : المفوات البسرة التي تحتمل أمثالها (٣) أودى بهم : أهلكهم .
 (٤) أربى : زاد . (٥) يشير بقوله « أفاق النائمون » : إلى بعض الشعوب
 التي هبت في العام المتحدث عنه طالب بحريتها ردتورها بعد أن سكنت على الذل والاستعباد مدة
 طويلة ، ومن هذه الشعوب : الشعب التركى والفارسى والمصرى ، كما يشير الشاعر إلى ذلك بعد .
 فشبه سكوتهم فيما مضى بنوم أهل الكهف . (٦) نيازي وأنور : بطلان معروفان من
 أبطال جمعية الاتحاد التركية ، وقد ألبيا بلاه حسنا في إعادة الدستور إلى أمتهما .
 (٧) تواسوا ، أى الترك . والتواصى : أن يوصى القوم بعضهم بعضا . والجبا : العقل . وجدوا
 جدّهم ، أى أجدّهم ونابروا .

(١) فسادوا وشادوا للهِلالِ مَنازِلًا * على هامِها سَعْدُ الكواكِبِ يُنْثَرُ
(٢) تَجَلَّى بِها (عَبْدُ الحَمِيدِ) بوجهِه * على شَعْبِهِ والشاهُ نَزْيانُ يَنْظُرُ
سَلامٌ على (عَبْدِ الحَمِيدِ) وجَبْشِه * وأَمْتِه ما قامَ في الشَّرْقِ مِنْبَرُ
(٣) سَلُوا (الْفُرسَ) عَن ذِكرِ أَيْادِيهِ مِنْهُمْ * فَقَد كانَ فِيهِ (الْفُرسُ) عُمِيًّا فَأَبْصَرُوا
(٤) جَلالَهُمْ وَجَهَ الحِياةِ فَشاقَهُمْ * فَباتُوا على أَبْوابِها وَتَجَمَّهَرُوا
(٥) يُنادُونَ أَنْ مُنَى عَلِيًّا بَنَظَرِي * وَأَحْيِ قُلُوبًا أَوْشَكَتْ تَنْفَطِرُ
(٦) كِلانًا مَشُوقٌ والسَّيْلُ مُمَهَّدٌ * إلى الوَصْلِ لولا ذلِكَ المُنْتَشِمُ
(٧) أَطْلَى عَلَيْنَا لا تَخافِ فَإِنَّا * بِسِرِّكَ أَوقَى مِنْهُ حَوْلًا وَأَقْدَرُ
(٨) سَلامٌ عَلَيْكُمْ أُمَّةَ (الْفُرسَ) إِنَّكُمْ * خَلِيقُونَ أَنْ تَحْمُوا كِرامًا وَتَفْخَرُوا
(٩) ولا أَقْرِئُ (الشاهَ) السَّلامَ فَإِنَّه * يُرِيقُ دِماءَ المُصْلِحِينَ وَيَهْدِرُ
(١٠) فِيهِ هَوَى (عَبْدُ العَزِيزِ) وَعَشرُشُه * وَأَخْنَى عَلَيْهِ الدَّهْرُ والأَمْرُ مُدْبِرُ

(١) الهام : الروس ، الواحدة هامة . (٢) الشاه : ملك العجم . وصفه بالخزي لأنه لم يعط أمته الدستور أسوة بالترك . (٣) أيادي ، أي أيادي العام ونعمه عليهم . (٤) استعمال « التجمهر » بمعنى التجمع ، كما في هذا البيت استعمال شائع في كلام عصرنا ، ولم نجد هذه الصيغة بهذا المعنى فيما راجعناه من كتب اللغة التي بين أيدينا والصواب : « وتجمروا » بإسقاط الهاء وتشديد الميم ، أي جمعوا . (٥) منى ، خطاب للحياة . وتنظر : تشقق . (٦) المنتشر : المنتثر الظالم ، يريد شاه العجم . (٧) الحول : القوة . يقول : إننا بسبب إدراكنا مر الحياة حين نالها أقوى وأقدر من ذلك الظالم الجبار الذي يحول بيننا وبينها . (٨) خليقون : جديرون . (٩) يشير بهذا البيت إلى ما كان يصبه الشاه على زعماء النهضة وطلاب الحرية في فارس من أنواع العذاب والقتل . (١٠) وفيه ، أي في هذا العام المنصرم (سنة ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م) . وهوى : سقط . وعبد العزيز ، هو سلطان مراکش . (انظر التبريد به في الحاشية رقم ٣ من صفحة ٦ من هذا الجزء) . وأخنى عليه الدهر : أتى عليه وأهلكه .

(١) وَلَا تَجِبْ أَنْ تُلْ عَرْشُ مُلْكٍ * قَوَائِمُهُ عُدٌّ وَدُفٌّ وَمِزْمَرٌ
(٢) فَالْتَقَى إِلَى (عَبْدِ الْحَفِيطِ) بِتَابِجِهِ * وَمَرَّ عَلَى أَذْرَاجِهِ يَتَعَثَّرُ
وَقَامَ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ مُوَفَّقٌ * عَلَى عَهْدِهِ (مُرَاحِشٌ) تَقَحُّضُ
(٣) وَفِي دَوْلَةِ (الْأَفْغَانِ) كَانَتْ شُهُورُهُ * وَأَيَّامُهُ بِالسَّعِيدِ وَالْيَمْنِ تَزْهَرُ
(٤) أَقَامَ بِهَا وَالْعُودُ رَيَّانٌ أَخْضَرُ * وَفَارَقَهَا وَالْعُودُ قَيْنَانُ مُثْمَرُ
(٥) وَعَوَّذَهَا بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ طَائِفٍ * إِذَا مَارَى (إِدُورْدُ) أَوْ رَاشَ (قَبِصَرُ)
(٦) وَفِيهِ نَمَتْ فِي (الْهِنْدِ) لِلْعِلْمِ نَهْضَةٌ * أَرَى تَحْتَهَا سِرًّا خَفِيًّا سَيَظْهَرُ
(٧) فَتَجْرِي إِلَى الْعِلَاءِ وَالتَّجْدِ شَوْطَهَا * وَيُخَصِّبُ فِيهَا كُلَّ جَذْبٍ وَيَنْضُرُ
(٨) وَفِيهِ بَدَتْ فِي أَفْقِ (جَاوَةِ) لَمْعَةٌ * أَضَاءَتْ لَأَهْلِيهَا السَّبِيلَ فَبَكَّرُوا
(٩) فَيَا لَيْتَهُ أَوَّلَى (الْجَزَائِرِ) مِثْلَهُ * تُفَكُّ لَهَا تِلْكَ الْقَيْودُ وَتُكْسَرُ

- (١) ثُل : هدم . ويشير بهذا البيت إلى طلب عبد العزيز لجماعة من المغنين والمغنيات من مصر .
(أنظر الكلام على هذا في الحاشية رقم ٣ من صفحة ٦ من هذا الجزء) . (٢) تولى عبد الحفيظ سلطنة
مراکش بعد خلع أخيه عبد العزيز سنة ١٩٠٨ م . وفي عهده جعلت فرنسا مدينة فاس عاصمة البلاد
في ٢١ مايو سنة ١٩١١ م . وقد تنازل عبد الحفيظ لأخيه مولاي يوسف عن السلطنة في سنة ١٩١٢ م .
(٣) تزهرو : تشرق وتضيء . (٤) القينان من النبات : الحسن الطويل . ويريد خصب البلاد
وكثرة الخير فيها . (٥) عوذها : حصنها وحفظها . وإدوارد ، هو إدوارد السابع ملك الإنجليز .
وراش السهم يريشه : ألصق عليه الريش ، وذلك ليكون أسرع في ذهابه نحو الغرض . وقبصر : لقب
ملك روسيا . وإنما خص إدوارد وقبصر لمجاورة الهند وروسيا لبلاد الأفغان . والمعنى أن هذا العام
سقط بلاد الأفغان من طمع جيرانها الأقوياء . (٦) نمت : زادت . (٧) ينضرو :
من النضرة ، وهي الحسن والبهيبة . (٨) لمعة : نى شعة من شعاع الأمل . وبكر فلان إلى الأمر :
أتمه في أول وقته وبإدرا إليه . (٩) يريد « بالقيود » في هذا البيت : قيود الاستعباد والأمر
التي قيدت بها فرنسا هذا الإقليم من المغرب .

وَفِي (تُونِس) الْخَضِرَاءِ بِأَيْتِهِ بَنَى * لَهُ أَثَرًا فِي لَوْحَةِ الدَّهْرِ يُذَكِّرُ
 وَفِيهِ سَرَتْ فِي (مِصْرَ) رُوحٌ جَدِيدَةٌ * مُبَارَكَةٌ مِنْ غَيْرَةٍ تَتَسَمَّرُ
 حَبَّتْ زَمَنًا حَتَّى تَوَهَّمَتْ أَنَّهَا * تَجَافَتْ عَنِ الْإِيرَاءِ لَوْلَا (كُرُومُ)^(١)
 تَصَدَّى فَأَوْرَاهَا وَهَيْهَاتَ أَنْ يَرَى * سَبِيلًا إِلَى إِخْمَادِهَا وَهِيَ تَزْفَرُ^(٢)
 مَضَى زَمَنُ التَّنْوِيمِ يَانِئِلُ وَأَقْضَى * فِي (مِصْرَ) أَقْبَاطُ عَلَى (مِصْرَ) تَسْهَرُ
 وَقَدْ كَانَ "مَرْفِينُ" الدَّهَاءِ مُخَدَّرًا * فَأَصْبَحَ فِي أَعْصَابِنَا يَتَخَدَّرُ^(٣)
 شَعَرْنَا بِمَاجَاتِ الْحَيَاةِ فَإِنْ وَنَتْ * عَزَائِمُنَا عَنْ نَيْلِهَا كَيْفَ نُعَذِّرُ؟
 شَعَرْنَا وَأَحْسَسْنَا وَبَاتَتْ نُفُوسُنَا * مِنَ الْعَيْشِ إِلَّا فِي ذَرَا الْعِزِّ تَسْخَرُ^(٤)
 إِذَا اللَّهُ أَحْيَا أُمَّةً لَنْ يَرُدَّهَا * إِلَى الْمَوْتِ قَهَّارٌ وَلَا مُجَبَّرُ
 رِجَالُ الْغَدِ الْمَأْمُولِ إِنَّا بِمَاجَةٍ * إِلَى قَادَةِ تَبْنِي وَشَعْبٍ يُعَمَّرُ
 رِجَالُ الْغَدِ الْمَأْمُولِ إِنَّا بِمَاجَةٍ * إِلَى عَالِمٍ يَدْعُو وَدَاعٍ يُذَكَّرُ
 رِجَالُ الْغَدِ الْمَأْمُولِ إِنَّا بِمَاجَةٍ * إِلَى عَالِمٍ يَدْرِي وَعِلْمٍ يُقَرَّرُ
 رِجَالُ الْغَدِ الْمَأْمُولِ إِنَّا بِمَاجَةٍ * إِلَى حِكْمَةٍ تُمْلَى وَكَفٍّ يُحَرَّرُ

(١) حبت : سكنت ونجحت . وتجاافت : تباعدت . وإيراء النار : إشعالها .

(٢) تصدى : تعرض . وزفر ، أى يسمع صوت توقدها . يقول : إن اللورد كرومر عبيد الدولة

الإنجليزية تصدى لنار الوطنية في قلوب المصريين فأشعلها بعد نحردها بما صبه عليهم من المظالم والخن .

(٣) المرفين : مخدر معروف ؛ والمراد به هنا خداع السياسة . (٤) ذرا العز (فتح الذال) :

كفنه وظله .

(١)
 رِجَالُ الْغَدِ الْمَأْمُولِ إِنَّا بِحَاجَةٍ * إِلَيْكُمْ فَسُدُّوا النَّقْصَ فِينَا وَشَمِّرُوا
 رِجَالُ الْغَدِ الْمَأْمُولِ لَا تَتْرَكُوا غَدًا * يَمْرُورَ الْأَمْسِ وَالْعَيْشِ أَغْبِرُوا
 رِجَالُ الْغَدِ الْمَأْمُولِ إِنَّا بِلَادِكُمْ * تُنَاشِدُكُمْ بِاللَّهِ أَنْ تَتَذَكَّرُوا
 عَلَيْكُمْ حُقُوقُ الْبِلَادِ أَجَلُهَا * تَعْهَدُ رَوْضَ الْعِلْمِ فَالْرَوْضُ مُقْفَرُ
 قُصَارَى مَنْى أَوْطَانِكُمْ أَنْ تَرَى لَكُمْ * يَدَا تَبَتَّيْ بَجْدًا وَرَأْسًا يُفَكِّرُ
 فَكُونُوا رِجَالًا عَامِلِينَ أَعِزَّةً * وَصُونُوا حِمَى أَوْطَانِكُمْ وَتَحَرُّوا
 وَيَا طَالِبِي الدُّسُورِ لَا تَسْكُنُوا وَلَا * تَبَيْتُوا عَلَى يَأْسٍ وَلَا تَتَضَجَّرُوا
 أَعِدُّوا لَهُ صَدْرَ الْمَكَانِ فَإِنِّي * أَرَاهُ عَلَى أَبْوَابِكُمْ يَتَخَطَّرُ
 فَلَا تَتَطَيَّقُوا إِلَّا صَوَابًا فَإِنِّي * أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ يُقَالَ تَهَوَّرُوا
 فَمَا ضَاعَ حَقٌّ لَمْ يَنْمَ عَنْهُ أَهْلُهُ * وَلَا نَالَهُ فِي الْعَالَمِينَ مُقْصَرُ
 لَقَدْ ظَفِرَ الْأَتْرَاكُ حَدَلًا بِسُؤْلِهِمْ * وَنَحْنُ عَلَى الْأَثَارِ لَا شَكَّ نَظْفَرُ
 هُمْ لَهُمُ الْعَامُ الْقَدِيمُ مُقَدَّرُ * وَنَحْنُ لَنَا الْعَامُ الْخَدِيدُ مُقَدَّرُ
 يُتَّقُوا بِالْأَمِيرِ الْقَائِمِ الْيَوْمَ إِنَّهُ * بِكُمْ وَبِمَا تَرْجُونَ أَدْرَى وَأَخْبَرُ
 فَلَا زَالَ تَحْرُوسَ الْأَرِيكَتِ جَالِسًا * عَلَى عَرْشِ (وَادِي النَّبِيلِ) يَنْهَى وَيَأْمُرُ

(١) شمر للأمر : استعذ له . (٢) قسارى منى أوطانكم ، أى غاية مناهى ؛ يقال :

قسارك أن تفعل كذا ، أى جهدك وغازيتك وآثر أهلك .

(٣) تهوورا : وقعوا فى المكره بقلة مبالاة ؛ والمراد هنا التكلم فى شئون السياسة بما تؤاخذهم

به القوانين . (٤) الأمير ، هو عباس حلى الثانى خديوى مصر السابق .

الانقلاب العثماني

قالها في ثورة الأتراك التي انتهت بخلع السلطان عبد الحميد وتولية السلطان محمد الخامس^(١)

[نشرت في ١٢ ما يوسنة ١٩٠٩ م]

(٢)

لا رعى الله عهداً من جُدود * كيف أمسيت يابن (عبد الحميد)

(٣)

مُشيع الخُوت من الحُوم البرايا * ويجمع الجنود تحت البُنود

كنتُ أبكي بالأمس منك فإلى * يت أبكي عليك (عبد الحميد)؟

فريح المسلمون قبل النصارى * فيك قبل الدُرُوز قبل اليهود

شمتوا كلهم وليس من الهمة أن يشمت السورى في طريد

أنت (عبد الحميد) والتاج معقو * د (عبد الحميد) رهن القيود

خالد انت رغم أنف الليالى * فى كبار الرجال أهل الخلود

لك فى الدهر - والكامل محال - * صفحات ما بين بيض وسود

(٤)

حاولوا طمس ما صنعتت وودوا * لو يطيقون طمس خط الحديد

(١) ولد السلطان عبد الحميد فى ٢١ سبتمبر سنة ١٨٤٢ م، وولى الملك فى أغسطس سنة ١٨٧٦ م،

وخلع فى ٢٧ أبريل سنة ١٩٠٩ م، وتوفى فى ١٠ فبراير سنة ١٩١٨ م. (٢) الجدود : الحظوظ؛

الواحد جد (بفتح الجيم وتشديد الدال) . (٣) يشير بقوله « مشيع الخوت » : الى من كان

يامر السلطان عبد الحميد بإغراقهم فى مضيق البسفور . والبُنود : الأعلام الكبيرة؛ الواحد بند، وهو

فارسي معرب . ويشير بقوله « ويجمع الجنود » : الى ما كان يقاسيه الجيش التركى من شظف العيش

ومضيق ذات اليد . (٤) يريد الخط الحديدى الحجازى بين دمشق والمدينة التى أنشأه السلطان

عبد الحميد، وبدئ العمل فيه سنة ١٩٠٠ م، وأحفل بافتتاحه فى سنة ١٩٠٨ م.

ذاك (عبد الحميد) ذُخِرَكَ عند الله باقٍ إن ضاع عند العيد
 (١)
 أَكْرِمُوهُ وَرَاقِبُوا اللَّهَ فِي الشَّيْءِ * خَجْ وَلَا تُرْهِقُوهُ بِالْتَّهْدِيدِ
 لَا تَخَافُوا أَذَاهُ فَالْشَّيْخُ هَؤُلَاءِ * لَيْسَ فِيهِ بَقِيَّةٌ لِلصُّعُودِ
 وَلِيَ الْأَمْرِ ثَلَاثَ قَرْنٍ يُنَادِي * بِأَسْمِهِ كُلِّ مُسْلِمٍ فِي الْوُجُودِ
 (٢)
 كُلَّمَا قَامَتِ الصَّلَاةُ دَعَى الدَّاعِيَ * عَمِي (عبد الحميد) بِالتَّائِيدِ
 فَاسْمُ هَذَا الْأَمِيرِ قَدْ كَانَ مَقْرُوءًا * تَا بِذِكْرِ الرَّسُولِ وَالتَّوْحِيدِ
 (٣)
 بَيْتٌ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ يَقُولُوا * إِنْ أَثَرْتُمْ مِنْ كَامِنَاتِ الْحُقُودِ
 (٤)
 كَانَ (عبد الحميد) بِالْأَمِيرِ قَرْدًا * فَعَدَا الْيَوْمَ أَلْفَ (عبد الحميد)
 (٥)
 يَا أَسِيرًا فِي (سَنَةِ هِلَيْنَ) رَحَّبَ * بِأَسِيرٍ فِي (سَالِينِكَ) جَدِيدِ
 (٦)
 قُلْ لَهُ كَيْفَ زَالَ مُلْكُكَ لَمْ يَعْ * يَصِمُكَ لِإِعْدَادِ عُدَّةٍ أَوْ عَدِيدِ
 لَمْ تَصْنَعْ الْجُنُودَ تَهْدِيكَ بِالْأَرْ * وَاجِ وَالْمَالِ يَا غَرَامَ الْجُنُودِ
 قُلْ لَهُ كَيْفَ كُنْتَ؟ كَيْفَ امْتَلَكْتَ الْ * نَارِضَ؟ كَيْفَ أَتَقَرَّدْتَ بِالْمُجِيدِ؟

- (١) أَرْهَقَهُ : أَثْقَلَ عَلَيْهِ وَظَلَمَهُ . (٢) يَرِيدُ «بِالصَّلَاةِ» : صَلَاةُ الْجُمُعَةِ . وَيُرِيدُ «بِالدَّاعِي» : الْخَطِيبُ . (٣) أَثَارُهُ إِثَارَةٌ : هَيْجُهُ . وَكَامِنَاتِ الْحُقُودِ : مَا خُفِيَ مِنْهَا . (٤) يَقُولُ لِمَنْ وَلِيَ الْأَمْرَ مِنْ رِجَالِ تَرْكَا : إِنْ أَثَرْتُمْ دِفَاقَيْنِ الصُّدُورِ ، وَأَسَاتِمَ التَّصْرِيفِ فِي الْأُيُورِ ، تَضَاعَفَ الظُّلْمُ ، فَبَدَلِ أَنْ كَانَ يَسْتَبْدُ بِالْأَمْرِ وَيُظَلِمُ الرِّعِيَةَ فَرَدَّ وَاحِدَهُ عَبْدُ عَبْدِ الْحَمِيدِ ، يَصْبِحُ مُسْتَبْدًا بِأَمْرِهِمْ أَلْفَ عَبْدِ الْحَمِيدِ . (٥) يَرِيدُ «بِالْأَسِيرِ فِي سَنَةِ هِلَيْنَ» : نَابِلْيُونُ بُونَابَرْتِ امْبِرَاطُورُ فَرَنْسَا وَقَاتَمَهَا الْمَعْرُوفُ ، وَقَدْ أَسَرَ فِي بَزِيرَةِ سَانْتِ هِيلَانَةِ ، وَظَلَّ بِهَا أَسِيرًا حَتَّى مَاتَ ، وَتَقَلَّتْ رِفَاتُهُ بَعْدَ مَدَّةٍ إِلَى فَرَنْسَا - وَسَالُونِيكِ : مَدِينَةٌ مَعْرُوفَةٌ بِمَقْدُونِيَا ، وَكَانَتْ مِنْ أَمْلَاقِ الدَّوْلَةِ الْعِمَانِيَّةِ ، وَهِيَ الْآنَ مِنْ أَمْلَاقِ الْيُونَانِ ؛ وَقَدْ اخْتَقَلَ فِيهَا السُّلْطَانُ عَبْدُ الْحَمِيدِ بَعْدَ خَلْعِهِ . (٦) لَمْ يَصِمُكَ : لَمْ يَحْفَظْكَ . وَالْمَدَّةُ : السَّلَاحُ . وَالْعَدِيدُ : الْكَثْرَةُ .

(١)

فَنَلَّتِ الْعُرُوشَ عَرِشًا فَعَرِشًا * وَصَبَغَتْ الصَّعِيدَ بَعْدَ الصَّعِيدِ

كَلَّمَا نِلْتَ غَايَةَ لَمْ تَتَلْهَا * هِيَ الدَّهْرُ قَلْتُ : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟

(٢)

ضَاقَتِ الْأَرْضُ عَنْ مَدَاكَ فَأَرْسَدَ * تَ بَطْرِيفٍ إِلَى السَّمَاءِ عَتِيدِ

قُلْ لَهُ : جَلَّ مَنْ لَهُ الْمُلْكُ لَا مَدَى * لَكَ لَغَيْرِ الْمُهِمِّينَ الْمَعْبُودِ

(٣)

أَنْتَ مَهْمَا شَقِيتَ أَرْفَهُ حَالًا * مِنْ أَسِيرِ الْجَزِيرَةِ الْمَكْمُودِ

(٤)

وَأَسِيرُ الْأَقْفَاصِ قَدْ كَانَ أَشَقَى * لَوْ سَأَلْتَ الْأَسْفَارَ عَنْ (بَايَزِيدِ)

كَانَ (عَبْدُ الْحَمِيدِ) فِي الْقَصْرِ أَشَقَى * مِنْهُ فِي الْأَمْرِ وَالْبَلَاءِ الشَّدِيدِ

(٥)

كَانَ لَا يَعْرِفُ الْقَرَارَ يَلِيلَ * لَا وَلَا يَسْتَلِدُّ طَعْمَ الْمُجُودِ

حَذِرًا يَرْهَبُ الظُّلَامَ وَيَخْشَى * خَطَرَةَ الرِّيحِ أَوْ بُكَاءِ الْوَلِيدِ

(٦)

نَفَقْتُ تَحْتَ طَائِقِ الْأَرْضِ أَخْفَى * فِي تَدَجِيهِهِ مِنْ ضَمِيرِ الْكُودِ

(١) نلت العروش، أى هدمت ملكها . والصعيد : التراب . يريد أنه صبغه بدماء أعدائه .

(٢) المدى : الغاية . والعديد : المديد المهيأ . (٣) أرفه حالاً : أحسنها . وأسير الجزيرة :

نابليون بونابرت . والجزيرة : سانت هيلانة السابق ذكرها . والمكمود : المحزون . (٤) الأسفار :

الكتب ؛ الواحد : سفر (بكسر فسكون) . وبايزيد ، هو بايزيد الأول ابن السلطان مراد الأول ،

وهو السلطان الرابع من سلاطين آل عثمان ، ولد عام ٨٧٦ هـ . وجلس على كرسي الملك بعد وفاة أبيه

عام ٨٧٩ هـ . وتوفي في سنة ٨٠٥ هـ . ويشير الشاعر بهذا البيت الى وقوع بايزيد في أسر تيمورلنك

ملك التتر في موقعة أنقرة سنة ٨٠٥ هـ ؛ وسجته إياه في قفص حتى مات كذا بعد سجنه بثمانية أشهر .

(٥) المجود : النوم . (٦) النفق (بالتحريك) : سرب في الأرض له مخرج الى مكان .

ويشير الى الموضع الخفية التي كانت يخفي فيها السلطان عبد الحميد حذراً من أعدائه . وتدجيه :

إخلائه . والكود : الكفور . شبه ظلام المسارب التي كان يخفي فيها عبد الحميد بظلام قلب الكفور

لعدم نفوذ ضوء الحق اليه .

- (١) يُعْجِزُ الْوَهْمَ عَنْ تَلَمُّسِ ذَاكَ أَلْ * بَابُ بَابِ الْخَلِيفَةِ الْمَتَكُودِ
- أَصْحَحْ مَا قِيلَ عَنْكَ وَحَقُّ * مَا سَمِعْنَا مِنَ الرِّوَاةِ الشُّهُودِ
- (٢) أَتَ (عَبْدَ الْحَمِيدِ) قَدْ هَدَمَ الشَّرَّ * عَ وَأَرْبَى عَلَى فِعَالٍ (الْوَلِيدِ)؟
- إِنْ بَرِيئًا وَإِنْ أَثِيمًا سَتُجْزَى * يَوْمَ تُجْزَى أَمَامَ رَبِّ شَهِيدِ
- (٣) أَصْحَحْ بَكَتَ لِمَا أَتَى الْوَفْدَ * دُ وَنَابَتْكَ رِعْشَةُ الرَّعْدِ؟
- (٤) وَنَسِيتَ الْآبَاءَ وَالْمَجْدَ وَالشُّؤْ * دُدَّ وَالْعِزِّيَا كَرِيمَ الْجُدُودِ؟
- (٥) مَا عَهِدْنَا الْمُلُوكَ تَبْكِي وَلَكِنْ * عَلَّهَا نَزْوَةُ الْقُؤَادِ الْجَلِيدِ
- عَلَّهَا دَمْعَةُ الْوَدَاعِ لِذَاكَ أَلْ * مُلْكٍ أَوْ ذِكْرَةٍ لِيَلْكَ الْعُهُودِ
- (٦) غَسَلَ الدَّمْعُ عَنْكَ حَوْبَةً مَاضِي * لَكَ وَوَقَاكَ شَرُّ يَوْمِ الْوَعِيدِ
- شَفَعَ الدَّمْعُ فِيكَ عِنْدَ الْبَرَايَا * لَيْسَ ذَاكَ الشَّفِيعُ بِالْمَرْدُودِ
- (٧) دَمَعَكَ الْيَوْمَ مِثْلُ أَمْرِكَ بِالْأَمِّ * سِيسَ مُطَاعٌ فِي سَيِّدٍ وَمَسُودِ
- (٨) كَانَ (عَبْدُ الْعَزِيزِ) أَجْمَلَ أَمْرًا * مِنْكَ فِي يَوْمِ خَلْعِهِ الْمَشْهُودِ

(١) يقول : ان هذا النقص خفي وضلت سبيله على طالبه ، حتى إنه ليعجز الوهم عن تعرّف الطريق إلى بابه .

(٢) أربى : زاد ، والوليد ، هو ابن يزيد بن عبد الملك الخليفة الأموي المرواني المشهور بالفسق وشرب الخمر وتهاونه بالدين . (٣) يريد الوفد المبعوث بخلمه ، والرعيد : الجبان . (٤) السؤدد : السيادة والرفعة . (٥) الجليلد : المتجلد الصابر . (٦) الحوبة (بفتح الحاء) : الخطيئة .

(٧) يقول : إن دمعك يوم الخلع قد بلغ من الأثر في رعيتك ما ردهم عن الانتقام منك ، فكأنه أمر من أوامرك المطاعة يوم كنت على العرش . (٨) عبد العزيز ، هو أحد سلاطين آل عثمان ، وهو الثاني والثلاثون منهم ، وهو ابن السلطان محمود الثاني . ولد عام ١٢٤٥ هـ وتولى الخلافة في سنة ١٢٧٧ هـ . وخلع في سنة ١٢٩٣ هـ ، وتوفي في السنة نفسها . وهو الذي زار مصر في عهد المغفور له إسماعيل باشا الخديوي ، وسمى باسمه شارع عبد العزيز بالقاهرة .

- (١) خَافَ مَأْثُورَ قَوْلِهِ فَتَعَالَى * عَنْ صَغَارِ وَمَاتَ مَوْتَ الْأَسْوَدِ
(٢) ضَمَّ مِقْرَاضَهُ إِلَيْهِ وَنَادَى * دُونَ ذَلِكَ الْحَيَاةِ قَطْعُ الْوَرِيدِ
(٣) حَتَّى عَهْدِ الرَّشَادِ يَأْشُرُقُ وَابْلُغْ * مَا تَمَنَّيْتَ مِنْ زَمَانٍ بَعِيدِ
قَدْ تَوَلَّى (مُحَمَّدُ الْخَامِسُ) الْمُلْكَ * لَكَ فَاعْظِمْ بِتَاجِهِ الْمَعْقُودِ
(٤) وَتَجَلَّى فِي مِهْرَجَانٍ تَجَلَّى * سَيْفُ (عُثْمَانَ) فِيهِ بِالتَّقْلِيدِ
(٥) وَقَفَ الدَّهْرُ خَاشِعًا إِذْ رَأَى السَّيِّدَ * فَخَيْنٍ فِي قَبْضَةِ الْعَزِيزِ الْمُجِيدِ
(٦) طَاطِي لِبَلَالٍ يَا أُمِّمَ الْأَرَّ * مِنْ مُجُودًا، هَذَا مَقَامُ السُّجُودِ
(٧) عَلِمَ اللَّهُ أَنَّ عَهْدَ (رَشَادٍ) * خَيْرٌ قَالٍ يَرِدُّ عَهْدِ (الرَّشِيدِ)

- (١) الصغار: الذل . يقول : إن هذا السلطان قد خاف في يوم خلعه أن يأخذ الناس عليه كلمة فيها ضعف ومذلة .
- (٢) المقراض : المقص .
- (٣) يريد « بالرشاد » : السلطان محمد رشاد الخامس ، وقد تولى الملك في سنة ١٣٢٧ هـ — سنة ١٩٠٩ م — بعد خلع السلطان عبد الحميد .
- (٤) المهرجان : عيد للفرس ، ويطلق على كل عيد . وعثمان ، هو ابن أرطغرل مؤسس الدولة العثمانية التي تأسست إليه . (انظر التعريف به في الحاشية رقم ١ من صفحة ١٧ من هذا الجزء) .
- (٥) يريد « بالسيفين » : سيف عثمان مؤسس الدولة ، وسيف الخليفة الجالس على العرش .
- (٦) طاعاً رأسه : خفضه .
- (٧) يريد « بالرشيد » : الخليفة العباسي هارون الرشيد الذي بلغت الأمة الإسلامية في أيامه من الرقي أقصاه .

عيد الدستور العثماني

أنشدها في الحفل الذي أقيم في حديقة الأزبكية في مساء الجمعة ٢٣ يولييه سنة ١٩٠٩ م

- (١) أَجَلٌ هَذِهِ أَعْلَامُهُ وَمَوَاسِكُهُ * هَنِيئًا لَهُمْ فَلْيَسْحَبِ الذِّيلَ سَاحِبُهُ
(٢) هَنِيئًا لَهُمْ فَالْكُونُ فِي يَوْمِ عِيَالِهِمْ * مَشَارِقُهُ وَضَاءَةٌ وَمَغَارِبُهُ
(٣) رَعَى اللَّهُ شَعْبًا جَمَعَ الْعَدْلُ شَمْلَهُ * وَتَمَّتْ عَلَى عَهْدِ الرَّشَادِ رَغَائِبُهُ
(٤) تَحَالَفَ فِي ظِلِّ الْهِلَالِ إِمَامُهُ * وَحَاخَمَهُ - بَعْدَ الْخِلَافِ - وَرَاهِبُهُ
(٥) خُذُوا بِيَدِ الْإِصْلَاحِ وَالْأَمْرِ مُقْبِلُ * فَلِئَنِّي أَرَى الْإِصْلَاحَ قَدْ طَرَّ شَارِبُهُ
(٦) وَرُدُّوا عَلَى الْمُلْكِ الشَّبَابَ الَّذِي دَوَى * فَلِئَنِّي رَأَيْتُ الْمُلْكَ شَابَتْ ذَوَائِبُهُ
فَمَنْ يَطْلُبُ الدُّسُورَ بِالسُّوءِ بَعْدَ مَا * حَمَتَهُ يَدُ (الْفَارُوقِ) فَاللَّهُ طَالِبُهُ
(٧) إِذَا (شَوَكَتُ الْفَارُوقُ) قَامَ مُنَادِيًا * إِلَى الْحَقِّ لَبَّاهُ (نِيَازِي) وَصَاحِبُهُ

(١) أجل : نعم . وأعلامه ، أى أعلام العيد . ولهم : للاشتراك . وسحب الذيل : تكمية عن التيه والفخر .
(٢) وضاءة (بضم الواو وتشديد الضاد) ، أى ذات حسن وبهجة ، من الوضاعة (يفتح الواو وتخفيف الضاد) .
(٣) الرغائب : جمع رغبة ، وهى ما يرغب فيه .
(٤) الهلال : شعار الدولة العثمانية . ويريد « بالإمام والحاخام والراهب » : اجتماع المسلمين واليهود والمسيحيين تحت تلك الراية .
(٥) طر شاربه : نبت وطلع ، وذلك في أول عهد الشباب . ويريد بهذه العبارة : أن وقت الإصلاح قد حان .
(٦) ذوى : ذبل . والذوائب : الضفائر ؛ الواحدة ذؤابة . وشيب الذرائب ، تكمية عن الضعف والانحلال .
(٧) شوكت نيازى : بطلان من أبطال جمعية الاتحاد والترقى التركية . ويريد « بالصاحب » : أنور باشا القائد التركى المعروف . وكان لهؤلاء الثلاثة بلاء حسن في الانقلاب العثمانى المعروف ، وخلع السلطان عبد الحميد ، وإعادة الدستور إلى الأمة التركية .

(١) ثَلَاثَةُ آسَادٍ يُجَانِبُهَا الرَّدَى * وَإِنْ مِىَ لَا قَاهَا الرَّدَى لَا تُجَانِبُهُ
(٢) يُصَارِعُهَا صَرْفُ الْمُنُونِ فَتَلْقَى * مَخَالِبُهَا فِيهِ وَتَقْبُو مَخَالِبُهُ
رَوَتْ قَوْلَ (بَشَارٍ) فَتَارَتْ وَأَقْسَمَتْ * وَقَامَتْ إِلَى (عَبْدِ الْحَمِيدِ) تُحَاسِبُهُ
(٣) إِذَا الْمَلِكُ الْجَبَّارُ صَعَرَ خَدَّهُ * مَشِينًا إِلَيْهِ بِالسُّيُوفِ تُعَاتِبُهُ
(٤) وَسَارَ عَلَى أَعْقَابِهَا كُلُّ سَائِحٍ * عَلَى مَتْنِهِ بَرَجٌ مَشِيدٌ بِدَاعِيَةٍ
يَصِيحُ بِهِ : لَا رَىَّ أَوْ نَبْلُغَ الْمُنَى * وَلَا شَيْعٌ أَوْ يَرْجِعَ الْحَقُّ غَاصِبُهُ
(٥) هُنَالِكَ فَانْهَلْ وَأَتَّخِذْ ثُمَّ مَرْبَطًا * (يَيْلِيزُ) وَأَحْدُ فِي الْوَعْبَى مَنْ تُصَابِحُهُ
(٦) رِجَالٌ مِنَ الْإِيمَانِ مَلَأَى قُوسَهُمْ * وَجَيْشٌ مِنَ الْأَتْرَاكِ ظَمَأَى قَوَاضِيَهُ
(٧) صَوَالِجُهُ سُمُرُ الْقَنَا، وَكُرَاتُهُ * رُءُوسُ الْأَعَادِي، وَالْحُصُونُ مَلَاعِيَهُ

(١) الردى : الهلاك . (٢) المنون : الموت . وتقبو : تكل وترتد .
(٣) صمر خده : أماله عند النظر إلى الناس تهاونا بهم وكبروا . ويريد بقوله « نعاتبه » : نهذه
بالسيوف وننذره بالقتل . وفي استعمال الغتاب بهذا المعنى تهكم ظاهر . وهذا البيت من قصيدة لبشار بن برد
يلجح بها عمر بن هيرة . (٤) يريد « بالسائح » : القوس الشديدة الجري . والمتن : الظهر .
ويريد « بالبرج » : القارس الذى يشبه البرج في ضخامته . (٥) انهل : اشرب ، من النهل
(بالتحريك) ، وهو السقية الأولى . وييلز : قصر الخلافة بالقسطنطينية . والوعبى : الحرب . يعد
القارس فرسه بأنه سيلجح ما يريد من النصر والظفر ، وأنه سيسبيح من حمى القصر ما كان متعنا ، وهناك يحمى
راكبه على صدق وعده . (٦) القواضب : السيوف القواطع . ومعنى قوله « ظمأى قواضيه » :
أن سيوفه عطشى إلى دماء الأعداء . (٧) الصوالج : المعوى المروجة الأطراف التى يلعبون بها
الكرة ؛ الواحد صولجان ، فارعى مغرب . والقنا : الرماح ؛ الواحد قننة . وقد شبه هذا الجيش في حربه
بمن يلعبون الكرة لشوقه إلى الحرب ، وقلة مبالاة بالمرت فيها ، بلجمل الرماح صوالجه ، ورؤوس الأعداء
كراته ، والحصون مواضع اللعب .

- (١) إذا نَارَ دُكَّتْ أَجْبَلٌ وَتَحَشَّعَتْ * بِحَارٍ وَأَمْضَى اللَّهُ مَا هُوَ كَاتِبَةٌ
(٢) وَثَلَّتْ عُرُوشٌ وَاسْتَقَرَّتْ مَمَالِكٌ * وَلَوْ أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ فِيهَا يُنَاصِبُهُ
(٣) فَنَنْ لَمْ يُشَاهِدْ (يَلْدِزَا) بَعْدَ رَبِّهَا * وَقَدْ زَالَ عَنْهُ الْمُلْكُ وَأَنْدَكَ جَانِبُهُ
(٤) وَأَسْلَمَهُ أَجَابُهُ لِقُضَابَتِهِ * وَفَرَّ - وَلَمْ يَحْشَ الْمَعْرَةَ - كَاتِبُهُ
(٥) وَقَلَمَتِ الْأَقْدَارُ أَنْظَفَارَ بَطْشِهِ * وَدَلَّ عَلَى مَا تَجْهَلُ الْجَنُّ حَاجِبُهُ
(٦) فَمَا شَهِدَ الدُّنْيَا تَزُولُ وَلَا رَأَى * بَلَاءَ قَضَاءِ اللَّهِ فِيمَنْ يُجَارِبُهُ
(٧) أَيْبَحَ جِمَاهَا وَأَنْطَوَى جَدُّ رَبِّهَا * وَقَامَتْ عَلَى الْبَيْتِ (الْحَمِيدِي) نَوَابُهُ
(٨) وَلَمْ يُغْنِ عَنْ (عَبْدِ الْحَمِيدِ) دَهَاؤُهُ * وَلَا عَصَمَتْ (عَبْدَ الْحَمِيدِ) تَجَارِبُهُ
(٩) وَلَمْ يُخَيِّمْ حِصْنٌ وَلَمْ تَرَمْ دُونَهُ * دَنَانِيرُهُ وَالْأَمْرُ بِالْأَمْرِ حَازِبُهُ
(١٠) وَلَمْ يُخْفِهِ عَنْ أَعْيُنِ الْحَقِّ مُخْدَعٌ * وَلَا تَفَقَّ فِي الْأَرْضِ جَسْمٌ مَسَارِبُهُ

- (١) دكت : تهدمت . وما هو كاتبه ، أى ما هو مقدره من النصر والظفر لهذا الجيش .
(٢) ثلث : هددت . وذو القرنين : ملك معروف باتساع الملك وكثرة الفتوحات . ويناصبه : يعاديه .
(٣) ربها : صاحبها ، وهو عبد الحميد .
(٤) يريد « بكتابه » : عزت العابد باشا . (٥) يقال : هو قلم الأظفار ، إذا كان أمزج بغير سلاح . ويريد « بما تجهل الجن » : السرايب والأشواق التي كان يختبئ فيها السلطان عبد الحميد من أعدائه . (٦) فإ : جواب « من » في قوله السابق : « فن لم يشاهد ... الخ » .
(٧) أيبح حاما ، أى صارت يلدز مفتحة النواحي لكل داخل مهما قل شأنه .
(٨) عصمت : حفظت . (٩) لم ترم دونه دنائره ، أى أن أمواله لم تدفع عنه أعداءه .
فشبه المال يحفظ صاحبه من أعدائه بمن يرى السهام دفاعا عن يختبئ به . وجزبه الأمر : نابه وأشدته عليه وضغطه . (١٠) يشير في هذا البيت الى المخاطب والأشواق التي كان قد أعدّها عبد الحميد تحت الأرض ليختبئ فيها من أعدائه .

(١)
أَقَامَ عَلَيْهِ مَهْلَكًا عِنْدَ مَهْلَكٍ * يَمْرُبه رَوْحُ الصَّبَا فَيُؤَابِثُهُ
تَحَامَاهُ حَتَّى الْوَهْمُ خَوْفَ اغْتِيَالِهِ * فَلَوْ مَسَّهُ طَيْفٌ لِدَارَتْ لَوَالِبُهُ
وَأَسْرَفَ فِي حُبِّ الْحَيَاةِ لَخَاطَهَا * بِسُورٍ مِنَ الْأَهْوَالِ لَمْ يَنْجُ رَاكِبُهُ
(٢)
فَفِي كُلِّ قُفْلٍ لِلنِّيَّةِ مَكْرٌ * وَفِي كُلِّ مِفْتَاحٍ قَضَاءٌ بِرَاقِبِهِ
وَفِي كُلِّ رُكْنٍ صُورَةٌ لَوْ تَكَلَّمْتُ * لَمَا شَكُّ فِي (عَبْدِ الْحَمِيدِ) مُخَاطِبُهُ
(٣)
تَمَائِيلُ إِيهَامٍ أُنِيمَتْ وَأُقِعِدَتْ * تَرَأَى بِهَا أَعْطَافُهُ وَمَنَاكِبُهُ
تُمَثِّلُهُ فِي نَوْمِهِ وَجُلُوسِهِ * وَتَتَّحِدُ فِيهِ الْمَوْتَ حِينَ يُقَارِبُهُ
أَقَامَ عَلَيْهِ أَلْفَ مَوْتٍ مُجَبِّبٍ * لِيَغْلِبَ مَوْتًا وَاحِدًا عَزَّ غَالِبُهُ
(٤)
سَأَلُوهُ أَأَغْنَتْ عَنْهُ فِي يَوْمٍ خَلْعُهُ * عَجَائِبُهُ ؟ أَوْ أَحْرَزَتْهُ غَرَائِبُهُ ؟
(٥)
وَقَدْ نَزَلَ الْمِقْدَارُ بِالْأَمْرِ صَادِقًا * فَضَاقَتْ عَلَى شَيْخِ الْمُلُوكِ مَذَاهِبُهُ
وَأَخْرَجَهُ مِنْ (يَلْدِيز) رَبُّ (يَلْدِيز) * وَجَرَّدَهُ مِنْ سَيْفِ (عُثْمَانَ) وَاهِبُهُ
(٦)
وَأَصْبَحَ فِي مَنَاقِبِهِ وَالْجَيْشِ دُونَهُ * يُغَالِبُ ذِكْرَى مُلِكِهِ وَتُغَالِبُهُ

- (١) الروح : الریح . يقول : إن عبد الحميد قد بالغ في المحافظة على نفسه حتى أقام حوله من أسباب الهلاك لطالبه ما لو مرت به ريح الصبا لوشب عليها ظننا منه أنها من أعداء السلطان .
- (٢) يشير بهذا البيت الى ما كان يروى من العجائب التي كان يتخذها السلطان عبد الحميد في الحذر على نفسه من أعدائه ، حتى إنه قد صنعت لمخاطبه ونزائن أمواله أقفال إذا حاول غيره فتحها أصابه منها ما يقتله .
- (٣) تراءى ، أى تراءى . والأعطاف : الجوانب . (٤) أحرزته : حفظته .
- (٥) المقدار : القدر . وصدق بالأمر : جاهر به مصرحا . (٦) والجيش دونه ، أى واقف دونه يمنعه من الفرار .

- (١) يُنَادِيهِ صَوْتُ الْحَقِّ: ذُقْ مَا أَذَقْتَهُمْ * فكلُّ أَمْرِي رَهْنٌ بِمَا هُوَ كَاسِبُهُ
(٢) هُم مَمْنُوكُ الْيَوْمَ مَا أَنْتَ مُشْتَرِي * فَرَدَّ لَهْمَ بِالْأَمْسِ مَا أَنْتَ سَالِيُهُ
(٣) وَدَعَ عَنْكَ مَا أَمَلْتَ إِنْ كُنْتَ حَازِمًا * فَلَمْ يَبْقَ لِلْأَمَالِ فَضْلٌ تُجَادِبُهُ
(٤) مَضَى عَهْدُ الْأَسْتِبْدَادِ وَأَنْدَكَ صَرْحُهُ * وَوَلَّتْ أَفَاعِيهِ وَمَاتَتْ عَقَارِبُهُ
(٥) لَكَ اللَّهُ يَا (تَمُوزُ) إِنْكَ بَلَسَمٌ * بِالْحَرْبِ الْأَمْسَى وَالْذَهْرُ تَعْدُو نَوَائِيُهُ
(٦) فَكَمْ رُعْتَ جَبَارًا وَأَرْهَقْتَ ظَالِمًا * وَأَنْصَبْتَ مَظْلُومًا تَوَلَّتْ مَصَائِبُهُ
(٧) فَدَيْنَاكَ مِنْ شَهْرٍ أَغْرَ مُحَجَّلٍ * أَوَائِلُهُ مَبْهُوتَةٌ وَعَوَاقِبُهُ
(٨) تُقَابِلُهُ الْأَعْيَادُ فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا * تَجَلَّى هِلَالُ الشَّهْرِ أَوْ لَاحَ حَاجِبُهُ
(٩) فِي الْغَرْبِ عِيدٌ يَنْظِمُ الْغَرْبُ حُسْنَهُ * فَتَهْتَرِ مِنْ وَقْعِ السُّرُورِ جَوَائِبُهُ
(١٠) وَفِي الشَّرْقِ عِيدٌ لَمْ يَرِ الشَّرْقُ مِثْلَهُ * تَدْفُقُ فِي دَارِ السَّلَامِ مَوَاجِبُهُ

- (١) رهن بما هو كاسبه ، أى يجزى بما اقترفه هو ، لا بما اقترفه غيره ؛ يقال : هو رهن بكذا ، أى مقصور عليه لا يتعداه . (٢) ما أنت مشتة ، أى الحياة . وما أنت ساليه ، أى حقوق الأمة وسريرتها . (٣) شبه «الأمال» بالرداء الذى له فضول ، أى زادات يجلب منها . يقول : إن آمالك فى الملك قد قصرت فليس فيها موضع تمسكه يهلك ويحلبها منه . (٤) الصرح : ما علا من البنيان . ويريد «بالأفاعى والعقارب» : جواسيس عبد الحميد ورسل الشر فى جهده . (٥) تموز : شهر معروف من السنة المسيحية ، وهو فى شهر يوليوس ، وهو الذى نالت فيه الأمة التركية دستورها ، والباسم : دواء تضمد به الجراح . (٦) رعت : أفرغت . وأرهقت ظالما : حلقته ما لا يطق من العذاب . (٧) يقال : يوم أو شهر أغر محجل ، إذا كان مشهورا ، وأصلهما من الصفات اغدوسة فى الخليل ، الأغر منها ما كان فى جبهته بياض ، والمحجل ما كان البياض فى قوائمه . (٨) تجل : ظهر . (٩) يريد «بالعيد الذى فى الغرب» : عيد الحرية فى فرنسا ، وهو فى شهر تموز (١٤ يوليوس) . (١٠) يريد «بالعيد الذى فى الشرق» : عيد الدستور التركى ، وقد نسبة الى الشرق ، لأن الأمم الشرقية النابتة لتركيا كانت تتخذ هذا اليوم عيدا مثلها . ودار السلام : القسطنطينية .

(١) يُطِيفُونَ بِالْعَرْشِ الْكَرِيمِ وَرَبُّهُ * تُطِيفُ بِهِمُ الْآلُوهُ وَمَنَاقِبُهُ
لَيْثِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدًا * خِلَافَتُهُ فَالْعَرْشُ سَعْدٌ كَوَاكِبُهُ
(٢) سَمَلِكُ أَمْوَاجِ الْبَحَارِ سَفِينُهُ * كَمَا مَلَكَتْ شُمُ الْجِبَالِ كِتَابَتُهُ
تَمَالِكُهُ مَحْرُوسَةٌ وَتُغَوَّرُهُ * رَكَابُهُ مَنصُورَةٌ وَمَرَاكِبُهُ

(٣) إلى البرنس حسين كامل باشا

رئيس مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ، عريفها عن آلام الأمة المصرية وآمالها

[نشرت في ١٠ نوفمبر سنة ١٩٠٩ م]

(٤) لَقَدْ نَصَلَ الدَّجَى فُتًى تَنَامُ * أَهْمٌ ذَادَ نَوْمَكَ أَمْ هِيَامُ
(٥) غَفَا الْحَزُونُ وَالشَّائِكِي وَأَغْفَى * أَخُو الْبَلْوَى وَنَامَ الْمُسْتَهَامُ
(٦) وَأَنْتَ تَقْلُبُ الْكَفَّيْنِ أَنَا * وَأَوْنَةُ يُقْلِبُكَ السَّقَامُ
(٧) تَحْدَرَتِ الْمَدَامِيعُ مِنْكَ حَتَّى * تَعْلَمُ مِنْ حَسَايِكَ الْغَنَامُ

- (١) الآلاء : النعم . والمنافع : انحصال الحميدة ؛ الواحدة منقبة .
- (٢) شُمُ الجبال : أعاليها ، الواحد أشم . والكاتب : فرق الجيش ؛ الواحدة كتيبة .
- (٣) ولد السلطان حسين كامل في يوم ١٩ صفر سنة ١٢٧٠ هـ - ٢١ نوفمبر سنة ١٨٥٣ م .
- وفي يوم ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ تولى عرش مصر . وتوفى رحمه الله في ١٩ أكتوبر سنة ١٩١٧ م .
- (٤) فصل الدجى : خرج من سواده وأبيض بطلوع الصباح . وذاد : منع . وهيام : العشق .
- (٥) غفا : غفا وأغفى : نام . والمستهام : العاشق . (٦) تقليب الكف : كناية عن الحيرة .
- (٧) المحاجر : جمع محجر (بفتح الميم وكسر الجيم وسكون ما بينهما) ، وهو إدار حول العين . والغنام : السحاب . يقول : إن السحاب تعلم انهبال مطرد من انهبال مداامت .

(١) وَصَحَّتْ مِنْ تَقَلُّبِكَ الْحَشَايَا * وَأَشْفَقَ مِنْ تَلَهُّفِكَ الظَّلَامُ
(٢) تَبَيَّتْ تُسَاجِلُ الْأَفْلَاكَ سُهْدًا * وَعَيْنُ الْكَوْنِ رَقَّعَهَا الْمَنَامُ
وَتَكْتُمُنَا حَدِيثَ هَوَاكَ حَتَّى * أَذَاعَ الصَّمْتُ مَا أَخْفَى الْكَلَامُ
(٣) بِرَبِّكَ هَلْ رَجَعْتَ إِلَى رَسِيْسٍ * مِنْ الذِّكْرِى وَهَلْ رَجَعَ الْغَرَامُ؟
(٤) وَقَدْ لَمَعَ الْمَشِيبُ وَذَاكَ سَيْفٌ * عَلَى فَوْدِكَ عُلَّقَهُ الْجَمَامُ
(٥) أَيْجَلُ بِالْأَدِيبِ أَدِيبٌ مُضِرٌ * بُكَاءُ الطِّفْلِ أَرْهَقَهُ الْفِطَامُ
(٦) وَيَصْرِفُهُ الْهَوَى عَنْ ذِكْرِ مُضِرٍ * وَمِضْرٌ فِي يَدِ الْبَاغِى، تُضَامُ؟
(٧) عَدِمْتُ يَرَاعَتِي إِنْ كَانَ مَا بِي * هَوَى بَيْنَ الضُّلُوعِ لَهُ ضِرَامُ
(٨) وَمَا أَنَا وَالْغَرَامَ وَشَابَ رَأْسِي * وَفَالَ شَبَابِي الْخَطْبُ الْجُسَامُ
(٩) وَرَبَّانِي الَّذِي رَبِّي (لَيْدًا) * فَعَلَّمَنِي الَّذِي جَهَلَ الْأَنَامُ

(١) الحشايَا : الفرش المحشوة ؛ الواحدة حشية (تشديد الياء) . (٢) تساجل الأفلاك :
مهذا ، أى تشاركها فى السهر وتناوبها فيه . ورقعها : شالطها . (٣) الرسيس : البقية والأثر .
(٤) الفودان : ناحيتا الرأس . والجمام (بكسر الحاء) : الموت . ويريد « بالسيف المعلق على ناصيتي
الرأس » : الشيب ، لأن كليهما قاتل .
(٥) أرهقه : آذاه وآله . (٦) الباغى : الظالم . (٧) اليراعة : القلم . ويريد
بلاغته وأدبه ، لأنهما يكتبان به . وضرام النار : اشتعلها . (٨) غاله : أفناه وأهلكه .
والجسام والجسيم : العظم . (٩) يريد لبيد بن ربيعة العامرى الشاعر المعروف ، صاحب المعلقة
المشهورة ، التى أولها : « عفت الديار محلها فرسومها » . وكان من المعمرين ، أدرك الجاهلية والإسلام
وأسلم . ويريد « بالذى ربى لبيدا » : الزمان وتطاوله . ونخصه بالذكر لأنه من المعمرين ، ومن جربوا
الحياة حتى سئوها ، قال :

ولقد سئمت من الحياة وطولها * وسؤال هذا الناس كيف لبيد؟

(١) لَعَمْرُكَ مَا أَرَقْتُ لَغَيْرِ مِصْرٍ * وَمَالِي دُونَهَا أَمَلٌ يَرَامُ
 ذَكَرْتُ جَلَالَهَا أَيَّامَ كَانَتْ * تَصُولُ بِهَا الْفَرَاغَةُ الْعِظَامُ
 وَأَيَّامَ الرِّجَالِ بِهَا رِجَالٌ * وَأَيَّامَ الزَّمَانِ لَهَا غُلَامُ
 فَاقْلَقْ مَضْجَعِي مَا بَاتَ فِيهَا * وَبَاتَتْ مِصْرُ فِيهِ ، فَهَلَّ الْأُمُّ؟
 (٢) أَرَى شَعْبًا بِمَدْرَجَةِ الْعَوَادِي * تَمَخَّخَ عَظْمُهُ دَاءُ عُقَامُ
 إِذَا مَا مَرَّ بِالْبَاسَاءِ عَامٌ * أَطْلَّ عَلَيْهِ بِالْبَاسَاءِ عَامُ
 (٣) مَرَى دَاءُ التَّوَاكُلِ فِيهِ حَتَّى * تَحْطَفَ رِزْقَهُ ذَاكَ الزَّحَامُ
 (٤) قَدْ اسْتَعَصَى عَلَى الْحُكَمَاءِ مِنَّا * كَمَا اسْتَعَصَى عَلَى الطَّبِّ الْجُلَامُ
 هَلَاكُ الْفَرْدِ مَنَشْؤُهُ تَوَانٍ * وَمَوْتُ الشَّعْبِ مَنَشْؤُهُ أَنْقِسَامُ
 وَإِنَّا قَدْ وَدَيْنَا وَأَنْقَسَمْنَا * فَلَا مَسْعَى هُنَاكَ وَلَا وِثَامُ
 فَسَاءَ مَقَامُنَا فِي أَرْضِ (مِصْرٍ) * وَطَابَ لَغَيْرِنَا فِيهَا الْخُفَامُ
 (٥) فَلَا عَجَبٌ إِذَا مُلِكَتْ عَلَيْنَا * مَذَاهِبُنَا وَأَكْثَرُنَا نِيَامُ
 (حُسَيْنٌ حُسَيْنٌ) أَنْتَ لَهَا فَنَبَّةٌ * رِجَالًا عَنْ طِلَابِ الْحَقِّ نَامُوا
 (٦) وَكُنْ بِأَيْدِكَ لِابْنِ أَخِيكَ عَوْنًا * فَأَنْتَ بِكَفِّهِ نَعْمَ الْحُسَامُ

(١) أرق أرقاً (وزان فرح فرحا) : سهر . (٢) المدرجة : الطريق . والعوادي : النوايب .
 وتمخخ العظم ، إذا أخرج منه . والداء العقام : الذي لا يربى البرء منه . (٣) يريد « بالزحام » :
 مزاحمة الأجانب للصريين . (٤) الضمير في « استعصى » : يعود على « التواكل » السابق .
 (٥) المذاهب : الطرق . (٦) يريد « بابن أخيه » : عباس الثاني خديوي مصر السابق .

أَفِضْ فِي قَاعَةِ الشُّورَى وَثَامًا * فَقَدْ أَوْدَى بِنَا وَيَهَا آلِخْصَامُ
 وَعَلَّتْهُمْ مُصَادِمَةُ الْعَوَادَى * فَشَلُّكَ لَا يَرْوَعُهُ الصَّدَامُ^(١)
 فِي حِزْبِ الْيَمِينِ لَدَيْكَ قَوْمٌ * وَإِنْ قَلَوْا فَلَانْتَهُمُ كِرَامُ
 وَفِي حِزْبِ الشَّمَالِ لَدَيْكَ أَسَدٌ * كُجَاهٌ لَا يَطِيبُ لَهَا أَنْهَزَامُ^(٢)
 فَكُونُوا لِلْبِلَادِ وَلَا يَفْتَكُكُمْ * مِنَ التُّهَزَاتِ وَالْفُرُصِ آخِثَامُ^(٣)
 فَمَا سَادُوا بِمُعِجَزَةٍ عَلَيْنَا * وَلَكِنْ فِي صُفُوفِهِمْ أَنْضَامُ^(٤)
 فَلَا تَتَّقُوا بَوْعِدَ الْقَوْمِ يَوْمًا * فَإِنَّ سَحَابَ سَائِسِهِمْ جَهَامُ^(٥)
 وَخَافُوهُمْ إِذَا لَانُوا فَإِنِّي * أَرَى السُّوَاسَ لَيْسَ لَمْ ذِمَامُ^(٦)
 فَكَمْ صَحِيحَ الْعَمِيدِ عَلَى لِحَانَا * وَغَرَّ سَرَاتِنَا مِنْهُ آبَسَامُ^(٧)
 أَبَا الْفَلَاحِ إِنَّ الْأَمْرَ فَوْضَى * وَجَهْلُ الشَّعْبِ وَالْفَوْضَى لِرَازَمُ^(٨)
 فَأَسْعِدْنَا بِنَشِيرِ الْعِلْمِ وَأَعْلَمُ * بِأَنَّ النُّقْصَ يَعْقُبُهُ التَّمَامُ

- (١) العوادي : النوايب . ويروعه : يفزعه . (٢) الكجاة : الشجعان ؛ الواحد كجى
 (يفتح الكاف وتشديد الياء) . (٣) التهزات : ما ينتهز من الفرص ، الواحدة نهزة (يضم فسكون) .
 (٤) سادوا : يريد شعوب الغرب . (٥) يريد « بالقوم » : الإنجليز . و « بوعدهم » :
 ما وعدوا به مصر من الجلاء عنها . والجهام من السحب (يفتح الجيم) : الذي لا ماء فيه .
 (٦) الذمام : الذمة والعهد . (٧) يريد عميد الدولة الإنجليزية (السير غورست) . والسراة
 من الناس : أهل الرفعة والمنازلة ؛ الواحد سرى (يفتح السين وتشديد الياء) .
 (٨) أبو الفلاح : كنية كان يكنى بها المفقور له السلطان حسين كامل ، وذلك لما كان يظهره من
 العناية بالفلاحين والنظر فيما يصلحهم ويعود عليهم بالفراية والخصب . ورازم ، أى ان الجهل والفوضى
 متلازمان ، إذا وجد أحدهما وجد الآخر .

وليس العلمُ مُسْكًا وَجيدًا * اذا لم يتنصر العلمُ اعترامُ
 وإن لم يُدرك الدستورُ (مصرًا) * ^(١) فما لحياتها أبدًا قوامُ
 حمونا وزد ماء (النيل) عذبًا * وقالوا : إنه موتُ زؤامُ ^(٢)
 وما الموتُ الزؤامُ اذا عقلنا * سوى الشركات حلَّ لها الحرامُ
 لقد سَعِدَتْ بفقلتنا فراحَتْ * بقروتنا وأولها (الترام) ^(٣)
 فيأويل القناة إذا احتواها * (بنو التاميز) وأنحسر اللثامُ ^(٤)
 لقد بقيت من الدنيا حطامًا * بأيدينا وقد عزَّ الحطامُ ^(٥)
 وقد كُنَّا جَعَلناها زمامًا * فواللهي اذا قُطِعَ الزمامُ
 (فيا قصر الدبارة) لست أدري * أحربٌ في جراك أم سلامُ ^(٦)
 أجيئنا ، هل يُراد بنا وراءُ * فنَقِضِ أم يُراد بنا أمامُ
 ويا حِزْبَ اليمينِ إليك عنا * لقد طاشت نبالُك والسهامُ
 ويا حِزْبَ الشمالِ عليك منا * ومن أبناءِ نَجْدَتِكَ السلامُ

(١) قوام الأمر : نظامه وعماده وملاكه الذي يقوم به . (٢) يشير بهذا البيت الى شركة المياه .
 ويريد بقوله : « موت زؤام » : ما يجمله ماء النيل الكدر من الجراثيم . (٣) القناة ، أى قناة السويس .
 وبنو التاميز : الإنجليز . والتاميز : نهر عندهم معروف . ويريد « بانحسار اللثام » : انكشاف الحجاب
 عما يضمرونه نحو مصر . (٤) بقيت ، أى القناة . (٥) يريد بهذا البيت والذي قبله أن
 قناة السويس قد بقيت في يدنا ترانا عن السلف على قلة ترانا ، وقد كنا نأمل منها أن تكون صلة بيننا وبين العالم
 وأخوف ما نخافه أن تقطع هذه الصلة . (٦) نقضى : نموت . (٧) حزب اليمين : الأعضاء
 الذين كانوا يؤيدون الحكومة في مجلس شورى القوانين . وحزب الشمال : المعارضون الذين كانوا يؤيدون
 رأى الأمة . وأبناء نَجْدَتِكَ ، أى الذين يتناصرونك ويرون رأيك . والنجدة : الشجاعة والنصرة .

تحية العام الهجرى

[سنة ١٣٢٨هـ - يناير سنة ١٩١٠م]

- (١) لى فيك حينَ بدا سنالكَ وأشرقاً * أَمَلْتُ سَأَلْتُ اللهَ أَنْ يَتَحَقَّقَا
(٢) أَشْرِقَ عَلَيْنَا بالسُّعُودِ وَلَا تَكُنْ * كَأَخِيكَ مَشْغُومَ الْمَنَازِلِ أَنْحَرَقَا
(٣) قَدْ كَانَ جَرَّاحُ النُّفُوسِ قَدَاوِهَا * بَمَا يَهَا وَكُنْ الطَّيِّبَ مُوقِّفَا
(٤) هَلَكْتُ حِينَ لَمَحْتُ نُورَ جَبِينِهِ * وَرَجَوْتُ فِيهِ الْخَيْرَ حِينَ تَأَلَّقَا
(٥) وَهَزَزْتُهُ بِقَصِيدَةٍ لَوْ أَنَّهَا * تُبَلِّغُنِي عَلَى الصَّخْرِ الْأَصَمِّ لَأَغْدَقَا
(٦) فَتَأَى بِجَانِبِهِ وَخَصَّ بِنَحْسِهِ * مِصْرًا وَأَسْرَفَ فِي النُّحُوسِ وَأَغْرَقَا
(٧) لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ مَا يُجِبُّهُ لَنَا * لَسَأَلْتُ رَبِّي ضَارِعًا أَنْ يُحَقِّقَا
(٨) أَوَّلَى الْأَعَاجِمِ مِنْهُ مَذْكُورَةٌ * وَأَعَادَ لِلْأَتْرَاكِ ذَاكَ الرَّوْنَقَا
(٩) وَتَغَيَّرَتْ فِيهِ الْخُطُوبُ بِفَارِسٍ * حَتَّى رَأَيْتُ الشَّاهَ يُجْحَشِي الْبَيْدَقَا

(١) السا : الضوء . يخاطب هلال المحرم . (٢) يريد بقوله «أخيك» : هلال العام الذى قبله .
والمنازل : البروج التى يتنقل فيها القمر . والأشراق : من الخرق (بضم الخاء) والخرق (بفتح الخاء والراء) ،
وهو القسوة والحق . (٣) تألق : أضاء وأشرق . (٤) يقال : هزه إلى المعروف : إذا حركه
إليه وشوقه إلى عمله . وأغدق : تفجر بالماء الكثير . ويريد «بالقصيدة» : القصيدة السابقة التى أوتها :
أطل على الأكوان والخلق تنظر * هلال رآه المسلمون فكبروا

(٥) نأى : بعد . يريد أنه أعرض عن رجائنا فيه . وأغرق في النحوس : بالغ فيها وأفرط .
(٦) أولى : أعطى . ويريد أن الأعاجم ، وهم الفرس ، نالوا فيه الدستور ، وكذلك الترك .
(٧) الخطوب : الثئون ؛ الواحد : خطب (بفتح الخاء) . والشاه : ملك العجم . والبيدق :
الجندي . ويشير إلى الشاه والبيدق من قطع الشطرنج . والمعنى أن الحكم في فارس قد أصبح بيد الأمة
حتى أصبح الملك يخشى رعيته بعد أن كانت تخشاه .

- (١) وَأَدَالَ مِنْ (عبد الحميد) لشعبه * فهو وحاول أن يعود فأخفقا
(٢) أَمْسَى يُبَالِي حَارِسًا مِنْ جُنْدِهِ * ولقد يكون وما يبالي القيلقا
(٣) وَرَمَى عَلَى أَرْضِ الْكِنَانَةِ حَرَمَهُ * بالنزلات السود حتى أزهقا
(٤) حَصَدَتْ مَنَاجِلُهُ غِرَاسَ رَجَائِنَا * ولو أنها أبقت عليه لأورقا
(٥) فَتَقَيَّدَتْ فِيهِ الصَّحَافَةُ عَنُودَ * ومشي الهوى بين الرعية مطلقا
وَأَتَى يُسَاوِمُ فِي (القناة) خَدِيعَةَ * ولو أنها تمت لثم بها الشقا
(٦) إِنْ الْبَلِيَّةُ أَنْ تُبَاعَ وَتُشْتَرَى * (مصر) وما فيها وآلا تتطقا
(٧) كَانَتْ تُوَسِّسُنَا عَلَى الْإِمْنَا * صُحُفٌ إِذَا نَزَلَ الْبَلَاءُ وَأَطْبَقَ
فَإِذَا دَعَوْتُ الدَّمَعَ فَاسْتَمَعَى بَكَتْ * عنا أسى حتى تغص وتشرقا
(٨) كَانَتْ لَنَا يَوْمَ الشَّدَائِدِ أَسْمُهُمَا * نَرْمِي بِهَا وَسَوَاقِبًا يَوْمَ اللَّقَا

- (١) يقال : أدال الله لك من فلان : اذا جعل الكرة والنصر لك عليه . وأخفق في السعي : لم ينجح فيه . (٢) الضمير في «أمسى» : لعبد الحميد . والقيلق : الجيش العظيم . (٣) رمى : الضمير فيها يعود على الهلال . وأرض الكنانة : مصر . وأزهق : أزل على أهلها السر والظلم والظلم والظلم . (٤) المناجل : جمع منجل ، وهو آلة يحصد بها الزرع ، معروفة . (٥) يشير إلى تنفيذ قانون المطبوعات الذي عمل به في عهد وزارة بطرس غالي باشا ، فقيد حرية الرأي والكتابة في الصحف . والعنوة : القهر . ويريد «بالهوى» : الحكم بما يشتهي الحاكم ، لا بما يقتضيه العدل . ومطلقا ، أى لا قيد عليه . (٦) يشير بهذا البيت والذي قبله الى ما حدث في عهد نظارة بطرس غالي باشا من أن شركة قناة السويس كانت قد عرضت على الحكومة المصرية مد أجل امتيازها أربعين سنة أخرى فتبدى من سنة ١٩٦٩ م الى نهاية سنة ٢٠٠٨ م وأبت ذلك الجمعية العمومية بإجماع أعضائها محتجة بأن في ذلك ضياعا فاحشا قدره بمبلغ ١٣٠,٥٩٨,٠٠٠ جنيها ، وكان ذلك في ٧ أبريل سنة ١٩١٠م ، وكان رأى الجمعية العمومية في هذه المسألة قطعي لا استشاريا . (٧) أطلق عليهم البلاء : عشيهم وخطاهم . (٨) السوابق : من صفات الخليل ، أى إن الصحف كانت علة لنا في الجهاد .

كانت صمأماً للنفوس إذا غلت * فيها الموموم وأوشكت أن ترهقا^(١)
 كم نقست عن صدر حر واجيد * لولا الصمام من الأسى لتمزقا^(٢)
 مالى أنوح على الصحافة جازما * ما ذا ألم بها وما ذا أحدقا^(٣)
 قصوا حواشيها وظنوا أنهم * آمنوا صواعقها فكانت أصعقا^(٤)
 وآتوا بمخاضهم يكيد لها بما * يثني عزائمها فكانت أحدقا^(٥)
 أهلاً بناتية البلاد ومرحبا * بجددتم العهد الذى قد أخلقا^(٦)
 لا تياسوا أن تستردوا مجدكم * فرب مغلوب هوى ثم ارتقى^(٧)
 مدت له الآمال من أفلاكها * خيط الرجاء إلى العلا فتسلقا^(٨)
 فتجشموا للجد كل عزيمة * لئن رأيت المجد صعب المرتقى^(٩)
 من رام وصل الشمس حاك خيوطها * سببا إلى آماله وتعلقا^(١٠)
 عار على ابن النيل سباق الورى * - مهما تقلب دهره - أن يسبقا^(١١)
 أوكلنا قالوا تجمع شملهم * لعب الشقاق بجمعنا ففترقا^(١٢)

- (١) نقست : خفت . والواجد : الحزين . والأسى (بفتح الهزة) : الحزن . «من الأسى» متعلق بقوله «لتمزقا» .
 (٢) ألم : نزل . وأحدق : أحاط .
 (٣) يريد «بمخاضهم» : بطرس غالى باشا رئيس النظار إذ ذاك . ويريد بقوله «فكانت أحدقا» : أنها كانت تؤدي عملها في قد الحكومة بمهارة ومدارة حتى لا تؤاخذ . (٤) نابتة البلاد : نشوئها وشبانها . وأخلق : بلى ورث . (٥) تسلق : صعد . (٦) تجشموا : تكلفوا .
 (٧) حاك : نسج . والسبب : الحبل . يقول : إن من يريد أن يبلغ معالي الأمور تلبس الوسائل لها مهما بدا من ضعفها أو استحالتها . (٨) الشقاق : الخلاف والعداوة .

- (١) فَدَقُّوْا حُجَبًا وَحُوطُوا نِيْلَكُمْ * فَلَكُمْ أَفَاضَ عَلَيْكُمْ وَتَدَقُّوا
(٢) حَمَلُوا عَلَيْنَا بِالزَّيْمَانِ وَصَرَفَهُ * فَتَانَقُّوا فِي مَلِينَا وَتَانَقَّا
(٣) هَزُّوا مَعَارِبَهَا فَهَابَتْ بِأَسْهُم * يَا وَيْلَكُمْ إِنْ لَمْ تَهْزُوا الْمَشْرِقَا
فَتَعَلَّمُوا فَالْعِلْمُ مِفْتَاحُ الْعِلَا * لَمْ يُبْقِ بَابًا لِلْسَّعَادَةِ مُغْلَقَا
ثُمَّ أَسَمَّيْتُمْ مِنْهُ كُلَّ قَوْمٍ * إِنْ الْقَوَى بِكُلِّ أَرْضٍ يُتَّقَى
(٤) وَأَبْنَوْا حَوَالِي حَوْضِكُمْ مِنْ يَقْظَةٍ * سُورًا وَخُطُوًا مِنْ حِذَارٍ خَنْدَقَا
(٥) وَزَيَّنُوا الْكَلَامَ وَسَدَّدُوهُ فَلَانْتَهَم * خَبَأُوا لَكُمْ فِي كُلِّ حَرْفٍ مَزَلَقَا
(٦) وَأَمَشُوا عَلَى حَذَرٍ فَإِنَّ طَرِيقَكُمْ * وَعَرَّ أَطَافَ بِهِ الْمَهْلَاكُ وَحَلَقَا
(٧) نَصَبُوا لَكُمْ فِيهِ الْفِتَاخَ وَأَرْصَلُوا * لِلسَّالِكِينَ بِكُلِّ لُجٍّ مَوْيِقَا
(٨) الْمَوْتُ فِي غَشْيَانِهِ وَطُرُقِهِ * وَالْمَوْتُ كُلُّ الْمَوْتِ إِلَّا يُطْرَقَا
(٩) فَتَحِينُوا فُرْصَ الْحَيَاةِ كَثِيرَةً * وَتَعَجَّلُوا بِالْعَزَائِمِ وَالرُّقَى

- (١) حاطه : صانه وحفظه . (٢) حملوا علينا بالزمان ، أى حاربنا المحتلون بحوادث الزمان وفوائده وتأنق في الأمر : بالغ فيه . (٣) يقول : إن للإنجليز من الحول والقوة ما أدهبوا به دول الغرب ، فليكن لكم أيها المصريون بين أم الشرق ما للإنجليز بين أم الغرب . (٤) المراد (بالخوض) هنا : الحمى . (٥) المزلق : مكان الانزلاق ، أى الزلل والسقوط .
(٦) الوعر : الصعب . وحلق : يريد أن يهلك قد غشى طريقكم من كل مكان .
(٧) الفج : الطريق . والمويق : المهلك . (٨) يريد أن طريق الأمة إلى المجد والحرية ملوه بأسباب الهلاك ، على أن ما نحن فيه من استنامة ودعة ورضى بالاستعباد والذل موت أكبر ، ففي الإقدام موت ، وفي الإجماع موت أعظم ، فتحينوا الفرص ، وهو ما يقوله في البيت الآتي .
(٩) تعجل الأمر : طلبه عاجلا . والرقى : جمع رقية ، وهي معروفة . ويريد « بالعزائم والرقى » هنا : قوة الدماء واللطيف في الحيلة ، وحسن التأني إلى المقاصد .

أَوْ فَاحْلُقُوهَا قَادِرِينَ فَإِنَّمَا * فُرْصُ الْحَيَاةِ خَلِيقَةٌ أَنْ تُحْلَقَ
(١)
وَتَقْبَلُوا ظِلَّ الْأَرِيكََةِ وَأَقْصِدُوا * مَلِكًا بِأَمْتِهِ أَبْرَّ وَأَرْفَقَا
(٢)
لَا زَالَ تَأْجُ الْمُلْكِ فَوْقَ جَبِينِهِ * تَحْتَ الْهِلَالِ يَزِينُ ذَاكَ الْمَفْرِقَا

تحية الأسطول العثماني

أُنشدتها في حفل أقيم ببناتروعباس في ٩ مارس سنة ١٩١٠ م برئاسة رؤوف باشا المتعهد العثماني

(٣)
بِالَّذِي أَجْرَاكِ يَا رِيحَ الْخُزَايِ * بَلَّغِي الْبُسْفُورَ عَنْ مِصْرَ السَّلَامَا
(٤)
وَأَقْطِنِي مِنْ كُلِّ رَوْضِ زَهْرَةٍ * وَأَجْعَلِيهَا لَتَحَايَانَا كِيَامَا
(٥)
وَأَنْشُرِي رِيَاكِ فِي ذَاكَ الْحِمَى * وَالْتِمَى الْأَرْضَ إِذَا جِئْتَ الْإِمَامَا
مَلِكٌ لِلشَّرْقِ فِي أَيَّامِهِ * هِمَّةُ الْغَرْبِ نُهْوضَا وَعَظْمَا
أَيُّهَا الْقَائِمُ بِالْأَمْرِ لَقَدْ * قُتَّتْ فِي النَّاسِ فَأَحْسَنْتِ الْقِيَامَا
(٦)
جَرَّدَ الرَّأْيَ فَكُمُ رَأْيِي إِذَا * سُلَّ مِنْ غِمْدِ النَّهْيِ قَلَّ الْحُسَامَا

(١) تفتيخوا ظل الأريكة ، يطلب إليهم أن يلتجئوا إليها ويستظلوا بها ، والأريكة : سرير الملك .

(٢) مفرق الرأس : وسطه ، وهو حيث يفرق فيه الشعر .

(٣) الخزاي : نبات عطري زهره من أطيب الأزهار نقعة ؛ وهذا النبات يقارب البفسج ، وزهره

إلى الزرقعة واللازوردية . (٤) الكام : أغطية الزهر ؛ الواحد كم (بكسر الكاف وتشديد الميم) .

يقول : حوطى محايانا بأزهار الرياض . ويشير بذلك إلى أن التحايا التي يبعث بها إلى البسفور أذكى من

الأزهار ريحا ، لأن الأزهار أذكى من أكمامها وأطيب نقعة . (٥) الريا : الراحة الطيبة . ويريد

«بالإمام» : خليفة المسلمين . (٦) النهى : العقول ؛ الواحد نهية . وفل الحسام : ثلثه وكسره .

وَابْعَثِ الْأُسْطُولَ تَرَى دُونَهُ * قُوَّةَ اللَّهِ وَرَاءَ وَأَمَامًا
 (١)
 يَكْلَأُ الشَّرْقَ وَيَرْعَى بُقْعَةً * رَفَعَ اللَّهُ بِهَا (الْبَيْتَ الْحَرَامَ)
 (٢)
 وَتُفَوِّرًا هِيَ أَهْبَى مَنَظَرًا * مِنْ تُفَوِّرِ الْغَيْدِيِّينَ أَبْتَسَامًا
 (٣)
 خَصَّهَا اللَّهُ بِأَفْقٍ مُشْرِقٍ * ضَمَّ فِي الْأَلَاءِ (مِصْرًا) وَ(الشَّامَا)
 (٤)
 حَتَّى يَا مُشْرِقُ أُسْطُولَ الْأَلَى * ضَرَبُوا الدَّهْرَ بِسَوْطٍ فَاسْتَقَامَا
 (٥)
 مَلَكُوا الْبَرْقَلَا لَمْ يَسْعَ * مَجْدُهُمْ نَالُوا مِنْ الْبَحْرِ الْمَرَامَا
 (٦)
 بِجَوَارٍ مُنْشَأَتٍ كَالْدُمَى * أَيْتَمَا سَارَتْ صَبَا الْبَحْرِ وَهَامَا
 (٧)
 كَلَّمَا أَوْفَتْ عَلَى أَمْوَاجِهِ * مَجَدَ الْمَوْجُ خُشُوعًا وَاحْتِشَامَا
 (٨)
 كَانَتْ بِالْبَحْرِ إِلَيْهَا ظَمًا * وَغَيْبٌ يَشْتَكِي الْبَحْرُ الْأَوَامَا
 (٩)
 فَهِيَ فِي السَّلْمِ جَوَارٍ تُجْتَلَى * تَبْهَرُ الْعَيْنُ رُوءَاءَ وَنِظَامَا
 (١٠)
 وَهِيَ فِي الْحَرْبِ قَضَاءٌ سَابِجٌ * يَدْعُ الْحِصْنَ تِلَالًا وَرِجَامَا

- (١) يَكْلَأُ الشَّرْقَ : يحفظه ويصونه . ويريد «بالقعة» : الحجاز . (٢) الْغَيْدُ : جمع غَادَةٌ ، وهي المرأة اللينة الناعمة . (٣) الْأَلَاءُ : الضياء .
- (٤) «ضَرَبُوا الدَّهْرَ... الخ» : يريد أنهم أنضموه لسلطتهم وعزمهم فاستقام لهم .
- (٥) الْجَوَارِى الْمُنْشَأَاتُ : السفن . والدَى : جمع دَمِيعة ، وهي الصورة المنقشة الزينة . شبه السفن بها في جمالها .
- (٦) أَوْفَتْ : أشرفت . والاحتشام : الحياء .
- (٧) الْأَوَامُ : شدة العطش .
- (٨) تُجْتَلَى : ينظر إليها الناس معجيين بحسبها ورواقها . والرواء (بضم الراء) : حسن المنظر .
- (٩) الرِّجَامُ : المجنارة ، الواحد رَجْمَة (بضم الراء وسكون الجيم) .

(١)
ما نُجُومُ الرَّجِيمِ مِنْ أَجْرَاجِهَا * لَأَتَرَعِفِرِيَّتِ مِنْ الْجَنِّ تَرَامِي
(٢)
مِنْ مَرَامِيهَا بِأَنْكِ مَوْقِعًا * لَا وَلَا أَقْوَى مِرَاسًا وَعُمرَامَا
وهي بركان إذا ما هاجها * هَانُجُ الشَّرِّ عِدَاءً وَخِصَامَا
(٣)
جَبَلِ النَّارِ لَقَدْ رُعَتِ الْوَرَى * أَنْتِ فِي حَالِيكَ لَا تَرَعِي زِيَامَا
(٤)
أَنْتِ فِي السَّبْرِ بَلَاءٌ فَإِذَا * رَكِبَ الْبَحْرَ غَدَا مَوْتًا زُؤَامَا
(٥)
فَاتَّقُوا الطُّودَ مَكِينًا رَاسِيًا * وَاتَّقُوا الطُّودَ إِذَا مَا الطُّودُ عَامَا
(٦)
حَلَّتْ حَرِيًّا فَكَانَتْ حَقْبَةً * نُذْرًا لِلَوْتِ تَجْنَحُ الْأَنَامَا
(٧)
خَافَهَا الْعَالَمُ حَتَّى أَصْبَحَتْ * رُسُلًا تَحْمِلُ أَمْنًا وَسَلَامَا
بَيْتَ الْمَشْرِقِ مِنْ مَرْقَدِهِ * بَعْدَ حِينٍ، جَلَّ مَنْ يُعْجِي الْعِظَامَا
أَيُّهَا الشَّرْقُ شَمَّرْ لَا تَمَّ * وَأَنْفِضِ الْعَجَزَ فَإِنَّ الْجَدَّ قَامَا

(١) ترى، أي تترامى وتتساقط. ويشير إلى أن الجن كانوا قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم يسترقون السمع من السماء، فلما بعث صلى الله عليه وسلم صار يربهم بالشهب كل من يريد منهم الدنو من السماء واستراق السمع؛ وقد حكى الله تعالى ذلك في القرآن في سورة الجن. (٢) أنكى: شبر «لما» في قوله السابق: «ما نجوم». والعرام: الشراسة والأذى والحدة. يريد أن الشهب التي يربم بها الجن المسترقون السمع من السماء ليست أشد وقعا ولا أنكى عذابا من قذائف هذه السفن في الحرب. (٣) رعت: أفرغت. والذمام: الحرمة والمهد. (٤) يشير بقوله «أنت في البر»: إلى البراكين المعروفة. وبقوله «فاذا ركب البحر»: إلى الأسطول، تشبيها له بالبراكين. يجعل للبركان مظهرين: مظهره الحقيقي في البر، ومظهره المجازي في الأسطول. (٥) الطود: الجبل العظيم. (٦) الحقة من الدهر: مدة لاحد لها. وتجنح الأنام: تهلكهم. (٧) يريد بهذا البيت والذي قبله: أن هذه السفن خدمت الحرب والسلام معا، فكانت في الحرب رسل موت تحصد الأرواح، وهي لقوتها وكال استعدادها أخافت الأعداء فتجنحوا حرابها، فكانت بعث سلم أيضا.

(١)
وَأَمِطِ الْعَزَمَ جَوَادًا لِلْعَلَا * وَأَجْعَلِ الْحِكْمَةَ لِلْعَزِيمِ زَمَامَا
(٢)
وَلَمَّا حَاوَلْتَ فِي الْأَفْقِ مَنَى * فَارْكَبِ الْبَرْقَ وَلَا تَرْضَ الْغَمَامَا
لَا تَضِقْ ذَرْعًا بِمَا قَالَ الْعِدَا * رَبِّ ذِي لُبٍّ عَنْ الْحَقِّ تَعَامَى
سَابِقِ الْغَرْبَى وَأَسْبِقْ وَاعْتَصِمْ * بِالْمَرْوَاتِ وَبِالْبَاسِ اعْتَصِمَا
جَانِبِ الْأَطَاعِ وَانْهَجْ نَهْجَهُ * وَأَجْعَلِ الرَّحْمَةَ وَالْتَقَوَى لِزَامَا
(٣)
طَلَبُوا مِنْ عَلَيْهِمْ أَنْ يُعْجِزُوا * قَادِرَ الْمَوْتِ وَأَنْ يَثْنُوا الْحِمَامَا
(٤)
وَأَرَادُوا مِنْهُ أَنْ يَرْفَعَهُمْ * فَوْقَ هَامِ الشُّهْبِ فِي الْغَيْبِ مَقَامَا
(٥)
(قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ) * طَاوَلَ الْخَالِقَ فِي الْكَوْنِ وَسَامَى
(٦)
أَخْرَجَ الْغَيْبَ إِلَى أَنْ بَزَهُ * سِرَّهُ بَزَا وَلَمْ يَنْخَشْ أَنْتِقَامَا
قُوَّةَ الرَّحْمَنِ زَيْدِينَ قُوَى * وَأَفِضَى فِي بَنِي الشَّرْقِ الْوِثَامَا
أَفْرِغِي مِنْ كُلِّ صَدْرِ حِقْدَهُ * أَمَلِ الْتَارِيخِ وَالْذُنُوبِ كَلَامَا
أَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي أَلْهَمَنَا * خِدْمَةَ الْأَوْطَانِ شَيْخًا وَغُلَامَا
(٧)
أَنْ أَرَى فِي الْبَحْرِ وَالْبَرِّ لَنَا * فِي الْوَعَى أَنْدَادَ (طُوجُو) وَ(أَيَامَا)

- (١) الزمام : ما تقاد به الدابة . (٢) يريد « بركوب البرق » : شدة السرعة ، لأن بطء الغمام لا يصلح مطية للجنة . (٣) قادر الموت : مقدره ، وهو الله تعالى . (٤) الهام : الرموس . الواحدة هامة . والشهب : النجوم . (٥) طاول : غالب . وساماه مساماة : باراه في السمق . (٦) بزه : سلبه . (٧) الوعى : الحرب . والأنداد : الأشباه . وطوجو وأياما : قائدان يابانيان معروفان .

حرب طرابلس

[في سنة ١٩١٢م]

طَمَعُ أَلْقَى عَنِ الْغَرْبِ اللَّثَامَا * فَاسْتَفِيقْ يَا شَرْقُ وَأَحْذَرُ أَنْ تَتَّامَا^(٢)
 وَأَحْمِلِي أَيُّهَا الشَّمْسُ إِلَى * كُلِّ مَنْ يَسْكُنُ فِي الشَّرْقِ السَّلَامَا
 وَأَشْهَدِي يَوْمَ التَّنَادِي أَنَّنَا * فِي سَبِيلِ الْحَقِّ قَدْ مِتْنَا كِرَامَا^(٣)
 مَا دَتِ الْأَرْضُ بِنَا حِينَ انْتَشَتْ * مِنْ دَمِ الْقَتْلِ حَلَالًا وَحَرَامَا^(٤)
 عَجَزَ الطُّلِيَانُ عَنِ أَبْطَالِنَا * فَأَعْلَوْا مِنْ ذَرَارِينَا الْحُسَامَا^(٥)
 كَبَلُوهُمْ، قَتَلُوهُمْ، مَثَّلُوا * بَدَايِ الْخَدِرِ، طَاحُوا بِالْيَتَامَا^(٦)
 ذَبَحُوا الْأَشْيَاخَ وَالزَّمَنِي وَلَمْ * يَرْحَمُوا طِفْلًا وَلَمْ يَبْقُوا غُلَامَا^(٧)
 أَحْرَقُوا الدُّورَ، اسْتَحَلُّوا كُلَّ مَا * حَرَمَتْ (لَاهَاي) فِي الْعَهْدِ أَحْقَامَا^(٨)
 بَارَكَ الْمَطْرَانُ فِي أَعْمَالِهِمْ * فَسَلُّوهُ بَارَكَ الْقَوْمَ عَلَامَا؟^(٩)

- (١) ترجع أطماع إيطاليا في طرابلس منذ بدأت أوروبا تنشط في اقتسام أفريقيا. ولما رأت إيطاليا أن إنجلترا وفرنسا صارتا صاحبتى النفوذ في مصر وتونس، قويت أطباعها في طرابلس. ولم تأت سنة ١٩١٢م حتى أغارت إيطاليا على طرابلس تريد اقتزاعها من تركيا، وفي هذه الحرب يقول الشاعر قصيدته.
- (٢) اللثام (بالكسر): النقاب. أى إن أمم الغرب قد كشفوا عما يضمرون للشرق من اقتسامه بينهم.
- (٣) يوم التنادي: يوم القيامة.
- (٤) ما دت الأرض: اضطربت. وانتشيت: سكنت.
- (٥) أعلوا، أى سقوا. وأصل الإعلال: السق بعد السق. (٦) طاح به: ذهب به وأهلكه.
- (٧) الزمنى: ذور العاهات؛ الواحد: زمن (بفتح الأتول وكسر الشاى).
- (٨) يشير إلى مؤتمر لاهاي الذى عقد في سنة ١٨٩٩م بدعوة من قولا الثاني فيسبر روسيا للقضاء على أسباب الحرب، بتقليل السلاح، وتفويض المشا كل التى تقع بين الدول الى هيئة تحكيم يختار أعضاؤها من بين الدول.
- (٩) المطران (بالفتح ويكسر): رئيس الكهنة، وهو دون البطرك وفوق الأسقف.

أَهَذَا جَاءَهُمْ إِنْجِيلُهُمْ * أَمِيرًا يُلْقِي عَلَى الْأَرْضِ سَلَامًا؟
 كَشَفُوا عَنْ نِيَّةِ الْغَرِبِ لَنَا * وَجَلُّوا عَنْ أَفْقِ الشَّرْقِ الظُّلَامَا
 فَقَرَأْنَاهَا سُطُورًا مِنْ دِيم * أَقْسَمْتُ تَلْتَهُمُ الشَّرْقُ أَتْهَامَا
 (١) أَطْلَقُوا الْأَسْطُورَ فِي الْبَحْرِ كَمَا * يُطْلِقُ الرَّاجِلُ فِي الْحَوْ الْحَمَامَا
 فَمَضَى غَيْرَ بَعِيدٍ وَأَنْتَنَى * يَحْمِلُ الْأَنْبَاءَ شُؤْمًا وَأَنْهَزَامَا
 (٢) قَدْ مَلَأْنَا الْبَرَّ مِنْ أَشْلَائِهِمْ * فَدَعُوهُمْ يَمْلِكُوا الدُّنْيَا كَلَامَا
 (٣) أَطْلَعُوا الْحَرْبَ وَاضْمَرْنَا لَهُمْ * أَيُّهَا حَلُّوا هَلَاكًا وَآخِرَامَا
 (٤) خَبَرُوا (فَكْتُورَ) عَنَّا أَنَّهُ * أَدْهَشَ الْعَالَمَ حَرْبًا وَنِظَامَا
 أَدْهَشَ الْعَالَمَ لَمَّا أَنْ رَأَوْا * جَيْشَهُ يَسْبِقُ فِي الْبَحْرِ النُّعَامَا
 لَمْ يَقِفْ فِي الْبَرِّ إِلَّا رَيْثَمَا * يُسَلِّمُ الْأَرْوَاحَ أَوْ يُلْقِي الزُّنَامَا
 (٥) حَاتِمَ الطُّلِيَانِ قَدْ قَلَدْتَنَا * مِثَّةً نَذْكُرُهَا عَامًا فَعَامَا
 أَنْتَ أَهْدَيْتَ إِلَيْنَا عُدَّةً * وَلِبَاسًا وَشَرَابًا وَطَعَامَا
 (٦) وَسِلَاحًا كَانَ فِي أَيْدِيكُمْ * ذَا كَلَالٍ فَعَدَا يَقْفِرِي الْعِظَامَا

(١) الراجل : الذي يرسل الحمام .

(٢) الأشلاء : الأعضاء وبقايا الأجساد ؛ الواحد شلو .

(٣) اخترم القوم : استأصلهم . (٤) فكتور عمانوئيل ، هو ملك إيطاليا .

(٥) شبه ملك الطليان فيما تحلى عته جيشه للاتراك في هذه الحرب من الأشياء المذكورة بعد بجاتم

الطائي الذي يضرب به الخلل في الكرم ، ولا يخفى ما في هذا من التهكم .

(٦) كل السيف كاللا : لم يقطع . ويقفري : يشق .

أَكْثَرُوا الزُّهْمَةَ فِي أَحْيَائِنَا * وَرُبَانَا لِمَنَّا تَشْنِي السَّقَامَا
 وَأَقِيمُوا كُلَّ حَائِمٍ مَوْسِمًا * يُشْبِعُ الْإِيْتَامَ مِنَّا وَالْأَيَامِي^(١)
 لَسْتُ أَدْرِى بَيْتٍ تَرَعَى أُمَّةٌ * مِنْ بَنِي (التَّلِيَانِ) أَمْ تَرَعَى سَوَامَا^(٢)
 مَا لُهُمْ - وَالنَّصْرُ مِنْ عَادَاتِهِمْ - * لَزِمُوا السَّاحِلَ خَوْفًا وَاعْتِصَامَا
 أَفْلَتْنَا مِنْ نَارٍ (فِي زُوفٍ) إِلَى * نَارٍ حَرْبٍ لَمْ تَكُنْ أَدْنَى ضَرَامَا^(٣)
 لَمْ يَكُنْ (فِي زُوفٍ) أَذْهَى حُمَا * مِنْ كُرَاتٍ تَنْفُثُ الْمَوْتَ الزُّوَامَا^(٤)
 إِيَّاهِ يَا (فِي زُوفٍ) نَمَّ عَنْهُمْ فَقَدْ * نَفَضْتُ إِفْرِيقِيَا عَنْهَا الْمَنَامَا
 فَهِيَ بَرْكَانٌ لَهُمْ سَخْرَةٌ * مَالِكُ الْمُلْكِ جَزَاءٌ وَأَنْتِقَامَا
 لَوْ دَرَوْا مَا حَبَّ الشَّرْقُ لَهُمْ * آثَرُوا (فِي زُوفٍ) وَأَخْتَارُوا الْمَقَامَا
 تِلْكَ عُقْبَى أُمَّةٍ غَادِرَةٍ * تَنْكُثُ الْعَهْدَ وَلَا تَرَعَى الذَّمَامَا^(٥)
 تِلْكَ عُقْبَى كُلِّ جَبَّارٍ طَغَى * أَوْ تَعَالَى أَوْ عَنِ الْحَقِّ تَعَامَى
 لَوْ دَرَّتْ (رُومَةٌ) مَا قَدْ نَابَهَا * فِي (طَرَابُلُسٍ) أَبَتْ إِلَّا أَنْتِقَامَا
 وَأَبَى كُلُّ أَشْتَرَاكِئٍ بِهَا * أَنْ يَرَى النَّجَاحَ عَلَى رَأْسِ أَقَامَا
 أَعْلَنُوا ضَمًّا مَغَانِينَا إِلَى * مُلْكٍ (فِي كُتُورٍ) وَلَمْ يَحْشَوْا مَلَامَا^(٦)

- (١) الأيامى : جمع أيام (بتشديد الياء)، وهى من لزوج لها . (٢) السوام : الإبل الراحية .
 (٣) فيزوف : بركان فى جنوب إيطاليا معروف . (٤) الحم : جمع حمة ، وهى كل ما احترق
 من النار . يريد ما يقذفه بركان فيزوف . ويريد «بالكرات» : فذائف المدافع . والزوام : الكريه .
 (٥) الذمام : الحق والحمة . (٦) المغانى : المنازل ؛ الواحد مغنى (بفتح فسكون) .

(١) أَعْلَنُوا الضَّمَّ وَلَمَّا يَفْتَحُوا * قَيْدَ أَظْفُورٍ وَرَاءَ أَوَامًا
(٢) فَاعْجَبُوا مِنْ فَاتِحِ ذِي مِرَّةٍ * يَحْسَبُ الثَّرَمَةَ فِي الْبَحْرِ صِدَامًا
وَيَرَى الْفَتْحَ أَدْمَاءَ بَاطِلًا * وَأَفْتِرَاءَ وَاحْتِجَاجًا وَاحْتِكَامًا
أَيُّهَا الْحَائِرُ فِي الْبَحْرِ اقْتَرِبْ * مِنْ جَمِي (الْبُسْفُورِ) إِنْ كُنْتَ هُمَامًا
كَمْ سَمِعْنَا عَنْ لِسَانِ الْبَرْقِ مَا * يُزْجِعُ الدُّنْيَا إِذَا الْأَسْطُولُ عَامًا
(٣) عَامَ شَهْرَيْنِ وَلَمْ يَفْتَحْ سِوَى * هُوَّةٍ فِيهَا الْمَلَّائِينُ تَرَامِي
دَفَنُوا تَارِيخَهُمْ فِي قَاعِهَا * وَرَمَوْا فِي لُأْرِهِ الْمَجْدَ غُلَامًا
(٤) فَاطِمَةُ نِيَّ أُمِّ الشَّرْقِ وَلَا * تَقْنَطِي الْيَوْمَ فَإِنَّ الْجَدَّ قَامَا
(٥) إِنْ فِي أَضْلَاعِنَا أَفْئِدَةٌ * تَعَشَّقُ الْمَجْدَ وَتَأْتِي أَنْ تُضَامَا

منظومة تمثيلية

قالها الشاعر عقب ضرب الأسطول الطلياني لمدينة بيروت انتقاماً من الأتراك؛ وذلك في عهد نشوب الحرب الطرابلسية التي وُثِّت بين الإيطاليين والترك في سنة ١٩١٢ م. وقد فرض الشاعر هذه الرواية

بين جريح من أهل بيروت، وزوج له اسمها (ليلي)، وطبيب، ورجل عربي

الجريح :

(لَيْلَى) مَا أَنَا حَيٌّ * يُرَجَى وَلَا أَنَا مَيِّتٌ

(٦) لَمْ أَقِضْ حَقَّ يِلَادِي * وَهَانَا قَدْ قَضَيْتُ

- (١) قيد أظفُور (فتح القاف وكسرها)، أي مقدار ظفر. (٢) المرة (بالكسر): القوة والشدة.
(٣) تَرَامِي : تَرَامَى . (٤) الجَد (بالفتح) : الحظ . والمراد « بقيامه » : انتعاشه .
(٥) تضام : تظلم . (٦) قضيت : مت .

شَفِيتُ نَفْسِي لَوْ أَنِّي * لَمَّا رُمِيتُ رَمِيتُ
 (يَبْرُوتُ) لَوْ أَنَّ خَصَمًا * مَشَى إِلَى مَشَيْتُ
 أَوْ دَاسَ أَرْضَكَ بَاغٍ * لَدُسْتُهِ وَبَغَيْتُ
 أَوْ حَلَّ فِيكَ عَدُوٌّ * مُنَازِلٌ مَا أَتَقَيْتُ
 (١)
 لَكِنْ رَمَاكَ جَبَانٌ * لَوْ بَانَ لِي لَأَشْفَيْتُ
 (يَلَايَ) لَا تُحْسِنِي * عَلَى الْحَيَاةِ بَكَيْتُ
 (٢)
 وَلَا تَطْنِي شَكَائِي * مِنْ مَصْرَعِي إِنْ شَكَوْتُ
 (٣)
 وَلَا يُخَفِّنِكَ ذِكْرِي * (يَبْرُوتُ) أَنِّي سَلَوْتُ
 (٤)
 (يَبْرُوتُ) مَهْدُ غَرَامِي * فِيهَا وَفِيكَ صَبَوْتُ
 جَرَدْتُ ذَيْلَ شَبَابِي * هَمَّوْا فِيهَا جَرَيْتُ
 (٥)
 فِيهَا عَرَفْتُكَ طِفْلًا * وَمِنْ هَوَاكِ أَنْشَيْتُ
 (٦)
 وَمِنْ عُيُونِ رَبَاهَا * وَعَذِبَ فِيكَ أَرْقَوَيْتُ
 (٧)
 فِيهَا (لَيْلِي) كَنَاسٌ * وَلِي مِنَ الْعِزِّ يَتُّ

(١) اشتنى : أخذ بثاره فشغى بذلك نفسه . (٢) الشكاة : الشكوى .

(٣) أى لا تخشى باليلى من سلوق إياك حينا أذكر يبروت ، فكلاهما فى الحب عندى سواء ، كائنين

ذلك من الأبيات الآتية . (٤) صبا : مال . أى إن شوق وغرامى وميل فىك رغبها .

(٥) انتشى : سكر . (٦) الربا : ما ارتفع من الأرض ؛ الواحدة ربة . وعذب

فيك ، أى ريقك العذب . (٧) الكناس : بيت الظبي الذى يأوى إليه .

فِيهَا بَنَى لِي مَجْدًا * أَوَائِلِي وَبَنَيْتُ
 (١) (لَيْلِي) سِرَاجُ حَيَاتِي * خَبَا فَمَا فِيهِ زَيْتُ
 (٢) قَدْ أَطْفَأَهُ كُرَاتُ * مَا مِنْ لَظَاهُنْ قَوْتُ
 (٣) رَمَى بِهِنَ بُغَاءُ * أَصَبَنِي فَتَوَيْتُ

لَيْلِي :

لَوْ تَفْتَدِي بِحَيَاتِي * مِنْ الرَّدَى لَقَدَيْتُ
 وَلَوْ وَفَاكَ وَفَى * بِمُهْجَةٍ لَوَقَيْتُ
 (٤) إِنْ عَشْتَ أَوْمِتْ لِي * كَمَا نَوَيْتَ نَوَيْتُ

الجريح :

(لَيْلَى) عَيْشِي وَقَرَّى * إِذَا الْجَمَامُ دَعَانِي
 (لَيْلَى) سَاعَاتُ عُمرِي * مَعْدُودَةٌ بِالنَّوَانِي
 (٥) فَكَفِّكِنِي مِنْ دُمُوعِ * تَفْرِى حُشَاشَةً فَانِي
 وَمَهْدِي لِي قَبْرًا * عَلَى دُرَا (لُبْنَانِ)
 ثُمَّ أَكْتُبِي فَوْقَ لَوْحِ * لِكُلِّ قَائِمٍ وَدَانِي :

(١) خبا : نحمد وطفق . (٢) يريد « بالكرات » : نذائف المدافع المروقة بالفتائل .
 والظلي : النار ، أو لها ، والفتوت : الانفلات . (٣) تويت ، أى هلكت . (٤) كما نويت
 نويت ، أى أنى جعلت حياتى وموتى تهما لحياتك وموتك . (٥) تفرى : تقطع . والحشاشة :
 بقية الروح فى المريض .

هنا الذى مات غدراً * هنا فتي الفتيان
 رمته أيدي جنائ * من جيرة النيران^(١)
 قرصان بحر تولوا * من حومة الميدان^(٢)
 لم يخرجوا قيد شبر * عن مسبح الحيتان
 ولم يطبقوا ثباتا * في أوجه القربان
 فشمروا لانتقام * من غافل في أمان
 وسودوا وجه (روما) * بالكيد للجران^(٣)
 تبا لهم من بغاث * فروا من العقبان
 لو أنهم نازلونا * في الشام يوم طعان
 رأوا طرابلس تبدو * لهم بكل مكان
 يا ليتنى لم أعاجل * بالموت قبل الأوان
 حتى أرى الشرق يسمو * رغم اعتداء الزمان
 ويسترد جلالا * له ويرفع شأن
 وليعلم الغرب أنا * كأمة (اليابان)

(١) يريد « بحيرة النيران » : الإيطاليين ، لوجود البراكين في بلادهم .

(٢) قرصان البحر : لصونه . وحومة الميدان : موضع القتال . يريد ميدان طرابلس .

(٣) البغاث : طيور يضرب بها المثل في الضعف . والعقبان : جمع عقاب ، وهو من الطيور الجوارح ، والعرب تسميه (الكامر) .

لَا تَرْتَضِي الْعَيْشَ يَجْرِي * فِي ذِلَّةٍ وَهَوَانٍ
أَرَاهِمُ أَتَزْلُونَا * مَنَازِلَ الْحَيَوَانِ
وَأَخْرِجُونَا جَمِيعًا * عَنْ رُتْبَةِ الْإِنْسَانِ
(١)
وَسَوْفَ تَقْضِي عَلَيْهِمُ * طَبَائِعُ الْعُمَرَانِ
(٢)
فَيُصْبِحُ الشَّرْقُ غَرْبًا * وَبَسْتَوَى الْخَافِقَانِ
(٣)
لَاهُمَّ جَدَّدُ قَوَانَا * لَخِدْمَةِ الْأَوْطَانِ
(٤)
فَنَحْنُ فِي كُلِّ صُفْعٍ * نَشْكُو بِكُلِّ لِسَانٍ
يَا قَوْمَ الْإِنْجِيلِ (عِيسَى) * وَأُمَّةَ الْقُرْآنِ
لَا تَقْتُلُوا الدَّهْرَ حَقْدًا * فَالْمَلِكُ لِلدِّيَارِ

إلى :

إِنِّي أَرَى مِنْ بَعِيدٍ * جَمَاعَةً مُقِيلِينَ
لَعَلَّ فِيهِمْ نَصِيرًا * لَعَلَّ فِيهِمْ مُبِينًا

العروبي :

هَوَّنْ عَلَيْكَ، تَمَاسَكَ * إِنِّي سَمِعْتُ أُيُنَا
(٥)
أُظَنُّ هَذَا جَرِيحًا * يَشْكُو الْأَسَى أَوْطِينَا
بِاللَّهِ مَاذَا دَهَاهُ * يَا هَذِهِ خَبْرِينَا؟

(١) يريد « بطبائع العمران » : سنه في الترقى من حسن إلى أحسن ، كما يدل عليه البيت الآتي .

(٢) الخافقان : المشرق والمغرب . (٣) لاهم ، أى اللهم .

(٤) الصقع (بالضم) : الناحية ، والجمع أصقاع . (٥) تمالك : تملك .

ليلى :

لقد دَهَتْهُ المَنَايا * مِنْ غَارَةِ الخَائِنِينَ
صَبُّوا طِينَا الرِّزَايا * لَمْ يَتَّقُوا اللَّهَ فِينَا
نَفَقُوا مِنْ أَذَاهُ * إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ

العربي :

لَا تَيَّاسِي، وَتَجَلَّدْ * أُرَاكَ شَهْمًا رَكِينًا^(١)
أَبْشِرْ فَمِنْكَ نَاجٍ * وَأَصِيرْ مَعَ الصَّابِرِينَ

الطبيب :

أَوَاهِ لِمَنِّي أَرَاهُ * بِالمَوْتِ أَمْسَى رَهِينًا
جِرَاحُهُ بِالْفَاتِ * تُعَيِّ الطَّبِيبَ الْفَطِينَا
وَعَنْ قَرِيبٍ سَيَقْضَى * غَضُّ الشَّبَابِ حَزِينَا^(٢)

العربي :

أَفْ لَقَوْمٍ جِياعٍ * قَدْ أَرْعَجُوا الْعَالَمِينَ
قِرَاهُمْ أَيْنَ حَلُّوا * ضَرْبٌ يَقْدُ الْمُتُونَا^(٣)
عَقُّوا المُرُوءَةَ هَبُّوا * مَفَاخِرَ الْأَوَّلِينَ
عَاثُوا فَسَادًا وَفَرُّوا * يَسْتَعْمِلُونَ السِّفِينَا^(٤)

(١) الركين : الرزين . (٢) يقضى يموت . (٣) القسرى : ما يقدم للضيف . ويقصد : يقطع . والمتون : الظهور ؛ الواحد : متن . (٤) السفين : السفن ؛ الواحدة سفينة .

وَأَلْبَسُوا الْغَرْبَ خِرْيًا * فِي قَرْنِهِ الْعِشْرِينَ
وَأَجْمَعُوا كُلَّ دَائِجٍ * وَأَخْرَجُوا الْمُصْلِحِينَ
فَيَا (أَرْبَةُ) مَهْلًا * أَيْنَ الَّذِي تَدْعِينَا
مَاذَا تُرِيدِينَ مِنَّا * وَالِدَاءُ أَمْسَى دَفِينَا
أَيْنَ الْحَضَارَةُ إِنَّا * بَعِثْنَا قَدْ رَضِينَا
(١) لَمْ نُؤْذِ فِي الدَّهْرِ جَارًا * وَلَمْ نُخَاتِلْ خَدِينَا
(٢) (مَسْرَّة) الشَّامِ إِنَّا * إِخْوَانُكُمْ مَا حِينَا
(٣) ثَقُّوا فَإِنَّا وَثِقْنَا * بِكُمْ وَجِئْنَا قَطِينَا
إِنَّا نَرَى فَيْكَ (عَيْسَى) * يَدْعُو إِلَى الْخَيْرِ فِينَا
(٤) قَرَّبَتْ بَيْنَ قُلُوبٍ * قَدْ أَوْشَكَتْ أَنْ تَبِينَا
فَأَنْتَ نَفَرُ النَّصَارَى * وَصَاحِبُ الْمُسْلِمِينَ

الجريح :

رَأَيْتُ يَا مَسَّ طَيْبِي * وَهَمَّسَهُ فِي فُوَادِي
لَا تَتَذُبَّنِي فَلَانِي * أَقْضَى وَتَحْيَا بِلَادِي

(١) لم نخاتل : لم نخادع . والنخدين : الصاحب .

(٢) مسرة الشام : مطران كير لطافة الروم الأرثوذكس من أسرة مسرة المعروفة ببيروت ، وكان

يعني بالجرحى في هذه الحادثة . (٣) القطين : أهل الدار المقيمين بها . يريد أن المسلمين

والنصارى أهل وطن واحد في تلك البلاد . (٤) تبين : تنفصل .

العربي :

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ شَهْمًا * نَدْبًا طَوِيلَ النَّجَادِ^(١)
 أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ رُوحًا * كَانَتْ رَجَاءَ الْبِلَادِ
 فِيَا شَيْدًا رَمْتُهُ * غَدْرًا كُرَاتِ الْأَعَادِي
 نَمَّ هَائِلًا مُطْمَئِنًّا * فَلَمْ تَمَّ أَحْقَادِي
 فَسَوْفَ يُرْضِيكَ ثَارٌ * يُذِيبُ قَلْبَ الْجَادِ

استقبال الطيار العثماني فتحى بك

نشرت في سنة ١٩١٤ م ويلاحظ أن هذه القصيدة كانت قد أعدت لاستقبال
 الطيار المذكور، فسقطت به طائرته، ومات قبل إتمام رحلته الى مصر، فرأى حافظ
 من الوفاء نشر هذه القصيدة بعد موته لتكون له سبيلا ومينا

أَهْلًا بِأَوَّلِ مُسْلِمٍ * فِي الْمَشْرِقَيْنِ عَلَا وَطَارُ
 النَّيْلُ وَالْبُسْفُورُ فِيهِ * لَكَ تَجَادِبًا ذَيْلَ الْفَخَارِ^(٢)
 يَوْمَ أَمْطَيْتَ بُرَاقَكَ أَلْ * حَيْمُونٌ وَأَجْتَرَّتِ الْقِفَارُ^(٣)
 تَلَهُو وَتَعَبْتُ بِالرَّيَا * جِ عَلَى الْمَفَاوِزِ وَالْبَحَارِ^(٤)

- (١) الندب : الذى اذا ندب الى الحاجة خف لقضائها . والنجاد : حائل السيف . وطول النجاد :
 كناية عن طول القامة . (٢) كنى « بالنيل والبسفور » عن مصر وتركيا . (٣) البراق : الدابة
 التى ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج . شبه الشاعر طائرة فتحى بك بها فى سرعتها ويمناها .
 (٤) المفاوز : جمع مغازة ، وهى القفلة الواسعة التى لا ماء فيها .

(١) لو سَابَقَتْكَ سَوَائِقُ آل * أُنْفَكَارٍ أَدْرَكَهَا الْعِثَارُ
(٢) حَسَدَتْكَ فِي الْأُفُقِ الْبُرُ * قُ وَغَارَ فِي الْأَرْضِ الْبُخَارُ
(٣) تَجْرِي بِسَابِجَةٍ تُشَقُّ * سَيْلَهَا شَقُّ الْإِزَارُ
(٤) وَتَكَادُ تَقْدَحُ فِي الْأَيْدِ * مِرْفَيْسَتِجِلٍ إِلَى شَرَارِ
(٥) فِإِذَا عَلَتْ فَكَدَعُوهُ * مُضْطَرَّرٌ تَحْتَرِقُ السَّتَارُ
(٦) وَإِذَا هَوَتْ فَكَا هَوَتْ * أَنْثَى الْعُقَابِ عَلَى الْهَزَارِ
(٧) وَتُسِفُ آوَنَةً وَآ * وَنَةً يَجِدُهَا أَزْوَارُ
فِيخَالُهَا الرَّاوُونَ قَدْ * قَرَّتْ وَلَيْسَ بِهَا قَرَارُ
(٨) لَعِبَ الْجَوَادُ أَقْلًا لَيْ * شًا مِنْ قُضَاعَةٍ أَوْ زِرَارِ

(١) يصفه في هذا البيت بالسرعة حتى إنه يسبق الفكر فيا يخطر به من خواطر .

(٢) كنى «بالبخار» عن القواطر البخارية .

(٣) يريد بالسابجة : الطائرة ، شبهها بالسفينة السابجة فوق الماء ، وشبه اختراقها للقضاء بشق الثياب .

(٤) شبه الطائرة في سرعتها بالشهاب الذي كان يرسل على كل من يحاول استراق السمع من الجن .

(٥) شبهها بدعوة المضطر ، لما روى في الآثار من أنها ليس بينها وبين الله حجاب ، فهي تحترق الآفاق

من غير أن يحول بينها وبين الصعود حائل . ويريد «بالستار» : حجاب السماء . (٦) هوت :

هبطت . والعقاب : طائر من الجوارح تسميه العرب الكاسر . والمزار (بالفتح) : عصفور صغير منقرع

الصوت ؛ ويقال له : العندليب . (٧) تسف : تدن من الأرض ؛ يقال : أسف الطائرة

إذا دنات من الأرض حتى كادت رجلاه تصيبانها . والازرار : الانحراف .

(٨) أقل : حل . وكنى بقوله : «لينا» من قضاة أو زرار عن كوند الفارس مريا . يقول : إن هذه

الطائرة تلعب في سيرها فرحا ونشاطا كما يلعب الجواد بفارسه العربي . وقضاة وزرار : قيلتان معروفتان .

أَوْ كَالْعُوبِ مِنَ الْجَمَا * عِمْ فَوْقَ مَلْعِيهِ أَسْتَطَارُ
 (١) وَكَأَنَّهَا فِي الْأَفْقِ حَيَا * بِنَ يَمِيلُ مِيزَانُ النَّهَارِ
 وَالشَّمْسُ تُلْقِي فَوْقَهَا * حُلَّ أَحْمَرٍ وَأَصْفَرٍ
 مَلِكٌ يُمَثِّلُهُ لَنَا (السُّمَّا) * فَيَاخُذُنَا أَنْهَارُ
 (فَتَحِي) رَبِّكَ مَا رَأَيْتُ * بَنَ بِذَلِكَ الْفَلَكَ الْمُدَارُ
 (٢) أَبْلَغْتَ تَسْبِيحَ الْمَلَا * نِيكَ أَوْ دَنَوْتَ مِنَ السَّرَارِ
 (٣) أَمْ خِفْتَ تِلْكَ الرَّاصِدَا * تِ هُنَاكَ مِنْ شُهْبٍ وَنَارِ
 أَرَأَيْتَ سُكَّانَ الثُّجُو * مِ وَأَنْتَ فِي ذَاكَ الْحَوَارِ
 (٤) أَهْنَاكَ فِي (الْمَرِيخِ) مَا * فِي الْأَرْضِ مِنْ عِلَالِ الشَّجَارِ
 (٥) أَهْنَاكَ يَسْتَعْدِي الضَّعِي * فُفْ عَلَى الْقَوِي فَلَا يُجَارِ
 (٦) مَا لِأَبْنِ آدَمَ زَادَ فِي * غُلُوَائِهِ فَطَنِي وَجَارِ
 (٧) يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ لَه * فِي عَالَمِ الْمَلَكُوتِ ثَارِ

- (١) ميلان ميزان النهار : كناية عن زوال الشمس عن وسط السماء وميلها الى جهة المغرب .
 (٢) السرار (بالكسر) : مصدر سار (بشدائد الرأ) . ويريد به هنا : مناجاة سكان السماء . يقال : سار فلان فلانا يساره : اذا ناجاه وأعلمه سره . يسأل الطيار هل بلغ بطائرته من العلو الى حيث يسمع مناجاة الملائكة في السماء . (٣) الراصدا : الشهب التي أعدها الله للجن حين كانت تسرق السبع من السماء ؛ قال تعالى حكاية عن الجن : (وأنا كنا نقعد منها مقاعد السمع فن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) .
 (٤) الشجار : النزاع والخصام . (٥) يقال : استعديت الأمير على فلان فأعداني ، أى استمنت به عليه فأعدتني وأصفتني منه . (٦) الغلواء (وتسكن اللام) : التغالي . والمراد هنا : التغالي في الأمل والطموح . (٧) النار : النار ، ومهلت الهمزة للشعر .

أَمْ لَازِدَ مُعْتَصِمًا بِكُرٍّ * سَيِّئِ الْمُهْمَمِينَ وَأَسْتَجَارَ
 فَاسْتَلَّ مِنْ قَلْبِ الْجَمَا * دِ الصُّلْبِ أَجْنَحَةً وَطَارَ^(١)
 وَتَسَلَّقَ الْأَجْوَاءَ مُدًّا * تَطْيَا عَوَاصِفَهَا وَسَارَ
 يَرْجُو النَّجَاءَ مِنَ الْمَظَا * لِيمِ وَالْمَغَارِمِ وَالْدَّمَارِ^(٢)
 يَأْتِيهَا الطَّيَارُ طِرًّا * فَإِذَا بَلَغَتْ مَدَى الْمَطَارِ^(٣)
 فزُرِ السُّهَى وَالْفَرْقَدِي * بِنِ إِذَا أُتِيحَ لَكَ الْمَزَارُ^(٤)
 وَسَلِ النُّجُومَ عَنِ الْحَيَا * ةِ فِي السَّوَالِ لَكَ أَعْتِبَارُ^(٥)
 هُمْ يُنَبِّئُونَكَ أَنَّ كُلَّ الْكَائِنَاتِ إِلَى بَوَارِ^(٦)
 وَالظُّلُمِ مِنْ طَبَعِ النَّظَا * مِ فَإِنْ ظَلِمْتَ فَلَا تُمَارِ^(٧)
 إِنَّ الَّذِي بَرَأَ السَّيِّدِ * مَ هُوَ الَّذِي بَرَأَ الْعِبَادِ^(٨)
 فِي الْعَالَمِ الْعُلُويِّ وَالسُّ * فَعَلَى أَحْكَامٍ تُدَارِ
 خُلِقَ الضَّعِيفُ لِحُدُومَةِ الْ * مَاقُوَى وَلَيْسَ لَهُ خِيَارُ
 فَتَقَوَّ يَرْهَبُكَ الْقَوَى * وَهُنَّ يُلَازِمُكَ الصُّغَارُ^(٩)

- (١) استل : ارتفع . (٢) الدمار : الهلاك . (٣) مدى المطار : غايته .
 (٤) المها : كوكب خفى لبعده ، وهو في بنات نمش الصغرى : والفرقدان : نجمان هتدي بهما .
 (٥) البوار : الهلاك والدمار . (٦) ماراه يماريه مارة : جادله وتنازع . يقول لا تنازع
 في ظلم وقع عليك ولا تتبرم به ، فان تدبير العالم ونظامه يقتضيان وجود ظالم ومظلوم وقوى وضعيف .
 (٧) برأ : خلق . والسديم : الضباب الرقيق .
 (٨) هان يهون : ذل . والصغار : الذل .

فِي الْأَرْضِ مَا تَبْغُونَ مِنْ * عِزٍّ وَأَمَالٍ كِبَارٍ
 فِيهَا الْحَدِيدُ وَفِيهِ بَأٌ * ^(١) سَ يَوْمَ يُمْتَحَنُ الدَّمَارُ
 فِيهَا الْكُنُوزُ الْخَافِلَا * تُلْمُنُ تَبَصَّرَ وَأَسْتَنَارَ
 مِنْهَا أَسْتَمِدَّ قُوَاهُ مِنْ * ^(٢) قَهَرِ الْمَالِكِ وَأَسْتَعَارَ
 وَبِمَا أَحْتَوَتْ رَدَّ الْحَصِيصِ * ^(٣) فُ الرُّأْيِ ظَارَةً مِنْ أَغَارِ
 فِي زِمَةِ الْأَفَاقِ سِرٌّ * ^(٤) وَأَرْجِعْ إِلَى تِلْكَ الدِّيَارِ
 وَأَجْعَلْ تَحِيَّتَنَا إِلَى * ^(٥) بَلَدٍ بِهِ لِمُلكِ دَارِ
 دَارُ مَلِيهَا لِلْخِلَا * فَةِ وَالْهُدَى رُفِعَ الْمَنَارِ
 دَارُ الْغَزَاةِ الْفَاتِحِ * ^(٦) مِنَ الصَّفْوَةِ الْغُرِّ الْخِيَارِ
 فِي كُلِّ حَاضِرَةٍ ظَهَرُ * ^(٧) غَزَوْ فَفَتَحَ فَأَنْتَصَارِ
 ضَرُّوا الزَّمَانَ بِسَوْطِ عِزَّتِهِمْ * ^(٨) فَلَانَ لَهُمْ قَدَارِ
 يَمْشُونَ فِي غَابِ الْقَنَا * ^(٩) مَشَى الْمُسَرِّحُ بِالْعُقَارِ

- (١) الدمار (بالكسر) : ما يملك حفظه وحمايته . يقول : إن في الأرض من الحديد ما تتخذ منه أسلحة تعز بها وتدفع كل من يحاول أن يعتدى علينا ويقتك من سرمانا . (٢) « استعار » : مطوف على « استمد » ، أى استمار منها قوة وبأسه . (٣) « صيف الرأى » : بجده وبحكمه وسديده . (٤) « يريد » « بالدار » : بلاد تركيا موطن الطيار . (٥) « يريد » « بالبلد » : الآسنة مقر الخلافة . (٦) « دار » ، أى دار الزمان لم بما يشتهون . يقول : إنهم بما لديهم من عزة ومنعة ففروا الزمان على أن يواتهم بما شاموا . (٧) « القنا » : الرماح ؛ الواحدة قناتة . شبهها بالغاب في كثرتها واشتباك بعضها ببعض ، والعقار (بالضم) : الخمر . والمرجح بها : القى يتأيل في مشيته سكرًا ، شبه الجنود وقد ملئوا بنشوة الفرح بالقتال ، بشارب الخمر المترنح سكرًا .

- (١)
مِنْ كُلِّ أَرْوَغَ فَاتِكَ * لَا يَسْتَشِيرُ سِوَى الْغِرَارِ
(٢)
ذِي مِرَّةٍ تُشْجِيهِ ذَا * تُ النَّقْعَ لَا ذَاتُ الْخِمَارِ
(٣)
يَفْتَنِي الْمَاعِمَ ضَارِبًا * بِحَيَاتِهِ ضَرْبَ الْقِمَارِ
(٤)
لَا يَتَنَبَّئُ أَوْ تَخْرُجَ الـ * أَجْرَامُ عَنْ فَلَكَ الْمَدَارِ
(٥)
عَبَسَتْ لَهُمْ أَيَّامُهُمْ * وَالْعَبَسُ يَعْقُبُهُ أَفْتَرَارِ
مَا عَابَهُمْ أَنْ الصُّعُورُ * دَلِيلُهُ فِي الدَّهْرِ أَنْجِدَارِ
(٦)
فَلِكُلِّ غَايِدٍ رَوْحَةٌ * وَلِكُلِّ وَضَاءٍ سِرَارِ
(٧)
وَلَسَوْفَ يَعْلَمُوتَجْمَهُمْ * وَيَسْوَدُّ ذِيَاكَ الشَّعَارِ

- (١) الأروع : هو الذي يمجك بشجاعته ومنظره . والغرار (بالكسر) : حد السهم والرمح والسيف .
(٢) المرة : قوة الخلق (بفتح الخاء) وشدة واستحكامه . وذات النقع : الحرب لما تشبه من النقع ، وهو الغبار . والخمار (بالكسر) : ما تغطي به المرأة وجهها . يقول : إن الحرب تطرب هذا الفارس وتثوته أكثر مما تشوته النساء بمجاهن .
(٣) الماعم : الحروب ؛ الواحدة : معمة . يقول : إن هذا الفارس يدخل الحرب مقامرا بحياته وسواء لديه أخسرها أم كسبها .
(٤) يصفه بالثبات والإقدام وأنه لا يرجع عن غايته حتى تخرج الكواكب عن أفلاكها في الدوران .

- (٥) العبس : العيوس . والافترار : التيسم والضحك الحسن .
(٦) الوضاء (بضم الواو وتشديد الضاد) : البهيج الحسن ؛ يريد البدر . والمرار (بكسر السين) : اليلة التي يسترفها القمر ، أي يخفى ، وذلك لا يكون إلا في آخر الشهر ، وربما كان ليلة ، وربما كان ليلتين . وكفى بذلك عما ينتهي إليه كل نصره وجمال من بلى وذهاب .
(٧) يريد « بالشعار » : الهلال ، وكان شعار الدولة العثمانية .

إلى معتمد بريطانيا في مصر

قالها عند تعيين معتمد جديد لبريطانيا، وهو السير مكماهون

[نشرت في يناير سنة ١٩١٥ م]

أَيُّ (مَكْهُونٍ) قَدِمْتَ بَالُ * قَصْدِ الْحَمِيدِ وَالرَّعَايَةِ
 (١)
 مَاذَا حَمَلَتْ لَنَا عَنْ أَلْ * حَمَلِكِ الْكَبِيرِ وَعَنْ (غَرَايَةِ)؟
 أَوْضَحْ (لِمَصْرَ) الْفَرْقَ مَا * بَيْنَ السِّيَادَةِ وَالْحِمَايَةِ
 وَأَزِلْ شُكُوكًا بِالنُّفُو * مِنْ تَعَلَّقَتْ مُنْذُ الْبِدَايَةِ
 وَدَعِ الْوُعُودَ فَلَيْهَا * فِيمَا مَضَى كَانَتْ رِوَايَةِ
 أَصَحَّتْ رُبُوعُ النَّيْلِ سَدَ * مَطْنَةً وَقَدْ كَانَتْ وِلَايَةِ
 فَتَمَهَّدُوهَا بِالصَّلَا * جَ وَأَحْسِنُوا فِيهَا الْوِصَايَةِ
 (٢)
 إِنَّا لِلشُّكُو وَائْتَقِ * بِنَ بَعْدِلٍ مَنْ يُشْكِي الشَّكَايَةِ
 نَرْجُو حَيَاةَ حُرَّةَ * مَضْمُونَةٍ فِي ظِلِّ رَايَةِ
 وَنُرُومُ تَعْلِيمًا يَكُو * نُهُ لَه مِنْ الْقَوَضَى وَقَايَةِ
 وَنَوْدُ أَلَّا تَسْمَعُوا * فِينَا السَّعَايَةِ وَالْوِشَايَةِ
 أَنْتُمْ أَطِبَاءُ الشُّعُو * بِِ وَأَنْبَلُ الْأَقْوَامِ غَايَةِ

(١) غرايه، يريد السير إدوارد غراي، وزير خارجية إنجلترا إذ ذاك.

(٢) يقال: أشكيت فلانا، إذا قبلت شكواه وأرضيته وأزلت شكايته.

أَنْى حَلَلْتُمْ فِى الْبِلَا * دِلْتُمْ مِّنَ الْإِصْلَاحِ آيَةً
 رَّيَحْتُ بِنَايَةً تَجِدْتُمْ * فَبُوقَ الرُّوْيَةِ وَالْمِذَايَةِ^(١)
 وَعَدَلْتُمْ فَلَكُمْ^م الدُّ * نِيَا وَفِى الْعَدْلِ الْكِفَايَةِ
 إِنْ تَنْصُرُوا الْمُسْتَضْعِفِى * مَن فَتَحْنُ أَضْعَفُهُمْ نِكَايَةً
 أَوْ تَعْمَلُوا لَصَلَاحِنَا * فَتَدَارِكُوهُ إِلَى النَّهَايَةِ
 إِنَّا بَلَّغْنَا رُشْدَنَا * وَالرُّشْدُ تَسْبِقُهُ الْغَوَايَةِ
 لَا تَأْخُذُونَا بِالْكَلا * مَ فَلَيْسَ فِى الشُّكْوَى جِنَايَةِ
 هَذَا (حُسَيْنٌ) فَوْقَ عَمْرٍ * شِى (النَّيْلِ) تَحْرُسُهُ الْعِنَايَةِ
 هُوَ خَيْرٌ مِّنْ يَّبْنِى لَنَا * فَدَعُوهُ يَنْهَضُ بِالْبِنَايَةِ

إلى غليوم الثانى امبراطور ألمانيا

فألمأ ينكر عليه إمارته الحرب العظمى وما ارتكبها من الفظائع

[نشرت فى يناير سنة ١٩١٥ م]

لِلَّهِ آثَارُ هُنَاكَ كَرِيمَةٌ * حَسَدَتْ رَوَائِعَ حُسْنِهَا (زِيلِين)^(٢)
 طَاحَتْ بِهَا تِلْكَ الْمَدَافِعُ تَارَةً * لَمَّا أَمَرَتْ وَتَارَةً (زِيلِين)^(٣)

- (١) يصف فى هذا البيت الانجليز بأنهم أسسوا مجدهم على الثانى فى الأمور، وإتباع سواء السبيل .
 (٢) يريد آثار الحصار فى فرنسا وغيرها من الممالك التى خربها الألمان فى الحرب العظمى .
 (٣) طاحت بها ، أى محتها . وزيلين : يريد نوعا من الطائرات سعى باسم مخترعه ، وهو الكونت زيلين الألمانى .

(١) ما ذا رَأَيْتَ مِنَ النَّبَالَةِ وَالْعُلَا * فِي عُدْمِهِنَّ وَكُلْهِنَّ عَيُونَُ
 لو أَنَّ فِي (بِرْلَيْنَ) عِنْدَكَ مِثْلَهَا * لَعَرَفْتَ كَيْفَ تُجْلَهَا وَتَصُونُ
 (٢) إِنْ كُنْتَ أَنْتَ هَدَمْتَ (رِمْسَ) فَإِنَّهُ * أَوْدَى بِجِدِّكَ رُكْنُهَا الْمُوْهُونُ
 لَمْ يُغْنِ عَنْهَا مَعْبَدُ خَرَبَتِهِ * ظُلُمًا وَلَمْ يُمَسِّكْ عِثَانَكَ دِينُ
 لَا تَحْسَبَنَّ الْقَخْرَ مَا أَحْرَزْتَهُ * الْفَخْرُ بِالذِّكْرِ الْجَبِيلِ رَهِينُ
 هَلْ شِدَتْ فِي (بِرْلَيْنَ) غَيْرَ مُعَسِّكِي * قَامَتْ عَلَيْهِ مَعَاقِلُ وَحُصُونُ
 وَجَمَعْتَ شَعْبَكَ كُلَّهُ فِي قَبْضَةٍ * إِنْ لَمْ تَكُنْ لَأَنْتَ فَسَوْفَ تَلِينُ
 (٣) نَظَّمْتَ تِجَارَتَكَ الْمَدَائِنَ وَالْقُرَى * (فَالنَّيْلُ) نَاءَ بِهَا وَنَاءَ (السَّيْنُ)
 فَبُكِّلَ أَرْضٌ مِنْ رِجَالِكَ عُصْبَةٌ * وَبُكِّلَ بِحَيْرٍ مِنْ لَدُنْكَ سَفِينُ
 (٤) تَسِيرُ وَتَسْرُكُ أَيْنَ لَحْنٌ يُظْلِمُهَا * لَا اللَّيْتُ يُزِجُّهَا وَلَا النَّتْنُ
 (٥) فَلَا أَمْرَ أَمْرُكَ وَالْمُهَنْدُ مُغْمَدُ * وَالنَّهْيُ نَهْيُكَ وَالسَّرَى مَامُونُ

(١) عُدْمُهُنَّ ، أى فقدانهنَّ وذهابهن . (٢) رِمْسَ : مدينة فرنسية مشهورة بكنيتها التاريخية ، وقد خربها الألمان بمدافعهم في الحرب الأخيرة ، ثم جددت بعد انتهائها . والموْهُون . الذى أدركه الوهن ، وهو الضعف والانحلال . يقول : إن اعتدائك على هذا البلد أظهرتك بمظهر الخزي فانهدم بذلك ما بنيت من مجد ونفر .

(٣) يقال : ناء بالحل ، إذا أنقله ولم يقدّر على حله . والسَيْن : نهر بفرنسا معروف .

(٤) يريد « بالنسر » : الراية الألمانية . والليث : إشارة إلى بريطانيا . والنتن : إشارة إلى اليابان . والمعنى أن سفن التجارة الألمانية تسير مظلة براية دولتها ، فلا تقدر أية دولة مهما عظمت أن تعوقها عن سبيلها .

(٥) المهتد : السيف . والمعنى أن الأمر والنهى كلاهما لك فى إمام السلم .

(١) قد كان في (بِرْلَيْن) شَعْبُكَ وَإِدْعَا ۖ يَسْتَعْمِرُ الْأَسْوَاقَ وَهِيَ سُكُونُ
 فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُهَا فَسَبِيلُهَا * وَقَفَّ عَلَيْهِ وَرِزْقُهُ مَضْمُونُ
 (٢) فَعَلَامَ أَرَهَقْتَ الْوَرَى وَأَثَرْتَهَا * شَعْوَاءَ فِيهَا لِلْهَلَاكِ فُتُونُ؟
 تَاللَّهِ لَوْ نُصِرْتَ جِيُوشُكَ لَأَنْطَوَى * أَجْلُ السَّلَامِ وَأَقْفَرُ الْمَسْكُونُ
 سَبْعُونَ مِائَةً إِذَا وَزَعَتْهَا * بَيْنَ الْحَوَاضِرِ نَالْنَا مِائُونَ
 (٣) وَيَلُ لِمَنْ يَسْتَعْمِرُونَ بِلَادَهُ * الْقَحْطُ أَيْسَرُ حَطْبِهِ وَأَهْوَنُ
 أَكْثَرَتْ مِنْ ذِكْرِ الْإِلَهِ تَوَرَّعًا * وَزَعَمْتَ أَنَّكَ مُرْسَلٌ وَأَمِينُ
 عَجَبًا أَتَذْكُرُهُ وَتَمَلَّأَ كَوْنَهُ * وَيَلَا لِيَنَّمَّ شَعْبُكَ الْمَغْنُونُ
 وَكَذَلِكَ الْقَصَابُ يَذْكُرُ رَبَّهُ * وَالنَّصْلُ فِي عُتْقِ الدَّيْسِجِ دَفِينُ

(١) الوداع : الساكن المطمئن . ويستعمر، يريد : يعمر . والذي وجدناه في كتب اللغة أنه
 يقال : أعمره المكان واستعمره فيه ، أى جعله يعمره . وفي التذييل العزيز : (هو أنشأكم من الأرض
 واستعمركم فيها) ، أى أذن لكم في عمارتها . ولم نجد في كتب اللغة ما شاع استعماله بين كتاب المصنف من
 قولهم : استعمرت المكان (بالبناء للفاعل) بمعنى عمرته .

(٢) أرهقت الورى : ظلتهم وحملتهم ما لا يطيقون . وشعواء، يريد غارة شعواء
 أى عامة شاملة .

(٣) الهون (بضم الهاء) : القتل .

الحرب العظمى

[نشرت في ١٥ يولييه سنة ١٩١٥ م]

- (١) لَاهُمْ إِنْ الْغَرْبَ أَصْبَحَ شُعْلَةً * مِنْ هَوْلِهَا أُمُّ الصَّوَاعِقِ تَفْرُقُ
 (٢) الْعِلْمُ يَذْكِي نَارَهَا وَتُشِيرُهَا * مَدِينَةُ خَرْقَاءُ لَا تَفْرُقُ
 (٣) وَلَقَدْ حَسِبْتُ الْعِلْمَ فِينَا نِعْمَةً * تَأْسُو الضَّعِيفَ وَرَحْمَةً تَتَذَقُّ
 (٤) فَإِذَا يَنْعَمْتِهِ بَلَاءٌ مُرْهِقٌ * وَإِذَا بَرَحْتِهِ قَضَاءٌ مُطْبِقٌ
 (٥) تَعْجَزُ الرَّمَاةُ عَنِ الرَّمَاةِ فَارْسَلُوا * كَسَفًا يَمُوجُ بِهَا دُخَانٌ يَحْنُقُ
 (٦) تَتَعَوَّدُ الْآفَاقُ مِنْهُ وَتَنْتَنِي * عَنْهُ الرِّيَّاحُ وَيَتَّقِيهِ الْفَيْقُ
 (٧) وَتَسَابِلُوا بِالْكَيمِيَاءِ فَاسْرَفُوا * وَتَسَاجَلُوا بِالْكَهْرَبَاءِ فَاغْرَقُوا
 وَتَنَازَلُوا فِي الْجَوَّحِينَ بَدَأَ لَهُمْ * أَلَكُ الْبَسِيطَةِ عَنْ مَدَاهِمِ أَضْيَقُ
 (٨) نَفْسُوا عَلَى الْخَيْتَانِ وَاسِعِ مُلْكِهَا * فَتَقَنُّوا فِي سَلْبِهِ وَتَأَنَّقُوا
 (٩) مَلَكُوا مَسَاجِيحَهَا عَلَيْهَا بَعْدَ مَا * غَلَبُوا النُّسُورَ عَلَى الْجَوَاءِ وَحَلَقُوا
 إِنْ كَانَ عَهْدُ الْعِلْمِ هَذَا شَأْنُهُ * فِينَا فَعَهْدُ الْجَاهِلِيَّةِ أَرْفَقُ

(١) لاهم، أى اللهم . وتفرق : تخاف وتنفزع . (٢) يذكى نارها : يشعلها . والخرقاء : الحرقاء . وتشير إلى أنزل العلم فيها أوجد من مخترعات مهلكة في الحرب . (٣) تأسو الضعيف : أى تعمل على تقويته وتعالج ضعفه . (٤) مطبق : عام شامل . (٥) يريد « بالكسف » : قطع الدخان من الغازات السامة التى استعملت في الحرب أخيرا ، شبهها بكسف السحاب ، أى قطعه ، الواحدة كسفة . (٦) الفَيْق : الجيش العظيم . (٧) التنازل : التراجع بالنبل . يشير إلى استعمال المواد الكيميائية وتسخير الكهرباء في الإهلاك والتدمير . (٨) نفس عليه الشيء : حسده عليه ولم يره أهلا له . (٩) الجواء : جمع جو . ويشير بهذا البيت والبيتين اللذين قبله إلى استخدام الغواصات والطائرات في الحروب .

مظاهرة السيدات

قالها في مظاهرة قامت بها السيدات في الثورة الوطنية في سنة ١٩١٩ م
ونشرت إزاء ذلك في منشورات وطنية ، وأُثِرَ نشرها في الصحف إلى ١٢ مارس سنة ١٩٢٩ م

خَرَجَ الْغَوَايِ يَحْتَجِجُ * نَ وَرَحْتُ أَرْقُبُ جَمْعَهُنَّ

فَإِذَا بَرَّ تَحِذْنَ مِنْ * سُودِ الثَّيَّابِ شِعَارَهُنَّ

فَطَلَعْنَ مِثْلَ كَوَاكِبِ * يَسْطَعْنَ فِي وَسْطِ الدُّجْنَةِ^(١)

وَأَخَذْنَ يَحْتَرِزْنَ الطَّرِيقَ * سَقَى وَدَارُ (سَعْدٍ) قَصْدَهُنَّ

يَمِشْنَ فِي كَفِّ الْوَقَا * رِ وَقَدْ أَبَتْ شُعُورَهُنَّ

وَإِذَا يَمِشُّ مُقْبِلِ * وَالْحَيْلُ مُطْلَقَةُ الْأَعْنَةِ

وَإِذَا الْجُنُودُ سُوِّفُهَا * قَدْ صُوبَتْ لِنُحُورِهِنَّ

وَإِذَا الْمَدَافِعُ وَالْبَنَّا * دِقُّ وَالصَّوَارِمُ وَالْأَسِنَّةُ^(٢)

وَالْحَيْلُ وَالْفُرْسَانُ قَدْ * ضَرَبَتْ نِطَاقًا حَوْلَهُنَّ

وَالْوَرْدُ وَالرَّيْحَانُ فِي * ذَلِكَ النَّهَارِ سِلَاحَهُنَّ

فَقَطَّاحْنَ الْجَيْشَانِ سَا * عَاتٍ تَشِيبُ لَهَا الْأَجْنَةُ

فَضَعُضَعَ النَّسْوَانُ وَالنَّسْوَانُ لَيْسَ لَهَا مُنْسَةُ^(٣)

ثُمَّ أَنَّهُزَمْنَ مُشْتَتَا * تِ السَّمْلِ نَحْوَ قُصُورِهِنَّ

(١) الدجنة : الظلمة . (٢) الصوارم : السيوف القواطع . (٣) المنة : القوة .

فَلَيْتَنَا الْجَيْشُ الْفَخُو * رُبَّنْصِرِهِ وَبَكْسِرِهِنَّ
فَكَأَنَّمَا الْأَلْمَانُ قَدْ * لَيْسُوا الْبَرَّاقَ بَيْنَهُنَّ
وَأَتَوْا (هِنْدِنْبَرَج) مُخْ * تَفِيًّا بِمَصْرٍ يَقُودُهُنَّ^(١)
فَلِذَاكَ خَافُوا بِأَسْمُنْ * وَأَشْفَقُوا مِنْ كَيْدِهِنَّ

أياصوفيا^(٢)

قالما حين خيف على الآستانة أن تمتلكها دول الخلفاء وتزعمها من يد الأتراك
وذلك عقب الحرب العظمى، وكانت جيوش تلك الدول قد احتلت هذه المدينة

[وتناشر هذه القصيدة إلى سنة ١٩٣٢ م]

(أياصوفيا) حَانَ التَّفَرُّقُ فَادْكُرِي * عُهُودَ كِرَامٍ فِيكَ صَلُّوا وَسَلَّمُوا^(٣)
إِذَا عُدَّتْ يَوْمًا لِلصَّلِيبِ وَأَهْلِهِ * وَحَلَّى نَوَاحِيكَ الْمَسِيحُ وَمَرِيمُ^(٤)
وَدُقَّتْ نَوَاقِيسُ وَقَامَ مُزْمَرٌ * مِنْ الرُّومِ فِي مَحْرَابِهِ يَتَرَنَّمُ
فَلَا تُنْكِرِي عَهْدَ الْمَآذِنِ إِنَّهُ * عَلَى اللَّهِ مِنْ عَهْدِ النُّوَاقِيسِ أَكْرَمُ

(١) هندنبرج، هو القائد الألماني المعروف في الحرب العظمى.

(٢) يلاحظ أننا راعينا في وضع هذه القصيدة تاريخ قولها لا تاريخ نشرها، لأن مراعاة ذلك أجدى على مؤرخ الأدب.

(٣) أياصوفيا: أعظم مسجد في القسطنطينية، وكان قبل الفتح العثماني الكنيسة الأولى في الشرق فحولها العثمانيون مسجداً.

(٤) يريد صورة عيسى ومريم اللتين توضعان في الكنائس عادة.

تَبَارَكْتَ، (بَيْتُ الْقُدْسِ) جَدْلَانُ آمِنٌ * وَلَا يَأْمَنُ (الْبَيْتُ الْعَتِيقُ) الْمُحَرَّمُ^(١)
 أَرْضِيكَ أَنْ تَغْشَى سَنَابِكَ خَيْلَهُمْ * حِمَاكَ وَأَنْ يُنَى (الْحَطِيمُ) (وَزَمْرُمُ)^(٢)؟
 وَكَيْفَ يَذُلُّ الْمُسْلِمُونَ وَيَهْنُومُ * كَمَا بَكَ يَتَلَى كُلَّ يَوْمٍ وَيُكْرَمُ؟
 نَيْسِكَ مُحْزُونٌ وَبَيْتُكَ مُطْرِقٌ * حَيَاءٌ وَأَنْصَارُ الْحَقِيقَةِ نُومٌ
 عَصَبْنَا وَخَالَفْنَا فَعَاقَبْتَ عَادِلًا * وَحَكَمْتَ فِينَا الْيَوْمَ مَنْ لَيْسَ بِرَحِمٍ

مصر

أُنشدتها في الحفل الذي أقيم بهندق الكونتنتنال لتكريم المرحوم عدلى يكن باشا بعد عودته من أوروبا
 قاطعا للمفاوضة مع الانجليز ومستقبلا من الوزارة - نشرت في ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢١ م
 وهذه القصيدة على لسان مصر تتحدث عن نفسها

وَقَفَّ الْخَلْقُ يَنْظُرُونَ جَمِيعًا * كَيْفَ أَتَى قَوَاعِدَ الْمَجْدِ وَحْدَى
 وَبُنَاةَ الْأَهْرَامِ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ * بِرِ كَفَوْنِي الْكَلَامَ عِنْدَ التَّحْدَى
 أَنَا تَاجُ الْعَلَاءِ فِي مَفْرِقِ الشَّرِّ * قِي وَدِرَانُهُ فَرَانْدُ عِقْدَى^(٣)
 أَيُّ شَيْءٍ فِي الْغَرِيبِ قَدْ هَرَّ النَّاسُ * سَ جَمَالًا وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُ عِنْدَى؟

(١) كنى «بيت القدس والبيت العتيق» : عن معابد النصارى ومعابد المسلمين - يقول : إن معابد النصارى
 في فريج وأمن ، ومعابد المسلمين في خوف وفزع . (٢) سَنَابِكُ الْخَيْلِ : أطراف حوافرها ؛ الواحد
 سَنَبِكٌ . ويبنى : يتلى ويصاب . والحطيم : ما بين الركن وزمزم والمقام . جعل سقوط الآسنة في يد الإفرنج
 خطرا يخشى أن يمتد إلى البيت الحرام ، لأن في سقوط الدولة العثمانية سقوطا لولاياتها . (٣) العلاء
 (بالفتح والمدة) : الرضة والشرف . والمفرق (كقعد ومجلس) : وسط الرأس . والفرائد : الجواهر
 التي لا توأم لها لنفساتها ؛ الواحدة فريدة . ويريد «بدراته» : بمالك الشرق التي كان لمصر الزمام عليها .

فَنُرَابِي تَبْرُونَهْرِي فُورَاتٌ * وَسَمَائِي مَضْفُولَةٌ كَالْفِرِيدِ^(١)
 أَيَّمَا سِرَتِ جَدُولٍ عِنْدَ كَرِيمٍ * عِنْدَ زَهْرِ مُدْنَرٍ عِنْدَ رِنْدِ^(٢)
 وَرِجَالِي لَوْ أَنَصَفُوهُمْ لَسَادُوا * مِنْ كُهُولٍ مِلءِ الْعُيُونِ وَمُرْدِ^(٣)
 لَوْ أَصَابُوا لَمْ يَجَالَا لَا بَدَا * مُعْجَزَاتِ الذِّكَا فِي كُلِّ قَصْدِ
 لَمْ يَنْهَمْ كَالطُّبَا أَلَحَّ طَلِيهَا * صَدَا النُّعْرِ مِنْ قَوَاءِ وَغَمْدِ^(٤)
 فَذَا صَيِّقُلُ الْقَضَاءِ جَلَاهَا * كُنْ كَالنَّوْتِ مَالَهُ مِنْ مَرْدِ^(٥)
 أَنَا إِنِّي قَدَرُ الْإِلَهِ مَمَاتِي * لَا تَرَى الشَّرْقَ يَرْفَعُ الرَّاسَ بَعْدِي
 مَا رَمَاتِي رَايِمَ وَرَاحَ سَلِيًّا * مِنْ قَدِيمِ عِنَايَةِ اللَّهِ جُنْدِي
 كَمْ بَنَتْ دَوْلَةً عَلَى وَجَارَتْ * ثُمَّ زَالَتْ وَتَلَكَ عُقْبَى التَّعْدِي
 لَأَنْسَى حُرَّةً كَسَرْتُ قُبُودِي * رَغَمَ رُقْبَى الْعِدَا وَقَطَعْتُ قَيْدِي^(٦)
 وَتَمَاتْتُ لِلشِّفَاءِ وَقَدْ دَا * تَيْتُ حَيْنِي وَهِيَ الْقَوْمُ لَحْدِي^(٧)
 قُلْ لِي أَنْكُرُوا مَفَاخِرَ قَوْمِي * مِثْلَ مَا أَنْكُرُوا مَا ثَرُولِي
 هَلْ وَقَفْتُمْ بِقَمَّةِ الْحَرَمِ الْأَكْثَرِ * بِرَ يَوْمًا فَرَيْتُمْ بَعْضَ جُهْدِي^(٨)

(١) القرات : العذب . والفرد : السيف . (٢) مدنر، أى مختلف الألوان ، أو مشرق
 متلألئ . والرند : شجر طيب الرائحة ، وله حب يقال له : الغار . (٣) ملء العيون ، أى تعجبك
 مناظرهم . والمرد : جمع أمرد ، وهو الشاب نبت شارب لم تنبت لحيته . (٤) الطبا : جمع طلبة ؛
 وهى حدة السيف والسنان ونحوهما . والقواء : طول المكث . (٥) الصيقل : شاحذ السيوف
 وجالها ؛ واجمع صياقل وصياقله . (٦) رقبى العدا ، أى مراقبتهم لى . والقصد : القيد يقيد
 من جهله . (٧) الحين (بالفتح) : الحلاك . (٨) فرأيت ، أى فرأيتهم .

- (١) هَلْ رَأَيْتُمْ تِلْكَ الثُّقُوشَ اللَّوَاتِي * أَتَجَزَّتْ طُشُقَ صَنِيعَةِ الْمُتَحَدِّ؟
- (٢) حَالُ لَوْنِ النَّهَارِ مِنْ قَدِيمِ الْعَهْدِ * يَدِ وَمَا مَسَّ لَوْنَهَا طُولُ عَهْدِ
- (٣) هَلْ فَهَيْمَتُمْ أَسْرَارَ مَا كَانَ عِنْدِي * مِنْ عُلُومٍ مَحْبُوءَةٍ طَيِّ بِرْدِي؟
- ذَلِكَ فَنُ التَّحْنِيطِ قَدْ غَلَبَ الدَّهْ * رَوَّابِلَى الْبَسَلَى وَأَتَجَزَّيْنَدِي
- (٤) قَدْ عَقَدْتُ الْعُهُودَ مِنْ عَهْدِ فِرْعَوْنَ * نَ فِي (مِصْرَ) كَانَ أَوَّلُ عَقْدِ
- (٥) إِنْ تَجِدِي فِي الْأَوَّلِيَّاتِ عَيْرِيقُ * مَنْ لَهُ مِثْلُ أُولِيَّاتِي وَبَجْدِي؟
- (٦) أَنَا أُمُّ التَّشْرِيعِ قَدْ أَخَذَ الرُّوْ * مَا نُنِي الْأَصُولَ فِي كُلِّ حَدِّ
- (٧) وَرَصَدْتُ النُّجُومَ مُنْذُ أَضَاءَتْ * فِي سَمَاءِ الدُّجَى فَاحْكُمْتُ رَصْدِي
- ٨ وَشَدَا (بَنْتُشُور) فَوْقَ رُبُوعِي * قَبْلَ عَهْدِ الْيُونَانِ أَوْ عَهْدِ (تَجْدِ)

(١) الطوق : الطائفة والجهد . والمتحدى : المعارض الذى ينازعه الغلبة والفخر .

(٢) حال : تغير وتحول . (٣) البردى (بالتشديد وخفف للشعر) : نبات يعمل منه الحصر وكان يصنع منه الورق قديما . (٤) يشير إلى المخالفة التى عقدت بين رمسيس الثانى وملك

الحيثيين سنة ١٢٥٠ ق م على أن يمسكا عن الحروب ، وأن يكونا حديقتين إلى الأبد . وقد حدّدا في تلك المخالفة حدود أملاكهما ، وهى أقدم مخالفة عرفت في التاريخ .

(٥) الأوليات ، أى السنين الأولى . (٦) يشير إلى ما هو معروف من أن المصريين قديما كانوا مصدر القوانين الإدارية ، ومنهم أخذت الأمم المجاورة لهم ، وقد وفد اليهم من واضعى القوانين ليكرخ وصولون اليونانيان ، وعن اليونان أخذ الرومان .

(٧) كان المصريون من أقدم الأمم التى اشتغلت بعلم الفلك ؛ وقد ذكر مؤرخو اليونان أن أهمهم أخذت هذا العلم عن المصريين ؛ وقد عثر في بعض المقابر على آلات للرصد ومصنوعات لشكل السماء ومواقع نجومها . (٨) بَنَامُور : أقدم شاعر عرفه التاريخ ، وهو مصرى . «قبل عهد اليونان» ... الخ ،

أى قبل شعراء اليونان وشعراء العرب .

(١)
وقديما بنى الأساطيل قنوى * ففرقن البحار يمتلئ بندى
(٢)
قبل أسطول (نلسن) كان أسطو * لي سرياً وطالعي غير نكدي
(٣)
فسكوا البحر عن بلاء سيفيني * وسكوا البر عن مواقع جردى
أتراني وقد طويت حياتي * في مراس لم أبلغ اليوم رشدي ؟
(٤)
أى شعب أحق منى بعيش * وأريف الظل أخضر اللون رغدي ؟
أمن العذل أنهم يردون الـ * ماء صفوا وأن يكدر وريدي ؟
أمن الحق أنهم يطلقون الـ * أسد منهم وأن ثقيد أسدي ؟
نصف قرن إلا قليلا أعاني * ما يعاني هوانه كل عبدي
نظر الله لي فأرشد أبنا * في فشدوا إلى العلا أى شد
(٥)
إنما الحق قوة من قوى الله * إن أمضى من كل أبيض هندي
قد صدت العلا بكل آبي * من رجالى فأنجزوا اليوم وعدى
(٦)
أمهروها بالروح فهي عروس * تشنأ المهر من عروض ونقدي

- (١) فرقن البحار : شققها . والبند : العلم الكبير . وقد ذكر المؤرخون أن نحاو من ملوك مصر القدماء ، كان قد أرسل عددا من الملاحين للطواف بسفنهم حول إفريقيا ، فأتهموا سياحتهم في ثلاث سنين .
(٢) نلسن ، هو أمير البحر الإنجليزي الذى أحرق أسطول نابليون بونابرت في موقعة أبي قير المروقة . والنكد : الثوم . (٣) الجرد : الخليل . ويريد الجيش البرية .
(٤) الوارف من الظلال : الواسع المتمد . (٥) الأبيض الهندى : السيف .
(٦) تشنأ : تكره . والعروض : جمع عرض (بالتحريك) ، وهو كل شئ سوى الدرهم والدنانير .

- (١) وَرِدُّوْا بِيْ مَنَايِلَ الْعِزِّ حَتَّى * يَخْطُبُ النَجْمُ فِي الْمَجَرَّةِ وَدَى
(٢) وَأَرْفَعُوا دَوَلِّي عَلَى الْعِلْمِ وَالْأَخْ * لِمَا لَقِيَ فَا لْعِلْمُ وَحَدَهُ لَيْسَ يُجْدِي
(٣) وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ فَالصَّبْرُ إِنْ فَا * رَقَ قَوْمًا فَمَا لَهُ مِنْ مَسَدٍ
(٤) خُلِقَ الصَّبْرُ وَحَدَهُ نَصَرَ الْقَوُ * مَ وَأَغْنَى عَنْ آخِرَتِاجٍ وَعَدٍ
(٥) شَهِدُوا حَوْمَةَ الْوَعْيِ بِنُفُوسٍ * صَارِيَاتٍ وَأَوْجِهٍ غَيْرِ رِيْدٍ
(٦) فَمَحَا الصَّبْرُ آيَةَ الْعِلْمِ فِي الْحَرْ * بِ وَأَنْجَى عَلَى الْقَوِي الْأَشَدَّ
(٧) إِنَّ فِي الْقَرْبِ أَعْيُنًا رَاصِدَاتٍ * كَتَلَهَا الْأَطْمَاعُ فَبِكُمْ بَشَدٍ
(٨) فَوْقَهَا يَجْهَرُ رِيْرُهَا خَفَايَا * كُمْ وَيَطْوِي شُعَاعَهُ كُلَّ بَعْدٍ
(٩) فَاتَّقُواهَا يُجْنِي مَنْ وَثَايِم * غَيْرِ رَثِّ الْعُرَا وَسَفِي وَكَدٍ
(١٠) وَأَصْفَحُوا عَنْ هَنَاتٍ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ * رَبُّ هَافٍ هَفَا عَلَى غَيْرِ عَمْدٍ

- (١) « يخطب النجم... الخ » : كناية عن العلو والرفعة . (٢) يجدي : ينفع .
(٣) من مسد، أى من شئ يقوم مقامه . (٤) يريد « بالقوم » : الإنجليز، وذلك لما
اشتهروا به من الصبر والأناة . (٥) الوعى : الحرب، لما فيها من الجلبة والصوت . وحومتها :
ساحتها . ويريد : عابسة متجهمة ؛ الواحد أريد . (٦) يريد « بآية العلم » : ما آخرته العلم
من أسلحة . وأنجى عليه : أقبل عليه بالإضعاف والإهلاك . ويريد « بالقوى الأشد » : الألمان .
(٧) « كتلها الأطماع... الخ » ، أى إن طمع الغريبين فيكم جعل أعينهم بقطة لاتذوق النوم ، تخمين
بكم القرض . (٨) المجهر : المنظار . (٩) الجنة (بالضم) : ما وقاك في الحرب .
والرث : المال . ويريد « بالرا » : الصلات والروابط ؛ الواحدة عروة . (١٠) الهنات :
جمع هنة ، وهى اليسر المحتمل من الزلات . ويشير بهذا البيت إلى اختلاف الزعماء الذى بدأت بوادره
في ذاك الحين على رئاسة المفاوضات الرسمية .

(١) نَحْنُ نَجْتَازُ مَوْقِفًا تَعَثُّرُ الْآ * رَأَى فِيهِ وَعَثْرَةُ الرَّأْيِ تُرْدَى
(٢) وَنُعِيرُ الْأَهْوَاءَ حَرْبًا عَوَانًا * مِنْ خِلَافٍ وَالْخُلْفُ كَالسَّلِّ يُعْدَى
(٣) وَنُشِيرُ النَّبْوَصَى عَلَى جَانِبَيْهِ * فَيُعِيدُ الْجَهْلُ فِيهَا وَيُبْدَى
وَيُظَنُّ الْغَوَى أَنَّ لَا نِظَامَ * وَيَقُولُ الْقَوِيُّ قَدْ جَدَّ جِدِّي
فَقِفُوا فِيهِ وَقَفَّةَ الْحَزْمِ وَأَرْمُوا * جَانِبَيْهِ بِعَزْمَةِ الْمُسْتَعِدِّ
إِنَّا عِنْدَ بَفْرِ لَيْلٍ طَوِيلٍ * قَدْ قَطَعْنَاهُ بَيْنَ سُهَيْدٍ وَوَجِدٍ
(٤) غَمَرَتْ سُدُودُ الْأَهَاوِيلِ فِيهِ * وَالْأَمَانِيُّ بَيْنَ جَزِيرٍ وَمَدِّ
(٥) وَتَجَلَّى ضِيَاؤُهُ بَعْدَ لَايٍ * وَهُوَ رَمَزُ لَعَهْدِي الْمُسْتَدِّ
(٦) فَاسْتَيْتِنَا قَصْدَ السَّبِيلِ وَجَدُّوا * فَالْمَعَالَى مَغْطُوبَةٌ لِلْجَدِّ

تصريح ٢٨ فبراير

[نشرت في أول إبريل سنة ١٩٢٢ م]

(٧) مَالِي أَرَى الْأَنْهَامَ لَا تُفْتَحُ * وَالرُّؤُصَ لَا يَدْكُو وَلَا يَنْفَحُ
(٨) وَالطَّرِيقَ لَا تَلْهُو بَسْطُوعِيهَا * فِي مُلْكِيهَا الْوَاسِعِ أَوْ تَصْدَحُ

(١) تردى: تهلك . (٢) الحرب العوان: التي قوتل فيها مرة بعد أخرى، كأنهم جعلوا الأول بكراً، وهي أشد الحروب . (٣) الضمير في قوله « جانبيه » يعود على قوله « موقفاً » المتقدم ذكره . (٤) الأهوايل: جمع أهوال . (٥) بعد لأي، أى بعد إبطاء واحتباس ومشقة . (٦) قصد السبيل: الطريق المستقيم . (٧) الأنكام: جمع كم (يكسر الكاف)، وهو غطاء الزهر . ويذكو: تسطع رائحته . وينفح: يفوح طيبه . ويلاحظ أننا لم نجد في كتب اللغة « نفح » بتشديد الفاء؛ فقلل حافظاً رأى هذه الصيغة في كلام بعض المولدين . (٨) تدويم الطائر: تحليقه في الهواء . وتصدح: ترفع صوتها بالغناء .

(١) وَالنَّيْلَ لَا تَرْفُصُ أَمْوَاهُ * فَرَحِي وَلَا يَجْرِي بِهَا الْأَبْطَحُ
(٢) وَالشَّمْسَ لَا تُشْرِقُ وَضَاءً * تَجْلُو هُمُومَ الصَّدْرِ أَوْ تَنْزَحُ
وَالْبَدْرَ لَا يَدْعُو عَلَى نَفْسِهِ * مِنْ بَسَامَاتِ الْيَمِينِ مَا يَشْرَحُ
(٣) وَالتَّجَمَّحَ لَا يَزْهَرُ فِي أَفْقِهِ * كَانَهُ فِي غَمْرَةٍ يَسْبَحُ
(٤) أَلَمْ يَجْهَرْ نَبَأُ جَاءَنَا * بَأَن مِصْرًا حُرَّةٌ تَمْرَحُ؟
أَصْبَحْتُ لَا أَدْرِي عَلَى خَيْرَةٍ * أَجَدَّتِ الْأَيَّامُ أَمْ تَمْرَحُ؟
أَمَوْقِفٌ لِيَدِّ تَجْتَازُهُ * أَمْ ذَاكَ لِلْإِمَامِيِّ بِنَا مَسْرَحُ؟
(٥) أَلَمْحُ لَأَسْتَقِلَّ لَنَا لَمَعَةً * فِي حَالِكِ الشُّكِّ فَاسْتَرْوَحُ
وَتَطْيِسُ الظُّلُمَةَ أَنَارَهَا * فَأَنْتَنِي أَنْيَكُرُ مَا أَلَمْحُ
(٦) قَدْ حَارَتِ الْأَفْهَامُ فِي أَمْرِهِمْ * إِنْ لَمْحُوا بِالْقَصْدِ أَوْ صَرَحُوا
(٧) فَقَائِلُ لَا تَعْجَلُوا إِنَّا كُمْ * مَكِينُكُمْ بِالْأَمْسِ لَمْ تَبْرَحُوا
وَقَائِلُ أَوْسَعُ بِهَا خُطْوَةٌ * وَرَاءَهَا الْغَايَةُ وَالْمَطْمَحُ
وَقَائِلُ أَسْرَفَ فِي قَوْلِهِ : * هَذَا هُوَ اسْتِقْلَالُكُمْ فَأَفْرَحُوا

(١) الأمواه : جمع ماء . والأبطح : المسيل الواسع لاء . (٢) وضاء : ذات حسن وبهجة . وتزح (من بابي منع وضرب) ، أى تنزح الهم وتخفيه وتذهب ، وأصله من نزح البئر ، وهو الاستقاء من مائها حتى ينفذ أو يقل . (٣) يزهر : يضيء ، ويتلأأ . ويريد «بالغمرة» : الماء الكثير . (٤) تمرح : من المرح (بالتحريك) ، وهو شدة الفرح . (٥) الحالك : الشديد السواد . واستروح إلى الشيء : سكن إليه واطمان . (٦) الضمير في «أمرهم» للإنجليز . (٧) لا تميطوا ، أى لا تعجلوا بالفرح وهتة بعضكم بعضاً بهذا الاستقلال المزعم ، فإن حالتكم لم يغيرها هذا التصريح .

إِنْ تَسْأَلُوا الْعَقْلَ يَقُلْ عَاهِدُوا * وَاسْتَوْثِقُوا فِي عَهْدِكُمْ تَرْجِعُوا
 (١) وَأَسْأَلُوا دَارًا لِنُؤَايِكُمْ * لِلرَّأْيِ فِيهَا وَالْجَحَا أُنْسِحُوا
 وَلِتَذْكُرِ الْأُمَّةُ مِيثَاقَهَا * أَلَّا تَرَى عِزَّهَا تُجْرَحُ
 وَتَتَخَبَّ صَفْوَةَ أُنْبِيَائِهَا * فَنُفُومُ الْمُخْلِصِ وَالْمُصْلِحِ
 (٢) وَلِيَتَّقِ اللَّهَ أُولُو أَمْرِهَا * أَنْ يُسَكِّتُوا الْأَصْوَاتَ أَوْ يُرْفَعُوا

+

(٣) أَوْ تَسْأَلُوا الْقَلْبَ يَقُلْ حَازِرُوا * وَصَابِرُوا أَعْدَاءَكُمْ تُفْلِحُوا
 (٤) إِنِّي أَرَى قَيْدًا فَلَا تُسْلِمُوا * أَيْدِيَكُمْ فَالْقَيْدُ لَا يُسَجِّحُ
 إِنْ هَيَّأُوهُ مِنْ حَرِيرٍ لَكُمْ * فَهَوَّلَى لَيْنٍ بِهِ أَفْذَحُ
 (٥) حَتَّامٌ - وَالصَّبْرُ لَهُ غَايَةٌ - * لَنَفِيرِنَا مِنْ يَثْرِنَا نَمْتَحُ؟
 (٦) حَتَّامٌ - وَالْأَمْوَالُ مَشْقُوهَةٌ - * نَمْتَحُ إِلَّا (مِصْرَ) مَا نَمْتَحُ؟
 حَتَّامٌ يُمِضِي أَمْرَنَا غَيْرِنَا * وَذَلِكَ بِالْأَحْرَارِ لَا يَمْلَحُ؟

- (١) يلاحظ أننا لم نجد فيما بين أيدينا من كتب اللغة أنه يقال : أنسحت له في المكان (بالهمز في أوله) ، والذي وجدناه أنه يقال : فسحت له فيه . قال تعالى : (فافسحوا ففسح الله لكم) .
 (٢) يريد بقوله « يرغوا » : أنهم ينفون من خالفهم في سياستهم إلى ربح (بالتحريك) ، وهي مدينة على ساحل البحر الأبيض المتوسط معروفة ، كما كانوا يفعلون قبل هذا التصريح .

- (٣) صابروا أعداءكم ، أي غالبوهم في الصبر .
 (٤) لا يسجح ، أي لا يفرج عن تقيده ولا يفلته .
 (٥) متح الماء من البحر يمتحه متحا : استخرجه منها .
 (٦) المشقوة : الذي كثرت عليه الأيدي حتى استنفدت .

(١) أَسَاءَ بَعْضُ النَّاسِ فِي بَعْضِهِمْ * ظَنَّا وَقَدْ أَمْسَوْا وَقَدْ أَصْبَحُوا
(٢) فَاتَّهَزَتْ أَعْدَاؤُنَا نُهْزَةً * فِينَا وَمَا كَانَتْ لِمَنْ تَسْحُ
فَلَرَأَى كُلُّ الرَّأْيِ أَنْ يُجْعُوا * فَلَمَّا اجْتَمَعُكُمْ أَرَبَّجْ
(٣) وَكُلٌّ مَنْ يَطْمَعُ فِي صَدْعِكُمْ * فَإِنَّهُ فِي صَخْرَةٍ يَنْطَحُ
أَخْشَى إِذَا اسْتَكْثَرْتُمْ بَيْنَكُمْ * مِنْ قَادَةِ الْآرَاءِ أَنْ تُفْضَحُوا
فَلْتَقْصِدُوا مَا أَسْطَعْتُمْ فِيهِمْ * فَلَمَّا فِي الْقِلَّةِ الْمُنَجَّحُ

عيد الاستقلال

[نشرت في ١٥ مارس سنة ١٩٢٣ م تحت عنوان : (بين البقطة والمنام)]

(٤) أَشْرِقَ فَدَتَكَ مَشَارِقُ الْإِصْبَاجِ * وَأَيْطُ لِنَامَكَ عَنْ نَهَارِ ضَاحِي
بُورِكَتَ يَوْمِ الْخَلَاصِ وَلَا وَنَتْ * عَنْكَ السُّعُودُ بَغْدُودِيَّةً وَرَوَاجِ
(٥) بِاللَّهِ كُنْ يُمْنًا وَكُنْ بُشْرَى لَنَا * فِي رَدِّ مُغْتَرِبٍ وَفَكَ سَرَاجِ

- (١) يشير بهذا البيت إلى اختلاف الأحزاب السياسية . وغير « أمسوا » « وأصبحوا » مخلوف .
العلم به ، أي أمسوا وأصبحوا يتبادلون سوء الظن واتهام بعضهم بعضا بالحياة .
(٢) النهضة : الفرصة . وتسح : تلوح . (٣) يقال : فطح في حفرة ، إذا صعب عليه
ما يريد من صدع وأنشقاق . وأصله من قول الأعشى :
كناطح حفرة يوما ليوهنا * فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل
(٤) أيط لنامك ، أي أكشف قناعك ؛ يخاطب عيد الاستقلال . والنهار الضاحي : المشرق .
(٥) يشير بقوله « في رد مغترب ... الخ » : إلى المنفور له سعد زطول باشا وكان مفتيا إذ ذاك
في جبل طارق بعد أن كان مع صحبه في جزيرة سيشل .

(١) أَقْبَلْتَ وَالْأَيَّامُ حَوْلَكَ مَثَلٌ * صَفَيْنِ تَحْطِرُ خَطَرَةَ الْمَيَّاجِ
(٢) وَخَرَجْتَ مِنْ مَجْجِبِ الْغُيُوبِ مَحْجَلًا * فِي كُلِّ لَحِظٍ مِنْكَ أَلْفُ صَبَاحِ
(٣) لَوْ صَحَّ فِي هَذَا الْوُجُودِ تَسَاخُجٌ * لَرَأَيْتُ فِيكَ تَسَاخُجَ الْأَرْوَاحِ
(٤) وَلَكُنْتُ يَوْمَ (اللابرنْت) بَيْنَيْنِهِ * فِي عِزَّةٍ وَجَلَالَةٍ وَسَمَاجِ
(٥) يَوْمَ يُرِيكَ جَلَالَهُ وَرُؤَاؤُهُ * فِي الْحُسْنِ قُدْرَةَ فَالِقِ الْإِصْبَاحِ
(٦) خَلَعْتَ عَلَيْهِ الشَّمْسُ حُلَّةَ عَسَجِدٍ * وَجَبَاهُ (آذَارُ) أَرْقٍ وَشَاجِ
(٧) اللَّهُ أَثْبَتَهُ لَنَا فِي لَوْحِهِ * أَبَدَ الْأَيْسِدِ فَمَا لَهُ مِنْ مَائِي
(٨) حَيِّهِ عَنَّا يَا أَزَاهِرُ وَأَمْلَى * أَرْجَاءَهُ بِأَرْيَمِكَ الْفَوَاجِ
(٩) وَأَنْفَعَهُ عَنَّا يَا رَيْعُ بِكُلِّ مَا * أَطْلَعْتَ مِنْ رَيْدٍ وَتَوَّرَ أَقَاجِ
(١٠) نَيْهَ يَا (فَوَادُ) خَوَلَّ عَرَشِكَ أَقْنَةُ * عَقَدَتْ خَنَاصِرَهَا عَلَى الْإِصْلَاحِ
أَبْنَاؤُنَا - وَهُمْ أَحَادِيثُ النَّدَى - * لَيْسُوا عَلَى أَوْطَانِهِمْ بِشِجَاجِ
صَبَرُوا عَلَى مَرِّ الْخُطُوبِ فَأَدْرَكُوا * حُلُومُنِي مَعْسُولَةَ الْأَقْدَاجِ

- (١) الميَّاج : المتبخر في مشيته ، وهو ضرب حسن من المني . (٢) محجلا : مضينا .
وأصله من التحجيل في الخيل ، وهو يبيض في قوائمها . (٣) اللابرنْت : قصر آمنحبت الثاني الذي
اشتهر في قديم الزمان بعظمته ، وكان مقرا للحكومة . ويريد « بيومه » : أيام آمنحبت التي كانت كلها
خيرا وبركة على مصر . (٤) فالق الإصباح ، هو الله تعالى . (٥) المسجد : الذهب . وآذار :
شهر من شهور السنة المسيحية معروف ، تكثر فيه الأزهار . (٦) أبد الأيسد : نهاية عن الدوام .
(٧) أريج الزهر : رائحته . (٨) الرند : شجر طيب الرائحة من شجر البادية . والأفاحي : جمع
أفحوان ، وهو نبات له زهر أبيض ، وأوراق زهره صغيرة مغلفة ، وتشبه به الثغور . (٩) عقد
الخناسر على الأمر : نهاية عن الإجماع على القيام به . (١٠) الندى : الجود . وشجاء : بخلاء .

- (١)
شاكي سلاح الصبر ليس بأعزل * يغزوه رب عوايل وصفاح
الصبر - إن فكرت - أعظم علة * والحق - لو يدرون - خير سلاح
(٢)
قد أنكروا حق الضعيف فهل أتى * إنكار ذلك الحق في إصباح ؟
(٣)
كم خدرت أعصاب مضر نوافح * لوعودهم كنوافح التفاح
(٤)
فتعلل المصيرى معتبطا بها * أرايت طفلا علوه يداح ؟
(٥)
وتأفقوا في الخلف حتى أصبحت * أقوالهم تدرى بغير رياح
(٦)
لما تنبه بالمكانة نائم * وأصابت بالشكوى الأليمة صاحي
(٧)
وتكشفت تلك الغيايب وأنطوت * وبدت شمس الحق وهي ضواحي
(٨)
عليها بجمد الله أنك قرارنا * في ظل غير الله غير مناج
فاليوم قرى يا مكانة وأهدى * حرم الكنانة لم يكن بمناج
من ذا يغير على الأسود يغابها * أو من يعوم بمسبح التمساح ؟

(١) شاكي سلاح الصبر، أى المتسلح به . والعوايل : هى صدور الرياح مما يلى أستها ؛ الواحد حامل وعاملة . والصفاح : السيوف . يقول : إن الصبور متسلح ليس بأعزل يطمع فيه ذوالرج والسيف .
(٢) الإصباح : من الأقسام التى تنقسم إليها أسفار التوراة والانجيل . يقول : هل أحل لكم إنكار حق الضعيف فى كتاب سمارى ؟
(٣) نوافح التفاح : روائحه . وكان الشاعر يعتقد أن قفحة التفاح منومة ، فكان لهذا يكثر من شبه وأكله ، قل ذلك عنه أحد من أتصلوا به .

(٤) الداح : نقش يلوح به الصبيان يعللون به .

(٥) تأفقوا فى الخلف ، أى اتفقوه . وتدرى : تطير وتكثر . (٦) أصابت : صوت وصاح .
(٧) الغيايب : الغلطات ؛ الواحد غيب . والضواحي : المشرقة . (٨) غير مناج : غير ممكن .

- (١)
للتَّيْلِ تَجَدُّ فِي الزَّمَانِ مُؤْتَلٌ * مِنْ عَهْدِ (أُمُونِ) وَعَهْدِ (فَتَاحِ)
فَسَلِ الْعُصُورَ بِهِ وَسَلِ آثَارَهُ * فِي (مِصْرَ) كَمْ شَهِدَتْ مِنَ السَّيَاحِ
(٢)
يَا صَاحِبَ الْقُطْرَيْنِ غَيْرِ مُدَافِعٍ * مَا مِثْلُ سَاحِكَ فِي الْعَلَا مِنْ سَاحِ
(٣)
لَمْ يَتَدَنَّورٌ فَوْقَ نُورٍ يُخْتَلَى * كَالسَّاحِجِ فَوْقَ جَبِينِكَ الْوَضَاحِ
(٤)
ذَكَرْتَ بَعْرِيكَ (مِصْرُ) يَوْمَ وَلَيْتَهُ * عَرَشَ (الْمُعِزِّ) بِهَا وَعَرَشَ (صَلَاحِ)
(٥)
فِي كُلِّ قُطَيْرٍ مِنْ جَلَالِكَ رَوْعَةٌ * وَلِكُلِّ قُطَيْرٍ مِنْكَ ظِلٌّ جَنَاحِ
لَكَ (مِصْرُ) وَ (السُّودَانُ) وَ النَّهْرُ الَّذِي * يَنْتَالُ بَيْنَ رَبِّي وَ بَيْنَ يَطَاحِ
(٦)
وَبَوَاسِقُ (السُّودَانِ) تَشْهَدُ أَنَّهَا * غُرِسَتْ بِعَهْدِ جُدُودِكَ الْفَتَاحِ
(٧)
لَا غُرُوفَانِ غَنَّى بِمَدْحِكَ صَائِحٌ * أَوْ مُسَيِّجٌ فِي حَلْبَةِ الْمُدَّاحِ
(٨)
حُسْنُ الْغِنَاءِ مَعَ الصَّيَاحِ كُفِّنَتْهُ * عِنْدَ الْخَيْبِ بِهِ مَعَ الْإِسْبَاحِ

- (١) المؤتل : المؤصل الثابت . وأمون : كان أجل معبود لقدما المصريين حتى عهد اخناتون ، وكان اسمه يدج في أسماء الملوك ، فيقال : أمينحوب . وفتاح : يريد به مفتاح بن رمسيس الثاني .
(٢) صاحب القطرين : ملك مصر والسودان . (٣) يجلى : يرى .
(٤) يريد « بالمعز » : المعز لدين الله الخليفة الفاطمي المعروف . و « بصلاح » : السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب .
(٥) يشير بهذا البيت الى عطف المغفور له (الملك فؤاد) على أقطار الشرق .
(٦) البواسق : الأشجار المرتفعة ؛ الواحدة : باسقة .
(٧) مسيج ، الصواب فيها : ساجح ، أى ساجع في غنائه كما تسجع الحمامة ، اذ المستعمل في هذا المعنى « مسيج » لا « أمسيج » . يقول : سيات من رفع صوته بمدحك ، أو من أرسله في هدوه ولين .
(٨) يريد بالإسباح : السجع بالغناء ، وقد تقدم التنبيه على خطأ هذا الاستعمال في الحاشية التي قبل هذه .

- (١) أولم يكن لك ملك مصر ونيلها * ينساب بين مروجها الأفياح؟
 (٢) منضورة الجنات حالية الربا * مطلولة السرحات والأرواح
 (٣) قد قال (عمرو) في تراها آية * مأثورة قُشِتْ على الألواح:
 بينا تراه لآلينا وكأنا * ثُرت بئرته عُودٌ مِلاج
 وإذا به للناظيرين زمرد * يشفيك أخضره من الأترج
 (٤) وإذا به مسك تُسَقُّ سواده * شقّ الأديم عارث الفلاج
 البركان تهبّت أسبابه * لم يبق من سبب سوى المفتاح
 هو في يدك وديدة رعية * تُثني باليسنة عليك فصاح
 (٥) ردّ الوديدة يا (قواد) فلأنا * ردّ الوديدة شيمة المسباح
 (٦) وأنقض بسبعك يا (قواد) إلى العلا * وإلى مكان في الوجود برّاج

(١) المروج : الأراضي الواسعة فيها نبت كثير . والأفياح ، أى الواسعة .

- (٢) منضورة : حسنة بهيبة ، وبجالية الربا ، أى مكسرة المرتفعات بأنواع الزهر والنبات . ومطلولة ، أى أصابها الطل ، وهو المطر الضعيف الخفيف . والسرحات : جمع سرحة ، وهى الشجرة العظيمة . والأرواح : الرياح . (٣) يريد "عمرو" : عمرو بن العاص فاتح مصر . ويشير "بالآية" : الى ما روى من أن عمرا وصف مصر لأُمير المؤمنين عمر بن الخطاب ومما سمعا معروفا جاء منه هذه المعاني التى يضمها الشاعر الأبيات الثلاثة الآتية بهد . (٤) يشير بهذا البيت والبيتين اللذين قبله الى أحوال ثلاث : حال تربة مصر أيام الفيضان والماء يفسرها ، ثم حالها وقد تكشفت عنها المياه وكسا النبات الأخضر أرضها ، ثم حالها بعد الحصاد وقد بانّت الأرض جردا . سوداء ، فشبهها فى الحالة الأولى بالؤلؤ فى بياضه ، وفى الثانية بالزمرد فى خضرته ، وفى الثالثة بالمسك فى سواده . وقد وردت هذه المعاني فى وصف عمرو لمصر . (٥) المسباح : الكثير المسباح . (٦) البراج : المكان الذى لاسترة فيه من شجر وغيره ؛ يريد مكانا ظاهرا للعالم .

- (١) فَاللهُ يَنْهَدُ وَالْخَلَائِقُ أَنَّنَا * طَلَّابُ حَقٍّ فِي الْحَيَاةِ صِرَاحٍ
(٢) هَذَا مَنَارُ الْبَرَكَايَ أَمَامَكُمْ * هُدَى السَّبِيلِ كَلْبَرَةِ الْمَلَّاحِ
(٣) فَيَمِّمُوهُ مُخْلِصِينَ فَمَا لَكُمْ * مِنْ دُونِهِ مِنْ غِبْطَةٍ وَفَلَاحِ
(٤) الْقَفْصُ لِلشُّورَى وَتِلْكَ هِيَ الَّتِي * تَزَعُ الْهَوَى وَتَرُدُّ كُلَّ جِحَاحِ
هِيَ لَا تَقْضِلُ سَبِيلَهَا فَكَأَنَّمَا * خُلِقَ السَّبِيلُ لَهَا بِغَيْرِ نَوَاحِ
(٥) هِيَ - لَا بَرَّاحَ - تَرُدُّ كَيْدَ عَدُوِّكُمْ * وَتَقْلُ غَرْبَ الْغَاصِبِ الْمُجْتَاحِ
(٦) فَتَكْفُوهُ الشُّورَى عَلَى أَسْتِقْلَالِكُمْ * فِي الرَّأْيِ لَا تُوجِيهِ تَزَعُهُ وَاحِ
وَيَدُّ الْإِلَهَ مَعَ الْجَمَاعَةِ فَأَضِرُّوْا * بَعْصَا الْجَمَاعَةِ تَنْظَفُرُوا بِجِحَاحِ
(٧) كُونُوا رِجَالًا حَامِلِينَ وَكَذَّبُوا * وَالصَّبْحُ أَبْلَجُ ، حَامِلِ الْمَصْبَاحِ
وَدَعُوا التَّخَاذُلَ فِي الْأُمُورِ فَلِئِمَّا * شَبَّحَ التَّخَاذُلَ أَنْكَرَ الْأَشْبَاحِ

- (١) الصراح (بالكسر) وهو أفصح من (الضم والفتح) : المحض الخالص الذي لا شائبة فيه .
(٢) إبرة الملاح : هي التي يتبين بها الجهات ويهتدى بها في السير .
(٣) تيمموه ، أى اقصدا إليه .
(٤) تزع الهوى : تكفه وتزيره .
(٥) لا برّاح ، أى لا ريب . وتقل : تنلم وتكسر . والغرب : الحد .
(٦) تكفوها الشورى : أحيطوا بها والزموها . وقوله « لا توجيه تزعها واحى » ، أى اصدروا عن رأيكم ولا تلتقوا الأمر عن غيركم . والواحى : من وحيت إليه الكلام ، بمعنى أوجيته إليه .
(٧) يريد « بحامل المصباح » : الفيلسوف اليونانى ديوجينيس المولود سنة ٤١٢ ق م والمتوفى سنة ٣٢٣ ق م . وكان قد خرج يوما في رافعة النهر يحمل مصباحا يبحث عن رجل . يقول : كذبوا هذا الفيلسوف الذى ينكر وجود رجل يعتمد به ويعتمد عليه .

(١) والله ما بلغ الشقاء بنا المدى * بسوى خلاف بيننا وتلاحي
(٢) ثم يابن (مصر) فانت حراً واستعد * تجدد الجدود ولا تعد ليراج
شمر وكافح في الحياة فهذه * ذنباك دار تنأى وكفاج
(٣) وانهل مع النهل من عذب الحيا * فاذا رقا فامتح مع النجاج
(٤) وإذا ألح عليك خطب لا تهن * واضرب على الإلحاج بالإلحاج
وحض الحياة وإن تلامم موجها * تخوض البحار رياضة السباح
(٥) واجعل عيانك قبل خطوك رائدا * لا تحسب الغمر كالضخضاج
(٦) وإذا اجتوتك محلة وتكسرت * لك فاعدها واترج مع النجاج
في البحر لا تثليك نار بوايج * في البر لا يلويك غاب رماج
(٧) وأنظر إلى الغربى كيف سمت به * بين الشعوب طيعة الكداج
والله ما بلغت بنو الغربى المنى * إلا يليات هناك ميجاج
(٨) ركبوا البحار وقد تجدد ماؤها * والجووين تناوح الأرواج

- (١) التلاحي : الضاحك . (٢) يريد « بالمراح » : الأخذ في أسباب الفرح والبهجة .
(٣) انهل : اشرب ، من النهل (بالتحريك) ، وهو السقية الأولى . والحيا : المطر . رقا (مسبل من رقا بالهمز) ، بمعنى جف واقطع . والتمح : ترح الماء من البئر . ينصح المصرى بأن يرد موارد الحياة مهلهما وصعبا . (٤) لا تهن ، أى لا تذل ولا تضعف . (٥) الغمر : الماء الكثير . والضخضاج : الماء القريب الغور . (٦) اجتواه : كرهه . يقول : إذا بنا بك منزل ، وتعدرت عليك الإقامة به فاجهره إلى غيره وارتمل منه مع المرتحلين . (٧) الكداج : الجادا المجتهد في العمل .
(٨) تناوح الأرواج : اختلاف مهاب الرياح .

- (١) والبرّ مَصْهُورَ الْحَصَى مُتَابِجًا * يَرْمِي بِتَزَاجِ الشَّوَى لَوَاجِ
(٢) يَلْتَقِي فِيهِمُ الزَّمَانُ بِهَمَّةٍ * عَجَبٌ وَوَجْهٌ فِي الْخُطُوبِ وَقَاجِ
(٣) وَيُسْقَى أَجْوَازَ الْفَقَارِ مُغَامِرًا * وَغُرُ الطَّرِيقِ لَدَيْهِ كَالصَّحْصَاحِ
(٤) وَأَبْنُ الْكِنَانَةِ فِي الْكِنَانَةِ رَاكِدٌ * يَرْتَوِ بَعَيْنٌ غَيْرِ ذَاتِ طِمَاحِ
(٥) لَا يَسْتَغْلِلُ - كَمَا عَلِمْتَ - ذَكَاءَهُ * وَذَكَاءُهُ كَالْخَاطِيفِ اللَّاحِ
(٦) أَمْسَى كِأَمِّ النَّهْرِ ضَاعَ فُرَاتُهُ * فِي الْبَحْرِ يَنْبِجُ أَجَاجُهُ الْمُتَدَاحِ
(٧) فَانْهَضَ وَدَعَا شَكْوَى الزَّمَانِ وَلَا تَنْشُحُ * فِي فَادِجِ الْبُؤْسَى مَعَ الْأَنْوَاجِ
(٨) وَأَرْبَحُ لِمَصْرَبِ رَأْسِ مَالِكٍ عِزَّةً * إِنِّ الدَّكَاءَ جُبَالَةُ الْأَرْبَاجِ
(٩) وَإِذَا رُزِقْتَ رَأْسَةً فَانْسُجْ لَهَا * بُرْدَيْنِ مِنْ حَزِيمٍ وَمِنْ إِنْجَاجِ
(١٠) وَاشْرَبْ مِنَ الْمَاءِ الْقَرَّاحِ مُنْعَمًا * فَلَكُمْ وَرَدَّتْ الْمَاءَ غَيْرَ قَرَّاحِ

- (١) المصهور : الذى أصابه الحزن وحى عليه . والمتابجج : المتعب . والشوى : اليدان والريطلان
ونحف الرأس . يصف البر بأنه يقذف بجزء شديد ينزع الشوى . وفي القرآن في وصف النار : (كلا إنها
لظى نزاغة للشوى) . ولواح : أى حتر مغبر للألوان . (٢) وقاج : مجترى .
(٣) أجواز الفقار : أوساطها ؛ الواحد جوز . والصحصاح : ما استوى من الأرض .
(٤) يرتو : ينظر . والطاح : الطموح والتطلع إلى المجد .
(٥) الخاطيف اللاح : البرق .
(٦) القرات : العذب . والأجاج : الشديد الملوحة . والمتداح : المنبسط المتسع .
(٧) يقال : فدحه الأمر ، إذا أثقله وبهظه . والأنواح : النائمات .
(٨) جبالة الصائد : الشرك الذى يصيده .
(٩) الإنجاج : حسن العفو .
(١٠) الماء القراح : الصافي الخالص . يريد العيش الصافي من الأكدار .

من قصيدة في شؤون مصر السياسية

قالها في عهد وزارة إسماعيل صدق باشا

وقد نظمها حافظ بعد إحالة إلى المعاش في سنة ١٩٣٢ م وكانت تبلغ نحو مائتي بيت
لم نشر منها إلا على هذه الأبيات

قَدْ مَرَّ عَامٌ يَا سَعَادُ وَعَامٌ * وَأَبْرُنُ الْكِتَابَةِ فِي حِمَاهُ يُضَامُ
صَبَّوْا الْبَلَاءَ عَلَى الْعِبَادِ فَنُصِفُهُمْ * يَجِبِي الْبِلَادَ وَنُصِفُهُمْ حُكَّامُ
أَشْكُو إِلَى (قَصْرِ الدُّبَارَةِ) مَا جَنَى * (صَدَقِي الْوَزِيرِ) وَمَا جَنَى (عَلَامُ)^(١)

ومنها في الإنجيز :

قُلْ لِلْحَايِدِ هَلْ شَهِدْتَ دِمَاءَنَا * تَجْرِي وَهَلْ بَعْدَ الدِّمَاءِ سَلَامُ؟^(٢)
سُفِكَتْ مَوَدُّتُنَا لَكُمْ وَبَدَأْنَا * أَنْتَ الْحَيَادَ عَلَى الْخِلَاصِ لِشَامُ
إِنَّ الْمَرَايِلَ شَرُّهَا لَا يُتَّقَى * حَتَّى يُنْفَسَ كَرْهِي صَامُ^(٣)
لَمْ يَبْقَ فِينَا مَنْ يُمَيِّتُ نَفْسَهُ * يُوَدِّدُكُمْ فَيُوَدِّدُكُمْ أَحْلَامُ
أَمِنْ السِّيَاسَةِ وَالْمُرُوءَةِ أَنَّنَا * نَسْقَى بَكُمْ فِي أَرْضِنَا وَنُضَامُ
إِنَّا بَجَعْنَا لِلْجِهَادِ صُفُوفَنَا * سَمُّوتُ أَوْ تَحْيَا وَنَحْنُ كِرَامُ

ومنها في مخاطبة إسماعيل صدق باشا :

وَدَعَا عَلَيْكَ اللَّهُ فِي غَمْرَاهِ * الشَّيْخُ وَالْقِسِيُّ وَالْحَاخَامُ
لَا هُمْ أَحَى ضَمِيرُهُ لِيَذُوقَهَا * غُصَصًا وَتَلَسَّفَ نَفْسَهُ الْآلَامُ

(١) يريد محمد علام باشا وزير الزراعة إذ ذاك ووكيل حزب الشعب - ويشير بقوله «وما جني علام» :
إلى ما كانوا يجربونه من الأموال إغاثة لحزب الشعب . (٢) أشار بقوله «الحايد» : إلى أن الانجيز في هذه
الفترة التي قيلت فيها هذه الأبيات كانوا يدعون الحياد في الشؤون المصرية . (٣) المراجع : القدور-

إلى الإنجليز :

[نشرت في ٩ مارس سنة ١٩٣٢ م]

(١) بَنَيْتُمْ عَلَى الْأَخْلَاقِ آسَاسَ مُلْكِكُمْ * فَكَانَ لَكُمْ بَيْنَ الشُّعُوبِ ذِمَامٌ
(٢) فَمَا لِي أَرَى الْأَخْلَاقَ قَدْ شَابَ قَرْنُهَا * وَحَلَّ بِهَا ضَعْفٌ وَدَبَّ سَقَامٌ
أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَثْرَةَ بَعْدَ نَهْضَةٍ * فَلَيْسَ لِمُلكِ الظَّالِمِينَ دَوَامٌ
أَضَعْتُمْ وِدَادًا لِرُحْمَتِهِمْ هُوْدَةً * لَمَّا قَامَ بَيْنَ الْأُمَمِينَ خِصَامٌ
(٣) أَبْعَدَ حَيَادٍ لَا رَعَى اللَّهُ عَهْدَهُ * وَبَعْدَ الْجُرُوحِ النَّاهِرَاتِ وَثَامٌ
(٤) إِذَا كَانَ فِي حُسْنِ التَّفَاهِيمِ مَوْتُنَا * فَلَيْسَ عَلَى بَاغِي الْحَيَاةِ مَلَامٌ

إلى المندوب السامي

[نشرت في ١١ مارس سنة ١٩٣٢ م]

(٥) أَلَمْ تَرَفِ الطَّرِيقَ إِلَى (كِيَادِ) * تَصِيدُ الْبَطْلَ بُوَسَّ الْعَالَمِينَ؟
أَلَمْ تَلْمَحْ دُمُوعَ النَّاسِ تَجْرِي * مِنْ الْبَلَاوِ أَلَمْ تَسْمَعْ أَيْلِينَ؟
أَلَمْ تُخَيِّرْ بَنِي التَّامِيزِ عَنَّا * وَقَدْ بَعَثُوكَ مَسْدُوبًا آمِينَ
بَأَنَّا قَدْ لَمَسْنَا الْقَدَرَ لَمَسًا * وَأَصْبَحَ فَلَنَّا فِيكُمْ يَقِينًا؟

- (١) الذمَام : الحق والحرمة . (٢) القرن : الذلابة من الشعر .
(٣) الناهرات : الداميات . (٤) يقول : إذا كان حسن التفاهم بيننا وبينكم فيجب
لنا الموت بالذل والاستعباد كان سوء التفاهم خيرا لنا ، لأن فيه حياتنا . (٥) كياد : بركة بإقليم
الشرقية اعتاد أن يذهب إليها المندوب السامي وحاشيته لاصطياد بعض أنواع الطيور .

أولم يكن لك ملكٌ مِصرَونيلها * ينسابُ بين مروجيها الأفياج؟^(١)
 منضورة الجنات حالية الربا * مطلولة السرحات والأرواج^(٢)
 قد قال (عمرو) في تراها آية * مأثورة نُقِشت على الألواح^(٣)
 بينا تراه لآلئاً وكأتما * ثُرث بُرثته عُقودٌ مِلاج
 وإذا به للناطيرين زُمرد * يشفيك أخضره من الأترج
 وإذا به مسكٌ تُشقى سواده * شقُّ الأديم عارثُ الفلاج^(٤)
 البرلك تهيأت أسبابه * لم يبق من سببِ سوى المفتاح
 هو في يديك وديعة لرعية * تُثنى بالسنة عليك فصاج
 ردُّ الوديعة يا (فؤاد) فإتما * ردُّ الوديعة شيمة المساج^(٥)
 وأنهنس بشعبك يا (فؤاد) إلى العلا * وإلى مكانٍ في الوجودِ براج^(٦)

(١) المروج : الأراضي الواسعة فيها نبت كثير . والأفياج ، أى الواسعة .

(٢) منضورة : حسنة بهيجة . وحالية الربا ، أى مكسوة المرتفعات بأنواع الزهر والنبات . ومطلولة ، أى أحابها الطل ، وهو المطر الضعيف الخفيف . والسرحات : جمع سرعة ، وهى الشجرة العظيمة . والأرواج : الرياح . (٣) يريد "عمرو" : عمرو بن العاص فاتح مصر . ويشير "بالآية" : الى ما روى من أن عمرا وصف مصر لأُمير المؤمنين عمر بن الخطاب وصفا معما معروفا جاء منه هذه المعاني التى يضمها الشاعر الأبيات الثلاثة الآتية بعد . (٤) يشير بهذا البيت والبيتين اللذين قبله الى أحوال ثلاث : حال تربة مصر أيام الفيضان والماء يفسرها ، ثم حالها وقد تكتشف عنها المياه وكسا النبات الأخضر أرضها ، ثم حالها بعد الحصاد وقد باتت الأرض جرداء سوداء ، فشجها في الحالة الأولى باللؤلؤ في بياضه ، وفي الثانية بالزمرد في خضرته ، وفي الثالثة بالمسك في سواده . وقد وردت هذه المعاني في وصف عمرو لمصر . (٥) المساج : الكثير المساج . (٦) البراج : المكان الذى لاسترة فيه من شجر وغيره ؟ يريد مكانا ظاهرا للعالم .

- (١)
فَاللَّهُ يَشْهَدُ وَالْخَلَائِقُ أَنَّنَا * طَلَبُ حَقٍّ فِي الْحَيَاةِ صِرَاحِ
(٢)
هَذَا مَنَارُ الْبَرْكَاتِ أَمَامَكُمْ * لَهْدَى السَّبِيلِ كَلْبَرَةِ الْمَلَاكِ
(٣)
فَتَيْمُّوهُ مُخْلِصِينَ فَا لَكُمْ * مِنْ دُونِهِ مِنْ غِبْطَةٍ وَقَلَاكِ
(٤)
الْفَصْلُ لِلشُّورَى وَتِلْكَ هِيَ الَّتِي * تَزْعُ الْهَوَى وَتَرُدُّ كُلَّ حِجَاجِ
هِيَ لَا تَفْضُلُ سَبِيلَهَا فَكَأَنَّمَا * خُلِقَ السَّبِيلُ لَهَا بِغَيْرِ نَوَاحِي
(٥)
هِيَ - لَا بَرَّاحَ - تَرُدُّ كَيْدَ عَدُوِّكُمْ * وَتُقْلُ غَرْبَ الْغَاصِبِ الْمُجْتَاجِ
(٦)
فَتَكْنُفُوا الشُّورَى عَلَى أَسْتِقْلَالِكُمْ * فِي الرَّأْيِ لَا تُوجِهِ بِهِ نَزْعُهُ وَاحِي
وَيَدُ الْإِلَهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ فَأَضْرِبُوا * بَعْصَا الْجَمَاعَةِ تَنْظَفَرُوا بَنَجَاجِ
(٧)
كُونُوا رِجَالًا حَامِلِينَ وَكُذِّبُوا * وَالصَّبْحُ أَبْلَجُ ، حَامِلِ الْمَصْبَاحِ
وَدْعُوا التَّخَاذُلَ فِي الْأُمُورِ فَإِنَّمَا * شَبَّحُ التَّخَاذُلِ أَنْكَرُ الْأَشْبَاحِ

- (١) الصراح (بالكسر) وهو أنصح من (الضم والفتح) : المحض الخالص الذي لا شائبة فيه .
(٢) إبرة الملاح : هي التي يثبث بها الجهات ويهتدى بها في السير .
(٣) تيمموه ، أى اقصدا إليه .
(٤) تزع الهوى : تكفه وتزجره .
(٥) لا برّاح ، أى لا ريب . وتقل : تنلم وتكسر . والغرب : الخذل .
(٦) تكنفوا الشورى : أحيطوا بها والزموها . وقوله « لا توجيه نزع واحة » ، أى اصدروا عن رأيكم ولا تلقوا الأمر عن غيركم . والواحي : من وحيته إليه الكلام ، بمعنى أوحيته إليه .
(٧) يريد « بحامل المصباح » : الفيلسوف اليوناني ديوجينيس المولود سنة ٤١٢ ق م والمتوفى سنة ٣٢٣ ق م . وكان قد خرج يوما في رائحة النهار يحمل مصباحا يبحث عن رجل . يقول : كذبوا هذا الفيلسوف الذي ينكر وجود رجل يعتمد به ويعتمد عليه .

(١) والله ما بلغ الشقاء نبأ المدى * بسوى خلاف بيننا وتلاحي
(٢) قم يا بن (مضر) فانت حر واستعد * تجدد الحدود ولا تعد ليراج
تتمرو كافج في الحياة فهذه * ذنبك دار تنأى وكفاج
(٣) وانهل مع النهل من طيب الحيا * فاذا رقا فامتج مع المتاج
(٤) وإذا ألح عليك خطب لا تنه * واضرب على الإلحاح بالإلحاح
وخض الحياة وإن تلامم موجها * تخوض البحار رياضمة السباح
(٥) واجعل عيانك قبل خطوك رائدا * لا تحسب الفمر كالضخضاج
(٦) وإذا اجتوتك محلة وتكسرت * لك فاعلدها واتزج مع التزاج
في البحر لا تثليك نار بوايح * في البر لا يلويك غاب رماح
(٧) وأنظر إلى القربى كيف تمت به * بين الشعوب طيعة الكداج
والله ما بلغت بنو القربى المنى * إلا يليات هناك صحاح
(٨) ركبوا البحار وقد تجدد ماؤها * والجووين تنأج الأرواح

- (١) التلاحي : التخاصم . (٢) يريد «المراح» : الأخذ في أسباب الفرج والفرح .
(٣) انهل : اشرب ، من النهل (بالضرب) ، وهو السقية الأولى . والحيا : المطر . رقا (مبطل من رقا بالهمز) ، بمعنى جف وانقطع . واتج : تزج الماء من البئر . ينصح المصري بأن يرد موارد الحياة مهلهما وصعبا . (٤) لا تنه ، أى لا تذل ولا تضعف . (٥) الفمر : الماء الكثير . والضخضاج : الماء القريب الغور . (٦) اجتواه : كرهه . يقول : إذا نبا بك منزل ، وتملوت عليك الإقامة به فاجهره إلى غيره وارتحل عنه مع المرتحلين . (٧) الكداج : الجادة المجهدة في العمل .
(٨) تنأج الأرواح : اختلاف مهاب الرياح .

(١)
وَالْبَرَّ مَصْهُورَ الْحَصَى مُتَجَجًّا * يَرْمِي بِتَرَاجِ الشَّوَى لَوَاجِ
(٢)
يَلْتَقِي فَتِيهِمُ الزَّمَانِ بِهَمَّةٍ * عَجِبَ وَوَجَّهَ فِي الْخُطُوبِ وَقَاجِ
(٣)
وَيُسْقَى أَجْوَازَ الْقِفَارِ مُغَامِرًا * وَغُرِّ الطَّرِيقِ لَدَيْهِ كَالصَّحْصَاحِ
(٤)
وَأَبْنُ الْكِثَانَةِ فِي الْكِثَانَةِ رَاكِدٌ * يَرْتَوِ بَعَيْنَ غَيْرِ ذَاتِ طِمَاحِ
(٥)
لَا يَسْتَنْقِلُ - كَمَا صَلَبَتْ - ذَكَاءَهُ * وَذَكَاءُهُ كَالْخَاطِطِ اللَّاحِجِ
(٦)
أَمْسَى كِلَاءِ النَّهْرِ ضَاعَ فُرَاتُهُ * فِي الْبَحْرِ يَنْتَبِجُ أَجَاجُهُ الْمُنْدَاجِ
(٧)
فَأَنْهَضَ وَدَعَ شَكْوَى الزَّمَانِ وَلَا تَنْتَحِ * فِي فَاذِجِ الْبُؤْسَى مَعَ الْأَنْوَاجِ
(٨)
وَأَرْبَحَ لِمَصْرَبِ رَأْسِ مَالِكٍ عِزَّةً * إِنَّ الذَّكَاءَ حُبَالَةُ الْأَرْبَاجِ
(٩)
وَإِذَا رُزِقْتَ رَأْسَةً فَانْسُجْ لَهَا * بُرْدَيْنِ مِنْ حَزْنٍ وَمِنْ إِنْجِجِجِ
(١٠)
وَاشْرَبْ مِنَ الْمَاءِ الْقَرَّاجِ مُنْعَمًا * فَلَكُمْ وَرَدَّتْ الْمَاءَ غَيْرَ قَرَّاجِ

- (١) المصهور : الذى أصابه الخروجه علىه . والمتججج : الملتبب . والشوى : اليدان والرجلان
وقحف الرأس : يصف البر بأنه يقذف بجزء شديد ينزع الشوى . وفي القرآن في وصف النار : (كلا إنما
لظى نزعاة للشوى) . ولواح ، أى حرّ مغير للألوان . (٢) وقاج : مجترئ .
(٣) أجواز القفار : أوساطها ؛ الواحد جوز . والصحصاح : ما استوى من الأرض .
(٤) يرتو : ينظر . والطاح : الطموح والتطلع إلى المجد .
(٥) الخاطف اللاحج : البرق .
(٦) القرات : الغذب . والأجاج : الشديد الملوحة . والمنداج : المتبسط المتسع .
(٧) يقال : فدحه الأمر ، إذا أثقله وبهظه . والأنواح : النائمات .
(٨) حباله الصائد : للشرك الذى يصيد به .
(٩) الإنججج : حسن العفو .
(١٠) الماء القراج : الصافي الخالص . يريد العيش الصافي من الأكدار .

من قصيدة في شؤون مصر السياسية

قالها في عهد وزارة إسماعيل صدق باشا

وقد نظمتها حافظ بعد إحالة إلى المعاش في سنة ١٩٣٢ م وكانت تبلغ نحو مائتي بيت

لم ندر منها إلا على هذه الأبيات

قَدْ مَرَّ عَامٌ يَا سَعَادُ وَعَامٌ * وَأَبْنُ الْكِتَابَةِ فِي حِمَاهُ يُضَامُ
صَبَّوْا الْبَلَاءَ عَلَى الْعِبَادِ فَنُصِفُهُمْ * يَجِيءُ الْبِلَادَ وَنُصِفُهُمْ حُكَّامُ
أَشْكُو إِلَى (قَصْرِ الدُّبَارَةِ) مَا جَنَى * (صَدِيقِ الْوَزِيرِ) وَمَا جَنَى (عَلَامُ)^(١)

ومنها في الإنجليز :

قُلْ لِلْحَايِدِ هَلْ شَهِدْتَ دِمَاءَنَا * تَجْرِي وَهَلْ بَعْدَ الدَّمَاءِ سَلَامُ^(٢)
سُفِكَتْ مَوَدُّتُنَا لَكُمْ وَبَدَأَ لَنَا * أَنْتَ الْحَيَادُ عَلَى الْخِصَامِ لِسَامُ
إِنَّ الْمَرَايِلَ شَرُّهَا لَا يُتَقَى * حَتَّى يُنْفَسَ كَرِهِنُ صِمَامُ^(٣)
لَمْ يَبْقَ فِينَا مَنْ يَمْنَى نَفْسَهُ * يُوَادُّكُمْ فَيُوَادُّكُمْ أَحْلَامُ
أَمِنَ السِّيَاسَةَ وَالْمُرُوءَةَ أَنَا * تَشَقَّى بِكُمْ فِي أَرْضِنَا وَنُضَامُ
إِنَّا جَمَعْنَا لِلْجِهَادِ صُفُوفَنَا * سَمُّوتُ أَوْ نَحْيَا وَنَحْنُ كِرَامُ

ومنها في مخاطبة إسماعيل صدق باشا :

وَدَعَا عَلَيْكَ اللَّهُ فِي غَحْرَاهِ * الشَّيْخُ وَالْقَسِيسُ وَالْحَاخَامُ
لَا هُمْ أَحْيَى ضَمِيرَهُ لِيَنْذُقَهَا * غُصَصًا وَتَنْسِفَ نَفْسَهُ الْآلَامُ

(١) يريد محمد علام باشا وزير الزراعة إذ ذاك ووكيل حزب الشعب . ويشير بقوله « وما جنى علام » :
إلى ما كانوا يجنون من الأموال إغاة لحزب الشعب . (٢) أشار بقوله « الحايذ » : إلى أن الإنجليز في هذه
الفترة التي قبلت فيها هذه الأبيات كانوا يدعون الحياد في الشؤون المصرية . (٣) المرائيل : القنود .

إلى الإنجليز :

[نشرت في ٩ مارس سنة ١٩٣٢ م]

(١) بَنَيْتُمْ عَلَى الْأَخْلَاقِ آسَاسَ مُلْكِكُمْ * فَكَانَ لَكُمْ بَيْنَ الشُّعُوبِ ذِمَامٌ
(٢) فَإِنِّي أَرَى الْأَخْلَاقَ قَدْ شَابَ قَرْنُهَا * وَحَلَّ بِهَا ضَعْفٌ وَدَبَّ سَقَامٌ
أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَثَرَةَ بَعْدَ تَهَضُّبَةٍ * فَلَيْسَ لِمُلْكِ الظَّالِمِينَ دَوَامٌ
أَضَعْتُمْ وِدَادًا لِرَعِيَّتِهِمْ عَهْدَهُ * لَمَّا قَامَ بَيْنَ الْأُمَمِينَ خِصَامٌ
(٣) أَبْعَدَ حَيَادٍ لَا رَعَى اللَّهُ عَهْدَهُ * وَبَعْدَ الْجُرُوحِ النَّائِغِرَاتِ وَثَامٌ
(٤) إِذَا كَانَ فِي حُسْنِ التَّفَاهِيمِ مَوْتٌ * فَلَيْسَ عَلَى بَاغِي الْحَيَاةِ مَلَامٌ

إلى المندوب السامي

[نشرت في ١١ مارس سنة ١٩٣٢ م]

(٥) أَلَمْ تَرَفِ الطَّرِيقَ إِلَى (كِيَادِ) * تَصِيدُ الْبَطْ بُوَسَ الْعَالَمِينَ؟
أَلَمْ تَلْمَحْ دُمُوعَ النَّاسِ تَجْرِي * مِنْ الْبَلَوَى أَلَمْ تَسْمَعْ أُنْيَا؟
أَلَمْ تُخَيِّرْ بَنِي التَّامِيزِ عَنَّا * وَقَدْ بَعَثُوكَ مَسْدُوبًا أَمِينَا
بَأَنَّا قَدْ لَمَسْنَا الْغَدَرَ لَمَسًا * وَأَصْبَحَ ظَلْمُنَا فِيكُمْ يَقِينَا؟

- (١) الذم : الحق والحكمة . (٢) القرن : الذؤابة من الشعر .
(٣) النائغرات : الداميات . (٤) يقول : إذا كان حسن التفاهم بيننا وبينكم فيجب
لنا الموت بالذل والاستعباد كان سوء التفاهم خيرا لنا ، لأن فيه حياتنا . (٥) كياد : بركة بإقليم
الشرقية اعتاد أن يذهب إليها المندوب السامي وحاشيته لاصطياد بعض أنواع الطيور .

- (١) كَشَفْنَا عَنْ نَوَائِبِكُمْ فَلَسْتُمْ * وَقَدْ بَرِحَ الْخَفَاءُ مُجَاهِدِينَ
(٢) سَجَّعَ أَمْرَنَا وَتَرَوْنَا مِنَّا * لَدَى الْجُلَى كِرَامًا صَابِرِينَ
(٣) وَنَاخِذُ حَقَّنَا رَغَمَ الْعَوَادِي * تُطِيفُ بِنَا وَرَقَمَ الْقَاسِطِينَ
(٤) ضَرَبْتُمْ حَوْلَ قَادَتِنَا نِطَاقًا * مِنَ الثَّيَرَانِ يُعِي الدَّارِصِينَ
(٥) عَلَى رَغَمِ الْمُرُوءَةِ قَدْ فَلَقَرْتُمْ * وَلَكِنْ بِالْأَسْوَدِ مُصَفِّدِينَ

الأخلاق والحياد

فالمساواة كان الإنجليز إذ ذاك يَدْعُونَ الحياد في الشؤون المصرية

[نشر في ٤ أبريل سنة ١٩٣٢ م]

- (٦) لَا تَذْكُرُوا الْأَخْلَاقَ بَعْدَ حَيَادِكُمْ * فَمُصَابِكُمْ وَمُصَابِنَاتُ سَيَانِ
(٧) حَارَبْتُمْ أَخْلَاقَكُمْ لِتُحَارِبُوا * أَخْلَاقَنَا فَنَأَلَمَ الشُّعْبَانِ

(١) لم نجد في كتب الفقه (النوايا) جمعية، كما استعمله الشاعر هنا، وهو جمع شائع في كلام أهل العصر، وهو من غلطاتهم؛ والقباس؛ نبات - وبرح الخفاء، أى وضع الأمر وتبين - (٢) الجلى؛ النازلة الشديدة - (٣) القاسطون؛ الظالمون - (٤) الدارمون؛ لايسوا الدروع - يشير بهذا البيت وما بعده الى ما كان يصبه الإنجليز على زعماء النهضة الوطنية المصرية من أنواع العذاب من شجن ونفى واعتقال ومحاصرة بيوتهم بالجنود - (٥) المصعد؛ المقيد -

(٦) يحاطب الإنجليز في هذا البيت ويقول: إنكم بهذا الحياد المكذوب تفضيرون ما عرقتكم به من الأخلاق الفاضلة، فلا تدعوها لكم بعد، فصايبكم في الأخلاق بهذا الطمع والظلم كصايبنا باحتلالكم -

(٧) يشير (بالأخلاق) المضادة الى الإنجليز في هذا البيت الى ما عرفوا به من الصبر والأناة وعدم الأخذ بالقسوة والنف - وبالأخلاق المضادة لنا، الى ما أظهرناه في نهضتنا الوطنية من صبر على الجهاد واستمساك بحقوق البلاد - يقول - إنكم أيها الإنجليز بقسوتكم على المصريين تحاربون أخلاقكم السالفة الذكر في سبيل محاربة أخلاقنا، فكلا الشعبين مثالم، لأنه يحارب فيما طبع عليه -

ثمن الحياء

[نشرت في ٤ إبريل سنة ١٩٣٢ م]

لقد طَالَ الحَيَادُ وَلَمْ تَكُفُوا * أَمَا أَرْضَاكُمْ ثَمَنُ الحَيَادِ ؟
 أَخَذْتُمْ كُلَّ مَا تَبْغُونَ مِنَّا * فَا هَذَا التَّحَكُّمُ فِي العِبَادِ ؟
 بَلَوْنَا شِدَّةَ مِنْكُمْ وَلِينًا * فَكَانَ كِلَاهُمَا ذَرَّ الرَّمَادِ
 وَسَلَّمْتُمْ وَطَادَيْتُمْ زَمَانًا * فَلَمْ يُغْنِ الْمُسَالِمُ وَالْمُعَادِي
 فَلَيْسَ وَرَاءَكُمْ غَيْرُ التَّجَنِّي * وَلَيْسَ أَمَانًا غَيْرُ الْجِهَادِ

إلى الانجليز

[نشرت في ٢٨ إبريل سنة ١٩٣٢ م]

حَوَّلُوا النَّيْلَ وَأَعْجَبُوا الضُّوءَ عَنَّا * وَأَطْمَسُوا النُّجُومَ وَأَحْرَمُونَا النَّسِيمَا
 وَأَمْلَأُوا الْبَحْرَ إِنْ أَرَدْتُمْ سَفِينَا * وَأَمْلَأُوا الْخَوَّ إِنْ أَرَدْتُمْ رُجُومَا
 وَأَقِيمُوا لِلْعَسِيفِ فِي كُلِّ شَيْءٍ * (كُنُتُمْ بِلَا) بِالْأَسْوَاطِ يَقْرِي الْأَدِيمَا^(١)
 إِنَّا لَنْ نَحُولَ عَنْ عَهْدِ مُضِرٍ * أَوْ تَرَوْنَا فِي التُّرْبِ عَظْمًا رَمِيمَا
 عَاصِفٌ صَانَ مُلُوكَكُمْ وَحَمَّاكُمْ * وَكَفَّاكُمْ بِالْأَمْسِ خَطْبًا جَسِيمَا

(١) العسف : الظلم والأخذ بالقوة . ويقري الأديم : يشق الجلد .

(١) غَالِ (أَرَادَةَ) الْعَدُوِّ فُتِرْتُمْ * وَبَلَّغْتُمْ فِي الشَّرْقِ شَاوَأَ عَظِيمًا
فَعَدَلْتُمْ هُنَيْهَةً وَبَغَيْتُمْ * وَتَرَكْتُمْ فِي النَّيْلِ عَهْدًا ذَمِيمًا
فَشَهِدْنَا ظُلْمًا يُقَالُ لَهُ الْعَدُ * لَوْ وَدَّ أَنْ يَسْقِيَ الْحَيَمَ الْحَيَمَا^(٢)
فَاتَّقُوا غَضَبَةَ الْعَوَاصِفِ إِنِّي * قَدْ رَأَيْتُ الْمَصِيرَ أَمْسَى وَيَخِيَا

الحِيَادِ الْكَاذِبِ

[نُشِرَتْ فِي سَنَةِ ١٩٣٢ م]

(قَصَرَ الدُّبَارَةَ) قَدْ تَقَضَّى * مَتَّ الْعَهْدَ تَقَضَّى الْغَاصِبِ
أَخْفَيْتَ مَا أَصْمَرْتَهُ * وَأَبْنَتَ وَدَّ الصَّاحِبِ
الْحَرْبُ أَرْوَحُ لِلنُّفُو * سِ مِنْ الْحِيَادِ الْكَاذِبِ

جَلَاءُ الْإِنْجِلِيزِ عَنْ مِصْرَ

فَالْهَذَا تَنْبِيْهُ بَكَاةٍ فَرَنْسَى كَانَ قَدْ زَعَمَ أَنَّ جَلَاءَ الْإِنْجِلِيزِ عَنْ مِصْرٍ سَيَكُونُ فِي أَكْثَرِ
كَمْ حَلَدُوا يَوْمَ الْجَلَاءِ الَّذِي * أَصْبَحَ فِي الْإِبْهَامِ كَالْمَحْشَرِ
وَسَنَّ قَوْمُ الطُّيُسِ مِنْ جَهْلِهِمْ * كَذِبَةَ (إِبْرِيْلَ لِأَكْتُوْبَرِ)

- (١) غَالِ : أَهْلَكَ . وَأَرَادَةَ : هِيَ الْأَسْطُولُ الْأَسْبَابِيُّ الَّذِي كَانَ يَرِيدُ مَهَاجَةَ الْأَسْطُولِ الْإِنْجِلِيزِيِّ
فِي الْقَرْنِ السَّادِسِ عَشَرَ ، فَتَحَطَّمَتْ بِعَاصِفَةٍ شَدِيدَةٍ حَالَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَهَاجَتِهِ . وَإِلَى هَذِهِ الْقِصَّةِ يُشِيرُ الشَّاعِرُ
بِهَذَا الْبَيْتِ وَالَّذِي قَبْلَهُ . وَيُشِيرُ بِقَوْلِهِ « وَبَلَّغْتُمْ فِي الشَّرْقِ » : إِلَى كَثْرَةِ مُسْتَعْمَرَاتِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ .
(٢) يَرِيدُ « بِالْحَيَمِ » الْأَوَّلُ : الصَّدِيقُ . وَ« بِالْحَيَمِ » الثَّانِي : الشَّرَابُ الشَّدِيدُ الْحَرَارَةِ .

الامتيازات الأجنبية

- (١) سَكَتُ فَأَصْغُرُوا أَدْبِي * وَقُلْتُ فَأَكْبُرُوا أَرْبِي
وما أَرْجُوهُ مِنْ بَلَدٍ * بِهِ ضَاقَ الرَّجَاءُ وَبِي؟
وهَلْ (فِي مِصْرَ) مَفْعَرَةٌ * سِوَى الْأَلْقَابِ وَالرُّتَبِ؟
(٢) وَذِي إِرْثٍ يُكَاثِرُنَا * بِمَالٍ غَيْرِ مُكْتَسَبٍ
(٣) وَفِي الرُّومِ مَوْعِظَةٌ * لِشُعْبٍ جَدٍّ فِي اللَّعِبِ
(٤) يُقَتِّلُنَا بِلَا قَوْدٍ * وَلَا دِيَّةٍ وَلَا رَهْبٍ
(٥) وَيَمِشِي نَحْوَ رَأْسِهِ * فَتَحْيِيهِ مِنَ الْعَطَبِ
فَقُلْ لِلْفَاحِرِينَ : أَمَّا * لِمَذَا الْفَخْرُ مِنْ سَبَبِ؟
(٦) أَرُونِي بَيْنَكُمْ رَجُلًا * رَكِينًا وَاضِحَ الْحَسَبِ
(٧) أَرُونِي نِصْفَ مُحْتَرَجٍ * أَرُونِي رُبْعَ مُحْتَسِبِ؟
أَرُونِي نَادِيًا حَفَلًا * بِأَهْلِ الْفَضْلِ وَالْأَدَبِ؟
وماذَا فِي مَدَارِسِكُمْ * مِنْ التَّعْلِيمِ وَالْكِتَابِ؟

(١) الأرب : العقل . . . (٢) كاثره بماله : فانه بكثرتة .

(٣) يريد « بالشعب » : الشعب المصري . وجد في اللعب : أى استمر عليه وواظب .

(٤) القود : القصاص . والرهب (بالتحريك) : الخوف . (٥) العطب : الهلاك .

(٦) الركين : الرزين . (٧) يريد « بالاحتساب » : العالم بتدبير الأموال والتصرف فيها

على أحسن وجه ؛ ومنه قولهم : « فلان محتسب البلد » .

وماذا في مساجيدكم * من التبين والخطب؟
 وماذا في صحائفكم * سوى التثويه والكذب؟
 حصائد السنين جرت * إلى الولايات والحرب^(١)
 فهبوا من مرأقيدكم * فإن الوقت من ذهب^(٢)
 فهذه أمة (اليابا * (ن) جازت دارة الشهب^(٣)
 فهامت بالملا شفقاً * وهنأ بأبنة العنب

(١) حصائد الألسنة : ما تقطعه من الكلام الذي لا خريفه ، الواحدة حنيدة ، تشبهاً به
 بما يصعد من الزرع إذا جذ . وفي حديث معاذ : « وهل يكب الناس على مناكرهم في النار إلا حصائد
 الستم » . والحرب (التحريك) : الهلاك .
 (٢) الدارة : المنزل .
 (٣) ابنة العنب : العنبر .

الشكوى

الى محمد الشيمى بك المحامى بطنطا

. قال حافظ هذين البيتين وكانت يعمل بمكتبه فى أول شبابه قبل

انتظامه فى سلك المدرسة الحربية ، ثم تركه لخلاف وقع بينهما

خِرابٌ حَقَّى قَدْ أَفْرَعَتْهُ طَمَعًا * بِيَابِ أَسْتَاذِنَا (الشَّيْمَى) وَلَا عَجَبًا

(١) فَعَادَلَى وَهُوَ تَمْلُوءُ فَقُلْتُ لَهُ : * يَمَّا؟ فَقَالَ مِنَ الْحَسَرَاتِ وَأَحْرَبًا

الى آدم أبى البشر

(٢) سَلِيلَ الطَّيْنِ كَمْ ثَلَاثَا شَقَاءُ * وَكَمْ نَخِطْتُ أَنَا لِمُنَا ضَرِيحًا

(٣) وَكَمْ أَزَرْتُ بَنَى الْأَيَّامِ حَتَّى * فَدَّتْ بِالْكَبْشِ (الْمُتَحَاقِّ) الدَّيَّيْحَا

- (١) سكن السين فى « الحسرات » لضرورة الوزن ، والحرب بالتحريك : الهلاك .
- (٢) سليل الطين ، يريد آدم أبا البشر عليه السلام . وخط القبر : حفره . يقول لآدم : تركت بك عيبك بهم الشقاء والقناء .
- (٣) أزرت بنى الأيام ، أى تهاوت بنى ، ووضعت من شأننا . والمتحاق الذى يبيع ، هو نبي الله إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام ، وقد اختلف العلماء فى الذبيح من ولدى إبراهيم ، فقيل : هو إسماعيل كما هنا ، وقيل : هو إسماعيل . وقصة هذا الذبيح والقداء مشهورة ، وقد قصها الله تعالى فى القرآن ، إذ قال تعالى فى سورة الصافات : (فلما بلغ معه السعى قال يا بنى إني أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى) الآيات .

- (١)
وَبَاعَتْ (يُوسُفًا) بَيْعَ الْمَوَالِي * وَأَلْقَتْ فِي يَدِ الْقَوْمِ (الْمَسِيحًا)
- (٢)
وَيَا (نُوحًا) جَنَيْتَ عَلَى الْبَرَايَا * وَلَمْ تَمْنَحْهُمْ الْوَدَّ الصَّحِيحَا
- عَلَامَ حَمَلْتَهُمْ فِي الْفُلِّ هَلَا * تَرَكْتَهُمْ فَكُنْتَ لَهُمْ مُرِيحَا
- (٣)
أَصَابَ رِيفَاقِي الْقِدْحَ الْمَعْلَى * وَصَادَفَ سَهْمِي الْقِدْحَ الْمَنِيحَا
- (٤)
فَلَوْ سَأَقِ الْقَضَاءُ إِلَى تَقَعَا * لَقَامَ أَخُوهُ مُعْتَرِضًا شَنِيعَا

- (١) يوسف ، هو ابن يعقوب عليهما السلام ، وأمره مع إخوته من إقامته في الحب ، والقاط " بعض السيارة له ، ويبيعهم إياه بيع العيد مشهور ، وقد قص الله ذلك في القرآن في سورة يوسف . والموالي : العيد ؛ الواحد مولى . ويريد « بالقوم » : جماعة اليهود الذين أرادوا صلب عيسى عليه السلام ؛ وقد قص الله تعالى ذلك في القرآن .
- (٢) يشير إلى قصة نبي الله نوح عليه السلام ، وأمره مع قومه والطوفان الذي أرسله الله عليهم ونجاته بمن معه في السفينة مشهور ، وقد قص الله تعالى ذلك في القرآن .
- (٣) القدح (بكسر القاف وسكون الهاء) : واحد القداح ، وهي سهام الميسر . والقدح المعلى ، هو السهم الساج منها ، وهو أفضلها ، لأنه إذا خرج حاز سبعة أندية . والمنح : سهم من سهام الميسر لا نصيب له ولا فرض ، وهو الثالث من القداح الغفل التي ليس لها فرض ولا أندية .
- (٤) أخوه ، أى أخو القضاء ، وهو القدر .

النفس الحزينة

بيتان مترجمان عن (جان چاك روسو)^(١)

[نشر في ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٠٠ م]

خَلَقْتَ لِي نَفْسًا فَارْصِدْهَا * لِلْحُزْنِ وَالْبَلْوَى وَهَذَا الشَّقَاءُ^(٢)
فَأَمَّنْ بِنَفْسٍ لَمْ يَشْبِهَا الْأَمَى * لَعَلَّهَا تَعْرِفُ طَعْمَ الْهَنَاءِ^(٣)

سعى بلا جدوى

يصف سعيه المتواصل وبؤسه وإيائه ، ويقتى الراحة من ذلك بالموت

[نشرت في ٣١ ديسمبر سنة ١٩٠٠ م]

سَعَيْتُ إِلَى أَنْ كِدْتُ أَتَّعِلُ الدَّمَ * وَصُدْتُ وَمَا أَغْقَبْتُ إِلَّا التَّنَدُّمَ^(٤)
لَحَى اللَّهُ عَهْدَ الْقَاسِطِينَ الَّذِي بِهِ * تَهَلَّمْ مِنْ بُيَانِنَا مَا تَهَدَّمُ^(٥)
إِذَا شِئْتَ أَنْ تَلْقَى السَّعَادَةَ بَيْنَهُمْ * فَلَا تَكُ مِصْرِيًّا وَلَا تَكُ مُسْلِمًا
سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا سَلَامٌ مُودِّعٌ * رَأَى فِي ظُلَامِ الْقَبْرِ أَنْسًا وَمَغْنَمًا

- (١) روسو، هو الكاتب الفرنسي المعروف ، بطل الحرية وزعيم المساواة . ولد سنة ١٧١٢ م ، وكانت وفاته في ٣ يولييه سنة ١٧٧٠ م . وله عدة تأليف ، منها كتاب الانشقاق الجمهوري ، وكتاب إميل ، وقاموس في الموسيقى ، وآخر في علم النبات ، وغيرها .
(٢) أرصدتها للحنن : حسبتها عليه .
(٣) لم يشبها : لم يتحاطلها . أى آمن على بنفس أنرى لم يتحاطلها الأخران .
(٤) يقول : إنه تقرحت قدماء من كثرة السعى على الرزق حتى صار دم قدميه أشبه بالنمل لها ، وما عاد يعد كل هذا إلا بالندم .
(٥) القاسطون : الجائرون المائلون من الحق ، ويريد بهم المحطين وصنائعهم .

الشكوى

٤٢٩

- (١) أَضَرَّتْ بِهِ الْأَوَّلَىٰ فِيهِمَا بِأَخْتِهَا * فَإِنْ سَأَمْتُ الْأُخْرَىٰ فَوَيْلًا مِنْهُمَا
(٢) فَهَبِّي رِيَّاحَ الْمَوْتِ نُكْبًا وَأَطْفِئِي * سِرَاجَ حَيَاتِي قَبْلَ أَنْ يَحْطَمَا
(٣) فَا عَصَمْتَنِي مِنْ زَمَانِي فَضَائِلِي * وَلَكِنْ رَأَيْتُ الْمَوْتَ لِحُرِّ أَعْصَمِي
(٤) فَيَا قَلْبُ لَا تَجْزَعْ إِذَا عَضَّكَ الْأَمْسَى * فَإِنَّكَ بَعْدَ الْيَوْمِ لَنْ تَنَالَ
(٥) وَيَا عَيْنُ قَدْ آتَى الْجُودُ لِمَدْمَعِي * فَلَا سَبِيلَ دَمْعٍ تَسْكِبِينَ وَلَا دَمًا
(٦) وَيَا يَدُ مَا كَلَّفْتُكَ الْبَسْطَ مَرَّةً * لِلَّذِي مَنِيَّةً أَوْلَى الْجَمِيلِ وَأَنْهَى
(٧) فَلِلَّهِ مَا أَحْلَاكَ فِي أُنْمُلِ الْبَلَى * وَإِنْ كُنْتَ أَحْلَى فِي الطُّرُوسِ وَأَكْرَمًا
(٨) وَيَا قَسْدِي مَا سِرَّتْ بِي لِمَذَلَّةٍ * وَلَمْ تَرْتَقِي إِلَّا إِلَى الْعِزِّ سُلْبًا
فَلَا تُبْطِئِي سَبْرًا إِلَى الْمَوْتِ وَأَعْلَى * بِأَنَّ كَرِيمَ الْقُصُومِ مَن مَاتَ مُكْرَمًا
وَيَا نَفْسُ كَمْ جَشَمْتُكَ الصَّبْرَ وَالرِّضَا * وَجَشَمْتُكَ أَنْ أَلْبَسَ أَجْدَدَ مُعَلَّمَا
لَمَّا أَسْطَعْتُ أَنْ أَسْتَمِرَّ مَرَّةً طَعِيمَةً * وَمَا أَسْطَعْتُ بَيْنَ الْقَوْمِ أَنْ أَتَقَدَّمَ

- (١) يريد «بالأولى» : الدنيا . و «الأخرى» : الآخرة ؛ فإن شق فيها كما شق في دنياه فويل له .
(٢) النكبة : جمع نكباء ، وهي الريح إذا المحرقت عن وجهها ووقعت بين ريحين ، وهي ريح مهلكة للزروع والمواشي ، حاسبة للقطر . ويحطم : يتكسر . (٣) عصمتني : حفظتني .
(٤) يشير بقوله «بعد اليوم» : إلى الموت . (٥) جود الدمع : انقطاعه أو قلته . قدّر الشاعر في هذا البيت أن ماتمناه من الموت قد وقع ، واقطعت عنه أسباب الحزن الجبرية للدموع .
(٦) في أنمل البلى ، أى في يد القضاء . والطروس : جمع طرس (بكسر الطاء وسكون الزاء) ، وهو الصحيفة يكتب فيها . (٧) جشمتك : كافئك . والمعلم من الثياب : الذى فيه أعلام من طراز أو غيره .
شبه المجد به في وضوحه وظهوره . (٨) استمرّ العلمام : استنطابه واستنساخه . ويشير بالنظر الأول من هذا البيت إلى الصبر والرضا الواردين في البيت السابق . وبقوله «وما أسطعت بين القوم ... الخ» إلى المجد ، في البيت السابق أيضا . يقول لنفسه : إن كليتنا لم يستطع القيام بها كما كلف به .

(١)
فهذا فراقٌ بيننا فتَجَمَّلِي * فإِنَّ الرَّدَى أَحْلَى مَذَاقًا وَمَطْمَأِ
ويا صَدْرُكُمْ حَلَّتْ بِذَاتِكِ ضَيْقَةٌ * وَكَمْ جَالَ فِي أَنْحَاكِ الْحَمُّ وَأَرْغَمِي
(٢)
فَهَلَّا تَرَى فِي ضَيْقَةِ الْقَبْرِ فُسْحَةً * تُنَفِّسُ عَنْكَ الْكَرْبَ إِنْ بَتَّ مُبْرِمًا؟
(٣)
ويا قَبْرُ لَا تَجْثُلِ بِرَدِّ تَيْبَةٍ * عَلَى صَاحِبٍ أَوْفَى عَلَيْنَا وَسَلَامًا
وهيهاتَ يَأْتِي الْحَيُّ لَيْتَ زَائِرًا * فَإِنِّي رَأَيْتُ الْوُدَّ فِي الْحَيِّ أَشَقَمَا
(٤)
ويا أَيُّهَا النِّجْمُ الَّذِي طَالَ سُهْدُهُ * وَقَدْ أَخَذَتْ مِنْهُ السَّرَى أَيْنَ يَمَّا
(٥)
لَعَلَّكَ لَا تَنْسَى عُهودَ مُنَادِمٍ * تَعَلَّمَ مِنْكَ الشُّهْدَ وَالْأَيْنَ كَلِمًا

الإخفاق بعد الكدِّ

وفها ينشئ مجد الترك والعرب، ويشير إلى معانٍ أخرى في الشكوى

[نشرت سنة ١٣١٨ هـ - سنة ١٩٠٠ م]

(٦)
ماذا أَصْبَهْتَ مِنَ الْأَسْفَارِ وَالنَّصَبِ * وَطَيْكَ الْعُمَرَاءَ بَيْنَ الْوَحْدِ وَالْخَلْبِ؟
(٧)
تَرَاكَ تَطْلُبُ لَا هَوْنًا وَلَا كَثْبًا * وَلَا نَزَى لَكَ مِنْ مَالٍ وَلَا نَسَبٍ

(١) مجلى : لا تظهرى الجزع . (٢) المبرم : المتضجر . (٣) أوفى، أى أشرف
عليها زائرا . (٤) السرى (بضم السين) : السير ليلا . ويمم : قصد . (٥) الأين : التعب والإعياء .
وفى هذا البيت والذي قبله يتأذى الشاعر النجم الذى أخذ منه السهر والسرى كل مأخذ ، ويطلب إليه أن
يذكر عهود أليف له فى مهره وسيره . وقوله « كلبا » ، أى كلما سهرت أيما النجم وتعبت من السرى .
(٦) النصيب (بالتحريك) : التعب . والوحد : الإصرار فى المشى . والخلب (بالتحريك) : أن ينقل
الفرس أيامه جيما وأيامه جيما إذا عدا . (٧) الهون : الهين . والكثب (بالتحريك) :
القرب . والهون والكثب : صفتان لموسوف محذوف ، أى لا طلبا هينا ولا قريبا . والنسب : المال الأصيل .

الشكوى

٤٣١

(١) لَا تُطْعِمَانِي أَنْيَابَ الْمَلَامِ عَلَى * هَذَا الْعِشَارِ فَلَانِي مَهِيْطُ الْعَجَبِ
(٢) وَدِدْتُ لَوْ طَرَحُوا بِي يَوْمَ جِثْمِهِمْ * فِي مَسِيحِ الْحَوْتِ أَوْ فِي مَسْرَجِ الْمَطْبِ
(٣) لَعَلَّ (مَانِي) لَاقَى مَا أَكَايِدُهُ * فَوَدَّ تَعَجُّلَنَا مِنْ عَالَمِ الشَّجَبِ
(٤) إِنِّي أَحْسَبْتُ شَبَابًا بَتُّ أَنْفُقِهِ * وَعَزَمَةً شَابَتِ الدُّنْيَا وَلَمْ تَسِبْ
(٥) كَمْ هِمَّتْ فِي أَلَيْسِدِ وَالْآرَامِ فَائِلَةٌ * وَالشَّمْسُ تَرْمِي أَدِيمَ الْأَرْضِ بِاللَّهَبِ
(٦) وَكَمْ لَيْسَتْ الدُّجَى وَالتُّرْبُ نَاعِصَةٌ * وَاللَّيْلُ أَهْدَأُ مِنْ جَانِحِي لَدَى النُّوْبِ
(٧) وَالتَّجَمُّ يَعْجَبُ مِنْ أَمْرِي وَيَحْسِبُنِي * لَدَى السَّرَى ثَامِنًا لِلْسَّبْعَةِ الشُّهْبِ
(٨) لَكِنِّي غَيْرُ مُجْدُوْدٍ وَمَا فَتِنْتُ * يَدُ الْمَقَادِيرِ تُقْصِيْنِي عَنِ الْأَرَبِ

(١) « لا تطعماني ... الخ » أي لا تجعلاني طعمة . وقد شبه الملام ، بالاسد ذي الأنياب ؛ وقسه بالقريسة . (٢) تمنى لو طرحه أهله يوم ولادته في قاع البحر أو في أي طريق من طرق الهلاك . (٣) ماني ، هو ماني الثوري صاحب مذهب المانوية المشهور . ويشير الشاعر بهذا البيت إلى ما كان يراه ماني من وجوب تعجيل الفناء للبشر بقطع النسل ، وقد ظهر ماني في أيام سابور بن أردشير ، وقتل في زمن بهرام بن سابور . والشجب : الحزن والعنت يصيب الإنسان من مرض ونحوه . (٤) يريد أنه لم يستفد من شبابه ولا عزيمته في أيام الحياة شيئاً ، فاحتسبهما عند الله وعدهما فيما يدره من أجر وثواب . (٥) هام : ذهب على وجهه حائراً لا يدرى أين يتوجه . والآرام : الغلباء ؛ الواحد : رثم ، وهو في الأصل مخصوص بالظلي الخالص البياض . والقائلة : المستكة وقت الظهيرة لشدة الحر ؛ وقال : إن الغلباء لا تقبل إلا إذا اشتد القَيْظُ . وأديم الأرض : وجهها وظاهرها . (٦) الترب (بضم فسكون) : جمع ترباء ، بمعنى التراب ؛ وهذا الجعم مطرد في (فعلاء) مؤنث (أفعل) ويريد بكونها ناعسة ، أنها مستقرة في مكانها لقلة من يثيرها من المارة بالمشي عليها . والجأش : النفس . وقيل : القلب . يصف في الشطر الأخير الليل بأنه أشد هدوءاً من هدوء نفسه وأطمئنتها عند نوائب الدهر . (٧) الشهب السبعة ، هي السيارة ، وهي : زحل ، والمشتري ، والمريخ ، والشمس ، والزهرة ، وعطارد ، والقمر . يقول : إنه مستمر على السرى استمرار هذه الكواكب ، حتى كأنه واحد منها . (٨) المجلود : المحفوظ .

(١) وقد غَدَوْتُ وَأَمَالِي مُطَرَّحَةٌ * وَفِي أُمُورِي مَا لِلضُّبِّ فِي الذَّنْبِ
فَإِنْ تُكُنْ نِسْبَتِي لِلشَّرِّ مَانِعَتِي * حَفَا فَوَاهَا تَجْدِ التُّرْكَ وَالْعَرَبِ
(٢) وَقَاضِيَاتٍ لَمْ كَانَتْ إِذَا اخْتُرِلَتْ * تَدَثَّرُ الْغَرْبُ فِي ثَوْبٍ مِنَ الرَّهْبِ
(٣) وَبَجَرَةٍ لَمْ فِي الشَّرِّ مَا هَمَدَتْ * وَلَا صَلاَهَا رَمَادُ الْخُتَلِ وَالْكَلْبِ
مَتَى أَرَى (النَّيْلَ) لَا تَحْلُو مَوَارِدُهُ * لَفِيرُ مُرْتَهَبٍ لِلَّهِ مُرْتَقِبِ
(٤) فَقَدْ غَدَتْ (مِصْرُ) فِي حَالٍ إِذَا دُرِّكَتْ * جَادَتْ جُفُونِي لَهَا بِاللُّؤْلُؤِ الرُّطْبِ
(٥) كَأَنِّي عِنْدَ ذِكْرِي مَا أَلَمَ بِهَا * قَرْمٌ تَرَدَّدَ بَيْنَ الْمَوْتِ وَالْهَرَبِ
(٦) إِذَا تَلَقَّيْتُ فِقَاعَ السَّجَنِ مُتَكَأً * وَإِنْ سَكَتَ فَاثَ النَّفْسِ لَمْ تَطْلُبِ
أَيْسَتِي الْفَقْرَ غَادِيَا وَرَائِيهَا * وَبِمَنْ تَمِثُّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الدَّهَبِ
(٧) وَالْقَوْمُ فِي (مِصْرَ) كَالْإِسْفَنْجِ قَدْ خَلِفَتْ * بِالمَاءِ لَمْ يَتْرُكُوا ضَرْعًا لِحْتَلِبِ

- (١) مطرحة ، ملقاة مبهوذة . ويريد بقوله « وفي أمورى ... الخ » : أن أموره معقدة متعلدة الحل ، كأنها ذنب الضب الذى يضرب به المثل فى التعقيد .
- (٢) القاضيات : السيوف القواطع ، واحترط السيف : استلذه من غمده . وتدثر : التف . والعرب (بالتحريك) : الخوف والرهبة . يتحسر على زمان كانت فيه للترك والعرب سطوة يخشى بأسها الغرب .
- (٣) استعار « البجرة » فى هذا البيت لقوة الدولة وشوكتها وعزها . والختل : الخلداع . يصف سياستهم بالصراحة وأنها لم يفتشها كذب ولا خداع كما غشى غيرها من سياسات دول الغرب .
- (٤) الرطب (يسكون الطاء) معروف ، وبحر يكها هنا لضرورة الوزن ، ويلاحظ أننا لم نجد ذلك فى شعر آخر فيها راجعاً . (٥) القمر : السيد العظيم والبطل الشجاع . (٦) يقول : لأنه إذا ذكر مصر اضطرب أمره بين إقدامه على مقابلة العقاب ، وإحجامه بحقه لدع الضمير .
- (٧) يريد « بالقوم » : الأجانب . يقول : إن هؤلاء الأجانب فى مصر امتصوا كل خيرها كالإسفنج يمتص ما فى الوعاء من ماء . والضرع للبهائم بمنزلة الثدي للآفة ، جمعه ضروع .

(١) (يَا آلَ عُثْمَانَ) مَا هَذَا الْجَفَاءُ لَنَا * وَنَحْنُ فِي اللَّهِ إِخْوَانٌ وَفِي الْكُتُبِ
تَرَكُّنَا لَأَقْوَامٍ تُخَالِفُنَا * فِي الدِّينِ وَالْفَضْلِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْأَدَبِ

حسرة على فائت

[نشرت في يونيو سنة ١٩٠٢ م]

(٢) لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا بَأْيَدِنَا * إِلَّا بَقِيَّةُ دَمْعٍ فِي مَاقِنَا
كَأَنَّ قِلَادَةَ جِيدِ الدَّهْرِ فَانْقَرَطَتْ * وَفِي يَمِينِ الْعُلَا كُنَّا رِيَاحِنَا
(٣) كَانَتْ مَنَازِلُنَا فِي الْعِزِّ شَاخِحَةً * لَا تُشْرِقُ الشَّمْسُ إِلَّا فِي مَغَائِلِنَا
(٤) وَكَانَ أَقْصَى مُنَى نَهْرِ (الْمَجَرَّةِ) لَوْ * مِنْ مَائِهِ مُزِجَتْ أَقْدَاحُ سَاقِنَا
وَالشُّهْبُ لَوْ أَنَّهَا كَانَتْ مُسَخَّرَةً * لِرَجِيمٍ مِنْ كَأَن يَسْلُو مِنْ أَمَادِنَا
(٥) فَلَمْ نَزَلْ وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تَرْمُقُنَا * شَرَرًا وَتَحْدَعُنَا الدُّنْيَا وَتُلْهِسُنَا
(٦) حَتَّى غَدَوْنَا وَلَا جَاهٌ وَلَا نَسَبٌ * وَلَا صَدِيقٌ وَلَا خِلٌّ يُوَسِّسُنَا

(١) آل عُثْمَانَ : الترك .

(٢) المآقي : جمع موق وماق ، وهو مجرى الدمع من العين .

(٣) المغاني : جمع مغنى ، وهو المنزل الذى غنى به أهله ، أى أقاموا .

(٤) المجرة : نجوم كثيرة يتشربها هافرى كأنه بقعة بيضاء ، وتسميها الشعراء بالنهر ، كما فى هذا البيت .

(٥) صروف الدهر : خبره ونوابسه . والنظر الشر : أن تنظر إلى غيرك بجانب عينك ولا تستقبله

بوجهك معرضاً عنه ، أو غاضباً عليه .

(٦) النسب : المال والعقار .

وداع الشباب

قال هذه القصيدة في دار وسط مزارع في الجزيرة قضى فيها بعض أيام شبابه ، ثم مر بها بعد عهد طويل من تحوله عنها فتحرّكت في نفسه ذكريات ، وبجاش صدره بهذه الأبيات

[نشرت في ٢٦ فبراير سنة ١٩٣٢ م]

(١)
 كَمْ مَرَّ بِفِيكَ عَيْشٌ لَسْتُ أَذْكُرُهُ * وَمَرَّ بِفِيكَ عَيْشٌ لَسْتُ أَنْسَاهُ
 وَدَعْتُ فِيكَ بَقَايَا مَا صَلَفْتُ بِهِ * مِنَ الشَّبَابِ وَمَا وَدَعْتُ ذِكْرَاهُ
 (٢)
 أَهْفَوُ إِلَيْهِ عَلَى مَا أَفْرَحْتُ كَيْدِي * مِنَ التَّبَارِيحِ أَوْلَاهُ وَأَنْخَرَاهُ
 (٣)
 لَيْسَتْهُ وَدُمُوعُ الْعَيْنِ طَبِيعَةً * وَالنَّفْسُ جَيَّاشَةٌ وَالْقَلْبُ أَوَاهُ
 فَكَانَ عَوْنِي عَلَى وَجْدٍ أَكْبَدُهُ * وَمَرَّ عَيْشٌ عَلَى الْعِلَاتِ الْقَاهُ
 إِنْ خَانَ وَدِّي صَدِيقٌ كُنْتُ أَصْحَبُهُ * أَوْ خَانَ عَهْدِي حَبِيبٌ كُنْتُ أَهْوَاهُ
 (٤)
 قَدْ أَرَخَصَ الدَّمْعُ يَنْبُوعُ الْغَنَاءِ بِهِ * وَاهْتَفَى وَنُفْسُوبُ الشَّيْبِ أَفْلَاهُ
 (٥)
 كَمْ رَوَّحَ الدَّمْعُ عَنْ قَلْبِي وَكَمْ غَسَلَتْ * مِنْهُ السَّوَابِقُ حُرْنًا فِي حَنَائِيَاهُ

(١) يقول : إنه مرّت به في هذا البيت شؤون وأحوال نسي بعضها وذكر بعضها .

(٢) أهفو ، أى أميل . والتبَاريح : ما يمانية المحب من شدّة الشوق .

(٣) جياشة : مضطربة بمختلف المواقف . والأَوَاه : الحزين .

(٤) أرخصه : جعله رخيصا . والضمير في « به » يعود على الشباب . ونفسوب الشيب ، أى ذبول

العود ويجفافه في المشيب . يقول في الشطر الأول : إن قرارة الدمع في عهد الشباب قد جعلته رخيصا يفيض لأقل الأشياء ؛ ويتلطف في الشطر الثاني على قلّة هذا الدمع في عهد المشيب حتى غلا ومرّ ، فلا يجيبه

إذا دعاه . (٥) روح الدمع عن قلبي ، أى خفف من حزنه ونفس من لوعته . وسوابق الدموع :

ما أسرع منها .

(١)
لَمْ أَدْرِ مَا يَدُهُ حَتَّى تَرَشَّفَهُ * فَمُ الْمَشِيبِ عَلَى رَغْمِي فَأَفْنَاهُ
قَالُوا تَحَرَّرْتَ مِنْ قَيْدِ الْمِلَاحِ فِعِشْ * حُرًّا فَنِي الْأَمِيرِ ذُلُّ كُنْتَ تَأْبَاهُ
(٢)
فَقُلْتُ يَا لَيْتَهُ دَامَتْ صَرَامَتُهُ * مَا كَانَ أَرْقَقَهُ عِنْدِي وَأَحْنَاهُ
(٣)
بَدَلْتُ مِنْهُ بِقَيْدِ لَسْتُ أَفْلَتُهُ * وَكَيْفَ أَفْلَتُ قَيْدًا صَاغَهُ اللَّهُ
أَسْرَى الصَّبَابَةِ أَحْيَاءُ وَإِنْ جَهْدُوا * أَمَّا الْمَشِيبُ فَنِي الْأَمْوَاتِ أَسْرَاهُ

وقال :

كتب بها من السودان إلى بعض أصدقائه يشكو حظه ويشوق إلى مصر
(٤)
رَمَيْتُ بِهَا عَلَى هَذَا التَّابِ * وَمَا أَوْرَدْتُهَا غَيْرَ السَّرَابِ
(٥)
وَمَا حَمَلْتُهَا إِلَّا شَقَاءً * تُقَاضِيَنِي بِهِ يَوْمَ الْحِسَابِ
(٦)
جَنَيْتُ عَلَيْكَ يَا نَفْسِي وَقَبْلِي * عَلَيْكَ جَنَى أَبِي فِدَعِي عِتَابِي
(٧)
فَلَوْلَا أَنَّهُمْ وَأَدُّوا بَيَانِي * بَلَغَتْ بِكَ الْمُنَى وَشَقِيتُ مَا بِي

- (١) يده، أى نعمة الدمع عندي؛ ويقال : ترشفه، أى شربه قليلا قليلا .
(٢) ياليت، أى ياليت هذا القيد السابق ذكره . وصرامته : شدته وإحكامه وتغلر الإفلات منه .
(٣) المعروف أن الباء تدخل على المترك عكس ما استعمله الشاعر هنا؛ ولكن ورد في عبارة بعض اللغويين ما يفيد صحة دخول الباء على المأخوذ كاستعمال الشاعر . قال أبو العباس ثعلب : يقال « بدلْتُ الخاتم بالحلقة » : إذا أذنته وسوّيته حلقة؛ وبدلت الحلقة بالخاتم : إذا أذبتها وجعلتها خاتما . والمراد بالقيد هنا : قيد المشيب . (٤) بها، أى بالنفس . والتاب : الخمران والنقص . والسراب : هو ما تراه نصف النهار من اشتداد الحر كالماء عن بعد؛ ويشبه به الخلداع . (٥) تقاضيني : تحاسبني عليه .
(٦) جناية أبيه عليه أنه كانه سبيا في ولادته، إشارة إلى قول المعزى :
هذا جناه أبي على *
وما جنيت على أحد
(٧) وأده : دفعته حيا .

سَعَيْتُ وَكَمْ سَعَى قَبْلِي أَدِيبٌ * قَابَ بِحَيَّةٍ بَعْدَ اغْتِرَابِ^(١)
 وَمَا أَفْذَرْتُ حَتَّى كَانَ تَعْلِي * دَمًا وَوِسَادَتِي وَجَهَ التُّرَابِ^(٢)
 وَحَتَّى صَيَّرْتَنِي الشَّمْسُ عَبْدًا * صَبِيغًا بَعْدَ مَا دَبَّقْتُ إِهَابِي^(٣)
 وَحَتَّى قَلَمَ الْإِمْلَاقُ ظُفُفِي * وَحَتَّى حَطَمَ الْمِقْدَارُ نَابِي^(٤)
 مَتَى أَنَا بِالِخُّ يَا (مَضْرُ) أَرْضًا * أَشْمُ بِتُرْبِهَا رِيحَ الْمَلَابِ^(٥)
 رَأَيْتُ ابْنَ الْبُخَارِ عَلَى رُبَاهَا * يُمْرُكُكَّهَ شَرْخُ الشَّابِ^(٦)
 كَأَنَّ يَحْوِفُهُ أَحْشَاءَ صَبَّ * يُؤَجِّجُ نَارَهَا شَوْقُ الْإِيَابِ^(٦)
 إِذَا مَا لَاحَ سَاءَلْنَا الدِّيَابِي * أَبْرَقَ الْأَرْضِ أَمْ بَرَقَ السَّحَابِ^(٦)

وقال :

مَا لِهَذَا النُّجْمِ فِي السَّحْرِ * قَدْ سَهَا مِنْ شِدَّةِ السَّهْرِ؟^(٧)
 خَلْتُهُ يَا قَوْمُ يُؤْنِسُنِي * إِنْ جَفَانِي مُؤْنِسُ السَّحْرِ
 يَا لِقَوْمِي إِنِّي رَجُلٌ * أَفْنَتِ الْأَيَّامُ مُصْطَبَرِي^(٨)
 أَسْهَرْتَنِي الْحَادِثَاتُ وَقَدْ * تَأَمَّ حَتَّى هَاتَفَ الشَّجَرِ^(٨)

- (١) ما أفذرت : ما قصرت . ويريد « يكون نعله دما » : كثرة السعى الى أن تقترحت قدماء فصار الدم لها كالنعل . (٢) الصبيغ : المصبوغ . وإهاب الانسان : جلده . (٣) قلته : قطعه .
 والإملاق : الفقر المدقع . ويريد « بالظفر والناب » في هذا البيت : أسباب قوته . (٤) الملاب : لفظ فارسي ، وهو كل عطر سائل . (٥) ابن البخار : القطار . والربا : ما ارتفع من الأرض .
 وشرخ الشاب : أوله وريمانه ، شبه به القطار في السرعة . (٦) الديابي : الظلمات ، جمع داجية .
 (٧) مؤنس السحر : حبيبه أو نديمه . (٨) هاتف الشجر : الطائر المفترد .

الشكوى

٤٣٧

(١) والدجى يخطو على مهل * خطو ذى عز وذى خفير
فيه شخص الياس مانقى * كتيب أب من سفر
(٢) وأثارت بى فوادحه * كمينات المم والكدر
وكانت الليل أقسم لا * ينقضى أو ينقضى عمري
(٣) أيها الزنجى ما لك لم * تنحس فينا خالق البشر؟
لي حبيب هاجر وله * صورة من أبداع الصور
أتلاشى في محبته * تتلاشى الظل في القمر

شكوى الظلم

(٤) لقد كانت الأمثال تضرب بيننا * بيجور (سدوم) وهومن أنظلم البشر
(٥) فلما بدت في الكون آيات ظلمهم * إذا (سدوم) في حكومته (عمر)

(١) الخضر : شدة الحياء . وقد كنى «بتهل الدجى في خطوه» عن طول الليل .

(٢) الفوادح : ما يتقل حمله من النواذب .

(٣) يريد «بالزنجى» : الليل ، لسواده .

(٤) سدوم (بالدال المهملة ؛ وقيل بالذال المعجمة) : إحدى مدائن قوم لوط الخمس التي دمرها الله

بجور أهلها وكفرهم ، وكان لها قاض يضرب به المثل في الظلم ، يقال له : (سدوم) أيضا ، فقيل : «أظلم من قاضى سدوم» .

(٥) الحكومة : الحكم . وعمر : هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه ؛ ضرب به المثل في العدل .

ويريد الشاعر بهذا البيت : أن ظلم سدوم يتضاهل حتى يصير عدلا إذا قيس بظلم حكام هذا العصر .

وقال في مرض له :

(١)
مَرِيضُنَا فَمَا عَادَنَا عَائِدُ * وَلَا قِيلَ : أَيْنَ الْفَتَى الْأَلْمَى ؟
(٢)
وَلَا حَنَّ طَرَسَ إِلَى كَاتِبٍ * وَلَا خَفَّ لَفْظٌ عَلَى مِسْمَعٍ
سَكَنَتَا فَمَزَّ عَلَيْنَا السُّكُوتُ * وَهَانَ الْكَلَامُ عَلَى الْمُدَّعَى
(٣)
فِي أَدْوَلَةٍ آذَنَتْ بِالزَّوَالِ * رَجَعْنَا لِمَهْدِ الْهَوَى فَاَرِجِمِي
(٤)
وَلَا تَحْسِينَا سَلَوْنَا النَّسِيبَ * وَيَيْنَ الضُّلُوعِ فَوَادِي يَمِي

سجن الفضائل

(٥)
نَعْمَنَ بِنَفْسِي وَأَشَقَيْتَنِي * فَا لَيْتَنِي وَيَا لَيْتَنِي
يَخْلُلُ نَزْلَ بَحْصِ النَّفُوسِ * فَرَوَيْتَنِي وَأَقْلَمَانِي
تَعَوَّدَنِي مَنَى أَبَاءَ الْكَرِيمِ * وَصَبَرَ الْحَلِيمَ وَتِيهِ الْغَنَى
وَعَوَّدْتَنِي نَزَالَ الْخَطُوبِ * فَا يَتَنِينُ وَمَا أَتَنِينِي
(٦)
إِذَا مَا هَوَتْ بِلَيْلِ الشَّابِ * أَهْبَنَ بَعْزِي فَتَهْنَنِي

- (١) الألمي : الذي المتوقد ذكاه . (٢) الطرس : الصحيفة يكتب فيها . والمسجع (بكسر الميم الأولى) : الأذن . (وبفتحها) : السمع . (٣) يريد دولة الأدب . (٤) النسب : التشبيب بالنساء وذكر محاسنهن في الشعر . ويى : يحفظ . (٥) نعمن ، أى الخلال المذكورة في البيت الآتى . فياليتين ويا ليتنى ، أى ياليتين ما نعمن ويا ليتنى ما شقيت . (٦) أهاب به : دعاه .

(١)
فَا زِلْتُ أَمْرُحَ فِي قَلْبِي * وَيَمْرَحَنَ مِنِّي بَرَوْضَ جَنِّي
إِلَى أَنْ تَوَلَّى زَمَانُ الشَّبَابِ * وَأَوْشَكَ عُوْدِي أَنْ يَتَحَنَّى
(٢)
فِيَا نَفْسُ إِنْ كُنْتَ لَا تُؤَفِّقِينَ * بِمَعْقُودِ أَمْرِكِ فَاسْتَيْقِينِي
فَهَذِي الْفَضِيلَةُ سِبْغُ النُّفُوسِ * وَأَنْتِ الْجَدِيرَةُ أَنْ تُسَجِّنِي
فَلَا تَسْأَلْنِي مَتَى تَنْقِضِي * لِيَالِي الْإِسَارِ؟ وَلَا تَحْزَنِي

كتاب الى الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده

كتب به اليه من السودان

(٣)
كَتَابِي إِلَى سَيِّدِي، وَأَنَا مِنْ وَعْدِهِ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالسَّلْسِيلِ، وَمِنْ يَمِينِي بِهِ فَوْقَ
النُّثْرَةِ وَالْإِكْلِيلِ؛ وَقَدْ تَعَجَّلْتُ السُّرُورَ، وَتَسَلَّقْتُ الْجُبُورَ؛
(٤)
(٥)
* وَقَطَعْتُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الثَّوَابِ *

وَبَشَّرْتُ أَهْلِي بِالَّذِي قَدْ سَمِعْتُهُ * فَا عِثِّي إِلَى لَيْالٍ قَلِيلٍ
(٦)
وَقُلْتُ لَهُمْ لِلشَّيْخِ فِينَا مَسِيئَةٌ * فَلَيْسَ لَنَا مِنْ دَهْرِنَا مَا نُنَازِلُ

- (١) القَدَّ (بالكسر) : السير بقَدٍّ من جلد يقيد به الأسير؛ والضمير يعود على الخلال . وروض جنى (يشهد الياء وخففت للشعر)، أى أدرك ثمره واصلح لجنى . يقول : إننى فى ضيق من هذه الخلال الجديدة، وهى فى سعة من قس . (٢) بمعقود أمرك، أى بما هو حتم عليك من مصيرك وما لا بد لك منه ، وهو الموت . (٣) السلسيل : اسم عين ماء فى الجنة ؛ قال تعالى : «عينا فيها تسمى سلسيلا» . (٤) النثرة : اسم كوكب تسميه العرب «نثرة الأسد» ، وهى من منازل القمر . والإكليل : منزل من منازل القمر (أيضا) ، وهو أربعة أنجم مصطفة . (٥) تسلقت الجبور : طلبت مقدما قبل أوانه . (٦) ننازل : قاتل .

وَجَمَعْتُ فِيهِ بَيْنَ ^(١)ثِقَةِ الزَّيْدِيِّ ^(٢)بِالصَّنْصَمَاءِ ، وَالْحَارِثِ بِالنَّعْمَةِ ؛ فَلَمْ أَقُلْ
مَا قَالَ الْهَذَلِيُّ لِصَاحِبِهِ حِينَ نَسِيَ وَعْدَهُ ، وَحَجَّبَ رَفْدَهُ ^(٤) :
* يَا دَارَ عَاتِكَةِ الَّتِي أَتَمَزَلُ ^(٥) *

(١) الزيدى ، هو عمرو بن معد يكرب الفارس المشهور . وهو من بني زيد ، وقد أدرك الجاهلية والإسلام ، وله بلاء حسن في المعارك التي شهداها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي غيرها .
والصنصماء : اسم سيفه .

(٢) الحارث ، هو ابن عباد التغلبى ، وهو من شيوخ العرب ورؤسائهم . والنعماء : اسم فرسه .

(٣) يريد « بالهذلى » أبوبكر . و « بصاحبه » : أبا جعفر المنصور الخليفة العباسى المعروف .
ويشير الكاتب بهذا الكلام إلى ما حدث بينهما ، وكان أبوبكر الهذلى هذا من جلساء المنصور وصحابته ،
وكان قد تمزّد ألا يكلم المنصور إلا بجواب على سؤال لإجلاله ، وروية منه ، وقد وعده المنصور ذات يوم
بجائزة ، ثم تناقل من الوفاء بوعده ، فبينما هما يسيران ذات يوم إذ مرّا بدار عاتكة التي يشبب بها
الأحوص ، فقال الهذلى للمنصور : يا أمير المؤمنين ، هذا بيت مائكة التي يقول فيها الشاعر .
* يَا دَارَ عَاتِكَةِ الَّتِي أَتَمَزَلُ *

فصحب المنصور من صاحبه كيف بدأه بالكلام على غير عادته ، وفطن إلى ما يريد الهذلى بذكر هذه
الآيات ، وهو قول الشاعر فيها :

وَأَرَاكَ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ وَبَعْضُهُمْ * مَدَقَ السَّاتِ يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ

وتذكّر وعده ، فقام بوفائه لساعته . والشعر للأحوص بن محمد بن عبد الله الأنصارى من قصيدة
يمدح فيها عمر بن عبد العزيز ، وأولها :

يَا دَارَ عَاتِكَةِ الَّتِي أَتَمَزَلُ * حَذَرَ الْعِدَا وَبِكَ الْفُؤَادُ مَوْكَلُ

إِنِّي لَأَمْنَعُكَ الصَّدُودَ وَإِنِّي * قَسَمًا إِلَيْكَ مَعَ الصَّدُودِ لَأَمِيلُ

ويريد الكاتب بهذا الكلام : انه لا يذكر الأستاذ الإمام بوعده كما فعل الهذلى مع المنصور .

(٤) الرfid : العطاء والصلة .

(٥) أتَمَزَلُ : أمتجيب .

الشكوى

٤٤١

(١)
بل أنادي به نداء الأحيذية في عمورية، شجاع الدولة العباسية؛ وأمد صوتي بذكري
إحسانه، مد المؤذن صوته في أذانه؛ وأعتد عليه في البعد والقرب، اعتماد الملاح
على تجمعة القطب .

(٢)
وقال أصيحابي وقد هالني النوى * وهالهم أمري: متى أنت قافل؟
(٣)
فقلت: إذا شاء الإمام فأوبتي * قريب ورعي بالسعادة أهل
(٤)
وهانا متماسك حتى تتحسر هذه الغمرة، وينطوي أجل تلك الفترة؛ وينظر لي
سیدی نظرة ترفعي من ذات الصدع، إلى ذات الرجع؛ وتردني إلى وكري الذي
(٥)
فيه درجت رد الشمس قطرة المزن إلى أصلها، ورد الوفي الأماني إلى أهلها .

(١) الأحيذة : الأسيرة، فعيلة بمعنى مفعولة . وعمورية : بلد من بلاد الروم فتحه المعتصم بالله
ثامن خلفاء بني العباس في سنة ٨٢٣ هـ . ويريد «شجاع الدولة العباسية» : المعتصم بالله السابق ذكره .
ويشير بهذا الكلام إلى امرأة من نساء المسلمين أسرها الروم في عمورية في عهد المعتصم، وكان الروم
يعذبونها، فصاحت : واستنصاه، فقال لها بعض الحراس سائرا بها : سيأتيك المعتصم على جواد
أبلى وخلفه خيول بلق فيقتلك من أيدينا . ففى خبر هذا الكلام إلى الخليفة المعتصم، فأقسم أن يفتح
بلاد الروم، ويعود بالأسيرة؛ ثم جرد لوقته على بلاد الروم جيشا كثيفا كله خيول بلق، وتقدمه هو على
جواد أبلى . فنكل بالروم وفتح عمورية، ودخل على الأسيرة في مجيئها واستنصاه وأعادها إلى بلادها .
(٢) النوى : البعد . وقافل : راجع . (٣) قال : «قريب» ولم يقل : «قريبة» لأنه يستعمل
في المذكر والمؤنث كما قال الله تعالى : «إن رحمة الله قريب من المحسنين» . وأهل بالسعادة : عاينها .
(٤) تتحسر هذه الغمرة، أى تكشف هذه المصيبة . (٥) الصدع : الشق . ويريد
« ذات الصدع » : الأرض . والرجع : المطر بعد المطر . وذات الرجع ، أى السماء . قال تعالى :
(والماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع) . (٦) الوكر : عش الطائر؛ والمراد به هنا :
وطنه . ودرجت : مشيت . والمزن (بضم فسكون) : السحاب . ويشير بهذه العبارة إلى ماء المطر الذى
يسقط من السماء، فتحوله الشمس بجزءها إلى بخار، ثم يعود إلى أصله سحابا .

فَإِنْ شَاءَ فَالْقُرْبُ الَّذِي قَدْ رَجَوْتُهُ * وَإِنْ شَاءَ فَالْعِزُّ الَّذِي أَنَا أَمَلُّ
 وَلَا فَإِنِّي قَافٌ (رُؤْيَا) ^(١) لَمْ أَزَلْ * بَقِيدِ النَّوَى حَتَّى تَقُولَ الْغَوَائِلُ
 فَلَقَدْ حَلَلْتُ السُّودَانَ حُلُولَ الْكَلِمِ فِي التَّابُوتِ، وَالْمُخَاضِبِ فِي جَوْفِ الْحَوْتِ؛ ^(٢)
 بَيْنَ الضَّبِّقِ وَالشَّتَةِ، وَالْوَحْشَةِ وَالْوُخْدَةِ . لَا، بَلْ حُلُولَ الْوَزِيرِ فِي تَنْوِيرِ الْعَذَابِ ^(٣)
 وَالكَافِرِ فِي مَوْقِفِ يَوْمِ الْحِسَابِ؛ بَيْنَ نَارَيْنِ : نَارِ الْقَيْظِ، وَنَارِ الْغَيْظِ .
 فَنَادَيْتُ بِأَسْمِ الشَّيْخِ وَالْقَيْظُ جَمْرُهُ * يُذِيبُ دِمَاحَ الضَّبِّ وَالْعَقْلُ ذَاهِلُ ^(٤)
 فَصِرْتُ كَأَنِّي بَيْنَ رَوْضٍ وَمَنْهَلٍ * تَدِبُ الصَّبَا فِيهِ وَتَشْدُو الْبَلَابِلُ ^(٥)

(١) رؤيا، هو ابن العجاج بن رؤبة، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية . وكان هو أبوه من وجاه الإسلام وفصحائهم المذكورين المتقدمين منهم . ومات رؤبة في أيام المنصور، وكان يصنع أكثرًا يجيزه على روى القاف الساكنة، فحضر بقائه المثل في السكون وطعم الحركة؛ والمراد هنا : إن لم يدركني الأستاذ الإمام بمساعيه، فأني مستقر في هذه البلاد البعيدة لا أبرحها، كقاف رؤبة في سكونها، حتى يأتي الأهل . وفي قاف رؤبة هذه يقول أبو العلاء :

مالي غدوت كقاف رؤبة قيدت * في الدهر لم يقدر له إجراؤها

والغوائل : الدواهي التي تأخذ الإنسان من حيث لا يدرى . (٢) الكلم : نبي الله موسى عليه السلام؛ وقصة وضعه في التابوت وإلقائه في اليم وهو وليد مشهور، وقد قصها الله تعالى في القرآن في غير موضع . (٣) يريد «المخاضب» : نبي الله يونس عليه السلام، قال تعالى في سورة الأنبياء : (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا) الآية . وقصة التقام الحوت إياه ونروجه من جوفه مشهورة؛ ولقد ذكرها الله تعالى في القرآن . (٤) كذا ورد ضبط هذا اللفظ بضم الواو في شرح القاموس ضبطًا بالعبارة . (٥) يريد «الوزير» : أبا جعفر محمد بن عبد الملك الزيات، وزير الخليفة، المنصم بالله، وابنه الواثق بالله . ويشير بهذه العبارة إلى ما يروى من أن هذا الوزير كان لشدة ظلمه قد صنع تنورا يدخل فيه من أمر يقتله مبالغة في تعذيبه، فأراد الله أن يكون هو أول من يعذب فيه حتى يموت، وذلك بأمر الخليفة المتوكل على الله سنة ٢٣٣ هـ . (٦) يذيب دماغ الضب : كناية عن شدة الحر . والضب : حيوان قصير الذنب، معقده، خشن الجلد، ولونه إلى غيرة مشربة بالسواد . (٧) الصبا : ريح الشمال . وتشدو، أي تنزد .

واليوم أكتبُ إليه وقد قَعَدْتُ هِمَّةَ النُّجْمَيْنِ^(١)، وقَصَرْتُ يَدَ الْجَدِيدَيْنِ^(٢)؛ عن
إِزَالَةِ ما في نَفْسٍ ذَلِكَ الْجَبَّارِ الْعَنِيدِ، فَلَقَدْ نَمَى ضُبُّ ضِفْنِهِ عَلَيَّ^(٣)، وَبَدَّرْتُ^(٤)
بَوَادِرُ السُّوءِ مِنْهُ إِلَى^(٥)؛ فَأَصْبَحْتُ كَمَا سَرَّ الْعَدُوَّ وَسَاءَ الْحَمِيمَ^(٦)، وَآلَمِي كَأَنَّهَا جُلُودُ
أَهْلِ الْجَحِيمِ، كُلَّمَا نَفَّضَجَ مِنْهَا أَدِيمٌ تَجَدَّدَ أَدِيمٌ^(٧)؛ وَأَمْسَيْتُ وَمَلَكْتُ آمَالِي إِلَى الزَّوَالِ
أَسْرَعُ مِنْ أَثَرِ الشَّهَابِ فِي السَّمَاءِ، وَدَوْلَةُ صَبْرِي إِلَى الْاضْمِحْلَالِ أَحَثُ مِنْ حَبَابِ^(٨)
الماءِ؛ فَتَنَظَّرْتُ فِي وُجُوهِ تِلْكَ الْعِبَادِ، وَإِنِّي لِفَارَسُ الْعَيْنِ وَالْفُؤَادِ^(٩)؛ فَلَمْ تَقِفْ
فِرَاسَتِي عَلَى غَيْرِ بَابِكَ^(١٠).

(١) يريد «بالنجمين»: المشتري والزهرة؛ وكان القدماء يعتقدون أن لها تأثيراً في نفوس البشر
يؤلفان منها ما تفرق. ويقال: قعدت همه عن كذا، أي عجزته.

(٢) الجديدان: الليل والنهار.

(٣) يريد «بالجبار العنيد»: ككثير باشا سردار الجيش المصري إذ ذاك، وكان بينه وبين حافظ
قصور وجفوة، حتى يقال: إنه لغضبه على حافظ كتب أمام اسمه: لا يرق ولا يرف.

(٤) نَمَى نَمَى وَيَنُو: زاد.

(٥) الضب: الغيظ والحقد الخفي.

(٦) بدرت: أضرعت. والبوادر: جمع بادرة، وهي ما يسدو من الإنسان عند حدته من خطأ
وسقطات، والمراد «ببوادر السوء»: أوائله.

(٧) الحميم: الصديق.

(٨) الأديم: الجلد. ويشير بهذه العبارة إلى قوله تعالى في صفة عذاب أهل النار:
«كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب».

(٩) أحث: أشد سرعة. وحباب الماء: فقاقمه التي تكون على سطحه.

(١٠) فارس: اسم فاعل من الفراسة، وهي الاستدلال بالأمور الظاهرة على الأمور الخفية.

وإني أهديك سَلاماً لو أمتزجَ بالسحاب ، وأختلطَ منه باللعاب ؛ لأصَبَحَتْ^(٢)
تَهَادَى بِقَطْرِهِ الْأَكَاْسِرَ^(٣) ، وَأَمْسَتْ تَدْحُرُ مِنْهُ الرُّهْبَانُ فِي الْأَدِيرَةِ ؛ وَلَا غَفَى ذَاتَ
الْجِجَابِ ، عَنِ الْغَالِيَةِ وَالْمَلَابِ ؛ وَلَا يَدْعُ^(٦) إِذَا جَادَ السَّيِّدُ بِالرَّدِّ ، فَقَدْ يُرَى وَجْهُ^(٥)
الْمَلِيكِ فِي الْمِرْآةِ ، وَخَيَالُ الْقَمَرِ فِي الْأَضَاةِ ؛ وَإِنْ حَالُ حَائِلٍ ، دُونَ أُمْنِيَّةِ هَذَا^(٧)
السَّائِلِ ؛ فَهُوَ لَا يَلْمُ يَوْمَكَ ، وَلَا يَيْأَسُ مِنْ غَدِكَ ؛ فَأَنْتَ خَيْرٌ مَا تَكُونُ حِينَ لَا تَنْظُنُّ
نَفْسٌ بِنَفْسٍ خَيْرًا ؛ وَالسَّلَامُ .

(١) صوابه «أهدى لك» أو «إليك» . (٢) لعاب السحاب : مطره . (٣) قطر السحاب :
ماؤه الذي يقطر منه . والأكاسرة : ملوك فارس . (٤) لم نجد هذا الجمع «للدبر» في مدونات
اللغة التي بين أيدينا ؛ والذي وجدناه أن جمعه : أديار ، كما في القاموس وغيره ؛ وديورة ، كما في المصباح ؛
وهذا الجمع المذكور هنا شائع الاستعمال في كلام المعاصرين ، بل لا يستعملون غيره . وقد شبه المطر المتزجج
بسلاسه بالتمر المعلقة عند الرهبان ، المحفوظة في أديارهم . (٥) الغالية : نوع من الطيب مركب
من أخلاط ثقل على النار . والملاب : كل عطر مائع ؛ وهو لفظ فارسي معرب . (٦) لا يدع ،
أي ليس غريباً ولا أول شيء حدث . (٧) الأضائة (بفتح الهمزة وتخفيف الضاد) : القدير ؛
وجمعه أصوات (بالتحريك) .

المكراني

رثاء عثمان^(١) السيد أباطه بك

سنة ١٨٩٦ م

(٢) رَدَا كُؤُوسُكُمَا عَنْ شِبْهِ مَفْؤُودٍ * فَلَيْسَ ذَلِكَ يَوْمَ الرِّاحِ وَالْعُودِ
(٣) يَا سَاقِيَّ أَرَانِي قَدْ سَكَنْتُ إِلَى * مَاءِ الْمَدَامِيعِ عَنْ مَاءِ الْعَنَاقِيدِ
(٤) وَبِثَّ يَرْتَاحُ تَمَعِي حِينَ يَفْتَقُّهُ * صَوْتُ النَّوَادِبِ لَا صَوْتُ الْأَغَارِيدِ
(٥) فَأَمْسِكَ الرِّاحَ إِنِّي لَا أَخَاطُهَا * وَبَلِّغَا النِّبْدَ عَنِّي سَلَوَةَ الْغِيدِ
ثُمَّ امْضِيَا وَدَعَانِي إِنِّي رَجُلٌ * قَدْ آلَ أَمْرِي إِلَى هَمٍّ وَتَشْيِيدِ
أَبْعَدَ (عُثْمَانَ) أَبْنِي مَارَبًّا حَسَنًا * مِنْ الْحَيَاةِ وَحَظًّا غَيْرَ مُنْكَوَدٍ؟

(١) عثمان أباطه بك ، هو ابن السيد أباطه باشا ، ولد في سنة ١٢٦٤ هـ - ١٨٤٨ م وأخلفه والده بالمدرسة الخديوية ، ثم مدرسة الإدارة والألسن ، وهي مدرسة الحقوق في أول عهدنا ؛ وقول جملة مناصب ، فكان ناظر قلم قضايا مديرية الشرقية ؛ واختاره المغفور له اسماعيل باشا الخديوي مفتشا لتفتيش (الزكلكون) وأتم عليه بالرتبة الثانية ، وبعد أن تقلد عدة أعمال أخرى استقال منها ، وأقام ببده (الربعاة) بأقليم الشرقية ؛ وكان بيته ملحقا بالظباء والأدباء والشعراء ، وكان حافظ إبراهيم بك كثير التردد عليه ، وتوفي سنة ١٨٩٦ م . وكان أبوه السيد أباطه باشا أول من نال لقب (باشا) من المصريين العرب . (٢) المفؤود : مصاب الفؤاد . والراح : الخمر . (٣) سكن إلى الشيء : استراح إليه وأنس به . ويريد بماء العناقيد : الخمر . (٤) يفتقه ، أى يشقه ويقطعه فيه . والأغاريد : جمع أغرودة ، وهي الأغنية . (٥) لا أخاطرها ، أى لا أخاطلها . والنبيد : جمع غيداء ، وهي المرأة المتئنة لبنا ونعمة .

- (١) لَأَنِّي لَبَحْرُنِي أَنْ جَاءَ يَنْشُدُهُ * دَاعِيَ الْمُنُونِ وَأَنَّى غَيْرُ مَنْشُودٍ
- (٢) أَمَسْتُ تُنَافِسُ فِيكَ الشُّهْبَ مِنْ شَرَفٍ * أَرْضٌ تَوَارَيْتَ فِيهَا يَافَتَى الْجُودِ
- لَوْ لَمْ تَكُنْ سَبَقَتِكَ الْأَنْبِيَاءُ لَهَا * قُلْنَا بِأَنَّكَ فِيهَا خَيْرٌ مَلْحُودِ
- (٣) وَوَدَّتِ الرَّيْحُ لَوْ كَانَتْ مُسَجَّرَةً * لِحِمْلِ نَشِيكِ عَنْ هَامِ الْأَمَاجِيدِ
- وَالشَّمْسُ لَوْ أَنَّهُ مِنْ أَفْقِهَا هَبَّتْ * وَأَثَرَتْ مَعَكَ سُكْنَى الْفَقْرِ وَالْيَدِ
- (٤) وَقَدْ تَمَنَّى الضُّحَى لَوْ أَنَّهُمْ دَرَجُوا * هَذَا الْفَقِيدَ بِثَوْبٍ مِنْهُ مَقْدُودِ
- (٥) يَا رَاحِلًا أَكْبَرْتَكَ الْحَادِثَاتُ وَمَا * أَكْبَرَتْهَا عِنْدَ تَلَيُّنٍ وَتَشِيدِ
- (٦) أَبَكَيْتَ حَتَّى الْعُلَا وَالْمَكْرَمَاتِ وَمَا * جَفَّتْ عَلَيْكَ مَا قَى الْخُرْدِ الْجُودِ
- (٧) وَبَاتَ أَلْكَ وَالْأَصْحَابُ كُلُّهُمْ * عَلَيْكَ مَا يَتَيْنَ مَحْزُونٍ وَمَعْمُودِ
- (٨) يَكُونُ فَقَدْ أَمْرِي لِخَيْرٍ مُنْتَسِبٍ * بِالْبَشْرِ مُنْتَقِبٍ فِي النَّاسِ مَجُودِ
- (٩) (بَنَى أَبَاظَةَ) لَا زَالَتْ دِيَارُكُمْ * أَفَقَّ الْبُدُورِ وَغَابَا لِلصَّنَادِيدِ

- (١) ينشده : يطلبه . والمنون : الموت . (٢) « تنافس فيك الشهب » الخ ، أى تفانها بدفكك فيها . والشهب : النجوم . (٣) الهام : الروس ، الواحدة هامة .
- (٤) درجوا : لقوا . والمقدود : المقطوع . (٥) يقول : إن حوادث الأيام قد أكبرت همة الفقيد وأعظمت خطره فلا تحل به رهبة منه ، وما كان هو يكبرها ولا يحسب لها حساباً لصغرها عن همة . (٦) يريد بالمآقي : العيون . والخرد : جمع نريدة ، وهى البكر التى لم تمس . والخرد بضم الخاء جمع خود بفتحها ، وهى الشابة الحسنة . (٧) المعمود : من أصيب فى عمود قلبه ، أى صميمه . (٨) المنتقب : لابس النقاب ، وهو البرقع ، شبه به ما يدور على الوجه من بشاشة واستبشار . (٩) بنو أباطة : أسرة معروفة ينتهى نسبها إلى بنى العائد ، بلن من طي (وكفر العائد بإقليم الشرقية معروف) وقد حضرت هذه الأسرة من العراق إلى مصر مع الشيخ محمد أبى مسلم ، وذلك بعد سقوط بغداد فى يد (هولاكو) ملك التتار أيام الخليفة المستعصم ، ولقبت هذه الأسرة بأباطة لأن أهمهم كانت من قبيلة شركية يقال لها : أباطة ، فنسبوا إليها .

لَا قَدْرَ اللَّهِ بَعْدَ الْيَوْمِ تَعْرِيةً * إِلَّا هَنَاءٌ عَلَى عِزٍّ وَتَحْلِيدٍ
وَعَظَمَ اللَّهُ فِي (عُثْمَانَ) أَجْرَكُمْ * فِي رَحْمَةِ اللَّهِ أَمْسَى خَيْرَ مَقْمُودٍ

رثاء سليمان أباظه باشا^(١)

[قُتِلَ فِي سَنَةِ ١٨٩٧ م]

(٢)
أَيُّهَا التَّرى إِلَامَ التَّمَادَى * بَعْدَ هَذَا أَنْتَ غَرْنَانُ صَادِي
أَنْتَ تَرَوِي مِنْ مَدَمَعِ كُلِّ يَوْمٍ * وَتُعْدِي مِنْ هَذِهِ الْأَجْسَادِ
قَدْ جَعَلْتَ الْأَنَامَ زَادَكَ فِي الدَّهْرِ * بِرِ وَقَدْ آذَنَ الْوَرَى بِالنَّفَادِ
(٣)
فَالْتِمِسْ بَعْدَهُ الْمَجَرَّةَ وَرَدًّا * وَتَزَوَّدْ مِنَ التُّجُومِ بَرَادِ
(٤)
لَسْتُ أَدْعُوكَ بِالتُّرَابِ وَلَكِنْ * بِقُدُودِ الْمِلَاحِ وَالْأَجَادِ
(٥)
بُجُودِ الْحِسَانِ ، بِالْأَعْيُنِ النَّجْدِ * لِي ، يَتْلُكَ الْقُلُوبِ وَالْأَبْجَادِ
لَمْ تَلِدْنَا (حَوَاءُ) إِلَّا لِنَشْقَى * لَيْتَهَا عَاطِلٌ مِنَ الْأَوْلَادِ
(٦)
أَسْلَمْتُنَا إِلَى صُرُوفِ زَمَانٍ * ثُمَّ لَمْ تُوصِهَا بِحِفْظِ الْوِلْدَانِ

- (١) انظر التعريف بسليمان أباظه باشا في الحاشية رقم ١ من صفحة ٣٧ من الجزء الأول .
(٢) الغرنان : الجائع . والصادي : الظمان . يريد مداورة الترى على مواراة الأجساد وإيلاء
الجسوم . (٣) المجرة : نجوم كثيرة يتشربها في السماء قمرى كأنها بقعة بيضاء .
(٤) القُدود : جمع قَدَّ ، وهو القامة . والأجباد : جمع جيد ، وهو العنق . يريد بهذا البيت والذى
بعده : أن يسمى التراب بقُدود الملاح وأجبادها وخدودها وعيونها ... الخ ، لأنها فُتِحَتْ فِيهِ فَصَارَتْ مَهْ .
(٥) النجل : الواسعة . (٦) صُرُوفُ الزمان : نوابه وتقلباته .

(١)
أَيُّهَا الْيَمُّ كَمْ بِقَاعِكَ نَفْسٍ * فَيْكَ أَوْدَتْ مِنْ عَهْدِي الْأَوْتَادِ
قَدْ تَحَالَفَتْ وَالتُّرَابَ طَيْنَا * وَتَقَاسَمْتُمَا فَنَاءَ الْعِبَادِ
(٢)
خَبَرِنَا جُهَيْنَ لَا تُكَذِّبُنَا * مَا الَّذِي يَفْعَلُ إِلَيَّ بِالْجَوَادِ؟
(٣)
كَيْفَ أَمْسَى وَكَيْفَ أَصْبَحَ فِيهِ * ذَلِكَ الْمُنْعَمُ الْكَثِيرُ الرَّمَادِ
رَحِمَ اللَّهُ مِنْهُ لَفْظًا شَيْئًا * كَانَ أَحْلَى مِنْ رَدِّ كَيْدِ الْأَعْدَى
(٤)
رَحِمَ اللَّهُ مِنْهُ طَرَفًا تَقِيًّا * وَيَمِينًا تَسِيلُ سَيْلَ الْغَوَادِ
(٥)
رَحِمَ اللَّهُ مِنْهُ شَهْمًا وَفِيًّا * كَانَ مِلَّةَ الْعُيُونِ فِي كُلِّ نَادَى
أَلْهَمَ اللَّهُ فِيكَ صَبْرًا جَمِيلًا * كُلُّ مَنْ بَاتَ نَاطِقًا بِالضُّبَادِ
(٦)
بِتِّ فِي حُلَّةِ النِّعَمِ وَبَيْنَنَا * فِي ثِيَابٍ مِنَ الْأَمْسَى وَالشُّهَادِ
وَسَكَنْتَ الْقُصُورَ فِي بَيْتِ خُلْدٍ * وَسَكَّنَا عَلَيْكَ بَيْتَ الْحَدَادِ

- (١) اليم: البحر، و«نفس» (بالجر) على قول بعض النحويين، والنصب أرجح، للفصل بين «كم» وتمييزها بالجاز والمجرور. وأودت: هلكت. وذو الأوتاد: لقب لفرعون ورد ذكره في القرآن.
- (٢) جهين، يريد جهة، وهي قبيلة من قضاة. ويشير الشاعر إلى المثل المعروف: «وعند جهة الخبير اليقين». يضرب لمن يعرف الأمور على حقيقتها، وأمله من قول الشاعر:
- تسائل عن حصين كل ركب * وعند جهة الحسب اليقين
- والجواد: الكريم.
- (٣) فيه، أي في «البي» السابق في البيت الذي قبله. وكفى «بكثرة الرماد» من سعة جوده، وكثرة إطعامه للناس.
- (٤) الغوادي: السحب تنشا غدوة؛ الواحدة غادية.
- (٥) ملء العيون، كناية عن هيئة الناس إياه وإعظامهم له إذا رأوه.
- (٦) الأمسى: الحزن.

وقال يرثيه أيضا :

(١) لا والْأَمْسَى وتَلْهُبِ الْأَحْشَاءِ * مَا بَاتَ بِعَدِكَ مُعْجَبٌ بِوَفَاءِ
أَنَّى حَلَّتْ أَرَى طَيْكَ مَا تَمَّا * فَلَمَنْ أَوَّجَهُ فَيْكَ حُسْنَ عَزَائِي؟
(٢) لَيْنِكَ ، أَمْ لِدَوِيكَ ، أَمْ لِلْكَوْنِ ، أَمْ * لِلدَّهْرِ ، أَمْ لَجَمَاعَةِ الْجَوَازِءِ؟
(٣) أَوْدَى (سُلَيْكُنْ) فَأَوْدَى بَعْدَهُ * حُسْنُ الْوَفَاءِ وَهَيْجَةُ الْعَلِيَاءِ
لَا تَحْمِلُوهُ عَلَى الرِّقَابِ فَقَدْ كَفَى * مَا حُمِلَتْ مِنْ مَنِيَّةٍ وَعَطَاءِ
(٤) وَذَرُّوا عَلَى نَهْرِ الْمَدَامِجِ نَعَشَهُ * يَسْرِي بِهِ لِلرَّوَضَةِ الْفَيْحَاءِ
(٥) تَاللهِ لَوْ عَلِمْتُ بِهِ أَعْوَادُهُ * مُذْ لَامَسْتَهُ لَأَوْرَقْتُ لِلزَّوَالِ
خُلُقُ كَضْوَةِ الْبَدْرِ ، أَوْ كَالرَّوِضِ ، أَوْ * كَالزُّهْرِ ، أَوْ كَالنَّجْمِ ، أَوْ كَالْمَاءِ
(٦) وَشَمَائِلُ لَوْ مَا زَجَّتْ طَبَعَ الدُّجَى * مَا بَاتَ يَشْكُوهُ الْمُحِبُّ النَّائِي
وَعَمَاسِدُ تَسَجَّتْ لَهُ أَكْفَانُهُ * مِنْ عَقِيَّةٍ ، وَسَمَاحِيَّةٍ ، وَإِيَاءِ
(٧) وَمَنَاقِبُ لَوْلَا الْمَهَابَةُ وَالتَّقَى * قُلْنَا مَنَاقِبُ صَاحِبِ الْإِسْرَاءِ
(٨) وَعَزَائِمُ كَانَتْ تُقْلُ عَزَائِمُ الْ * أَحَادِثِ ، وَالْأَيَّامِ ، وَالْأَعْدَاءِ

- (١) الأَمْسَى : الحزن . وقوله : « مَا بَاتَ » الخ ، أى لم يبق بعد موتك وفاء يعجب به أحد من الناس .
(٢) الْجَوَازِءِ : برج فى السماء معروف . ويريد « جَمَاعَةُ الْجَوَازِءِ » : الكواكب التى يتألف منها هذا البرج . (٣) أَوْدَى : هلك . (٤) الْفَيْحَاءُ : الواسعة ؛ ويريد بها منزله فى الجنة .
(٥) أَعْوَادُهُ : يريد أَعْوَادَ نَعَشِهِ . (٦) النَّائِي : البعيد . يريد أنه لو كان ليل أخلاقه وسجاياءه ماشكا العاشق طولَه عليه ومعهده فيه . (٧) صَاحِبِ الْإِسْرَاءِ : رسول الله صلى الله عليه وسلم . (٨) تَقْلُ : تنلم . والأحداث : حوادث الزمن وشذائده .

عَطَّلَتْ فَنَ الشَّعْرِ بَعْدَكَ وَأَنْطَوَى * أَجَلُ الْقَرِيضِ وَمَوْسِمُ الشُّعْرَاءِ
 (١)
 وَاللُّؤْلُؤُ اسْتَعَصَى طِينًا نَظْمُهُ * بُسْمُوطٍ مَدِجٍ أَوْ سُموطٍ هَنَاءِ
 (٢)
 إِلَّا عَلَى طَرْفٍ بَكَالِكَ وَشَاعِيرٍ * أَجَا طَلِيكَ مَرَايَ الْخَنَسَاءِ
 (٣)
 شَوْقُنَا لِلتَّرْبِ بَعْدَكَ وَاشْتَهَى * فِيهِ الْإِقَامَةَ وَاحِدُ الْعَدَاءِ
 (٤)
 ثَبَّتْ فُؤَادَكَ يَا قَلِيلَ تَصْبِيرِي * وَأَشْرَحْ (لَا لَ أَبَاطِلِي) بَرْحَانِي
 فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ بَاتَ عَزِيزُهُمْ * ضَيْقًا بِسَاحَةِ أَكْرَمِ الْكُرَمَاءِ

رثاء الملكة فكتوريا^(٥)

[نشرت في ٢٤ يناير سنة ١٩٠١ م]

أَعَزَّى الْقَوْمَ لَوْ تَمَعُوا عَزَائِي . * وَأَطْلُنِي فِي مَلِكَتِهِمْ رِثَائِي
 وَأَدْعُو الْإِنْجِلِيزَ إِلَى الرِّضَاءِ * بِحُكْمِ اللَّهِ جَبَّارِ السَّمَاءِ
 فَكُلُّ الْعَالَمِينَ إِلَى فَنَاءِ

- (١) السموط: جمع سمط (بالكسر)، وهو خيط النظم مادام فيه الخب، فإذا لم يكن فيه فهو سلك .
 (٢) الخنساء، هي تهاضر بنت عمرو بن الحارث، وتكنى أم عمرو . والخنساء: لقب غلب عليها، وأكثر شعراها في رثاء أخويها معاوية وصهر، فضرِبَ بها المثل في الحزن . وقد ثبت في الجاهلية، وأدركت الإسلام وأسلمت . وتوفيت في أول خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة ٨٢٤ .
 (٣) واحد العداء: عيسى المسيح عليه السلام، إشارة إلى أنه في السماء، فهو يود أن يستبدل بها الأرض لشرفها بدفن الفقيه فيها .
 (٤) البرحاء: شدة الحزن والعناء .
 (٥) الملكة فكتوريا، هي الكسندرينا بنت إدوارد، وهو الدوق كيث، رابع أبناء الملك جورج الثالث . ولدت سنة ١٨١٩ م، وتولت عرش إنجلترا في سنة ١٨٣٧ م، وتوفيت سنة ١٩٠١ م .

أَتَمْسُ الْمُلْكِ أَمْ تَمْسُ النَّهَارِ * هَوْتُ أَمْ تَكِ مَالِكَةُ الْبَحَارِ
(١)
فَطَرُفُ الْغَرِبِ بِالْعَبْرَاتِ جَارِي * وَعَيْنُ السِّمِّ تَنْظُرُ لِلْبُخَارِ
بَنْظَرَةٍ وَاحِدَةٍ قَلْبِي الرَّجَاءِ

أَمَّا مَالِكَةُ الْبَحَارِ وَلَا أَبَالِي * إِذَا قَالُوا تَنَالَى فِي الْمَقَالِ
فِيَنْفُلُ مُلَاكِ لَمْ أَرَّ فِي الْمَعَالِ * وَلَا تَأْجَأَ تَأْجِكِ فِي الْجَلَالِ
وَلَا قَوْمًا كَقَوْمِكَ فِي الدَّهَاءِ

(٢)
مَلَأْتُ الْأَرْضَ أَهْلَامًا وَجُنْدًا * وَشَدِدْتُ لِأُمَّةِ (السَّكُونِ) مَجْدًا
(٣)
وَكُنْتُ لِفَأْهَالِيُمَتَا وَسَعْدًا * تَرَى فِي نُورٍ وَجْهِيكَ إِنْ تَبَدَّى
سُعُودَ الْبَدْرِ فِي بُرْجِ الْهَنَاءِ

(٤)
وَكُنْتُ إِذَا عَمَدْتُ لِأَخْذِ نَارٍ * أَسَلْتُ الْبَرَّ بِالْأَسْدِ الضُّوَارِي
(٥)
وَسَيَّرْتُ الْمُنْدَائِنَ فِي الْبَحَارِ * وَأَمْطَرْتُ الْعُدُوَّ شِوَاظَ نَارٍ
(٦)
وَذَرَيْتُ الْمَعَاقِلَ فِي أَلْهَوَاءِ

(١) الميم : البحر . والواجد : الحزين . والمعنى أن البحر ينظر إلى البواخر الإنجليزية نظرة قلق على مستقبلها بعد موت الملكة فكتوريا . (٢) السكسون : صنف من الغزاة الذين وفدوا إلى بريطانيا مع الإنجيل من الشرق ، من الدنمارك وشمال ألمانيا الغربي ، بعد جلاء الرومان عنها سنة ٤١٠ م . وقد انتشروا في الجزيرة بالتدريج ، وبأدأ ما مهم السكان الأصليون ، ومن بقى فزلى جبال الغالة أو إلى غيرها من الجهات القاصية ؛ وكان الإنجيل والسكسون يعيشون أول الأمر في ولايات مستقلة متفصل بعضها عن بعض ، ثم ما لبثوا أن اتحدت كلمتهم ، وأعترفوا بالزمامة لأعظم ولاية من بين تلك الولايات ، وهي ولاية وسكس ، وتلقب ولاتها في أواخر القرن التاسع بالملوك . (٣) تبدى ، أى بدا وظهر . (٤) « أسلت الخ » أى جعلت البريسيل بالشجعان كما يسيل الماء . والضواري : الحرية التى تعودت الصيد ولازمته . (٥) يريد « بالمدائن » : السفن الكبيرة . وشواظ النار : بالغمم والكسر : حرما وطمحيا . (٦) ذريت المعاقل ، أى نسفت الحصون وقرقت أجزائها فى الهواء .

(١)
أُعَزِّي فِيكَ تَاجَكَ وَالسِّرِّيَا * أُعَزِّي فِيكَ ذَا الْمَلِكِ الْكَبِيرَا
(٢)
أُعَزِّي فِيكَ ذَا الْأَسَدِ الْمَهْصُورَا * عَلَى الْعَلَمِ الَّذِي مَلَكَ الدُّهُورَا
وَنَظَّلَ تَحْتَهُ أَهْلَ الْوَلَاءِ
(٣)
أُعَزِّي فِيكَ أَبْطَالَ التَّوَالِي * وَمَنْ قَاسُوا الشَّدَائِدَ فِي الْقِتَالِ
(٤)
وَأَلْقَوْا بِالْعُدُوِّ إِلَى الْوَبَالِ * وَلَمْ يَمْنَعَهُمْ فَوْقَ الْجِبَالِ
(٥)
هَيْبُ الصَّيْفِ أَوْ قُرُ الشَّيْءِ

(٦)
بيتان كتبنا على قبر السيد عبد الرحمن الكواكبي

في سنة ١٩٠٢ م

هَنَا رَجُلُ الدُّنْيَا، هَنَا مَهِيْطُ الْتَقَى * هَنَا خَيْرُ مَظْلُومٍ، هَنَا خَيْرُ كَاتِبٍ
(٧)
قِفُوا وَأَقْرَعُوا أُمَّ الْكِتَابِ وَسَلُّوا * عَلَيْهِ فَهَذَا الْقَبْرُ قَبْرُ (الْكَوَاكِبِي)

- (١) يريد « بالملك الكبير » ادوارد السابع ابن الملكة فكتوريا .
(٢) الأسد : رمز متخذ للدولة الإنجليزية . والمهصور : الكاسر . (٣) الصحيح « قاسوا » ،
بفتح السين وسكون الواو ، وضم السين في هذا البيت لضرورة الوزن . (٤) الوبال : الهلاك .
(٥) القر (بضم القاف) : البرد . يريد : أن الحر والبرد لم يمنعا من تساق الجبال .
(٦) ولد السيد عبد الرحمن الكواكبي بحلب سنة ١٢٦٥ هـ ، وتعلم على أساتذة مصره علوم الأدب
والشريعة ، وطالع من الكتب ما يتعلق منها بعلم الاجتماع من تاريخ وفلسفة ، ثم درس بعض العلوم الطبيعية
والرياضية ، فنال من ذلك حظا وافرا ، وساح في بلاد العرب وشرق إفريقيا وبعض بلاد الهند ، وألف
تأثيره المشهور بن (أم القرى) و (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) ، وتوفي في سنة ١٩٠٢ م
(٧) أم الكتاب : الفاتحة .

رثاء محمود سامى البارودى^(١) باشا

[نشرت فى ٢٢ يناير سنة ١٩٠٥]

- (٢) رُدُّوا عَلَى بَيَانِي بَعْدَ (محمود) * لِأَنِّي عَيْتُ وَأَعْيَا الشَّعْرُ مَجْهُودِي
 مَا لِلْبَلَاغَةِ غَضْبِي لَا تُطَاوِعُنِي * وَمَا لِحَبْلِ الْقَوَائِي غَيْرَ مَمْدُودِي
 ظَنَنْتُ سَكُوتِي صَفْعًا عَنْ مَوَدَّتِهِ * فَأَمْسَأَنْتَنِي إِلَى هَمٍّ وَتَسْيِيدِ
 وَلَوْ دَرَّتْ أَنَّ هَذَا الْخَطْبَ أَغْنَى * لَا طَلَقْتُ مِنْ لِسَانِي كُلَّ مَعْقُودِ
 لَيْسَ يَا مُؤَنِّسَ الْمَوْتَى وَمُوحِّشَنَا * يَا فَارِسَ الشَّعْرِ وَالْمُهَيِّجَاءِ وَالْجُودِ
 مُلْكُ الْقُلُوبِ - وَأَنْتَ الْمُسْتَقِيلُ بِهِ - * أَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ مِنْ مُلْكِ (ابن داود)
 لَقَدْ تَزَحَّتْ عَنِ الدُّنْيَا كَمَا تَزَحَّتْ * عَنْهَا لِيَا لَيْكَ مِنْ بَيْضٍ وَمِنْ سُودِ
 أَغْمَضْتَ عَيْنَيْكَ عَنْهَا وَازْدَرَيْتَ بِهَا * قَبْلَ الْمَمَاتِ وَلَمْ تَحْفَلْ بِمَوْجُودِ
 لَيْسَ يَا شَاعِرًا ضَنْ الزَّمَانُ بِهِ * عَلَى النَّهْيِ وَالْقَوَائِي وَالْأَنَاشِيدِ

- (١) انظر التعريف بالبارودى فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٧ ج ١ (٢) ردوا على بيانى، أى أعيدوه الى بعد أن عزب عني من هول المصائب . وعيى يعيا (من باب رضى) : كل وتعب .
 (٣) أى ظننت البلاغة سكوتى عن رثاء الفقيه إعرافا عن مودته وتناسيا لصحبته فتركنى أعذب بالهم والسر . (٤) ألحمة : أسكته وعقد لسانه . (٥) الهيجاء : الحرب .
 (٦) يريد «ابن داود» : نبى الله سليمان عليه السلام ، وبه يضرب المثل فى سعة الملك .
 (٧) تزحّت : بعدت . والبيض والسود : إشارة إلى أيام نعم فيها البارودى بالعرز والجلالة ، وأخرى شق فيها بالأسر وكف البصر ومصادرة المال والنهى . (٨) يشير بقوله : « أغمضت عينيك » إلى أن الفقيه كان قد كف بصره فى آخر حياته فهاش ضريرا . وازدريت بها : احتقرتها واستخففت بها . ولم تحفل : لم تبال . (٩) النهى : القول ؛ الواحدة نهيّة (بالضم) .

- (١) تَجْرِي السَّلَاسَةُ فِي أَثْنَاءِ مَنَاطِقِهِ * تَحْتَ الْفَصَاحَةِ بَحْرَى الْمَاءِ فِي الْعُودِ
(٢) فِي كُلِّ بَيْتٍ لَهُ مَاءٌ يَرِفُ بِهِ * تَغَارُ مِنْ ذِكْرِهِ مَاءُ الْعَنَاقِيدِ
لَوْ حَنَطُوكَ بِشِعْرِ أَنْتَ قَائِلُهُ * غَنَيْتَ عَنْ نَفَحَاتِ الْمِسْكِ وَالْعُودِ
(٣) حَلِيتَهُ بَعْدَ أَنْ هَدَّبْتَهُ بِسَنَا * عَقْدٍ بِمَدْحِ رَسُولِ اللَّهِ مَنْضُودِ
(٤) كَفَلَكَ زَادًا وَزَيْنًا أَنْ تَسِيرَ إِلَى * يَوْمِ الْحِسَابِ وَذَلِكَ الْعَقْدُ فِي الْجِيدِ
لَيْتَكَ يَا خَيْرَ مَنْ هَزَّ الْيَرَاعَ، وَمَنْ * هَزَّ الْحُسَامَ، وَمَنْ لَبَّى، وَمَنْ نُودِيَ
(٥) إِنْ هَدَّ رُكْنُكَ مَنُكُوبًا فَقَدْ رَفَعْتَ * لَكَ الْفَضِيلَةَ رُكْنًا غَيْرَ مَهْدُودِ
إِنَّ الْمَنَاصِبَ فِي عَزْلِ وَتَوَلَّيَةِ * غَيْرِ الْمَوَاهِبِ فِي ذِكْرِ وَتَحْلِيلِ
(٦) أَكْرَمَ بِهَا زَلَّةً فِي الْعُمْرِ وَاحِدَةً * إِنَّ مَعَ أَنَّكَ فِيهَا غَيْرُ تَحْمُودِ
(٧) سَلُّوا الْجَاهِلَ قَضَتْ أَرْبَابُهُ وَطَرًا * دُونَ الْمَقَادِيرِ أَوْ فَازَتْ بِمَقْصُودِ

(١) السلاسة : الرقة والانسجام .

(٢) يقال : رف النبات يرف رفيقا ، إذا كثر ماؤه من النضرة والنضاضة واهتز وتمايل . وقد شبه به أبيات البارودي في حسن رونقها وطلاوتها . وماء العناقيد : النهر . (٣) السنن : النور . والمنضود : المنظوم . ويشير بهذا إلى قصيدة البارودي التي عارض بها قصيدة البوصيري في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، ومماها : (كشف الغمة في مدح خير الأئمة) وأولها :

ياسارى البرق يمس دارة العلم * واحد الغمام إلى حى يذى سلم

(٤) الجيد : العتيق . (٥) يشير إلى ما نكتب به البارودي في حياته من عزله من مناصب الحكومة ، وفيه ، وغير ذلك .

(٦) يريد « بالزلة » اشتراك الفقيد في الثورة الموازية .

(٧) الجاهل : العقل . والوطن : الحاجة . أى إن العقول وإن رجع رأيها لا تملك مع المقادير شيئا .

- (١) كُنْتَ الْوَزِيرَ وَكُنْتَ الْمُسْتَعَانَ بِهِ * وَكَانَ هُمُكَ هَمُّ الْقَادَةِ الصَّيْدِ
(٢) كَمْ وَقْفَةٍ لَكَ وَالْأَبْطَالُ طَائِرَةٌ * وَالْحَرْبُ تَضْرِبُ صَنِيدًا بِصَنِيدِ
(٣) تَقُولُ لِلنَّفْسِ إِنْ جَاشَتْ إِلَيْكَ بِهَا * هَذَا بِجَالِكَ سُودَى فِيهِ أَوْ يَبْدَى
(٤) نَسَخْتَ (يَوْمَ كَرِيدٍ) كُلَّ مَا تَقْلُوا * فِي يَوْمِ (ذِي قَارٍ) عَنْ (هَانِي بْنِ مَسْعُودٍ)
(٥) نَظَّمْتَ أَعْدَاكَ فِي سِلْكِ الْقَنَاءِ بِهِ * عَلَى رَوَى وَلَكِنْ غَيْرُ مَعْهُودِ
(٦) كَانَهُمْ كَلِمٌ وَالْمَوْتُ قَافِيَةٌ * يَرْمِي بِهِ عَرَبِيٌّ غَيْرُ رِعْدِيدِ
(٧) أَوْدَى (الْمَعْرَى) تَقِيُّ الشَّعْرِ مُؤْمِنُهُ * فَكَادَ صَرَّحَ الْمَعَالِي بَعْدَهُ يُوْدَى

(١) الصيد : جمع أصيد، وهو الزارع رأسه كبرا وزهوا . (٢) طائرة : أى مولية فى سرعة من الخوف والفرح . والصنيد : البطل الشجاع . (٣) جاشت النفس : اضطربت من الخوف . وبها ، أى بالحرب . وبأدبيد : هلك . (٤) فى سنة ١٨٦٦ م انتفض أهل جزيرة كريد على الدولة العلية : فأرسلت مصر جيشا لمساعدتها على تأديبهم . وكان البارودى « رئيس ياورسوب » وقد أبدى هناك من الشجاعة والإقدام والدهاء والحزم ما أطلق الألسنة بمدحه والإعجاب به ، وقد أبلى الجيش المصرى فى إخماد تلك الثورة البلاء الحسن حتى أنهىها ، وكان قائد تلك الحملة المصرية شاهين باشا ، وعقبها خمسة آلاف مقاتل . ويوم ذى قار : يوم كان بين بكر بن وائل والفرس ، وهو من أعظم أيام العرب وأبلغها أثرا فى انتصاف العرب من العجم . وذو قار ، هو الموضع الذى وقعت فيه هذه الواقعة ، وهو بين الكوفة وواسط . وقد ذكر الشاعر هنا هانى بن مسعود ، والمعروف فى هذه الحرب هو هانى بن قبيصة ابن هانى بن مسعود الشيبانى ، وكان من قواد العرب الذين اشتهروا فى هذه الواقعة ، وهو الذى أودع عنده النعمان بن المنذر ودائمه ، وبسبب ذلك وقعت هذه الحرب . (٥) به ، أى بيوم كريد . والروى : الحرف الذى تبقى عليه القصيدة . جعل وقوع القتل قتلا بجانب قتيل كآيات القصيدة يضم فيها البيت الى مثله على روى واحد ، ولكن الفقيه قد نظم أعداءه فى سلك الموت على روى مبتدع لم يعده الناس من قبل . (٦) الرعيد : الجبان . وشبه الموت الذى عم الأعداء بالقافية ، لاحتدادها فى جميع آيات القصيدة . (٧) أودى : هلك . والمعرى : هو أبو العلاء المعرى الشاعر الفيلسوف المعروف ، شبه به البارودى فى شعره المشتمل على الموعظة والحكمة . والصرح : كل بناء عال . ويودى ، أى يهدم وينقض .

وَأَوْحَسَ الشَّرْقُ مِنْ فَضْلِ وَمِنْ أَدَبٍ * وَأَقْفَرَ الرُّوضُ مِنْ شَدْوٍ وَتَفْرِيدٍ
 (١) وَأَصْبَحَ الشَّعْرُ وَالْأَسْمَاعُ تَلْبِئُهُ * كَأَنَّهُ دَسَمٌ فِي جَوْفٍ مَمْعُودٍ
 (٢) أَلْوَى بِهِ الضَّعْفُ وَاسْتَرْخَتْ أَصْنُهُ * فَرَّاحَ يَهْدُرُ فِي حَشْوٍ وَتَعْقِيدٍ
 (٣) وَأَنْكَرْتُ نَسَمَاتُ الشُّوقِ مَرْبَعَهُ * تُثِيرُهَا خَطَرَاتُ الْخُرْدِ الْخُودِ
 (٤) لَوْ أَنْصَفُوا أَوْدَعُوهُ جَوْفَ لُؤْلُؤَةٍ * مِنْ كَثَرِ حِكْمَتِهِ لَا جَوْفَ أَخْذُودٍ
 (٥) وَكَفَّنُوهُ بِتَرْجٍ مِنْ مَحَائِفِهِ * أَوْ وَاجِخٍ مِنْ قَيْصِ الصَّبِيحِ مَقْدُودٍ
 (٦) وَأَنْزَلُوهُ بِأُنْفِيقٍ مِنْ مَطَالِيَعِهِ * فَوْقَ الْكَوَاكِبِ لَا تَحْتَ الْجَلَامِيدِ
 (٧) وَنَاشَدُوا الشَّمْسَ أَنْ تَنْتَهِى عَمَاسَتَهُ * لِلشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَالْأَمْصَارِ وَالْيَبِيدِ
 (٨) أَقُولُ لِلْمَلِإِ الْغَادِي بِمَوْكِهِ * وَالنَّاسُ مَا يَبْتَغُونَ مَكْبُودٍ وَمَقْذُودٍ
 (٩) غُضُّوا الْعُيُونَ فَإِنَّ الرُّوحَ يَصْهَبُكُمْ * مَعَ الْمَلَائِكِ تَكْرِيمًا (الهمود)

- (١) الهمود : الذى اعتلت معدته فلا يستريح ما يأكله . (٢) ألوى به : ذهب به .
 والأعنة : جمع عنان (بالكسر) ، وهو سير الحمام . وكفى باسترخاء أعنة الشعر عن ضعف بنائه ، وركاكة
 ألقاظه ، واضطراب تظله . والحشو : فضول الكلام الزائدة عن الغرض .
 (٣) مربعه : منزله . والأصل فى المربع : المنزل يقام فيه فى وقت الربيع . وانلرد : جمع نردة ،
 وهى العنقاء . والعود (بالضم) : جمع نخود (بالفتح) ، وهى الشابة الحسنة الخلقة . والمراد أن النزل
 والتسبب فى الشعر قد ذهباً يذهب البارودى .
 (٤) الأخدود : الحفرة المستطيلة فى الأرض ، يريد بها القبر . (٥) الدريج (بالفتح) :
 ما يكتب فيه . والمقدود : المشقوق . (٦) الجلاميد : الصغور؛ الواحد جلود .
 (٧) اليد : الفلوات ؛ الواحدة يدا . (٨) الملا : الجماعة . والمكبود : المصاب
 فى كبده . والمقدود : المصاب فى فؤاده . (٩) يريد « بالروح » : الروح الأمين ، وهو جبريل
 عليه السلام .

- (١) يَا وَيْحَ الْقَبْرِ قَدْ أَخْنَى سَنَا قَمِير * مُقْسِمُ الْوَجْهِ عُسُودِ الْجَالِيدِ
(٢) يَا وَيْحَهُ حَلِّ فِيهِ ذُو قَرِينَتِهِ * مَا يَنْحَدِرُ الْمَعَالَى أَلْفَ مَوْلُودِ
(٣) فسراندُ نردُ لوشاءِ أودعها * تحصى الجديديدهم لآياتِ المواليدِ
(٤) كأنها وهى بالألفاظِ كاسيةٌ * وحسبنا بينَ مشهودٍ وعُسُودِ
(٥) لَأَلَيْ خَلْفَ بَلُورٍ قَدْ أَسْقَتْ * فِي بَيْتٍ يُحَقِّقَانِ تَسْتَوِي نُهَى الْغَيْدِ
(٦) (محمود) إِنِّي لَأَسْتَحْيِكَ فِي كُلِّى * حَيًّا وَمَيِّتًا وَإِنْ أَبَدْتُ تَهْمِيذِي
(٧) فَأَعِزِّ قَرِينِي وَأَعِزِّ فَيْسَكَ قَائِلَهُ * كَلَامًا بَيْنَ مَضْعُوفٍ وَمَحْمُودِ

(١) سنا القمر : منوره . وقسم الوجه : جميل كده ، كأن كل قسم منه أخذ قطعة من الجبال . وتجاليد الإنسان : جسمه وبلده .

(٢) ذو (منا) : بمعنى الذى ، فى لغة طبرستان . والتندر (بالكسر) : البيت . ويريد بقوله : « ألف مولود » : قصائده .

(٣) القرائد : الجواهر النفيسة ، لأنها مفردة فى نوعها . والنرد : اللآلى التى لم تنقب ، الواحدة نريدة ؛ شبه قصائده بالقرائد النرد فى نقاستها وصيانتها من الابتال . وحصى الجديده : من يقيد المعاني الجديدة التى يتكررها الشعراء . ويريد بقوله : « لوشاء » الخ : أن له معاني مبتدعة جديدة أن تسجل باسمه كما تسجل المواليد .

(٤) كاسية ، أى حالة متجملة كما يجمل الإنسان بكسائه .

(٥) الدهقان (بالكسر ويضم) : التبرء فارسي معرب . والغيد : جمع غيداء ، وهى المرأة الخنثى لينا . وقد شبه فى هذا البيت المعانى فى شعر الفقيدهم بالآلى ، والألفاظ بالبلور فى أنها تشفى عما تضمنت من المعانى كما يشفى البلور عما وراعه .

(٦) قصه الشاعر (بالضميف) : واصل عمل القصائد وأطال .

(٧) المضعوف : الضعيف . والمحدود : المحروم والمنعرج من الخير . والمراد أنه حرم الإجابة فى رثاء الفقيدهم .

(١) رثاء الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

[نشرت في ٢٢ أغسطس سنة ١٩٠٥ م]

- (٢)
سَلامٌ على الإسلامِ بعدَ مُحمَّد * سَلامٌ على أيامِهِ النِّصْرَاتِ
على الدِّينِ والدُّنْيَا، على العِلْمِ والِحْجَا * على البرِّ والتَّقْوَى ، على الحَسَنَاتِ
لقد كُنْتُ أَخْفَى مَادِي المَوْتِ قَبْلَهُ * فَأَصْبَحْتُ أَخْشَى أَنْ تَطُولَ حَيَاتِي
فوالهني - والقبرُ بيني وبينه - * على نَفْسَةٍ مِنْ تِلْكَ النُّظَرَاتِ (٣)
وَقَفْتُ عليه حاسِرَ الرَّأْسِ خاشِعاً * كَأَنِّي حَيَالِ القَبْرِ في عَرَافَاتِ (٤)
لقد جَهِلُوا قَدْرَ الإمامِ فَأَوْدَعُوا * تَجَالِيدهُ في مُوحِشِ بَقَلَةٍ (٥)
ولو ضَرَحُوا بالمَسْجِدَيْنِ لَأُتْرُوا * بِخَيْرِ بِقَاعِ الأَرْضِ خَيْرَ رَفَاتِ (٦)
تَبَارَكَتْ هَذَا الدِّينُ دِينَ مُحمَّد * أَيْتَرَكُ في الدُّنْيَا بَغِيرَ حُمَاةٍ ؟
تَبَارَكَتْ هَذَا عَالِمُ الشَّرْقِ قد قَضَى * وَلَانَتْ قَنَاةُ الدِّينِ لِلغَمَزَاتِ (٧)

- (١) انظر التعريف بالشيخ محمد عبده في الحاشية رقم ٣ من صفحة ٤ من الجزء الأول .
(٢) النضرات : ذرات الحسن والرواق . (٣) والهني : كلمة يتحسر بها على ما فات .
(٤) حاسر الرأس : عاريه . وحيال القبر : تلقاه وأمامه . (٥) تجاليد الإنسان : جسمه
وبدنه . والقلاة : الصحراء الواسعة . (٦) ضريح الليث : حفره ضريحاً . ويريد « بالمسجدين » :
المسجد الحرام بمكة ، وبيت المقدس . ورفات الميت : ما يلي وتكسر من عظامه . يقول : لو أنهم حفروا
بأحد المسجدين ضريحاً لهذا الجسم لكان حراً بذلك ، لأنه خير جسم يدفن في خير بقعة من الأرض .
(٧) قضى : مات . والقناة : الریح . ولين القناة : تخاية عن الضعف والوهن . ويريد « بالغمزات » :
المطاعن الموجهة إلى الإسلام من أعدائه .

- (١)
زَرَعْتَ لَنَا زَرْعًا فَأَتَجَرَّ شَطَاهُ * وَبُنْتَ وَلَنَا تَجْتَنِ الثَّمَرَاتِ
(٢)
فَوَاهَا لَهُ إِلَّا يُصِيبَ مُوقَفًا * يُسَارِفُهُ وَالْأَرْضُ غَيْرُ مَوَاتٍ
(٣)
مَدَدْنَا إِلَى الْأَعْلَامِ بَعْدَكَ رَاحَنَا * فَرُدُّتْ إِلَى أَعْطَافِنَا صَفِرَاتِ
(٤)
وَجَالَتْ بِنَا تَبْنِي سِوَاكَ عِيُونُنَا * فَعُدْنَ وَأَثَرَتْ الْعَمَى شِرْقَاتِ
(٥)
وَأَذَوَكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَأَنْكَرُوا * مَكَانَكَ حَتَّى سَوَّدُوا الصَّفَحَاتِ
رَأَيْتَ الْأَذَى فِي جَانِبِ اللَّهِ لَدَّةً * وَرُحْتَ وَلَمْ تَهْمُ لَهُ بِشَكَاةِ
(٦)
لَقَدْ كُنْتَ فِيهِمْ كَوَكْبًا فِي غَيَابِهِ * وَمَعْرِفَةً فِي أَنْفُسِ نَصِيرَاتِ
(٧)
أَبْنَتْ لَنَا التَّنْزِيلَ حُكْمًا وَحِكْمَةً * وَفَرَّقَتْ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلُمَاتِ
وَوَقَّفَتْ بَيْنَ الدِّينِ وَالْعِلْمِ وَالْجَمَا * فَأُطْلِعَتْ نُورًا مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتِ
(٨)
وَقَفَّتْ (لَهَا نُتُو) وَ(رَيْنَان) وَقَفَّةً * أَمَدَكَ فِيهَا الرُّوحُ بِالنَّقَاطِ

- (١) شطء الزرع : فراخه أو مثله . وكنى بالزرع : عما قام به الفقيد من ضروب الإصلاح . وبنت : بعدت .
(٢) الضمير في « له » يرجع إلى الزرع . ويشارفه : يشرف عليه . والأرض الموات : الجديبة التي لا تثبت . يخشى ألا يجيد الزرع من يمهده بعد الفقيد مع خصبته الأرض وقبولها لما يفرس فيها .
(٣) يريد « بالأعلام » : المشهورين من العلماء . والراح : جمع راحة ، وهي الكف . والأعطاف : الخواصر . وصفرات ، أي خاليات .
(٤) شرات ، أي بحرات من البكاء .
(٥) يشير بهذا البيت وما بعده إلى المطاعن التي كان يواجهها أعداء الفقيد إليه ، ويشرونها في بعض الصحف تشهيراً به ، وتحقيراً من شأنه .
(٦) الغياب : الظلمات .
(٧) يشير بهذا البيت إلى الدروس التي كان يلقاها الأستاذ الإمام في تفسير القرآن .
(٨) هانوتو : هو جبرائيل هانوتو السياسي المؤرخ الفرنسي . ولد في ٩ نوفمبر سنة ١٨٥٣ م ، وقد كتب مقالات في الطعن على الإسلام . ورينان ، هو أرنست رينان الفرنسي ، ولد في ٢٧ فبراير سنة ١٨٢٣ م ، وقد كان قساً كاثوليكياً ، وهو مشهور بمطاعنه في الدين الإسلامي كصاحبه السابق ، وقد ردَّ الفقيد على مطاعنهما . وتوفي رينان في سنة ١٨٩٢ م . والروح : جبريل .

- (١) وَخِفْتَ مَقَامَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ * خَفَاكَ أَهْلُ الشُّكِّ وَالزُّفَاتِ
(٢) وَكَمْ لَكَ فِي إِغْفَاءِ الْفَجْرِ يَقْظَةً * نَقَضْتَ عَلَيْهَا لَذَّةَ الْمَجَمَّاتِ
(٣) وَوَلَيْتَ شَطَرَ الْبَيْتِ وَجْهَكَ خَالِيًا * تُنَاسِي إِلَهَ الْبَيْتِ فِي الْخَلَوَاتِ
(٤) وَكَمْ لَيْلَةً حَانَتْ فِي جَوْفِهَا الْكَرَى * وَنَبَتْ فِيهَا صَادِقَ الْعَزَمَاتِ
(٥) وَأَرْصَنْتَ لِلْبَاغِي عَلَى دِينَ أَحْمَدٍ * شَبَابَةَ يَرَاجِعُ سَايِرِ النَّفَثَاتِ
(٦) إِذَا مَسَّ خَدَّ الطَّرِيسِ فَاضَ جَبِينُهُ * بِأَسْطَارِ نُورٍ بَاهِرِ اللَّعَاتِ
(٧) كَأَنَّ قَرَارَ الْكَهْرَبَاءِ بِشِقِّهِ * يُرِيكَ سَنَاهُ أَيْسَرِ الْأَسَاتِ
فِيَا سَنَةً مَرَّتْ بِأَعْوَادِ نَعِيشِهِ * لَأَنْتَ عَلَيْنَا أَشْأَمُ السَّنَوَاتِ
(٨) حَطَمْتَ لَنَا سَيْفًا، وَعَطَلْتَ مِثْبَرًا * وَأَذَوَيْتَ رَوْضًا نَاصِرَ الزُّهْرَاتِ
(٩) وَأَطْفَأْتَ نِيرَاسًا وَأَشْعَلْتَ أَنْفُسًا * عَلَى بَحْمَرَاتِ الْحُزْنِ مُنْطَوِيَاتِ

(١) الزُّفَات : الوسواس .

(٢) الإغفاء : النوم . « نقضت عليها » اطلع ، أى أنه طلع مل اليقظة لذة الهجمة فصار يتلذذ من اليقظة تلذذ الناس بالهجمة ، أى النوم .

(٣) البيت : الكلمة .

(٤) الكرَى : النوم . وصادق العزمات ، من إضافة الصفة الى الموصوف ، أى العزمة الصادقة .

(٥) أَرَصَدْتَ : أعددت وهيات . واليراجع : القلم . وشبابته : سه . ونفثات القلم : ما يفيض به من كلمات تشبها لها بما يفقه الساهر في العقد .

(٦) الطريس (بالكسر) : الصحيفة التى يكتب فيها .

(٧) سناه : ضوؤه ونوره . يقول : كأن الكهرباء مستقرة فى شق هذا القلم ، فجرد المس يظهر نوره .

(٨) حطمت : كسرت . وأذويت : أذبلت .

(٩) النيراس : المصباح .

(١) رَأَى فِي بَيْالِكَ الْمُتَجَمُّ مَا رَأَى * فَأَنْذَرَنَا بِالْوَيْلِ وَالْعَمَرَاتِ
وَنَبَّأَهُ عِلْمُ النُّجُومِ بِحَادِثٍ * تَبَيَّنَتْ لَهُ الْأَبْرَاجُ مُضْطَرِبَاتِ
(٢) رَمَى السَّرَطَانُ اللَّيْثَ وَاللَّيْثُ خَادِرٌ * وَرُبَّ ضَعِيفٍ نَافِذِ الرِّمَاطِ
(٣) فَأَوْدَى بِهِ خَتَلًا فَحَالَ إِلَى الثَّرَى * وَمَالَتْ لَهُ الْأَجْرَامُ مُنَحَرِفَاتِ
وَشَاعَتْ تَعَاوِيِ الشُّهْبِ بِاللَّحْجِ بَيْنَهَا * عَنِ النَّيِّرِ الْهَائِيِ إِلَى الْفَلَوَاتِ
(٤) مَشَى نَشْهُ يَتَنَالُ عُجْبًا بِرَبِّهِ * وَيَخْطُرُ بَيْنَ اللَّيْسِ وَالْقُبَلَاتِ
(٥) تَكَادُ الدُّمُوعُ الْجَارِيَاتُ تُقَلُّهُ * وَتَدْفَعُهُ الْأَنْفَاسُ مُسْتَعِرَاتِ
بَكَى الشَّرْقُ فَأَرْجَحَتْ لَهُ الْأَرْضُ رَجَّةً * وَضَاقَتْ عُيُونُ الْكَوْنِ بِالْعَبَرَاتِ
فَفِي الْهِنْدِ عَزُوزٌ وَفِي الصِّينِ جَارِعٌ * وَفِي مِصْرَ بَاكِ دَائِمُ الْحَسَرَاتِ
وَفِي الشَّامِ مَفْجُوعٌ، وَفِي الْفُرْسِ نَادِبٌ * وَفِي تُونِسَ مَا شَتَّتَ مِنْ زَفَرَاتِ
(٦) بَكَى عَالَمُ الْإِسْلَامِ عَالِمَ عَصْرِهِ * سِرَاجَ الدِّيَابِجِ هَادِمَ الشُّبُهَاتِ

- (١) يريد « بالمنجم » : أحد المنجمين ، وكان قد تلبأ بوفاء الأستاذ الإمام في السنة التي توفي فيها ، وكتب ذلك في تقويمه السنوي .
(٢) رمى السرطان ...
الخ ، إشارة إلى أن المرحوم الإمام مات بالسرطان ، وهو هذا الداء المعروف . واليـث خادر ، أي والأسد في أجمته . ويطلق السرطان أيضا على برج في السماء يقابله برج الأسد الذي أطلق الشاعر عليه لفظ الليث ، واستعمل الشطر الأول في المعنيين ، كما يدل عليه سياق الكلام في الأبيات التالية .
(٣) أودى به : ذهب به . واغتلتل : الخلداع . والأجرام : الأفلـك .
(٤) ربه : صاحبه .
(٥) تقله : تحمله . ومستعرات : مشتعلات من الحزن .
(٦) الديابجى : الظلمات .

(١)
مَلَاذَ عِيَالٍ ثِمَالٍ أَرَامِلٍ * غِيَاثَ ذَوِي عُدَمٍ إِمَامَ هُدَاةٍ
فَلَا تَتَّصِبُوا لِلنَّاسِ تِمْنَالٍ (عِيَدِهِ) * وَإِنْ كَانَ ذِيْكَرِي حِكْمَةٍ وَبَيَاتٍ
فَلَأَنِّي لِأَخْتَنِي أَنْ يَضِلُّوا فَيُؤْمِتُوا * إِلَى نُورِ هَذَا الْوَجْهِ بِالسَّجْدَاتِ (٢)
فَيَا وَيْحَ لِلشُّوْرَى إِذَا جَدَّ جَدُّهَا * وَطَاشَتْ بِهَا الْآرَاءُ مُشْتَجِرَاتٍ (٣)
وَيَا وَيْحَ لِلْفُتَيَا إِذَا قِيلَ مَنْ لَهَا؟ * وَيَا وَيْحَ لِلغَيْرَاتِ وَالصَّدَقَاتِ
بَكَيْنًا عَلَى فَرْدٍ وَإِنْ بُكَاءَنَا * عَلَى أَنْفُسٍ لِلَّهِ مُتَقَطِّعَاتِ (٤)
تَعَهَّدَهَا فَفَضَّلَ الْإِمَامَ وَحَاطَهَا * بِإِحْسَانِهِ وَالذَّهْرُ خَيْرُ مُوَاتِقِ (٥)
فِيَا مَثَرًا فِي (عَيْنِ شَمْسٍ) أَظْلَى * وَأَرْغَمَ حُسَّادِي وَغَمَّ عِيْدَاتِي (٦)
دَعَائِمُهُ التَّقْوَى وَآسَاسُهُ الْهُدَى * وَفِيهِ الْآيَادِي مَوْضِعُ اللَّيْنَاتِ (٧)
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ، مَا لَكَ مُوَحِّشًا * عَبُوسَ الْغَمَانِي مُقْفِرَ الْعَرَصَاتِ

(١) الملاذ (بالفتح) : الملجأ . وعيال : جمع عيل (بشدائد الياء) . وعيل الرجل : من يتكفل
بهم ويمرنهم ويقوم عليهم . وثمان الأراميل : من يقوم بأمرهم ويمرنهم . والغيات : المغيث
والمعين . والعدم : الفقر . (٢) يؤموا : يشيروا . وقد رد الشاعر بهذا البيت كل ما اقترحه
بعضهم من إقامة تمثال للإستاذ الإمام . (٣) يريد « بالشورى » مجلس شورى القوانين
وكان الفقيد عضوا به . وطاشت : انحرقت عن القصد . ومشتجرات : مشتجرات لا يتجزأ فيها الخلق
من الباطل . (٤) حاطها : صانها وحفظها . والمواتق : المواقف المساعدة . (٥) عين شمس :
ضاحية من ضواحي القاهرة معروفة ، وكان فيها بيت الفقيد . (٦) دهائم البيت : عمده .
والآيادي : النعم . واللينات : ما يضرب من الطين البناء ؛ الواحدة لينة .
(٧) الموحش : الخالي الذي ليس به ساكن . ومقانيه : منازل التي كان ينزل بها ساكنوه ؛
الواحد منى . وعمراته : ساحاته .

- (١) لقد كنت مقصود الجواب أهلاً * تطوف بك الآمال مبهلات
(٢) مثابة أرزاق، ومهبط حكمة * ومطلع أنوار، وكتر عظام

رثاء مصطفى كامل باشا^(٣)

[نشرت في ١٢ فبراير سنة ١٩٠٨]

- (٤) أيا قبر هذا الضيف آمل أمة * فكبر وهل وألق ضيفك جاثياً
(٥) عزيز طينا أن نرى فيك (مصطفى) * شهيد الملا في زهرة العمر ذابوا
(٦) أيا قبر لو أنا فقدناه وحده * لكان التأسي من جوى الحزن شافيا
ولكن فقدنا كل شيء بفقده * وهيات أن يأتي به الدهر ثانيا
فيا سائل أيئ المرؤة والوفا * وأين الجيا والرأي؟ ويمجك هاهنا
(٧) هنيئا لهم فليأمنوا كل صالح * فقد أسكت الصوت الذي كان طاليا

(١) منزل أهل : عامر بأهله . ومبهلات : داعية متضرعة .

(٢) المثابة : المرجع . أي إن الناس كانوا يرجعون إلى هذا البيت في طلب أرزاقهم .

(٣) ولد المرحوم مصطفى كامل باشا صاحب اللواء بمدينة القاهرة في ١٤ أغسطس سنة ١٨٧٤ م . وبعد أن نال شهادة الدراسة الثانوية دخل مدرسة الحقوق الخديوية والحقوق الفرنسية في وقت واحد . ثم ذهب إلى فرنسا ، ومنها أخذ شهادة الحقوق ، وبدأ حياته السياسية في سنة ١٨٩٥ م . وكانت باكويزة أعماله كتابه الذي رفعه إلى رئيس مجلس النواب الفرنسي في ٤ يونيو سنة ١٨٩٥ م ؛ ثم كان زعيم النهضة الوطنية في مصر ، إلى أن توفي في سنة ١٩٠٨ م . بعد أن ألف الحزب الوطني . (٤) جثا الرجل

يجثو : جلس على ركبتيه ؛ والمراد هنا : الخضوع . (٥) الداوي : الدابل .

(٦) التأسي : اقتداؤك بمن سواك في الصبر على المصائب . وجوى الحزن : حرقته .

(٧) الضمير في « لهم » : للإنجليز .

(١) ومات الذى أحيا الشُّعُورَ وساقه * الى المجدِ فاستَحْيَا النُّفُوسَ البَوَالِيَا
 مَدَحْتُكَ لَمَّا كُنْتَ حَيًّا فَلَمْ أُجِدْ * وَإِنِّي أُجِئُ الْيَوْمَ فَيْكَ الْمَرَاثِيَا
 (٢) عليك، وإلا ما لَذا الحُزْنَ شَامِلًا * وفيك، وإلا ما لَذا الشُّعْبُ بِاِيَا
 يَمُوتُ الْمُدَاوِي لِلنُّفُوسِ وَلَا يَرَى * لِمَا فِيهِ مِنْ دَاءِ النُّفُوسِ مُدَاوِيَا
 (٣) وَكُنَّا نِيَامًا حِينَما كُنْتَ سَاهِدًا * فَأَمْسَدَتْنا حُزْنًا وَأَمْسَيْتَ غَافِيَا
 (٤) شَهِيدَ الْعَلَا، لَا زَالَ صَوْتُكَ بَيْنَنَا * يَرِثُ كَمَا قَدْ كَانَ بِالْأَمْسِ دَاوِيَا
 (٥) يُهَيِّبُ بِنَا: هَذَا بِنَاءُ أَقْتِهِ * فَلَا تَهَيِّدُوا بِاللَّهِ مَا كُنْتُ بِاِيَا
 (٦) يَصْبِيحُ بِنَا: لَا تُشْعِرُوا النَّاسَ أَتْنَى * قَضَيْتُ وَأَنْتَ الْحَيُّ قَدْ بَاتَ خَالِيَا
 يُنَادِنَا بِاللَّهِ إِلَّا تَقَرُّقُوا * وَكُونُوا رِجَالًا لَا تَسْرُوا الْأَعَادِيَا
 (٧) فَرُوحِي مِنْ هَذَا الْمَقَامِ مُطْلَةً * تُشَارِفُكُمْ عَنِّي وَإِنْ كُنْتُ بِاِيَا
 فَلَا تَحْزُنُونَهَا بِالْخِلَافِ فَلَانِي * أَخَافُ عَلَيْكُمْ فِي الْخِلَافِ الدَّوَاهِيَا
 (٨) أَجَلْ، أَيُّهَا الدَّاعِي إِلَى الْخَيْرِ إِنَّنَا * عَلَى الْعَهْدِ مَا دُمْنَا فَمَنْ أَنْتَ هَانِيَا
 بِنَاؤُكَ مَحْفُوظٌ، وَطَيْفُكَ مَائِلٌ * وَصَوْتُكَ مَسْمُوعٌ، وَإِنْ كُنْتُ نَائِيَا

(١) استَحْيَا، أى أَحْيَا . والاستَحْيَا (لغة): الاستيقاظ . يقال: استَحْيَا فلان فلانًا، إذا أيقظه حيا .

(٢) عليك، أى عليك الحزن . وفيك، أى فَيْكَ الْبُكَاءُ .

(٣) السَاهِد: الساهر . والنافى: النائم . (٤) المعروف (دوى) يشهد به الوار، واسم

الفاعل منه: مدق . وأما (دوى) بالتحفيف، فهو استعمال شائع في كلام أهل العصر،

(٥) أَهَابَ بِهِ: صاح به ودعاه . (٦) قضى: مات .

(٧) شارفه: نظر إليه من علو . (٨) أَجَلْ، كلمة يقال في الجواب بمعنى «نعم» .

عِندَكَ لَا تَبْكِي وَتُشْكِرْ أَنْ يُرَى * أَخُو الْبَائِسِ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ بِأَيِّكَ
(١)
فَرَّخَصْ لَنَا الْيَوْمَ الْبُكَاءَ وَفِي غَيْدِ * تَرَانَا كَمَا تَهْوَى جِبَالًا رَوَاسِيَا
فِيَا نَيْلُ إِنْ لَمْ تَحْمِرِ بَعْدَ وَفَاتِهِ * دَمًا أَحْمَرًا لَا كُنْتَ يَا نَيْلُ جَارِيَا
وَيَا (مُضِرُّ) إِنْ لَمْ تَحْفَظِي ذِكْرَ عَهْدِهِ * إِلَى الْحَشِيرِ لَا زَالَ أَنْيْلَاكَ بَاقِيَا
وَيَا أَهْلَ (مُضِرِّ) إِنْ جَهِلْتُمْ مُصَابِكُمْ * يَقُولُوا أَنْ تَجْمَعَ السَّعْدُ قَدَ غَارَ هَاوِيَا
(٢)
ثَلَاثُونَ عَامًا بَلْ ثَلَاثُونَ دُرَّةً * يَجِيدُ اللَّيَالِي سَاطِعَاتِ زَوَاهِيَا
(٣)
سَتَشْهَدُ فِي التَّارِيخِ أَنَّكَ لَمْ تَكُنْ * قَتَى مُفْرَدًا بَلْ كُنْتَ جَيْشًا مُخَازِيَا

رثاء مصطفى كامل باشا أيضا

أنشدها في غل الأربعين في ٢٠ مارس سنة ١٩٠٨ م

(٤)
نَثُرُوا عَلَيْكَ نَوَادِي الْأَزْهَارِ * وَأَتَيْتُ أَنْثَرُ بَيْنَهُمْ أَشْجَارِي
زَيْنَ الشَّبَابِ وَزَيْنَ طُلَاقِ الْعُلَا * هَلْ أَنْتَ بِالْمُهْجِ الْحَزِينَةِ دَارِي؟
(٥)
غَادَرْتَنَا وَالْحَادِثَاتُ بِمَرَصِدِ * وَالْعَيْشُ عَيْشُ مَثَلَةٍ وَإِسَارِ

- (١) الذى وجدناه أنه يقال : « رخصت له » ورخصته في كذا « أى أذنت له فيه » بعد النهى عنه .
ولم نجد في كتب اللغة أنه يقال : رخصت له كذا بجذف « في » كما استعمله الشاعر في هذا البيت ،
إلا أن يقال : إنه ضمن الترخيص معنى التسهيل والتيسير ، فحذف الفاء . وراواسى : الرواح .
(٢) توفي مصطفى كامل باشا عن اثنين وثلاثين سنة ، فالثلاثون في هذا البيت عدد تقريبي .
(٣) تشهد ، أى الثلاثون عاما .
(٤) نوادى الأزهار : الرطبة المبتلة بالندى . (٥) بمرصد ، أى أن الحوادث ترقبنا وتخبين
الفرص لمداومتنا . والمرصد ، هو مكان الرصد ، أى المراقبة .

- (١) ما كَانَ أَحْوَجَنَا إِلَيْكَ إِذَا مَدَا * عَادِ وَصَاحَ الصَّامِحُونَ : بَدَارِ
 أَيْنَ الْخَطِيبُ وَأَيْنَ خَلَابُ النُّهَى ؟ * طَالَ انْتِظَارُ السَّمْعِ وَالْأَبْصَارِ
 (٢) بِاللَّهِ مَا لَكَ لَا تُجِيبُ مُنَادِيَا * مَاذَا أَصَابَكَ يَا أَبَا الْمَفْوَارِ
 (٣) قُمْ وَانْحُ مَخْطُتَ يَمِينُ (كُرُومِي) * جَهْلًا يَدِينِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ
 (٤) قَدْ كُنْتَ تَغْضَبُ لِلِكَاثَةِ كُلِّهَا * هَمَّتْ وَهَمَّ رَجَاؤُهَا بِعِثَارِ
 (٥) غَضَبَ التَّنْقِي لِرَبِّهِ وَكَثَابِهِ * أَوْ غَضَبَةَ (الْفَارُوقِ لِلْخُتَارِ)
 (٦) قَدْ ضَاقَ جِسْمُكَ عَنْ مَدَاكَ فَلَمْ يُطِقْ * صَبْرًا عَلَيْكَ وَأَنْتَ شُعْلَةُ نَارِ
 (٧) أَوْدَى بِهِ ذَاكَ الْجِهَادُ وَهَدَّه * عَزَمَ يَهُدُّ جَلَالُ الْأَخْطَارِ
 (٨) لَعِبْتَ يَمِينَكَ بِالْإِرَاعِ فَأَعْجَزْتَ * لَعَبَ الْقَوَارِيسِ بِالْقَنَا الْخَطَّارِ
 (٩) وَجَرَيْتَ لِلْعَلْيَاءِ تَبْنِي شَاوَهَا * بَفَرَى الْقَضَاءِ وَأَنْتَ فِي الْمِضْمَارِ

(١) بدار : اسم فعل أمر بمعنى يبادر، أى أسرع . (٢) المفوار : الكثير الغارات على الأعداء .
 ويشير بهذه الكنية إلى قول الشاعر :

وداع دعا : يا من يجيب إلى الندى * فلم يستجبه عند ذاك محجب

فقلت ادع أخرى وارفع الصوت بجهرة * لعل أبى المفوار منك قريب

(٣) يشير بهذا البيت إلى ما كتبه اللورد كرومر عميد الدولة الانجليزية في مصر من طعن على الدين
 الإسلامى . (٤) العثار : الكبور والتعس . (٥) الفاروق : عمر بن الخطاب رضى الله
 تعالى عنه . والمختار : النبي صلى الله عليه وسلم .

(٦) مداك، أى غاية ما تطمح إليه من المال . (٧) أودى به : ذهب . « وهده
 عزم » الخ، أى أن عزمه الذى يذهب بالشئ اند قد ذهب بجسمه وأفناه . (٨) القنا : الرياح .
 والخطار : من صفات الرمح ، لاضطرابه واهتزازه . (٩) الشار : الفاية . ويريد
 « بالقضاء » : الموت .

(١) أَوْكَلَمَا هَزَّ الرَّجَاءُ مُهْنَدًا * بَدَرْتُ إِلَيْهِ غَوَائِلُ الْأَقْدَارِ
(٢) عَزَّ الْقَرَارُ عَلَى لَيْلَةٍ نَعِيهِ * وَشَهِدْتُ مَوْبَهُ فَقَرَّ قَرَارِي
(٣) وَتَسَابَقَتْ فِيهِ النُّعَاةُ فَطَائِرٌ * بِالْكَهْرَبَاءِ ، وَطَائِرٌ يُخَارُ
(٤) شَاهَدْتُ يَوْمَ الْحَشِيرِ يَوْمَ وَفَاتِهِ * وَعَلِمْتُ مِنْهُ مَرَاتِبَ الْأَقْدَارِ
وَرَأَيْتُ كَيْفَ تَقَى الشُّعُوبُ رِجَالَهَا * حَقَّ الْوَلَاءِ وَوَاجِبَ الْإِجَارِ
(٥) تَسْعُونَ أَلْفًا حَوْلَ نَعِشِكَ خُشْعٌ * يَمْشُونَ تَحْتَ (لِوَالِكَ) السَّيَّارِ
خَطُّوا بِأَدْمُعِهِمْ عَلَى وَجْهِ الثَّرَى * لِلْحُزْنِ أَسْطَارًا عَلَى أَسْطَارِ
أَنَا يُوَالُونَ الضَّجِيجَ كَانَتْهُمْ * رَكْبُ الْحَجِيجِ بِكَبَةِ الزُّوَارِ
وَتَحْلُمُ أَنَا لَفَرِطٍ خُشُوعِهِمْ * عِنْدَ الْمُصَلَّى يُنْصِتُونَ لِقَارِي
(٦) قَلْبَ الْخُشُوعِ عَلَيْهِمْ فُدُوعُهُمْ * تَجْرِي بِلَا كَلَجٍ وَلَا أَسْتِنَارِ
قَدْ كُنْتُ تَحْتَ دُمُوعِهِمْ وَزَفِيرِهِمْ * مَا بَيْنَ سَيْلٍ دَافِقٍ وَشَرَارِ
أَسْمَى فَيَاخُذْنِي اللَّهَيْبُ فَأَنْتَنِي * فَيَصُدُّنِي مُدْفَقُ النَّيَّارِ

(١) المهند : السيف . وغوائل الأقدار ، أى المهلكات منها . (٢) يريد بقوله : « وشهدت »
الخ : أنه لما رأى وفاء الأمة للفقيد فى جنازته هدأت نفسه . (٣) يريد « بالطائر بالكهرباء » :
الرسائل البرقية . « والطائر بالبخار » : الفطار . (٤) وعلمت منه مراتب الأقدار ، أى كيف
تنزل الأمة عظامها منازلهم التى يستحقونها . (٥) اللواء : العلم . ويشير إلى جريدة اللواء التى
كان يصدرها الفقيد .

(٦) بلا كلج ، أى بلا عبوس ولا قطب . والمسموع : كلاج وكلوح (بالضم فيها) . والاستنار
من الأنف معروف . ويريد « تجرى بلا كلج ولا استنار » : أن الدموع تجرى بطبيعتها بلا عبوس
ولا غيره مما يصحب الدموع عادة .

(١)
 لَوْلَمْ أَلْذُ بِالنَّعْشِ أَوْ بِظِلَالِهِ * لَقَضَيْتُ بَيْنَ مَرَايِلٍ وَبِحَارِ
 كَمْ ذَاتِ خَيْرٍ يَوْمَ طَافَ بِكَ الرَّدى * هَتَكَتْ عَلَيْكَ حَرَارُ الْأَسْتَارِ
 سَفَرْتُ تُودِّعُ أُمَّةً مُجْمُولَةً * فِي النَّعْشِ لَا خَبْرًا مِنَ الْأَخْبَارِ
 (٢)
 أَمِنْتُ عُيُونَ النَّاطِرِينَ فَزَقْتُ * وَجْهَ الْجَمَارِ فَلَمْ تَلْذُ بِجَمَارِ
 قَدْ قَامَ مَا بَيْنَ الْعُيُونِ وَبَيْنَهَا * مِسْثَرٌ مِنَ الْأَحْزَانِ وَالْأَكْدَارِ
 (٣)
 أَدْرِجَتْ فِي الْعِلْمِ الَّذِي أَصْفَيْتَهُ * مِنْكَ الْوِدَادَ فَكَانَ خَيْرَ نِشْعَارِ
 (٤)
 حَلَمَانِ مِنْ فَوْقِ الرُّعُوسِ كِلَاهُمَا * فِي طَيْهِ بَسْرٍ مِنَ الْأَسْرَارِ
 (٥)
 نَادَاهُمَا دَاعِي الْفِرَاقِ فَأَمْسَيَا * يَتَعَانَقَانِ عَلَى شَفِيرِ هَارِي
 (٦)
 تَاللَّهِ مَا بَجَزَعَ الْحُبُّ وَلَا بَكَى * لِنَوَى مُرُوعَةٍ وَبُعْدِ مَنَارِ
 (٧)
 بَجَزَعَ (الْهَلَالِ) عَلَيْكَ يَوْمَ تَرَكْتَهُ * مَا بَيْنَ حَرَّائِي وَحَرَّ أَوَارِ
 مُتَلَفَتَا مُتَحَيِّرًا مُتَخَيِّرًا * رَجُلًا يُنَاضِلُ عَنْهُ يَوْمَ نَحَارِ

- (١) قضى : هلك ومات . والمراجل : القسود ، الواحد مرجل (بكسر فسكون) . ويريد «المراجل والبجار» : ما أشار إليه في البيت الأسبق من الزفرات والدموع .
 (٢) الخمار : ما تغطى به المرأة وجهها .
 (٣) يقال : أدريجه في الثوب : إذا لفه فيه وطواه . ويريد « بالعلم » : علم مصر . (٤) يريد « بالعالمين » : الفقهاء ، تشبيهاً له بالعلم في ارتفاعه وشهرته ، وعلم مصر الذي لف فيه النعش .
 (٥) شفير كل شيء : حافته . والهارى : المنهار .
 (٦) النوى : البعد .
 (٧) الهلال : شعار الدولة العثمانية والولايات التابعة لها التي كانت منها مصر إذ ذاك . والأمسى : الحزن . والأوار : الظلما ، ويريد به ما تركه فراقه في النفوس من تعطش إليه .

- (١) إن الثلاثين التي بك فاترت * باتت تُقاس بأطول الأعمار
 صمت إلى التاريخ يضع صحائف * بيضاء مثل صحائف الأبرار
 شهبان بنقطة مطرية * وسعت محصل روضة مطار^(٢)
 خلقها كالشيء يحدو حذوها * راجى الوصول ومقتنى الآثار^(٣)
 ماذا على السارى - وهن منائر - * لو سار بين تجاهيل وقفار^(٤)
 ما زلت تختار المواقف وعرة * حتى وقفت لذلك الجبار^(٥)
 وهدمت سورا قد أجاد بناءه * فرعون ذو الأوتاد والأنهار^(٦)
 ووصلت بين شكائنا ومشايخ * في البركان أعز أختار^(٧)
 كشفوا الغطاء عن العيون فأبصروا * ما في الكانة من أذى وضار^(٨)
 نبذوا كلام (اللرد) حين تبينوا * حنق المغيظ ولمحة التزار^(٩)
 ورماهم يجلدين رموهم * في رتبة الأصفار لا الأسفار

- (١) يريد الثلاثين سنة التي ذكرها في مراثيه السابقة في قوله "ثلاثون عاما ... الخ". وقد قدما
 أن الفقيه قد توفي عن اثنين وثلاثين سنة ، فالثلاثون عدد تقريبي . (٢) الروضة المطار : الكثرة
 الزهور والرياحين ، ومحملها : ما يحصل من رياحينها وأزهارها . (٣) وهن ، أى الثلاثون عاما .
 والمنائر : جمع منارة ، وهى ما يهتدى به . يريد أن سارى الظلمات لا يضل وهو يهتدى بهذه الأعلام
 الواضحة . (٤) يريد «الجبار» اللورد كرومر ؛ ويشير إلى مواقفه معه فى حادثة دنشواى وغيرها .
 (٥) الأوتاد : الجبال . ويضرب فرعون المثل فى الجبروت والبغى ؛ شبه اللورد كرومر به .
 (٦) الشكاة : الشكوى . ويريد «بالبركان» : البركان الإنجليزى .
 (٧) كشفوا ، أى مشايخ البرلمان . (٨) الحنق : الغيظ . والتزار : الذى يكثر الكلام
 تكلفا ونرجوا عن الحق . (٩) يشير «بالجلدين» : ما كتبه اللورد كرومر لحكومته عن مصر .
 والأسفار : الكتب ؛ والواحد سفر (بالكسر) .

- (١) وأما على تلك المواقف إنها * كانت مواقف ليث غاب ضاري
(٢) لم يلوه عنها الوعيد ولا فنى * من عزيمه قول المريب : حذار
فاهناً بمنزلك الحديد ونم به * في غبطة وانتم بحير جوار
(٣) وأستقبل الأجر الكبير جزاء ما * صغيت للأوطان من أوطار
(٤) نعم الجزاء ونعم ما بلغت * في منزلك ونعم عقي الدار

رثاء قاسم أمين بك^(٥)

[نشرت في ٦ يونية سنة ١٩٠٨ م]

- (٦) لله درك كنت من رجيل * لو أمهلتك غوائل الأجل
(٧) خلقت كأنفاس الرياض إذا * أتمرن غب العارض المهيل

- (١) الضاري : الجري، المعود على الصيد . (٢) لم يلوه : لم يصرفه . والمريب : ذو الرية .
يريد به هنا : التهم في وطنيته ، المشكوك في إخلاصه لبلاده . (٣) الأوطار : جمع وطر ،
وهو البقية والحاجة . (٤) في منزلك ، أى الدنيا والآخرة .
(٥) ولد قاسم أمين سنة ١٨٦٥ م ، وبعد أن أخذ حظه من التعلم في مصر سافر إلى فرنسا حيث
درس الحقوق ، وعاد في سنة ١٨٨٥ ، ثم تدرج في المناصب القضائية حتى صار قاضياً بمحكمة الاستئناف
الأهلية ؛ وهو أول من نادى بغير المرأة المصرية ، وله في ذلك كتابان : (تحرير المرأة) و (المرأة الجديدة) .
واشترك أيضاً في الدعوة إلى إنشاء الجامعة مع صديقه المرحوم سعد زغلول باشا ؛ وتوفى رحمه الله
في ٢٢ أبريل سنة ١٩٠٨ م عن ثلاث وأربعين سنة .
(٦) الفوائل : الدراهم المهلكة ، الواحدة غائلة .
(٧) أتمرن : صار في السحر . والعارض : السحاب المتعرض في الأفق . والمهيل : المتابع المطر ،
العظيم القطر . والنسيم المنبعث عن الرياض أنقى ما يكون عقب المطر وفي السحر .

(١) وشمائل لو أنها مَرَجَتْ * بطبائع الأيام لم تحل
(٢) جَمُّ الحامدِ غيرُ مَنِّهم * جَمُّ التواضعِ غيرُ مُبْتَدَلٍ
(٣) يا دَوْلَةَ الأخلاقِ رافِلةً * مِنْ (قايمٍ) في أُنْهَجِ الحَلَلِ
كيف أنطَويت به على عَجَلٍ * أكذا تكونُ مَصَارِعُ الدُّوَلِ؟
(٤) يا طالِبًا للشَّرْقِ لَجَّ به * نَحْسُ النُّحُوسِ فَقَرَّ في (زُحَلِ)
هَلَّا وَصَلْتَ سُورَكَ مُتَقَلًّا * مَلَّ السُّعُودَ تَكُونُ في الثَّقَلِ
(٥) مالى أَرَى الأَجْدَاثَ حَالِيَةً * وَأَرَى رُبُوعَ النَّيْلِ في عَطَلِ
(٦) فاذا الكائنة أَطْلَعَتْ رَجُلًا * طاحَ القَضَاءُ بِذلكَ الرَّجُلِ
أو كَلِمًا أَرْسَلَتْ مَرِيئَةً * مِنْ أَدْمِي في إِثْرِ مُرْتَجِلِ
(٧) هاجَتْ بى الأُخْرَى دَفينَ أُمِّي * فَوَصَلْتُ بَيْنَ مَدَامِيعِ الْمُقْبِلِ
إِن خَلَّتِي فَمَا بَغْتُ بِهِ * شِعْرِي فَهَذَا الدَّمْعُ يَشْقَعُ لِي
(٨) ولقد أَقُولُ وما يُطالِي * عِنْدَ الْيَدِيَةِ قَوْلُ مُرْتَجِلِ:
يا مُرْسِلَ الأمثالِ يَضْرِبُهَا * قَدِ عَزَّ بِعَدَكَ مُرْسِلُ المَثَلِ

(١) لم تحل، أى لم تحول ولم تتغير. والمعنى أن شمائله من الثبات على الخير بحيث لو مَرَجَتْ بطبائع الأيام المتقلبة لأكتبها ثباتاً على ما يحب الناس. (٢) المبتدل: المتهن. (٣) رافلة: نجر الذيل متبخرّة. (٤) لج به: ألح عليه. وزحل: كوكب معروف من الخنفس، وهو عند المنجمين كوكب نحس. (٥) الأجداث: القبور؛ الواحد جدت (بالحرىك). وحالية: مزدانة. والعطل: التجرد عن الرية. (٦) طاح به: ذهب به. (٧) «هاجت بى الأُخْرَى» الخ، أى أثارَت المَرِيئَةَ الأُخْرَى ما خفى من خفى. (٨) طاوله: قاله.

- (١)
يا رائش الآراء صائبة * يرعى بين مقال الخطل
(٢)
لله آراء شأوت بها * في الخالدين نوابغ الأول
(٣)
قد كنت أشقانا بنا وكذا * يشقى الأبي بصحبة الوكل
(٤)
لمنى عليك قضيت مرثجلا * لم تشك ، لم تستوص ، لم تقل
(٥)
غل القضاء يد القضاء فذا * يئى عليك وذلك فى جذل
شغلتك عن دنياك أربعة * والمرء من دنياه فى شغل:
(٦)
حق تناصره ومفخرة * تمشى إليها غير متحمل
(٧)
وحقائق للعلم تشدها * ما للحكيم بين من قبل
(٨)
وقضية أعيت سواك فلم * تمدد إليه يدا ولم يصل
(٩)
إن ريت رأيا فى الجباب ولم * تعصم ، فإلك مراتب الرسل

- (١) الرائش : الذى يلزق الريش على السهم ليكون أسرع فى مضيه إلى الغرض . والخطل (بالتحريك) :
الخطأ والفساد . (٢) شأوت : سبقت . (٣) الوكل (بالتحريك) : الضعيف العاجز
الذى يكل أمره إلى غيره . ويشير بهذا البيت إلى ما لقيه الفقيد من ضروب النقد الشديد والظلم الجارح حين
أخرج كتابيه : (تحرير المرأة) و(المرأة الجديدة) . (٤) قضيت مرثجلا ، أى مت من غير طلة
ظاهرة . وتستوصى ، أى توصى . ولم نجد فيما راجعناه من كتب اللغة استوصيت بمعنى أوصيت .
(٥) القضاء (الأول) ، بمعنى الموت (والثانى) بمعنى الفصل فى الخصومات . والجذل (بالتحريك) :
الفرج . (٦) المتحل : الذى يدعى لنفسه ما لغيره . (٧) تشدها : تطلها .
والقبل : الطاقة . (٨) أعيت : أعجزت ، ولم تمدد ... الخ ، أى لم تمدد الفضيلة إلى سواك
يدا ولم يصل إلى نواها . (٩) ريت : رأيت ، غذف الهزمة للوزن . ويشير بهذا البيت إلى دعوة
الفقيد إلى سفور المرأة . وتلك ، أى العصمة .

الحُكْمُ لِلْأَيَّامِ مَرْجُوعُهُ * فِيمَا رَأَيْتَ فَنَمَّ وَلَا تَسْلُ
(١)
وَكَذَا طَهَاءُ الرَّأْيِ تَرْكُهُ * لِلدَّهْرِ يُنْضِجُهُ عَلَى مَهْلٍ
فَإِذَا أَصْهَتْ فَأَنْتَ خَيْرُ فَنَى * وَضَعَ الدَّوَاءَ مَوَاضِعَ أَلْعَلَّ
أَوَّلًا ، فَحَسْبُكَ مَا شَرُفَتْ بِهِ * وَتَرَكْتَ فِي دُنْيَاكَ مِنْ عَمَلٍ
(٢)
وَاهَا عَلَى دَارٍ مَرَرْتُ بِهَا * قَفَرًا وَكَانَتْ مُلْتَقَى السَّبْلِ
(٣)
أَرْخَصْتُ فِيهَا كُلَّ ظَالِيَةٍ * وَذَكَرْتُ فِيهَا وَفَقَةَ الطَّلَلِ
(٤)
سَاءَ لُتْهَا عَنْ (فَاسِمٍ) فَأَبَتْ * رَدَّ الْجَوَابِ فُوحْتُ فِي خَبَلٍ
(٥)
مُتَعَثِّرًا يَنْتَابُنِي وَهْنٌ * مُتَرَحِّمًا كَالشَّارِبِ الثَّمَلِ
(٦)
مُتَذَكِّرًا يَوْمَ (الإمام) بِهِ * يَوْمَ أَنْشِيتُ بِذَلِكَ الْبَطْلِ
(٧)
يَوْمَ أَحْتَسِبْتُ - وَكُنْتُ ذَا أَمَلٍ - * تَحْتَ التَّرَايِ بِقِيَةِ الْأَمَلِ
جَاوِزًا حَبِيبَتِكَ الْأَتَى ذَهَبُوا * بِالْعَزْمِ وَالْإِقْدَامِ وَالْعَمَلِ
(٨)
وَأَذْكُرْ لَهُمْ حَاجَ الْبِلَادِ إِلَى * تِلْكَ النَّهْيِ فِي الْحَادِثِ الْجَلَلِ

- (١) شبه في هذا البيت صاحب الرأي يرسله في الناس ويتركه يتغذى الى عقولهم شيئاً فشيئاً حتى يثبت ، بطاهى الطعام الذى يضعه على النار تنضجه شيئاً فشيئاً حتى يتم نضجه ، ويصير صالحاً لتناوله .
(٢) يريد « بالدار » دار الفقيد . وملق السبل ، أى جمع الواقدين من كل طريق . ونصب « قفراً » على الحال .
(٣) الغالية ، أى الدمة الغالية التى لا تسيل إلا فى أشد المصائب . والطلال (بالتحريك) : الشخص من آثار الدار .
(٤) الخبل : الجنون . (٥) الهم : الضعف . والمتروخ : المتألم سكرًا . والنمل : الشوان . (٦) الإمام ، هو المرحوم الشيخ محمد عبده . ويوم انتريت به ، أى يوم رماني فيه الزمان وقصدني بمكرهه .
(٧) احتسبه : قد به واعتده فيما يدخر عند الله .
(٨) الحاج : جمع حاجة .

قل (الإمام) إذا التقيت به • في الجنتين باسحرم التزل:
إن الحقيقة أصبعت هدفا • للراكين مراكب الزل
لله آثارٌ لكم خلدت • صاح الزوال بها فلم تزل
لله أيامٌ لكم درجت • طالت عنوارُها ولم تقل^(١)
نعم الظلال لو أنها بقيت • أرا أن ظلا غير متقل

ذكرى مصطفى كامل باشا

أنشدها في المجلس الذي أقيم من دهره لإحياء ذكره الأول

[نشرت في ١٢ فبراير سنة ١٩٠٩ م]

طوفوا بأركان هذا القبر واستلموا • وأفضوا هنا لك ما تفيض به الذم^(٢)
هنا جنات تمالى الله بآرئته • ضاقت بآماله الأقدار والهمم
هنا قم وبنان لآح يئنهما • في الشرق بفرحة ضوئه الأمم
هنا قم وبنات طالما نثرا • نثرا يسير به الأمثال والجكم
هنا الكئي الذي شادت عزائمته • لطالب الحق ركننا ليس ينهيم^(٣)
هنا الشهيد، هنا رب اللواء، هنا • حامي الذمار، هنا الشهم الذي ملهوا^(٤)

(١) درجت : مضت وذابت . والوارث : جمع عارفة ، وهي المطية والمروءة ، عارفة بمعنى مفعولة .

(٢) استلم القبر : قبله أو لمسه بيده . (٣) الكئي : الشجاع . (٤) اللواء :

الصحفه التي كان يصدرها العقيد . والذمار : كل ما يلزمك حفظه وحمايته والدفاع عنه .

يَا أَيُّهَا النَّائِمُ الْهَانِي بِمَضْجِعِهِ * لَيْسَ لَكَ النَّوْمُ لَاهِمٌ وَلَا سَقَمٌ
 بَاتَتْ تُسَائِلُنَا فِي كُلِّ نَازِلَةٍ * عَنْكَ الْمَنَابِرُ وَالْقُرَاطُسُ وَالْقَلَمُ
 تَرَكْتَ فِيْنَا قَرَاغًا لَيْسَ يَشْغَلُهُ * إِلَّا أَيُّ ذِكِّي الْقَلْبِ مُضْطَرِمٌ
 مُنْفَرُّ النَّوْمِ سَبَاقٌ لِغَايِهِ * آثَارُهُ عَمَمٌ أَمَالُهُ أَمَمٌ
 إِنِّي أَرَى وَفُؤَادِي لَيْسَ يَكْذِبُنِي * رُوحًا يُحْفَ بِهَا الْإِنْكَارُ وَالْعِظَمُ
 أَرَى جَلَالًا، أَرَى نُورًا، أَرَى مَلَكًا * أَرَى مُجِبًّا يُجِيبُنَا وَيَتَنَسِّمُ
 اللَّهُ أَكْبَرُ، هَذَا الْوَجْهُ أَغْرِفُهُ * هَذَا قَيُّ النَّيْلِ هَذَا الْمُفْرَدُ الْعَلَمُ
 غَضَبُوا الْعُيُونَ وَحَيُّوهُ تَحِيَّتَهُ * مِنْ الْقُلُوبِ إِذَا لَمْ تُسْعِدِ الْكَلِمُ
 وَأَقْسِمُوا أَنْ تَدُودُوا عَنْ مَبَادِيهِ * فَتَحْنُ فِي مَوْقِفٍ يَحْلُو بِهِ الْقَسَمُ
 لَيْسَ لَكَ نَحْنُ الْأَلَى حَرَكْتَ أَنْفُسَهُمْ * لِمَا سَكَنْتَ وَلِمَا غَالَكَ الْإِلْهَمُ
 جِئْنَا نُؤَدِّي حِسَابًا عَنْ مَوَاقِفِنَا * وَلَسْتِمِدُّ وَلَسْتَعِيدِي وَتَحْتَكِمُ
 قِيلَ اسْكُتُوا فَسَكْتْنَا ثُمَّ أَنْطَقْنَا * عَسْفُ الْجُفَاةِ وَأَعْلَى صَوْتِنَا الْأَلَمُ
 قَدْ أَتَيْنَا وَلِمَا نَطْلُبُ جَلَالًا * إِنَّ الضَّعِيفَ عَلَى الْحَالَيْنِ مَتَّهَمٌ

- (١) مضطرب، أى مشعل غيرة وحمية . (٢) منفر النوم : مسدد . وعمم، أى عامة شاملة .
 (٣) المحيا : الوجه . (٤) أسعده : أغاثه .
 (٥) تدودوا : تدفموا . (٦) غاله : أهلكه .
 (٧) نستمد : نطلب المدد، أى المعونة . ونستعدي : نستنصر .
 (٨) العسف : الظلم . ويريد «بالجفاة» : المحتلين . (٩) اطلب : طلب . والجلل :

الأمر العظيم .

قالوا : لقد ظلموا بإلحاق أنفسهم * والله يعلم أن الظالمين هم
 إذا سكنا تناجوا ، تلك عادتهم * وإن نطقنا تنادوا : فتنة عهم^(١)
 قد مرَّ عامُ بنا والأمرُ يحزُّ بنا * آنا وآونة تشابنا التَّقم^(٢)
 فالناسُ في شدِّةٍ والدمرُ في كَلْب * والعيشُ قد حارَ فيه الحاذقُ الفهم^(٣)
 وللسياسةِ فينا كَلَّ آونة * لو أنَّ جديداً وعهداً ليس يُحترَم^(٤)
 بيننا نرى جمرها تُحشى ملامِسُه * إذا به عندَ لميس المصطلي فحم
 تُصنِّي لأصواتنا طَوَراً لتغدعنا * وثارة يذهيبها الكبرُ والصَّم^(٥)
 فمن مَلَانِيَةِ أَسْتارها خُدع * إلى مُصَالِيَةِ أَسْتارها وهم
 ماذا يُريدون ؟ لا قَرَّتْ عُيُونُهُم * إنَّ الكِثَانَةَ لا يُطَوِّى لها عِلْم^(٦)
 كم أُمَّةٍ رَغِبَتْ فيها فما رَتَّخَتْ * لها — على حَوْلها — في أرضها قَدَم^(٧)
 ما كان رَبُّكَ رَبَّ الْبَيْتِ تَارِكَهَا * وهى الَّتِي بِجِبَالٍ مِنْهُ تَعْتَصِم
 لَبَيْكَ إِنَّا على ما كُنْتَ تَعَهْدُه * حَقَّ نَسُودَ وَحَقَّ تَشْهَدِ الْأُمَمِ
 فَعِلْمَ النَّيْلِ أَنَا خَيْرٌ مَنْ وَرَدُوا * وَيَسْتَطِيلُ أَخْيَالاً ذَلِكَ أَلْهَرَمِ

(١) تناجوا : تساروا .

(٢) حَزَبُ الْأَمْرِ : اشتدَّ عليه وضغطه .

(٣) كَلْبُ الدَّمَرِ (بالتحريك) شدَّته وإلحاحه بما يسوء . (٤) يريد بهذا البيت : أن للسياسة

أحوالا مختلفة لحينا تكون نارا حامية ، وحينما لجمة باردة . (٥) الوهم (يسكون الهاء) ،

معروف . وحركة الشاعر للضرورة . (٦) رتخت : ثبتت . والحول : القوة .

(٧) البيت : الكعبة .

(١)
 هذا الغراس الذى واليت منيته * بخير ما والت الأضواء والنسم
 أسنى وأصحى وعين الله تحرسه * حتى نما وحلاه التجدد والشمم
 (٢)
 فانظر إليه وقد طالبت بواسقه * تهنأ به ولايف الحاسيد الرغم
 يأنها النشء يسيروا في طريقته * وثابروا، رضى الأعداء أو يقيموا
 (٣)
 فكلكم (مضطفي) لو سار سيرته * وكلكم (كامل) لو جازه السام
 (٤)
 قد كان لا وانبأ يوماً ولا وكلاً * يستقبل الخطب بساماً ويفتحم
 (٥)
 وأنت يا قبر قد جئنا على ظمير * بخد لنا يجواب، جادك الدم
 (٦)
 أين الشباب الذى أودعت نضرته * أين الحلال - رماك الله - والشم؟
 (٧)
 وما صنعت بأمال لنا طويت * يا قبر فيك وعنى رمتها القيدم؟
 (٨)
 ألا جواب يروى من جوائننا * ما للقبور اذا ما نوديت تخيم؟
 ثم أنت، يكفيك ما عانيت من تعب * فنحن في يقظة والشمل ملتئم
 هذا (لواؤك) خفاق يظللنا * وذلك شخصك في الأجداد ممرئيم

- (١) واليت منيته، أى لم تنقطع عن تهده . والنسم (حركة) والنسم : (كلاماً) نفس الريح؛ وقيل : النسم أول هبوبها . «وبخير ما والت» الخ، أى بأحسن ما تمتد الشمس والنسم حياة النبات .
 (٢) البواسق : ما طال وارفع من الأشجار . والرغم (بالسكون، وبرك وسطه للضرورة) : التراب .
 ولا تله الرغم : كناية عن الذلة والمهانة . (٣) جازه : جاوزه . (٤) أوكلى (حركة) : العاجز الذى بكل أمره إلى غيره . (٥) الدم : جمع ديمة، وهى السحابة التى يدم مطرها فى سكون بلا رعد ولا برق؛ ويقال : جادته الدم، إذا أصابه بفزير مائها . وهو كناية عن الدعاء بالخير والتعيم .
 (٦) الحلال : الخصال . (٧) الرسم : ما بقى من آثار الديار . وعفاه التقديم : محاه وطمس آثاره
 (٨) وبهم يخيم : سكنت عن الكلام وبخيم من كثرة البهم .

(١) رثاء تولستوى

[نشرت في نوفمبر سنة ١٩١٠ م]

(٢)
رثاءك أمير الشعير في الشرق وانتبرى * لمذحك من كتابٍ مضرّ كبير
ولستُ أبالي حين أرثيك بعده * إذا قيل عني قد رثاه صغير
فقد كنت عوناً للضعيف وإني * ضعيفٌ ومالي في الحياة نصير
ولستُ أبالي حين أبكيك للورى * حوتك جنانٌ أم حواءك مسير
فلأني أحب النايغين لعلهم * وأعشق روض الفكر وهو نصير
دعوت إلى عيسى فضجت كائس * وهز لها عرش وماد سريـر
وقال أناس إنّه قولٌ ملّحد * وقال أناس إنّه لبشير

(١) ولد تولستوى الفيلسوف الرومى المشهور في ٢٨ أغسطس سنة ١٨٢٨ م . وقد عاش في أملاكه بزرها ويقسم مائتة بينه وبين فلاحيه ، ثم وزعها بينهم على الرغم من معارضة ذويه له . ومن كتبه : (الحرب والسلام) و(أين المخرج) . وله من الروايات المشهورة : (البحث) و(القيامة) . واتهم في آخر حياته بالخروج على الكنيسة ، فحكمت بكفره ، وكانت وفاته في ٢١ نوفمبر سنة ١٩١٠ م .

(٢) يريد « بأمر الشعر » : المرحوم أحمد شوقي بك ، وله في رثاء تولستوى قصيدة مطلعها :

« تلتسو » تجرى آية العلم دمعها * عليك ويبكى بأس وفقير

ويريد « بالكاتب الكبير » : الأستاذ أحمد لطفى السيد وقد رثى تولستوى بكلمة صدرها الجريدة ، وعنوانها : (مات الرجل) نشرت في ٢٤ نوفمبر سنة ١٩١٠ م .

(٣) « حوتك جنان » الخ ، أى أنه لا يزال حين يرثيه أكان الفقيه مؤمناً أم كافراً .

(٤) ماد : اضطرب .

المرآة

٤٧٩

(١) وَلَوْلَا حُطَامٌ رَدَّ عَنْكَ بِكَدِّهِمْ * لَضُفَّتْ بِهِ ذَرْعًا وَمَاءَ مِصِيرٍ
 وَلَكِنْ حَمَاكَ الْعِلْمُ وَالرَّأْيُ وَالْجَمْعُ * وَمَالٌ - إِذَا جَدَّ التَّرَالُ - وَفِيرٍ
 (٢) إِذَا زُرْتَ رَهْنَ الْمُحْسِنِينَ بِخُفْرَةٍ * بِهَا الزُّهْدُ نَاوِيًا وَالدَّكَاؤُ سَتِيرٍ
 (٣) وَأَبْصَرْتَ أُنْسَ الزُّهْدِ فِي وَحْشَةِ الْبَلَى * وَشَاهَدْتَ وَجْهَ الشَّيْخِ وَهُوَ مُنِيرٍ
 وَأَيَقَنْتَ أَنَّ الدِّينَ لِلَّهِ وَحْدَهُ * وَإِنْ قُبُورَ الزَّاهِدِينَ قُصُورٍ
 (٤) فَحَقٌّ تَمَّ سَلَمٌ وَاحْتِسَامٌ إِنَّكَ شَيْخُنَا * مَهِيْبٌ عَلَى رَغَمِ الْفَنَاءِ وَقُورٍ
 وَسَائِلُهُ عَمَّا غَابَ عَنْكَ فَإِنَّهُ * عَلِيمٌ بِأَسْرَارِ الْحَيَاةِ بِصِيرٍ
 يُجَبِّرُكَ الْأَعْمَى وَإِنْ كُنْتَ مُبْصِرًا * بِمَا لَمْ تُخْبَرْ أَحَرُّ وَمُسْطُورٍ
 (٥) كَأَنِّي بَسَمِعِ الْغَيْبِ أَسْمَعَ كُلِّ مَا * يُجِيبُ بِهِ أَسْأَلُنَا وَنُجِيرٍ
 (٦) يَنَابِيكَ : أَهْلًا بِالَّذِي عَاشَ عَيْشَنَا * وَمَاتَ وَلَمْ يَدْرُجْ إِلَيْهِ غُرُورٍ
 فَضَيَّتْ حَيَاةَ مِلْؤُهَا الْبِرُّ وَالنُّقَى * فَانْتَ بَاجِرِ الْمُتَّقِينَ جَدِيرٍ
 وَسَمُوكَ فِيهِمْ فَيَلْسُوفًا وَأَمْسَكُوا * وَمَا أَنْتَ إِلَّا مُحْسِنٌ وَنَجِيرٍ
 وَمَا أَنْتَ إِلَّا زَاهِدٌ صَاحِبُ صَبِيحَةٍ * يَرِنُ صَدَاهَا سَاعَةً وَيَطِيرُ

- (١) الحطام : المال . والكياد : المكيدة . يشير إلى ثروة تولسوى التي كان يملكها ثم نزل منها بعد وفاتها بين الفقراء . وقد ذكر ذلك في ترجمته . (٢) رهن المحسنين ، هو أبو العلاء المعري ، سمى نفسه به ، وكان لزم بيته فلم يخرج منه مطلقاً ، فأراد بأحد المحسنين : البيت . وبالأخر : العسى . وثار : مقيم . وسير ، يريد أنه مستور ، بمعنى مدفون . (٣) يريد « بالشيخ » : أبا العلاء . (٤) الاحتشام : الحياء . (٥) أحرار الجواب يحيره : رده . (٦) عيشنا ، أى عيش الزاهدين . ويدرج : يمشى .

(١)
 سَلَوْتُ عَنِ الدُّنْيَا وَلَكِنَّهُمْ صَبَوُا * إِلَيْهَا بِمَا تُعْطِيهِمْ وَتَمِيرُ
 حَيَاةَ الْوَرَى حَرْبٌ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا * سَلَامًا وَأَنْسَابُ الْكِفَاجِ كَثِيرُ
 أَبْتِ سُنَّةَ الْعُمَرَانِ إِلَّا تَسَاحُرًا * وَكَدْحًا وَلَوْ أَتَ الْبَقَاءَ يَسِيرُ
 تُحَاوِلُ رَفَعَ الشَّرِّ وَالشَّرُّ وَاقِعٌ * وَتَطْلُبُ مُحَضَّ الْخَيْرِ وَهُوَ عَسِيرُ
 وَلَوْ لَا امْتِزَاجُ الشَّرِّ بِالْخَيْرِ لَمْ يَقُمْ * دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِلَهَ قَدِيرُ
 وَلَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ النَّبِيَّ لِلْهُدَى * وَلَمْ يَتَطَّلِعْ لِلْسَّرِيرِ أَمِيرُ
 وَلَمْ يَعْتَشِقِ الْعَلِيَاءُ حُرٌّ وَلَمْ يَسُدْ * كَرِيمٌ وَلَمْ يَرْجُ الْبَرَاءَ فَقِيرُ
 (٢)
 وَلَوْ كَانَ فِينَا الْخَيْرُ مُحَضًّا لَمَدَّ * إِلَى اللَّهِ دَائِعٌ أَوْ تَبَلَّجَ نُورُ
 وَلَا قِيلَ هَذَا فَيَلْسُوفٌ مُوقِفٌ * وَلَا قِيلَ هَذَا عَالِمٌ وَخَيْرُ
 (٣)
 فَكَمْ فِي طَرِيقِ الشَّرِّ خَيْرٌ وَنِعْمَةٌ * وَكَمْ فِي طَرِيقِ الطَّيِّبَاتِ شُرُورُ
 (٤)
 أَلَمْ تَرَ أَنِّي قُتِلْتُ قَبْلَكَ دَائِعِيَا * إِلَى الزُّهْدِ لَا يَأْوِي إِلَى الظُّهَيْرِ
 (٥)
 أَطَاعُوا (أَبِيْقُورًا) وَ(سُقْرَاطَ) قَبْلَهُ * وَخُودِلْتُ فِيمَا أَرْتَنِي وَأُشِيرُ

(١) صبا : مال وحن . وتميرهم : تأنيبهم بالميرة ، وهي الطعام .

(٢) تبليج ، أشرق . (٣) يلاحظ أن الرفع في قوله « شرور » آخر البيت لضرورة حركة

الروى ، وإلا فالوجه نصبه على الأرجح ، للفصل بينه وبين « كم » الخبرية بجوار مجرور : أو بره ، على

مذهب بعض النحويين . (٤) الظهير : المعين . (٥) ولد أبيقور الفيلسوف الإغريقي

سنة ٣٤٢ ق م في جزيرة ساموس ، وأسس في أثينا مدرسة في حديقة منزله . وتوفي سنة ٢٧٠ ق م . واشتهر

بدعوته إلى طلب الذات في الحياة ، وأخطأ الناس ففهموا من فلسفته الإباحية المطلقة . وسقراط :

فيلسوف يوناني معروف ، عاش من سنة ٤٦٨ ق م إلى سنة ٤٠٠ ق م . ولم يعرف مذهبه في اللذة

بالضبط ؛ من أجل ذلك وجدت مذاهب مختلفة بعده تنسب إليه ، منها مذهب اللذة .

(١) **وَمِتْ مَاتَ بَع طَامِع * عَلَيْهَا وَلَا أَلْقَى الْقِيَادَ صَمِيرُ**
إِذَا هُ تَ لِلظُّلَمِ دُرٌّ تَشَيَّتْ * لَهُ فَوْقَ أَكْتَفِ الْكَوَاكِبِ دُورُ
أَفَاضَ نَا فِي النَّصِيحَةِ جَاهِدًا * وَمَاتَ كَلَانًا وَالْقُلُوبُ صُحُورُ
(٢) **فَكَمْ قِيلَ عَنْ كَهْفِ الْمَسَاكِينِ بَاطِلٌ * وَكَمْ قِيلَ عَنْ شَيْخِ (الْمَعْرِ) ذُورُ**
(٣) **وَمَا صَدَّ عَنْ فِعْلِ الْأَذَى قَوْلُ مُرْسَلٍ * وَمَا رَاعَ مَقْتُونِ الْحَيَاةِ نَذِيرُ**

رثاء رياض باشا^(٤)

أنشدها على قبره في حفل الأربعين

[نشرت في ٢٩ يولييه سنة ١٩١١ م]

(٥) **(رياض) أَفِقْ مِنْ عَمْرَةِ الْمَوْتِ وَاسْتَمِعْ * حَدِيثَ الْوَرَى عَنْ طَيْبٍ مَا كُنْتَ تَصْنَعُ**
أَفِقْ وَاسْتَمِعْ مِنِّي رِثَاءً جَمَعْتُهُ * تُشَارِكُنِي فِيهِ الْبَرِيَّةُ أَجْمَعُ
لَتَعْلَمَ مَا تَطْوِي الصُّلُورُ مِنَ الْأَسَى * وَتَنْظُرَ مَقْرُوحَ الْحَشَا كَيْفَ يَخْجَعُ

(١) عليها ، أى على الأرض . وإلقاء القيادة : كناية عن الإذعان والطاعة . والقياد بالكسر : الحيل يقاد به .

(٢) كهف المساكين : ملجؤهم . ويريد به هنا : تولستوى . وشيخ المعزة ، هو أبو العلاء المعري السابق ذكره . ويريد بهذا البيت . أن كلا الرجلين قد اتهم بما ليس فيه ، ورماء الناس في عقيدته ومذهبه بما هو برى منه . (٣) راعه : أقرضه . والمفتون : المخذوع .

(٤) كان رياض باشا من رجال عباس باشا الأول ، وتولى عدة مناصب عالية في عهد إسماعيل وتوفيق وعباس الثاني ، وأسندت إليه رئاسة مجلس النظار ثلاث مرات ، وترك الحكم في ١٤ أبريل سنة ١٨٩٤ م ، وتوفي بالأسكندرية في ١٧ يونيه سنة ١٩١١ وكان معروفًا بالعدل والشدة في تنفيذ الأحكام ، وكانت له إباد بيضاء في تنظيم شؤون الداخلية . (٥) الغمرة : الشدة .

لَنْ تَكُ قَدْ عُمِرْتَ دَهْرًا لَقَدْ بَكَى * عَلَيْكَ مَعَ الْبَاكِ خَلَاتُكَ أَرْبَعُ :
 مَضَاءٌ وَإِقْدَامٌ وَحَزْمٌ وَعَزْمَةٌ * ^(١) مِنَ الصَّارِمِ الْمَصْقُولِ أَمْضَى وَأَقْطَعُ
 رُحِمْتَ ، فَمَا جَاءَ يُنَوِّهُ فِي الْعَلَا * ^(٢) بِصَاحِبِهِ إِلَّا وَجَاهُكَ أَوْسَعُ
 وَلَا قَامَ فِي أَيَّامِكَ الْيَبِضُ مَا جَدُّ * يُنَازِعُكَ الْبَابَ الَّذِي كُنْتَ تَقْرَعُ
 إِذَا قِيلَ : مَنْ لِلرَّأْيِ فِي الشَّرْقِ أَوَمَاتُ * ^(٣) إِلَى رَأْيِكَ الْأَعْلَى مِنَ التَّنْرِيبِ أَضْمَعُ
 وَإِنْ طَلَعْتَ فِي (مِصْرَ) شَمْسُ نَبَاهَةٍ * ^(٤) فَمِنْ بَيْتِكَ الْمَعْمُورِ تَبْدُو وَتَطْلُعُ
 حَكَمْتَ فَمَا حَكَمْتَ فِي قَصْدِكَ الْهَوَى * ^(٥) طَرِيقَكَ فِي الْإِنْصَافِ وَالْعَدْلِ مَهْيَعُ
 وَقَدْ كُنْتَ ذَا بَطْشٍ وَلَكِنْ تَحْتَهُ * ^(٦) نَزَاهَةٌ تَقِيسُ فِي سَبِيلِكَ تَشْفَعُ
 وَقَفْتَ (لِإِسْمَاعِيلَ) وَالْأَمْرُ أَمْرُهُ * ^(٧) وَفِي كَفِّهِ سَيْفٌ مِنَ الْبَطْشِ يَنْتَعُ
 إِذَا صَبَّاحَ لَبَّاهُ الْقَضَاءُ وَأَسْرَعَتْ * إِلَى بَابِهِ الْأَيَّامُ ، وَالنَّاسُ خُشَعُ
 يُنْذَلُ - إِذَا شَاءَ - الْعَزِيزُ وَتَرْتَبِي * ^(٨) إِرَادَتُهُ رَفَعَ الذَّلِيلَ فَيُرْفَعُ
 فِي كَرَّةٍ مِنْ لَحْظِهِ وَهُوَ عَابِسٌ * ^(٩) تُدَكُّ جِبَالٌ لَمْ تَكُنْ تَنْزَعُ

(١) الصارم المصقول : السيف المجتزأ . (٢) تنوّه به : رفع ذكره .

(٣) أومات : اشارت . (٤) المهيع من الطريق : البين الواضح .

(٥) يقول : إن ابتعاد الفقيه عما يدنس أرباب الحكم من المظالم كان يشفع له عند الناس

إذا أخذهم بالقسوة والعنف في تنفيذ الأحكام . (٦) يشير إلى معارضة (إسماعيل باشا)

الخليوي عند ما أراد فني (إسماعيل باشا صديق) ، وكانت رياض باشا الرجل الوحيد الذي عارض

في هذا النفي ، وطلب محاكمته علنا ليعلم جرمه .

(٧) تدك : تهدم .

(١) وفي كَرَّةٍ مِنْ لَحِظِهِ وَهُوَ بِاسْمٍ * تَسِيلُ بِحَارٍ بِالْعَطَاءِ قَمَرُغُ
 (٢) فَا أَغْلَبُ شَاكِي الْعَزِيمَةِ أَرْوَعُ * يُصَارِعُهُ فِي الْغَابِ أَغْلَبُ أَرْوَعُ
 (٣) بَاجِرًا مِنْ ذَاكَ الْوَزِيرِ مُصَادِمًا * إِرَادَةَ (إِسْمَاعِيلَ) وَالْمَوْتُ يَسْمَعُ
 (٤) وَفِي الثَّوَرَةِ الْكُبْرَى وَقَدْ أَحْدَقْتُ بِنَا * صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْمِنَةُ مَشْرَعُ
 (٥) نَظَرْتُ إِلَى (مِصْرٍ) فَسَاءَكَ أَنْ تَرَى * حُلَاهَا بِأَيْدِي الْمُسْتَطِيلِينَ تَنْزَعُ
 (٦) وَلَمْ تَسْتَطِعْ صَبْرًا عَلَى هَتِكِ خَدْرِهَا * فَفَارَقَتْهَا أَسْوَانٌ وَالْقَلْبُ مُوجَعُ
 (٧) وَعُدْتُ إِلَيْهَا حِينَ نَادَاكَ نِيلُهَا : * أَقِلْ مَعْرَتِي فَالْقَوْمُ فِي الظُّلُمِ أَبْدَعُوا
 (٨) فَكُنْتُ (أَبَا مُحَمَّدٍ) غَوَاً وَعِصْمَةً * إِلَيْكَ دُعَاةُ الْحَقِّ تَأْوِي وَتَفْزَعُ
 (٩) وَكَمْ نَائِغٌ فِي أَرْضِ (مِصْرٍ) حَمِيَّتِهِ * وَمِثْلُكَ مَنْ يَجِي الْكَرِيمَ وَيَمْنَعُ

- (١) تمرع، أى تفيض بالحب والخير . (٢) الأغلب : الأسد، لفظ رقبته . وشاكي العزيمة ،
 أى ذو شوكة وحمية في عزيمته . والأروع : من يصعبك بشجاعته . (٣) والموت يسمع : كناية عن قرب .
 (٤) أحدقت بنا : أحاطت . وصروف الليالي : نوائها . والمشرع : المورد .
 (٥) المستطيلون : المتجبرون . (٦) الأسوان : الحزين .
 (٧) العثرة : الكبوة والزلّة . وإفاتها : إنهاض صاحبها والأخذ بيده . يشير بهذا البيت والأبيات
 الثلاثة قبله : إلى هجرة الفقيه من مصر إلى أوروبا ، عند ما ثار الضباط في عهد إسماعيل في ١٨ فبراير
 سنة ١٨٧٩ م ، لأن ناظر المالية إذ ذاك السير (ريفريس ولس) رأى أن يفت ٢٥٠٠ ضابط على
 سبيل الاقتصاد من غير أن يدفع لهم المتأخر من مرتباتهم ، فظاهره وأمام نظارة المالية ، وأوسعوا نواباً وباشا
 رئيس النظارة (ولس) لكأ وضرباً ، وكادوا ينالون من الفقيه ، وكان وزيراً للداخلية في هذه الوزارة ؛
 وقد بقي الفقيه في أوروبا حتى دعاه المنفور له توفيق باشا لتولي رئاسة النظارة ، فعاد إلى مصر في ٣ سبتمبر
 سنة ١٨٧٩ م . (٨) منع الشاعر (محمودا) من الصرف لضرورة الشعر . (٩) يشير بقوله
 « وكَمْ نَائِغٌ » والأبيات الأربعة الآتية بعد : إلى ترحيب الفقيه وتعضيده للسيد جمال الدين الأفغانى حينما
 ترك الأستانة إلى مصر سنة ١٨٧١ وإلى ما كانت تمتد به حكومة رياض من مساعدة مالية ، ذلك إلى أنها
 رخصت له في إلقاء محاضرات في الأزهر لينشر آراءه ويستفيد الناس من علمه .

رَعَيْتَ (جَمَالَ الدِّينِ) ثُمَّ اصْطَفَيْتَهُ * فَأَصْبَحَ فِي أَفْيَاءِ جَاهِكَ يَرْتَعُ^(١)
 وَقَدْ كَانَتْ فِي دَارِ الْخِلَافَةِ ثَاوِيًا * وَفِي صَدْرِهِ كَثْرٌ مِنَ الْعِلْمِ مُودِعُ^(٢)
 فَجِئْتَ بِهِ وَالنَّاسُ قَدْ طَالَ شَوْقُهُمْ * إِلَى الْأُمِيِّ بِالْبَرَاهِينِ يَصْطَدِعُ^(٣)
 فَحَرَّكَ مِنْ أَفْهَامِهِمْ وَعُقُولِهِمْ * وَعَاوَدَهُمْ ذَاكَ الذِّكَاؤُ الْمُضْصِعُ^(٤)
 وَوَلَّيْتَ تَحْرِيرَ الْوَقَائِعِ (عَبْدَهُ) * بَخَاءٍ بِمَا يَسْنِي الْغَلِيلَ وَيَنْقَعُ^(٥)
 وَكَانَتْ لِرَبِّ النَّاسِ فِيهِ مَشِيئَةٌ * فَأَمَسَتْ إِلَيْهِ النَّاسُ فِي الْحَقِّ تَرْجِعُ^(٦)
 وَجَاءُوا (بِابْرَاهِيمَ) فِي الْقَيْدِ رَاسِفًا * عَلَيْهِ مِنَ الْإِمْلَاقِ ثَوْبٌ مُرْقِعُ^(٧)
 فَأَلْقَيْتَ مِلءَ الثَّوْبِ نَفْسًا طُمُوحَةً * إِلَى الْمُجْبَدِ مِنْ أَطَارِهَا تَنْطَلِعُ^(٨)
 فَأَطْلَقْتَهُ مِنْ قَيْدِهِ وَأَقْلَنْتَهُ * وَمَا كَانَ فِي تِلْكَ السَّعَادَةِ يَطْمَعُ
 وَكَمْ لَكَ فِي (مُضِيرٍ) وَفِي (الشَّامِ) مِنْ يَدٍ * لَهَا أَيْنَ حَلَّتْ نَفْعَةٌ تَنْضَعُ^(٩)

(١) الأفياء : الظلال ؛ الواحد في .

(٢) ثاوريا : مقيا .

(٣) الأُمِيُّ ، الذكي المتوقد . ويصعد بالبراهين : يجهزها . (٤) عبده ، أى الشيخ محمد عبده ،

وكان رياض باشا قد عهد إليه في سنة ١٨٨٠ م بالإشراف على تحرير الوقائع المصرية حيث خصص فيها قسم للحركة الأدبية والبرانية . والغليل : شدة العطش . ونفعه : إرواؤه .

(٥) أى وكانت لله مشيئة في أن يكون الشيخ محمد عبده عظيم القدر ، موثلاً للحق .

(٦) يريد بابراهيم : ابراهيم الهلباوى بك الحامى المعروف . ويشير بهذا البيت والبيتين اللذين بعده إلى ما كان من طعن الهلباوى على الحكومة والحجى به متبهاً أمام رياض باشا ، فأُنفس منه رياض ماسر به ففعا عنه ، وتولاه برأيه . (٧) نفساً طمُوحَةً ، أى مستشرقة إلى معالي الأمور ، متطلعة إليها . والمسموع ، طمُوح ، بلا تاء في آخره ، للذكر والمؤنث . والأطبار : الخلق من الثياب ؛ الواحد طمر (بالكسر) . (٨) تنضوع : تنتشر رائحتها .

رَفَعَتْ عَنِ الْفَلَّاحِ عِبَاءَ ضَرِيَّةٍ * يَنْوُءُ بِهَا أَيَّامٌ لَا غَوْتَ يَنْقَعُ^(١)
وَأَرْهَبَتْ حُكَّامَ الْأَقَالِيمِ فَأَرَعَوْا * وَكَانُوا أَنَاسًا فِي الْجَهْلَالَةِ أَوْضَعُوا^(٢)
نَفَافُوكَ حَتَّى لَوْ تَنَاجَا بِنَجْوَةٍ * لَخَالُوا (رِيَاضًا) فَوْقَهُمْ يَتَسَمَعُ^(٣)
أَقَمْتَ عَلَيْهِمْ زَاجِرًا مِنْ نُفُوسِهِمْ * إِذَا سَوَّلْتَ أَمْرًا لَهُمْ قَامَ يُرَدُّ^(٤)
سَلِ النَّاسَ أَيَّامَ الرُّشَا مُسْتَفِضَةً * وَأَيَّامَ لَا تَجْنِي الَّذِي أَنْتَ تَرَعُ^(٥)
أَكَانَ (رِيَاضُ) عَنْهُمْ غَيْرَ غَافِلٍ * يَرُدُّ الْأَذَى عَنْ أَهْلِ (مِصْرَ) وَيَدْفَعُ^(٦)
(أُمُوتِمَرَ الْإِصْلَاحِ) وَالْعُرْفِ، قَدْ مَضَى * (رِيَاضُ) وَأَوْدَى السَّوَارِعُ الْمُتَوَرِّعُ^(٧)
وَكَانَ عَلَى كُرْسِيِّهِ خَيْرَ جَالِسٍ * هَيَّيْتَهُ تَعْنُو الْوُجُوهَ وَتَخَشَعُ^(٨)
فِيَا وَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَسُدُّوا مَكَانَهُ * بِذِي مِرَّةٍ فِي الْخَطْبِ لَا يَتَضَعُّعُ^(٩)

(١) العبء : الحمل . وبنوء بها : لم يستطع حملها والنهوض بها . والغوث : المعين والناصر . ويشير إلى الفناء رياض باشا بعض الضرائب ، وكان مجموع ما ألغى منها أربعة وعشرين ضريبة ، منها عوائد الجمارك الداخلية التي كان يتضجر منها الفلاحون ، والضريبة الشخصية ، وضريبة الوزن .

(٢) ارعوى : كف وانهى . وأوضعوا في الجهالة ، أى انغمسوا فيها واسترسلوا .

(٣) تناجوا : تشاروا . والنجوة : ما ارتفع من الأرض . يريد المكان البعيد عن الرقابة .

(٤) يردع : يزيج .

(٥) الرشا : جمع رشوة (تقليد الزاه) ، وهى معروفة « وأيام لا تنجى » الخ ، أى أيام كان يحرم

العامل ثمره عمله . (٦) يشير إلى أثر الفقيد في مؤتمر الإصلاح الذى انعقد في سنة ١٩١١ م ،

وقوات جلساته خمسة أيام . وكان لهذا المؤتمر غرضان : أولهما النظر في حال المسلمين الاقتصادية

والاجتماعية والأدبية . والثانى الرد على مطالب الأقباط التى طلبوها في مؤتمرهم المنعقد بأسبوط قبل ذلك

في ٦ مارس من السنة المذكورة . وكان الفقيد رئيساً لهذا المؤتمر الإسلامى ، أو المؤتمر المصرى . وأودى :

ذلك . والوازع : الزاجر . والمتورع : المتخرج . (٧) تعنو : تذلل وتضعف .

(٨) المزة : القوة والعزيمة .

بَعِيدِ مَرَامِ الْفِكْرِ أَمَا جَنَانُهُ * فَرَحْبٌ ، وَأَمَّا عِزُّهُ فَمَمْنَعٌ^(١)
 فَيَأْتِيهِ الْمُسْتَضْعِفِينَ إِذَا عَدَا * عَلَيْهِمْ زَمَانٌ بِالْعَدَاوَةِ مُوَلِّعٌ^(٢)
 عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا قَامَ بَيْنَنَا * وَزَيْرٌ عَلَى دَسْتِ الْعُلَا يَتَرَبَّعُ^(٣)

رثاء الشيخ على يوسف صاحب المؤيد^(٤)

أنشدما في الحفل الذي أقيم لتأبينه بمنزل السادات

[نشرت في ٥ ديسمبر سنة ١٩١٣ م]

صُوتُوا يَرَاعَ (عَلِيٍّ) فِي مَتَاحِفِكُمْ * وَشَاوِرُوهُ لَدَى الْأَرْزَاءِ وَالنُّوَبِ
 وَأَسْتَلِهُمُوهُ إِذَا مَا الرَّأْيُ أَخْطَأَكُمْ * يَوْمَ النَّضَالِ عَنِ الْأَوْطَانِ وَاللَّشْبِ^(٥)
 قَدْ كَانَ مَسْلُوعَ (مِصْرٍ) فِي مَكَارِيهَا * وَكَانَ بَحْمَرَةَ (مِصْرٍ) سَاعَةَ الْغَضَبِ
 فِي شِقِّهِ وَمَرَامِيهِ وَرِيقَتَيْهِ * مَا فِي الْأَسَاطِيلِ مِنْ بَطْشٍ وَمِنْ عَطَبِ^(٦)
 كَمْ رَدَّ عَنَّا وَصَيْنَ الْغَرْبِ طَائِحَةً * مِنَ الرِّزَايَا وَكَمْ جَلَّى مِنَ الْكُرْبِ^(٧)

- (١) الجنان : القلب . (٢) مولع : منعم . (٣) الدست : المجلس .
 (٤) ولد الشيخ على يوسف الكاتب المعروف صاحب المؤيد في بلصفورة من أعمال مديرية بروج ، وحفظ القرآن ، وتلقى مبادئ العلوم في بلدة بنى عدى من أعمال مغلوط ، ثم أرسل الى الأزهر فعمل فيه بعض علوم اللغة والدين ، وأنشأ جريدة المؤيد ، ظهر أول عدد منها في ديسمبر سنة ١٨٨٩ م ، وكان المرحومان رياض باشا وسعد زغلول باشا من أكبر أنصاره على القيام بسبب هذه الصحيفة ، وتوفي في سنة ١٩١٣ م ، وكان كاتباً معروفًا بالجدل وقوة الحجّة ، وتولى مشيخة سجادة الوفاية .
 (٥) اللشب : المال . (٦) ريقة القلم : مداده . والعطب : الهلاك .
 (٧) جلى : كشف .

(١) له صريرٌ إذا جَدَّ التَّزَلُّ به * يُنسى الكُفَّةَ صَليلاً البَيضَ والقُضْبَ
(٢) ما ضَرَّ مَنْ كانَ هُنا في أُناملِهِ * أَنْ يَشْهَدَ الحَرْبَ لَمْ يَسْكُنْ إلى يَلْبَ
(٣) فلو رَأَهُ (أَبْنُ أَوْسٍ) ما قَرَأَتْ له : * (السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الكُتُبِ)
أَلَا فَتَى عَرَبِيٌّ يَسْتَقِلُّ به * بَعْدَ الفَقِيدِ وَيَحْيَى حَوْزَةَ الأَدَبِ
(٤) وَيَمْنَعُ الحَقَّ أَنْ يُغْشَى تَبْلُجُهُ * ما في السَّيَاسَةِ مِنْ زُورٍ وَمِنْ كُذِّبِ
أَوْدَى قَتَى الشَّرْقِ، بل شَيْخُ الصَّحَافَةِ بَلْ * شَيْخُ الوَفَائِيَّةِ الوَضَاحَةِ الحَسَبِ
(٥) أَقَامَ فِينا عِصامِيًّا فَعَلَمَنا * مَعْنَى الثُّبَاتِ وَمَعْنَى الجِدِّ والدَّابِ
وَرِاحَ عَنَّا وَلَمْ تَبْلُغْ عِزائِمَنا * مَدَى مُناها وَلَمْ تَقْرُبْ مِنَ الأَرَبِ
(٦) قالوا عَجَبنا لِمْضِرِّ يَوْمٍ مَضْرَعِهِ * وَقَدْ نَجَّيْتُ لَهم مِنْ ذَلكَ العَجَبِ

(١) صرير القلم : صوته في الكتابة . وصليل البيض والقضب : أصوات السيوف . والكافة : الشجعان ؛ الواحد كحي . (٢) اليب : الدرع من الجلود . يريد أن من كان هذا القلم من أسلحته شهد الحروب بغير درع يقيه أسلحة الأبطال ، وحسبه هذا القلم وقاية له . (٣) يريد حبيب بن أوس الطائي المعروف بأبي تمام . والشرط الثاني من هذا البيت هو صدر بيت له من قصيدة يمدح بها المعصم بالله الخليفة العباسي حين فتح عمورية ، وبجزالبيت :

* في حده الحد بين الجد واللعب *

لحافظ يقول : إن أبا تمام لو رأى هذا القلم لعرف فضله على السيف .

(٤) يغشى تبليجه ، أي يحجب إشراته . (٥) العصامي : الذي ساد بنفسه لا بآبائه ،

نسبة إلى عصام الذي يقول فيه الشاعر :

* نفس عصام سؤدت عصاما *

والدأب في العمل : الاستمرار عليه والاجتهاد فيه . (٦) قالوا عجبنا ... الخ ، أي عجبنا

لأهل مصر في تلقينهم نعي الفقيه في تنويرة أكثرات .

(١) إِنْ أَلَى حَسْبُهَا غَيْرَ جَارِعَةٍ * لَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْأَشْيَاءِ مِنْ كَثَبٍ
 تَاللهِ مَا جَهِلَتْ فِيهِ مُصِيبَتَهَا * وَلَا الَّذِي فَقَدَتْ مِنْ كَاتِبِ الْعَرَبِ
 (٢) لَكُنْهَا أَلَفَتْ وَالْأَمْرُ يَحْزِبُهَا * فَقَدَ الرَّجَالِ وَمَوْتَ السَّادَةِ النَّجَبِ
 (٣) وَعَلِمَتْهَا أَلَى أَنْ تُصَارِعَهَا * فِي الْحَاثَاتِ وَإِنْ أَمَعَنَّ فِي الْحَرْبِ
 (٤) كَمْ أَرْجَفُوا بَعْدَ مَوْتِ الشَّيْخِ وَارْتَقَبُوا * مَوْتَ (المُؤَيَّدِ) فِينَا شَرُّ مَرْتَقَبٍ
 وَإِنْ يَمُتْ يَمُتِ الْأَمَالُ فِي بَلَدٍ * لَوْلَا (المُؤَيَّدِ) لَمْ يَنْشَطْ إِلَى طَلَبِ
 (٥) ضُبَابَةٍ مِنْ رَجَاءٍ بَيْنَ أَضْلُعِنَا * قَدْ بَاتَ يَرْشُفُ مِنْهَا كُلُّ مُغْتَصِبِ
 (٦) أَلَمْ يَكُنْ لَبْنِي (مِصْرٍ) وَقَدْ دُهِمُوا * مِنْ سَاسَةِ الْغَرَبِ مِثْلَ الْمَعْقِلِ الْأَشْبِ
 كَمْ أَتَبَرَتْ فِيهِ أَقْلَامٌ وَكَمْ زُرِفَتْ * فِيهِ مَنَائِرُ مِنْ نَظْمٍ وَمِنْ خُطَبِ
 وَكَانَ مَيْدَانُ سَبْقٍ لِلْأَلَى غَضِبُوا * لِلدِّينِ وَالْحَقِّ مِنْ دَاجٍ وَمُخْتَسِبِ
 (٧) فَكَمْ يَرَاغِ حَكِيمٍ فِي مَشَارِعِهِ * قَدْ التَّقَى بِرَاغِ الْكَاتِبِ الْأَرَبِ

(١) الكتب (بالتحريك) : القرب . أى لا ينظرون الأمور على حقائقها .

(٢) حزبه الأمر : اشتد عليه وضغطه .

(٣) الحرب (بالتحريك) : اشتداد الغضب . (٤) أرجف القوم : خاضوا في الأخبار

السيئة على أن يوقعوا بين الناس الاضطراب من غير أن يصح عندهم شيء . (٥) الصبابة :

البقية . يقول : ان المؤيد بقية من رجاء وعزاء يلوذ بها كل منصوب الحق . (٦) الضمير

في « يكن » المؤيد . والمعقل : الحصن . والأشب : المتنوع بما حوله من السياج والسلاح ، وهو من

قولهم : شجر أشب ، أى ذو شوك مشبك بعضه ببعض .

(٧) المشارع : المناهل ، الواحد مشرع (يفتح الميم والراء) . والأرب : البصير الفطن .

(١) أَيْ الصَّحَائِفِ فِي الْقُطْرَيْنِ قَدْ وَسَعَتْ * رَدَّ (الإمام) مُزِيلِ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ
(٢) أَيَّامَ يَحْصِبُ (هَانُوتُو) بِفِرْيَتِهِ * وَجَهَ الْحَقِيقَةِ وَالْإِسْلَامُ فِي نَحَبِ
مَالِي أَعَدَّدُ آثَارَ الْفَقِيدِ لَكُمْ * وَالشَّرْقُ يَعْرِفُ رَبَّ السَّبْقِ وَالْغَلَبِ
لَوْلَا (المُزَيِّدُ) ظَلَّ الْمُسْلِمُونَ عَلَى * تَنَاسُخٍ بَيْنَهُمْ فِي ظُلُمَةِ الْمَجْبِ
(٣) تَعَارَفُوا فِيهِ أَرْوَاحًا وَصُحُفُهُمْ * رَغَمَ التَّنَائِي زِمَامٌ غَيْرُ مُنْقَضِبِ
فِي مِصْرَ فِي نُونِ فِي الْهِنْدِ فِي عَدْنِ * فِي الرُّوسِ فِي الْفُرْسِ فِي الْبَحْرَيْنِ فِي حَلَبِ
هَذَا يَمِيزُ إِلَى هَذَا وَقَدْ عُقِدَتْ * مَوَدَّةٌ بَيْنَهُمْ مَوْصُولَةُ السَّبَبِ
(أَبَا بُثَيْنَةَ) نَمَّ يَكْفِيكَ مَا تَرَكْتَ * فِينَا يَدَاكَ وَمَا عَانَيْتَ مِنْ تَعَبِ
جَاهَدْتَ فِي اللَّهِ وَالْأَوْطَانِ مُحْتَسِبًا * فَأَرْجِعْ إِلَى اللَّهِ مَأْجُورًا وَقُزْ وَطِبِ
(٤) وَأَحْمِلْ يُمْنَكَ يَوْمَ النَّشْرِ مَا نَشَرْتَ * تِلْكَ الصَّحِيفَةُ فِي دُنْيَاكَ وَأَنْتَسِبِ

(١) يريد «بالإمام»: الشيخ محمد عبده، ويشير إلى رده على هانوتو الذي نشره في صحيفة المؤيد.

(٢) يحصب: يرمى. والفريّة: الكذبة. والنحب (يسكون الحاء، وفتحها هنا لضرورة الوزن):

أشدّ البكاء.

(٣) التناي: التباعد. ومنقضب: منقطع.

(٤) وانتسب، أي انتسب إلى تلك الصحيفة فهي حسبك من نسب.

رثاء على أبي الفتوح باشا^(١)

أنشدها في الحفل الذي أقيم لتأبينه في الجاشنة

[نشرت في ٩ فبراير سنة ١٩١٤ م]

(٢)

جَلَّ الْأَسَى قَتَجَمَلِي * وَإِذَا أَبَيْتِ فَأَجَمَلِي

يَا مِصْرُ قَدْ أَوْدَى قَتَا * كِ وَلَا قَتَى إِلَّا (عَلِي)

قَدَمَاتِ نَائِفَةُ الْقَضَا * وَغَابَ بَدْرُ الْمُحْفِلِ

(٣)

وَعَدَا الْقَضَاءُ عَلَى الْقَضَا * فِي فَصَابِهِ فِي الْمُقْتَلِ

حَلَالُ عَقْدِ الْمُعْضِلَا * تِ قَضَى يَدَا مُعْضِلِ

(٤)

وَيْحَ الْيَكَاةِ مَا لَهَا * فِي غَمْرَةٍ لَا تَتَجَلِي

بَاتَتْ وَكَارِثَةٌ تُمْرِبُهَا * وَكَارِثَةٌ تَلِي

يَا زَهْرَةَ الْمَاضِي وَيَا * رِيحَانَةَ الْمُسْتَقْبَلِ

كُنَّا نَعِدُّكَ لِلشَّيْدَا * يُدِ فِي الزَّيْمَانِ الْمُقْبِلِ

(١) على أبو الفتوح باشا، هو ابن أحمد أبو الفتوح باشا. ولد بيلقاس من أعمال الغربية في سنة ١٨٧٣ م وبعد أن أخذ حظه من التعلم في مصر سافر إلى أوروبا لتلقي علوم القانون بكلية مونبلييه بفرنسا، ولبت فيها ثلاث سنوات نال بعدها شهادة الليسانس، وقد شهد له أساتذته في تفريراتهم الرسمية بأنه يكتب اللغة الفرنسية كأحد أبنائها. وكان ينشر بعض المباحث في المجلات الفرنسية، وعاد إلى مصر في سنة ١٨٩٥ م. وأتم منصب تولاه في الحكومة المصرية وكالة المعارف في ٥ أبريل سنة ١٩١٠ م، وتوفي في ٢٨ ديسمبر سنة ١٩١٣ م. (٢) تجلى، أي لا تظهرى الجزع. وأجمل، أي أرفق، يخاطب مصر.

(٣) يريد «القضاء» الأول: الموت، والثاني: الفصل في الخصومات.

(٤) الغمرة: ما يضر الناس، أي يشملهم من الخطوب والأرزاء.

يَا لَابَسَ الْخُلُقِ الْكَرِي * يَمِ الْمُطْمِنِ الْأَمَثِلِ

فَارَقْتَنَا فِي حِينِ حَا * جَتْنَا وَلَمْ تَسْمَهْلِ

(١) يَا رَامِيَا صَدْرَ الصَّعَا * بِرَمَاكَ رَامِي الْأَجَلِ

(٢) يَا حَافِظَا غَيْبِ الصَّدِيدِ * فِي وَيَا كَرِيمِ الْمَقُولِ

(٣) أَيُّ الْحَامِدِ غَضَبَةٌ * بِمُحَلَّةٍ لَمْ تَجْمَلِ

(٤) تَلَهُوْا لِدَانِكَ بِالصَّبَا * لَهَوْا وَأَنْتَ بِمَعَزِلِ

تَسْعَى وَرَاءَ الْبَاقِيَا * تِ الصَّالِحَاتِ وَتَعْتَلِ

(٥) يِينِ الْمُحَابِرِ وَالْدَفَا * تِرِ دَائِبَا لَا تَأْتَلِ

أَدْرَكْتَ عِلْمَ الْإِحْرِي * مِنْ وَخُزْتِ فَضْلِ الْأَوَّلِ

(٦) أَذْنَى مَرَامِكَ هِمَّةٌ * فَوْقَ السَّمَاءِ الْأَعْزَلِ

وَأَجَلُ قَصِيدِكَ أَنْ تَرَى * (مِصْرَا) تَسُودُ وَتَعْتَلِ

(٧) دَرَجَ الْأَحْبَةِ بَعْدَ مَا * تَرَكُوا الْأَسَى وَالْحُزْنَ لِي

(٨) لَمْ يَحُلْ لِي مِنْ بَعْدِهِمْ * عَيْشٌ وَلَمْ أَتَعَلَّ

(١) الأجل : الصقر ، وهو معروف بالحذر والحرص . يقول : أباك الموت الذى يصيب

أشبه المخلوقات حذرا وحرصا . (٢) القول : اللسان . (٣) الغضة : الناصرة .

(٤) لدانك : من ولدوا معك . (٥) لا تأتلى : لا تقصر . (٦) السماء : اسم يطلق

على نجمين نيرين ، وهما الأعزل والرايح ، وسمى أعزل ، لأنه لا شئ بين يديه من الكواكب ، وهو

من منازل القمر والرايح ليس من منازل . (٧) درج الأجة : ذهبوا ومضوا .

(٨) أتعلل : أتأغل وأتلهى .

لى كُلِّ حَايِمٍ وَقَفَّةٌ * حَرَّى عَلَى مُتَرَحِّلٍ
 (١)
 أَبْيَحَى بُكَاءَ الشَّائِكِلَا * تِ وَأَصْطَلِي مَا أَصْطَلِي
 لَمْ يُبْقِ لِي يَوْمُ الْفَقِيرِ * يَدِ عَزِيمَةٍ لَمْ تُفَلِّ
 (٢)
 يَوْمَ عُبُوسٍ قَدْ مَضَى * بَقْسَى أَغْرَ مُحْجَلٍ
 مَنْ لَمْ يُشَاهِدْ هَوْلَهُ * عِنْدَ الْقَضَاءِ الْمُتَزَلِّ
 (٣)
 لَمْ يَدِرْ مَا قَضَمُ الظُّهُو * رِ وَلَا أَنْخِزَالَ الْمَفْصِلِ
 يَا قَبْرُ وَيَحْكُ مَا صَنَعَتْ * تَ بَوَاجِهِهِ الْمُتَهَلِّلِ
 (٤)
 عَبَسَتْ مِنْهُ نَضْرَةٌ * كَانَتْ رِيَاضُ الْمُجْتَلِي
 (٥)
 وَعَبَّتْ مِنْهُ بَطْرَةٌ * سَوْدَاءَ لَمَّا تَنْصَلِ
 يَا قَبْرُ هَلْ لَعِبَ الْبَلَى * يَلِطَافُ تِلْكَ الْأُمَلِ؟
 (٦)
 لَهْفَى عَلَيْهَا فِي الطُّرُو * سِ تَسِيلُ سَيْلَ الْجَدُولِ
 لَهْفَى عَلَيْهَا فِي الْجَدَا * لِ تَحُلُّ عَقْدَ الْمُشْكِلِ
 (٧)
 لَهْفَى عَلَيْهَا لِلرَّبَا * يِ وَلِلْعُقَاةِ السُّؤْلِ

(١) اصطلى النار : قاسى حرها .

(٢) أغر محجل ، أى مشهور المكانة معروف المنزلة . والأغر والمججل : اصلهما من صفات الخيل .

(٣) انخزال المفصل : انفصاله . (٤) المجتل : الناظر المستوضح للأشياء .

(٥) لما تنصل ، أى لم يخرج من لونها بعد ، وهو السواد . يريد أنها لم يدركها الشيب .

(٦) الجدول : النهر الصغير .

(٧) العقاة : طلاب المعروف ؛ الواحد عاف (كقاض) .

يَا قَبْرَ ضَيْفِكَ بَيْنَنَا * قَدْ كَانَ خَيْرَ مُؤْمِلٍ
لَمْ يَنْقِضْ كِبَرًا بِنَا * دِيهِ وَلَمْ يَتَبَدَّلْ
إِنِّي حَلَلْتُ رِحَابَهُ * فَتَزَلْتُ أَكْرَمَ مَثَلٍ
وَنَهَلْتُ مِنْ أَخْلَاقِهِ * فَوَرَدْتُ أَعْدَبَ مَنَهْلٍ^(١)

رثاء فتحي وصادق

قالها في رثاء الطيارين العثمانيين فتحي بك وصادق بك اللذين سقطت بهما الطائرة قرب دمشق، وكانا يعترضان الطيران من دمشق إلى القدس ثم إلى مصر، ويؤمل فيها وصول الطيار الآخر نوري بك سالما

[نشرت في أول أبريل سنة ١٩١٤ م]

أُخْتُ الْكَوَكِبِ مَا رَمَا * لِكَ وَأَنْتِ رَامِيَةُ النُّسُورِ؟^(٢)
مَاذَا دَهَاكَ وَفَوْقَ ظَهْرِهِ * بَرِّكَ مَرِيضُ الْأَسَدِ الْمَهْصُورِ؟^(٣)
خَضَعْتَ لِأَمْرِهِ الرِّيَا * حُحُ مِنْ الصَّبَا وَمِنْ الدُّبُورِ^(٤)
فَغَدَا يُصَرِّفُ مِنْ أَعْنَتِهَا تَصَارِيفَ الْقَدِيرِ^(٥)
(فَتَحِي) وَهَلْ لِي إِنْ سَأَلْتُ * تَنْتُ عَنِ الْمُصِيبَةِ مِنْ مُحِيرِ؟^(٦)
وَيَلَاهُ هَلْ بُجِزَتِ الْحُدُودُ * دَ وَأَنْتِ تُخْتَرِقُ السُّتُورِ؟

- (١) نهلت : شربت . (٢) أخت الكواكب، يخاطب الطائرة .
(٣) مريض الأسد : موضع ربوضه، أى بركه . والمهصور : الذى يهصر فريسته، أى يكسرها .
(٤) الصبا : ريح الشمال . والدبور : الريح التى تقابلها . (٥) المحير : المحجب .
(٦) جزت الحدود ... الخ . يقول : هل جاوزت الحدود التى تفصل بين العالمين : عالم السماء وعالم الأرض، واخترقت الحجب التى بينهما ؟

(١)

فَرَمَاكَ حُرَّاسُ السَّمَاءِ * وَتِلْكَ قَاصِمَةُ الظُّهُورِ

(٢)

أَمْ ظَارَ مِنْكَ السَّابِحَا * تِ وَأَنْتَ تَسْبِجُ فِي الْأَثِيرِ

(٣)

حَسَدَتْكَ حِينَ رَأَتْكَ وَحْدَ * دَكَ تَمَّ كَالْفَلَكَ الْمُنِيرِ

(٤)

وَالْعَيْنُ مِثْلُ السَّهْمِ تَنْدُ * فُذُّ فِي التَّرَائِبِ وَالنُّحُورِ

حَاوَلْتَ أَنْ تَرِدَ الْمَجَرَّةَ * وَالْوُرُودُ مِنَ الْعَسِيرِ

فَوَرَدْتَ يَا (فَتَحِي) الْجَا * مَ وَأَنْتَ مُنْقَطِعُ النَّظِيرِ

وَهَوَيْتَ مِنْ كَيْدِ السَّمَاءِ * وَهَكَذَا مَهْوَى الْبُذُورِ

إِنْ كَانَ أَعْيَاكَ الصُّعُورُ * دُ بِذَلِكَ الْجَسَدِ الظُّهُورِ

فَأَسْبَحَ بِرُوحِكَ وَحَدَّهَا * وَأَصْعَدَ إِلَى الْمَلِكِ الْكَبِيرِ

(٥)

إِنْ رَاعِنَا صَوْتُ النَّعْيِ * وَفَاتِنَا نَبَأُ الْبَشِيرِ

فَلَعَلَّ مَنْ ضَلَّتْ يَدَا * هُ عَلَى الْيَكَاثَةِ بِالسُّرُورِ

أَنْ يَسْتَجِيبَ دُمَاءَهَا * فِي حِفْظِ صَاحِبِكَ الْآخِيرِ

بَاتَتْ تُرَاقِبُ فِي الْمَشَا * رِيقِ وَالْمَغَارِبِ وَجْهَ (نُورِي)

(١) يريد بهذا البيت تشبيهه بالجن الذين كانوا يسترقون السمع من السماء فتعزهم بشبهها المرسله عليهم .

(٢) السابحات : الكواكب . قال تعالى : (والسابحات سبحا) . (٣) يجارى في هذا

البيت ما هو شائع بين الناس من اعتقادهم في تأثير العين ، وأنها تصيب كما يصيب السهم .

(٤) راعنا : أفرعنا .

رثاء الدكتور شبلي شميل^(١)

انشدها في الحفل الذي أقيم في نادي جمعية الاتحاد السوري في مساء الأحد

٩ فبراير سنة ١٩١٧ م

سَكَنَ الْفَيْسُوفُ بَعْدَ اضْطِرَابٍ * إِنَّ ذَاكَ السُّكُونُ فَضْلُ الْخُطَابِ
لَقِيَ اللَّهَ رَبَّهُ فَاتْرُكُوا الْمَرْ * لَدَيْهِ فَسِيحِ الرَّحَابِ
حَزَنَ الْعِلْمُ يَوْمَ مِتَّ وَلَكِنْ * أَمِنَ الدِّينُ صَنِيعَةَ الْمُرْتَابِ^(٢)
كَنتَ تَبْنِي بَرْدَ الْيَقِينِ عَلَى الْأَرْ * ضِ وَتَسْعَى وَرَاءَ لُبِّ الْأَلْبَابِ
فَاسْتَرَحْ أَيُّهَا الْمُجَاهِدُ وَاهْدَأْ * قَدْ بَلَغْتَ الْمُرَادَ تَحْتَ التَّرَابِ
وَعَرَفْتَ الْيَقِينَ وَأَنْبَلَجَ الْحَقُّ لَعَيْتِكَ سَاطِعًا كَالشَّهَابِ^(٣)
لَيْتَ شِعْرِي وَقَدْ قَضَيْتَ حَيَاةَ * يَمِينِ شَكِّ وَحَيْرَةِ وَأَرْتِيَابِ
هَلْ أَتَاكَ الْيَقِينُ مِنْ طُرُقِ الشُّكِّ فَشَكُّ الْحَكِيمِ بَدَأَ الصُّوَابِ
كَمْ سَمِعْنَا مُسَائِلًا قَبْلَ (شِبْلِي) * عَاشَ فِي الْبَحْثِ طَارِقًا كُلَّ بَابِ
أَطْلَقَ الْفِكْرَ فِي الْعَوَالِمِ حُرًّا * مُسْتَطِيرًّا يُرِغُ هَتَكَ الْجِجَابِ^(٤)

(١) الدكتور شبلي شميل، هو الطبيب اللبناني نزيل مصر، وكان من أشهر الأطباء. ولد في نحو سنة ١٨٥٠م، في قرية كفر شيما من قرى ساحل لبنان، وهي القرية التي ولد فيها الشيخ ناصيف اليازجي. وتعلم العلوم الطبيعية والطب في كلية الأمريكان ببيروت وأتم علومه في أوروبا. وهو مشهور بمباحثه الطبيعية والاجتماعية العميقة، وله من الآراء المتعلقة بالعقيدة الدينية ما أنكره الناس عليه، وإلى هذا يشير حافظ في قصيدته تلك. ومن أشهر كتبه: كتاب (النشوء والارتقاء). وتوفي سنة ١٩١٧ م.

(٢) المرتاب: الشاك في العقيدة. (٣) أنبلج: أضاء وأشرق. (٤) يرغ: يطلب.

يَقْرَعُ النِّجَمَ سَائِلًا ثُمَّ يَرْتَدُّ إِلَى الْأَرْضِ بَاحِثًا عَنْ جَوَابِ
 أَعْجَزَنَهُ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ أَسْبَا * بٌ طَوَاهَا مُسَبِّبُ الْأَسْبَابِ
 وَقَفَّتْ دُونَهَا الْعُقُولُ حَيَارَى * وَأَنْتَنَى هَبْرَيزُهَا وَهُوَ كَابِي^(١)
 لَمْ يَكُنْ مُلْحَدًا وَلَكِنْ تَصَدَّى * لَشُؤْبِ الْمُهَيِّمِينَ السُّوَاهِبِ
 رَامَ إِدْرَاكَ كُنْهِ مَا أَعْجَزَنَا * سَ قَدِيمًا فَلَمْ يَفْزُ بِالطَّلَابِ
 إِلَيْهِ شَيْئًا قَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِيكَ أَلْ * مَقُولٌ حَتَّى تَقْنَنُوا فِي عِتَابِي
 قِيلَ : تَرَى ذَاكَ الَّذِي يُنْكِرُ النُّوْ * رَوَلَا يَهْتَدِي بِهِدْيَ الْكِتَابِ؟
 قُلْتُ : كُفُّوا فَلَا تَمُوتُ أَرَأَيْتَ * مِنْهُ خِلَافٌ أَسَى طَوِيلَ الْغِيَابِ
 أَنَا وَاللَّهِ لَا أَحْيَايَهُ فِي الْقَوُ * لِ فَقَدْ كَانَ صَاحِبِي لَا يُجَابِي^(٢)
 أَنَا أَرَأَيْتَ شِمَائِلًا مِنْهُ عِنْدِي * كُنَّ أَحْلَى مِنَ الشَّهَادِ الْمُذَابِ^(٣)
 كَانَ حُرَّ الْأَرَاءِ لَا يَعْرِفُ انْحَدُّ * لَ وَلَا يَسْتَيْحُ غَيْبَ الصَّحَابِ^(٤)
 مُفِضًا مُحْسِنًا عَلَى الْعَمِيرِ وَالْيُسِّ * بِرِ جَمِيعِ الْقَوَادِرِ رَحْبَ الْخَنَابِ^(٥)
 عَاشَ مَا عَاشَ لَا يُلِيقُ عَلَى الْإِسْخَامِ مَالًا وَلَمْ يَلْبَسْ لِلصَّعَابِ
 كَانَ فِي الْوُدِّ مَوْضِعَ النَّفَقَةِ الْكُتْبِ * بَرَى وَفِي الْعِلْمِ مَوْضِعَ الْإِعْجَابِ

(١) الهبرى : المقدام . والكابى : العاثر المنكب على ربهه .

(٢) الشهاد والشهد ، كلاهما بمعنى واحد . (٣) الختل : الخداع . (٤) المفضل :

المنعم . وجميع القواد ، أى مجتمعه لا تفرق قلبه النواصب . (٥) يقال : فلان لا يلين درهما

لسنانه ، أى لا يمسه .

نُكِبَ الطَّبُّ فِيهِ يَوْمَ تَوَلَّى * وَأَصِيتَ رَوَائِعُ الْآدَابِ
(١)
وَحَلَا ذَلِكَ النَّيْثُ مِنَ الْأُنْثَى * سِيسَ وَقَدْ كَانَ مَرْتَعِ الْكُتَابِ
(٢)
وَبَكَتْ فَقْدَهُ الشَّامُ وَنَابَتْ * فَوْقَ مَا نَابَهَا بِهَذَا الْمُصَابِ
(٣)
كُلُّ يَوْمٍ يَهْدُ رُكْنٌ مِنَ الشَّأْنِ * مِمَّا لَقَدْ آذَنْتَ إِذَا بِالْخَرَابِ
(٤)
فَهِيَ (بِالْيَازِجِيِّ) وَ(بُجْرِيِّ) وَ(شَبِيلِي) * فُجِعَتْ بِالثَّلَاثَةِ الْأَقْطَابِ
(٥)
فَعَلَى الرَّاحِلِ الْكَرِيمِ سَلَامٌ * كَلَّمَ غَيْبَ الثَّرَى لَيْثٌ غَابَ

رثاء جورجي زيدان^(٥)

سنة ١٩١٤

دُعَانِي رِفَاقِي وَالْقَوَافِي مَرِيضَةٌ * وَقَدْ عَقَدْتُ هُوجُ الْخُطُوبِ لِسَانِي
(٦)
بِفُتُ وَبِي مَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ أَمْسِي * وَمِنْ كَيْدٍ قَدْ شَقَّيْنِي وَبَرَانِي

(١) الندى : مجتمع القوم . (٢) ناه بالحلل : نهض به مع جهد ومشقة وتناقل .
(٣) آذنت : أعلنت . (٤) يريد الشيخ إبراهيم اليازجي الشاعر اللبناني المعروف . (انظر
التعريف به في الحاشية رقم ٦ من صفحة ١٨٤ من هذا الجزء) . وجرجي ، هو جورجي زيدان (وسياتي
التعريف به في الحاشية الآتية بعدها) . (٥) ولد جورجي زيدان في بيروت عاصمة لبنان
في سنة ١٨٦١ م ، وتلقى بعض العلوم في مدارسها الابتدائية ، ثم ترك التعليم وهو لم يبلغ الثانية عشرة من
عمره ، فبدأ ميله إلى العلم والأدب بجملة لا يدع فرصة يستفيد منها إلا انتهزها ، إما بمطالعة ما تصل إليه يده
من الكتب ، وإما بتقربه من رجال العلم حتى صار من أعلام التاريخ والأدب المشهورين ؛ وهو منشئ مجلة
الهلل المعروفة . وكانت وفاته في أغسطس سنة ١٩١٤ م ، وتأليفه كثيرة ، منها : كتاب (تاريخ مصر الحديث) ،
(تاريخ القديس الإسلاسي) ، و(تاريخ الماسونية) ، وغيرها من الكتب . (٦) مرض القوافي :
تخاية عن قلة مواعاتها إياه وعصيانها عند إرادته لها . وشبه الخطوب والمصائب في ثوراتها ونقلها واشتداد
وقتها بالرياح الموحج ، وهي التي لا تستوي في هبوبها وتقلع الخيام ؛ الواحدة هوجاء .

مَلَيْتُ وَقُوفِي بِدَنَسِكُمْ مُتَلَهِّفًا * عَلَى رَاحِلٍ فَارَقْتُهُ فَشَجَانِي (١)
 أَفِي كُلِّ يَوْمٍ يَبْضَعُ الْحُزْنَ بَضْعَةً؟ * مِنَ الْقَلْبِ لِي قَدْ فَقَدْتُ جَنَانِي (٢)
 كَفَّانِي مَا لَقِيتُ مِنْ لَوْعَةِ الْأَسَى * وَمَا نَأْنِي يَوْمَ (الإمام) كَفَّانِي
 تَفَرَّقَ أَحِبَائِي وَأَهْلِي وَأَنْتَرْتُ * يَدُ اللَّهِ يَوْمِي فَاَنْتَظَرْتُ أَوَانِي (٣)
 وَمَالِي صَدِيقٌ إِنْ عَثَرْتُ أَفَالَنِي * وَمَالِي قَرِيبٌ إِنْ قَضَيْتُ بَكَائِي
 أَرَانِي قَدْ قَصُرْتُ فِي حَقِّ صُحْبَتِي * وَتَقْصِيرُ أُنْسَالِي جِنَايَةُ جَانِي (٤)
 فَلَا تَعْذِرُونِي يَوْمَ (فَتَحِي) فَإِنِّي * لَأَمْلُ مَا لَا يَهْمِلُ النَّقْلَانِ (٥)
 فَقَدْ غَابَ عَنَّا يَوْمَ غَابَ وَلَمْ يَكُنْ * لَهُ يَنْبَ هَالَاتِ النَّوَابِغِ ثَانِي (٦)
 وَفِي ذِمَّتِي (الْيَازِجِي) وَدَيْعَةً * وَأُخْرَى (لَزِيدَانِ) وَقَدْ سَبَقَانِي

- (١) يبيض : يقطع . والبضعة (بالفتح) : القطعة . والجنان : القلب .
 (٢) يريد «الإمام» : الشيخ محمد عبده . (٣) أقلت فلانا عشرته : صفحت عنها ودفعت عنه ما يتوقع من شرها . وقضيت : مت . (٤) النقلان : الإنسان والجن . ويريد «فتحي» : أحمد فتحي زغلول باشا العالم القانوني المعروف ، ولد في سنة ١٨٦٣ م ببايئة من أعمال مركز فوة ، وآخر منصب تولاه وكانه لنظارة الحفانية . وتوفي في سنة ١٩١٣ م ، وله كثير من الكتب النافعة المترجمة من اللغات الأجنبية ، وشرح للقانون المدني . وقد مات فتحي ولم يرثه الشاعر ، وهو لهذا يعترف بتقصيره ، ويطلب الى الناس ألا يعذروه في ذلك .
 (٥) الهالة : دائرة القمر التي تحيط به . (٦) يريد «باليازجي» : الشيخ إبراهيم اليازجي الشاعر اللبناني المعروف ، وهو ابن ناصيف بن عبد الله بن ناصيف ، ولد ببيروت سنة ١٨٤٧ م وكان شاعرا ناثرا متصرفا في أنواع أخرى من العلوم . وتوفي سنة ١٩٠٨ م . وهو منثني بحجة البيان وبحجة الضياء ؛ الأولى في سنة ١٨٩٧ م والثانية في سنة ١٨٩٨ م . وآل اليازجي معروفون بكثرة من تخرج منهم من العلماء والأدباء والشعراء .

فِيالَيْتَ شِعْرِي مَا يَقُولَانِ فِي الثَّرَى * إِذَا التَّقْيَا يَوْمًا وَقَدْ ذَكَرَانِي
 وَقَدْ رَمَى بِالطَّرْفِ بَيْنَ جُجُوعِكُمْ * وَلَمْ يَشْهَدْ فِي الْمَشْهَدَيْنِ مَكَانِي
 أَيَجْمَلُ بِي هَذَا الْعُقُوقُ وَإِنَّمَا * عَلَى غَيْرِ هَذَا الْعَهْدِ قَدْ عَرَفَانِي
 دَعَانِي وَفَأَنِّي يَوْمَ ذَاكَ فَلَمْ أَكُنْ * ضَمِينًا وَلَكِنْ الْقَرِيبُ عَصَانِي
 وَقَدْ تُخْرِسُ الْأَحْزَانُ كُلَّ مُفَوِّهِ * يُصَرِّفُ فِي الْإِنْشَادِ كُلَّ عَنَانِ^(١)
 أَأَسَاهُمَا وَالْعِلْمُ فَوْقَ تَرَاهُمَا * تَتَكَسَّسُ مِنْ أَعْلَامِهِ عِلْمَانِ^(٢)
 وَكَمْ فُزْتُ مِنْ رَبِّ (الْهَلَالِ) بِحِكْمَةٍ * وَكَمْ زِنْتُ مِنْ رَبِّ (الضِّيَاءِ) بِبَيَانِ^(٣)
 (أَزِيدَانُ) لَا تَبْعُدْ وَتِلْكَ عِلَالَةٌ * يُنَادِي بِهَا النَّاعُونَ كُلُّ حُسَانِ
 لَكَ الْأَثَرُ الْبَاقِي وَإِنْ كُنْتَ نَائِيًا * فَانْتَ عَلَى رَغَمِ الْمَنِيَّةِ دَانِي^(٤)
 وَيَا قَبْرَ (زَيْدَانِ) طَوَيْتَ مُؤَرَّخًا * تَجَلَّى لَهُ مَا أَضْمَرَ الْفَتَيَانِ^(٥)
 وَعَقْلًا وَلَوْ مَا بِالْكُنُوزِ فَإِنَّهُ * عَلَى الدَّرِّغَوَاصِ يَبْحِرُ (عُمَانِ)^(٦)
 وَعَزَمًا شَامِيًا لَهُ أَيْتِمَا مَضَى * شَبَابًا هِنْدُوَانِيَّ وَحَدَّ بِمَانِي

(١) المفوّه : المنطق . والعنان : سير الجلام . ويريد بقوله « يصرف في الإنشاد... الخ » :
 أنه يذهب فيه كل مذهب . (٢) رب الهلال : جورجي زيدان ، ورب الضياء : الشيخ إبراهيم
 اليازجي . والهلال والضياء : صحيفتان معروفتان .
 (٣) العلالة : ما يتعل به الإنسان ، أى يتلهى به عن مراده إذا لم يظفر به . والحسان من الرجال
 (بضم الحاء وتحتيف السين) : الحسن منهم . (٤) تجلّى : تكشف . والفتيان : الليل والنهار .
 (٥) عمان : كورة من بلاد العرب معروفة بمغاص اللؤلؤ . (٦) شبا هندوانى ، أى سن رخ
 منسوب الى الهند . وحدّ يمانى ، أى حدّ سيف مصنوع باليمن .

- (١) وَكُنَّا إِذَا جَاءَتْ عَلَى الطَّرِيسِ جَوْلَةً * تَمَائِلَ لِمُعْجَابَاتِهَا أَلْبَدَانِ
(٢) أَشَادَتْ بِذِكْرِ الرَّاشِدِينَ كَأَنَّمَا * قَتَى (الْقُدْسِ) مِمَّا يُنْبِئُ الْحَرَمَانَ
(٣) سَأَلْتُ حُمَاةَ النَّسْرِ صَدَّ خِلَالِهِ * لِمَالِي بِمَا أَعْيَا الْقَرِيضَ يَسْدَانِ

رثاء إبراهيم حسن باشا ومحمد شكرى باشا^(٤)

- أنشدها في الحفل الذي أقيم لتأبينهما في مدرسة القصر العيني في ٢٣ فبراير سنة ١٩١٧ م
(٥) لَا مَرَحَبًا بِكَ أَيُّهَا الْعَامُّ * لَمْ يُنْرَعْ عِنْدَكَ لِلْأَسَاءَةِ دِيْمَامُ
فِي مُسْتَهْلَكِ رُغْتِنَا بِمَاتِهِم * لِلنَّافِعِينَ مِنَ الرِّجَالِ تُقَامُ
صَلَاتَانِ مِنْ أَعْلَامٍ (مِصْرَ) طَوَاهُمَا * فِيكَ الرَّدَى فَبِكُتْمَاهُمَا (الْأَهْرَامُ)
فَقِيَّتَ (شُكْرَى) وَهُوَ نَائِبُهُ قَصِيرُهُ * وَأَصْبَحْتَ (إِبْرَاهِيمَ) وَهُوَ إِمَامُ

(١) البلدان : مصر والشام . (٢) أشاد يذكره : رفعه بالثناء عليه . ويريد «بالراشدين» : خلفاء الإسلام ، و«قَتَى القُدْس» : الفَقْد . والحَرَمَان : مكة والمدينة . يقول : إن الفَقْدَ أَخْبَى عَلَى الخلفاء الراشدين ورفع ذكرهم في كتبه ، فكأنه من أهل الجواز مع أنه فلسطيني . (٣) تقول : مَالِي يَدِيهِدَا الْأَمْرَ ، إِذَا هَجَزْتَ عَنْهُ . وَأَعْيَا الْقَرِيضَ ، أَيْ أَهْجَزَ الشَّعْرَ .

(٤) الدكتور إبراهيم حسن باشا ، هو ابن حسن رفعت مدير إحدى مديريات مصر . ولد بالقاهرة في ٢٥ فبراير سنة ١٨٤٤ م ، وبعد أن أخذ حظه من تعلم الطب في مصر وأوربا تولى بعض مناصب طبية كان آخرها رئاسة مدرسة الطب سنة ١٨٩٨ م ، وبعد إحالته إلى المعاش كان يقضى الصيف في أوربا والشتاء في مصر ، وقد حالت الحرب العظمى وهو في أوربا دون عودته إلى وطنه ، فمضى السنين الأخيرة بعيداً عنه إلى أن توفى في ٤ يناير سنة ١٩١٧ م . وأما الدكتور محمد شكرى باشا فقد كان طبيباً خاصاً بأمراض النساء ، وله في هذا الفرع من الطب شهرة واسعة ، وتولى تدريسه في مدرسة الطب . وكانت ولادته في نحو سنة ١٨٥٢ م ، ووفاته في مستهل سنة ١٩١٧ م . (٥) الأساءة : الأخطاء ، الواحد آس (كقاض) .

خَدَمَا رُبُوعَ النَّيْلِ فِي عَهْدَيْهِمَا * وَالطَّبُّ نَبْتُ لَمْ يَحْدِهْ غَمَامٌ ^(١)
 وَالنَّاسُ بِالْفَرْبِيِّ فِي تَطْيِيهِهِ * وَلِعُوا عَلَى بُعْدِ الْمَزَارِ وَهَامُوا
 حَتَّى أَنْبَرَى (شُكْرَى) فَأَثَبَتْ سَبْقَهُ * أَتَى ابْنَ (مَضْرُ) مُجَرَّبٌ مِقْدَامُ
 وَأَقَامَ (إِبْرَاهِيمُ) أَبْلَغَ حُجَّةٍ * أَتَى الْعَرِينَ يَحُلُّهُ ضِرْغَامُ ^(٢)
 وَتَرَسَّمَ الْمُتَعَلِّمُونَ خُطَاهُمَا * فَأَنْشَقَّ مِنْ عَلَيْهِمَا أَعْلَامُ ^(٣)
 قَدْ أَقْسَمُوا لِلطَّبِّ أَنْ يَسْمُوا بِهِ * فَوْقَ السَّمَاءِ فَهَرَّتِ الْأَقْسَامُ ^(٤)
 وَغَدَتْ رُبُوعُ الطَّبِّ تَحْكِي جَنَّةً * فِيهَا (بُقْرَاطُ) الْحَكِيمِ مَقَامُ
 وَرَأَى عَلِيلُ النَّيْلِ أَنَّ أَسَاتَهُ * بَدُّوا الْأُسَاةَ فَلَمْ يَرَعُهُ سَقَامُ ^(٥)
 يَا (مَضْرُ) حَسْبُكَ مَا بَلَّغْتَ مِنَ الْمُنَى * صَدَقَ الرَّجَاءُ وَصَحَّتِ الْأَحْلَامُ
 وَمَشَى بَنُوكَ كَمَا اشْتَهَيْتَ إِلَى الْعَلَا * وَعَلَى الْوَلَاءِ - كَمَا عَانَيْتَ - أَقَامُوا
 وَمَدَدَتْ صَوْتُكَ بَعْدَ طُولِ خُفُوتِهِ * فِدَعَا بِعَافِيَةٍ لَكَ الْإِسْلَامُ
 وَرَفَعَتْ رَأْسِكَ عِنْدَ مُفْتَخِرِ النَّهْيِ * بَيْنَ الْمَمَالِكِ حَيْثُ تُحْنَى الْهَامُ ^(٦)
 كَمْ فِيكَ جَرَّاحٌ كَأَنَّ يَمِينَهُ * عِنْدَ الْجِرَاحَةِ بَلَسَمٌ وَسَلَامُ ^(٧)

- (١) جاده النعام : أمطره . (٢) العرين : مأوى الأسد . والضرغام : الأسد .
 (٣) فأنشق من عليهما أعلام ، أى تخرج عليهما في الطب أمثاله في النبوغ . (٤) السماء : اسم
 لكونيين تقدم الكلام عليهما في حواشي هذا الديوان . (٥) بدوا الأساة : غلبهم وفاقوهم
 في الطب . (٦) الهام : الهمس . وإحنا الهام : كناية عن التصاغر والانتكاس والتسليم للخصم .
 (٧) يلاحظ أن الأرجح في قوله « جراح » النصب ، للفصل بينه وبين « كم » بالجار والمجرور ،
 ولكن الشاعر جرى على مذهب بعض النحويين في جزمه « كم » مع الفصل ، ومنه قول الشاعر :
 * كم يبيد مرقف نال الغنى *
 والبسم : دواء تفضد به الجراح .

(١) قد صَبَغَ مَبْضَعُهُ وَإِنْ أَجْرَى دَمًا * مِنْ رَحْمَةٍ بِفَرْيَحِهِ بَسَامٍ
 وَمَوْفِقِ جَمِّ الصَّوَابِ إِذَا أَلْتَوَى * دَاءُ الْعَلِيلِ وَحَارَتْ الْأَفْهَامُ
 (٢) يُلْقِي بِسَمْعٍ لَا يَنْحُونُ إِذَا هَفَّتْ * أَدْنُ وَخَانَ الْمِسْمَعِينَ صِمَامٍ
 (٣) وَإِذَا عُضَالُ الدَّاءِ أَهَمَّ أَمْرَهُ * عَرَفَتْ خَفِيَّ دَيْبِهِ الْإِبْهَامُ
 يَسْتَنْطِقُ الْآلَامَ وَهِيَ دَفِينَةٌ * نَحْسَاءُ حَتَّى تَنْطِقَ الْآلَامُ
 (٤) كَمْ سَلَّ مِنْ أَيْدِي الْمَنَايَا أَنْفُسًا * وَتَقَى عِنَانَ الْمَوْتِ وَهُوَ زَوَامُ
 (٥) وَمُطَبِّبٍ لِلْعَيْنِ يَحْمِلُ مِيلَهُ * نُورًا إِذَا غَشَى الْعُيُونُ قَتَامُ
 (٦) وَكَأَنَّ إِثْمِدَهُ ضِيَاءُ ذَرَّةٍ * (عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ) فَأَجْلَى الْإِظْلَامِ
 (٧) وَمُطَبِّبٍ لِلطِّفْلِ لَمْ تَنْبُتْ لَهُ * سِنَّةٌ وَلَمْ يَدْرُجْ إِلَيْهِ فِطَامُ
 يَشْكُو السَّقَامَ بِنَظَرِيهِ وَمَالِهِ * غَيْرُ التَّفَرُّزِ وَالْإِثْنِ كَلَامُ
 (٨) فَكَمْ اسْتَشَفَّ وَكَمْ أَصَابَ كَأَنَّمَا * فِي نَظَرَتَيْهِ الْوَحْيُ وَالْإِلْهَامُ
 وَمَوْلِدٍ عَرَفَ الْأَجِنَّةُ فَضْلَهُ * لِمَنْ أَعَسَّرَتْ بِوِلَادِهَا الْأَرْحَامُ
 كَمْ قَدْ أَنَارَ لَهَا بِحَالِكَةِ الْحَشَا * سُبُلًا تَضِلُّ سُلُوكُهَا الْأَوْهَامُ

- (١) المَبْضَعُ : المَشْرُط . (٢) الْمِسْمَعَانِ : الْأَذْنَان . (٣) لَمَّا ذَكَرَ الْإِبْهَامَ
 لِأَنَّ الطَّبِيبَ يَلْبَسُ بِيَدِهِ مَوْضِعَ الدَّاءِ مِنْ جِسْمِ الْمَرِيضِ ، فَكُنِيَ بِالْإِبْهَامِ عَنْ الْيَدِ . (٤) الْزَوَامُ :
 الْكَرْبَةُ الْمَجْهُوزَةُ عَلَى صَاحِبِهِ . (٥) الْمِيلُ : الْمُرُودُ الَّذِي تَكْمَلُ بِهِ الْعَيْنُ . وَالْقَتَامُ : الْغُلَامُ .
 (٦) الْإِثْمِدُ : الْكَمَلُ . وَيُشِيرُ « عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ » عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِلَى مَا أَجْرَاهُ اللَّهُ عَلَى يَدِهِ مِنْ
 إِعْرَافِ الْأَكْمَةِ . قَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْهُ : (وَأَبْرَأُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأَحْيَى الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ) .
 (٧) يَدْرُجُ : يَمْشِي . (٨) الضَّمِيرُ فِي (اسْتَشَفَّ) لِلطَّبِيبِ ، السَّابِقُ ذَكَرَهُ .

(١) لَوْلَا يَدَاهُ سَطَا عَلَى أَبْدَانِهَا * كَرَّبُ النَحَايِزِ وَشَقُّهَا الْإِبْلَامُ
فَبِهَوْلَاءِ الْغُرِّيَا (مُضَر) أَهْنَيْ * فَبِمِثْلِهِمْ تَتَفَاخَرُ الْآيَّامُ
وَعَلَى طَيِّبَيْكَ الَّذِينَ رَمَاهَا * رَامِيَ الْمُنُونِ نَجْمَةٌ وَسَلَامُ

رثاء المغفور له الشيخ سليم البشرى (٢)

أنشدها عند دَفْنِهِ

[نُشِرَتْ فِي ١٧ أَكْتُوبَرِ سَنَةِ ١٩١٧ م]

أَيَّدِرِي الْمُسْلِمُونَ بَنَ أَصْيُيُوا * وَقَدْ وَارَوْا (سَلِيْمًا) فِي التُّرَابِ
هَوَى رُكْنُ الْحَدِيثِ فَأَيُّ قُطْبٍ * لَطُلَّابِ الْحَقِيقَةِ وَالصَّوَابِ
(٣) (مُوطَاً مَالِكٍ) عَزَّ (البُخَارِي) * وَدَعَّ لِلَّهِ تَعَزُّيَةً (الْكِتَابِ)
فَا فِي النَّاطِقِينَ فَمَّ يُوقَى * عَزَاءَ الَّذِينَ فِي هَذَا الْمَصَابِ
(٤) قَضَى الشَّيْخُ الْمُحَدَّثُ وَهُوَ يَمْلِي * عَلَى تُلَّابِهِ فَضْلَ الْخُطَابِ
(٥)

- (١) شفها : هزلما . (٢) ولد الشيخ سليم البشرى في سنة ١٢٤٨ هـ في محلة بشر من أعمال مركز شبراخيت من مديرية البحيرة ، ولما بلغ التاسعة حضر إلى مصر ، وكان قد أتم حفظ القرآن ، وبعد أن أتم تعلمه في الأزهر تولى التدريس فيه ، ثم عين شيخاً لمسجد السيدة زينب ، وبعد ذلك ببيعة أعوام عين شيخاً وتقياً للسادة المالكية ، ثم اختير عضواً في مجلس إدارة الأزهر ، وتولى مشيخة الأزهر مرتين ، ومات رحمه الله في سنة ١٣٣٥ هـ بعد أن عمر ما يقرب من تسعين سنة .
- (٣) كان الفقيه مشهوراً ببحره في علوم الحديث ، وإلى هذا يشير الشاعر . (٤) موطأ مالك ، تاب لمالك بن أنس في الحديث مرتب على أبواب الفقه . ويريد «بالبخاري» : كتاب الجامع الصحيح الذي وضعه الإمام البخاري محمد بن إسماعيل . ويشير الشاعر إلى حرمان هذه العلوم الثلاثة : فقه مالك ، والحديث ، والتفسير التي كان يدرسها الفقيه مضطجاً بها .
- (٥) قضى : مات .

(١) وَلَمْ تَنْقُصْ لَهُ التَّسْعُونَ عَزْماً * وَلَا صَدَّقْتَهُ عَنْ دَرَكِ الطَّلَابِ
وَمَا غَالَتْ قَرِيحَتَهُ اللَّيَالِي * وَلَا خَانَتْهُ ذَاكِرَةُ الشَّيَابِ
أَشْيَخَ الْمُسْلِمِينَ نَأَيْتَ عَنَّا * عَظِيمَ الْأَجْرِ مَوْفُورَ الثَّوَابِ
لَقَدْ سَبَقَتْ لَكَ الْخُسْنَى فَطُوبَى * لِمَوْقِفِ شَيْخِنَا يَوْمَ الْحِسَابِ
(٢) إِذَا أَلْقَى السُّؤَالَ مَلَيْكَ مُلْقٍ * تَصَدَّى عَنْكَ بِرُّكَ بِالْجَوَابِ
(٣) وَنَادَى الْعَدْلُ وَالْإِحْسَانُ إِنَّا * تُزَكِّي مَا يَقُولُ وَلَا نُحَيِّي
قِفُوا يَا أَيُّهَا الْعُلَمَاءُ وَأَبْكُوا * وَرَوْوا لِحَدِّهِ قَبْلَ الْحِسَابِ
(٤) فَهَذَا يَوْمُنَا وَلَنَحْنُ أَوْلَى * بِبَذْلِ الدَّمْعِ مِنْ ذَاتِ الْخِضَابِ
مَلَيْكَ تَحِيَّةُ الْإِسْلَامِ وَقَفَّا * وَأَهْلِيهِ إِلَى يَوْمِ الْمَتَابِ

رثاء المغفور له السلطان حسين كامل^(٥)

[نشرت في أول نوفمبر سنة ١٩١٧ م]

(٦) ذُكِّ مَا يَبْنَ صُفْوَةً وَعَشِي * شَاخٍ مِنْ صُرُوجِ (آلِ عَلِيٍّ)
(٧) وَهَوَى عَنْ سَمَاوَةِ الْعَرْشِ مَلِكٌ * لَمْ تَمْتَعْ بِعَهْدِهِ الذَّهَبِيُّ

- (١) درك الطلاب : إدراك الطلب والحاجة . (٢) يريد « بالملق » : الملك الذي يتول حساب الميت على ما عمل . (٣) كان الفقيد معروفا بالإحسان إلى الفقراء ، وكان لهم من مرتبه قدر معلوم كل شهر . (٤) ذات الخضاب : المرأة . (٥) انظر الحاشية رقم ٧ من صفحة ٦٧ من الجزء الأول . (٦) ذك : هدم . وآل علي ، أى آل محمد على جد الأسرة المالكة . (٧) يريد « بهبوة العرش » : أعلاه . والملك (بكون اللام) ، لغة في الملك (بكسرهما) .

قَدْ تَسَاءَلْتُ يَوْمَ مَاتَ (حُسَيْنٌ) * أَفَقَدْنَا بِفَقْدِهِ كُلَّ شَيْءٍ؟
 أَمْ تَرَى يُسْعِدُ الْكِثَانَةَ بَارِدٌ * هَا وَيَقْضِي لَهَا بُلْطُفَ خَفَى؟
 لَمْ تَكُنْ تُنْذِرُكَ النُّفُوسُ مُرَادًا * فِي زَمَانِ الْمَتَوَجِّ الْعَلَوِي
 (١)
 لَمْ تَكُنْ تَبْلُغُ الْبِلَادَ مِنْهَا * تَحْتَ أَفْيَاءِ عَدْلِهِ الْكِسْرَوِي
 (٢)
 لَمْ يَكُنْ يَنْعَمُ الْفَقِيرُ بِعَيْشٍ * مِنْ نَدَاهُ وَفَيْضِهِ الْحَاتِي
 (٣)
 تَحَبَّبَ الْمَوْتُ مَطْلَعَ الْجُودِ يَا (مَنْصُورٌ) * بِجُودِي لَهُ بِدَمْعٍ يَنْجِي
 (٤)
 وَمَضَى وَاهِبُ الْأَلُوفِ فَوَلَّتْ * يَوْمَ وَلَّى بَشَاشَةُ الْأَرْبَعِي
 (٥)
 وَقَضَى كَافِلُ الْيَتَامَى فَوَيْلٌ * لِلْيَتَامَى مِنَ الزَّمَانِ الْعَتِي
 كَمْ تَمَنَّى لَوْعَاشَ حَتَّى يَرَانَا * أُمَّةٌ ذَاتَ مَنَعَةٍ وَرُقَى
 غَالَهُ الضَّعْفُ حِينَ شَمَّرَ لِلْإِصْدَ * مَلَا حِ فِي مُلْكِهِ بَعْزُومَ فَتِي
 حَبَسَ الْخَطْبُ فِيكَ أَلْسِنَةَ الْقَوَى * لِ وَأَعْيَا قَرِيحَةَ الْعَبْقَرِي
 (٦)
 وَإِذَا جَلَّتْ أَلْخُطُوبُ وَطَمَّتْ * أَنْجَزَتْ فِي الْقَرِيضِ طَوْقَ الرُّوِي
 (٧)
 إِنَّ شَرَّ الْمُصَاصِ مَا أَطْلَقَ الدَّمَ * سَعَ وَرَاعَ الْمُفَوِّهِينَ بِسِي

- (١) الأفياء: الفلال . وكسرى: نسبة الى كسرى من ملوك الفرس ، وكان يقال له : الملك العادل .
 (٢) الحاتمي : نسبة الى حاتم الطائي المعروف بالجلود . والفيض : المطاء .
 (٣) الأربعى : الواسع الخلق الذي يرتاح للعروف .
 (٤) العتي : الظالم المتجبر .
 (٥) الطوق : الطاقة والجهد . وكفى بالروى عن الشعر ، كما يكنى عنه بالقافية أيضا .
 (٦) المفوه : المتعلق . والعي : عدم القدرة على الكلام .

هَلَفَ نَفْسِي عَلَى أَنْبِسَاطِكَ لِلضِّيَاءِ * فِي وَدْيَالِكَ الْحَدِيثِ الشَّهِيءِ
 (١)
 يَحْسَبُ الدَّارَ دَارَهُ وَهُوَ يَمْشِي * فَوْقَ زَاهِي إِسْطَاكِ الْأَحْمَدِيِّ
 (٢)
 خُلِقَ مِثْلًا تَسْقَتْ أَرْيَحُ الْهَرَجِ * هَرَجٌ جَادَتْهُ زُورَةُ الْوَسْمِيِّ
 (٣)
 وَاهْتَرَأَزَ لِلْعُرْفِ مِثْلُ اهْتِرَازِ السَّيْفِ * فِي قَبْضَةِ الشُّجَاعِ الْكَمِيِّ
 وَجَاءَ عِنْدَ الْعَطِيَّةِ يَنْفِي * تَجَلَّ السَّائِلُ الْكَرِيمُ الْأَبْيَ
 (٤)
 وَاخْتِبَارُ يَتْنِي عِنَانَ الْعَوَادِي * وَوَقَارُ يَزِيرُنْ صَدْرَ النَّدِيِّ
 رَحِمَ اللَّهُ (يَا حُسَيْنُ) خِلَالًا * فَيْكَ لَمْ يَجْتَمِعْنَ فِي نَفْسٍ حَيَّ
 يَا كَرِيمًا حَلَّتْ سَاحَ كَرِيمٍ * وَضَعِيفًا حَلَّتْ سَاحَ الْقَسْوَى
 (٥)
 قَدْ كَفَاكَ الشَّهَادُ فِي الْعَيْشِ فَأَهْنَأُ * يَا أَلَيْفَ الضُّعْفَى بَنُورِ هَنِي
 وَيَجَّ (مَضْرِي) فَأَيُّ تَخْيِيطِ رَجَاءٍ * قَطَعَتْهُ رَنَاتُ صَوْتِ النَّعِيِّ

(١) البساط الأحمدي، يكنى به عن سهولة الجانب وسماحته وعدم الكلفة .

(٢) نشقت : شمت . وأريج الزهر : ريحه . والوسمي : مطر أول الربيع .

(٣) الاهترأز العرف : كناية عن الانبساط للبذل والارتياح للعطاء . والكمي : الشجاع .

(٤) يتنى عنان العوادي، أي يصرف حوادث الأيام ويردّها عن قصدّها . والندي : مجتمع القوم .

(٥) يشير بقوله « يا أليف الضنّي » : إلى ما كان يمانيه الفقيد في آخر أيامه من مرض وأرق .

رثاء باحثة البادية^(١)

[نشرت في سنة ١٩١٨ م]

(مَلَك) النَّهْيَ لَا تَبْعِدِي * فَاتَّخَلُّقِي فِي الدُّنْيَا سِيرَ

لَائِي أَرَى لَكَ سِيرَةً * كَالرَّوْضِ أَرْجُهُ الزَّهْرَ^(٢)

رَبِّي أَبُوكِ النَّاشِئِ * مَنْ فَعَّاشَ تَحْمُودَ الْأَثَرِ

وَسَلَكْتَ أَنْتِ سَبِيلَهُ * فِي النَّاشِئَاتِ مِنَ الصَّغَرِ^(٣)

رَبِّتِيْنِ عَلَى الْفَضْلِ * لِمَةِ وَالطَّهَارَةِ وَالْخَفَرِ

وَعَلَى اتِّبَاعِ شَرِيعَةٍ * نَزَلَتْ بِهَا آيُ السُّوَرِ

فَلْيَتَّبِعْكُمْ فَضْلٌ عَلَى الدَّ * مَا حَيَاءُ أَنْتِي أَوْ ذَكَرِ

لِلَّهِ دَرَكٌ إِنْ نَزَرَ * تِ وَدَّرُ (حُفْنِي) إِنْ نَزَرَ

قَدْ كُنْتَ زَوْجًا طَبَّةً * فِي الْبَدْوِ عَاشَتْ وَالْحَضَرِ^(٤)

(١) باحثة البادية ، هي السيدة ملك نامف بنت المرحوم حفني نامف بك ، ولدت بالقاهرة سنة ١٨٨٦ م وتلفت مبادئ العلوم في مدارس أولية مختلفة ، ثم دخلت المدرسة السنية فتالت الشهادة الابتدائية في سنة ١٩٠٠ م ، ثم تالت إجازة التدريس من قسم المعلمات ، ومارست التعليم في مدارس البنات الأميرية ، وتوفيت في سنة ١٩١٨ م . وكانت من فضليات الكتابات والباحثات ، بملت جهدا كبيرا في العناية الى نهضة المرأة المصرية بعد المرحوم فاسم أمين بك ، وكانت تفضل السفر على الحجاب ، ولها مقالات كثيرة طبعت كلها في كتاب سمته (النشائيات) وسلسلة محاضرات ألقتها في إدارة الجريدة التي كان يصدرها حزب الأمة ، وإلى هذه المقالات وتلك المحاضرات يشير حافظ في هذه القصيدة .

(٢) أَرْجُهُ : طيبه . (٣) الْخَفَرُ : شدة الحياء . (٤) يشير بقوله : « في البدو الخ » : الى أنها كانت زوجا لعبد الستار الباسل بك أحد مشايخ عرب الفيوم . والطبّة : الماهرة الحاذقة بعملها .

(١)
 سَادَتْ عَلَى أَهْلِ الْقُصُوفِ * رِيسُودَتْ أَهْلَ الْوَبْرِ
 غَرِيبَةً فِي عَالِمِهَا * مَرْمُوقَةٌ بَيْنَ الْأَسْرِ
 شَرِيقَةً فِي طَبْعِهَا * مَحْدُورَةٌ بَيْنَ الْجَمْرِ
 (٢)
 بَيْنَنَا تَرَاهَا فِي الطُّرُوفِ * سِي تَحْطُ آيَاتِ الْعِبَرِ
 وَتُزِيكُ حِكْمَةً نَائِيَةً * عَرَكَ الْحَوَادِثَ وَأَخْتَبِرَ
 (٣)
 فَإِذَا بِهَا فِي مَطْبَخِ * تَطْهَرُ الطَّعَامَ عَلَى قَدَرِ
 وَإِذَا بِهَا قَعَدَتْ تَحِيَّةِ * مَطْ وَتَرْتَضِي وَخَزَرَ الْإِبْرَ
 نَفَرَتْ بِوَالِدِهَا وَوَا * لِدْهَا بِحِلْيَتِهَا أَفْتَحَرِ
 بِالْعِلْمِ حَلَّتْ صَدْرَهَا * لَا بِاللَّاتِي وَالْدَّرِ
 (٤)
 فَأَنْظُرْ شَمَائِلَ فِكْرِهَا * بِاللَّهِ يَوْمَ (الْمُؤْتَمَرِ)
 وَاقْرَأْ (مُحَاضَرَةَ الْجَرِيدِ * مَدَّةِ) وَالْمَقَالَاتِ الْغُرَرِ
 وَأَرْجِعْ إِلَى مَا أَوْدَعَتْ * عِنْدَ الْمَجَلَّاتِ الْعُكْبَرِ

(١) أهل الور: هم أهل البادية ، لأن بيوتهم من الور .

(٢) الطروس : الصحائف التي يكتب فيها . (٣) حل قدر ، أى بحساب .

(٤) يريد المؤتمر الإسلامي الذي انعقد في سنة ١٩١١ م وتوالت جلساته تسعة أيام ، وكان لهذا المؤتمر غرضان : أولهما ، النظر في حال المسلمين الاقتصادية والاجتماعية والأدبية ؛ والثاني ، الرد على مطالب الأقباط التي طلبوها في مؤتمريهم المنعقد بأسسوط قبل ذلك في ٦ مارس من السنة المذكورة . وكان رئيس المؤتمر الإسلامي المرحوم رياض باشا ، وقد ألفت الفقيده محاضرة في هذا المؤتمر تتعلق بشؤون المرأة .

تَمْلَمُ بَأَنَّا قَدْ فَقَدَ * نَا خَيْرَ رَبَّاتِ الْفِكْرِ
 ذَنْبُ الْمَيْتَةِ فِي أَغْيَا * لِ شَبَابِهَا لَا يُتَقَرَّ
 يَا لَيْتَهَا عَاشَتْ (لِصْ * رَ) وَلَمْ تُفَيِّئِهَا الْخَفَرُ
 كَانَتْ مِثْلًا صَالِحًا * يُزْجَى وَكَثْرًا يُدْخَرُ
 إِنِّي رَأَيْتُ الْجَاهِلَا * تِ السَّافِرَاتِ عَلَى خَطَرِ
 وَرَأَيْتُ فِيهِنَّ الصَّبَا * نَةً وَالْعَقَافَ عَلَى سَفَرِ
 لَا وَازِعٌ - وَقَدْ أَنْطَوْتُ * (مَلَكٌ) يَقِيرُ^(١) الضَّرَّ
 لَا كَانَ يَوْمُكَ يَوْمَ لَا * حَ الْحُزْنَ تُخْتَلَفُ الصُّورُ
 عَلِمْتُ هَانِفَةَ الْقُصُورِ * رِ نُوحٍ هَانِفَةِ الشُّجُورِ^(٢)
 وَتَرَكْتُ أَتْرَابَ الصَّبَا * حُزْنًا يَقْطَعُ^(٣) الشُّعْرَ
 يَبْكِينَ عَهْدَكَ فِي الصَّبَا * جِ وَفِي الْمَسَاءِ وَفِي السَّحَرِ
 وَتَرَكْتُ شَيْخَكَ لَا يَبَى * هَلْ غَابَ زَيْدٌ أَوْ حَضَرَ^(٤)
 ثَمَلًا تَرْجُوهُ الْمُحْمُو * مُ إِذَا تَحَامَلْ أَوْ خَطَرَ^(٥)
 كَالْفَرَجِ هَزْنُهُ الْعَوَا * صِفُ فَالْتَوَى ثُمَّ أَنْكَسَرَ

- (١) الوازع : الزاجر . (٢) يريد «هاتفه القصور» : الباكية من النساء ، و «هاتفه الشجر» :
 النائحة من الطير . (٣) أتراب الإنسان : لداته ، الواحد ترب (بكسر التاء وسكون الراء) .
 (٤) يريد «بالشيخ» : أباه . ويشير بقوله «هل غاب زيد» ... إلخ الى ما كان أبوها مشغرا به
 من علم النحو واللغة وما ألهمها من علوم العربية ، وذلك لأن مدار الأمثلة في النحو على «زيد» .
 (٥) ترجمه : تميله هنا وهنا .

(١)
 أَوْ كَالْبِنَاءِ يُرِيدُ أَنْ * يَنْقُصَ مِنْ وَقْعِ الْخَوَرِ
 قَدْ زَعَزَعَتْهُ يَدُ الْقَضَا * وَزَلَزَلَتْهُ يَدُ الْقَدَرِ
 أَنَا لَمْ أَذُقْ فَقْدَ الْبَنِي * وَلَا الْبَنَاتِ عَلَى الْكِبَرِ
 لَكِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ * سِتُّ فَوَادِهِ وَقَدْ أَنْفَطَرَ^(٢)
 وَرَأَيْتُهُ قَدْ كَادَ يُخْ * سِرْقُ زَائِرِيهِ إِذَا زَفَرَ
 وَشَهِدْتُهُ أَنِّي خَطَا * خَطْوًا تَجَبَّلَ أَوْ عَثَرَ
 أَذْرَكْتُ مَعْنَى الْحُزْنِ جُزْ * نِ الْوَالِدَيْنِ ، لَمَّا أَمَرَ^(٣)
 وَشَهِدْتُ زَوْجِكَ مُطْرِقًا * مُسْتَوْحِشًا بَيْنَ السَّمَرِ^(٤)
 كَالْمُدْلِجِ الْحَيْرَانِ فِي الْ * بَيْدَاءِ أَخْطَاهُ الْقَمَرِ^(٤)
 فَعَلِمْتُ أَنَّكَ كُنْتَ عَقْدَ * مَدَّ هَنَائِهِ وَقَدْ أَتَنَرُ
 صَبْرًا أَبَا (مَلِكٍ) فَإِنَّ الْبَاقِيَاتِ لِمَنْ صَبَرَ *
 وَبَقْدِرِ صَبْرِ الْمُبْتَلَى * طُولُ الْمُصِيبَةِ وَالْقِصَرِ
 كُنْ أَنْتَ أَنْتَ إِذَا نُسَا * كُنْتَ أَنْتَ إِذَا نُسِرَ
 يَا بَرَّةً بِالْوَالِدَيْ * بِنِ أَبُوكَ بَعْدَكَ لَا يَقْصَرُ
 فَسَلِي إِلَهَكَ سُؤْلَوَ * لِأَيِّكَ فَهَوَّ بِهِ أَبَرُ
 وَلِيَهْنِكَ الْخِذْرُ الْجَدِيدِ * مَدُّ فَذَلِكَ دَارُ الْمُسْتَقَرِّ

(١) من وقع الخور، أى من وقوع الضعف به . (٢) انفطر : انشق .
 (٣) السمر : مجلس السهاد بالليل . (٤) المدلج : السارى بالليل .

رثاء محمد فريد بك^(١)

[في سنة ١٩١٩ م]

(٢)
مَنْ لَيَوْمٍ نَحْنُ فِيهِ مِنْ لَعْدٍ * مَاتَ ذُو الْعَزْمَةِ وَالرَّأْيِ الْأَسَدُ
(٣)
حَلَّ (بِالْجُمُعَةِ) حُزْنٌ وَأَمْسَى * وَمَشَى الْوَجْدُ إِلَى يَوْمِ (الْأَحَدِ)
وَبَدَأَ شِعْرِي عَلَى قِرطاسِهِ * لَوْعَةً سَالَتْ عَلَى دَمْعِ جَمَدٍ
أَيُّهَا النَّيْلُ لَقَدْ جَلَّ الْأَمْسَى * كُنْ مِدَادًا لِي إِنْ أَدْنَعُ نَفْدٍ
(٤)
وَأَذِلِّي يَا زَهْرَةَ الرُّوضِ وَلَا * تَبْسِمِي لِلطَّلِّ فَالْعَيْشُ نَكْدُ
(٥)
وَالزَّمِ النُّوحَ أَيَا طَيْرُ وَلَا * تَبْتَهِجْ بِالشَّنُوِّ فَالشَّدُو حَدَدُ

(١) المرحوم محمد فريد بك ، هو ابن فريد باشا ناظر الدائرة السنية . ولد في مدينة القاهرة في رمضان سنة ١٢٨٤ هـ ، يناير سنة ١٨٦٧ م . وبنته من أكبر بيوت مصر وأمجدها ، وقال شهادة الحقوق في مايو سنة ١٨٨٧ ثم اشتغل بالدائرة السنية ، ثم انتقل إلى النيابة العمومية ، ثم إلى نيابة الاستئناف . وقد أُنم عليه بالرتبة الثانية في أغسطس سنة ١٨٩١ م وكان من أقوى دعاة النهضة الوطنية ، والآخذين بيد الوطنيين من الكتاب وأصحاب الصحف ، واستقال من منصبه وقيد اسمه في جدول المحامين أمام المحاكم الأهلية في أول يونيو سنة ١٨٩٧ م ، وظل مشغولا بالمحاماة سبع سنين ثم ترك كل عمل ليفرغ لخدمة الأمة من الناحية السياسية ، فكان خير عون للرحوم مصطفى كامل باشا وقد حصبه في كثير من رحلاته إلى أوروبا ، واختاره مصطفى كامل لرئاسة الحزب الوطني في فبراير سنة ١٩٠٨ م وتوفي في برلين حاصلة ألمانيا في ١١ نوفمبر سنة ١٩١٩ م وأحضرت جسده إلى مصر ، ودفنت قرب مسجد السيدة قيسية .

(٢) يرید « باليوم والغد » : الحاضر والمستقبل . والأسد : الأصوب .

(٣) الأمسى : الحزن . وكنى « بيوم الجمعة والأحد » عن مسلمي مصر وقبطها .

(٤) الطل : الندى ، أو أخف المطر وأضعفه .

(٥) شدو الطير : ترنمه وتقريره . والحدد : الحرام الذي لا يحل أن يرتكب .

فَلَقَدْ وَلَّى (فَرِيدٌ) وَأَنْطَلَوَى * رُكْنُ (مَصِيرٍ) وَقَتَاهَا وَالسَّنَدُ
 خَالِدَ الْأَنْارِ لَا تَحْشُ الْإِلَى * لَيْسَ يَبْلَى مَنْ لَهُ ذِكْرُ خَلَدِ
 زُرْتُ (بَرْلِينَ) فَنَادَى سَمْتَهَا : * تَزَلَّتْ تَمْسُ الضُّحَى بِرَجِّ الْأَسَدِ^(١)
 وَأَخْفَتَتْ تَمْسُكَ فِيهَا وَكَذَا * تَحْتَفِي فِي الْغَرْبِ أَمَارُ الْأَبَدِ
 يَا غَرِيبَ الدَّارِ وَالْقَبْرِ يَا * سُلُوءَ (النَّيْلِ) إِذَا مَا الْخَطْبُ جَدَّ^(٢)
 وَحُسَامًا فَلَّ حَدِيثَهُ الرَّدَى * وَشِهَابًا ضَاءَ وَهْنًا وَتَمَدَّ^(٣)
 قُلْ لَصَبِّ (النَّيْلِ) إِنْ لَا قَيْتَهُ * فِي جَوَارِ الدَّائِمِ الْفَرْدِ الصَّمَدِ^(٤)
 إِنْ (مَعْرَا) لَا تَنْجِي عَنْ قَصِيدِهَا * رَغَمَ مَا تَلَقَّى وَإِنْ طَالَ الْأَمَدُ
 جَعْتُ عَنْهَا أَحْمِلُ الْبُشْرَى إِلَى * أَوَّلِ الْبَايِنِ فِي هَذَا الْهَلَدِ
 فَاسْتَرِخْ وَأَهْنَأْ وَنَمْ فِي غِبْطَةٍ * قَدْ بَدَّرْتَ الْحَبَّ وَالشَّعْبُ حَصِيدِ^(٥)
 آثَرَ (النَّيْلِ) عَلَى أَمْوَالِهِ * وَقُوَاهُ وَهَوَاهُ وَالْوَلَدِ^(٦)
 يَطْلُبُ الْخَيْرَ (الْمَصِيرَ) وَهُوَ فِي * شِقْوَةٍ أَهْلَى مِنَ الْعَيْشِ الرَّفْدِ^(٧)

(١) يحتمل هذا البيت معنيين : أحدهما أنه يريد وصف الفقيد بالقوة وجلال الشأن ، فشيبه حين نزل بربلن مدينة القسوة بالشمس حين تنزل برج الأسد ، والثاني ما يقوله قدماء المنجمين من أن نزول الشمس في برج الأسد دليل على وقوع الموت ، ويكون هذا البيت بالمعنى الثاني ترشيحا للبيت الذي بعده .
 (٢) فل حديثه : ثلها . والوهن : نحو من نصف الليل . (٣) صب النيل : عاشقه .
 ويريد به (المرحوم مصطفى كامل باشا) . (٤) آثر النيل : فضله . يشير بهذا البيت الى هجرة الفقيه الى أوروبا في سبيل بلاده وتركه ماله وأهله وولده . (٥) العيش الرغد : الطيب الواسع . ويشير بهذا البيت الى ما تجرعه الفقيد في غربته من بؤس وشقاء ، وإيثاره هذا البؤس على العودة الى وطنه المحتل .

- (١) ضَارِبٌ فِي الْأَرْضِ يَتَنَبَّأُ مَآرَبًا * كَلَّمَ قَارِبَهُ ، عَنْهُ ابْتَعَدُ
- (٢) لَمْ يَعْبه أَنْ تَجَنَّى دَهْرُهُ * رَبِّ جَدِّ حَادٍ عَنْ تَجْرَاهُ جَدِّ
- (٣) يَسْتَجِمُّ الْعَزَمَ حَتَّى إِنْ بَدَتْ * فُرْصَةٌ شَدَّ إِلَيْهَا وَصَمَدُ
- (٤) فَهَوَ لَا يَتَنَبَّأُ عِنَانًا عَنْ مُنَى * وَهُوَ هَجِيرَاهُ (مَنْ جَدَّ وَجَدَ)
- (٥) فَأَيَادِيهِ إِذَا مَا أَنْصَكِرَتْ * إِنَّمَا تُنَكِّرُهَا عَيْنُ الْحَسَدِ
- فَقَدَّتْ (مَصْرُ فَرِيدًا) وَهِيَ فِي * مَوْطِنٍ يُعَوِّزُهَا فِيهِ الْمَدَدُ
- (٦) فَقَدَّتْ (مَصْرُ فَرِيدًا) وَهِيَ فِي * لَهْوَةِ الْمِيدَانِ وَالْمَوْتُ رَصَدُ
- (٧) فَقَدَّتْ مِنْهُ خَيْرًا حَوْلًا * وَهِيَ وَالْأَيَّامُ فِي أَخْذٍ وَرَدِّ
- لَمْ يَكْذِبْ يَمْتَعُهَا الدَّهْرُ بِهِ * فِي رُبُوعِ (النَّيْلِ) حَيًّا لَمْ يَكْذِبْ
- (٨) لَيْتَهُ عَاشَ قَلِيلًا فَتَرَى * شُعْبَ (مَصْرٍ) عَيْنُهُ كَيْفَ اتَّحَدَ
- وَيْحَ (مَصْرٍ) بَلْ فَوَيْحًا لِلثَّرَى * إِنَّهُ أَبْلَغُ حُزْنًا وَأَشَدَّ
- (٩) كَمْ تَمَنَّى وَتَمَنَّى أَهْلُهُ * لَوْ يُوَارَى فِيهِ ذِيَاكَ الْحَسَدُ

(١) ضرب في الأرض : ذهب فيها ساعيا .

- (٢) الجسد (بالكسر) : الاجتهاد . (وبالفتح) : الحظ . ومجراه ، أى طريقه . يقول : رب اجتهاد أخطأه الحظ فلم يفد صاحبه ولم يثر .
- (٣) يستجم العزم ، أى يريحه ؛ يقال : إني لأستجم قلبي بشئ ، من اللهو حتى أقوى على الحق ، أى إني لأجعل قلبي ينفك بشئ ، من اللهو ليستجمع قوته .
- وصمد : قصد . (٤) هجيره ، أى دأبه وشأنه وعادته . (٥) الأيادي : النعم .
- (٦) شبه مصر في ميدان الجهاد بلهوة الرحي ، وهى بفتح اللام وضمتها ، ما يلقي في فيها الطلح .
- (٧) الحَوْلُ : الحاذق البصير بخبائر الأمور . (٨) يشير بهذا البيت الى اتحاد مسلمي مصر وقبطلها في سنة ١٩١٩ م ، تحت رئاسة المرحوم سعد زغلول باشا . (٩) يوارى : يدفن .

لَمَفِّ نَفْسِي هَلْ (بَيْرِلِينَ) أَمْرُو * فوق ذَاكَ الْقَبْرِ صَلَّى وَسَجَدَ؟
(١)
هَلْ بَكَتْ عَيْنٌ فَرَوَتْ تُرْبَهُ * هَلْ عَلَى أَجْجَارِهِ خَطٌّ أَحَدٌ؟
هَاهُنَا قَبْرُ شَيْدٍ فِي هَوَى * أُمَّةٍ أَيْقَظَهَا، ثُمَّ رَقَدَ

رثاء عبد الله أباطله بك^(٢)

[أنشد هذين البيتين على قبره في سنة ١٩١٩ م]

يَا حَايِدَ اللَّهِ نَمَّ فِي الْقَبْرِ مُغْتَبِطًا * مَا كُنْتَ عَنْ ذِكْرِ رَبِّ الْعَرْشِ بِاللَّاهِي
يَا رَحْمَةَ اللَّهِ هَذَا قَبْرُهُ فَيَقِي * وَأَيْنِسِي رُوحَهُ يَا رَحْمَةَ اللَّهِ

رثاء عبد الحميد رمزي

قالها على لسان إبراهيم رمزي بك في حفل تأبين ابنه عبد الحميد، وكان طالبا
بالمدارس الثانوية، ولم يقو أبوه على الكلام في هذا الحفل، فتاب عنه حافظ وقال
هذه القصيدة :

[نشرت في ٦ مارس سنة ١٩٢٠ م]

وَلَدِي، قَدْ طَالَ سُهُدِي وَنَحْيِي * جِئْتُ أَدْعُوكَ فَهَلْ أَنْتَ مُجِيبِي؟
جِئْتُ أَرَوِي بَدْمُوعِي مَضْجَعًا * فِيهِ أَوْدَعْتُ مِنَ الدُّنْيَا نَيْصِي

(١) خط أحد، أي كتب على أججار هذا القبر البيت الآتي بعده .

(٢) عبد الله أباطله بك، هو ابن السيد أباطله باشا، كان عضوا بالجمعية التشريعية، وتقلد عدة

مناصب، وتوفي في سنة ١٩١٩ م .

لَا تَتَخَفْ مِنْ وَحْشَةِ الْقَبْرِ وَلَا * تَبْتَئِسْ إِنِّي مُوَافٍ عَنْ قَرِيبٍ
(١)
أَنَا لَا أَتْرُكُ شَيْئًا وَحْدَهُ * فِي جَدِيدٍ مُوَحِّشٍ غَيْرِ رَحِيبٍ
(٢)
أَوْحِينَ أَبْتَرَّ دَهْرِي قُوَّتِي * وَذَوَى عُوْدِي وَوَأَقَانِي مَشِيبِي
وَأَكْتَسَى غُصْنُكَ مِنْ أَوْرَاقِهِ * تَحْتَ شَمْسِ الْعِزِّ وَالْجَاهِ الْخَصِيبِ
وَرَجَوْنَا فِيكَ مَا لَمْ يَرْجُهُ * مُنْجِبُ الْأَشْبَالِ فِي الشَّيْلِ النَجِيبِ
(٣)
يَتَتَوَيْكَ الْمَوْتُ فِي شَرِيحِ الصَّبَا * وَالشَّبَابِ الْعَصْفُ فِي الْبُرْدِ الْقَشِيبِ
(٤)
لَمْ يَدْعُ آسِيكَ جُهْدًا إِنَّمَا * غَابَ عِلْمُ اللَّهِ عَنْ عِلْمِ الطَّيِّبِ
(٥)
إِيهْ يَا (عَبْدَ الْحَمِيدِ) انْظُرْ إِلَى * وَالِدِ جَمِّ الْأَمْسَى بِأَدَى الشُّحُوبِ
ذَاهِلٍ مِنْ قَرِيطٍ مَا حَلَّ بِهِ * يَنْتِ أَتْرَاكَ يَمْشِي كَالْغَرِيبِ
كَلَّمَا أَبْصَرَ مِنْهُمْ وَاحِدًا * هَزَّهَ الشُّوقُ إِلَى وَجْهِ الْحَبِيبِ
يَسْأَلُ الْأَغْصَانُ فِي إِزْهَارِهَا * عَنْ أَخِيهَا ذَلِكَ الْفُضَيْنِ الرَّطِيبِ
(٦)
يَسْأَلُ الْأَفْقَارُ فِي إِشْرَاقِهَا * عَنْ مُحِبِّ غَابٍ مِنْ قَبْلِ الْمَغِيبِ
(٧)
غَمَّرَ الْحُزْنَ نَوَاحِي نَفْسِهِ * وَأَذَابَتْ لُبَّهُ سُودُ أَنْحَاطِهِ
فَهُوَ لَا يَنْفَعُهُ الْعَيْشُ وَهَلْ * تَصْلُحُ الْأَبْدَانُ مِنْ غَيْرِ قُلُوبٍ؟

(١) الشبل: ولد الأسد. ويعني «بالجدب الموحش»: القبر. (٢) ابتز: سلب. وذوى
عوده: ذبل وجف. (٣) يتتويك: يقصدك. وشريح الصبا: ريعانه. والقشيب: الجدب
(٤) الأمسى: الطيب. (٥) الأمسى: الحزن. والشحوب: تنير اللون من حزن أو نحوه.
(٦) محيا الإنسان: وجهه. (٧) غمر الحزن نواحي نفسه، أي شملها.

طالبي يا شمس قبرا صمته * بالتعايا في شروق وغروب
واسكنني يا رحمة الله به * واجعلي فيضك منهل السكوب

رثاء عبد الحليم المصرى الشاعر المعروف

[نشرت في ٨ يولييه سنة ١٩٢٢م]

لَكَ اللهُ قَدْ أَسْرَعَتْ فِي السَّيْرِ قَبْلَنَا * وَأَثَرْتَ يَا مِصْرِي^(١) سَكْنَى الْمَقَابِرِ
وَقَدْ كُنْتَ فِينَا يَا قَتَى الشَّعْرِ زَهْرَةً * تَفْتَحُ لِلْأَذْهَانِ قَبْلَ النَّوَاطِرِ
فَلَهِنِي عَلَى تِلْكَ الْأَنَامِلِ فِي الْبَلَى * فَكَمْ نَسَجْتَ قَبْلَ الْبَلَى مِنْ مَقَابِرِ^(٢)
وَيَا وَجَّحَ الْأَشْعَارِ بَعْدَ نَجِيهَا * وَوَجَّحَ الْقَوَافِي سَاقَهَا غَيْرُ شَاعِرِ
تَزَوَّدْتَ مِنْ دُنْيَاكَ ذِكْرًا مُحَلَّدًا * وَذَاكَ لَعَمْرِي نَعَمَ زَادُ الْمَسَافِرِ^(٣)
وَأَوْرَثْنَا حَزَنًا عَلَيْكَ وَحَسْرَةً * عَلَى فَقْدِ سَبَاقِ تَكْرِيمِ الْمُحَاضِرِ^(٤)
فَلَمْ تَتَوَيَّا (عَبْدَ الْحَلِيمِ) بِمُحْفَرَةٍ * وَلَكِنْ بَرَّوْضَ مِنْ قَرِيْبِكَ نَاضِرِ^(٥)
فَدَيَاؤُكَ الرِّيَّانُ يُغْنِيكَ طَيْبُهُ * عَنِ الزَّهْرِ مَطْلُولًا يَحْوِذُ الْمَوَاطِرِ^(٦)
فَسَايِمِرْ (أَبَا بَكْرٍ) هُنَاكَ فَلِإِنَّهُ * سَيَظْفَرُ فِي عَدْنٍ بِغَيْرِ مُسَايِمِرِ

(١) نجيباً، أى من يتاجبها . (٢) المحاضر: المجالس . (٣) ثوى بالمزول :
أقام به . (٤) الزهر المطلول : المبلل بالطل . والجود : المطر الكثير . والمواطر : السحب .
(٥) يشير بهذا البيت إلى قصيدة لعبد الحليم المصرى فى سيرة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وأزله :
أفنى أبا بكر طيهم قوافيا * وأطرلسانى حكمة ومعانيا

هَيْتَا لَكَ الذَّارُ الَّتِي قَدْ حَلَّتْهَا * وَأَعْظَمُ بَيْنَ جَاوَرَتِهِ مِنْ مُجَاوِرِ
(١)
عَلَيْكَ سَلَامٌ مَا تَزَنَّمُ مُنْشِدٌ * وَقَامَ خَطِيبٌ فَوْقَ هَامِ الْمَنَارِ

(٢) ذكرى الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده

أشدها في الحفل الذى أقيم بالجامعة المصرية في يوم الثلاثاء ١١ يولييه سنة ١٩٢٢ م

وقد ضمنها رثاء المرحوم حفى ناصف بك

(٣)
أَذْنَتْ شَمْسُ حَيَاتِي بِمَغِيبِ * وَدَنَا الْمَهْلُ بِانْقَسَاطِ فِطْيِ
(٤)
إِنْ مَنْ سَارَ إِلَيْهِ سَيْرَنَا * وَرَدَّ الرَّاحَةَ مِنْ بَعْدِ اللُّغُوبِ
(٥)
قَدْ مَضَى (حَفَى) وَهَذَا يَوْمُنَا * يَتَدَانِي فَاسْتَنْبِي وَأُنْبِي
وَأَرْقِيهِ كُلَّ يَوْمٍ لَأَمَّا * نَحْنُ فِي قَبْضَةِ عَلَامِ النُّيُوبِ
أُذْكَرِي الْمَوْتَ لَدَى النَّوْمِ وَلَا * تُغْفِلِي ذِكْرَتَهُ عِنْدَ الْهَبُوبِ
وَأُذْكَرِي الْوَحْشَةَ فِي الْقَبْرِ فَلَا * مُؤَسَّ فِيهِ سِوَى تَقْوَى الْقُلُوبِ
قَدِّمِي الْخَيْرَ أَحْسَبًا فَكَفَى * بَعْضُ مَا قَدَّمْتِ مِنْ تِلْكَ الذُّنُوبِ
رَاعَنِي فَقَدْ شَبَابِي وَأَنَا * لَا أَرَأُ الْيَوْمَ مِنْ فَقْدِ مِشْبِي
حَنْ جَنْبَايَ إِلَى بَرْدِ الْفَرَى * حَيْثُ أُلْسِي مِنْ عَدُوِّ وَحْيِي

(١) هام المنابر: رومها؛ الواحدة هامة. (٢) انظر الحاشية رقم ٣ ص ٤ من الجزء الأول.

(٣) أذنه بالأمر: أعله بقربه. والمهل: المورد؛ يريد به الموت. (٤) اللغوب: التعب.

(٥) استنبي: اطلبى الثواب من الله. وأنبي: ارجعى إليه بالطاعة.

(١) مَضَجَّ لَا يَشْتَكِي صَاحِبُهُ * شِدَّةَ الدَّهْرِ وَلَا شَدَّ الْخَطُوبِ
(٢) لَا وَلَا يُسَيِّمُهُ ذَاكَ الَّذِي * يُسَيِّمُ الْأَحْيَاءَ مِنْ عَيْشِ رَيْبِ
(٣) قَدْ وَقَفْنَا سِتَّةَ نَبْكِ عَلَى * طَالِ الْمَشْرِيقِ فِي يَوْمِ عَصِيبِ
وَقَفَ الْخَمْسَةُ قَبْلِي فَمَضَوْا * هَكَذَا قَبْلِي وَإِنِّي عَنْ قَرِيبِ
وَرَدُّوا الْحَوْضَ تِبَالًا فَقَضَوْا * بِاتِّفَاقٍ فِي مَنَابِلِهِمْ عَجِيبِ
(٤) أَنَا مُدُّ بَانُوًا وَوَلَّى عَهْدُهُمْ * حَاضِرُ اللَّوَمَةِ مَوْصُولُ النَّجِيبِ
هَدَّاتُ نِيرَانٍ حُزْنِي هَدَاةً * وَأَنْطَوَى (حَفْنِي) فَعَادَتْ لِلشُّبُوبِ
(٥) فَتَذَكَّرْتُ بِهِ يَوْمَ أَنْطَوَى * صَادِقُ الْعَزْمَةِ كَشَافُ الْكُرُوبِ

(١) شَدَّ الْخَطُوبِ، أى حملتها عليه . (٢) يريد «بالربيب» : العيش الثابت المتكرر بحال واحدة لا تتغير؛ والذي وجدناه في كتب اللغة بهذا المعنى : الراتب لا الرَيْبُ . (٣) يشير بهذا البيت وما بعده الى قصة عجيبة ، وهى أنه لما توفى المرحوم الشيخ محمد عبده رثاه على القبر ستة من انطباء والشعراء ، ألقم الشيخ أحمد أبو خطوة ، ثم حسن حاصم باشا ، ثم حسن عبد الرازق باشا الكبير ، ثم قاسم أمين بك ، ثم حفى ناصف بك ، ثم حافظ إبراهيم بك . وأتفق أن مات الأربعة الأولون على ترتيب وقوفهم فى الرثاء ، فلاحظ ذلك المرحوم حفى بك ناصف ، فبعث إلى ساقط بهذه الأبيات :

أَتَذَكَّرُ إِذْ كُنَّا عَلَى الْقَبْرِ سِتَّةَ * نَعْتَدُ آثَارَ الْإِمَامِ وَنُسَبِّحُ
وَقَفْنَا بِرَتِيبٍ وَقَدْ دَبَّ بَيْنَنَا * مِمَاتِ عَلَى وَفْقِ الرِّثَاءِ مَرْتَبِ
أَبُو خُطْوَةٍ وَلَى وَقْفَاءَ حَاصِمِ * وَجَاءَ لِعَبْدِ الرَّازِقِ الْمَوْتُ يَطْلُبُ
فَلَبِى وَظَابِتُ بَعْدِهِ شَمْسُ قَاسِمِ * وَعَمَّا قَلِيلٍ نَجْمُ سَحَابِ يُغْرِبُ
فَلَا تَحْشُ هَلْكَامَا حَيَّتْ وَأَنْ أَمْتُ * فَأَنْتِ الْخَائِفُ تَسْتَرْقُبُ
فَلَا طَرَوْعَ تَحْتَ الْقَطَارِ وَلَا تَحْفُ * وَنَحْمُ تَحْتَ بَيْتِ الْوَقْفِ وَهُوَ مَغْرِبُ
وَنُخْضُ بِلُجِ الْمُهَيَّاءِ أَعَزَّلَ آمِنَا * فَإِنَّ الْمُنَا بِأَعْنَكِ تَنَاقُ وَتَهْرَبُ
فَلَمَّا تَوَفَى حَفْنِي بَعْدَ ذَلِكَ نَعْلَمُ حَافِظَ مَرِثَتِهِ تِلْكَ . (٤) بَانُوا : بَعَدُوا .

(٥) يريد «بصادق العزيمة» : المرحوم الشيخ محمد عبده .

(١) يَوْمَ كَفَّنَاهُ فِي آمَالِنَا * وَذَكَّرْنَا عِنْدَهُ قَوْلَ (حَبِيب) :
 عَرَفُوا مَنْ غَيَّبَهُ وَكَذَا * تَعْرِفُ الْإِفْكَارُ مِنْ بَعْدِ الْمَغِيبِ (٢)
 وَخُفْنَا بِإِمَامٍ مُصْلِحٍ * عَامِرِ الْقَلْبِ وَأَوَّابٍ مُنِيبِ (٣)
 كَمْ لَهُ مِنْ بَاقِيَاتٍ فِي الْهُدَى * وَالنَّدَى بَيْنَ شُرُوقٍ وَغُرُوبِ (٤)
 يَبْذُلُ الْمَعْرُوفَ فِي السَّرَّكَامَا * يَرْقُبُ الْعَاشِقُ إِغْفَاءَ الرِّقِيبِ (٥)
 يُحْسِنُ الظَّنَّ بِهِ أَعْدَاؤُهُ * حِينَ لَا يَحْسُنُ ظَنُّ بَقَرِيبِ (٦)
 تَنْزِلُ الْأَضْيَافُ مِنْهُ وَالْمُنَى * وَالْخِلَالُ الْغُرَى فِي مَرَعَى خَصِيبِ (٧)
 قَدْ مَضَتْ عَشْرٌ وَسَبْعٌ وَالنَّهْيُ * فِي ذُبُولِ وَالْأَمَانِي فِي نُضُوبِ (٨)
 تَرْقُبُ الْأَفْقَ فَلَا يَتَدُوبُهُ * لَا مِعْ مِنْ نُورِ هَادٍ مُسْتَيْبِ (٩)
 وَتُنَادِي كُلَّ مَأْمُولٍ وَمَا * غَيْرُ أَصْدَاءِ الْمُنَادِي مِنْ مُجِيبِ (١٠)
 دَوَى الْجُرْحِ وَلَمْ يَقْدِرْ لَهُ * بَعْدَ نَاوِي (عَيْنِ شَمْسٍ) مِنْ طَبِيبِ (١١)
 أَجْلَبَ الْعِلْمُ وَأَمْسَى بَعْدَهُ * رَائِدُ الْعِرْفَانِ فِي وَادٍ جَدِيبِ (١٢)

(١) حبيب ، هو ابن أوس الطائي ، المكنى أبا تمام ، الشاعر المعروف .

(٢) يلاحظ أن هذا البيت قد ورد في شعر حبيب بن أوس بمعناه قال يرثى إسماعيل بن أبي ربي :
 قَدْ عَلِمْتُ مَا رَزَيْتُ إِنَّمَا * يَعْرِفُ قَدْ شَمَسَ عِنْدَ الْمَغِيبِ

ولم يرد بلفظه كما توهمه عبارة حافظ في البيت الذي قبله . (٣) الأواب : كثير الرجوع إلى الله .
 والمنيب : من أناب ، بمعنى رجع . . (٤) الإغفاء : النوم . (٥) النضوب : الجفاف .
 (٦) مستيب ، أى يطلب من ضل طريق الهدى أن يثوب إليه ، أى يرجع . (٧) دوى :
 مارذا داء . والناوى : المقيم . وعين شمس : البلد الذى كانت يسكنه القعيد ، وهى ضاحية من
 ضواحي القاهرة معروفة . (٨) الرائد : الطالب .

- (١) رَحْمَةُ الدِّينِ عَلَيْهِ كُلُّهَا * نَحْرَجَ التَّفْسِيرُ عَنْ طَوِّقِ الْأَرِيْبِ
 رَحْمَةُ الرَّأْيِ عَلَيْهِ كُلُّهَا * طَاشَ سَهْمُ الرَّأْيِ فِي كَفِّ الْمُصِيبِ
 رَحْمَةُ الْفَهْمِ عَلَيْهِ كُلُّهَا * دَقَّتْ الْأَشْيَاءُ عَنْ ذِهْنِ اللَّيْبِ
 رَحْمَةُ الْحِلْمِ عَلَيْهِ كُلُّهَا * ضَاقَ بِالْحِدْثَانِ ذُو الصُّدْرِ الرَّحِيبِ
 لَيْسَ فِي مَيْدَانِ (مِصْرِ) فَارِيسُ * يَرْكَبُ الْأَخْطَارَ فِي يَوْمِ الرُّكُوبِ
 (٢) كُلُّهَا شَارَفَهُ مِثَافَتِي * غَالَهُ الْمِقْدَارُ مِنْ قَبْلِ الْوُثُوبِ
 (٣) مَا تَرَى كَيْفَ تَوَلَّى (قَاسِمُ) * وَهُوَ فِي الْمَيْعَةِ وَالْبُرْدِ الْقَشِيبِ
 (٤) أَتَيْتِ الْأَحْيَاءُ ذِكْرِي (عَبِيدِهِ) * وَهِيَ لُئْسَتِ مِنْ مِسْكٍ وَطِيبِ
 (٥) لَأَنْتُمْ لَوْ أَنْصَفُوهَا لَبَنَوْا * مَعَهْدًا تَعْتَادُهُ كَفُّ الْوُحُوبِ
 (٦) مَعَهْدًا لِلدِّينِ يُسْقَى غُرْسُهُ * مِنْ نَمِيرٍ فَاضٍ مِنْ ذَاكَ الْقَلِيبِ
 وَتَسِينَا ذِكْرُ (حَفْنِي) بَعْدَهُ * وَدَقْنَا فَضْلَهُ دَفْرَ الْغَرِيبِ
 (٧) لَمْ تَسْلُ مِنَّا عَلَيْهِ دَمْعَةٌ * وَهُوَ أَوْلَى النَّاسِ بِالْدَّمْعِ الصَّبِيبِ

- (١) الطوق : الجهد والطاقة . والأريب : العاقل البصير . ويريد « بالتفسير » : تفسير القرآن الكريم ، وكان الفقيه يتولى تدريسه بالأزهر .
 (٢) شارفه : أشرف عليه ودنا منه . (٣) ميمة الشباب : أقره . والقشيب : البلديد . وقاسم ، هو المرحوم قاسم بك أمين .
 (٤) استاف العليب : شمه . (٥) تعاده ، أى تتعود الإتيان عليه وتعهده بالبلد .
 (٦) الماء النмир : الناجع فى الرى . والقليب : البئر . ويريد به الفقيه .
 (٧) الصيب : المنصب .

(١) سَكَنَتْ أَنْفَاسُ (حَفْنِي) بَعْدَ مَا * طَيَّبَتْ فِي الشَّرْقِ أَنْفَاسَ الْأَدِيبِ
عَاشَ خَضَبَ الْعُمَرِ مَوْفُورًا جَمًّا * صَادِقَ الْعِشْرَةِ مَأْمُوتَ الْمَغِيبِ

(٢) تَأْيِينَ حَسَنَ عَبْدِ الرَّازِقِ بَاشَا وَإِسْمَاعِيلَ زَهْدِي بِكَ

قالها في الحفل الذي أقامه الأحرار الدستوريون لتأبين الفقيد
[يوم الأربعاء ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٢٢ م]

مَلَمَّا نَ مِنْ أَعْلَامٍ مِضَ * رَعَدَا الرَّدَى فَطَوَاهُمَا
(حَسَنُ) وَ(زُهْدِي) لَمْ يَمُتْ * نَحْ بِالشَّبَابِ كَلَامُهَا
سَلَكَا سَبِيلَ الْحَقِّ مَا * عَاشَا وَمَا أَوْلَاهُمَا!
دَاسَ الْأَثِيمُ جُمَاهُمَا * نَحْتِ الدَّبْحَى وَدَهَاهُمَا
فَرَمَى النَّهْيَ وَالْفَضْلَ نَجْدَ * تَمَعَيْنَ حِينَ رَمَاهُمَا
إِنْ تَذَكَّرُوا هِمَّ الرَّجَا * لِي فَقَدَّمُوا ذِكْرَاهُمَا
أَوْ تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ * لَدَى مَبْدَأٍ فَهَمَّاهُمَا

- (١) سكون الأنفاس : كناية عن الموت . ويريد بقوله « طيبت في الشرق أنفاس الأديب » :
أن أدباء الشرق قد تخرجوا عليه ، وأخذوا من أدبه وفضله ما طابت به منشأتهم وارتفع به أديهم .
- (٢) في مساء الخميس ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٢ م ، احتدى ممتد على عضوين من أعضاء حزب الأحرار
الدستوريين ، هما المرحومان حسن عبد الرزاق باشا وإسماعيل زهدي بك ، فرماهما بالرصاص ولم يمهلهما
الأجل إلا أياما ، فتوفي إسماعيل بك أولا ، وتوفي حسن باشا بعده ، وكان باعث هذا الاعتداء الخلاف
السياسي بين الأحزاب .

رثاء إسماعيل صبرى باشا^(١)

أنشدها في حفل التأسيس الذى أقيم في فناء مدرسة المغلبلين بالمينية في مايو سنة ١٩٢٣ م ، وحين وقف لإنشاد هذه القصيدة أكثر المجتمعون التصفيق ترحيبا به ، فقال مرتجلا :

أَكْثَرْتُمُ التَّصْفِيْقَ فِي مَوْطِنٍ * كَانِ الْبُكَاءُ فِيهِ بِنَا أَلْيَقَا
فَاكْرِ مُوَا (صَبْرِي) بِإِنْصَابِكُمْ * وَلْيُعْذِرِ الدَّمْعُ إِذَا صَفَّقَا

ثم أبتدأ في إنشاد قصيدته :

نَعَاكَ التَّعَاةُ وَحُصَمَاءُ الْقَدَرِ * وَلَمْ يُغْنِ عَنَّا وَعَنكَ الْحَزَرُ^(٢)
طَوْتُ ذِمَّةَ الصَّدْرِ صَدْرَ النَّدَى * فَلَمْ تَقْلُو إِلَّا بِعِجْلِ الْعَبْرِ^(٣)
فَأَمْسَيْتَ تُدَكِّرُ فِي الْغَابِرِينَ * وَإِنْ قَلَّ مِثْلُكَ فَيَمْنُ غَبَرِ^(٤)
إِذَا دُرِكَتْ سَيْرُ النَّاسِيهِينَ * فِسِيرَةُ (صَبْرِي) تَجِبُّ السَّيْرِ^(٥)
لَقَدْ كُنْتَ بَرًّا بِظِلِّ الشَّبَابِ * فَلَمَّا تَقَلَّصَ كُنْتَ الْآبَرِ^(٦)

(١) ولد المرحوم إسماعيل صبرى باشا في سنة ١٨٥٤ م ، وبعد أن أخذ حظه من التعلم في مصر ونال شهادة الحقوق ، سافر إلى أوروبا فأتم علومه القانونية هناك ، ونال الشهادة من كلية أكس ، وبعد عودته إلى مصر تولى عدة مناصب قضائية وإدارية ، وآخر منصب تولاه وكالة الحقائق ، واعتزله في سنة ١٩٠٧ م ، وكانت وفاته في ربيع سنة ١٩٢٣ م . وشعره معروف بالرفقة ولطف الصياغة وجودة النسيب ، كما اشتهر بالإجادة في المقطعات الصغيرة ، وإلى هذا يشير حافظ في مراثيه . (٢) هم القدر : قضى (بالبناء للجهول فهما) . ويريد « بالقدر » : الموت . (٣) يشير إلى أن الفقيه توفى (٤) الغابرون : الماضون . (٥) تجب السير : تقطعها وتذهب بها . يقول : إنه إذا ذكر الفقيه لم يذكر سواه في التأبين من الرجال . (٦) تقلص الظل : تقبض . يريد أنه قد بعد عن الإثم في شبابه ، فلما ذهب شبابه كان بعده عن الإثم أشد .

فَلَمْ تَسْتَيْقِ زَوْوَةً فِي الصَّبَا * وَلَمْ تَسْتَيْحِ هَفْوَةً فِي الْكِبَرِ
 أَهْنَى الثَّرَى أَمْ أَعَزَّى الْوَرَى * لَقَدْ فَازَ هَذَا وَهَذَا خَسِرَ
 أَوَّلَ يَوْمٍ لَمَّهِدِ الرِّيسِ * تَجِفُّ الرِّيَاضُ وَيَذْوَى الزَّهْرُ ^(١)
 وَيَذْبُلُ زَهْرُ الْقَرِيضِ الثَّرَى * وَيُقْفِرُ رَوْضُ الْقَوَافِي الْغُرَى ^(٢)
 لِيَهْدَأُ (عُمَانُ) فَفَوَاضِهِ * أَصِيبَ وَأَمْسَى رَهِينَ الْحَقْرِ ^(٣)
 فَقَدْ كَانَ يَتَنَادَى دَائِبًا * بَكُورًا رَوْحًا لَتَهَبِ الدَّرَرُ ^(٤)
 يَقُولُ فَيُرِيخُ دُرَّ النُّحُورِ * وَيُغْلِي جُمَانَ بَنَاتِ الْفِكْرِ ^(٥)
 يَسُوقُ الْقِصَارَ فَيَأْبَى الْعِشَارِ * وَكَمْ مِنْ مُطِيلٍ مُمِلٍّ عَثَرَ ^(٦)
 قِصَارَ وَحَسَبُ النَّهْيِ أَنَّهَا * لَهَا مُعْجَزَاتُ قِصَارِ السُّودِ
 رُحِمْتَ، فَقَدْ كُنْتَ حُلَاوِ اللِّسَانِ * جَلِيَّ الْبَيَانِ صَدُوقِ الْخَسْرِ ^(٧)
 قَلِيلَ التَّمَجُّبِ جَسْمِ الْأَنَاةِ * حَكِيمَ الْوُرُودِ حَكِيمَ الصَّدْرِ ^(٨)
 شَمَائِلُكَ الْغُرُّ هُنَّ الرِّيَاضُ * رَوَى عَنْ شَذَاهَا نَسِيمُ السَّحَرِ ^(٨)

- (١) ذوى الزهر : ذبل . ويشير بهذا الى أن وفاة الفقيه كانت في فصل الربيع .
 (٢) القريض الثرى : الفنى بمانيه وأقايظه . (٣) عمان : كورة من بلاد العرب معروفة بالؤلؤ
 المستخرج من بحورها . ويريد الشاعر بهذا البيت تشبيه شعر الفقيه بالؤلؤ الذى يؤتى به من بحر عمان .
 (٤) يتناده دائباً، أى يواظب على استخراج الآتى منه ليرسم بها شعره . (٥) الجمان : اللؤلؤ،
 الواحدة جماء . ويريد « بنات الفكر » : معانى الشعر . (٦) يشير الى أن الفقيه كان أجود
 ما يكون شعره في المقطوعات القصيرة . (٧) الأناة : التانى . ويريد « بحكيم الورد ... الخ :
 أنه بصير بمواقع الأمور يحسن المنحول اليها والمخرج منها . (٨) الشذا : الرائحة الطيبة .

- (١) لها مِثْلُ رَوْحِ الدُّعَاءِ أَسْتَجِيبُ * فعاقى وآوى وأعنى وسرّ
(٢) إذا ما وَرَدَتْ لها مَنَهْلًا * وَرَدَتْ تَمِيرًا لَدَيْدَ الْخَصْرِ
(٣) وَفِضْرُكَ فِي خِصْبِهِ ثَرَوَةٌ * لِفِكْرِ الْأَدِيبِ إِذَا مَا افْتَقَرَ
(٤) وَشِعْرُكَ كَالْمَاءِ فِي صَفْوِهِ * عَلَى صَفْحَتَيْهِ تَرَأَى الصُّورُ
(٥) عِيُونَ الْقَصَائِدِ مِثْلَ الْعِيُونِ * وَشِعْرُكَ فِيهِنَّ مِثْلَ الْحَوَرِ
وَكَمْ لَكَ شَكْوَى هَوَى أَوْ أَسَى * لها نَفَثَاتٌ تُذِيبُ الْجَحْرَ
(٦) هَتَفَتْ بِهَا مَرَّةً فِي الْمَجِيرِ * فَكَادَ يَدِبُّ إِلَيْكَ الشَّجَرُ
(٧) وَكَمْ كُنْتَ تُشْعِلُ فِجَمَ الدُّجَى * بِأَنْفَاسِ صَبٍّ طَوِيلِ السَّهْرِ
فِيَا وَجْهِ قَلْبِكَ مَاذَا أَلَحَّ عَلَيْهِ مِنَ الدَّاءِ حَتَّى أَنْفَطَرَ
(٨) أَيَحْفِقُ تَحْتَ الدُّجَى وَحْدَهُ * لِذِكْرَى أَلِيفٍ سَلَا أَوْ هَجَرَ

(١) الريح : الراحة .

(٢) النير : الماء الناجع في الري . وخصر الماء (بالتحريك) : برودته .

(٣) يريد بهذا البيت أن الأدباء يستمدون من معانيه إذا أهوزتهم المعاني .

(٤) تراءى ، تراءى ، أى تبين وتظهر . (٥) عيون القصائد : قنائنها

وكرامتها . والحور في العين : اشتداد البياض والسواد في بياضها وسوادها ، واستدارة حدقتها ، ورقة جفونها .

(٦) الهجير : شدة الحر . ويشير بهذا البيت الى مقطوعة للرحوم اسماعيل صبرى باشا ، أولها :

يامرحة بمحسوار الماء ناضرة * سقاك دمي إذا لم يوف ساقيك

عار عليك وهذا الظل منتشر * فك الهجير بمثل في نواحيك

(٧) يشير بهذا البيت الى مقطوعات الفقيده في النسيب والشوق ، وهي من أنفاس شعره .

(٨) يشير بهذا البيت الى قول الفقيده يخاطب فؤاده :

سلا الفؤاد الذي شاطرته زمنا * حمل الصباية فأخفق وحدك الآنا

- (١) إِذَا قِيلَ (صَبْرِي) ذَكَرْتُ (الْوَلِيدَ) * وَمَرَّتْ بِنَفْسِي ذِكْرِي (عُمَرُ)
(٢) يَزِينُ تَوَاضَعُهُ نَفْسَهُ * كَمَا زَانَ حُسْنَ الْمَلَّاحِ الْخَفَرُ
(٣) زَكِيَّ الْمَشَاعِيرِ عَفَّ الْهَوَى * شَبَّهِ الْأَحَادِيثِ حُلُوَّ السَّعَرِ
لَقَدْ كُنْتُ أَغْشَاهُ فِي دَارِهِ * وَنَادِيهِ فِيهَا زَهَا وَأَزْدَهَر
(٤) وَأَعْرِضْ شِعْرِي عَلَى مَسْمَعٍ * لَطِيفٌ يُحْسِنُ نُبُوَّ الْوَتَرِ
(٥) عَلَى تَمَجُّجٍ بِاقِعَةٍ حَاضِرٍ * يَمِيزُ الْقَدِيمَ مِنَ الْمُتَبَكَّرِ
(٦) فَيَصْقُلُ لَفْظِي صَقْلَ الْجُمَانِ * وَيَكْسُوهُ رِقَّةَ أَهْلِ الْحَضَرِ
(٧) يُرْقِرُقُ فِيهِ غَيْرَ الْجَنَانِ * قَسْتَأْفُ مِنْهُ النَّهْيَ وَالْفِكْرَ
كَذَلِكَ كَانَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - * إِمَامًا لِكُلِّ أَدِيبٍ شَعَرَ
(٨) فَكُنَّا الْجَدَاوِلَ نُرْوِي الظَّمَاءَ * ظِلْمَاءَ الْعُقُولِ وَكَانَ النَّهْرُ
(٩) زَهْدَتَ عَلَى شُهُورَةٍ طَبَّقَتْ * وَجَاهٍ أَظْلَ وَقَضِيلٍ بَهَرِ

- (١) يريد «بالوليد وعمر» : أبا عبادَةَ الْبَحْرِيَّ وَعُمَرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رِيْعَةَ الْقُرَشِيَّ الْخَزْرَوِيَّ ،
الشَّاعِرِينَ الْمَعْرُوفِينَ . شَبَّهِهُمَا الْفَقِيدَ فِي رِقَّةِ الْأَسْلُوبِ ، وَعَذُوبَةِ الْأَلْفَاظِ ، وَطَرِيقَةِ الْمَعَانِي ، وَحُسْنِ
النَّسِيبِ . وَكَانَ إِمَامًا عَمِلَ صَبْرِي رَحِمَهُ اللَّهُ ، يُعْجِبُ كَثِيرًا بِشَعْرِ الْبَحْرِيَّ وَيُفَضِّلُهُ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الشُّعَرَاءِ .
(٢) الْخَفَرُ : شِدَّةُ الْحَيَاءِ . (٣) زَكِيَّ الْمَشَاعِيرِ : طَاهِرَهَا . وَعَفَّ الْهَوَى : عَفِيقُهُ فَلَا يَدْعُوهُ
حُبُّهُ إِلَى ارْتِكَابِ مَا تَمُّ . (٤) يريد بقوله «يُحْسِنُ نُبُوَّ الْوَتَرِ» : أَنَّهُ كَانَ يَدْرِكُ بِطَلْفِ حَسَنَةِ وَدَّةٍ
ذَوْقَهُ مَا نَبَأَ مِنَ الْأَلْفَاظِ وَالْعِبَارَاتِ ، وَنَدَّ عَمَّا جَارَهُ وَلَمْ يَنْسَجِمِ مَعَهُ فِي الْبَيْتِ أَوْ الْقَصِيدَةِ .
(٥) الْبَاقِعَةُ : الذِّكْرُ الْمَارِفُ الَّذِي لَا يَفُوتُهُ شَيْءٌ . (٦) يَصْقُلُ لَفْظِي ، أَيْ يَجْلُوهُ وَيَحْسِنُهُ .
(٧) الْعَبِيرُ : الرَّاحَةُ الطَّيِّبَةُ . وَتَسْتَأْفُ : تَسْمُ . وَالنَّهْيُ : الْعُقُولُ .
(٨) الْجَدَاوِلُ : الْأَنْهَارُ الصَّغِيرَةُ مِنَ النَّهْرِ الْكَبِيرِ . (٩) أَظْلُ : أَيْ أَمْتٌ ظَلَمَ وَأَتَسَّعَ .

- (١) خَلَعْتَ الشَّبَابَ فَلَمْ تَبْكِهِ * وَسَلَّكَ أَنْكَ لَمْ تُخْتَضِرْ
(٢) وَقَدْ ذُقْتَ طَعْمَ الرَّدَى عِنْدَ مَا * أَصِيبَ قِطَارُكَ يَوْمَ السَّفَرِ
(٣) فَاقْسَمْتَ أَنْكَ الْفَيْتَهُ * لَذِيذِ الْمَذَاقَةِ إِذْ تُخْتَضِرْ
تَمَيَّنْتَ أَنْ لَمْ تَعُدْ لِلْحَيَاةِ * وَلَكِنْ أَبَاها عَلَيْكَ الْقَدَرُ
(٤) وَكَمْ سَاعَةٍ بَيْنَ سَاعِ الْحَيَاةِ * سَقَّتْكَ الْمُرَارَ بِكَائِسِ الضُّجُرِ
(٥) فَرُحْتَ إِلَى أَخِيهَا شَايِكًا * أَذَاتَكَ مِنْهَا فَكَانَتْ أَمْرُ
فَقَشَشْتَ أَثْنَاءَهَا جَاهِدًا * بَعِيْنِي بِصَبْرِ بَعِيدِ النَّظَرِ
(٦) فَلَمْ تَرَفِهَا عَلَى طَوْلِهَا * هُنَيْةً صَفْوٍ خَلَّتْ مِنْ كَدَرِ

(١) احتضر فلان بالبناء للجهول : مات غضا شابا . (٢) يشير بهذا البيت والذين بعده الى ما حدث للفقيه أيام كان محافظا لمدينة الاسكندرية ، وذلك أنه بينما كان راكبا قطار الرمل عائدا الى منزله من زيارة صاحب السمو الملكي عباس الثاني اذ اصطدم القطار الذي كان يقفه مع قطار آخر ، وقد أصيب في هذه الحادثة كثيرون من الركاب باصابات مختلفة ، وتوفي بعضهم ، وقد أغشى على الفقيه إغماء طويلا ، وأصيب بارتجاج في مخه ، حتى إنه كان بعد ذلك كثير النسيان من أثر ذلك ، كما أصيب برضوض في كتفه الأيسر ، وكان يتحدث الى جلسائه بأنه قد ذاق طعم الموت في هذا الحادث فوبخه لذيق المذاق ، وكان يتنى أن لم تعد اليه الحياة ثانية . (٣) احتضر فلان (بالبناء للجهول) : حضره الموت . (٤) الساع : جمع ساعة . والمرار بالضم : شجر شديد المرارة . شبه الأثران والهموم بعصاة هذا النبات . ويشير بهذا البيت الى مقطوعة للفقيه في الساعة ، أولها :

- كَمْ سَاعَةٍ أَلْمَى مَسَا * وَأَزِجْنِي يَدَهَا الْقَاسِيَه
(٥) يشير بهذا : الى قول الفقيه في مقطوعة الساعة التي سبقت الإشارة إليها :
وَكَمْ سَقَّتْنِي الْمُرَاخَتَ لَهَا * فَرَحْتُ أَشْكُوها إِلَى التَّالِيَه
فَأَسْلَمْتَنِي هَذِهِ عَنُوه * لِسَاعَةٍ أُخْرَى وَبِى مَا يَه
(٦) يشير بهذا البيت والذي قبله الى قول الفقيه في مقطوعة الساعة أيضا :

قَشَشْتُ فِيهَا جَاهِدًا لَمْ أَجِدْ * هُنَيْةً وَاحِدَةً صَافِيَه

المراثى

٥٢٧

- (١) وما زِلْتَ تَشْكُو إِلَى أَنْ أَتَتْ * كَمَا تَشْتَبِي سَاعَةً لَمْ تَنْدُرْ
(٢) فَلَا صَدَّ تَحْشَاهُ بَعْدَ الْوِصَالِ * وَلَا ضَعْفَ تَشْكُوهُ بَعْدَ الْأَشْرِ
(٣) أَرَيْحُ فُؤَادَكَ مِمَّا ضَانَاهُ * وَصَدْرُكَ مِمَّا عَلَيْهِ أَنْكَدَرُ
(٤) تَمَنِّيَتْهَا خُطْوَةً لِلَمَاتِ * تُفَرِّجُ عَنْكَ كُرُوبَ الْغَيْرِ
(٥) وَهَذَا قَدْ خَطَاها وَنِلْتَ الْمُنَى * فَهَلْ فِي الْمَمَاتِ بُلُوغُ الْوَطَرِ
صَدَقْتَ فِي الْمَوْتِ نَصْرُ الْأَبَى * عَلَى الدَّهْرِ إِنَّهُ هُوَ يَوْمًا غَدَرُ
(٦) مِلْتَ السَّوَاءَ بِدَارِ الزَّوَالِ * فَمَاذَا رَأَيْتَ بِدَارِ الْمَقَرِّ
أَتَحْتَ التُّرَابِ يُضَامُ الْكَرِيمُ * وَيَشْقَى الْحَلِيمُ وَيَخْفَى الْقَمَرُ؟
(٧) وَيَهْضُمُ حَقُّ الْأَدِيبِ الْأَرِيبَ * وَيُطْمَسُ فَضْلُ النَّبِيِّ الْأَعْرَفُ؟
أَتَحْتَ التُّرَابِ تُسَاقُ الشُّعُوبُ * بِسَوَاطِ الْعُبُودَةِ سَوَاقُ الْبَقَرِ؟
وَيُعْقَدُ مُؤَمَّرٌ لِلْسَّلَامِ * فَتَخْرُجُ مِنْهُ إِلَى مُؤَمَّرِ؟

- (١) ساعة لم تندر : يريد ساعة الموت ؛ ويشير بهذا البيت إلى قول الفقيه في آخر مقطوعة الساعة :
يا شاكي الساعات أسمع عني * تنبيك منها الساعة القاضية
(٢) الأشر : البطر؛ وقابله بالضعف لأن الأشر إنما يكون مع القوة والقدرة .
(٣) مما عليه أنكدر؛ أى مما أنصب عليه من الحُوم .
(٤) النير : تغيرات الزمان ونوائبه . ويشير بهذا البيت والذي بعده إلى قول الفقيه :
يامسوت هانذا نخذل * ما أهدت الأيام منى
بنى وينك خطوة * إن تخطها فرجت عنى
(٥) الوطر : الحاجة .
(٦) السواء : الإقامة .
(٧) الأريب : العاقل الفطن .

فإن كان ما عندنا عندكم * فليس لنا من شقاء مفر
 خضم الحياة بعيد النجاة * فطوبى لراكبه إن^(١) عبر
 فعد سائلاً غائباً للتراب * كرايك في الموت وآهناً وقتر

رثاء سعيد زغلول^(٢)

أنشدها على قبر الفقيد بعد دفنه

[نشرت في ٢١ يولييه سنة ١٩٢٣ م]

ما أنت أول ككوكب * في الغرب أدركه المغيب
 فهناك أقمار المشا * ريق قد أتيح لها الغروب
 داس الجسام عيرين شا * لك، وهو مرهوب مهيب^(٣)
 لم يثنه عنك الرئيد * سس ولا رمى عنك الخطوب^(٤)
 يا (سعد) كيف قضى (سعيد) * (مد) وهو من (سعيد) قريب؟

(١) الخضم : البحر .

(٢) نشأ سعيد زغلول في ظل خاله المغفور له سعد زغلول باشا ، وبعد أن تخرج في مدرسة الحقوق عين مساعدا للنيابة ، ثم انتقل الى الديوان السلطاني في أيام المغفور له السلطان حسين كامل ، ثم عاد الى النيابة ثانية ، ثم عين قاضيا في محكمة القازيق . ولما سم خاله الوحدة ، وكان إذ ذاك متقيا بجبل طارق ، استدعاه إليه فكان معه في جبل طارق ، وحصبه في سفره بعد ذلك إلى أوروبا ، وقد أصيب بمرض لم يمهله إلا أياما ، وكانت وفاته في ١٠ يولييه سنة ١٩٢٣ م ، ثم نقل جثمانه من أوروبا الى مصر . (٣) العرين : مأوى الأسد . (٤) لم يثنه : لم يصرفه . ويريد « بالرئيس » رئيس الوفد المصري المرحوم سعد زغلول باشا .

(١) عَجَبًا ! أُنْحَمِي أُمَّةً * وَتَخَافُ جَانِبَكَ الْخَطُوبُ
وَيُقَالُ ضَيْفُكَ وَابْنُ أَخٍ * يَتَكَ وَهُوَ عَنْ (مَضِرٍّ) غَرِيبٌ ؟
نُبِّئْتُ أَنَّكَ قَدْ بَكَيْتَ * تَ وَهَالِكَ الْيَوْمِ الْعَصِيبُ
وَإِذَا بَكَى (سَعْدٌ) بَكَتْ * لُبْكَائِهِ مِنَّا الْقُلُوبُ
(٢) يَا (آلَ زُغَلُولٍ) ذَوَى * مِنْ رَوْضِكُمْ غُصْنٌ رَطِيبٌ
فَقَدَّتْ بِهِ (مِضْرٌ) قَتَى * أَخْلَاقُهُ مِثْلُكَ وَطِيبُ
(٣) يَا (آلَ زُغَلُولٍ) وَعُو * دُئِمْتُ عَلَى الْجُلَى صَلِيبُ
(٤) إِنِّي لَا أَجْعَلُ أَنَّ أَعَزِّكُمْ وَكُلُّكُمْ أَرِيبُ
(٥) شَاكِي سِلَاحِ الصَّبْرِ مُدُّ * تَحْنُ لِدُنْيَاهُ لَيْبُ
(٦) خَطْبُ الْكَثَانَةِ فِي قَفِيدٍ * يَدُكُمْ لِحَطْمِكُمْ يُشِيبُ
لَمْ يَتَّقَ مِنَّا وَاحِدٌ * إِلَّا لَهُ مِنْهُ نَصِيبُ

- (١) يلاحظ أن في هذا الشعر إبطاء، لتكرير لفظ «الخطوب» في بيتين ليس بينهما غير بيت واحد .
(٢) ذوى : ذبل .
(٣) الجلى : المصيبة العظمى . وصليب ، أى صلب .
(٤) الأريب : ذو العقل والرأى .
(٥) شاكي سلاح الصبر ، أى متسلح بالصبر ، قوى به على مواجهة الخطوب .
(٦) «لحطمكم» ... الخ ، أى خطب مصر لأجل الخطب الذى أصبتم به يشيب الرأس لعظم هوله .

رثاء محمد سليمان أباطه بك^(١)

[في سنة ١٩٢٣م]

مَنْ لَمْ يَذُقْ فَقْدَ أَلِفِ الصَّبَا * لَمْ يَذِرْ مَا أَبْدَى وَمَا أَصْمِرُ
 أَفْقَدَنِي الْمَوْتَ بِهِ وَإِيَّا * لَا يَعْرِفُ الْخَلَّ وَلَا يَغْدِرُ^(٢)
 تَقَرَّأَ فِي عَيْنِهِ كُلَّ الَّذِي * فِي نَفْسِهِ عَنْ نَفْسِهِ يَسْتُرُ
 ثَلَاثَةٌ لَمْ تَعْرِ عَنْ عَقِيَّةٍ : * لِسَانُهُ وَالذَّيْلُ وَالْمِثْرُ^(٣)
 قَدْ كَانَ مِثْلًا لَأَمْوَالِهِ * وَكَانَ نَهْضًا بَيْنَ يَعْتُرُ
 أَوْشَكَ أَنْ يُفْقِرَهُ جُودُهُ * وَمِنْ صُنُوفِ الْجُودِ مَا يُفْقِرُ^(٤)
 أَصِيبَ فِيهِ الْجُدُّ يَوْمَ أَنْطَوَى * وَالْعُرْفُ وَالسَّائِلُ وَالْمُعْسِرُ^(٥)

+

كُنَّا عَلَى عَهْدِ الصَّبَا سَبْعَةً * بِمُسْتَطَابِ اللَّهِ وَنَسَائِرُ^(٥)
 (البابلي) صَفْوَةُ فِتْيَانِنَا * وَ(ابن المولي) الْكَاتِبُ الْأَشْهَرُ
 وَ(صَادِقُ) خَيْرُ بَنِي (مَسِيدٍ) * وَ(بَيْرَمُ) إِذْ عُدُّهُ أَخْضَرُ
 وَكَانَ (عَبْدُ اللَّهِ) أُنْسًا لَنَا * وَأُنْسُ (عَبْدِ اللَّهِ) لَا يُنْكَرُ
 لَهُوُ كَرِيمٌ لَمْ يَسْبُ صَفْوَهُ * رَجَسٌ وَلَمْ يَشْهَدْ مُسْتَهْتَرُ^(٦)

(١) محمد سليمان أباطه بك، هو ابن سليمان أباطه باشا ولد سنة ١٨٧٢ وتعلم في مدرسة البوليس ثم كان ضابطاً إلى سنة ١٨٩٧م ثم تولى عدة أعمال أخرى آخرها وكالة لمصلحة الأملاك وتوفي سنة ١٩٢٣م .
 (٢) الخلل : الخلداع . (٣) المثرز : الأزار . وعفة المثرز : كناية عن عفة ماله . (٤) العرف : المعروف . (٥) انظر التعريف بالبابل والمولي (في الحاشية رقم ٥ صفحة ١٦٦ والحاشية رقم ٣ من صفحة ١٥٠ من الجزء الأول على الترتيب) . (٦) لم يشب : لم يخالط . والرجس : النجس .

(١)
فَكَمْ لَنَا مِنْ مَجْلِسٍ طَيِّبٍ * يَسْتَأْفَهُ (هَارُونَ) أَوْ (جَعْفَرُ)
نَلْعَبُ بِاللَّفِظِ كَمَا نَسْتَهَى * وَنُضْمِرُ الْمَعْنَى فَمَا يَظْهَرُ
وَنُزِيلُ النُّكْتَةَ مَحْبُوكَةً * عَنْ غَيْرِنَا فِي الْحُسْنِ لَا تَصْدُرُ
ثُمَّ أَنْطَوَى هَذَا وَهَذَا وَمَا * يُطَوَّى مِنَ الْأَيَّامِ لَا يُبْشَرُ
كَمْ دَوْحَةٍ أَوْدَى بِهَا عَصِيفٌ * وَالنَّجْمُ مِنْ مَأْمَنِهِ يَنْظُرُ (٢)

(٣) ذكرى المرحوم محمد أبى شادى بك

عَجِبْتُ أَنْ جَعَلُوا يَوْمًا لِذِكْرِكَ * كَأَنَّا قَدْ تَسِينَا يَوْمَ مَمْنَعَا
إِذَا سَلَتْ (يَا أَبَا شَادَى) مُطَوَّقَةٌ * ذِكْرَ الْمَدِيدِ لِفَيْقِ أَنَا سَلَوْنَا (٤)
فِي مُهَجَّةِ (النَّيْلِ) وَالْوَادِى وَسَاكِنِهِ * رَجَعُ لَصَوْتِكَ مَوْصُولٌ بِذِكْرِكَ (٥)
قَدْ عِشْتَ فِينَا يَمِيرًا طَابَ مَوْرِدُهُ * أَسْمَى سَبْحَايَا الْفَتَى آدَتِي سَبْحَايَا (٦)

- (١) يريد هارون الرشيد، وجعفر بن يحيى البرمكى وذريه، وقد توفى جعفر مقتولا بأمر الرشيد سنة ٨٧ هـ. (٢) الدرحة : الشجرة العظيمة. (٣) كان المرحوم محمد أبوشادى بك عالما من أعلام الحمامة وإليه انتهت رئاسة نقابة الحمامين حينما من الزمن كما كان صحفيا مبرزاً وأثناء صحيفته يومية سماها « الظاهر » وانتخب عضواً فى مجلس التراب وتوفى فى ٣٠ يونية سنة ١٩٢٥ م.
- (٤) المطوقة : الحمامة، لما يحيط بمنقها من لون يخالف سائر لونها. والمدليل : زعم بعض الأعراب أنه فرخ من الحمام قديم مات ضيعة وعطشا، فيقولون : ما من حمامة إلا وهى تبكى عليه.
- (٥) رجع الصوت : صده. (٦) النمر : الماء الناجع فى الرى. ويريد بقوله «أسمى سباحيا» = أن أعلى ما يخلى به الناس من صفات فاضلة هو أقل ما يتخلل به من شيم ومكارم.

فما كأولاك في رٍ وفي كرم * أولى كريم ، ولا عقي كعقبا كا
 قضية الوطن المغبون، قد ملأت * ألحاء نفسك شغلا عن قضايا كا
 أبليت فيها بلاء المخلصين لها * وكان سهمك أنى رشت فتا كا^(١)
 أجملت ما فصلوه في قصائدهم * حتى لقد نضروا بالحميد مثوا كا^(٢)
 لم يبق لي قيد شبر صاحبى ولم * يفسح لي القول لا هذا ولا ذا كا
 يا مدين الذكري والتسبيح محتسبا * هانت في الخلد قد جاورت مولا كا
 لو لم يكن لك في دنياك مفخرة * سوى (زكى) لقد جمعت دنيا كا^(٣)

رثاء المغفور له سعد زغلول باشا

أنشدها في الحفل الذى أقيم لتأبين الفقيد في ٧ أكتوبر سنة ١٩٢٧ م

إيه يالئل هل شهدت المصابا * كيف ينصب في النفوس أنصبابا؟
 بلغ المشرقين قبل أنبلج الصبح * أن الرئيس ولّى وظابا^(٤)
 وأنع للثيرات (سعدا) ف (سعد) * كان أمضى في الأرض منها شهابا
 قد يالئل من سوادك ثوبا * للدرارى وللضحى جلبابا^(٥)

(١) راح السهم يرشه ، اذا الصق به الريش ليكون أسرع في مضيه .

(٢) نضروا ، من النضرة ، وهى الحسن والبهجة . ومثواك : قبرك .

(٣) المراد « زكى » : الدكتور أحمد زكى أبو شادى ، ابن الفقيد .

(٤) أنبلج الصبح : إشرافه . (٥) قد : أقطع . والدرارى (بتشديد الياء ونخفت للشعر) :

الكواكب المضيئة الصافية الشعاع .

- (١) أُنْسِجِ الْحَالِكَاتِ مِنْكَ نِقَابًا * وَأَحْبُ شَمْسَ النَّهَارِ ذَاكَ النَّقَابَا
قُلْ لَهَا : غَابَ كَوْكَبُ الْأَرْضِ فِي الْأَرْضِ * ضِ فَنِجِبِي عَنِ السَّمَاءِ أَحْتِجَابَا
وَالْبَسِينِي عَلَيْهِ ثَوْبَ حَدَادٍ * وَأَجْلِسِي لِلْعِزَاءِ فَالْحُزْنِ طَابَا
(٢) أَيْنَ (سَعْدٌ) ؟ فَذَلِكَ أَوَّلُ حَفْلٍ * غَابَ عَنْ صَدْرِهِ وَعَافَ الْخَطَابَا
لَمْ يُعَوِّدْ جُنُودَهُ يَوْمَ خَطْبٍ * أَنْ يُبَادِيَ فَلَا يَرُدُّ الْجَوَابَا
(٣) عَلَّ أَمْرًا قَدْ عَاقَهُ ، عَلَّ سُقْمًا * قَدْ عَرَاهُ ، لَقَدْ أَطَالَ الْغِيَابَا
أَيُّ جُنُودِ الرَّئِيسِ نَادُوا جِهَارًا * فَإِذَا لَمْ يُجِبْ فَشَقُّوا الثِّيَابَا
(٤) إِنَّهَا النَّكْبَةُ الَّتِي كُنْتُ أَخْتَبِي * إِنَّهَا السَّاعَةُ الَّتِي كُنْتُ آتِي
(٥) إِنَّهَا اللَّفْظَةُ الَّتِي تَنْسِفُ الْأَنْز * نَفْسَ نَسَقًا وَتَقْفِرُ الْأَصْلَابَا
مَاتَ (سَعْدٌ) ، لَا كُنْتُ يَا (مَاتَ سَعْدٌ) * أَصْهَامًا مَسْمُومَةً أَمْ حِرَابَا
(٦) كَيْفَ أَقْصَدْتُ كُلَّ حَيٍّ عَلَى الْأَرْضِ * ضِ وَأَحْدَثْتُ فِي الْوُجُودِ آتِقِلَابَا
(٧) حَسْرَةً عِنْدَ أَنَّهُ عِنْدَ آهِ * تَحْتَهَا زَفْرَةٌ تُذِيبُ الصَّلَابَا
(٨) قُلْ لِيَنَّ بَاتٍ فِي (فَلَسْطِينِ) يَبْكِي * إِنَّ زَلْزَلَانَا أَجَلٌ مُصَابَا

(١) يقال : حباه كذا وبكنا يحبوه ، إذا أعطاه إياه . (٢) عاف الشيء : كرهه وزهد فيه .
(٣) عراه : أصابه . (٤) آبي ، أي أكره . (٥) يريد باللفظة : (مات سعد) الواردة في البيت
التالي . والأصلاب : عظام في الظهر ذات قمار من لدن الكاهل إلى العجب . وتفقرها ، أي تصيب هذه الفقار
فكسرهما . (٦) أقصده : أصاب مقتله . (٧) الصلاب ، أي الحجارة الصلبة . (٨) يشير إلى
زلازل فلسطين التي حدثت في ١١ يولييه سنة ١٩٢٧ م ، والذي عم خطبه كثيرا من البلاد الفلسطينية ،
فدمر كثيرا من الدور ، وأهلك عددا ليس بقليل من الأقمس ، وقد تبرع الفقيد لمكتوبي هذا الزلزال بمئة جنيه .

(١) قَدْ دُهِيمُكُمْ فِي دُورِكُمْ وَدُهِنَا * فِي نُفُوسٍ أَبْيَنَ إِلَّا أَحْتِسَابًا
(٢) فَفَقَدْتُمْ عَلَى الْحَوَادِثِ جَفْنًا * وَقَعَدْنَا الْمُهَنْدَ الْقِرْضَابَا
(٣) سَلَهُ رَبُّهُ زَمَانًا فَأَبَى * ثُمَّ نَادَاهُ رَبُّهُ فَأَجَابَا
قَلْدُ شَاءَ أَنْ يُزْلَزَلَ (مِصْرًا) * فَتَغَالَى فزُلْزَلَ الْأَلْبَابَا
(٤) طَاحَ بِالرَّأْسِ مِنْ رِجَالِ (مِصْرٍ) * وَتَحَطَّى التُّحُوتَ وَالْأَوْشَابَا
وَالْمَقَادِيرُ إِنَّ رَمَتْ لَا تُبَالِي * أَرُءَوْسًا تُصِيبُ أَمْ أَذْنَابَا
نَجَرَتْ أُمَّةٌ تُشَجِّعُ نَفْسًا * قَدْ حَوَى أُمَّةٌ وَبَحْرًا عُبَابَا
تَمْلُوكُهُ عَلَى الْمَدَافِجِ لَمَّا * أَتَجَزَّاهَامَ حَمْلُهُ وَالرَّقَابَا
(٥) حَالُ لَوْنِ الْأَصِيلِ وَالذَّمْعُ يَحْرِي * شَفَقًا سَائِلًا وَضُبْحًا مُذَابَا
وَسَهَا النَّيْلُ عَنْ سُرَاهُ دُهُولًا * حِينَ أَلْفَى الْجُبُوعَ تَبْكِي أَنْجَابَا
ظَنَّ يَا (سَعْدُ) أَنْ يَرَى مِهْرَجَانًا * فَرَأَى مَأْتَمًا وَحَشْدًا مُجْجَابَا
(٦) لَمْ تَسْقِ مِثْلَهُ فَرَاعِينَ (مِصْرٍ) * يَوْمَ كَانُوا لِأَهْلِيهَا أَرْبَابَا

(١) احتساباً، أى إن هذه النفوس جعلت هذا المصائب وأحاطها له فيما يسترها عند الله .

(٢) الجفن : الغمد . والمهند : السيف . والقرضاب : القطاع . يقول : إن ما ضاع من الفلسطينيين بالزلازل بالقياس الى ما ضاع منا كالغمد اذا قيس بالسيف . (٣) سله : شهره .

(٤) طاح به : ذهب به . والتحوت : السفلة . والأوشاب : الأخطا من الناس ؛ الواحد وشب (بالكسر) . (٥) يقول : إن لون الأصيل قد خيره الذموع التي كانت تجرى دماً ، فكانت كأنها شفق سائل ، أو صبح مذاب ؛ وفي لون الشفق والصبح حمرة وصفرة قشبان حمرة الدم وصفرة . (٦) مثله ، أى مثل هذا الحشد .

المراثى

٥٣٥

- (١)
خَضَبَ الشَّيْبُ شَبَبَهُمْ بِسَوَادٍ * وَمَا الْيَضُّ يَوْمَ مِتَّ الْخَضَابَا
(٢)
وَاسْتَهَلَّتْ سَحْبُ الْبُكَاءِ عَلَى الْوَا * دَى فَطَطْتُ خَضْرَاءَهُ وَأَلْيَا
(٣)
سَأَقْتُ (التَّيْمُسَ) الْعَزَاءَ إِلَيْنَا * وَتَوَخَّتُ فِي مَدْحِكَ الْإِنْهَابَا
لَمْ يَنْحُ جَارِعٌ عَلَيْكَ كَمَا نَا * حَتَّ وَلَا أَطْنَبَ الْحُبُّ وَحَاقِي
(٤)
وَأَعْتَرَفْتُ (التَّامِيزَ) يَا (سَعْدُ) مَقِيَا * سُّ لِمَا نَالَ نَيْلَنَا وَأَصَابَا
يَا كَبِيرَ الْفُؤَادِ وَالنَّفْسِ وَالْآ * مَا لِي أَيْنَ أَعْتَرَمْتُ عَنَّا الذَّهَابَا؟
كَيْفَ تَنْسَى مَوَاقِفًا لَكَ فِينَا * كُنْتُ فِيهَا الْمَيِّبَ لَا أَلْمِيَا؟
(٥)
كُنْتُ فِي مِيعَةِ الشَّبَابِ حُسَامًا * زَادَ صَفْقًا فِرْنْدُهُ حِينَ شَابَا
(٦)
لَمْ يُنَازِلْكَ قَارِخُ الْقَوْمِ إِلَّا * كُنْتُ أَقْوَى يَدًا وَأَعْلَى جَنَابَا
(٧)
عِظْمٌ لَوْ حَوَاهُ (كَتْرَى) أَنْوَشِر * وَارَبْ) يَوْمَا لَصَاقَ عَنْدهُ إِهَابَا
(٨)
وَمَضَاءُ يُرِيكَ حَدَّ قَضَاءِ اللَّهِ يَفْرِى مَتْنًا وَيَحْطُمُ نَابَا

- (١) يريد أن الشيوخ قد خضبوا شعورهم البيضاء بسواد الحداد، وترك النساء الخضاب حدادا على الفقيد . (٢) يقال : استهل المطر، إذا انهل واشتد أنصبابه . والياب : الفقر .
(٣) التيمس : جريدة المجليزية معروقة . (٤) التاميز : نهر في جنوب إنجلترا، ويريد بالتاميز والنيل : أهلها . (٥) ميعة الشباب : أوقته . وفرد السيف : وشيه ووجوهه .
(٦) يريد « بالقارخ » (هنا) : المكمل القوة، المستحكم العقل والتجربة من الرجال . والقارخ في الأصل من الأفراس : ما تمت أسنانه، وإنما تم في خمس سنين .
(٧) كبرى أنوشروان : ملك من ملوك الفرس معروف . والإهاب : الجلد . أى إن بدن كبرى لا يتسع لمثل هذا السم والعتق .
(٨) يفرى المتن، أى يقصم الظاهر . ويحطم الناب : يكسره .

- (١)
قَدْ تَحَدَّيْتَ قُوَّةَ تَمَلَّأَ الْمَعْدُ * مُورَ مِنْ هَوْلٍ بَطَّشَهَا إِزْهَابَا
- (٢)
تَمَلِّكَ الْبَرْ وَالْبَحَارَ وَتَمَشِي * فَوْقَ هَامِ الْوَرَى وَتَجْبِي السَّحَابَا
- (٣)
لَمْ يُنْهِنِهِ مِنْ عَزَمِكَ السَّجْنُ وَالنَّفْدُ * حَىٰ وَسَاجَلَتَهَا (بِمَصْرَ) الضَّرَابَا
- (٤)
سَائِلُوا (سَيْشَلَا) أَوْ جَسَّ خَوْفَا * وَسَلُّوا (طَارِقَا) أَرَامَ انْسِحَابَا؟
- عَزَمَةٌ لَا يَصُدُّهَا عَنْ مَدَاهَا * مَا يَصُدُّ الشَّيْءُ تَغَشَّى الْخِصَابَا
- لَيْتَ (سَعْدَا) أَقَامَ حَتَّى يَرَانَا * كَيْفَ نُعَلِّي عَلَى الْأَسَاسِ الْقِبَابَا
- قَدْ كَشَفْنَا بِهِذِيهِ كُلَّ خَافٍ * وَحَسِبْنَا لِكُلِّ شَيْءٍ حِسَابَا
- تُجَجُّ الْمُبْطِلِينَ تَمْضِي سِرَافَا * مِثْلَمَا تُطْلِعُ الْكُؤُوسُ الْحَبَابَا
- (٥)
حِينَ قَالَ : (أَتَيْتُ) قُلْنَا بَدَانَا * تَحْمِلُ الْعِبَاءَ وَحَدَانَا وَالصَّعَابَا
- (٦)
فَاتَّجَبُوا الشَّمْسَ وَأَحْبِسُوا الرُّوحَ عَنَّا * وَأَمْنَعُونَا طَعَامَنَا وَالشَّرَابَا
- (٧)
وَأَسْتَشِفُّوا يَقِيلُنَا رَغْمَ مَا نَدُّ * بَقَى فَهَلْ تَلْمَحُونَ فِيهِ آرْتِيَابَا؟

(١) يريد «بالقوة» : قوة الإنجليز . (٢) هام الوري : رومهم ، الواحدة هامة . ويريد بقوله « وتجبى السحابا » أن هذه الدولة لها ملك واسع ، بحيث أمطر السحاب وأنرج زرعاً كان ما يجبي من هذا الزرع لدولة الانجليز؟ وهو إشارة الى ما يروى من أن بعض الخلفاء رأى سحابة في الأفق فقال : امطري حيث تعطين فان ما تخرجيه من الزرع يجبي ثمراته اليانا . (٣) لم ينهه ، أى لم ينه عن مطلبه ولم يصرفه . وساجلتها الضرابا ، أى حاربت هذه القوة كما حاربتك . (٤) سيشل : جزيرة انجليزية في المحيط الهندي تقع الى الشمال من جزيرة مدغشقر ، وقد نفى اليها سعد زغلول باشا هو وبعض أصحابه سنة ١٩٢١م قتل من سيشل الى جبل طارق ، لأن جوق سيشل أضر به . (٥) حين حضرت سعد الوفاة ، سئل : كيف أنت ؟ فقال : «أنا أتيت» ، وإلى هذا يشير الشاعر . (٦) الروح : نسيم الريح . (٧) استشف الشيء : تيبته من وراء حجاب . يقول في هذا البيت والذي قبله مخاطباً الانجليز : إنا على الرغم مما تصبونه علينا من ألوان العذاب ثابتون على مبدئنا لانرتاب فيه ولا يزنحننا عنه منزعج .

- (١) قَدْ مَلَكْتُمْ فَمَ السَّبِيلِ عَلَيْنَا * وَفَتَحْتُمْ لِكُلِّ شَعْوَاءَ بَابًا
(٢) وَأَتَيْتُمْ بِالْحَائِمَاتِ تَرَامَى * تَحْمِلُ الْمَوْتَ جَائِمًا وَالْحَرَابَا
وَمَلَأْتُمْ جَوَانِبَ النَّيْلِ وَعَدَا * وَوَعِيدًا وَرَحْمَةً وَعَذَابَا
(٣) هَلْ ظَفِرْتُمْ مِنَّا بِقَلْبِ آيٍّ * أَوْ رَأَيْتُمْ مِنَّا إِلَيْكُمْ مَثَابَا
(٤) لَا تَقُولُوا خَلَا الْعَرِينُ فِيهِ * أَلْفَ لَيْثٍ إِذَا الْعَرِينُ أَهَابَا
(٥) فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ وَرُوعُوا حِمَاهَا * إِنَّ عِنْدَ الْعَرِينِ أَسَدًا غَضَابَا
جَزَعَ الشَّرْقُ كُلَّهُ لِعَظِيمٍ * مَلَأَ الشَّرْقُ كُلَّهُ إِعْجَابَا
عَلَّمَ (الشَّامَ) وَ(الْعِرَاقَ) وَ(تَجْدَا) * كَيْفَ يُحْمَى الْجَمَى إِذَا انْطَلَبُ نَابَا
(٦) جَمَعَ الْحَقُّ كُلَّهُ فِي كِتَابٍ * وَأَسْتَنَارَ الْأَسُودَ غَابًا فَنَابَا
وَمَشَى يَتِمُّ اللَّوَاءَ إِلَى الْحَقِّ * وَيَتَلَوُّ فِي النَّاسِ ذَاكَ الْكِتَابَا
كَلَّمَا أَسَدَلُوا عَلَيْهِ حِجَابَا * مِنْ ظَلَامٍ أَزَالَ ذَاكَ الْإِجْجَابَا
(٧) وَاقِفٌ فِي سَبِيلِهِمْ أَيْنَ سَارُوا * عَالِمٌ بِأَحْتِيَالِهِمْ أَيْنَ جَابَا

(١) السَّهْوَاءُ : الغارة المنشرة . (٢) يريد «بالحائمات» : الطائرات .

(٣) المئاب : الرجوع . يقول : إنكم بالغم في تعذيبنا ، فهل استطعتم أن تملوا إليكم فلما أيا من قلوبنا ، أو أن تملوا منا استسلاما لكم .

(٤) العرين : بيت الأسد ومأواه . وأهاب : دعا .

(٥) راعه يروعه : أزعجه ويخوفه . والضمير في «حماها» لمصر .

(٦) يشير بهذا البيت والذي قبله الى اقتفاء الممالك الشرقية أثر مصر واقتدائها بها في نهضتها والذود عن الأوطان .

(٧) أين جاب ، أى أين تنقل .

(١)
أَيُّ مَكْرِيْدُقٍ عَنْ ذِهْنٍ (سَعْدٍ) * أَيُّ خَتَلٍ يُرِيغُ مِنْهُ أَضْطِرَابًا؟
(٢)
شَاعَ فِي تَقْسِمِهِ الْيَقِيْنُ فَوْقًا * هُ بِهِ اللَّهْ عَثْرَةٌ أَوْ تَبَابًا
عَجَزَتْ حِيْلَةُ الشَّيْكَ وَكَانَ الشَّرْقُ لِلصَّيْدِ مَنَمًا مُسْتَطَابًا
كَلَّا أَحْكُمُوا بِأَرْضِكَ نَفًّا * مِنْ فِخْخِجِ الدَّهَاءِ خَابُوا وَخَبَابًا
(٣)
أَوْ أَطَارُوا الْحَمَامَ يَوْمًا لِرَبْجِلٍ * قَابَلُوا مِنْكَ فِي السَّمَاءِ عُقَابًا
(٤)
تَقْتُلُ الدَّسَّ بِالصَّرَاحَةِ قَتْلًا * وَتُسْقَى مُنَافِقَ الْقَوْمِ صَابًا
وَتَرَى الصَّدْقَ وَالصَّرَاحَةَ دِيْنًا * لَا يَرَاهُ الْمُخَالِفُونَ صَوَابًا
(٥)
تَعَشَّقُ الْجَوْ صَافِي اللَّوْنِ مَهْمَا * وَالْمُضِلُّونَ يَعْشُقُونَ الْقُسْبَابَا
أَنْتَ أَوْرَدْتَنَا مِنَ الْمَاءِ عَذْبًا * وَأَرَاهُمْ قَدْ أَوْرَدُونَا السَّرَابَا
قَدْ جَمَعْتَ الْأَحْزَابَ حَوْلَكَ صَفًّا * وَنَفَلْتَ الشُّيُوخَ وَالنُّوَابَا
(٦)
وَمَلَكْتَ الزَّيَامَ وَأَحْطَطْتَ لِلْنِّبَا * بِبِ وَأَذْرَكْتَ بِالْأَنَاءِ الطَّلَابَا
ثُمَّ خَلَفْتَ بِالْكِنَانَةِ أَبْطَا * لَا كَهَوْلًا أَعِزَّةً وَشَبَابَا

- (١) يدق : يشغى ويغنى . والخلل : الخلداع . ويرىغ منه : يريد على الاضطراب والخلوف .
(٢) وفاء : حفظه . والنياب : الخسران .
(٣) الحمام الزاجل : حمام كان يستعمل لنقل الرسائل . ويريد « بإرساله للزجل » هنا : السى لبث أخبار السوء وإضرار الفتنة . والعقاب : طائر من الجوارح تسميه العرب بالكاسر .
(٤) تسقى (بالتشديد) : تسقى (بالتحفيف) ، وشدد للبالغة . والصاب : عصارة شجر مر .
(٥) شبه في هذا البيت الصراحة في القول بصحوا الجوارح وصفاته ، والتفاق بظلمة النيم والضبباب .
(٦) الأناة : التاني .

(١) قَدْ مَشَى جَمْعُهُمْ إِلَى الْمَقْصِدِ الْأَسَدِ * حَتَّى يُغْذُونَ لِلْوُصُولِ الرِّكَابَا
يَتَنَوَّنَ الْعَلَا يَشِيدُونَ جَدًّا * يُسْعِدُونَ الْبَيْنَ وَالْأَعْقَابَا
(٢) قَدْ بَلَوْنَاكَ قَاضِيًا وَوَزِيرًا * وَرَيْسًا وَمِذْرَهًا خَلَابَا
فَوَجَدْنَاكَ مِنْ جَمِيعِ نَوَاحِيهِ * لَكَ عَظِيمًا مُوَفَّقًا غَلَابَا
(٣) لَمْ يَنْسَلْ حَاسِدُوكَ مِنْكَ مِنْهُمْ * لَا وَلَمْ يُلْصِقُوا بَعْلِيَّكَ حَابَا
(٤) نَمَّ هَيْئًا فَقَدْ سَهِنَتْ طَوِيلًا * وَسَيَّتِ السَّقَامَ وَالْأَوْصَابَا
(٥) كَمْ شَكَوْتَ الْمُهَادِبِي يَوْمَ كُنَّا * بِالْبَسَاتِينِ تَسْتَعِيدُ الشَّابَا
تَهَبُّ اللَّهُوْ فَاقْلَسِينَ وَكُنَّا * تَحْسَبُ الدَّهْرَ قَدْ أَنَابَ وَتَابَا
(٦) إِذَا الرُّزْءُ كَانَ مِنَّا بِمَرْمَى * وَإِذَا حَائِمُ الرَّدَى كَانَ قَابَا
حَرَمَتْنَا الْمَنُونُ ذِيَالِكَ الْوَجْهَ * لَهُ وَذَلِكَ الْحَمَى وَتِلْكَ الرَّحَابَا
وَسَجَايَا لَهْنٍ فِي النَّفْسِ رَوْحَ * يَعْدِلُ الْقَوْزَ وَالْدَّمَاءَ الْجُحَابَا
(٧) كَمْ وَرَدْنَا مَوَارِدَ الْأَنْسِ مِنْهَا * وَرَشَفْنَا سُلاَفَهَا وَالرُّضَابَا
وَمَرَحْنَا فِي سَاحِلِهَا فَلَنَسِينَا أَلْ * مَأْهَلَ وَالْأَصْدِقَاءَ وَالْأَحْبَابَا

- (١) يقال : أغد فلان السير وفي السير ، إذا أسرع . (٢) بلوناك ، أى اختبرناك .
والمدره : خطيب القوم ولسانهم ؛ ويطلق في هذا المعنى على الحامى : (٣) العاب : العيب .
(٤) الأوصاب : الأمراض والأوجاع الدائمة . (٥) يريد «البساتين» : بساتين فتح الله
بركات باشا التى تقع قرية من مدينة بليس من أعمال الشرقية ، وقد كان الشاعر بها مع العقيد .
(٦) قابا ، أى قريبا . (٧) السلاف : ما تحلب وصال قبل العصر ، وهو أجود الخمر .
والرضاب : لعاب العسل .

ثُمَّ وَلَّتْ بِشَاشَةِ الْعَيْشِ عَنَّا * حِينَ سَارُوا فَوْسَدُواكَ التُّرَابَا
(١)
خِيفَتْ فِينَا مَقَامَ رَبِّكَ حَيًّا * فَتَنْظُرُ بِجَنَّتِيهِ الشُّوَابَا

رثاء أمين الرافعي بك^(٢)

أنشدها في الحفل الذي أقامه الحزب الوطني لذكرى الشهداء في ١٦ فبراير سنة ١٩٢٨ م

أَمَّا (أَمِينُ) فَقَدْ دُقْنَا لِمَصْرَعِهِ * وَخَطْبِهِ مِنْ صُنُوفِ الْحُزْنِ أَلْوَانَا
لَمْ تُنْسِنَا ذِكْرَهُ الدُّنْيَا وَإِنْ تَسَجَّتْ * لِلزَّاحِلِينَ مِنَ النَّسِيَانِ أَكْثَفَانَا
(٣)
مَضَى تَقِيًّا عَفِيفَ النَّفْسِ مُحْتَسِبَا * فَهَدَّ مِنْ دَوْلَةِ الْأَخْلَاقِ أَرْكَانَا
(٤)
بَحَرَتْ عَلَى سَتَرِ التَّوْحِيدِ نَسَائُهُ * فِي اللَّهِ وَالرَّأْيِ إِخْلَاصًا وَإِيمَانَا
(٥)
لَمْ يُلَوِّهِ الْمَالُ عَنْ رَأْيِ يَدِينُ بِهِ * (وَلَوْ حَمَلَتْ إِلَيْهِ الدَّهْرَ مَلَانَا)
(٦)
وَلَمْ يَلْنِ عَوْدُهُ لِلْخَطْبِ يُرْهِقُهُ * قَسَا عَلَيْهِ شَدِيدُ الْعَيْشِ أُمُّ لَانَا
ظَلَمُ مِنَ الْقَبْرِ أَنْ تَبْلَى أُنَامِلُهُ * فَكَمْ رَمَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ خَانَا

(١) تنظر : انتظر . ويشير هذا البيت الى قوله تعالى : «ولن خاف مقام ربه بحتان» .

(٢) ولد المرحوم أمين الرافعي بك في ديسمبر سنة ١٨٨٦ م ، وتوفي في ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٢٧ م ، وهو الكاتب السياسي المعروف ، صاحب جريدة الأنتبار ، وكانت له في النهضة القومية مواقف مشهودة .

(٣) محتسبا ، أى متخرا عند الله ما قدمه من عمل صالح . . (٤) السنن : الطريقة .

(٥) لم يلوه ، أى لم يصرفه . والشرط الثاني في غز بيت التنبي من قصيدة يمدح بها أبا سهل سعيد بن عبد الله ، وصدره : «ولا أمر بما غري الجديد به» ومطلعها :

قد علم الين منا الين أجفانا * تدى وألف في ذا القلب أحرانا

(٦) لان عوده : ضعف . ويرهقه : يحمله ما لا يطيق .

- (١) كَأَمْتِ مَطِيَّةَ سَبَاقِ جَوَانِبِهِ * يُرْوِيكَ فَيَاضُهَا صِدْقًا وَعِرفَانًا
عِشْرُونَ مَامَا عَلَى الطَّرِيسِ الطُّهُورِ جَرَى * مَا خَطَّ فَاخِشَةً أَوْ خَطَّ بُهْنَانَا
يُجَوِّلُ بَيْنَ رِيَاضِ الْفِكْرِ مُقْتَطِفًا * مِنْ طِيبِ مَغْرِمِهَا وَرَدًّا وَرَيْنَانَا
فَيَنْشَقُّ اللَّذْنُ مِنْ أَسْطَارِهِ أَرْجَا * وَتُبْصِرُ الْعَيْنُ فَوْقَ الطَّرِيسِ بُسْتَانَا^(٢)
(أَمِينُ) فَارَقْتَنَا فِي حِينٍ حَاجَتِنَا * إِلَى قَتَى لَا يَرَى لِيَالِ سُلْطَانَا
إِلَى أَمِينٍ عَلَى أَوْطَانِهِ يَقِظُ * ذِي مِرَّةٍ يَتَلَقَّى الْخَطْبَ جَذَلَانَا^(٣)
أَيْلَسُ الْخَزْمَ مَنْ لَأَنْتَ مَهْزَتُهُ * وَأَنْتَ تَخْرُجُ مِنْ دُنْيَاكَ عُرْيَانَا^(٤)
إِنَّ الْقَنَاعَةَ كَثُرَتْ حَارِسَهُ * تَرَى بِهِ الْقُوْتَ يَاقُوتًا وَمَرْجَانَا^(٥)
فَمَا سَعَيْتَ لَغَيْرِ التَّحْمِيدِ تَكْسِبُهُ * وَلَا رَضِيتَ لَغَيْرِ الْحَقِّ إِذْ طَانَا
أَوْدَى بِكَ (السُّكْرُ) الْمُضْنِي وَلَا يَعْجَبُ * أَنْ يُورِثَ الْخُلُومُ مَرَّ الْعَيْشِ أَحْيَانَا^(٦)
مَا هَانَ خَطْبُكَ وَالْأَخْلَاقُ وَالهَيْئَةُ * تَبْكِي عَلَيْكَ إِذَا خَطَبْتَ أَمْرِي هَانَا^(٧)
(أَمِينُ) حَسْبُكَ مَا قَدَّمْتَ مِنْ عَمَلٍ * فَأَنْتَ أَرْجَحْنَا فِي الْحَشِيرِ مِيزَانَا

(١) يريد « بالسباق » : القلم . ويريد « بجوانبه » : شقيه ، وفياضها ، أى التى تفيض بالمعاني والأفكار .

(٢) أريج الزهر : قمته وطيب ريحه . والطريس : الصحيفة يكتب فيها .

(٣) المزة : القوة والشدة . والجذلان : الفرح (يكره الزاء) . (٤) الخز : الحرير .

ومن لانت مهزته ، أى من كان ضعيفا فى طلب الحق والدفاع عنه ، وكان لينا لناصب وطنه .

(٥) يريد بقوله : « ترى به القوت ... » الخ : أنه يكفى من حطام الدنيا بالقوت ، ويرى أنه يعدل

اليقوت والمرجان فى نقاستهما ، فلا يمتد طمعه الى عرض الدنيا قناعة منه . (٦) أودى به :

ذهب به وأهلكه . والسكر ، هو ذلك المرض المعروف ، وبه مات الفقيه . (٧) والهة : حزية .

أَبَشِّرْ فَإِنَّكَ فِي أَخْرَاكَ أَسْعَدْنَا * حَظًّا وَإِنْ كُنْتَ فِي دُنْيَاكَ أَشْقَانَا
 بَلِّغْ ثَلَاثَتَكُمْ عَنَّا تَحِيَّتَنَا * وَأَذْكُرْ لِمَ مَا يُعَانِي قَوْمَنَا الْآثَا^(١)
 وَأَضَرَّ إِلَى اللَّهِ فِي الْفِرْدَوْسِ مُبْتَلَا * أَنْ يَحْرُسَ النَّيْلَ مِنْ رَامَ طُفْيَانَا

رثاء الدكتور يعقوب صروف^(٢)

أنشدتها في الحفل الذي أقيم لتأبينه بدار الأوبرا الملكية في ٢٠ مارس سنة ١٩٢٨ م

أَبْكِي وَعَيْنُ الشَّرْقِ تَبْكِي مَعِي * عَلَى الْأَرِيْبِ الْكَائِبِ الْأَلْمِي^(٣)
 جَرَى عَصَى الدَّمْعِ مِنْ أَجْلِهِ * فَرَادَ فِي الْجُودِ عَلَى الطَّيْعِ^(٤)
 نَقَصَ مِنَ الشَّرْقِ وَمِنْ زَهْوِهِ * فَقَدْ الْيَرَاغِ الْمُعْجِزِ الْمُبْدِعِ^(٥)
 لَيْسَ لِمُصِيرٍ فِي رِجَالِهَا * حَظٌّ وَلَا لِلشَّامِ فِي أَرْوَعِ^(٦)
 مُصَابُ (صُرُوفٍ) مُصَابُ النَّهْيِ * فَلْيُنْكِهِ كُلُّ فُوَادٍ يَسِي^(٧)
 كَرَّمَ بِالْأَمْسِ وَأَكْفَانُهُ * تَلَسُّجُهَا الْأَقْدَارُ لِلصَّرَعِ^(٨)
 يَا صَائِغَ الدَّرِّ لَتَكْرِيْمِهِ * صُغَّهُ لِمَنْعَاهُ مِنَ الْأَدْمَعِ

(١) برید «بالثلاثة» : المرحومين : مصطفى كامل ، ومحمد فريد ، وعلى فهمي كامل .

(٢) انظر التمریف بالدكتور یعقوب صروف (فی الحاشیة رقم ٢ من صفحہ ١٥٤ من الجزء الأول) .

(٣) الأریب : العاقل ، والألمی : الذکی المتوقد . (٤) برید «بعضی الدمع» : الدمع الذی

یمتنع عند نزول المصائب عزة وأمة من البکاء . (٥) الزهو : الکبر والفخر . (٦) الأروع :

الشهم الذکی الفؤاد . (٧) یسی : یحفظ . (٨) یشیر بقوله «كرم بالأمس» :

إلى الاستفحال بالیوبیل الذهبی لجهة المتطفت الذی أقيم فی سنة ١٩٢٧ م ، وأُنشد فیہ حافظ قصیدة نشرت فی هذا الدیوان .

قَدْ زَيْنَ الْعِلْمَ بِأَخْلَاقِهِ * فَعَاشَ مِلَّةَ الْعَيْنِ وَالْمُسْمَعِ
 تَوَاضَعٌ وَالْكِبَرُ دَابُّ الْفَتَى * خَلَا مِنْ الْفَضْلِ فَلَمْ يَنْفَعِ
 تَوَاضَعُ الْعِلْمِ لَهُ رَوْعَةٌ * يَنْهَارُ مِنْهَا صَلَفٌ الْمُدْعَى^(١)
 وَحُلَّةُ الْفَضْلِ لَهَا شَارَةٌ * أَزْهَى مِنَ السَّيْفَيْنِ وَالْمُدْفَعِ
 يُشْبِعُ مَنْ حَصَلَ مِنْ عِلْمِهِ * وَهُوَ مِنَ التَّحْصِيلِ لَمْ يَشْبَعِ
 مُبَكَّرٌ تَحَسَّبُهُ طَالِبًا * يُسَاقُ الْفَجْرَ إِلَى الْمَطْلَعِ
 قَدْ قَالَتْ الْأَسْقَامُ أَضْلَاعَهُ * وَالرَّأْسُ فِي شُغْلٍ عَنِ الْأَضْلَعِ
 مَاتَ وَفِي أُنْمُلِهِ صَارِمٌ * لَمْ يَنْبُ فِي الضَّرْبِ عَنِ الْمَقْطَعِ
 صَاحِبَهُ تَحْسِينٍ حَامًا فَلَمْ * يُخْنِ لَهُ عَهْدًا وَلَمْ يُخْجَعِ^(٢)
 مُوَفَّقًا أَتَى جَرَى مُلْهَمًا * مَا ضَلَّ فِي الْوَرْدِ عَنِ الْمَشْرِعِ^(٣)
 لَمْ يَرِهِ بَارِ سِوَى رَبِّهِ * وَلَمْ يُحْزِهِ جَاهِلٌ أَوْ دَعَى^(٤)
 فِي التَّقْوِيلِ وَالتَّصْنِيفِ أَرْبَى عَلَى * مَدَى (أَبْنِ يَحْيَى) وَمَدَى (الْأَصْمَعِيُّ)^(٥)

(١) الصلف: الكبر. (٢) شبه القلم بالصارم، وهو السيف. ونبأ السيف عن الضريرة ينو: كل
 وارتد عنها. (٣) المشرع: المورد الذي يستقي منه. (٤) خفف الياء في «دعى» لضرورة القافية.
 (٥) يريد «بالنقل»: ترجمة الكتب والمباحث من اللغات الأجنبية، وكان الدكتور صروف من أهم
 العلماء في هذا الباب. وابن بحر، هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى بالقالج النضوي سنة ٢٥٥هـ. ولد
 بالبصرة ونشأ بها، وأخذ العلم عن جهاذة الثوريين والرواة، ويخرج في علم الكلام على أبي إسحاق النظام،
 ونصر مذهب الاعتزال. ومؤلفاته كثيرة لا ينفع لها المقام. والأصمعي، هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب،
 ولد سنة ١٢٣هـ ونشأ بالبصرة، وأخذ العربية والحديث والقراءة عن أئمتها، وأكثر الخروج إلى البادية،
 وشافه الأعراب وسأكنهم، وكان من تلامذة الخليفة الرشيد؛ وتوفي في سنة ٢١٦هـ، وأكثر مؤلفاته في اللغة.

أَيَّ سَبِيلٍ لِلْهُدَى لَمْ يَرِدْ * وَأَيَّ بَابٍ مِنْهُ لَمْ يَقْرَعْ
 يَنْقِطُ الزَّمَرُ وَيَخْتَارُهُ * كَالنَّحْلِ لَا يَعْفُو عَنِ الْإِنْعِ
 فَتَحَسَّبُ الْقُرَاءُ فِي جَنَّةٍ * عُقُوبَتُهُمْ فِي رَوْضِهَا تَرْتَمِي
 (صُرُوفٌ) لَا تَبْعُدُ فَلَسْتَ الَّذِي * يَطْوِيهِ طَائِي ذَلِكَ الْمَضْجَعِ
 أَسْكَنَكَ الْمَوْتَ وَلَكِنَّهُ * لَمْ يُسَكِّتِ الْآثَارَ فِي الْمَجْمَعِ
 ذِكْرَكَ لَا تَنْفَكُ مَوْصُولَةٌ * فِي مَعْهَدِ الْعِلْمِ وَفِي الْمَصْنَعِ

رثاء عبد الخالق ثروت باشا^(٢)

أُنشدها في الحفل الذي أقيم بالأوبرا الملكية لابنته في يوم السبت ١٠ نوفمبر سنة ١٩٢٨ م

(٣)

لَعِبَ الْيَسْلَى بِمُلَايِبِ الْأَلْبَابِ * وَحَمَا بِشَاشَةِ قَمَّكَ الْخَلَابِ

(٤)

وَطَوَى الرَّدَى (عَمْرُو) الْكِئَانَةَ ظَافِلًا * وَرَمَى شِهَابَ دَهَائِهِ بِشِهَابِ

(١) لا يعفون عن الأنيق، أي لا يترك الناصر من الزهر إلا أصاب منه طعامه .

(٢) عبد الخالق ثروت باشا، هو ابن اسماعيل عبد الخالق باشا، من كبار رجال مصر في عصره .
 ولد ثروت باشا في سنة ١٨٧٣ م، وبعد أن تعلم في مصر وتول شهادته الحقوق تقلد عدة مناصب قضائية وإدارية، وهو أول مصري تولى منصب النيابة العمومية، وتولى رئاسة الوزارة في سنة ١٩٢٢ م، وتم في عهد وزارته حصول البلاد على تصريح ٢٨ فبراير المعترف فيه من بريطانيا باستقلال مصر وسيادتها .
 ثم رأس الوزارة مرة أخرى أيام تآلف الأحزاب المصرية، ثم اعتزل السياسة أخيراً، وسافر إلى باريس للاستشفاء بها، وتوفي في ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٢٨ م . وكان من سؤام مصر المعترف بمجذفهم ويصرهم بشؤون السياسة والحكم . (٣) يريد «ملاييب الألباب» : وصف الفقيد بسحر المنطق . وفي كتب اللغة أن ميم القم تشدد في الشعر كما هنا . (٤) يريد بقوله «عمر الكئانة» : تشبيه الفقيد بعمر بن العاص المخزومي أحد الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وكان معروفاً بالدهاء والكياسة والخروج من مأزق الأمور، والقوة على مكابدة الخصوم، وهو فاتح مصر في خلافة عمر بن الخطاب، وكان أميراً عليها حتى عزله عنها عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، وتوفي في خلافة معاوية سنة ٤٣ هـ .

مَنْ كَانَ يَدْرِي يَوْمَ سَافَرَانِهِ * سَفَرٌ مِنَ الدُّنْيَا بِفَسْرِ إِيَابِ
 خَرَّتْ عَلَيْهِ عُقُولُنَا وَقُلُوبُنَا * وَبَكَتْ، وَحَزَنُ الْعَقْلِ شَرُّ مُصَابِ
 الْقَلْبِ يُنْسِيهِ الْغِيَابُ أَلْفَهُ * وَالْعَقْلُ لَا يُنْسِيهِ طُولُ غِيَابِ
 بِالْأَمْسِ مَاتَ أَجَلُنَا وَأَعَزَّنَا * جَاهًا وَأَبْقَانَا عَلَى الْأَحْقَابِ
 وَالْيَوْمَ قَدْ ظَالَ الْحِمَامُ أَمَدَنَا * رَأْيَا فُطَّاحَ بِحِكْمَةٍ وَصَوَابِ
 رَأْسٍ يَدْبُرُ فِي الْخَفَاءِ كَأَنَّهُ * قَدَّرَ يَدْبُرُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ
 حَتَّى إِذَا أَرَضَى النَّهْيَ وَتَنَاسَقَتْ * آيَاتُهُ رَاعَ السَّوْرَى بِحُجَابِ
 يَمْشِي عَلَى سَنَنِ الْيَحْيَا مُتَمَهِّلًا * بَيْنَ الْعُدَاةِ الْكَثْرِ وَالْأَحْبَابِ
 تَنَاقَرُ الْأَقْوَالُ عَنْ جَنَابِهِ * مِنْ شَائِنٍ وَمُنَاصِرٍ وَمُحَابِ
 لَا أَلْمَذَحُ يُغْيِرُهُ وَلَا يُبْلَوِي بِهِ * عَنْ تَجْدِيدِ الْمَرْسُومِ وَقَعِ سَبَابِ
 حُلُوُ التَّوَاضُّعِ لَمْ يُخَالِطْ نَفْسَهُ * زَهْوُ الْمِدْلِ يُحَاطُ بِالْإِعْجَابِ
 حُلُوُ الْأَنَاءِ إِذَا يُسْوَسُ وَعِنْدَهُ * أَنْبُ التَّعَجُّلِ آفَةُ الْأَقْطَابِ
 حُلُوُ السُّكُوتِ كَكُوكِبٍ مُتَالِقٍ * وَاللَّيْلُ سَاجٍ أَسْوَدُ الْجَلْبَابِ

- (١) يريد بقوله : «أجلنا» إلخ الرحوم سعد زغول باشا زعيم الأمة . والأحقاب : الدهور .
 (٢) غال : أهلك . والحمام (بكسر الحاء) : الموت . (٣) تناسقت ، أى توافقت وتناهت
 على نسق ونظام واحد . (٤) السنن (بالتحريك) : الطريق . والحجا : العقل . والكتر : الكثرة .
 (٥) الشائِن : المفض . (٦) ألقى به عن الطريق . حاد به عنه . والتجدد : الطريق اليين
 الواضح ، قال تعالى : (وهديناه النجدين) . (٧) الزهو : الكبر . (٨) الأناء : الثاني في الأمر .
 (٩) المتألق : المشرق . وسجا الليل يسجو : ركذ ظلامه ودام .

يَهْدِي السَّيْلَ لِسَالِكِيهِ وَلَمْ يَرُدْ * شُكْرًا وَلَمْ يَعْمَلْ لِنَيْلِ ثَوَابِ
 (١) مُتَمَكِّنٌ مِنْ نَفْسِهِ لَمْ يَعْرِهُ * قَلَقُ الضَّعِيفِ وَحَيْرَةُ الْمُتَرَاتِبِ
 يَزِنُ الْأُمُورَ كَأَنَّمَا هُوَ صَرِيفٌ * يَزِنُ النَّضَارَ بِدَقَّةٍ وَحِسَابِ
 وَيَحُلُّ غَايِضَهَا بِشَاقٍ ذِيهِهِ * حَلَّ الطَّيِّبِ حَنَاصِرَ الْأَعْشَابِ
 (٢) وَيَقْيِسُ شُقَّتَهَا بِمَقْيَاسِ النَّهْيِ * فَتَرَى صَحِيحَ قِيَاسِ (الْأَصْطِرْلَابِ)
 (٣) مُتَبَسِّمٌ وَعَلَى مَعَارِفٍ وَجْهِهِ * آيَاتُ مَا يَلْقَى مِنَ الْأَوْصَابِ
 (٤) شِمٌّ تَرُدُّ النَّاقِمِينَ لَوُدِّهِ * وَشِمَائِلُ تَسْتَلُّ حَقْدَ النَّبَايِ
 (٥) يُرِضِي الْمُرْتَلَّ فِي الْكَنِيسَةِ صُنْعُهُ * كَنِيسًا وَيُرِضِي سَاكِنَ الْمِحْرَابِ
 (٦) يَرْتَاحُ لِلْعُرُوفِ لَا مُتَرَبِّحًا * فِيهِ وَلَا هُوَ فِي الْجَيْلِ مُرَايِ
 يُرْوَى الصِّدِّيقَ مِنَ الْوَفَاءِ وَلَمْ يَكُنْ * بِالْحَاسِدِ النُّعْمَى وَلَا الْمُغْتَابِ
 (٧) لَمْ يَبْدُ فِينَا جَاوِزًا أَوْ غَاضِبًا * لَا هُمْ إِلَّا غَضَبَةُ النَّوَابِ
 (٨) وَبُكَاءُهُ فِي يَوْمِ (سَعْدٍ) زَادَنِي * عَلَّمَا بَانَ الْيَوْمَ يَوْمَ تَبَابِ

(١) لم يمره، أي لم يصبه .

(٢) الشُّقَّة : المسافة . والاصطرلاب : آلة تعرف بها المسافات بين النجوم ، وهي كلبة يونانية

الأصل . (٣) مَارَفُ الْوَجْهِ : ملاحه وما يعرف به ، والأرصاب : الأمراض ؛ الواحد

وصب (بالتحريك) . (٤) يريد أن هذه الشمائل تستخرج حقد العدو المرص عنه وتردّه الـ

مودة . والنابي : المنصرف عنه . (٥) الكهيس : العقل . يقول في هذا البيت : إنه بسياسة

وعقله ينال رضا المسلمين والنصارى . (٦) لا مترجحا ، أي لا طالبا رجحا . (٧) لاهم ، أي

اللهم . ويريد بهذا البيت أنه لا يتغضب لشخصه ولا يحزن لمنفعة فاته ، وإنما يغضب غضبة الناب من

الأمة في سبيل المصلحة العامة . (٨) التباب ، الخسران .

- (١)
قَامَتْ صِعَابٌ فِي مَسَالِكِ سَعِيهِ * مِنْ بَعْدِ (سَعِيدٍ) دُعِمَتْ بِصِعَابِ
(٢)
فَظْهِيرُهُ عِنْدَ النَّضَالِ وَرُكْنُهُ * أَمْسَى حَلِيَّتَ جَنَادِلٍ وَتُرَابِ
(٣)
لِلَّهِ سِرٌّ فِي بِنَايَةِ (ثُرُوتٍ) * سُبْحَانَ بَانِي هَذِهِ الْأَعْصَابِ
إِنِّي سَأَلْتُ الْعَارِفِينَ فَلَمْ أَفْزُ * مِنْهُمْ عَلَى عَرَفَانِهِمْ يَحَوِّبِ
(٤)
هُوَ مُسْتَقِيمٌ مَلْتَوٍ، هُوَ لَيِّنٌ * صُلْبٌ، هُوَ الْوَاعِي، هُوَ الْمُتَغَابِي
(٥)
هُوَ حَوْلٌ، هُوَ قَلْبٌ، هُوَ وَاضِحٌ * هُوَ غَامِضٌ، هُوَ قَاطِعٌ، هُوَ نَابِي
(٦)
هُوَ ذَلِكَ الطَّلَسُّ مِنْ أَعْيَا الْجَمَا * حَلًّا وَمَاتَ وَلَمْ يَقْزُ بِطِلَابِ
(٧)
هُوَ مَا تَرَاهُ مُقَاوِضًا كَيْفَ أَنْبَرَى * لَكَبِيرِهِمْ بِذَكَائِهِ الْوَتَابِ
(٨)
لَمْ يَأْتِ مِنْ بَابٍ لَصِيدِ دَهَائِهِ * إِلَّا نَجَا بِدَهَائِهِ مِنْ بَابِ
(٩)
وَيَظُلُّ رِقْبَهُ وَيَغْزُو كِبَرَهُ * بِلُيُونَةٍ وَلَبَاقَةٍ وَخِلَابِ

- (١) دُعِمَتْ بِصِعَابٍ، أى صِعَابٍ فَوْقَ صِعَابٍ . وَالتَّدْعِيمُ : التَّقْوِيَةُ . يَشِيرُ بِهَذَا الْبَيْتِ وَالَّذِي بَعْدَهُ إِلَى أَنَّ الْفَقِيدَ كَانَ يَفَاوِضُ الْإِنْجِلِيزَ فِي الْقَضِيَّةِ الْمِصْرِيَّةِ سَنَةَ ١٩٢٧ م قَبْلَ مَوْتِ سَعِيدٍ فِي وَزَارَةِ الْإِتِّلَافِ ، فَلَمَّا مَاتَ سَعِيدٌ فِي أَثْنَاءِ تِلْكَ الْمَقَاوِضَةِ ، أَمِنَ الْبَرِيطَانِيُونَ ذَلِكَ الْجَانِبَ الْخَوْفَ ، وَتَشَدَّدُوا فِيمَا كَانُوا يَرِيدُونَ مِنْهُ لِمِصْرَ قَبْلَ ذَلِكَ ، وَعَادَ ثُرُوتٌ بِمَشْرُوعِ الْعَاهِدَةِ لَمْ يَقْبَلْ .
(٢) الظَّهِيرُ : الْمَعِينُ . وَيُرِيدُ بِهِ سَعِيدًا . وَالْجَنَادِلُ : الْحِجَابَةُ .
(٣) بِنَايَةُ ثُرُوتٍ ، أَيْ تَكْوِينُهُ وَخَلْقُهُ (بِفَتْحِ فَسْكَوْنِ) . (٤) الْوَاعِي : الْحَافِظُ . وَالْمُتَغَابِي : مَدْعَى النِّبَاةِ .
(٥) الْحَوْلُ الْقَلْبُ : الْحَاقِظُ الْبَصِيرُ بِتَغْلِيْبِ الْأُمُورِ وَتَحْوِيلِهَا ، لَا تَوْخِذَ عَلَيْهِ طَرِيقَ إِلَّا لِقَاءَ فِي غَيْرِهَا . (٦) الضَّمِيرُ فِي «مَاتَ» ، الْفَقِيدُ ، وَفِي «يَغْزُ» : لِحْجَا .
(٧) كَبِيرِهِمْ ، أَيْ كَبِيرَ الْإِنْجِلِيزِ ، وَيُرِيدُ بِهِ الْمُسْتَرَاوِسْتَنَ تَشْمِيرْلِينَ وَزَيْرْخَارِجِيَّةَ الْبَحْلَرَا ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ يَفَاوِضُ الْفَقِيدَ إِذْ ذَاكَ . (٨) الضَّمِيرُ فِي «يَأْتِي» : لِكَبِيرِ الْإِنْجِلِيزِ . وَفِي «نَجَا» : ثُرُوتُ .
(٩) الْخِلَابُ : الْخَطَاةُ وَالْدَهَاءُ .

- (١) وَيَرُوضُهُ حَتَّى يَرَى أَسْطُولَهُ * خَشَبًا تَنَاقَرُ فَوْقَ ظَهْرِ عُبَابِ
(٢) وَيَرَى صُنُوفًا مِنْ ذَكَاءٍ صُفِّقَتْ * دُونَ الْجَنَى تُعْبَى أَسْوَدَ الْغَابِ
(٣) وَأَتَى بِأَقْصَى مَا يَنَالُ مُفَاوِشُ * يُسَمَّى بِغَيْرِ حِكَايِبٍ وَحِرَابِ
(٤) وَأَسْتَلَّ مِنْ أَشْدَاقِ آسَادِ الشَّرَى * عَلَمًا عَضُفْنَ عَلَيْهِ بِالْأَنْيَابِ
(٥) خَلَقًا خَبَا ضَوْؤُهُ إِهْلَالٍ لَطِيفٍ * جَمَّ التَّوَجُّعِ دَائِمِ الْأَهْدَابِ
فَاخْضَرَّ فَوْقَ رُبُوعٍ مِصْرَ عُدَّةٍ * فِي مَنَاطِيقِ خِصْبٍ وَرَحْبِ جَنَابِ
(٦) إِنْ فَاتَهُ بَعْضُ الْأَمَانِيِّ فَاذْكُرُوا * أَنَا أَمَامَ مُحْتَكِكِينَ صِلَابِ
(٧) قَدْ جَارَتْ نِيهَاةُ الْأُمُورِ وَلَمْ يَكُنْ * فِي وَغْرِهَا وَهْكَؤُودِهَا بِالْكَابِ
(٨) رَجُلٌ يُفَاوِشُ وَنَعْدَهُ عَنْ أُمِّهِ * إِنْ لَمْ يَفُزْ فَوْزًا فَلَيْسَ بِعَابِ
(٩) رَفَعَ الْحِمَايَةَ بَعْدَ مَا بُسِطَتْ لَلَّ * أَنْبَاءِ (مِصْرَ) وَأَيَّدَتْ بِحِثَابِ

- (١) يروضه أى يسوسه وأصله من رياضة الدواب، أى تذليلها وتيسير ما صعب منها . والعباب :
بلعة البحر . (٢) الحمى ، أى مصر ، يريد بهذا البيت : أن ذكاء الفقيد كان حصنا للبلاد وقوة لها .
(٣) الكتائب : فرق الجيش . (٤) يشير بهذا البيت إلى تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢م الذى
وضع الحماية عن مصر ، وأصرّف الإنجليز فيه باستقلالها . والفضل فى ذلك لثروت باشا الذى كان رئيسا للوزارة
إذ ذاك . ويريد « بأساد الشرى » الإنجليز . (٥) يصف هذا العلم المصرى بأنه رث بال من طول
ماعانى من أذى للمستعبرين ، وأن ضوء الهلال قد خبا حزنا لطيف بأيدى الفاسقين . ونحو الهلال بالذكر ،
لأنه شعار هذا العلم . (٦) يريد « بالحتكين الصلاب » : الإنجليز . والحتك : الذى أحكته التجارب .
(٧) النباه : الصحراء التى يفضل فيها السائر . والكؤود من العقبات : الصعبة الشاقة على من صعداها .
والكابي : العائر . (٨) فوزا ، أى فوزا كاملا . والماب : العيب . (٩) يريد الكتاب
الذى أرسله حكومة الإنجليز الى المفرد له السلطان حسين كامل على يد الجنرال مكسويل قائد الجيوش
البريطانية فى مصر إذ ذاك بوضع مصر تحت الحماية البريطانية ، وذلك فى ديسمبر سنة ١٩١٤ م .

وَأَيُّ (لِمَصْرَ) وَأَهْلِهَا بِسَيَادَةٍ * مَرْفُوعَةِ الْأَعْلَامِ وَالْأَطْنَابِ
 غَفَرًا فَلَسْتُ بِبَالِغٍ فِيكَ الْمَدَى * لَأَنِّي غَذَذْتُ إِلَى مَدَاكَ رِكَابِي^(١)
 كَمْ مَوْقِفٍ لَكَ فِي الْجِهَادِ مُسَجِّلٍ * بِشَهَادَةِ الْأَعْدَاءِ وَالْأَنْصَابِ
 فِي خَطْبِ مِصْرَ (بَطْرُسٍ) أَخَذَتْهَا * مَشْبُوبَةً كَانَتْ عَلَى الْأَبْوَابِ^(٢)
 أَلَفْتُ بَيْنَ الْعُصْرَيْنِ فَأَصْبَحَا * رَتْقًا، وَكُنْتُ مَوْقِفَ الْأَسْبَابِ^(٣)
 خَالَفْتُ فِيكَ الْجَائِزِينَ فَلَمْ أَتُخَّ * حُزْنًا حَلِيكَ وَأَنْتَ مِنْ أَتْرَابِي
 النَّوْحُ فِي الْجُلَى أَجْتِهَادُ مُقَصِّرٍ * أَلْفَى دُمَاءَ الصَّبْرِ غَيْرَ مُجَابِ^(٤)
 فَأَنَا الَّذِي يَتَكَيَّ بِشِعْرِ خَالِدٍ * يَبْقَى عَلَى الْأَجْيَالِ لِلْأَعْقَابِ
 قَدْ كُنْتُ تُحْسِنُ بِي وَتَرْقُبُ جَوَلِي * فِي حَلَبَةِ الشَّعْرَاءِ وَالْكُتَابِ
 وَتَهْشُّ إِنِّي لَأَقْتَنِي وَتُحْضِنِي * بِالْيُسْمِرِ فِي نَادِيكَ وَالتُّرْحَابِ
 فَأَذْهَبَ كَمَا ذَهَبَ الرَّيْعُ بَنُورِهِ * تَأْمَى الرِّيَاضُ عَلَيْهِ غَبَّ ذَهَابِ^(٥)

- (١) غَذَذْتُ : أَمَرْتُ . يقول : إنه قد حدث مطايا الشعر واجتهد في أن يبلغ مدى وصف الفقيد فلم يستطع . والذي في كتب اللغة : «أغذذت» بالهمز في أوله .
- (٢) بشير بهذ البيت والذي بعده إلى الفتنة التي كادت تشتعل نارها بين الأقباط والمسلمين حين قتل بطرس غالى باشا، وكان الفضل في إخماد هذه الفتنة ، ورجوع الطائفتين إلى ما تقتضيه الحكمة ومصلحة الوطن ، لمرافعة الفقيد في هذه القضية ضد الورداني ، قاتل بطرس باشا ، وكان اذ ذاك نائباً عمومياً .
- (٣) رَتْقًا : ملتصين . (٤) الجلى : ما جل وعظم من التواب .
- (٥) النور (فتح النون) : زهر النبات . «تأسمى الرياض» ... الخ، أى تحزن لذهابه ، ويذوى نباتها لغيابه .

رثاء محمود سليمان باشا^(١)

[نشرت في ١٩ فبراير سنة ١٩٢٩ م]

مُسْدِي الْجَمِيلِ يَلَا مَنْ يُكَدِّرُهُ * وَمُكْرِمُ الضَّيْفِ أَمْسَى ضَيْفَ (رُضْوَانِ)^(٢)
تَجْتَازُنَا عِبْقَهُ مِنْ رَوْضَةِ أَنْفٍ * إِذَا أَلَمْتُ بِنَا ذِكْرِي (سُلَيْمَانِ)^(٣)
فَقُلْ (لَا لِي سُلَيْمَانِ) إِذَا جَزَعُوا * رُدُّوا النَّفْسَ إِلَى صَبْرٍ وَسُلْوَانِ
مَا إِنْ رَأَيْتُ دَفِينًا قَبْلَ شَيْخِكُمْ * تَحْتَ التُّرَابِ وَفَوْقَ النَّجْمِ فِي آنِ
قَضَيْتَهَا مِثْلَ فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ * تُعِدُّ زَادَكَ مِنْ يَرْوِيهِ وَمَا حَسَانِ^(٤)
فَكَمْ صَفَحْتَ عَنِ الْجَنَانِ وَلَمْ تَرَهُ * وَكَمْ غَرَسْتَ وَكَانَ الْمُعْزُزُ الْجَنَانِي^(٥)
وَكَمْ أَقَلْتَ كَرِيمًا عِنْدَ عَثْرَتِهِ * وَكَمْ مَشَيْتَ بِصُلْحٍ بَيْنَ إِخْوَانِ^(٦)
إِنِّي رَأَيْتُكَ قَبْلَ الْمَوْتِ فِي فَلَكٍ * مِنَ الْجَلَالِ عَلَى جَنَّتِيهِ نُورَانِ
نُورُ الْيَقِينِ وَنُورُ الشَّيْبِ بَيْنَهُمَا * سَكِينَةٌ حَرَكَتْ نَفْسِي وَوَجْدَانِي
عَلَى جَبِينِكَ آيَاتُ الرِّضَا ارْتَسَمَتْ * وَبَيْنَ جَبِينِكَ قَلْبٌ فِئْرٌ وَسَنَانِ^(٧)

(١) محمود سليمان باشا ، كان عميد الأسرة السلطانية المعروفة بالصعيد ، ومن كبار رجال النهضة الوطنية ، ورئيسا للجنة الوفد المركزية ، وهو والد صاحب الدولة محمد محمود باشا رئيس الوزارة سابقا ، وكانت وفاته في ٢٢ يناير سنة ١٩٢٩ م ، وقد نيف على التسعين ... (٢) مسدى الجليل : عطيه . والمن : عد النعم والصنائع تعبرا بها . (٣) «تجتازنا عبقه» الخ ... ، أى تمر بنا قفحة من طيب روضة مصونة لم يتنزل ، شبه ذكره بطيب الرياض المصونة . (٤) هذا العدد الذى ذكره الشاعر لسمو الفقيه انما هو على وجه التقريب .. (٥) المعوز : الفقير الى الحال . ويريد « بالجناني » الأول في هذا البيت : مقترف الجنائى ؛ و (بالثاني) : يجتنى الثمار . (٦) يقال : أقلت فلانا عثرته ، اذا صفحت عنه ودفعت ما تزل به من مكروه . (٧) الوسنان : النائم .

(١) قَسَمْتَ مَا جَمَعْتَ كَفَالِكَ مِنْ نَسَبٍ * عَلَى يَدَيْكَ فَكُنْتَ الْوَالِدَ الْحَيَّ
(٢) مَالٍ حَلَالٍ مَزْكًى مَا خَلَطْتَ بِهِ * مِلِّمْ تَحْتِ وَلَا حَقًّا لِلْإِنْسَانِ
زَهَدْتَ فِيهَا وَهَامَ الْعَابِدُونَ لَهَا * يَجْمَعُ فَإِنْ يُبَايَ جَمَعَهُ فَإِنِ
يَكْسِرُهُ وَيَكْسَاءُ عِشْتَ مُقْتَبِطًا * تُسَبِّحُ اللَّهَ فِي سِرٍّ وَإِعْلَانٍ
(٣) أَقَرَّ عَيْنِكَ فِي دُنْيَاكَ أَنْ رَأَا * (مُحَمَّدًا) يَتَرَامَى فَوْقَ (كِبْوَانِ)
(٤) قَضَيْتَ فِي الْأَوْجِ مِنْ عِزِّكَمَا وَكُنَا * يَقْضِي (سُلَيْمَانُ) فِي عِزٍّ وَسُلْطَانِ
(٥) أُتَجِبْتَ أَرْبَعَةً سَادُوا بِأَرْبَعَةٍ : * فَضْلٍ وَبُسْلٍ وَإِحْسَانٍ وَعِزٍّ فَإِنْ
(٦) أَوْرَثَهُمْ شَمًّا هَشَّ الْإِبَاءُ لَهُ * وَأَوْرَقَتْ فِي دُرَاهُ عِزَّةُ الشَّانِ
(٧) يَذْكُرْنَ بَرًّا رَحِيمًا قَدْ أَقَامَ لَهُمْ * صَرَحًا مِنَ التَّجْدِ أَعْلَى رُسْنِهِ الْبَانِ
(٨) كَمْ نِعْمَةٍ لَكَ يَا (تَمُودُ) عِنْدَ أَبِي * بِشُكْرِهَا لَكَ عِنْدَ الْمَوْتِ أَوْصَانِ

(١) النّسب : المال . (٢) السحت : ما نخبث من المكاسب ولزم عنه العار .

(٣) يريد محمد محمود باشا ، وكان رئيسا للوزارة حين موت والده . وكبوان : امم كوكب زحل .
ويضرب مثلا في علو المنزلة . (٤) قضيت : مت . والأوج : العلو . ويريد «سليمان» :
نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام . (٥) يريد أولاده الأربعة ، وهم محمد محمود ، وحفي محمد محمود ،
وعبد الرحمن محمود ، وعلي محمود . (٦) الشّم : كناية عن الرقة وشرف النفس ، وهي في الأصل ،
ارتفاع قصة الأنف وحسنها وأستواء أعلاها وانتصاب الأربعة . وهش : ارتاح . وذراه : أعاليه .
(٧) الضمير في قوله « يذكرون » : الصفات السابق ذكرها في البيت السابق ، وهي الشّم والإباء
وعزة الشأن . إذ ليس فيما سبق ما يصلح جعله مرجعا لهذا الضمير غيرها . (٨) يشير الشاعر
بهذا البيت الى أن أباه إبراهيم أفندي فهمى مهندس قناطر ديروط كان له اتصال بالفقيد ، وكان للفقيد
عليه كثير من الأيادي والمعن .

تأين محمد المويلحي بك^(١)

أبيات قالها وهو يسير خلف نعشه

[نشرت في ١٨ أبريل سنة ١٩٣٠ م]

غاب الأديبُ أديبُ (مضير) واختفى * فلتبكيه الأقلامُ أو نتقصفاً
لهني على تلك الأنايل في البلى * كم سطرحت حكاً وهزّت مرهفاً
مات (المويلحي) الحسانُ ولم يمت * حتى غزا «عيسى» العقولَ وثقفاً^(٢)

وقال يرثيه أيضاً :

أنشد هذه القصيدة في حفل التأين الذي أقيم في مسرح حديقة الأزبكية في ١٣ يونيو ١٩٣٠ م
دَمْعَةٌ مِنْ دُمُوعِ عَهْدِ الشَّبَابِ * كُنْتُ خَبَائِثُهَا لِيَوْمِ الْمَصَابِ^(٣)
لَبْتُ الْيَوْمَ يَا (مُحَمَّدُ) لَمَّا * رَاعَنِي نَعْيُ أَكْتُتِبِ الْكُتَّابِ^(٤)
هَدَّاتُ لَوْعَتِي وَسَرَّتْ قَلِيلًا * عَنْ فُؤَادِي وَلَطَفْتُ بَعْضَ مَا بِي^(٥)
مَوْكِبُ الدَّفْنِ خَلْفَ نَعْيِكَ يَمْشِي * فِي أَحْتِسَابٍ وَحَسْرَةٍ وَأَنْتِخَابِ^(٦)
لَمْ يُجَاوِزْ مَنَازِلَ الْبَدْرِ عَدَا * مِنْ بَقَايَا الصِّدِّيقِ وَالْأَحْبَابِ^(٧)

- (١) انظر التعريف بمحمد المويلحي بك (في الحاشية رقم ٣ صفحة ١٥٠ من الجزء الأول) .
(٢) الحسان : الحسن من الرجال . ويريد «عيسى» : كتاب الفقيده ، وهو حديث عيسى بن هشام المعروف . (٣) خص عهد الشباب لأنه عهد الفتوة ، وفيه يجد الإنسان معيناً من الجمع وقوة على البكاء . (٤) راعنى : أفزعنى . (٥) سرت عن فؤادى : أى كشفت عنه الهم والمزن . (٦) فى احتساب ، أى فى طلب الثواب . (٧) منازل البدر : مواضع التى ينزل فيها فى درجته ، وهى اثنا عشر منزلاً . يقول : إن عدد الذين شيعوه قد بلغ مائة هذه المنازل فى القلة وعلو المنزلة .

لَمْ يَسْرِ فِيهِ مَنْ يُحَاوِلُ أَجْرًا * عِنْدَ حَيِّ مُؤَمِّلٍ أَوْ يُحَايِ
 مَوَكَّبُ مَاجَ جَنْبَاهُ بِجَفَلٍ * مِنْ وَفُودِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَحْسَابِ^(١)
 شَاعَ فِيهِ الْوَفَاءُ وَالْحُزْنُ حَتَّى * ضَاقَ عَنْ حَشِيدِهِ فَيَسِجُ الرَّحَابِ
 فَكَانَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ تَمْشِي * فِيهِ مِنْ هَيْبَةٍ وَعِزٍّ جَنَابِ
 تَمْتَنَّى قِيَاصُ الْأَرْضِ لَوْفًا * زَتْ لَدَى مَوْتِهَا بِهَذَا الرِّكَابِ
 رَبِّ نَعِشْ قَدْ شَبِعَتْهُ الْوُفُ * مِنْ سَوَادٍ تَعْلُوهُ سُودُ الثِّيَابِ^(٢)
 لَيْسَ فِيهِمْ مَنْ جَارِعٍ أَوْ حَزِينٍ * صَادِقِ السَّغَى أَوْ أَلْفِ مُصَابِ
 كُنْتَ لَا تَرْتَضِي النُّجُومَ مَحَلًّا * فَلِهَذَا رَضِيتَ سُكْنَى التُّرَابِ!^(٣)
 كُنْتَ رَاحَ الثُّغُوسِ فِي تَجْلِيسِ الْأَذَى * مِيسَ وَرَاحَ الْعُقُولِ عِنْدَ الْخَطَابِ
 كُنْتُ لَا تُرْهِقُ الصَّدِيقَ بَلْوَمَ * لَا وَلَا تَسْتَيْبِحُ غَيْبَ الصُّحَابِ^(٤)
 وَلَئِنْ بَتَّ عَاتِبًا أَوْ غَضُوبًا * لَقَرِيبُ الرِّضَا كَرِيمِ الْعِتَابِ^(٥)
 جُرْتَ سَبْعِينَ حِجَّةً لَا تُبَالِي * بِشَهَادَةِ تَعَاقَبَتْ أَمْ يَصَابِ^(٦)
 وَسَوَاءٌ لَدَيْكَ وَالرَّأْيُ حُرٌّ * رَوْحُ (نَيْسَانَ) أَوْ لَوَائِحُ (آبِ)

(١) مَاج : اضطرب . (٢) سَوَادِ النَّاسِ : عامتهم . (٣) الرِّيح : الخمر
 (٤) تَرَهَّقُ الصَّدِيقُ ، أَيْ تَوَذُّعُهُ وَتَحْمَلُهُ مَا يَسِيءُ وَيُؤْلِمُ . (٥) الشَّهَادَةُ : غسل النحل .
 وَالصُّحَابُ : عصارة شجر شديد المرارة . يَرِيدُ حُلُولَ الزَّمَانِ وَمَرَهُ . (٦) الرِّيح : الريح . وَنَيْسَانَ ،
 شَهْرٌ مِنْ شَهْرِ السَّنَةِ الْمَسِيحِيَّةِ ، وَيُقَابَلُهُ أَيْرِيلُ حَيْثُ يَكُونُ الرَّبِيعُ . وَاللَّوَائِحُ مِنَ الرِّيحِ : الحَاذَةُ .
 وَآبُ ، شَهْرٌ مِنْ شَهْرِ السَّنَةِ الْمَسِيحِيَّةِ ، وَيُقَابَلُهُ أَوْغُسْتُسُ ، حَيْثُ يَشْتَدُّ الْخَرِيفُ . يَقُولُ : إِنَّهُ سَوَاءٌ لَدَيْهِ
 فِي سَبِيلِ رَأْيِهِ الْحُرِّ مَا يَلَاقِيهِ مِنْ نَعَمِ الزَّمَانِ وَشَقَائِهِ .

يَا شُجَاعًا وَمَا الشَّجَاعَةُ إِلَّا الـ ^{*} بَرُّ لَا الْخَوْضُ فِي صُدُورِ الصَّعَابِ
 (١)
 كُنْتَ نِعَمَ الصَّبُورِ إِنْ حَزَبَ الْأَمُّ * رُ وُصِدَتْ مَسَارِحُ الْأَسْبَابِ
 (٢)
 كَمْ تَجَمَّتَ وَالْأَمَانِيُّ صَرَغَى * وَتَمَاسَكْتَ وَالْحِفْظُ وَكَوَابِ
 (٣)
 عِشْتَ مَا عِشْتَ كَالْجِبَالِ الرَّوَاسِي * فَوْقَ نَارٍ تُذِيبُ صَمَّ الصَّلَابِ
 (٤)
 مُؤَثِّرَ الْبُؤْسِ وَالشَّقَاءِ عَلَى الشُّكِّ * وَبَى وَإِنْ عَصَّكَ الزَّمَانُ بِنَابِ
 (٥)
 كُنْتَ تَحُلُوهُ النَّفْسُ وَالنَّفْسُ تُشَوِّى * مِنْ كُؤُوسِ الْمُحُومِ وَالْأَوْصَابِ
 (٦)
 فَتُسَرِّى بِالذِّكْرِ عَنْهَا وَتَنْفِي * مَا عَمَرَاهَا مِنْ قُصَّةٍ وَأَكْتِنَابِ
 (٧)
 وَتَرَى وَحْشَةً أَنْفِرَادِكَ أَنْسَا * بِمَحْدِثِ النَّفْسِ وَالْأَلْبَابِ
 (٨)
 بَلَّتْ عَنْهَا وَمَا جَنَيْتَ وَقَدْ كَا * بَدَّتْ بِأَسَاءَهَا عَلَى الْأَحْقَابِ
 (٩)
 وَبَدَّتْ الثَّرَاءُ تَبْدُلُ فِيهِ * مِنْ إِبَاءٍ فِي بَدْلِهِ شَرَّ مَا بِ
 (١٠)
 لَوْ شَهِدْتُمْ (مُحَمَّدًا) وَهُوَ يُمْلِي * آيَ عِيسَى وَمُعْجَزَاتِ الْكِتَابِ
 وَقَفَّتْ حَوْلَهُ صُفُوفُ الْمَعَانِي * وَصُفُوفُ الْأَلْفَاظِ مِنْ كُلِّ بَابِ

- (١) يقال : حزبه الأمر ، إذا اشتد عليه وضغطه . وصدت مسارج الأسباب ، أى سدت مذاهب العيش والرزق . (٢) تجمأت ، أى لم تظهر الجزع . وكوابى ، أى عوارث . (٣) صم الصلاب ، أى الجسارة الشديدة الغليظة الصلبة . (٤) الأوصاب : الآلام ؛ الواحد وصب (بالتحريك) . (٥) الذكر : القرآن ، وكان الفقيه يكثر تلادته فى آخر أيامه . (٦) بنت : بعدت . وعنها ، أى عن الدنيا . والأحقاب : السون . (٧) الثراء : الغنى . والعاب : العيب . والضمير فى « بدله » : يعود على الإباء . يقول : إنك عفت المعنى الذى لا ينال إلا بالتدل وقد الإباء ، وفقد الإباء شر ما يعاب به الأبى . (٨) آى عيسى ، أى آيات كتابه « حديث عيسى بن هشام » .

- (١) لَعَلَّيْتُمْ بَأْسَ عَهْدَ (أَبْنِ بَحْرِ) * حَاوَدَ الشَّرْقَ بَعْدَ طُولِ أَحْجَبَابِ
(٢) أَدَبٌ مُسْتَوٍ وَقَلْبٌ بِجَمِيعٍ * وَذَكَاءٌ يُرِيكَ ضَوْءَ الشُّهَابِ
(٣) عِنْدَ رَأْيِ مُوَفَّقٍ، عِنْدَ حَزْمٍ * عِنْدَ عِلْمٍ، يَفِيضُ فَيْضَ السَّحَابِ
(٤) جَلَّ أَسْلُوبُهُ النَّقْيُ الْمُصَنَّى * عَنْ غُمُوضٍ وَتَفْسِرَةٍ وَأَضْطِرَابِ
(٥) وَبِمَا تَقَدَّهَ التَّزْيِيدُ عَنِ الْمُجْدِ * سِرٌّ فَمَا شَيْبَ مَرَّةً بِالسَّبَابِ
(٦) دُمُوتٌ فِي غُرْبَةِ الْحَيَاةِ عَنَاءٌ * فَلَقِيَ الْيَوْمَ رَاحَةً فِي الْإِيَابِ
(٧) بَلَغَ (الْبَابِلِيُّ) عَنِّي سَلَامًا * كَعَمِيرِ الرِّيَاضِ أَوْ كَالْمَلَابِ
(٨) كَانَ تَرْتِي وَكَانَ مِنْ نَعِيمِ الْمُبْدِ * يَدِيعُ - سُبْحَانَهُ - عَلَى الْأَتْرَابِ
(٩) فَارِسٌ فِي النَّدَى إِذَا قَصَرَ الْفَرْ * سَأَلَ عَنْهُ وَفَارِسٌ فِي الْجَوَابِ
(١٠) يُرْسِلُ الْكُنُكَةَ الطَّرِيفَةَ تَمْشِي * فِي رَقِيقِ الشُّعُورِ مَشَى الشَّرَابِ
(١١) قَدْ أَثَارَ (الْمُحَمَّدَانِ) دَفِينًا * فِي فُؤَادِي وَقَدْ أَطَارَا صَوَابِي
(١٢) خَلَفَانِي يَتَى الرَّفَاقِ وَجِيدًا * مُسْتَكِينًا وَأَمْعَنًا فِي الْغِيَابِ

(١) ابن بحر، هو أبو حنّان عمرو بن بحر الجاحظ الكاتب المتكلم المعروف .

(٢) قلب جميع ، أى مجتمع لا تفرقه الحوادث والشدائد .

(٣) يريد « بالنفزة » تنافر الألفاظ وعدم اتساق بعضها مع بعض .

(٤) الهجر (بالضم) : القبيح الفاحش من الكلام . وشيب : خلط . (٥) يريد « بالبابل » :

محمد البابل بك . (انظر التعريف به في الحاشية رقم ٥ من صفحة ١٦٦ من الجزء الأول) وعير الرياض :

طبيها . والملاعب : كل عطر مائع ، وهو لفظ فارسي معرب . (٦) ترب الإنسان : نظيره في السن .

(٧) المحمدان ، محمد المولى ، ومحمد البابل .

رثاء عبد الحلیم العلایلی بك^(١)

[نشرت في ٦ مايو سنة ١٩٣٢ م]

(٢)
يا بنَ (عبد السلام) لا كانَ يومٌ * غِبتَ فيه عن هالة الأحرار
كنتَ فيهم كالرمح بأساً و ليناً * كنتَ فيهم كالكوكب السيار
(٣)
يا عيريق الأصيل والحسب الوَضَّ * ساج والنبل يا كريم الحوار
(٤)
كنتَ فرماً بدوحة العزِّ تأوى * تحت أفنانه عفاة الديار
قصفتُه المنوت وهو نصيرٌ * موريق عوده جني الثمار
(٥)
كنتَ تأسو جراحهم وتقيهم * وتُقيل العثار عند العثار
خانَ نُطقي ولم تحنْ دموعي * هلفَ نفسي فقصرت أشعاري
(٦)
غيرُ يدع إذا نظمتُ رثائي * في صديقي من الدموع الجوارى
(٧)
فمن الحزن ما يدك الرواسي * ومن الحزن ما يهد الضواري

- (١) عبد الحلیم العلایلی بك، هو ابن عبد السلام العلایلی بك من سرة دمیاط المعروفین، وقد اشترك في النهضة الوطنية زمناً طويلاً، وكان عضواً بارزاً في حزب الأحرار الدستوريين، وانتخب (مكثراً) عاماً لهذا الحزب، وكان عضواً في مجلس النواب في بعض السنين؛ وتوفي في ٣ مايو سنة ١٩٣٢ م.
- (٢) الحالة : دارة القمر، شبه بها جماعة الأحرار الدستوريين . (٣) الحسب الوضاح : المشهور . (٤) الدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة الظل . والأفنان : الأغصان . والعفاة : طلاب المعروف . (٥) تأسو جراحهم : تداويها وتبرئها . وتقيهم : تحفظهم . وأقلت فلانا عثرته، إذا وقع في خطأ فدغبت عنه ما يتوقع من عاقبته وصفحت عن زلته .
- (٦) البدع : الغريب . (٧) يدك : يهدم . والرواسي : الجبال . والضواري : السباع المولعة بالاقتراس، الواحد ضار .

وقال يرثيه أيضا :

[نشرت في ١٦ يونيو ١٩٣٢م]

مَضَيْتَ وَتَحْنُ أَحْوَجُ مَا نَكُونُ * إِلَيْكَ وَمِثْلُ خَطْبِكَ لَا يَهُونُ
 بِرَقْمِ (النَّيْلِ) أَنْ عَدَّتِ الْعَوَادِي * عَلَيْكَ وَأَنْتَ خَادِمُهُ الْأَمِينُ
 بِرَغَمِ (الْفَقْرِ) أَنْ غِيَبْتَ عَنْهُ * وَأَنْ تَزَلْتَ بِسَاحَتِكَ الْمُنُونُ^(١)
 أَجَلُ مُنَاهُ لَوْ يَحْيِيكَ مَيِّتًا * لَيَجْبِرَ كَسْرُهُ ذَاكَ الدَّفِينِ^(٢)
 أَسْأَلَ مِنَ الدَّمْعِ عَلَيْكَ بِحَرًّا * تَكَادُ يُلْجُهُ تَجْزِي السَّيْفِينِ^(٣)
 وَقَامَ السَّادِبَاتُ بِكُلِّ دَارٍ * وَصَكَّبَ فِي مَآذِيهِ الْأَذِينِ^(٤)
 أَصِيبَ بِنَذَى مَضَاءٍ أَرَيْمِي * بِهِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ يَسْتَعِينِ^(٥)
 فَتَى الْفِتْيَانِ فَاتَكَ الْمَنَايَا * وَغُضُّكَ لَا تُطَاوِلُهُ غُصُونُ^(٦)
 تَمَيُّزُكَ حَقَبَةً فَصَحِبْتُ حُرًّا * أَيُّهَا لَا يُهَانُ وَلَا يُبِينُ^(٧)
 تَيْبَلِ الطَّبْعَ لَا يَفْتَابُ غَلًّا * وَلَا يُؤْذِي الْعَشِيرَ وَلَا يَمِينُ^(٨)
 تَطَوَّعَ فِي الْجِهَادِ لَوَجْهِهِ (مُضِرٍ) * فَمَا حَامَتْ حَوَالِيهِ الظُّلُونُ
 وَلَمْ يَثْنِ الْوَعِيدُ لَهُ عِنَانًا * وَلَمْ تَحْنُثْ لَهُ أَبَدًا يَمِينُ

(١) يريد « بالثر » : مدينة دمياط . والمنون : الموت . (٢) يشير بهذا البيت إلى أن الفقيد دفن بقرعة الإمام الشافعي بمصر ولم يدفن بدمياط . (٣) الأذنين : المؤذن . ويشير بقوله « وكبر... الخ » : إلى ما كان مألوفاً من أنه إذا مات عظيم قام المؤذنون ينعونه بالتكبير على الماذن في غير أوقات الأذان . (٤) الضمير في قوله « أصيب » . للثر السابق ذكره . والأريني : الذي يرتاح للعروف . (٥) الحقة : الدهر . (٦) مان يمين : كذب .

وَلَمْ تَنْزِلْ بِعِزَّتِهِ الدُّنْيَا * وَلَمْ يَمَلِّقْ بِهِ ذُلٌّ وَهُوَ
 مَضَى لِسَبِيلِهِ لَمْ يَحْنِ رَأْسًا * وَلَمْ يَبْرَحْ مَرِيرَتَهُ الْيَقِينُ
 تَرَكْتُ أَلْفَةً تَرْجُو مَعِينًا * وَلَيْسَ سِوَى الدُّمُوعِ لَهَا مُعِينُ^(١)
 تَوَجُّعٌ عَلَى الْقَرِينِ وَأَيْنُ مِنْهَا * وَقَدْ قَالَ الرَّدَى — ذَاكَ الْقَرِينُ^(٢)
 سَمِعْتُ أَيْنَهَا وَاللَّيْلُ سَاحِجٌ * فَمَزَّقَ مُهْجَتِي ذَاكَ الْأَيْنُ
 فَقَدْ مَا تَبْتُ قَدَمًا مَا يُعَانِي * عَلَى مَلَاتِهِ الْقَلْبُ الْحَزِينُ^(٣)
 مِنَ الْخَفَرَاتِ قَدْ نَعِمْتُ بِزَوْجٍ * سَمَا بِحِلَالِهِ أَذَبٌ وَدِينُ
 أَقَامَتْ فِي النِّعَمِ وَلَمْ تُرَوِّعْ * فَكُلُّ حَيَاتِهَا رَغْدٌ وَلِينُ
 لَقَدْ تَسَجَّ الْعَفَافُ لَهَا رِدَاءً * وَزَانَ رِدَاءَهَا انْدَلَدُرُ الْمَصُونِ
 دَهَاهَا الْمَوْتُ فِي الْإِلْفِ الْمُفْقَدِ * وَكَدَّرَ صَفْوَهَا الدَّهْرُ الْخَلُوفُ^(٤)
 فَكَادَ مُصَابُهَا يَأْتِي حَلِيهَا * لِسَاعَتِهَا وَتَقْتُلُهَا الشُّجُونُ^(٥)
 رَبِيسَةَ نِعْمَةٍ لَمْ تَبُلْ حُزْنًا * وَلَمْ تُشْرِقْ بِأَدْمُعِهَا الْجُفُونُ^(٦)
 وَفَتْ لِأَلْفِهَا حَيًّا وَمَيِّتًا * كَذَلِكَ كَرِيمَةُ (الْوُزَى) تَكُونُ
 سَتَكْنِفُهَا الْعِنَايَةُ كُلَّ شَرٍّ * وَيَحْرُسُ خِذْرَهَا (الرُّوحُ الْأَمِينُ)

- (١) يريد « بالأليفة » : زوجه . (٢) حبلى الليل : سكن وهدا . (٣) الخفرات : ذوات الحياة الواحدة خفرة (يفتح أوله وكسر ثانيه) . (٤) يأتى عليها : يذهب بها ويهلكها . (٥) لم تبلى حزناً ، أى لم تعرفه ولم تذق مرارته . وشرق الجفن : احمر من البكاء . (٦) الوزى : لقب لأسرة مريقة بشردمياط معروفة ، وكانت زوج الفقيد منها .

رثاء محمود الجمولي

وهو ابن المرحوم عبده الجمولي المنفى المعروف ، وكان قد مات بعد قرأته بقليل

(١) شَوْقَتَانِي أَيْهَا الْفَرَقْدَانِ * لَبْدِرٍ تَمَّ غَابَ قَبْلَ الْأَوَانِ

(٢) وَكُلُّمَا أَشْرَقْنَا مَرَّةً * عَلِمْتُمَا عَيْنِي نَظَمَ الْجُمَانِ

(٣) عَلَى عَزِيزٍ قَدْ تَوَلَّى وَلَنْ * يُؤُوبَ حَتَّى يَرْجِعَ الْقَارِظَانِ

تَجَلَّتْ يَا (محمود) فِي رِحْلَةٍ * قَرَّتْ بِهَا أَعْيُنُ حُورِ الْجَنَانِ

(٤) كَأَنَّمَا آخِرُ عَهْدِ الْمَنَا * قَدْ كَانَ مِنَّا لَيْلَةَ الْمَهْرَجَانِ

رثاء حبيب المطران^(٥) باشا

(٦) أَعَزَّنِي فِيكَ أَهْلَكَ ، أَمْ أَعَزَّنِي * عُفَاةَ النَّاسِ ، أَمْ هِمَمَ الْكَرَامِ؟

(٧) وَمَا أَذْرِي أَرْكُنُ أَبْلَاهِ أَوْدَى * وَقَدْ أَوْدَيْتَ أَمْ رُكْنُ الشَّامِ؟

(١) يريد : أنه كلما رأى الفرقدين تذكر ذلك البدر فاشتاق إليه .

(٢) الجنان : اللؤلؤ ؛ الواحدة جمانة ، شبه بها الدموع . (٣) القارظان : رجلان من

عزرة نرجا يمينيان القرظ فلم يرجعا ، ولا عرف لهما خبر ، فضرب بهما المثل لكل غائب لا يرجى إيايه .

(٤) المهرجان : عيد للفرس ؛ ويطلق الآن على كل حفل وعيد ؛ ويريد به هنا حفل العرس .

(٥) كان حبيب المطران باشا سر يامن امرأة الشام ، وكان قصره في بعلبك مقصد الوزراء والوجهاء ،

وقد نزل به المرحوم الأستاذ الشيخ محمد عبده في بعض أيام إقامته بالشام حين كان مشغيا بها بعد الثورة

العراقية . (٦) العفاة : جمع عاف ، وهو طالب المعروف . (٧) أودى : هلك .

رثاء المرحوم أحمد البابلي

بَدَأَ الْمَاتُ يَدِبُ فِي أَثَرِي * وَبَدَأَتْ أَصْرُفُ وَخَشَةِ الْأَحْبَابِ
يَا بَابِلِي فِدَاكَ لِأُفْكٍ فِي الصَّبَا * وَفِدَا شَبَابِكَ فِي التُّرَابِ شَبَابِي
(١)
قَدْ كُنْتُ خُلَصَانِي وَمَوْضِعَ حَاجَتِي * وَمَقَرًّا أَمَالِي وَخَيْرَ مَهَابِي
فَاذْهَبْ كَمَا ذَهَبَ الْكَرَامُ مُشَيِّعًا * بِالْجَهْدِ مَبِيجًا مِنَ الْأَحْبَابِ

تعزية المرحوم محمود سامي البارودي باشا في أبنته

وَدَيْعَةً رُدَّتْ إِلَى رَبِّهَا * وَمَالِكُ الْأَزْوَاجِ أَوَّلَى بِهَا
(٢)
أَلَمْ يَكُنْ صَبْرُكَ فِي بُعِيدِهَا * يَرِيءُ عَلَى شُكْرِكَ فِي قُرْبِهَا ؟

وقال يرثيها أيضا :

(٣)
يَبْنَ السَّرَائِرُ ضِيئَةً دَفْنُوكِ * أُمُّ فِي الْحَاجِرِ خُلْسَةً خَبْنُوكِ ؟
(٤)
مَا أَنْتِ مِمَّنْ يَرْتَضَى هَذَا النَّزَى * نُزُلًا فَهَلْ أَرْضُوكِ أُمُّ غَبْنُوكِ ؟

(١) الخالصان (بالضم) : الخالص من الأخدان ، يستوى فيه الواحد كما هنا ، والجماعة أيضا .
يقال : هو خُلَصَانِي ، وهم خُلَصَانِي .

(٢) يريو : يزيده ، والمستعمل في هذا المعنى : أربي يربي .

(٣) السرائر : جمع سريرة ، وهي السر ؛ والمراد هنا : موضعه . وضعة ، أي يتخلأ بها . والحاجر : جمع حجر (وزان مجلس) ، وهو ما دار بالعين . « يريده » أن حرصهم على الفقيده وبتظلم بها جعله يظن أنهم دفنوها في ضمايرهم أو في عيونهم ، فهو يستفهم عن أيها دفنت فيه . (٤) النزول : المكان المهيأ للنزول به .

- (١) يَا بِنْتَ (مُحَمَّدٍ) يَعْزُّ عَلَى الْوَرَى * لَمَسُ التُّرَابِ لِحْسَمِكَ الْمَنُوكِ
(٢) تَرَكُوا شَبَابَكَ فِيهِ نَهَبًا لِلْبَلَى * وَأَهَا لِنَفْضِ شَبَابِكَ الْمَتْرُوكِ
(٣) وَحَنَوْهُ فَوْقَ سَنَّاكَ بِاشْتِمَسِ الضُّحَى * فَبَكَى لَهُ بَدْرُ السَّمَاءِ أَخُوكِ
(٤) دَاسَ الْجِهَامُ عَمِيرِينَ أَسَادِ الشَّرَى * يَا لَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ كَانَ أَبُوكِ؟
(٥) عَهْدِي بِهِ يَلْقَى الرَّدَى بِمُهَنْدٍ * يَحْلُوهُ غَمْدٌ مِنْ دَمٍ مَسْفُوكِ
يَا نَقَسَ (مُحَمَّدٍ) وَأَنْتِ عَلِيْمَةٌ * بِطَرِيقِ هَذَا الْعَالَمِ الْمَسْلُوكِ
(٦) عَهْدُوكِ لَا تَتَصَلِّعِينَ لِحَادِثٍ * أَوْ أَنْتِ بَاقِيَةٌ كَمَا عَهْدُوكِ
(٧) هَذَا التُّرَابُ - وَأَنْتِ أَعْلَمُ - مُلْتَقَى * هَذَا الْوَرَى مِنْ سُوقَةٍ وَمُلُوكِ
(٨) هَلْ أَنْتِ إِلَّا بَيْنَ جَنَّتِي مَاجِدٍ * صَعِبِ الشَّكِيمَةِ لِلْخُطُوبِ صَحُوكِ
(٩) يَغْفِي بِحَضْرَتِهِ الزَّمَانُ فَيَلْتَقَى * عِزُّ الْمَالِكِ وَذِلَّةُ الْمُتْلُوكِ

(١) المنوك : المجهود المضنى .

(٢) النفض : الطرى الناعم .

(٣) حنا التراب على الميت يحثوه : هاله عليه . والسنا : الضوء .

(٤) الجاهم (بالكسر) : الموت . وعميرين الأسد : مأواه . والشرى : مأسدة بجانب الفرات يضرب

بأسادها المل . ويريد « بعيرين الأسد » : بيت أبيها .

(٥) المهند : السيف .

(٦) التصنعع : التشقق . (٧) أنت : يتخاطب قصس البارودي .

(٨) صعب الشكيمة ، أى أنوف أبي لا يتقاد .

(٩) يغفى الزمان ، أى يستحي منه ويهابه .

ملاحظة — أشير في نهاية هذه القصيدة في طبعة هذا الديوان السابقة الى أنها قصيدة طويلة ،

وأنه لم يشر منها إلا على هذه الآيات ، وقد بحثنا نحن أيضا عن بقيتها فلم نجدها .

”من مرثية وهمية“

بلغ حافظاً أن جورج الخامس ملك إنجلترا قد توفي، فلم يكد يسمع هذا النبأ
حتى بدأ ينظم قصيدة في رثائه، ثم تبين له بعد عدم صحة هذا الخبر وقد وقفنا على
بئتين من هذه المرثية، وهما :

إك الذي كانت الدنيا بقبضته * أمسى من الأرض يحويه ذراعان
وظاب عن ملكه من لم تغب أبداً * عن ملكه الشمس من عز وسلطان



قصائد لم تنشر في الطبعة الأولى

من شعر حافظ في ثورة سنة ١٩١٩

وَلَّتْ بَشَاشَةُ دُنْيَانَا وَدُنْيَاكَ * وَفَارَقَ الْإِنْسُ مَغْنَانَا وَمَغْنَاكَ
 حِمَاكَ دُونِي أَسْوَدَ لَا يُطَاوِلُهُ * شَاكِيَ السَّلاَحِ فَكَيْفَ الْأَعَزُّ الشَّاكِي
 وَجَشْمُونِي عَلَى ضَعْفِي وَقَوَّيْتِهِمْ * أَنْ أُمْسِكَ الْقَوْلَ حَتَّى عَنْ تَحَايَاكَ
 وَأُرْصِدُوا لِي رَقِيبًا لَيْسَ يُخْطِئُهُ * هَجَسُ الْفُؤَادِ إِذَا حَاوَلْتُ ذِكْرَكَ
 يُحْصِي تَرَدَّدَ أَنْفَاسِي وَيَمْنَعُنِي * نَفْحَ الشَّمَائِلِ إِنْ جَازَتْ بَرِّيَاكَ
 مُنِعْتُ حَتَّى مِنَ النَّجْوَى وَسَلَوَيْهَا * وَكَمْ تَعَلَّتُ فِي الْبَلَوَى بِنَجْوَاكَ
 مَا كَادَ يَأْتِي عَلَى نَفْسِي وَيُورِدُنِي * مَوَارِدَ الْحَتْفِ إِلَّا حُبُّكَ الزَّاكِي
 تَنَاولْتُ مَا وَرَاءَ النَّفْسِ غَايَتُهُ * وَقَرَّرْتُ خَلْجَاتِ الْقَلْبِ مَتَوَاكِي
 وَظَنُّ أَهْلِكَ بِي سُوءًا وَأَرْمَضَنِي * قَوْلُ الْوَشَاةِ وَدَعْوَى كُلِّ أَفَّاكِي
 قَالُوا مَلَا عَنْكَ غَدْرًا وَابْتَنَى بَدَلًا * وَكَانَ بِالْأَمْسِ مِنْ أَوْفَى رَمَايَاكَ
 كَمْ لِي أَحَادِيثُ شَوْقٍ لَا تُتَاجَفُهَا * زَهْرُ الرِّيَاضِ وَلَا يَسْمُومُهَا الْحَاكِي
 إِنْ تُشْكِرُهَا فَكَمْ طَارَ الرِّوَاءُ بِهَا * إِلَى حِمَاكَ وَكَمْ قَدْ عَطَّرَتْ فَالِكَ
 مُتَعَلِّمِينَ إِذَا مَا الْقَمَرَةُ انْحَسَرَتْ * مَنْ صَدَّ عَنْكَ وَمَنْ بِالنَّفْسِ فَنَّاكَ
 رَمَيْتُ عَنْكَ إِلَى أَنْ خَافَتِي وَتَرَى * وَلَمْ أَخُنْ فِي إِسَارِي عَهْدَ نَعْمَاكَ

برقية من حافظ إلى الخديو عباس

جاءت الأنباء بسقوط مدينة أدرنة التابعة لدولة الخلافة العثمانية يوم
الاحتفال بزفاف كريمة الخديو إلى نجل الصدر الأعظم جلال باشا ، فأرسل
حافظ هذه البرقية إلى الخديو :

حَيْدُ هُنَا ، وَهَنَّاكَ قَامَ الْمَأْتَمُ * مَلِكُ يَنْسُوحُ ، وَتَابِعُ يَسْتَرْفِئُ
عَجَبْتُ أَرَى تِلْكَ الدَّمَاءَ فَهَـا هُنَا * دَمٌ فَرَحِيَّةٌ ، وَهَنَّاكَ لِلْقَتْلِ دَمٌ
فَأمر الخديو بإزالة معالم الزينات مشاركة للخليفة وللعالَم الإسلامي
في تلك النكبة .

قصر الدوبارة وقصر عابدين

قصر الدوبارة هو القصر الذي يقيم فيه المعتمد البريطاني ممثل الاحتلال
وصاحب السلطة الفعلية في البلاد .

وقصر عابدين هو قصر الخديو صاحب السلطة الشرعية والخاضع للسلطان الإنجليزي .
وفي هذين البيتين يعقد حافظ مقارنة بين كلا الحاكمين .

قَصْرَ الدُّوْبَارَةِ مَا لِلشَّيْكَ رَابِعًا * وَالذُّبُّ فِي قَصْرِ الْإِمَارَةِ يَحْجِلُ
إِنِّي سَمِعْتُ بِعَابِدِينَ عَوَاءَهُ * فَعَجَبْتُ كَيْفَ يَسُودُ مَنْ لَا يَعْقِلُ

من حافظ شاعر مصر إلى فؤاد ملك مصر

يَا مَلِيكَاً بِرَّغْمِهِ يُلْبَسُ النَّاسُ * جَ وَيرَقُّ لِعَرْشِهِ مَمْلُوكَا
إِنْ أَتَمَّتْ يَدَاكَ تَخْرِيبَ مِصْرٍ * فَلَقَدْ مَهَّدَ الْخُرَابَ أَبُوكَ^(١)
أَبْقَى شَيْئًا — إِذَا مَضَيْتِ ذَمِيمًا * عَنْ قَرِيبٍ — يَأْتِي عَلَيْهِ بَنُوكَا^(٢)

(١) يشير إلى الخديو إسماعيل الذي أفلس مصر وأدانها بتبذيره وأمرافه حتى سقطت في براثن
الاحتلال والديون الأجنبية . (٢) يقول الشاعر للآك فؤاد لا ترتكب المفاسد كلها ،
حتى يجد أبنائك من بعدك شيئا يفسدونه ، فالفساد متأصل فيهم أصولا وفروعا .

إلى باني الهرم

من شاعر مصر الكبير حافظ إبراهيم إلى فرعون مصر العظيم ، باني الهرم
ومسخر الملايين .

من الشاعر في عهد الحرية الشخصية وحكم الديمقراطية ، إلى فرعون
في عهد الملوك الآلهة والرايا العبيد .

من ابن مصر في القرن العشرين بعد الميلاد ، إلى سيد مصر في القرن العشرين
قبل الميلاد .

البلاغ الأسبوعي

تَخَّرَ الْعِلْمَ لِيَنِي آيَةً * فوق شَطِّ النيلِ تبدو كالْعِلْمِ^(١)
هي ذِكْرٌ خَالِدٌ لَكُنْه * مَابُنُ الْوَجْهِ إِذَا الذِّكْرُ ابْتَسَمَ
كُلُّ مَا فِيهَا عَلَى إِعْجَازِهَا * أَنَهَا قَبْرٌ لِبَجَّارٍ حُطِمَ^(٢)
لَيْتَهُ تَخَّرَ مَا فِي عَهْدِهِ * مِنْ قُوَى فِي غَيْرِ تَقْدِيسِ الرِّمِّ
مَنْ فَنَوْنٍ أُعْجِزَتْ أَطْوَاقُنَا * وَمَلُومٍ عِنْدَهَا الْفَكْرُ وَجَمَّ
وَبَنَانٍ مَبْدَعَاتِ صَوْرَتِ * أَوْجَهَ الْعُذْرِ لِبُعَادِ الصَّنَمِ^(٣)
أَبْدَعَتْ مَا أَبْدَعَتْ ثُمَّ انْطَوَتْ * وَمَلَى أَسْرَارِهَا الدَّهْرُ خَتَمَ

(١) العلم : الجبل .

(٢) الحطيم : البالي — وحطام الشيء بقاياه .

(٣) يريد الشاعر أن يقول إن الأبدى الماهرة التي صنعت تلك التماثيل جعلت للناس العذر

في جاداتها لدقة الصنع وجمال التصوير .

من شاعر مصر إلى أبناء مصر

قلت بعد ائتلاف حزبي الوفد والأحرار الدستوريين

البلاغ الأسبوعي ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٢٦

قَدْ غَفَوْنَا وَاتَّبَعْنَا فِإِذَا * نَحْنُ غَرْفِي ، وَإِذَا الْمَوْتُ أُمُّ^(١)
 ثُمَّ كَانَتْ فَتْرَةٌ مَقْدُورَةٌ * غَرَّ فِينَا الدَّهْرُ ضَعْفٌ فَهَجَمَ
 فَمَا سَكْنَا فَكَانَتْ قُوَّةٌ * زَلَزَلَتْ رَكْنَ اللَّيَالِي فَانْهَدَمَ^(٢)
 كَانَ فِي الْأَنْفِيسِ جُرْحٌ مِنْ هَوًى * نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ فَالْتَأَمَ
 فَنَشَدْنَا الْعَيْشَ حُرًّا طَلَقًا * تَحْتَ ظِلِّ اللَّهِ لَا ظِلَّ إِلَّا لَهُ
 وَحَقِيقٌ أَنْ يُوفَى حَقُّهُ * مَنْ يَجْعَلِ اللَّهَ وَالصَّبْرَ اهْتِمَامَ
 آفَةُ الْمَرْءِ إِذَا الْمَرْءُ وَفَى * آفَةُ الشَّعْبِ إِذَا الشَّعْبُ انْقَسَمَ
 لَيْسَ مِنْهُ مَنْ يَنْبَى أَوْ يَنْتَنَى * أَوْ يَعْزُ النَّيْلَ فِي رَعِي الدِّمِ
 نَشَاءُ مَصِيرَ ، نَبِئُوا مَصْرًا : بِكُمْ * تَشْتَرُونَ الْمَقْصِدَ الْأَسْمَى ، بِكُمْ
 بِنُضَالٍ يُصَقِّلُ الْعِزَّمَ بِهِ * وَسَهَادٍ فِي الْعُلَا حُلُولِ الْأَلَمِ
 أَنَا لَا أَنْفِرُ بِالْمَاضِي ، وَلَا * أَحْسَبُ الْحَاضِرَ يُطْرَى أَوْ يُدْمَنُ
 كُلِّ هَمِي أَنْ أَرَاكُمْ فِي غِيْدٍ * مِثْلَ مَا كُنْتُمْ أُسُودًا فِي أَجَمِ

(١) أم - قريب .

(٢) المعنى أن في تماسكنا قوة فهزت الليالي ونكباتها التي سيطرتها علينا .

فالفقى كلُّ الفتى من لو رأى * فى اقتحام النارِ عزّاً لا فتحم
لا تظنُّوا العيشَ أحلامَ المنى * ذاك عهدٌ قد تَوَلَّى وانصرم
هو حربٌ بينَ فقيرٍ وفقى * وصراعٌ بينَ بُرٍّ وسَقَم
هو نارٌ ووقودٌ فإذا * غفلُ الموقِدُ فالنارُ حم^(١)
فانفضُّوا النومَ وجِدُّوا للعلا * فالعلاءُ وقفٌ على مَنْ لم يَنَمْ
ليس ينجى من تَمَنَّى وصلها * وانياً أو وادعاً غيرَ الندم
والأمانى شراً ما تُمنى به * همةُ المرءِ إذا المرءُ اعتم
تُجِدُ العزمَ وتُثني حده * فهى كالماءِ لإنحدادِ الضرم^(٢)
وانظروا اليابانَ فى الشرقِ وقد * ركزتْ أعلامها فوقَ القمم
حاربوا الجهلَ وكانوا قبلنا * فى دُجى عميائه حتى انهزم
فاسألوا عنها الثرى لا الثرى * لأنها تحتلُّ أبراجَ المهيم
هممٌ يمتشي بها العلمُ إلى * أنبيلِ الغاياتِ لا تدرى السَّام
فهى أنى حاولتُ أمراً مشت * حلقها الأيامُ فى صفِّ الخدم
لا تبالى زُلزِلتْ مِنْ تحتها * أم طليها النجمُ بالنجم اصطدم
تَنجَدَّتْ شمسُ الضُّحى رمزاً لها * وكفى بالشمسِ رمزاً للعَظَم
فهى لا تالو صُعوداً تبتغى * جانبَ الشمسِ مكاناً لم يَرَم

(١) الحِم - الرماد .

(٢) الضرم - النار .

التبرع للتعليم

أقامت نقابة المعلمين حفلة في دار الجامعة المصرية مساء الجمعة ٢٩ من أكتوبر سنة ١٩٢٠ تكريماً لمحسنى المنوفية: حسين عبد الغفار وعبد العزيز حبيب ومحمود السيد أبو حسين لتبرعهم بسبعين فدانا من أطيانهم في المنوفية أوقفوها على التعليم .

ودعى حافظ للاشتراك في تكريمهم ، فالتى هذه القصيدة :

ثَلَاثَةٌ مِنْ سَرَاةِ النَّيْلِ قَدْ حَسَّوْا * عَلَى مَدَارِسِنَا سَبْعِينَ فِدَانَا
أَحْيَا بِهَا أَمَلًا قَدْ كَانَ يَحْنُقُهُ * بِمُحَلِّ الْفَنَى وَجَهْلٌ قَدْ تَغَشَّانَا
وخالَفُوا سُنَّةَ فِي مَصْرٍ شَائِعَةً * بَحَرَّتْ عَلَى الْعِلْمِ وَالْآدَابِ خُسْرَانَا
فَلَمَّا هَمَّ سَرَاةِ النَّيْلِ أَنْ يَقْفُوا * عَلَى الْقُبُورِ وَإِنْ لَمْ تَحْيُوا إِنْسَانَا
فَكَمْ ضَرِيحٍ خَلَاءَ لَا رُقَاتَ بِهِ * تَرَى لَهُ فِي مَنَاحِ النَّيْلِ «أَطْيَانَا»
وَكَمْ حَبِيسٍ عَلَى الْمَوْتِ وَظَلَّتْهَا * يَشْرَى الْجُبَاةُ بِهِ خَوْصًا وَرِيحَانَا
وَالْعِلْمُ فِي حَسْرَةٍ، وَالْعَقْلُ فِي أَسَفٍ * وَالْدِّينُ فِي نَجَلٍ مِمَّا تَوَلَّانَا
مَا كَانَ ضَرَّ سَرَاةِ النَّيْلِ لَوْ فَعَلُوا * شَرُّواكُمْ ، فَبَنَوْا لِلْعِلْمِ أَرْكَانَا^(١)
تَقْدَى عَيُونُ بَنِي مَصِيرٍ بِمُظْهِرِهِمْ * فِي «الرَّيْلِ» حَيَاءً ، وَفِي «حُلْوَانٍ» أَحْيَانَا^(٢)

(١) شرواكم أى مثل فعلكم وصنيعكم .

(٢) تقضى أى تؤذى — ويعيب الشاعر على الأثرياء بمظهرهم في الاتفاق على العلم وتمتعهم بمايج الحياة ما بين رمل الإسكندرية صيفا وحلوان شتاء .

(١)
 يبغون أن تحتوى الدنيا خزائنها * ويزرعوا فلوات الله أقطانا
 وليس فيهم أخو نفع وصالحه * ولا ترى لهم برا وإحسانا
 يا مصر حتام يشكو الفضل في زمن * يحنى عليه ويمى فيك أسوانا (٢)
 قد سأل وإدبك خصباً تمتعاً لى * تسيل أرجاؤه علينا وعرفانا

إلى الدكتور طه حسين

عند ما أصدر الدكتور طه حسين مؤلفه « فى الشعر الجاهلى » شن عليه جامدو الفكر حملة بتكفيره وبخروجه على الإسلام، وتعالى بعضهم فطالبوا باهدار دمه ، وكان منهم المرحوم الدكتور عبد الحميد سعيد الذى كان عضواً بمجلس النواب ورئيساً لجمعية الشبان المسلمين وقتئذ فقال حافظ :

إن صح ما قالوا ، وما أرجحوا * وألصقوا زوراً بدين العميد
 فكفر طه عند ديانته * أحب من إسلام عبد الحميد

من حافظ إلى الشيخ عبد الرحيم الدروداشي

لما ترجم حافظ كتاب البؤساء لفكتور هوجو، أقبل الفضلاء على تعزيده بالاشتراك فى أعداد من نسخ الكتاب ، عدا شيخ الطريقة الدروداشية وكان من أغنى أغنياء البلاد .

فلما اتمى طبع الكتاب ، أرمّل إليه حافظ نسخة هدية ، وكتب عليها
 إهداء :

(١) الفلوات جمع القلاء وهى الصحراء الواسعة .

(٢) حتام أى حتى متى — أسوان أى حزين .

هَدِيَّةٌ مِنْ شَاعِرٍ بَائِسٍ * إِلَى الدَّمَرْدَاشِيِّ وَلِيِّ النَّعَمِ
يُشْرِكُ بِاللَّهِ وَلَا يَسْتَرْكُ * فِي نَسْخَةٍ فِيهَا ضَرْبُ الْحِكْمِ

مداعبة لحافظ

كان حافظ مدعوا لإلقاء قصيدة في حفل جمعية رعاية الأطفال بمدينة الأزبكية ، وعند دخوله أراد المشرف أن يداعبه ، فطلب منه التذكرة ، فقال له إنه حافظ إبراهيم وجاء للمشاركة في الاحتفال السنوي كعادته بقصيدة ، فزعم المشرف أنه لا يعرفه ، وعليه أن يثبت شخصيته بيتين يرتجلهما .

فضحك حافظ وقال له : لم أر أخبث منك مشرفا .. وارتل هذين

البيتين :

رِيَاضُ الْأَزْبَكِيَّةِ قَدْ تَحَلَّتْ * بِأَتْجَابِ كِرَامِ أَنْتَ مِنْهُمْ
فَهَبْهَا جَنَّةً فُتِحَتْ لِحَيْرٍ * وَأَدْخَلْنَا مَعَ الْمَعْقُودِ عَنْهُمْ
وضحك المشرف وقال : تفضل يا حافظ بك ...

المراثى

٥٧٣

شهداء العلم

جريدة السفور — ١٥ أبريل سنة ١٩٢٠

فى سنة ١٩٢٠ أوفدت مصر أول بعثة دراسية من شبابها الشاب إلى أوربا لاستكمال دراساتهم العليا فى جامعاتها وقد ذهبوا جميعا ضحية حادث أليم وقع للقطار الذى كان يقلمهم عبر إيطاليا فى أكبر كارثة للسكك الحديدية شهدتها أوربا .

وكان وقع المصاب الفادح بالغ الألم والأثر فى مصر وفى سائر البلاد العربية والأجنبية . وقد رثاهم شاعر النيل بهذه القصيدة التى ألفت فى حفل جريدة السفور التى أقيمت مساء ١٤ من أبريل سنة ١٩٢٠ .

عَلَّمُونَا الصَّبْرَ يُطْفِئِ مَا اسْتَعَرَّ * إِنَّمَا الْأَجْرُ لِمَفْجُوعٍ صَبَرَ
صَدَمَةٌ فِي الْغَرْبِ أَمْسَى وَقَعُهَا * فِي رُبُوعِ الشَّرْقِ مَشُومَ الْأَثَرِ
زَلَزْتُ فِي أَرْضِ مِصْرٍ أَنْفُسًا * لَمْ يُزَلِّهَا قَرَارُ الْمُؤْتَمَرِ^(١)
مَا اصْطَدَّامُ النُّجُومِ بِالنُّجُومِ عَلَى * مَا كُنَى الْأَرْضُ بِأَدَهَى وَأَمَرِ
قَطَفَ الْمَوْتُ بَوَاكِرَ النَّهْيِ * بَحْنَى أَجْمَلَ طَاقَاتِ الزَّهْرِ
وَعَدَا الْمَوْتُ عَلَى أَقْبَارِنَا * فَتَهَاوُوا قَرَارًا بَعْدَ قَرِ
فِي سَبِيلِ النَّيْلِ وَالْعِلْمِ وَفِي * ذِمَّةِ اللَّهِ قَضَى الْإِثْنَا عَشَرَ
أَيُّ بَدْوٍ الشَّرْقِ مَاذَا نَابَكُمْ * فِي مَسَارِ الْغَرْبِ مِنْ صَرْفِ الْغَيْرِ
نَبَأٌ قَطَعَ أَوْصَالَ الْمَنَى * وَأَصَمَّ السَّمْعَ مِنَّا وَالْبَصِيرِ
كَمْ بِمِصْرٍ زَفَرَةٌ مِنْ حَرِّهَا * كُنَّسَ الْأَعْفَرُ، وَالطَّيْرُ وَكَرِ^(٢)

(١) المؤتمر هو مؤتمر الصلح بباريس الذى عقد عقب الحرب العالمية الأولى وحاول زعماء مصر حضوره للطالبة بيجلاء الإنجليز عن مصر ، ولكن منع الزعماء من حضوره وأصدر المؤتمر قراره بالبقاء على الأوضاع فى مستعمرات الدول المنتصرة ومنها إنجلترا .

(٢) وكر الطير أى لزم وكره — والمعنى أن الزفراء الحارة على شهادتنا كانت من القسوة والشدة كالريح السموم التى تكنس التراب وتلزم الطير وكره من حرارتها وهجيرها .

كم أب أسوانَ دأبَ قلبه * مستطير اللب مفقور الظهر
 ساهم الوجه لما حل به * سادر النظرة من وقح الخبر
 كم بها والدة والهة * عصتها الثكلُ بناي فقير
 ذات توج تحت أذيال الدجى * علم الأشجان سكان الشجر^(١)
 تسأل الأطيّار عن مؤنيسها * كلما صفق طير واضطعر
 تسال الأنجم عن واحدتها * كلما غور نجم أو ظهر
 تهب العمر لمن يُنبئها * أنه أفلت من كف القدر

ويح مصير ، كل يوم حادث * وبلاء ما لما منه مفر
 هأن ما تلقاه إلا خطبها * في تراث من بنينا مدبر
 قد ظلمتم بحمدهم في قلوبهم * إنما نقلتهم إحدى الكبر^(٢)
 فسواء في تراب الشرق أم * في تراب الغرب كان المستقر
 أأبتم أن نرى يوما لنا * في ربوع العلم شبرا فنسّر
 أضينتم أن تقيموا بينهم * شاهدا منا لكتاب السير
 ومزارا كلما يممّه * ناشئ حيا نراه واذكر
 ودليلا لابن مصر كلما * قام في الغرب بمصر فافتخر
 كم مسلات لنا في أرضهم * صوّرت معجزة بين المصور

(١) سكان الشجر هم الطير .

(٢) لم يرش حافظ عن نقل بحثهم إلى مصر ليدفنوا فيها ، بل آثر أن يدفنوا حيث ماتوا كمن

لجد مصر وكفاحها في سبيل العلم .

المراثى

٥٧٥

فَمَنْ رَمَزَ الْعَصُورِ قَدْ خَلَّتْ * أَشْرَقَ الْعِلْمُ عَلَيْهَا وَازْدَهَرُ
فَاجْعَلُوا أَمْوَاتَنَا الْيَوْمَ بِهَا * خَيْرَ رَمِيزٍ لِرَجَاءٍ مُنْتَظَرِ

أُمَّةَ الطُّلُبَانِ خَفَّفَتِ الْأَمَى * بِصَنِيعٍ مِنْ أَيْدِيكَ الْغُورِ
جَمَعْتَ كَفَّالِكَ عِقْدًا زَاهِيًا * مِنْ بَنِينَا فَوْقَ وَادِيكَ انْتَشَرِ
وَمَشَى فِي مَوَكِبِ الدَّفْنِ لَهُمْ * مِنْ بَيْنِكُمْ كُلِّ مَسَاحِجٍ أَغْمَرِ
وَمَسَى كُلِّ مَرِيٍّ مُفْضِلِ * بِأَدَى الْأَحْزَانِ تَحْقُومُضُ النَّظَرِ
وَبَكَتْ أَفْلَادُكُمْ أَفْلَادَنَا * بِدُمُوعِ رَوْضَتِ تِلْكَ الْحُفْرِ^(١)
وَصَنَعْتُمْ - صَنَعَ اللَّهُ لَكُمْ - * فَوْقَ مَا يَصْنَعُهُ الْحِلُّ الْأَبْرِ^(٢)
قَدْ بَكَيْنَا لَكُمْ مِنْ رَحْمَةٍ * يَوْمَ "مِسِينَا" فَارْخَصْنَا الدَّرَرَ
خَفِظْتُمْ وَشَكَرْتُمْ صُنْعَنَا * وَبَنُو الرُّومَانِ أَوَّلَى مَنْ شَكَرَ

أَيُّ شَبَابٍ النَّيْلُ لَا تَقْعُدْ بِكُمْ * عَنْ خَطِيرِ الْمَجِيدِ أخطَارُ السَّفَرِ
إِنَّ مَنْ يَعَشُقُ أَسْبَابَ الْعَلَا * يَطْرَحُ الْإِحْجَامَ عَنْهُ وَالْحَذَرَ
فَاطْلُبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ جَسَمَكُمْ * فَوْقَ مَا تَحْمِلُ أَطْوَاقُ الْبَشَرِ
نَحْنُ فِي عَهْدِ جِهَادٍ قَائِمٍ * بَيْنَ مَوْتٍ وَحَيَاةٍ لَمْ يَقِرْ

(١) روضت الحفر ، أى جعلت قبوراً بساتيناً روضة من الرياض لكثرة ما سقطت من الدموع .

(٢) ميسينا مدينة إيطالية دمرها زلزال مروع وسارعت مصر بمساعدة إيطاليا بالبرعات ، وكان

حافظ من اشتركوا في الدعوة لتجديدها بقصيدة من روائع شعره الإنسانى ، وهى منشورة فى الديوان

بمنوان زلزال ميسينا .

رثاء فقيده العلم والوطن محمد عاطف بركات باشا^(*)

ألقى في حفل تأبينه

المقطع في ١٣ سبتمبر ١٩٢٤

تَمَنُّ المجد والمحاميد غالى * آل زغلول فاصيروا لليلالى
قد هوى منكم ثلاثة أقبأ * رِخَلَتْ منهمُ بروجُ المعالى
مات «فتحي»، وَمَنْ لنا بجناه * وأفانين فكره الجَوَالِ
كان أنجوبة الزمان ذكاه * وَمَضَاهُ في كلِّ أمرٍ عُضَالِ
و «سعيد» وكان غصنا ندياً * فُتِّحَتْ فيه زهرة الآمال
وَقَضَى «عاطف» وكان عظيماً * صادق العزم مُطْمَآنَّ الحلالِ
يهزُلُ الناسُ والزمانُ، وَيَأْبَى * غيرَ جِدِّ مُوَاصِلِ ونضالِ
ساهِدُ الرأي ، نائمُ الحقد ، لاهٍ * عن مَلاهي الورى ، عفيفُ المقالِ
قد بَلَغَ سيفَ عزمِهِ صَبْقُلُ الـ ^(١) * نَفْيِ ، فَأَرْبَى على السيوفِ الصُّبَالِ
وَنَمَتْ رَأْيُهُ التُّجَارِبُ حتَّى * بَاتَ أَمْضَى من نَافِذَاتِ النَّبَالِ
يا شهيدَ الإصلاحِ قَادَرَتِ مِصرًا * وهى تَجْتَازُ هَوْلَ دَوْرِ انْتِقَالِ

(*) محمد عاطف بركات باشا أحد رجالات مصر الذين اشتغلوا بالتعليم ، ورأس حيناً مدرسة القضاء الشرعى ، وظل يعمل في خدمة الحكومة حتى رقى إلى منصب وكيل وزارة المعارف العمومية ، وكان له الأثر الكبير في تطوير التعليم في مصر ، وكان يمت بصلة القرابة للزعيم سعد زغلول ، حيث كان الزعيم في منزلة خاله .

(١) يشير الشاعر إلى سبق نفى الإنجليز لعاطف بركات مع الزعيم سعد زغلول .

لو تَرَيْتِ لاسْتَطَالَ بك النيب * بل على هذه الحُطوبِ التوالى
غير أن الردى ، وإن كَثُرَ لنا * سُ ، حريصٌ على البعيدِ المنال
كلما قام مُصلِحٌ أُعْجِلَتْهُ * عن مناهِ غوائلِ الآجالِ
يُخَطِّفُ النَّابِغُ النَبِيهَ وَيَتَّقِي * خاملُ الذكري في نعيمٍ وخالٍ
أيعيشُ الرُّبَالُ في الغابِ جيلاً * ويمرُّ القُرَابُ بالأجيالِ

*
* *

كنتَ فوق الفرائشِ والسقمُ بادٍ * لهفَ نفسى عليك والجسمُ بالٍ
لم يُزَحِّحْكَ عن نهوضك بالأعبا * ءِ داءٌ يهدُّ أَسَدَ الدَّحَالِ
شَغَلَتْكَ الجُهُودُ والمدايا يمشى * فيك مَنَى المحاذيرِ المُقْتَالِ
لم يدعُ منك غير قوة نفسٍ * تتجلى في هيكلي من خيالٍ
عجز السقمُ عن بلوغِ مداها * فَضَّتْ في سبيلها لا تبالي
لم تزل في بناءِ اللشءِ حتى * هَدَمَ الموتُ عُمرَ باني الرجالِ
عَجَبَ النَّاسُ أَنَّ رَأَوْا سَرَطَانَ الـ * بَحْرِ قَد دَبَّ في رؤوسِ الجبالِ
مَنْ رَأَى «عاطفاً» وَقَدْ وَصَلَ الْأَشْ * غَالَ بِمَدِّ الْمُدُّوِّ بِالْأَشْغَالِ
ظَنَّ ، أَوْ كَادَ ، أَنَّ أَوَّلَ نَوْمٍ * نَامَهُ كَانَتْ تَحْتَ تِلْكَ الرَّمَالِ
أَوْ رَأَى قُوَّةَ الْعَزِيمَةِ فِيهِ * وَهُوَ فَوْقَ الْفَرَايشِ بِأَدَى الْمُرَالِ
ظَنَّ بِأَسِّ الْحَدِيدِ لَأَرَقَ مَثْوَاً * هُ اجْتَوَاءَ وَحَلَّ عَوْدَ الْخِلَالِ

*
* *

قد تَبَيَّنَتْ كُلُّ مَعْنَى فَأَنكَرُ * تَ عَلَى السَّالِفِينَ مَعْنَى الْحَالِ
 رُمْتُ فِي أَشْهَرِ صَلَاحِ أُمُورٍ * دَمَرْتُهَا يَدُ الْعَصُورِ الْخَوَالِ
 رُبِمْتُ إِصْلَاحَ مَا جَنَّتْ يَدُ « دَنَلُو » * بَبَّ عَلَى الْعِلْمِ السَّنِينَ الطُّوَالِ
 وَقَلِيلٌ عِنْدِي لَهَا نَصْفُ جِيلٍ * لِمَجْدٍ مُوَفَّقٍ فَعَالٍ
 لَمْ تَكُنْ مَصْرُوعًا بِالْقَسَمِ وَلَكِنْ * قَدْ رَمَاهَا أَعْدَاؤُهَا بِالْحَيَالِ^(١)
 أَفْسَحُوا لِلْجِيَادِ فِيهَا بَجَالًا * قَدْ أَضْرَّ الْجِيَادَ ضَيْقُ الْمَجَالِ
 أَصْبَحَتْ فِي الْقَبُودِ تَمْشِي الْمَوْتَنَا * كَسَفِينٍ يَعْزُبْنَ بِحَرَى الْقَنَالِ
 فَاصْدَعُوا هَذِهِ الْقَيْوَدَ وَخَلُّوْا * هَا تَبَارَى فِي السَّبْقِ رِيحَ الشِّمَالِ
 عَرَفَ الْغَرْبُ كَيْفَ يَسْتَنْمِرُ الْجَدُ * فَيَبْنِي بِفَضْلِهِ كُلَّ عَالِ
 وَدَرَى الشَّرْقُ كَيْفَ يَسْتَمِرُّ اللَّهُ * وَفَيُفِضِي بِهِ إِلَى شَرِّ حَالِ
 فَاتْرَكُوا اللَّهَ فِي الْحَيَاةِ وَجِدُّوْا * إِنَّ فِي اسْمِ الرَّبِّسِ أَيْمَنَ فَالِ
 فَاصْنَعُوا صُنْعَ مَاطِفٍ وَاذْكُرُوهُ * آيَةَ الْمَجْدِ — ذِكْرَةَ الْأَبْطَالِ

يَا مُحِبَّ الْجِدَالِ نَمَّ مَسْتَرِيحًا * لَيْسَ فِي الْمَوْتِ مَتَقَدُّ لِلْجِدَالِ
 صَامِتٌ يُسَكَّتُ الْمَقْرَّةَ فَاعْجَبْ * وَبَطْلَى يَبْزُ تَخْطُو الْعِجَالِ
 كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا التَّحِيَّةَ يُرَبِّحِي * فَهِيَ لِلَّهِ ، وَالِدُنَا لِلزُّوَالِ^(٢)
 إِنْ بَكَتْ غَيْرَكَ النِّسَاءُ وَأَذْرَفِ * مِنْ عَلَيْهِ الدَّمُوعُ مِثْلَ الْآلِ
 فَعَلَى الْمَصْلُوحِينَ مِثْلِكَ تَبْكِي * ثُمَّ تَبْكِي جَلَامِلُ الْأَعْمَالِ

رثاء الأديب مصطفى لطفى المنفلوطى

مجلة النيل — ١٨ شبتمبر سنة ١٩٢٤

رَحِمَ اللهُ صاحبَ النظراتِ * قابَ عنا في أحرج الأوقاتِ
يا أميرَ البيانِ والأديبِ النض * يرلفد كنتَ نخرَ أم اللغاتِ
كيف غادرتنا مريعاً وعهدي * بك يا مصطفى كثير الأناة
أفقرتُ بعدك الأساليبُ واستر * نعى عِناثُ الرسائلِ المبتعاتِ
بمَحَّتْ بعدك المعاني وكانت * سَلَسَاتِ القِيَادِ مُبْتَدَرَاتِ
وأقامَ البيانُ في كلِّ نادٍ * ماتمَّ للبدايعِ الرائعاتِ
لَطَمْتَ «مجدلين» بعدك خدي * بها وقامتِ قِيَامَةُ «العبرات»^(١)
وانطوت رِقَّةُ الشعورِ وكانت * سلوةَ البائسينِ والبائساتِ
كنتَ في مصرَ شاعراً يَهْرُالد * بَ بَ آياتِ شعرهِ الينياتِ
فَهَجَرَتِ الشُّعْرُ السُّرَى إلى الش * ير فُجَّتِ الكُتَابُ بالمُعْجَزَاتِ
مُتَّ والناسُ عن مُصَابِكِ في شُد * يل بِمَجْرَجِ الرئيسِ حامي الحماة^(٢)
شُغِلُوا عن أديبهم بِمُجَجِّ * يهم فلم يَسْمَعُوا نداءَ النُّعَاةِ
وَأَقْفُوا بَعْدَ النجاةِ فَالْفَوْا * منزلَ الفضيلِ مُقْفَرِ العَرَصَاتِ
قد بَكَكَ الرئيسُ وهو بحريج * ودموعُ الرئيسِ كالرَّحَمَاتِ

(١) «مجدلين» و «العبرات» و «النظرات» من الروايات التي ترجمها المرحوم المنفلوطى .

(٢) توفي المرحوم المنفلوطى يوم الاعتداء على الزعيم سعد زغلول في محطة مصر وهو متوجه إلى

لم تُبَقِّ يافتي المحامد مالا * فلقد كنت مُغرماً بالهبات
 كم أَسَأَلْتُ لك اليراعة سَيْلاً * من نُضَارٍ يَفِيضُ فَيَضُّ الْفُرَاتِ^(١)
 لم تُؤَثِّلْ مما كَسَبْتَ ولم تَحْ * سِبْ على ما أرى حَسَابَ المِثَالِ
 مِتَّ عَنْ يافع ونجس بنات * لم تُخَلِّفْ لها سِوَى الذِّكْرِيَّاتِ
 وَتَرَأْتُ الأديب في الشرقِ حُزْناً * لِبَيْنِهِ ، وَثَرَةٌ لِلرَّوَاةِ
 لَا تَخْفَ عَثْرَةَ الزَّمَانِ عليهم * لا ، ولا صَوْلَةَ اللَّيَالِي الْعَوَاتِي
 عَيْنٌ سَعِدَتْ بِرَمَاهِمُ بِمَدْعِي * بِنِ اللَّهِ فَأَهْدَأُ فَقَدْ وَجَدْتُ الْمَوَاتِي

رثاء أحمد حشمت باشا

كان أحمد حشمت باشا من رجالات مصر في العصر السابق ، ولى مناصب
 القضاء والإدارة ثم وزيرا للمعارف « التربية والتعليم الآن » .
 وقد ناصر الأدب واللغة العربية في عصر اشتدت حملة الاستعمار والمبشرين
 عليها شتة مسعورة ، وكانت له رغم منصبه الوزاري ووجود مستشار المعارف
 الإنجليزي ، مواقف مشهودة ، خرجت بفضلها اللغة العربية سليمة خالصة
 لأهلها ، وحفظت عليهم لسانهم العربي المبين .
 وكان من الطبيعي أن تقوم الصلة قوية متينة بين حشمت باشا وشاعر النيل ،
 وأن يقتربه الوزير اليه ، ويعينه رئيسا للقسم الأدبي بدار الكتب المصرية .
 فكان عملا جريئا من الوزير أن يعين في وظيفة حكومية ، أديبا يطارد الاستعمار
 ويطارده الاستعمار في عصر الاستعمار ..

(١) النضار : الذهب — الفرات : الماء العذب .

ولقد رثاه الشاعر سنة ١٩٢٦ بهذه المراثية المنبثقة من ضمير ووجدان الشاعر

الوطني الوفي الكليم .

حَبَسَ اللِّسَانَ وَأَطْلَقَ الدَّمَاعَ * نَاجَ أَصَمَّ بِنَفْيِكَ السَّمْعَا
لَكَ مِئْنَةٌ قَدْ طَوَّقَتْ عُنُقِي * مَا إِنِّي أُرِيدُ لِيَطُوقَهَا نَزْعًا
مَاتَ الْإِمَامُ وَكَانَ لِي كَنَفًا ^(١) * وَقَضَيْتَ أَنْتَ وَكُنْتَ لِي دِرْعًا
فَلْيَشْمَتِ الحُسَّادُ فِي رُجُلِي * أَمَسَتْ مُنَاهُ وَأَصْبَحَتْ صَرَغِي
وَلْتَحْمِلِ الْأَيَّامُ حَمَلَتَهَا * غَاضَ الْمَعِينُ وَأَجْدَبَ الْمَرْغَى
إِنِّي أَرَى مِنْ بَعْدِهِ سَلَالًا * يَدِ الْعُلَا وَيَأْتِفُهَا جَدْعًا
وَأَرَى النَّدَى مُسْتَوْحِشًا قَلِقًا * وَأَرَى الْمُرُوءَةَ أَقْفَرَتْ رَبْعًا
قَدْ كَانَ فِي الدُّنْيَا أَبُو حَسَنِ * بُولِي الْجَمِيلَ وَيُحْسِنُ الصَّنْعَا
إِن جَاءَ ذُو جَاهٍ بِمُحَمَّدَةٍ * وَتَرَا شَاهُ بِمِثْلِهَا شَفْعًا ^(٢)
فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى أَنَامِلِهِ * تَنَدَّى ، حَسِبْتَ يَكْفُهُ نَبْعًا
سَلَّى فَلَانِي مِنْ مَنَائِعِهِ * وَسَلَّ « الْمَعَارِفِ » كَمْ جَنَتْ نَفْعًا
قَدْ أَخَصَّبَتْ أُمُّ اللِّغَاتِ يَدَ * خِصْبًا أَدْرَ لَأَهْلِهَا الضَّرْعَا
تَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ يُقَالَ أَنِّي * يَدْعَا ، لَطُفْتُ بِقَبْرِهِ سَبْعَا
قَدْ ضَيَّعْتُ ذُرْعًا بِالْحَيَاةِ وَمَنْ * يَفْقِدُ أَحِبَّتَهُ يَضِقُّ ذُرْعَا

(١) الإمام هو الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية سابقا وقدرناه الشاعر بقصيدة في هذا الديوان .

(٢) شاه أى زاد عليه ، والوتر الواحد والشفع الاثنان ، ومنها صلاة الوتر ذات الركعة الواحدة ،

وصلاة الشفع ذات الركعتين .

وَعَدَوْتُ فِي بَلَدٍ تَكْتَفُنِي * فِيهِ الشُّرُورُ وَلَا أَرَى دَفْعًا
 تَمَّ مِنْ صَدِيقٍ لِي يُحَاسِنُنِي * وَكَأَنَّ تَحْتَ ثِيَابِهِ أَقْفَى
 يَسْعَى فَيُخْفِنِي لَيْنُ مَلَسِهِ * عَنِّي مَسَارِبَ حَيَّةٍ تَسْعَى
 تَمَّ حَاوَلْتُ هَذِي مَعَاوِلَهُمْ * وَأَبَى إِلَهُ فَزَادَنِي رَفْعًا
 أَصْبَحْتُ قَرْدًا لَا يُنَاصِرُنِي * غَيْرَ الْيَاسَنِ ، وَأَصْبَحُوا جَمْعًا
 وَمَنَاهُمُ أَنَّ يَحِيطُوا بِيَدِي * قَلَمًا أَثَارَ عَلَيْهِمُ النُّقْعَا
 وَلَرُبُّ حُرٍّ عَابَهُ نَقْرٌ * لَا يَصْلُحُونَ لِقَعْلِهِ شِسْمَا
 مَنْ ذَا يُوَاسِنِي وَيَكَلِّفُنِي * فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَمَنْ يَرَعَى
 لَا جَاهَ يَجِينِي ، وَلَا مَدَدٌ * عَنِّي يَرُدُّ الْكِدَ وَالْقَدَمَا
 بَكَ كُنْتُ أَدْفَعُ كُلَّ عَادِيَةٍ * وَأَجِيبُ فِي الْجُلَى إِذَا أُدْعَى
 وَأَقْبِلْ عَنِّي كُلَّ مَبْتَلِي * وَأَفِي الْحَقُوقَ وَأُجْبِعُ الْمَسْعَى
 حَتَّى نَبَى النَّاعِي أَبَا حَسَنِ * قَوَّدَدْتُ لَوْ كُنْتُ الَّذِي يُنْعَى
 غِظُ الْعِدَاةِ فَاوَلُوا سَفْهًا * مِنْهُمْ لَحِيلُ وَإِدَانَا قَطْعًا
 رَأْمُو لَهُ بَنًا - وَقَدْ حَمَلُوا * ظَلَمًا - فَكَانَ لَوْصِلِهِ أَدْعَى

يَا دَوْحَةً لِلْبَرِّ قَدْ نَشَرْتُ * فِي كُلِّ صَالِحَةٍ لَهَا فُرْمَا
 وَمَنَارَةً لِلْفَضْلِ قَدْ رُفِعَتْ * فَوْقَ الْكُنَانَةِ نَوْرَهَا شَعَا
 وَمَثَابَةً لِلرِّزْقِ أَحْمَدُهَا * مَارِدٌ مِسْكِينًا وَلَا دَعَا
 إِنِّي رَيْثُكَ وَالْأَسَى جَلُّ * وَالْحَزَنُ يَصْدَعُ مَهْجَتِي صَدْمَا
 لَا غُرْوًا إِنْ قَصُرْتُ فَيْكَ قَدْ * جَلَّ الْمَصَابُ وَجَاوَزَ الْوُسْعَا
 سَأَيْتُكَ حَقَّكَ فِي الرِّثَاءِ كَمَا * تَرْضَى ، إِذَا لَمْ تُقْصِدِ الرُّجْعَى

فهرست

القوائد

—

(حرف الهمزة)

صفحة		
٥٨	هل رأيت موقعا كمل	في الأطباء يستحق الثناء
٢٠٥	لى كساء أنتم به من كساء	أنا فيه آتية مثل الكساء
٢١٣	يبابك النحاس والسعود	وموقف اليأس والرجاء
٢٣٩	هذا الظلام أثار كامن داني	يا ساقبي على الصهباء
٢٥٢	ألبسوك الدماء فوق الدماء	وأروك الدماء بعد الدماء
٤٢٨	خلقت لى قسا فأرصدتها	لحزن والبلوى وهذا الشقاء
٤٤٩	لا والأسمى وتلهب الأحشاء	ما بات بملك معجب بوفاء
٤٥٠	أمرى القوم لو هموا عزائي	وأعلن فى مليكتهم رثائي

(حرف الألف)

١٩٦	تسأيت منكم لحقت عرا	وضاعت جهود على ما أرى
٢٢٢	بنادى الجزيرة كف ساعة	وشاهد برك ما قد حوى

(حرف الباء)

١٣	ماذا أكثرت لهذا العيد من أدب	قد عهدت لك رب السقى والغلب
١٥	لعت جلال العيد والقوم هيب	فعلنى آى الملايكف تكتب
٢٣	بصكرا صاحب يوم الإياب	وقفا بى بعين شمس قفا بى
٢٦	لو يظلمون اللائى مثل ما ظلمت	مذغت عنايون الفضل والأدب
٣٨	أعجى كاد يملو نجمه	فى سماء الشعر نجم العرب
١٥٤	شيطان قد خبره الوجود نادركا	ما فيه من طل ومن أسباب
١٦٠	أنرق الدف لو رأيت شكيا	وأفض الأذكار حتى يقبىا

صفحة		
١٦١	أديم ويجهك يازنديقى لوجملت	منه الوقاية والتجليد للكتب
١٦٦	أنى والله قد ملئ الوطاب	وداخلنى بصحبتك ارتباب
١٧٦	ملكتم على عتاف الخطب	وبزتم بقدرى مما الرتب
١٨٨	قل للقيب لقد زرنا فضيلته	فإذا ذا منه حراس وجباب
٢٣٣	عجب الناس منك يا بن سليا	ن وقد أبصروا لديك عجيبا
٢٥٦	حلمت اليراع فلا تعجبى	وصفت البياض فلا تعجبى
٢٦٥	إن كنتم تبالون المال من رهب	فمن ندموكم للبذل عن رغب
٢٦٨	لمصر أم لربوع الشام تنسب	هنا الملا وهناك المجد والحسب
٢٧٢	حياكم الله أحيوا العلم والأدبا	إن تنشروا العلم ينشر فيكم العربا
٣٠٢	قضيت عهد جداتى	ما بين ذل واغتراب
٣٢٠	(عبد العزيز) لقد ذكرتنا أمما	كانت جوارك فى لمووفى طرب
٣٢١	لا تلم كفى إذا السيف نبا	مع منى العسزم والدهر أبى
٣٣١	أيحصى معانيك القريض المهذب	على أن صدر الشعر لادح أرحب
٣٣٦	(قصر الدبارة) هل أذاك حديثنا	فالشرق ريع له ونج المنسوب
٣٦٢	أجل هذه أعلامه ومواقبه	هنا لم فليسحب الذيل ساحبه
٤٢٣	(قصر الدبارة) قد نقض	ت المهسد نقض التماسك
٤٢٤	سكت فأصغروا أدبى	وقلت فأصغروا أربى
٤٢٦	جرب حطفى قد أفرغته طعما	يباب أستاذنا (الشيبي) ولا عجا
٤٣٠	ماذا أصبت من الأسفار والنصب	وطيك المعربين الوخذ والغلب
٤٣٥	وميت بها على هذا الثباب	وما أوردتها غير السراب
٤٥٢	هنا رجل الدنيا هنا مهبط التقى	هنا خير مفلوم هنا خير كاتب
٤٨٦	صوفوا يراع (على) فى متاحفكم	وشاوروه لدى الأرزاء والنوب
٤٩٥	سكن الفيلسوف بعد اضطراب	إن ذاك السكون فصل الخطاب
٥٠٣	أهدى المسلمين بن أميرها	وقد وارا سليا فى التراب

صفحة		
٥١٤	جئت أدعوك فهل أنت مجيبي	ولدى قد طال مهدي ونحيبي
٥١٧	دنا المنهل يا قمس فطيسي	أذنت شمس حباتي بمغيب
٥٢٨	في القرب أدركه المنيب	ما أنت أول كوكب
٥٣٢	كيف ينصب في النفوس انصبابا	إله ياليل هل شهدت المصابا
٥٤٤	وعجا بشاشة فك الخسلاص	لعب اللي بملعب الألباب
٥٥٢	كثت خباتها ليوم المصاب	دمعة من دموع عهد الشباب
٥٦٠	وبدأت أعرف وحشة الأحباب	بدأ المساء يدب في آترابي
٢٧٢	إن تنشروا العلم ينشر فيكم العربا	حياكم الله أحيوا العلم والأدبا

(حرف التاء)

٥٥	يا مصر في الثغرات والبركات	فيك السعيدان اللذان تباريا
١٣١	معطرة في أسطر عطرات	إليكن يهدى النيل ألف تحية
١٩٦	تسلو بنو الشرق مقاماته	يا كاتب الشرق ويا خير من
٢٥٣	وناديت قوى فاحتسبت حياي	رجعت لثغى فاتهت حصاي
٣١٨	وبألف ألف ترزق الأموات	أحيائنا لا يرزقون بدمهم
٣١٨	وبألف ألف ترزق الأموات	أحيائنا لا يرزقون بدمهم
٣٨٣	يرجى ولا أنا ميت	(إيلاي) ما أنا حي
٤٥٨	سلام على أيامه النضرات	سلام على الإسلام بمدجد

(حرف الحاء)

٧١	بها مصر وتاه بها مدبحي	(للونا) شهرة في الطب تاهت
١٤٨	فهاؤكم قد زانها (المصباح)	أهل الصحافة لا تفضلوا بمله
٢٤٢	جيوش الدجى ما بين أنس وأفراح	وفتيان أنس أقسموا أن يتدرا
٢٤٢	إصباحها إذ أذنت برواح	مرت كمر الورد بينا أجنلى
٤٠٨	والروض لا يذكر ولا ينضح	ما لي أرى الأكام لا تفتح

٤١١	أفرق فذلك مشارق الإصباح	وأعط لثامك من نهار ضاحى	صفحة
٤٢٦	سائل الطين لم تلق شقاء	وكم خطت أنا ملنا خريجا	
(حرف الدال)			
٧	تمددت قتل في الهوى وتمذا	فما أثمرت عيني ولا لحظه اعتدى	
٣٣	أهنيك أم أشكو فراقك قائلا	أيا ليتني كنت السجين المصفدا	
٥٠	إن هتوك بها فلت مهشا	إني عهدتك قبلها محسودا	
١٤٤	أرايت رب التاج في	عيد الجلولس وقد تبدى	
١٥٣	يا حوكب الشرق أشرق	فالحدائق تجمد	
١٩٥	لقد بت محسودا طليك لأنى	فذاك وهل خير المنم يحمى	
٢٢١	ادحونا بنى اليهود ككفاكم	ما جتمت بحدقكم من نقود	
٢٤٣	نعمرة في (بابل) قد صهرجت	هكذا أنسر حاخام اليهود	
٢٤٧	ومن عجب قد قلدوك مهندا	وفى كل لحظه منك سيف مهند	
٢٦١	ممننا حديثا كقطر الندى	بلقد في النفس ما جمددا	
٢٦٤	مالى أرى بحر السبا	سمة لا ينى بحر زرا ومدا	
٣٢٤	أيها القنائمون بالأمس لنا	هل نسيتم ولاءنا والسودادا	
٣٤٥	بنات الشعر بالنفحات بحودى	فهذا يوم شاعرك المهيد	
٣٤٠	قى الشعر هذا موطن الصدق والمهى	فلا تكذب التاريخ إن كنت منشدا	
٣٥٧	لارعى الله عهدنا من جلود	كيف أمست يابن (عبد المهيد)	
٤٠٣	وقف الخلق ينتظرون جمعا	كيف أبى قوامد المهيد وحدا	
٤٢٢	لقد طال الحيات ولم تكفوا	أما أرضاكم ثمن الحيات	
٤٤٥	ردا كؤوسكم من شبه مفؤود	فليس ذلك يوم الراح والعود	
٤٤٧	أيها الثرى إلام التهادى	بعد هذا أنت غرثان صادى	
٤٥٣	ردوا مل يابى بعد (محسود)	إنى هيت وأعي الشعر بمجهدى	
٥١١	من ليوم لمحن فيه من لشد	مات ذو العزمة والراى الأسد	

فهرس القصائد

٥٨٩

صفحة

(حرف الراء)

١١	تجلت بهذا العيد أم تلك أشعاري	مطالع سعد أم مطالع أقرار
١٥	مر وعيد مولانا الكبير	في عيد مولانا الصغير
١٨	فقلت للشعر هذا يوم من شعرا	لمحت من مصر ذاك التاج والقمر
٢٦	تاج الفخار ومطلع الأنوار	إن صؤروك فإنما قد صؤروا
٣١	وقاليت فيك الشوق وهو قد ير	قصرت عليك العبر وهو قصير
٥٧	وعلى الزاخرة والضير الطاهر	رباك والملك الكريم على التقى
١١٤	بلد من الأخلاق عاري	يا كاسي الأخلاق في
١٥٠	سجدت له الأقلام وهي جوارى	قلم اذا ركب الأنامل أو جرى
١٦٧	فسات نقوس لندكارها	شجينا مطالع أقارها
١٨٥	أجمل خلقا منه في الظاهر	كحافظ إبراهيم لكنه
١٨٩	بأن شاعره بالباب منتظر	قل للرئيس أدام الله دوله
١٩١	ودمع العين مقياس الشعور	شكرت جميل صنعكم بدمعي
١٩١	بالدر أو بالجوهر	وإني كتابك يزدرى
١٩٤	ولاح للنوم في أجفانكم أثر	طال الحديث عليكم أيها السمر
٢٠٤	في ليلة القدر نجيا الوزير	لا غرو إن أشرق في منزلي
٢٠٤	وبينك يا أخى صلة الجوار	أحامد كيف تنساني وبني
٢٢٧	أنا بالله منهما مستجير	طاصف يرمى وبحر يفير
٢٣٤	يطير بكتنا صفحته شرار	كأن أرى في الليل نصلا مجزدا
٢٣٦	إني أراك على شيء من الضجر	ياساهد النجم هل الصبح من خبر
٢٤٧	أعينك من وجد تطفل في صدرى	أنا العاشق العاني وإن كنت لا تدرى
٢٤٧	بجنسه قد واصل السهرا	قالت الجوزاء حين رأت
٢٥٠	كيف باتت نساؤهم والعدارى	سائلوا الليل عنهم والنهارا
٢٩٢	تحت الظلام هيام حائر	هذا صبي هائم

فهرس القصائد

٥٩٠

صفحة		
٢٩٩	واسبق الفجر الى روض الزهر	أعيا الرسمى زر نبت الربا
٣٠٧	فكدر الله لنا أن ننشرا	أيها الطفل لك البشرى فقد
٣٢٤	ومورد الموت أم الكوثر	أساحة للحرب أم محشر
٣٥١	هلال رآه المسلمون فكبروا	أطل على الأكوان والخلق تنظر
٣٩٠	في المشرقين صلا وطار	أهلا بأقول مسلم
٤٢٣	أصبح في الايهام كالخشر	كم حددوا يوم الجلاء الذي
٤٣٦	قد منها من شدة السهر	ما لهذا النجم في السحر
٤٣٧	بجود (سديم) وهو من أعظم البشرى	لقد كانت الأمثال تضرب بيننا
٤٦٥	وأنت أنثر بينهم أشعاري	تروا عليك نواذى الأزهار
٤٧٨	للدحك من كتاب مصر كبير	رثاك أمير الشعر في الشرق وأبى
٤٩٣	ك وأنت رامية النسر	أنت الكواكب مارما
٥٠٧	فانخلق في الدنيا سير	ملك النهى لا تبعدى
٥١٦	وآثرت يا مصرى سكنى المقابر	لك الله قد أسرعت في السير قبلنا
٥٢٢	ولم يثن عنا وعنك الحذر	نعاك النعاة وحم القدر
٥٣٠	لم يدروا أبدى وما أضمر	من لم يلق فقد أليف الصبا
٥٥٦	شبهت فيه من هالة الأبرار	يا بن (عبد السلام) لا كان يوم

(حرف السين)

١٠٣	أسمى بأمر الرئيس	أنت سوق مكاظ
١٨٨	ليس لي فيها أنيس	أنا في البليزة نار
٢٤١	بينهم وبين ظن وحسن	أوشك الديك أن يصيح ونفسى
٢٤٦	فإن في الحب حياة النفوس	ياها الحب امترج بالمشى
٢٩٦	وهكذا يسؤثر عن (فس)	أجاد (مطراش) كساداته
٣٠٦	وجلالا يوم عيد الجلوس	إن يوم احتفالكم زاد حسنا

فهرس القصائد

٥٩١

صفحة

(حرف العين)

٣٤	ما أنت إلا عاشق مدعى	هجت يا طير ولم أجمع
١١٩	بشعر أمير الدولتين ورجى	بلاهل وادى النيل بالمشرق اميجى
١٤٢	بيان وراع الجامعة	قد راع ذار العدل طغى
١٤٣	بمذك من أرائك النافعه	قد أجديت دار الجنا والنهى
١٥٨	بارك الله فى (ظلال الدروع)	قد قرأنا ظلالكم فاشغينا
١٦١	يخط ومن يتلو ومن يسمع	هنا يستغيث الطرس والنفس والذى
١٩٦	وفاته ما فيه من إبداع	من لم ير المعرض فى أنساع
٢٠٣	وعنى لازمت سكب الدروع	نمى يا بايلى إليك شوقى
٢٥٩	رجال الدنيا القديمة بأعا	أى رجال الدنيا الجديدة مدوا
٣١٨	طلع النهار وأفسح	أخشى مريقى إذا
٤٣٨	ولا قيل أين الفتى الألى	مرضنا فاعادنا عائد
٤٨١	حديث الورى عن طيب ما كتبت نصنع	(رياض) أفق من غمرة الموت واستمع
٥٤٢	على الأريب الكاتب الألى	أبكى وعين الشرق تبكى مى

(حرف الفاء)

٢١	وأنصفت من نفسى وذوالب ينصف	صدفت عن الأهواء والحز ينصف
٥٥٢	فلتبه الأعلام أو تنقصا	غاب الأديب أديب (مصر) واختفى

(حرف القاف)

٤٠	وسطا على جنينك هم مقلق	سكن الظلام وبات قلبك يحقق
١١٨	ميس العروس مشئت على أستبرق	ما بال (دندرة) تميس تهاديا
١٤١	بآية الإعجاز فى الخلق	أيا يدا قد خصها ربا
٢٠٧	والسمع يملكه الكذب الحاذق	وبعدوا السبيل الى التقاطع بيننا
٢١٢	ولكل عصر واحد لا يلحق	يا (جالك) إنك فى زمانك واحد

صفحة		
٢٧٩	كم ذا يكابد عاشق و يلاق	في حب (مصر) كثيرة العشاق
٢٩٨	لا أبالي أذى المدثر لخطي	أنت يا رب من ولاء الصديق
٣٧٢	لي فيك حين بدا ساك وأشرقا	أمل سألت الله أن يحققا
٤٠٠	لا هم إن الغرب أصبح شعلته	من هولاء أم الصواعق تنرق
٥٢٢	أكثرتم التصفيق في موطن	كان البكا فيه بنا أليقا

(حرف الكاف)

٣٦	الله عيبد كبير	يزهو بنور جبينك
١٠٩	أحمد الله إذ سلبت لمصر	قد رماها في قلبها من رماكا
١٣٣	سما انطليان في المعالي	وجاز شأوامها السكاكا
١٦٠	عطلت فن الكهرباء فلم نجد	شيئا يروق مسيرها إلا كاكا
٢٠١	يا شاعر الشرق اتشد	ما ذا تحاول بعد ذاك
٢٤٨	ظلي الحمى بالله ما ضركا	إذا رأينا في الكرى طيفكا
٣١٤	كم وارت غض الشباب رميته	بفسرام راقصة وحب هلوكة
٥٣١	عجبت أن جعلوا يوما لذكركا	كاننا قد نسينا يوم منكاكا
٥٦٠	بين المراثي شنة دفنوك	أم في المهاجر خلصة شبنوك

(حرف اللام)

٤	بلفتك لم أنسب ولم أنفزل	ولما أقف بين الهوى والتذل
٥	قالوا صدفك فكان الصديق ما قالوا	ما كل مثشب للقول قوال
٦٧	هنيئا أيها الملك الأجل	لك العرش الجديد وما يضل
٧٥	في ساحة (البدوى) حلت ساحة	عن البلاد همزها موصول
٩٨	لقد عاشرتنا فلبنت فبينا	مثالا للتزاهة والكمال
١١٠	الشعب يدعو الله يا (زظلول)	أنت يستقل على يدك النيل
١٣١	قد قرأنا كم فهشت نهانا	فاقتبسنا نورا يضيء السبيل

صفحة

١٤٨	لنا ونعم الوكيل	أضى (نجيب) وكبلا
١٥٣	شروى سميك جامع التزليل	(عثمان) إنك قد آتيت موقعا
١٥٩	لغير تفرق وتضليل	جرائد ما خط حرف بها
١٥٩	أيدى البطانة وهو فى تضليل	لا تعجبوا فليكنكم لعبت به
١٧١	وأبى القرار الأتزال صقيلا	يا صارما أنف التواء بنمده
٢٠٠	واستقلا التّم ولا تأفلا	سيرا أيا بدرى معاء الملا
٢٠٣	أم تناس منك أم ملل	أدلال ذاك أم كمل
٢٠٩	* يادولة القواضب الصقال *	
٢٣٧	يا حكم الفوس يابن المعالي	ضمت بين النهى وبين الخيال
٢٣٧	بطل مرى أبهى الى الليث ميله	أفضيه فى الأشواق إلا أمله
٢٧٥	لا بل فتاة بالمرء حبال	شجعا أرى أم ذاك طيف خيال
٣١٠	مر ولا تحش ماديات الليالى	أياها الطفل لا تخف عنت الده
٣١٢	قد شأوتم بالمعجزات الرجالا	أى رجال الدنيا الجديدة مهلا
٤٧٠	لو أمهلنك غوائل الأجل	لله درك كنت من رجل
٤٩٠	وإذا أبيت فأجمل	جل الأسمى فتجمل

(حرف الميم)

٥٠	أدينا ودينا زادك الله أنما	منى ثلثا يا لابس المجد معلما
٥٥	لدي فهدى الى حماك الكريم	لم نجد ما بيني بقدرك فى المحج
٥٦	فأجبت رغم شواظى وسقامى	إنى دعيت الى احتفالك بطاة
٥٨	ودعاني فزرتها إلما	جازى مرثها فهاج الفراما
٦٣	ب فف شاء فليقى وسامه	وسع الفضل كله صدرك الرح
٧٢	شفوف بقول العبقريين مغرم	يحييك من أرض الكفاة شاعر
١٠٦	خليق أن يقيه على النجوم	أقصر الزعفران لأنت قصر
١٥٠	أثنى عليها الشرق والاسلام	أحييت ميت رجائنا بصحيفة

صفحة		
١٦٢	وذكرى ذلك العيش الرخيم	أثرت بنا من الشوق القديم
١٧٢	وعصافى الطبع السليم	ملكت على مذاهي
١٩٧	* من واجد متفر المنام *	
٢٠٢	لا يؤدي لئله هذا الخصاص	إن عنيك يا أخى بالسلام
٢٤٦	يا (جوليا) أنكر فيه الغرام	تمثلى إن شئت فى منظر
٢٤٨	وفى النور والظلماء والأرض والسما	أذنتك ترتابن فى الشمس والضحي
٢٨٣	أم شهاب يشق جوف الظلام	صفحة البرق أو مضت فى الغمام
٢٨٨	دأى الفؤاد وليله لا يعلم	كم تحت أذيال الظلال متيم
٣١٦	ش ولم تحسنوا عليه القيام	أيها المصلحون ضاق بنا العيد
٣٣٩	حواشيه حتى بات ظلمة منظما	لقد كان فينا الظلم فوضى فهذبت
٣٦٧	أهم ذاد نومك أم هيام	لقد فصل الدجى فى تمام
٣٧٦	بلغى (السفور) عن (مصر) السلاما	بالذى أجزاك ياربى الخزامى
٣٨٠	فاستفق يا شرق واحذر أن تئاما	طمع ألق من الغرب اللثاما
٤٠٢	عهد كرام فىك صلوا وسلموا	(يا صوفيا) حان التفريق فاذكرى
٤١٩	واين الكائنة فى سماه يضام	قد مر عام يا (سعاد) وعام
٤٢٠	فكان لكم بين الشعوب ذمام	بنتم على الأخلاق أساس ملككم
٤٢٢	واطمسوا النجم واحرمونا النسيما	محووا النيل واجهبوا الضوء عنا
٤٢٨	وطدت وما أعقبت إلا التندما	سميت الى أن كدت أنتعل الدما
٤٧٤	واقضوا هنالك ما تقضى به الذمم	طوفوا بأركان هذا القبر واستلبوا
٥٠٠	لم يربح عندك للاساة ذمام	لامرحبا بك أيها العام
٥٢١	مر عدا الردى فطواما	علبان من أعلام مصر
٥٥٩	صفاء الناس أم همهم الكرام	أعزى فىك أهلك أم أعزى

(حرف التوف)

٣	حائل لو شئت لم يكن	حال بين الجفن والوسن
٢٨	واقض المناسك من قاص وعن داني	طف بالأريكة ذات العز والشان

فهرس القصائد

٥٩٥

صفحة		
٤٤	وأجل عىء جلوسك القلان	أنى الجىج طىك والحرمان
٦٣	ذكرى الأرائل من أهل وجيران	يا صاحب الروضة النناء هجت بنا
٩٨	فتظرى يا (مصر) سحر بيانه	ورد الكانة عبرى زمانه
١١٨	أدب السرى وياقى الفتىات	يا كاسى الخلق الرضى وصاحب الـ
١٣٣	وطالع الين من (بالشام) حيانى	حيا بكور الحيا أرباع لبنان
١٤٢	ماذا اعتدت بلرح العاشق العانى	قل للطىب الذى تمنو الجراح له
١٤٨	لناس قالوا معجز ثانى	هذا كتاب منذ بدا مره
١٤٩	بشعرك فوق هام الأولينا	أراك - وأنت بنت اليوم - تمشى
١٥٩	ج هبت لا ترم الحصونا	يا ساكن البيت الزجا
١٧٩	أرهفت لقتول ذهنى	يا يوم تكريم (حنى)
١٨٤	ويا أديب الزمان	يا سىدى وامسى
١٨٧	صاد ويسقى ربا مصر ويسقىنا	عجت لليل يدرى أن بلبه
١٨٩	قصص المدافع فى أفق البساتين	يرغى ويزبد بالقصافات تحسبا
٢٠٧	فنسوا بالليل وضاح الجبين	لاح منها حاجب الناظرين
٢١٥	ما دعى الكون أيبا القرقدان	بشافى إن كتنا طلمبات
٢٣٨	فانتفى قافلا الى السودان	أنكر النيل موقف الخزان
٢٣٨	فما منك بالباكى الحزين	يا من خلقت الدمع لـ
٢٤٤	جددوا باقه عهد التائين	فخية الصباء خير الشارين
٢٤٦	منىا يخشى نزال الجفون	غضى جفون السحرا وفارضى
٢٤٨	واختار غرتك الفرا له سكا	سأله ما لهذا الخال مفردا
٢٤٩	ودلو يبرى بها الروح الأمين	سور عندى له مكتوبة
٣١٥	وذودا عن تراث المسلىنا	أعيدوا مجدنا دنيا وديننا
٣١٩	وتنظر ما يجرى به الفتىات	رويدك حتى يخفق العلبان
٣٢٨	ج ويا شمس ذلك المهرجان؟	أين يوم (القتال) يا ربة النـا

صفحة		
٣٩٧	حدث روائع حسنا (برلين)	قد آثار هناك كريمة
٤٠١	من ورحب أرقب جمهته	خرج القوافي يحتجب
٤٢٠	تصيد البط بؤس العالينا	ألم تر في الطريق إلى (كاد)
٤٢١	فصا بكم ومصا بنا سيات	لا تذكروا الأخلاق بعد حياكم
٤٢٢	إلا بقية دمع في مآقنا	لم يبق شيء من الدنيا بأيدينا
٤٣٨	فيا ليتني ويا ليتني	فمن بنقى وأشقى
٤٩٧	وقد عقدت هوج انطوب لسان	دعاني رفاق والقوافي مريضة
٥٤٠	وشطبه من صنوف الحزن ألوانا	أما (أمين) فقد ذقنا لمصره
٥٥٠	ومكرم الضيف أسمى ضيف رضوان	مسدى الجليل بلا من يكدره
٥٥٧	إليك ومثل شطبك لا يهون	مضيت ولمن أحوج ما نكون
٥٥٩	لبدر تم غاب قبل الأوان	شوقناي أيتها الفرقدان
٥٦٢	أسمى من الأرض يحويه ذراعا	إن الذي كانت الدنيا بقبضته

(حرف الهاء)

٣٧	ودان لك المقدار حتى أمتاه	ترامى لك الإقبال حتى شهدناه
١٤١	مدد زانه شرف النبي	شرف الرئاسة يا محمد
٢١١	حل حاة القوافي أينما تاهوا	يا ليلة ألمنتي ما أنيسه به
٤٣٤	ومر بي فبك عيش لست ألساه	كم مر بي فبك عيش لست أذكركه
٥١٤	ما كنت من ذكر رب العرش باللاه	يا عابد الله ثم في القبر مفتحا
٥٦٠	ومالك الأرواح أول بها	ودعته رقت إلى ربه

(حرف الياء)

٧٧	أني إلى ساحة (الفاروق) أهديا	حسب القوافي وحسب عين ألقيا
٣٩٦	تقصيد الحبيد وبالراية	أي (مكهون) قدمت بال
٤٦٣	فكبر وهلل وألق ضيفك بجايا	أيا قهر هذا الضيف آمال أمة
٥٠٤	شاخ من صرويح آل علي	دك ما بين خصوة وعشى

فَهْ سَمَاءُ

قصائد لم تنشر في الطبعة الاولى

منحة

(حرف التاء)

٥٧٩ رحم الله صاحب النظرات غاب عنا في أرحح الأوقات

(حرف الدال)

٥٧١ إن صح ما قالوا ، وما أرينوا وألصقوا زورا بدين العميد

(حرف الراء)

٥٧٣ علمونا المبر يطفى ما استمر إنما الأبر لمقبجوع صبر

(حرف العين)

٥٨١ حبس اللسان وأطلق اللسان ناع أصم بنميك السما

(حرف الكاف)

٥٦٥ ولت بشاشة دنيانا ودنياك وفارق الأنس مفتنا ومفتناك

٥٦٦ يا مليكا برغمه يلبس الثا ج ويرق لعرشه مملوكا

(حرف اللام)

٥٦٦ قصر الدويارة ماليتك وابضا والذنب في قصر الإمارة يحجل

٥٧٦ ثمن المجد والمحامد غالى آل زغلول قاصبروا بالبال

(حرف الميم)

٥٦٦ عيدهنا ، وهناك قام الماتم ملك يسوح ، وقايح يترنم

٥٦٧ سخر العلم لينى آية فوق شط النيل تبدو كالعلم

٥٦٨ قد غفصونا واتقينا فإذا نحن غرقى ، وإذا الموت أم

٥٧٢ هدية من شاعر بائس إلى الدهر دأبى وللى النعم

٥٧٢ رياض الأزبكية قد تحلت بأنجاب كرام أنت منهم

(حرف النون)

٥٧٠ ثلاثة من سراة النيل قد حبسوا على مدارسنا سجعين فدانا

مطابع الهيئة العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٧/٧٣٨٥

ISBN ٩٧ - ٠١ - ١٥٣٦ - ٣

